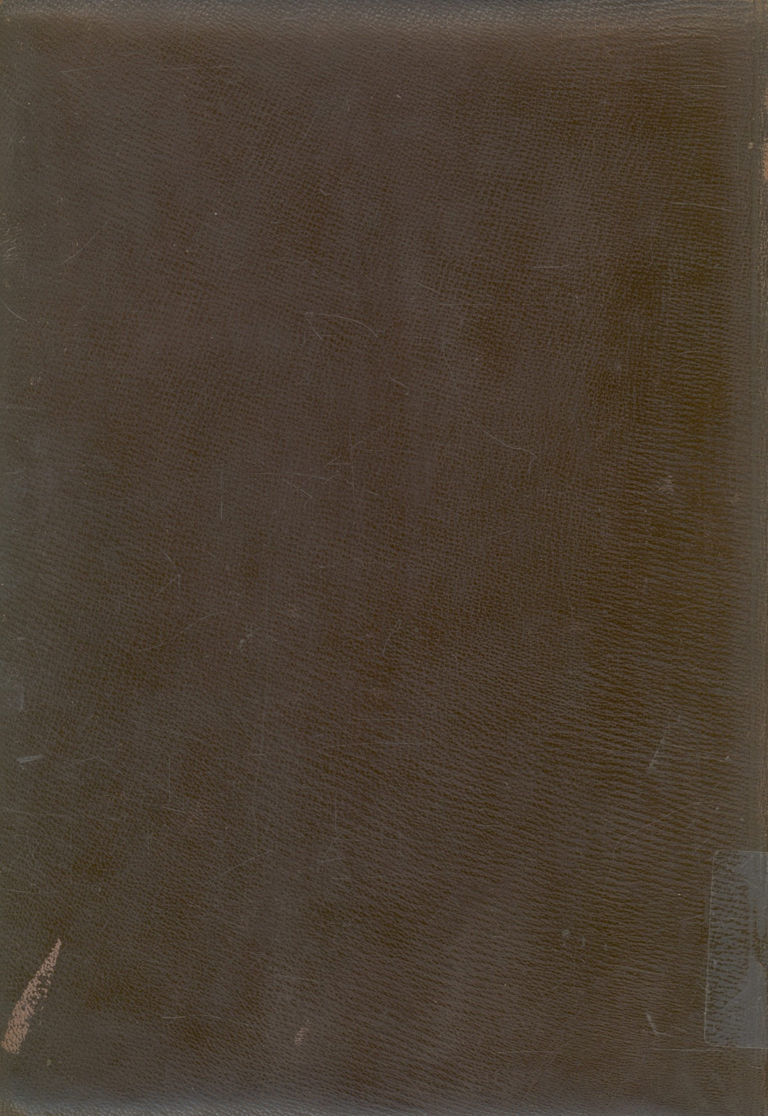
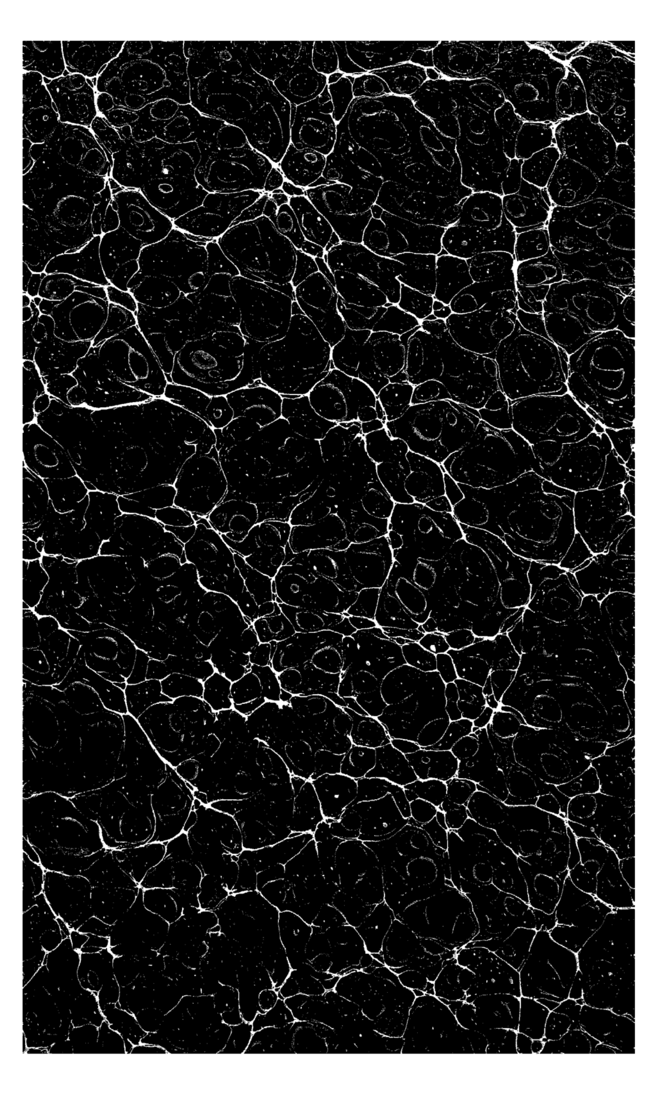
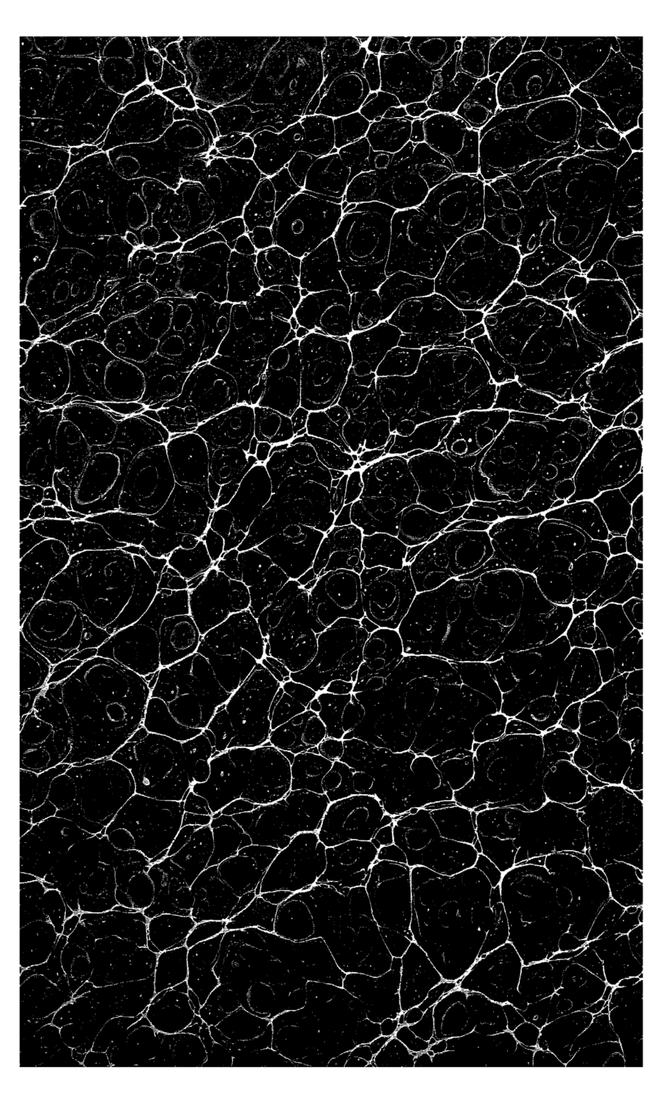






السيرة النبوية

لابن هشام

حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها

مصطفى السقا
المدرس بكلية الآداب
بالجامعة المصرية

ابراهيم الأبياري
المحرر بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية

عبد الحفيظ شلبي
المحرر بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية

الجزء الأول

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م / ٦٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

[المراجع التى رجعنا إليها فى هذا البحث :

بغية الوعاة للسيوطى ـ تاريخ ابن كثير ـ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ـ تهذيب التهذيب للعسقلانى ـ حسن المحاضرة للسيوطى ـ ضحى الإسلام لأحمد أمين ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ـ عيون الأثر فى المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس ـ الفهرست لابن النديم ـ كشف الظنون لملا كاتب چلبى ـ الكمال فى معرفة الرجال لابن النجار ـ معجم الأدباء لياقوت ـ معجم البلدان لياقوت ـ معجم ما استعجم للبكرى . الوسيط لأحمد الاسكندرى ومصطفى عنانى ـ وفيات الأعيان لابن خلكان] .

المغازى والسير

لفظتا « المَغازِى والسِّيَر » ، إذا أطلقتا ، فالمراد بهما عند مؤرّخى المسلمين تلك الصفحة الأولى من تاريخ الأمّة العربية : صفحةُ الجهاد فى إقامة صَرْح الإسلام ، وجمع العرب تحت لواء الرسولِ محمدٍ عليه الصلاةُ والسلام ، وما يُضاف إلى ذلك من الحديث عن نشأة النبى ، وذكر آبائه ، وماسبق حياته من أحداث لها صِلة بشأنه ، وحياة أصحابه الذين أبْلَوْا معه فى إقامة الدين ، وَحَمَلُوا رِسالتَه فى الخافِقَين .

وظهور الرسالة المحمدية أعظم حادث فى تاريخ العرب خاصّة ، والبشر عامّة : لأن حياة العرب سادة ودَهماء ـ أيام الرسول ـ كانت له ولدينه ، فما اجتمع مَلَأٌ منهم أو تفرّق إلا فيه ، ولا تحدثوا فى نَدِيِّهم إلا عنه ، ولا تحركت كتائبهم وجيوشهم إلا له ، حتى كان قُصارَى بلائه فيهم اجتماعهم على الإسلام ، ونَبْذُهُمْ ما كانوا فيه من الجاهلية الجَهْلاء ، والضَّلالَةِ العمياء .

ثم برزت هذه الأمة العربية ، التى كانت قد أنكرتها الأمم ، وتخطَّفهم الناس من حولهم ، إلى ميادين الحياة ، تؤدى رسالتها فى هداية البشر ، وتقيم القسطاس بين الناس ، وتضرب المثل الأعلى فى علوّ الهمة ، والبطولة ، والإيثار ، ونُصرة الحقّ ، والتعاون على البرّ والتقوى ، والاستمساك بمكارم الأخلاق .

هذا مجمل ما تتضمنه سيرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والرّعيل الأوّل من صحابته ، الذين تابعوه على الهُدَى ودِينِ الحق ، وسبقوا إلى تدوين صُحُف المجد والفخار العربيّ ، بما خلدوا من أعمالهم عَلَى وَجه الزمان .

ثم دَبّ إلى بعض من خَلَف بعدهم من الزُّعماء التحاسُد والتباغُض ، وقلة التناصُر والتعاوُن ، فتشعبت بالأمة السبل ، وتفرقت بهم النواحي ، فكان لهم إلى جانب ذلك التاريخ تاريخ ، وانقسم هذا التاريخ بانقسام الأمة دولا ، كان لكل دولة تاريخها الخاص فى موقعها الجديد ، واتصالها بغيرها من الدول .

التاريخ عند العرب

ولم يكن للعرب قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من مادة التاريخ إلا ماتوارثوه بالرواية ، مما كان شائعا بينهم من أخبار الجاهلية الأولى ، كحديثهم عن آبائهم وأجدادهم ، وأنسابهم ، وما فى حياة الآباء والأجداد من قصص ، فيها البطولة ، وفيها الكرم ، وفيها الوفاء ؛ ثم حديثهم عن البيت وزمزم وجُرْهُم ، وما كان من أمرها ، ثم ما كان من خبر البيوتات التى تناوبت الإمْرَةَ على قريش ، وما جرى لسد مأرب ، وما تبعه من تفرق الناس فى البلاد ، إلى أمثال هذا مما قامت فيه الذاكرة مقام الكتاب ، واللسان مقام القلم ، يعى الناس عنه ويحفظون ثم يؤدّون .

ثم ظهر مورد جديد بظهور النبى صلّى الله عليه وسلّم وظهور دعوته ، هى أحاديث الصحابة والتابعين عن ولادته صلّى الله عليه وسلّم وحياته ، وما ملئت به هذه الحياة من جهاد فى سبيل الله ، واصطدام مع المشركين ومن ليس على دينه ، ودعوة إلى التوحيد ، وما كان فيها من أثر للألسنة والسيوف . فهذا وذاك كان مادة للتاريخ أوّلا ، ثم للسيرة ثانياً .

ولم يدون فى تاريخ العرب أو السيرة شىء ، إلى أن مضت أيام الخلفاء ، بل لم يُدوّن فى هذه المدة غير القرآن ومبادئ النحو . فقد رأينا المسلمين يَحْفِزُهُمْ حرصهم على حفظ القرآن إلى كتابته فى حياة النبى وبعده ، كما حفزتهم مخافتهم من تفشى العجمة على الألسنة إلى تدوين النحو ، وذلك لما اختلط العربُ بغيرهم عند اتساع الرقعة الإسلامية .

بدء التأليف في السيرة

ولما كانت أيام معاوية ، أحَبَّ أن يُدوَّن في التاريخ كتاب ، فاستقدم عُبيد بن شَرِيّة من صنعاء ، فكتب له كتاب الملوك وأخبار الماضين .

بعد هذا رأينا أكثر من واحد من العلماء يتجهون إلى علم التاريخ من ناحيته الخاصة لا العامة ، وهى سيرة الرسول . ولعلهم وجدوا في تدوين ما يتعلق به عليه الصلاة والسلام شيئاً يحقق ما في أنفسهم من تعلق به ، وحب لتخليد آثاره ، بعد أن مُنِعُوا من تدوين أحاديثه إلى أيام عمر بن عبد العزيز ، مخافة أن يختلط الحديث بالقرآن ، فجاء أكثر من رجل كلهم محدث ، فدونوا في السيرة كتبا .

نذكر منهم : عُروة بن الزبير بن العوام الفقيه المحدث ، الذى مكنه نسبه من قبل أبيه الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر ، أن يروى الكثير من الأخبار والأحاديث عن النبي صلّى الله عليه وسلّم ، وحياة صدر الإسلام .

وحسبك أن تعلم أن ابن إسحاق ، والواقدى ، والطبرى ، أكثروا من الأخذ عنه ، ولا سيما فيما يتعلق بالهجرة إلى الحبشة ، والمدينة ، وغزوة بدر . وكانت وفاة عروة — فيما يظن — سنة ٩٢ هـ .

ثم أبان بن عثمان بن عفان المدنى المتوفى سنة ١٠٥ هـ . فألف في السيرة صحفاً جمع فيها أحاديث حياة الرسول .

ثم وَهْب بن مُنَبِّه اليمنى المتوفى سنة ١١٠ هـ . وفي مدينة هيدلبرج بألمانيا قطعة من كتابه الذى ألفه في المغازى .

وغير هؤلاء كثير ، منهم من قضى نحبه قرب تمام الربع الأول من القرن الثانى ، كشُرَحْبيل بن سعد المتوفى سنة ١٢٣ هـ ، وابن شِهاب الزُّهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ ، وعاصم بن عمر بن قتادة المتوفى — فيما يقال — سنة ١٢٠ هـ . ومنهم من جاوزه بسنين ، كعبد الله بن أبي بكر بن حَزْم المتوفى سنة ١٣٥ هـ .

وكان هؤلاء الأربعة ممن عنوا بأخبار المغازى ، وما يتصل بها .

ومنهم من عاش حتى أوشك أن يدرك منتصف القرن الثانى ، أو جاوزه بقليل ، كموسى بن عُقْبة المتوفى سنة ١٤١ هـ ، ثم مَعْمَر بن راشد المتوفى سنة ١٥٠ هـ ، ثم شيخ رجال السيرة محمد بن إسحاق المتوفى نحو سنة ١٥٢ هـ .

وجاء بعد هؤلاء غيرهم ، نذكر منهم زيادا البكائى المتوفى سنة ١٨٣ ه ، والواقدى صاحب المغازى المتوفى سنة ٢٠٧ ه ، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى المتوفى سنة ٢٣٠ ه . وقبل أن تستأثر المنية بابن سعد عدت على ابن هشام فى سنة ٢١٨ ه . وابن هشام هو الرجل الذى انتهت إليه سيرة ابن إسحاق ، فعرفت به ، وشاع ذكره بها . ٥

علم السيرة فى أدوارها المختلفة

ولم تنقطع العناية بالتأليف فى السيرة إلى يومنا هذا . إلا أن الموضوع فى ذاته ليس أمرا يقوم على التجارب ، أو فكرة يقيمها برهان وينقضها برهان ، شأن النظريات العلمية التى نرى اتصال العلماء بها اتصال تجديد وتغيير على مر السنين ، وإنما هو أمر عماده النقل والرواية .

فكان المشتغلون به أولا محدثين ناقلين ، ثم رأينا من جاء بعدهم جامعين مبوبين . ولما استوى المتأخرين ما جمع المتقدمون جاءت فكرة النقد والتعليق ، شأن ابن هشام فى سيرة ابن إسحاق . ١٠

فكان هذا التراث بين أيدى من جاء بعدهم شيئاً غير قابل لجديد فى جوهره ، فجاء كل مجهود فيه فى الشكل والصورة لا يمس الجوهر إلا بمقدار . وقد رأينا المؤلفين فيه على ضربين : فريق عاش فى ظل كتب الأولين ، يتناولها بالشرح أو الاختصار ، أو النظم ليسهل حفظها . وفريق صبغ نفسه بصبغة المؤلف المبتدع ، فجمع بين يديه كتب السيرة ، وخرج منها بكتاب هو فى ظاهره له ، وفى حقيقته أنه لغير واحد ممن سبقوه . ١٥

نذكر من الفريق الثانى : ابن فارس[1] اللغوى المتوفى بالرى سنة ٣٩٠ ه ، ومحمد بن على بن يوسف الشافعى الشامى المتوفى سنة ٦٠٠ ه ، وابن أبى طى يحيى بن حميد المتوفى سنة ٦٣٠ ه ، وظهير الدين علىّ بن محمد الكازرونى المتوفى سنة ٦٩٤ ه ، وعلاء الدين علىّ بن محمد الخلاطى الحنفى المتوفى سنة ٢٠

---

(١) بدار الكتب المصرية نسختان مخطوطتان من سيرة ابن فارس برقمى ٤٦٠، ٤٩٤ تاريخ .

٧٠٨ هـ ، وابن سيد الناس[١] البصرى الشافعى المولود سنة ٦٦١ هـ والمتوفى سنة ٧٣٤ هـ ، وشهاب الدين الرُّعينى الغَرناطى[٢] المتوفى سنة ٧٧٩ هـ ، وأبا عبد الله محمد بن أحمد بن علىّ بن جابر الأندلسى[٣] المتوفى سنة ٧٨٠ هـ . ثم محمد بن يوسف الصالحى صاحب السيرة الشامية[٤] المتوفى سنة ٩٤٢ هـ ، وعلىّ ابن برهان الدين صاحب السيرة الحلبية[٥] المولود بمصر سنة ٩٧٥ هـ والمتوفى سنة ١٠٤٤ هـ ، وغير هؤلاء نقتصر منهم على ما أوردنا .

ونذكر من رجال الفريق الأول : السهيلى ، وأبا ذر ، وكلاهما شرح سيرة ابن هشام ، وقطب الدين عبدالكريم الجماعيلى[٦] المتوفى سنة ٧٣٥ هـ الذى شرح سيرة محمد بن على بن يوسف ، وقاسم بن قطلوبغا ملخص سيرة مغلطاى[٧] ، وعز الدين بن عمر الكنانى ، وكان له فيها مختصر ؛ ثم أبا الحسن على بن عبد الله ابن أحمد السمهودى المتوفى بالمدينة سنة ٩١١ هـ .

وممن نظم السيرة وصاغها شعرا عبد العزيز بن أحمد المعروف بسعد الديرى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٧ هـ ، وأبو الحسن فتح بن موسى القصرى المتوفى سنة ٦٦٨ هـ . وابن الشهيد المتوفى سنة ٧٩٣ هـ .

---

(١) لابن سيد الناس كتابه « عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير » ، وبدار الكتب المصرية نسخ خطية منه .

(٢) له « رسالة فى السيرة والمولد النبوى » بدار الكتب المصرية مخطوطة (برقم ٤٩٤ مجاميع تاريخ) .

(٣) كتابه يسمى « رسالة فى السيرة والمولد النبوى » ضمن مجموعة مخطوطة بدار الكتب المصرية مع الرسالة المتقدمة (برقم ٤٩٤ مجاميع تاريخ) .

(٤) واسمها : « سبل الهدى والرشاد ، فى سيرة خير العباد ... الخ » . ومنها بدار الكتب المصرية نسختان مخطوطتان : إحداها فى أربعة أجزاء . والأخرى موجود منها جزءان فقط ، وهما : الثالث والخامس .

(٥) واسمها : « إنسان العيون فى سيرة الأمين المأمون عليه الصلاة والسلام » ومنها بدار الكتب أكثر من نسخة .

(٦) وسمى كتابه : « المورد العذب الهنى ، فى الكلام على سيرة عبد الغنى » .

(٧) هو الحافظ علاء الدين مغلطاى ، المولود سنة ٦٨٩ هـ ، والمتوفى فى شعبان سنة ٧٦٢ هـ وله فى السيرة والتاريخ كتاب « الإشارة إلى سيرة المصطفى ، وآثار من بعده من الخلفا » انتهى فيه إلى نهاية الكلام على الدولة العباسية سنة ٦٥٦ هـ . وبدار الكتب منه أكثر من نسخة . كلها مخطوط .

نشأة المولد

وثَمّ ضرب آخر من التأليف فى السيرة ، هو من نوع التلخيص ، إلا أنه تلخيص لناحية خاصة من نواحي الرسول : عن مولده وما يتعلق بهذا المولد الكريم ، وما يسبقه من إرهاصات ؛ وعن نشأته فى طفولته ، وما إلى تلك الطفولة من خوارق يرتبط حدوثها به صلّى اللّه عليه وسلّم ، ثم حياته من شبابه إلى بلوغه السن التى حمل فيها النبوة ، واضطلع بعبء الرسالة ، وما طبع عليه من خلق طيب وصفات حميدة ، و بُعْدٍ حتى عما كان يألفه الشبان فى أيامه .

هذا العمل سمّه إن شئت ترجمة مختصرة للصدر الأول من حياة الرسول ، ولمحة سريعة عن تاريخه بعدالرسالة . وقد يسميه بعض الناس « المولد النبوى » وهو من قبيل ما يُعِدُّهُ العلماء الدينيون ليلقوه فى الحفل الرسمى العام بعد العام ، فى المساجد أو فى غيرها . وقد زخرت بهذا النوع خزانة التأليف ، حتى أصبحت الرسائل التى وضعت فيه لا تدخل تحت حصر .

السير والنقد

ولعل النظر إلى تراث السالفين ، ولا سيما ما يتصل منه بعلم السير ، نظرة فيها الكثير من التقديس ، هو الذى حال دون هؤلاء وهؤلاء أن يقفوا من هذا العلم موقفاً فقدناه فى جميع المؤلفين المتقدمين ؛ على اختلاف طبقاتهم . فلم نر منهم من عرض لما تحمله السير بين دفتيها ، من أخبار تتصف بالبعد عن الحقيقة ، فنقدها وأتى على مواضع الضعف منها .

ولعل الذين تناولوا السير بالتلخيص والاختصار ، حين استبعدوا بعض هذه الأخبار ، استبعدوها غير مؤمنين بصحتها ، لا تخفيفاً من ثقل الكتاب .

هذا ما حرمه هذا العلم فى جميع أدواره السالفة إلى ما قبل أيامنا هذه بقليل ، إذ رأينا الإيمان بأن فى السيرة أخبارا لا تتصل بالحق فى قليل ولا كثير ، تصحبه الجرأة ، ثم الإقدام، ورأينا فكرة جديدة تجرى بها أقلام مجددة ، يتناول أصحابها الخبر أو الخبرين من السيرة ، مما كان يتخذ مطعنا علينا فى شخص النبى صلى الله عليه وسلم ، أو ما يتصل به ، فخلصوه مما لصق به مما ليس منه ، وأقاموا حوله سياجا من الحجج والبراهين ، صح بها وأصبح حجة على الطاعنين فيه ، ومثل هذا ما فعله الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى قصة النبى صلى الله

عليه وسلم ، وتزويجه زينب بنت جحش من زيد بن حارثة ، ثم ما كان من تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم إياها بعد تطليق زيد لها، مما أرجف فيه الطاعنون ، ولغوا لغوا كثيرا .

ومنهم من عرض للكتاب فى قصة أو قصتين منه، فصاغها فى أسلوب جديد، ٥ ومثل للناس الخبر فى قالب قصصى ، خرج به عن أسانيده وذِكْر رواته ، تلك الطريقة التى هى سر تقديس هذه الأخبار فى هذه الكتب ، فبدت المعانى فى هذا القالب الجديد كما يبدو الجسد فى الغلالة الرقيقة لا تكاد تخفى منه شيئاً ، وهذا الأسلوب الجديد بما يتضمن من التهكم بالفكرة السقيمة والخبر الغث ، يخلق به المؤلف فى القارئ روح التحفظ فى قبول الأفكار وتسلمها .

١٠ ومنهم من جرى مع ابن إسحاق فى شوطه ، فتناول السيرة كما تناولها ابن إسحاق ، مبتدئاً بميلاد الرسول وما سبقه أو عاصره من حوادث ، ثم جرى يذكر حياة الرسول إلى أن قبضه الله إلى جواره ، ناقلا من الأخبار ما يرى فيها القرب من الحق ، ومستبعداً ما لا يجرى فى ذلك مع فكرته وما يعتقد ، مفندا مزاعم الطاعنين ، رادا على المكذبين .

١٥ فجاء كتابه سيرة للرسول ، جديدة فى أسلوبها ، نقية من اللغو والهُرَاء .

ونحن إذ نخرج للناس سيرة ابن هشام نخرجها بما فيها من هذا وذاك ، لانبغى إلا أن نضع بين يدى العلماء نصا صحيحا لأقدم كتاب فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

مؤلفون جمعوا بين السيرة والتاريخ

وثمّ مؤلفون آخرون وصلوا سيرة الرسول بما بعدها من الحوادث والأخبار، فى ٢٠ الأزمان التى تعاقبت ، والسنين التى توالت ، فجاءت سيرة الرسول فى كتبهم أمراً غير مقصود لذاته : بل حلقة من حلقات التاريخ العام الذى بدأه بعضهم من بدء الوجود ، كابن جرير الطبرى ؛ وبدأه فريق آخر بحياة الرسول صلّى الله عليه وسلّم كالإمام الحافظ أبى شجاع شيرويه صاحب كتاب رياض الأنس، المتوفى سنة ٥٠٩ ﻫ.

سبب وضع سيرة ابن إسحاق

وكان ابن إسحاق من بين أعلام القرن الثانى ، وكان له علمه الواسع ، ٢٥ واطلاعه الغزير فى أخبار الماضين ؛ وشاءت المقادير أن يدخل ابن إسحاق على المنصور ببغداد — وقيل بالحيرة — وبين يديه ابنه المهدى ؛ فقال له المنصور: أتعرف

هذا يابن إسحاق ؟ قال : نعم ، هذا ابن أمير المؤمنين ؛ قال : أذهب فصنف له كتابا منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا .

فذهب ابن إسحاق ، فصنف له هذا الكتاب ، فقال له : لقد طوّلته يابن إسحاق ، أذهب فاختصره . فاختصره ، وألقى الكتاب الكبير فى خزانة أمير المؤمنين[1] . ٥

أثر ابن هشام فى سيرة ابن إسحاق

ثم قيض الله لهذا المجهود ـ مجهود ابن إسحاق ـ رجلا له شأنه ، هو ابن هشام ، فجمع هذه السيرة ودوّنها ؛ وكان له فيها قلم لم ينقطع عن تعقّب ابن إسحاق فى الكثير مما أورد بالتحرير ، والاختصار ، والنقد ، أو بذكر رواية أخرى فات ابنَ إسحاق ذكرُها ، هذا إلى تكملة أضافها ، وأخبار أتى بها .

وفى هذه العبارة التى صدّر بها ابن هشام كتاب السيرة ما يكشف لك عن دستور ابن هشام ونهجه ، قال : ١٠

« وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومَن ولدَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مِن ولدِه ، وأولادهم لأصلابهم ، الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل ، على هذه الجهة للاختصار ، إلى ١٥ حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتارك بعض مايذكره ابن إسحاق فى هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شىء ، وليس سبباً لشىء من هذا الكتاب ، ولا تفسيرًا له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعارًا ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يَشْنُع الحديث به ، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ٢٠ ذِكرُه ، وبعضٌ لم يقرّلنا البكّائىُّ بروايته ، ومستقصٍ إن شاء الله تعالى ماسوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به » .

فترى أنه أستبعد من عمل ابن إسحاق تاريخ الأنبياء من آدم إلى إبراهيم ، وغير هذا من ولد إسماعيل ، ممن ليسوا فى العمود النبوى ، كما حذف من

(١) يظن أن من النسخة الأصلية ، رواية ابن إسحاق ، لنسخة فى مكتبة كوبريلى بالآستانة . ٢٥

الأخبار ما يسوء ، ومن الشعر ما لم يثبت لديه ، ثم استقصى وزاد بما يملك من علم ، ويسترشد من فكرة ، فجاءت السيرة على ماترى معروفة به ، منسوبة إليه، حتى ليكاد الناس ينسون معه ابن إسحاق .

السهيلى وغيره من شراح سيرة ابن هشام

وجاء أبو القاسم عبد الرحمن السُّهَيْلى المتوفى سنة ٥٨١ هـ ، فعُنِىَ بهذا الكتاب ، وتناوله على نحو جديد ونهج آخر ، هو بمنزلة الشرح والتعليق عليه . ٥ فوضع كتابه «الروض الأنف» فى ظل مجهودى ابن إسحاق وابن هشام ، يتعقبهما فيما أخبرا بالتحرير والضبط، ثم بالشرح والزيادة ، فجاء عمله هذا كتابا آخر فى السيرة بحجمه ، وكثرة ما حواه من آراء ، تشهد لصاحبها بطول الباع ، وسعة الاطلاع .

وعلى شاكلة مجهود السهيلى جاء ــ فيما يظن ــ مجهود بدر الدين محمد ١٠ ابن أحمد العينى الحنفى ، فوضع عليه كتابه « كشف اللثام » ، وكان فراغه منه سنة ٨٠٥ هـ . وليس بين أيدينا من هذا الكتاب نسخة حتى نحكم لصاحبه ، ونتعرف عمله .

ثم لا ننسى مجهود أبى ذر الخُشَنِىّ ، فقد تصدى للكتاب ، فشرح غريبه ، ولم ينس أن يعرض لما فيه من أخطاء ، فجاء عمله مع عمل السهيلى متممين ١٥ لمجهود عظيم ، سبق به ابنُ إسحاق وابنُ هشام .

مختصر وسيرة ابن إسحاق

ولم نر بعد هؤلاء رجلا فى علمهم تناول الكتاب بجديد فى الشرح والتعليق، بل رأينا الهمم تنصرف من هذا إلى الاختصار ، فجاء برهان الدين إبراهيم بن محمد المرحّل الشافعى، فاختصر كتاب السيرة ، وزاد عليه أموراً ، ورتبه فى ثمانية عشر مجلساً وسماه : «الذخيرة ، فى مختصر السيرة» . وكان فراغه منه سنة ٦١١ هـ . ٢٠ ثم جاء بعده عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطى ، فاختصره فى كتاب سماه : « مختصر سيرة ابن هشام » وفرغ منه ــ فيما يقال ــ سنة ٧١١ هـ .

ناظمو سيرة ابن إسحاق

ثم رأينا بعد هؤلاء فئة النظامين الذين لم يكن همهم إلا أن يصبوها فى قالب جديد هو الشعر . فنظمها أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن سعيد ٢٥ الدميرى الديرينى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٧ هـ ، وأبو نصر الفتح بن موسى بن محمد

نجم الدين المغربى الخضراوى المتوفى سنة ٦٦٣هـ ، كما نظمها أبو بكر محمد بن إبراهيم
ابن محمد النابلسى المعروف بابن الشهيد ، والمتوفى سنة ٧٩٣ هـ . وسمى
كتابه « الفتح القريب » ، ثم أبو إسحاق الأنصارى التلمسانى .

هذا هو حظ كتاب ابن إسحاق ، تناولته يد بعد يد ، مرة بالجمع والتعقيب كما رأيت ،
وأخرى بالشرح والتفصيل ، وثالثة بالاختصار ، ورابعة بوضعه فى ثوب جديد ٥
هو النظم .

فابن إسحاق ــ فى الحقيقة ــ هو عمدة المؤلفين الذين اشتغلوا بوضع السير
بعده ، حتى يمكننا أن نقول : ما من كتاب وضع فى السيرة بعد ابن إسحاق
إلا وهو غُرْفَةٌ من بحره . هذا إذا استثنينا رجلا أو اثنين كالواقدى وابن سعد .

ابن إســـحاق

نســبه — هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ، ويقال : ابن كوثان ، أبو بكر ، ويقال : أَبو عبد الله ، المدنى القرشى ، مولى قيس بن مَخْرمة بن المطلب بن عبد مناف . وكان جده يسار من سبى عين التمر، وهى بلدة قديمة قريبة من الأنبار، ٥ غربى الـكوفة ، على طرف البرية ، افتتحها المسلمون أيام أبى بكر سنة ١٢ هـ ، على يد خالد بن الوليد ، و بكنيسة عين التمر وجد خالدُ بن الوليد جدَّ ابن إسحاق هذا من بين الغِلمة الذين كانوا رهناً فى يد كسرى ، وكان معه جدّ ابن إسحاق الحضرمى النحوى ، وجدّ الكلبى العالم ، فجىء بيسار إلى المدينة .

مولده ووفاته — ولد ابن إسحاق فى المدينة ، وترجح كتب التاريخ أن مولده كان سنة ٨٥ هـ. ١٠ أما عن وفاته فالأقوال فيها محصورة بين سنة ١٥٠ و بين سنة ١٥٣ لا تكاد تعدو هذه السنين الأربع .

نشأته وحياته — وليس من شك فى أن ابن إسحاق خلع بالمدينة ثوب شبابه ، و يحدثنا الرواة عنه بأنه كان فتى جميلاً ، جذاب الوجه ، فارسى الخلقة ، له شعرة حسنة . ومما يتصل بشبابه ومجونه ــ إن صح ما يقال عنه ــ ما حكاه ابن النديم من أن ١٥ أمير المدينة رقى إليه أن محمداً يغازل النساء ، فأمر بإحضاره وضربه أسواطاً ، ونهاه عن الجلوس فى مؤخر المسجد .

ولقد ترك ابن إسحاق المدينة ورحل إلى غيرها متنقلاً فى أكثر من بلد ، وفى ظننا أن رحلته إلى الإسكندرية ــ التى كانت سنة ١١٥ هـ ــ هى أولى رحلاته التى بدأ بها . وفى الأسكندرية حدث عن جماعة من أهل مصر ، منهم : عبيد الله ٢٠ ابن المغيرة ، و يزيد بن حبيب ، وثمامة بن شُفَىّ ، وعبيد الله بن أبى جعفر ، والقاسم بن قُزْمان ، والسّكن بن أبى كريمة . وانفرد ابن إسحاق برواية أحاديث عنهم لم يروها لهم غيره .

ثم كانت رحلته إلى الكوفة ، والجزيرة ، والرى ، والحِيرة ، و بغداد ، وفى بغداد — على الأرجح — ألقى عصا التَّرحال ، والتقى بالمنصور ، وصنف لابنه المهدى كتاب السيرة كما أسلفنا . ورواة أبن إسحاق من هذه البلدان أكثر ممن رووا عنه من أهل المدينة ، بل المعروف أنه لم يرو له من أهل المدينة غير إبراهيم بن سعد .

وعاش ببغداد ما عاش حتى وافته منيته بها ، فدفن فى مقبرة الخيزُران . ٥

منزلته ومكانته

إن المتتبع لأخبار الرواة عن أبن إسحاق يجد إلى جانب الإسراف فى النيل منه ، الإسراف فى مدحه ، فتجد عالماً جليلا كالإمام مالك بن أنس، وآخر كهشام ابن عُروة بن الزبير ، يكادان يخرجانه من حظيرة المحدِّثين ، أهل الصدق والثقة ، ولا يدخران وسعاً فى أتهامه بالكذب والدَّجل . ذلك إلى أتهامات أخرى رُمِىَ بها ابن إسحاق ، كالتدليس والقول بالقَدَر والتشيع ، والنقل عن غير الثِّقات ، ١٠ وصُنع الشعر ووضعه فى كتابه ، وأخطاء فى الأنساب .

كما أنك تجد غير واحد من الأئمة الأعلام ، كابن شهاب الزهرى ، وشعبة ، والثورى ، وزياد البكائى ، يوثقونه ولا يتهمونه بشىء من هذا .

وفى الحق إن حملة الحاملين عليه لم تكن مبرأة عن الغاية ، ولم تكن من الحق فى شىء . فإنا نعلم عن أبن إسحاق أنه كان يطعن فى نسب مالك بن أنس، ١٥ فى علمه ، ويقول : أئتونى ببعض كتبه حتى أبين عيوبه ، أنا بيطار كتبه . فانبرى له مالك ، وفتش هو الآخر عن عيوبه ، وسماه دَجَّالا ، وكانت بينهما هذه الحرب الكلامية .

كما غاظ هشاما من أبن إسحاق أنه كان يدعى روايته عن أمرأته ، والرواية فى ظن هشام لابد أن تصحبها الرؤية ، وهو ضنين بزوجه أن يراها أحد . ولقد ٢٠ فات هشامًا أن الرواية قد تكون من وراء حجاب ، أو أن أبن إسحاق حمل عنها صغيرًا . ثم ما لهشام يؤذيه هذا وقد كانت سن زوجه يوم يصح أن يحمل عنها أبن إسحاق لاتقل عن خمسين سنة ، فهى تسبقه فى الوجود بما يقرب من ٣٧ عاما ، ذلك إلى أنه لم يكن غريبا فى ذلك العصر أن يروى رجل عن أمرأة .

وأما مارمى به أبن إسحاق من التدليس وغيره ، فقد عقد فى ذلك الخطيب ٢٥

فى كتابه « تاريخ بغداد» وأبن سيد الناس فى كتابه «عيون الأثر» فصلين عرضا فيهما لتفنيد جميع المطاعن التى وجهت إليه نلخص منهما ما يأتى :

وأما ما رمى به من التدليس والقدَر والتشيع فلا يوجب رد روايته ، ولا يوقع فيها كبير وهْن . أما التدليس فمنه القادح وغيره ، ولا يحمل ما وقع هاهنا من مطلق التدليس على التدليس المقيد بالقادح فى العدالة ، وكذلك القدَر والتشيع لا يقتضيان الرد إلا بضميمة أخرى ،ولم نجدها هاهنا

ثم عرضا بعد ذلك للرد على طعن الطاعنين واحدا واحدا ، كقول مكى ابن إبراهيم : إنه ترك حديث أبن إسحاق ولم يعد إليه ، وكقول يزيد بن هارون: إنه حدث أهل المدينة عن قوم ، فلما حدثهم عنه [يريد أبن إسحاق] أمسكوا . وكقول أبن نمير : إنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة ، إلى كثير غير هذا نجتزئ منه بما ذكرنا ، ونردفه بما قيل فى الرد عليه ، فالكلام فى هذا متشابه ، والإكثار منه مملول، وجلّ مالنا عن الرجل أن الحكم له أرجح من الحكم عليه، قالا :

وأما قول مكى بن إبراهيم إنه ترك حديثه ولم يعد إليه ، فقد علل ذلك بأنه سمعه يحدث أحاديث فى الصفات فنفر منه ، وليس فى ذلك كبير أمر ، فقد ترخص قوم من السلف فى رواية المشكل من ذلك ، ولا يحتاج إلى تأويله ، ولا سيما إذا تضمن الحديث حكماً أو أمراً آخر ، وقد تكون هذه الأحاديث من هذا القبيل . وأما الخبر عن يزيد بن هارون أنه حدث أهل المدينة عن قوم ، فلما حدثهم عنه أمسكوا ، فليس فيه ذكر لمقتضى الإمساك ، وإذا لم يذكر لم يبق إلا أن يجول فيه الظن ، وليس لنا أن نعارض عدالة منقولة بما قد نظنه جرحا .

وأما قول ابن نمير : إنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة ، فلو لم يُنقل توثيقه وتعديله لتردد الأمر فى التهمة بما بينه و بين من نقلها عنه ، وأما مع التوثيق والتعديل فالحمل فيها على المجهولين المشار إليهم لا عليه .

بقيت مسألة ، وهى أتهام أبن إسحاق بأنه كانت تعمل له الأشعار ، ويؤتى بها ، ويسأل أن يدخلها فى كتابه فى السيرة فيفعل .

وفى الحق أن هذا مأخذ على أبن إسحاق إن لم يكن فى طريقة النقل والتحمل ، فهو مطعن فى مقدار علمه بالشعر ، وأنه يقبل الأشعار غثها وسمينها ، باطلها وصحيحها . ولو أن أبن إسحاق حكّم ذوقه ، ووقف من هذه الأشعار وقفة الناقد ، لخلّص كتابه من أشعار أكثر الظن فيها أنها موضوعة ، ولخلص نفسه من مطعن جارح يسجله الكتاب عليه على مر السنين .   ٥

و إذا كنا قد أنتهينا إلى هذا من حياة أبن إسحاق ، فلا نجد بين أيدينا ما نختم به هذ المقال خيراً من عبارة ابن عدىّ ، إذ يقول :

« ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شىء للاشتغال بمغازى رسول ألله صلى ألله عليه وسلم ، ومبعثه ومبتدأ الخلق ، لكانت هذه فضيلة سبق بها أبن إسحاق ، وَقد فتشت   ١٠
آحاديثه الكثيرة فلم أجد ما تهيأ أن يقطع عليه بالضعف ، ور بما أخطأ واتهم فى الشىء بعد الشىء كما يخطئ غيره .

ولم يتخلف فى الرواية عنه الثقات والأئمة ، أخرج له مسلم فى المبايعات ، وأستشهد به البخارى فى مواضع ، وروى له أبو داود والترمذى والنسائى وأبن ماجه » .   ١٥

ابن هشام

نسبه

هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوبَ الحِمْيَرِىّ ؛ ومن الرواة من يرده إلى مَعافِرِ بن يعفر ، وهم قبيل كبير ، نزح إلى مصر منهم جمهرة كبيرة ؛ ومنهم من يرده إلى ذُهْل ؛ كما يرده آخرون إلى سدوس . لا تكاد تجد فى ذلك رأيا فاصلا . وهذا شأن كل رجل تنازعه أكثر من بلد ، ولم يعش حيث نشأ بيته ، وقرّت أسرته ، ثم لم يكن بيته — فوق هذا — من النسب بالمنزلة التى يحرص الناس على حفظها وروايتها .

نشأته

نشأ ابن هشام بالبصرة ، ثم نزل مصر . هكذا يحدثنا الرواة ، ولا يذكرون له حياة فى غير هذين البلدين ، ولكننا نظن أن حياة ابن هشام لم تكن محصورة فى هذين المِصْرين ، وخاصة فى عصر كان العلم فيه يؤخذ سماعاً ، وكانت الرحلة فى طلبه ديدن العلماء .

مولده ووفاته

والقول فى وفاة ابن هشام غير مقطوع فيه برأى ، فبينما يذهب فريق إلى أن وفاته كانت سنة ٢١٨ هـ . إذا بفريق آخر يحدثك أن وفاته كانت سنة ٢١٣ هـ . وإذا كان هذا حديث وفاته ، فما بالك بالحديث عن ميلاد رجل نازح ، أقرب الظن أنه عرّج على غير بلد قبل أن ينزل مصر . من أجل هذا ظل ميلاد ابن هشام سرا دفينا فى ضمير الأيام .

منزلته

وقد كان رحمه الله إماما فى النحو واللغة والعربية . ويحدثنا عنه الذهبى وابن كثير ، أنه حين جاء مصر اجتمع به الشافعى ، وتناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة . وغريب أن نسمع هذا ، ونحن نعلم أن ابن هشام كان حين ينقل

عن ابن إسحاق أشعارا فى هذا الكتاب ، ظاهرة الوضع فاسدة ، لايستطيع أن يقطع فيها برأى ويقول : هكذا حدثنا أهل العلم بالشعر ، ناقلا عنهم ، غير محكم ذوقا اكتسبه من هذا شأنه فى استيعاب الأشعار .

آثاره

ولابن هشام أكثر من مؤلف فى أكثر من فن ، فله غير أثره فى سيرة ابن إسحاق : شرح ما وقع فى أشعار السير من الغريب ، وكتاب التّيجان ، لمعرفة مُلوكِ الزّمان ، وقد طبع حديثاً .

هـذه كلمتنا عنه ، وقد أسلفنا عنـه كلمة أخرى خلال الحديث عن السير ، وأنه كان رجل السيرة الذى أنتهت إليه سيرة ابن إسحاق ، وغلب أسمه عليها فعرفت به ، وأن فضله فيها كان لا يقل عن فضل ابن إسحاق .

السهيلى

اسمه ولقبه

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أَصْبَغَ بن الحسين بن سَعْدون ابن رِضوان بن فتوح ، الإمامُ الحبرُ أبو القاسم ، وأبو زيد ؛ ويقال: أبو الحسن ، ابن الخطيب أبى محمد بن الخطيب أبى عمرو بن أبى الحسن الخَثْعَمِى السُّهَيْلِىّ الأندلسى المالَقى .

موطنه والبلاد التى تنقل فيها

وسُهيل ، الذى ينسب إليه عبد الرحمن، واد بالأندلس من كُورة مالَقة ، فيه قُرى ، وفى إحدى هذه القرى ولد عبدالرحمن(1). وأقام فى الأندلس عمراً طويلا نَهَل من بحار العلم مانهل ، وتزود من المعارف ما تزود ، وأصبحت له مكانة عالية . وسعى إليه الناس يطلبون العلم عليه ، فطارت شهرته إلى مَرّاكُشَ ، فطلبه واليها ، وأحسن إليه ، وأقبل عليه . وولّاه قضاء الجماعة ، وحسنت سيرته وأقام السهيلى بمراكش أعواماً ثلاثة ، ثم وافته منيته ، فمات بها .

مولده ووفاته

تحدثنا المراجع بأن السنة التى ولد فيها أبو القاسم كانت سنة ٥٠٨ ﻫ وتحدثنا أيضاً بأنه توفى سنة ٥٨١ ﻫ . ويذكر ابن العماد الحنبلى فى كتابه شذرات الذهب أن أبا القاسم ممن تُوُفُّوا سنة ٥٨١ ، ويذكر إلى جانب هذا أن وفاته كانت فى شعبان من تلك السنة ، وأنه عاش اثنتين وسبعين سنة .

مؤلفاته وعلمه وأخلاقه

أشهر تواليف السهيلى كتابه الرَّوْض الأُنُف ، قال الصَّفَدى فى نَكْتِ الهِمْيان : « وهو كتاب جليل جَوَّدَ فيه ما شاء وذكر فى أوله أنه استخرجه من نيف وعشرين ومئة ديوان » . وله كتاب التعريف والإعلام بما فى القرآن من الأسماء الأعلام ، وكتاب نتائج النظر ، ومسألة رؤية الله عزّ وجلّ ورؤية النبىّ صلى الله عليه وسلم فى المنام ، ومسألة السرّ فى عَوَر الدجال . وشرح آية الوصية ، وشرح الجمل ـ ولم يتم ـ ومسائل كثيرة غير هذه اكتفى المترجمون بالإشارة إليها دون التصريح بأسمائها .

ولم يقع فى أيدينا للسهيلى غير الروض الأنف ، الذى ألفه فى مالقة قبل

---

(1) قال الصفدى فى نكت الهميان : ولا يرى سهيل فى جميع المغرب إلا من جبل مطل على هذه القرية .

رحلته إلى مراكش ، إذ كان بدء إملائه له فى شهر المحرم عام ٥٦٩ هـ ،
وكان الفراغ منه فى جمادى الأولى من ذلك العام .

و يحسب السهيلى هذا الكتاب ، فقد دل فيه على إلمام واسع ، واطلاع غزير بمناحٍ مختلفة ، و تمكن فى ألوان كثيرة من العلوم ، فكان فيه المؤرخ واللغوى والأديب والنحوى والأخبارى والعالم بالقراءات وكان السهيلى فوق هذا شاعراً ، يؤثر له فى هذا الباب أبياته المشهورة فى الفرج . ٥

قال ابن دحية عن السهيلى : « أنشدنيها وقال : ما يسأل الله بها فى حاجة إلا قضاه إياها » . وهى :

يا من يرى ما فى الضمير و يسمع	أنت المُعَدُّ لكلّ ما يُتَوَقَّعُ
يا من يُرَجَّى للشدائد كلها	يا من إليه المُشْتَكَى والمَفْزَعُ ١٠
يا من خزائن رزقه فى قول كُنْ	امْنُنْ فإنّ الخير عندك أجمع
ما لى سوى قَرعى لبابك حيلة	فلئن رُدِدْتُ فأىَّ باب أَقْرع
مالى سوى فقرى إليك وسيلة	و بالافتقار إليك فقرىَ أَدْفع
من ذا الذى أدعو وأهتف باسمه	إن كان فضلك عن فقيرك يُمنع
حاشا لجدك أن تُقَنِّطَ عاصياً	الفضل أجزل والمواهب أوسع ١٥

وله غير هذه أشعار كثيرة ، ذكر ذلك ابن العماد ، ولم يزدنا على أبياته فى الفرج شيئاً . وذكر الصَّفَدِىّ « فى نَكْتِ الهِمْيان » ، والمقرى فى « نَفْحِ الطِّيب » بعض مقطوعات له .

و إن نظرة واحدة إلى مؤلفات السهيلى كفيلة بأن تعطيك فكرة عن اتجاهه الخلق . و إن رجلا عاش للدين ، فوهب له حياته : ما بين درس له ، وتأليف فيه ، ٢٠ لخليق بأن يعرف بين الناس بالصلاح ، و يشتهر بالورع والتقوى ، وهكذا كان السهيلى . وكان فوق هذا عفّا قنوعا يرضى بالكفاف .

ومما يعرف عنه أنه كان مالكى المذهب ، وأنه كان ضريراً . أضرّ فى السابعة عشرة من عمره ، وأخذ القراءات عن جماعة ، وروى عن أبى بكر بن العربى وكبار رجالات العلم فى الأندلس فى أيامه ، وأخذ اللغة والآداب عن ابن الطَّرَاوة ، ٢٥
وناظره فى كتاب سيبويه .

ابو ذر الخُشنى

نسبه

هو مُصْعَب بن محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود الجَيَّانى الخُشَنِيّ ، المعروف أيضا بابن أبى الرُّكب .

موطنه وتنقلاته

لم يحدثنا ابن الأبار فى كتابه التكملة ، ولا ابن العماد فى شـــذراته ، ولا السيوطى فى بغيته عن موطن أبى ذر الأول ومسقط رأسه ، وكل الذى هنا وهناك أنه خُشَنِيّ جَيّانى . و بعيد مابين خُشَن وجَيّان ، فتلك بلدة بإفريقية ، وهذه كورة واسعة بالأندلس تجمع قرى كثيرة وتتصل بكورة ألبيرة، مائلة عنها إلى ناحية الجوف فى شرقى قرطبة ، و بينها و بين قرطبة سبعة عشر فرسخاً .

وقد كنا نميل إلى الظن بأن أبا ذرّ ولد فى خشن ، ثم انتقل منها إلى جيان، إلا أنا وجدناه أخذ العلم عن أبيه، فيمن أخذ عنهم ، ووجدنا أباه محمد بن مسعود الخشنى من أهل جيان ، عاش بها تلميذاً ومدرساً ، ولم تكن له حياة إلا فيها وفى غَرْناطة ، هنا طرحنا الظن إلى شبه يقين بأن أبا ذر ولد بجيان . ثم لا يبعد أن تكون هذه الأسرة الخشنية قد نزحت قديماً إلى جيان ، وأن والد أبى ذرّ ليس أوّل راحل من خُشَن إلى جيان .

هذا عن موطن أبى ذرّ الأول، وأما عن موطنه الأخير ، فالكلمة متفقة على أنه مات بفاس ، ودفن بها .

بقى أن نحدثك عن البلاد التى نزلها أبو ذرّ وتنقل فيها ، والعالِم كالعِلْم لا يعْرف له موطناً واحداً ولا عشـيرة واحدة . بل موطنه حيث يفيد و يستفيد ، وعشيرته المحببة إليه قوم ينزلونه بينهم مكاناً رحباً ، و يحس فى جوارهم الأنس به، والتودد إليه.

والمعروف أن أبا ذرّ بقى بجيان حتى شبّ ، وقد سمع على أبيه ، وأخذ عنه ، وأنه لم يترك جيان إلا بعد أن تحوّل أبوه إلى غرناطة فى آخر أيامه ، وأن سنه عند ذاك كانت سن غلام إن أدرك العاشرة فلا يعدوها إلا بقليل ــ فالمدة بين ميلاد أبى ذرّ ووفاة أبيه أحد عشر عاماً تقريباً ــ ثم رحل إلى فاس يسمع بها عن أبى عبيد الله النميرى وأبى الحسن بن حسين وأبى عبد الله بن الرمامة ؛ ثم إلى تلمسان يسمع بها عن أبى القاسم عبد الرحمن بن يحيى بن الحسن القرشى وأبى مروان عبيد الله بن هشام الحضرمى ، ثم إلى بِجاية يسمع بها عن أبى بكر بن

رزق وأبى العباس الخرُّوبى وأبى إسحاق بن مَلْـكون وأبى محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلى .

ويظهر أن رحلاته إلى هذه البلاد الثلاثة كانت على الترتيب الذى سقناه، لا يرجح هذا لدينا مرجح ، غير أن ابن الأبار هكذا ساقها مرتبة على هذا النحو، عند الكلام على شيوخ أبى ذرّ ، فبدأ بفاس ، ثم ثنى بتلمسان ، ثم ختم ببجاية . ٥

وسواء أكان هـذا أم غيره فقد عرفنا أن هذه البلاد الثلاثة نزلها أبو ذر . ثم نزل بعـدها إشبيلية ، لامستمعاً ولـكن خطيباً لمسـجدها ، و بقى فيها مدة . وكان إلى جانب الخطابة يقوم بتدريس العربية و يقصده الطلاب الـكثيرون . ثم ترك إشبيلية إلى جيان ، بعد أن غاب عنها هذا العمر الطويل ، فولى قضاءها وجلس فيها للحكومة بين الناس ، والفصل فى خصوماتهم . ثم حنّ إلى فاس ١٠ ثانية ، فترك جيان إليها ، وأقام بها ، وكان فيها شيخ العربية والحديث يأخذ عنه الناس ، حتى وافته منيته بها .

منزلته ومؤلفاته وشىء عنه

علّك ، وقد حدثناك عن شيوخ أبى ذر الذين سمع عنهم ، وكلهم من جلة العلماء ، ورحلته إليهم ، قد عَرَفْتَ طموح هذه النفس إلى الاستزادة من العلم والتمـكن فيه ، وأن صاحبها لم يقنع منه بقليل ، وأنت إذ عرفت المراتب التى تَقَلَّبَ ١٥ فيها أبو ذر بعد الحياة الأولى ، حياة الدرس والتحصيل ، تدرك معنا أنهُ وصل من العلم إلى غاية رفعته إلى تولى خطابة جامع إشبيلية أولا ، ثم قضاء جيان ثانياً ، ثم إلى أن يجلس مجلسه الأخير فى فاس يتمتع بصيت بعيد ، وذكر واسع .

ولقد نعته رجال التراجم فيما نعتوه به بأنه صاحب التصانيف التى سارت بها الركبان ، ومثل هذا ليس بكثير على أبى ذر ، إلا أنا لم نظفر له إلا بكتابه المطبوع ٢٠ فى شرح غريب سيرة ابن إسحاق ، الذى سمعه ابن فُرْتون عليه ، وكتاب آخر فى العروض ، ذكره ابن الأبار ولم يُسَمِّه ، وكتاب ثالث ذكره السيوطى فى البغية فى أثناء حديثه عن أبى ذر ، فقال : « .. تكرر فى جمع الجوامع من تصانيفه الإملاء على سيرة ابن هشام » .

هـذا كلّ ما عرفناه عن مؤلفات أبى ذرّ ، إلا أنا لا ننسى أنه كان ٢٥ حامل لواء العربية بالأندلس ، وأنه كان عارفا بالآداب واللغات ، وأنه أحد من

قرض الشعر ، وكان له نقادا ، كما كان مطلق العنان فى معرفة أخبار العرب وأيامها وأشعارها ولغاتها ، متقدما فى كل ذلك ، وأنه لم يكن فى وقته أضبط منه ولا أتقن فى جميع العلوم ، حفظا وقلما .

وأما أخلاق أبى ذر المالكى المذهب ، فقد كان ذا سَمْت ووقار ، وفضل ٥ ودين ومروءة ، كثير الحياء ، وَقُور المجلس ، معروفا بالهدى على سنن السلف . يحكى عنه أنه كان يمنع تلاميذه من التبسط فى الأسئلة ، وأنه كان يقصرهم على ما يلقى إليهم ، ولم يكن ذلك لأحد من عصره ، هيبة له ، وخشية منه .

مولده ووفاته

يذكر المستشرق بولس برونله أن أبا ذر ولد سنة ٥٣٣ ــ أى قبل موت أبيه بأحد عشر عاما ، إذ كانت وفاة أبيه سنة ٥٤٤ ــ وأن وفاة أبى ذر كانت سنة ٦٠٤ هـ .

١٠ و يوافقه ابن الأبار على السنة التى توفى فيها أبو ذر ، و يزيد عليه بأن الوفاة كانت ضحى يوم الاثنين الحادى عشر من شوال ، وأنه دفن لصلاة العصر من اليوم نفسه بعدوة القرو يين فى فاس .

وأما ميلاده فيقول فيه ابن الأبار : « . . ومولده سنة خمس وقيل سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، والأول أصح » .

١٥ ونحن نميل إلى قول ابن الأبار فى ميلاد أبى ذر ، فقد ذكر ابن العماد أن أبا ذر مات عن سبعين عاما ، و إذا صح هذا وصح عندنا أن أبا ذر ــ كما قال ابن الأبار ــ مات فى شوّال من سنة ٦٠٤ هـ ، كان ما ذهب إليه ابن الأبار فى ميلاد أبى ذر وأنه كان سنة ٥٣٥ هـ أقرب إلى الصواب .

عملنا فى السيرة

٢٠ هاهو ذا كتاب السيرة بين أيدى القراء فى ثو به الجديد يحدث عما بذلنا من جهد فى إخراجه .

لقد كان همنا الأول أن نعارض النسخة المصرية التى بين أيدينا بجميع النسخ الأخرى ، خطية أومطبوعة ، وجرينا فى الرمز إلى هذه النسخ بالحروف الآتية :

ا — للنسخة المطبوعة بمدينة جوتنجن بألمانيا سنة ١٢٧٦ هـ ، سنة ١٨٦٢ م .

٢٥ ب — للنسخة المطبوعة فى بولاق سنة ١٢٥٩ هـ م .

ت — لنسخة خطية بالمكتبة التيمورية ، موجود منها الجزء الأول ، وهو ناقص من

الأول ورقات، و ينتهى إلى شعر عثمان بن مظعون فى عتاب أمية بن خلف

ر — للنسخة المطبوعة على هامش الرّوض الأُنُف بالمطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٢ هـ ، سنة ١٩١٤ ميلادية .

ط — للنسخة المخطوطة بخط القاسم بن زيد المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، والتى فرغ من كتابتها سنة ١١٤٤ هـ ، وهى محفوظة بدار الكتب . ٥

ع — للنسخة المخطوطة بخط محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الشافعى الدمشقى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ . وهى ناقصة من الأول والأثناء . وأول ما فيها من قُبَيل أسماء من شهد العقبة الأخيرة ، وهى محفوظة بدار الكتب .

م — للنسخة المطبوعة فى مصر بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٢٩ هـ .

ن — لنسخة خطية لا يعرف كاتبها، ولا السنة التى كتبت فيها ،ولا يوجد منها إلا ١٠ الجزءان، الأول والثانى. و ينتهيان إلى آخر ما قيل من الأشعار فى غزوة أُحد، وهى محفوظة بدار الكتب .

ثم استعنا بعد ذلك على تبيين المُغْلَق ، وتوضيح المُبْهَم، بالكتب التى عرضت للسيرة بمثل هذا ، كالروض الأنف للسهيلى، وشرح السيره لأبى ذَرّ. وفى كثير من المواطن التى كنا نفقد فيها بغيتنا فى مثل هذين المرجعين كنا نلجأ إلى المراجع التى ١٥ أشرنا إليها فى حاشية الكتاب .

وقد كنا نترجم للأعلام الواردة ، ونَتَتبّعها بالتصحيح والضبط . بقى بعد ذلك تبو يب الكتاب ، ووضعه أبوابا تحت هذه العناو ين التى أثبتناها . فبينا رأينا معظم النسخ قد أغفلت منها الكثير إذا بالنسخة الأور بية قد أسرفت فى ذلك ، فسلكنا نحن نهجاً وسطاً ، فأخذنا من العناو ين ما يصح أن يميز بابا مستقلا عن ٢٠ غيره ، ونفينا منها ما لا يجرى مع هذه الفكرة . وضعنا به تلك العناو ين الصغيرة التى فى هامش الكتاب أمام كل فكرة جديدة . ثم أردفنا هذا وذاك بفهرس لكل جزء يضم تلك الأنواع المبينة فيه .

وها نحن أولاء بعد أن بذلنا قُصارَى الجُهد فى هذا الكتاب نقدمه إلى القراء راجين أن نكون أقرب إلى التوفيق ، وأدنى إلى الصواب . ٢٥

مصطفى السقا | ابراهيم الابيارى | عبد الحفيظ شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين

ذكر سرد النسب الزكيّ

من محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى آدم عليه السلام

نسبه صلى الله عليه وسلم إلى آدم عليه السلام

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام [النحويّ][1] :

هذا كتاب سيرة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ محمدِ بن عبد الله ابن عبد المطلب ، واُسم عبد المطلب : شَيْبةُ[2] بن هاشم ، واُسم هاشم : عَمْرو بن عبد مَناف، واُسم عبد مناف : المُغيرة بن قُصَيّ، [واُسم قُصَيّ : زيد][1] بن كِلاب ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر[3] بن مالك بن النَّضْر[4] بن كِنانة

---

(1) زيادة عن ا .

(2) وقيل إن اسم عبد المطلب : عامر (كما فى المعارف لابن قتيبة ، وشرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٧١ طبع المطبعة الأزهرية) . والصحيح أن اسمه : « شيبة » كما أشار إلى ذلك السهيلى فى «الروض الأنف» . وسمى كذلك لأنه ولد وفى رأسه شيبة . وأما غيره من العرب ممن اسمه شيبة فإنما قصد بتسميته بهذا الاسم التفاؤل . وقد عاش عبد المطلب مئة وأربعين سنة ، وكان لدة عبيد بن الأبرص الشاعر .

(3) واسمه قريش وإليه تنسب القبيلة، وقيل: بل فهر اسمه، وقريش لقب له. وقد روى عن نسابى العرب أنهم قالوا : من جاوز فهراً فليس من قريش (انظر شرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٧٥) .

(4) واسمه قيس ، ولقب بالنضر لنضارة وجهه ، وأمه برّة بنت أدّ بن طابخة ، تزوجها أبوه كنانة بعد أبيه خزيمة، فولدت له النضر على ما كانت الجاهلية تفعل: إذا مات الرجل خلف =

ابن خُزَيْمة بن مُدْرِكة ، واسم مدركة : عامر[1] بن إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدْنان[2] بن [أُدّ ، ويقال] [3] : أُدَد[4] بن مُقَوَّم[5] ابن ناحور بن تَيْرَح بن يَعْرُب بن يَشْجُب بن نابت[6] بن إسماعيل بن إبراهيم ـ خليل الرحمن ـ بن تارح[7] ، وهو آزر[8] بن ناحور بن ساروغ[9]

= على زوجته أكبر بنيه من غيرها. وقد ذكر الجاحظ أن هذا غلط نشأ من اشتباه ، إذ أن كنانة خلف على زوجة أبيه ، فماتت ولم تلد له ذكراً ولا أنثى ، فنكح ابنة أخيها ، وهى برة بنت مرة بن أدّ بن طابخة ، فولدت النضر . (راجع شرح المواهب اللدنية) .

(١) هذا قول ابن إسحاق . والصحيح عند الجمهور أن اسمه : عمرو .

(٢) اضطربت كلمة النسابين فيما بعد عدنان، حتى تراهم لا يكادون يجمعون على جد حتى يختلفوا فيمن فوقه ، وقد حكى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا انتسب لم يتجاوز فى نسبه عدنان ابن أدد ، ثم يمسك ويقول : كذب النسابون . وقال عمر بن الخطاب : إنى لأنتسب إلى معد ابن عدنان ، ولا أدرى ما هو . وعن سليمان بن أبى خيثمة قال : ما وجدنا فى علم عالم ولا شعر شاعر أحداً يعرف ماوراء معد بن عدنان ويعرب بن قحطان .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) يذهب بعض النسابين إلى أن أدّ هو ابن أدد وليسا شخصاً واحداً ، ويقولون : إن أم أدّ هى النعجاء بنت عمرو بن تيّم ، وأم أدد حية، وهى من قحطان (راجع أصول الأحساب وفصول الأنساب للجوّانى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٠١٥ تاريخ) . وقد ذهب ابن قتيبة فى كتابه « المعارف » إلى أن أد هو ابن يشجب بن مقوم ، فيكون مقوم جداً لأد وليس أباه .

(٥) ضبطه السهيلى فى كتابه «الروض الأنف» بالعبارة فقال: «...وأما مقوم بكسر الواو» ، والظاهر أنها مشددة كما ضبطت بالقلم فى المعارف لابن قتيبة .

(٦) ويقال له : نبت أيضاً (راجع كتاب أنساب العرب للصحارى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ٢٤٦١ تاريخ) .

(٧) كذا بالأصل هنا وفيما سيأتى ، ومروج الذهب للمسعودى (ج ١ ص ٢٠ طبع بلاق) . وفى الطبرى ، والمعارف لابن قتيبة ، ومروج الذهب (ج ١ ص ٣٠٣) . وروضة الألباب للإمام محمد الزبيدى (المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصريه برقم ٩٤٥ تاريخ) : « تارخ » بالخاء المعجمة .

(٨) وقيل هو عم إبراهيم لا أبوه ، إذ لو كان أباه الحقيق لم يقل تعالى : (لأبيه آزر) لأن العرب لا تقول أبى فلان إلا للعم دون الأب الحقيق . (راجع روضة الألباب) .

(٩) كذا فى الطبرى ، ومروج الذهب . وفى المعارف : « شاروغ » وفيه : أن اسمه «أشرغ» أيضاً ، وهذا ما ذكره ابن هشام بعد قليل نقلا عن قتادة ، وفى روضة الألباب : « شاروخ » (بالخاء المعجمة) . وفى الأصل هنا : «ساروح» (بالحاء المهملة) .

ابن راعو[1] بن فالَخ[2] بن عَيْبَر[3] بن شالَخ[4] بن أَرْفَخْشَذ[5] بن سام بن نوح
ابن لَمْك[6] بن مَتُّوشَلَخ[7] بن أخنوخ ، وهو إدريس النبى – فيما يزعمون ، والله
أعلم ، وكان أول بنى آدم أُعطى النبوّة ، وخطّ بالقلم – ابن يَرْد بن مهليل[8]
ابن قَيْنَن[9] بن يانِش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم .

٥ قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدّثنا زياد[10] بن عبد الله البَكَّائىّ عن
محمد بن إسحاق[11] المطّلبى بهذا الذى ذكرتُ من نَسَب محمّد رسول الله صلى

---

(١) كذا فى الأصل هنا . وفيما سيأتى بعد قليل : «أرغو» . وفى الطبرى وروضة الألباب « أرغوا » . وفى المعارف لابن قتيبة ومروج الذهب (ج ١ ص ٣٠٣) : « أرعوا » بالعين المهملة ، وفى مروج الذهب (ج ١ ص ٢٠) : « رعو » .

١٠ (٢) كذا بالأصل هنا وفيما سيأتى . وفى الطبرى ، والمعارف ، ومروج الذهب ، وأصول الأحساب ، والروض الأنف ، وروضة الألباب ، وأنساب العرب : «فالغ» (بالغين المعجمة) . وهو «فالخ» كما نص على ذلك فى أنساب العرب ، ويقال إن معناه القسام .

(٣) كذا بالأصل هنا . وفيما سيأتى : « عابر » ، وهى رواية جميع المراجع التى بين أيدينا غير روضة الألباب ، فإنه فيها بالغين المعجمة .

١٥ (٤) كذا بالأصل ، والمعارف ، والطبرى ، والروض الأنف ، وروضة الألباب . وشالخ معناه الرسول أوالوكيل ، وفى مروج الذهب : « شالح » (بالحاء المهملة) .

(٥) كذا فى م ، ومروج الذهب ، والروض الأنف ، وأصول الأحساب ، وأنساب العرب . ومعنى أرفخشذ : مصباح مضىء . وفى ا والطبرى ، والمعارف : « أرفخشد » (بالدال المهملة) .

٢٠ (٦) كذا فى شرح القصيدة الحميرية (المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١٣٥٩ تاريخ) ، وروضة الألباب ، ومروج الذهب ، وقد ضبط فى هامش الأخير بالعبارة بفتح اللام وسكون الميم . وفى الأصل هنا وفيما سيأتى : « لامك » .

(٧) متوشلخ معناه : مات الرسول . (عن الروض الأنف) .

(٨) فيما سيأتى : « مهلائيل » وهى رواية أكثر المراجع التى بين أيدينا .

٢٥ (٩) كذا بالأصل هنا. وفيما سيأتى: « قاين » . وفى الطبرى ، ومروج الذهب: «قينان» .

(١٠) هو أبو محمد زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائى الكوفى ، نسب إلى البكاء بن عمرو ابن ربيعة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وهو من أصحاب الحديث ، أخرج له البخارى ومسلم (عن شرح السيرة وتهذيب التهذيب) .

(١١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبدمناف ،

٣٠ ولذلك يقال فى نسبه : المطلبى ، وهو من كبار المحدثين لاسيما فى المغازى والسير . وكان الزهرى يثنى عليه بذلك ، ويفضله على غيره ، وهو مدنى توفى ببغداد سنة إحدى وخمسين ومئة .

الله عليه وآله وسلّم إلى آدم عليه السلام ، وما فيه من حديث إدريس وغيره .

قال ابن هشام : وحدّثنى خلّاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسىّ عن شَيْبان ابن زُهَيْر بن شقيق بن ثَوْر عن قَتادة بن دِعامة أنه قال :

إسماعيل بن إبراهيم — خليل الرحمن — ابن تارح ، وهو آزر بن ناحور بن أسرغ[1] بن أرغو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرْفَخْشَذ[2] بن سام بن نوح بن لَمْك بن مَتُوشَلَخ بن أخنوخ بن يَرْد بن مهْلائيل بن قاين[3] بن أنوش بن شيث ابن آدم صلّى الله عليه وسلم .

نهج ابن هشام فى هذا الكتاب

قال ابن هشام :

وأنا إن شاء الله مبتدئٌ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ، ومن وَلَدَ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله وسلم من ولده ، وأولادَهم لأصلابهم ، الأولَ فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما يعرض من حديثهم ، وتاركٌ ذِكْرَ غيرهم مِنْ ولد إسماعيل ، على هذه الجهة للاختصار ، إلى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتاركٌ بعضَ ما ذكره ابن إسحاق فى هذا الكتاب ، مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شىء ، وليس سبباً لشىء من هذا الكتاب ، ولا تفسيرا له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ، وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشّعر يعرفها ، وأشياء بعضُها يَشْنُع الحديث به ، وبعضٌ يسوء بعضَ الناس ذِكْرُه ، وبعضٌ لم يُقرّ لنا البَكَّائىّ بروايته ؛ ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له ، والعلم به .

---

(1) كذا فى ا . وفى م : « استرغ » . (راجع الحاشية رقم ٩ ص٢ من هذا الجزء) .
(2) فى ا هنا : « افخشذ » . (راجع الحاشية رقم ٥ ص٣ من هذا الجزء) .
(3) (راجع الحاشية رقم ٦ ص ٣ من هذا الجزء) .

ساقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

أولاد إسماعيل عليه السلام ونسب أمهم

قال ابن هشام : حدّثنا زياد بن عبد الله البكّائى عن محمد بن إسحاق المطّلبى قال :

وَلَد إسماعيلُ بن إبراهيم عليهما السلام اثنى عشر رجلاً : نابتاً ، وكان أكبرهم ، وَقَيْذَر (١) ، وأَذْبُل (٢) ، ومبشا (٣) ، ومِسْمَعاً ، وماشى (٤) ، ودِمّا (٥) وأذر (٦) ، وطيما (٧) ، ويَطُور (٨) ، ونَبِش (٩) ، وقَيْذُما (١٠) . وأمهم [رَعْلة] (١١) بنت مُضاض بن عمرو الجُرْهُمِىّ ـ قال ابن هشام: ويقال : مِضاض . وجُرْهُم ابن قَحْطان ، وقحطان أبو اليمن كلها ، وإليه يجتمع نسبُها ـ ابن عابر بن شالخ

---

(١) كذا فى ا ، ويقال فيه : « قيذار » أيضاً (راجع أنساب العرب ، وأصول الأحساب) وفى م : « قيدر » . وفى الطبرى ، والمعارف : « قيدار » (بالدال المهملة فى الروايتين) .

(٢) فى الطبرى وأنساب العرب : « أديل » . ويقال فيه : « أذبال » أيضاً .

(٣) كذا فى ا والطبرى، وأنساب العرب . وفى م : « منشا » . وفى أصول الأحساب : « مشا » .

(٤) فى الطبرى : « ماسى » بالسين المهملة .

(٥) ويقال فيه : « دمار » (راجع أنساب العرب) .

(٦) فى أنساب العرب : « أدر » (بالدال المهملة) .

(٧) كذا فى ا ، وهو بكسر الطاء المهملة وفتحها وإسكان الياء . وفى أصول الأحساب : « تيما » (بفتح التاء وسكون الياء) . وقيده الدارقطنى : « ظمياء » (بالظاء المعجمة وتقديم الميم ممدوداً) . وفى الطبرى . « طما » . وفى م . « ظيما » .

(٨) كذا فى ا وأصول الأحساب. وفى م : « تطورا » (بالتاء المثناة الفوقية). وفى الطبرى : « طور » . وفى أنساب العرب : « قطور » .

(٩) كذا فى ا . وفى م ، ر : « نبش » (بالياء المثناة التحتية) . وفى الطبرى : « نفيس» . وفى أصول الأحساب : « يافيش » . وفى أنساب العرب : « فنس » .

(١٠) فى الطبرى وأنساب العرب : « قيدمان » .

(١١) زيادة عن ا . والذى فى الروض الأنف أن أمهم اسمها السيدة ، وأنه كان لإسماعيل امرأة سواها من جرهم اسمها جداء بنت سعد، وهى التى أمره أبوه بتطليقها ، ثم تزوج أخرى اسمها: شامة بنت مهلهل ، وقيل عاتكة .

ابن أرفخشذ بن سام بن نوح . قال ابن إسحاق : جُرْهم بن يَقْطَن بن عَيْبَر ابن شالخ و[يقطن هو [1]] قَحْطان بن عَيْبَر بن شالخ .

عمر إسماعيل عليه السلام ومدفنه

قال ابن إسحاق :

وكان عُمْر إسماعيل فيما يذكرون مئةَ سنة وثلاثين سنة ، ثم مات رحمة الله وبركاته عليه ، ودُفن في الحِجْر [2] مع أمه هاجَر ، رحمهم الله تعالى . ٥

موطن هاجر

قال ابن هشام :

تقول العرب : هاجر وآجَر ، فيبدلون الألف من الهاء ، كما قالوا : هراق الماء ، وأراق الماء وغيره . وهاجر من أهل مصر .

وصاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأهل مصر وسبب ذلك

قال ابن هشام : حدثنا عبد الله بن وَهْب عن عبد الله بن لَهيعة [3] عن عمر مولى غُفْرة [4] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ١٠

اللهَ اللهَ في أهل الذمّة ، أهل المَدَرَة السوداء السُّحْم الجِعاد [5] ، فإن لهم نسباً وصهراً .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) الحجر (بالكسر ثم السكون وراء) : حجر الكعبة ، وهو ماتركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام ، وحجرت على المواضع ليعلم أنه من الكعبة فسمي حجراً لذلك ، لكن فيه زيادة على ما في البيت ، وقد كان ابن الزبير أدخله في الكعبة حين بناها ، فلما هدم الحجاج بناءه رده إلى ما كان عليه في الجاهلية . (راجع معجم البلدان) . ١٥

(٣) ابن لهيعة (بفتح اللام وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح العين المهملة وبعدها هاء ساكنة) : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن لهيعة الحضرمي الغافقي المصري ، وكان مكثراً من الحديث والأخبار والرواية ، وكان أبو جعفر المنصور قد ولاه القضاء بمصر في مستهل سنة خمس وخمسين ومئة ، وهو أوّل قاض ولي بمصر من قبل الخليفة ، وصرف عن القضاء في شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين ومئة . وكان أوّل قاض حضر لنظر الهلال في شهر رمضان . توفي بمصر سنة سبعين ومئة ، وقيل أربع وسبعين . وكان عمره إحدى وثمانين سنة ، وكان مولده سنة سبع وتسعين (راجع ابن خلكان) . ٢٠

(٤) هي غفرة بنت بلال — وقيل أخته — مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . (راجع شرح السيرة ، والروض الأنف) . ٢٥

(٥) المدرة (هنا) : البلدة . والسحم : السود ، واحدهم : أسحم وسحماء . والجعاد : الذين في شعرهم تكسير .

قال عمر مولى غُفْرة :

نسبهم ، أنّ أم إسماعيل النبىّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ منهم . وصِهْرهم ، أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ تَسرَّر [1] فيهم .

قال ابن لَهِيعَة :

٥ أم إسماعيل : هاجَرُ ، من أمّ العَرَب [2] ، قريةٍ كانت أمام الفَرَما [3] من مصر . وأم إبراهيم : مارية [4] سُرِّيّة النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم التى أهداها له المُقَوْقِس من حَفْن [5] من كُورة أَنْصِنا [6] .

قال ابن إسحاق حدثنى محمد بن مُسْلِم بن عُبَيد الله بن شهاب الزُّهرىّ أنّ عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، ثم السَّلَمى حدّثه أن

١٠ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال :

---

(١) يقال : تسرر الرجل وتسرى : إذا اتخذ أمة لفراشه .

(٢) ويقال فيها « أم العريك » كما يقال إنها من قرية يقال لها « ياق » عند أم دنين . (راجع معجم البلدان) .

(٣) الفرما أو الطينة (Péluse ou Avaris) مدينة بمصر من شرق ، تبعد عن

١٥ ساحل بحر الروم بقدر ميلين ، كان لها ميناء عامر ، ويصل إليها فرع من النيل مسمى باسمها اليونانى (يلوزة) أى الطينة ، وكانت فى زمن الفراعنة حصن مصر من جهة الشرق ، ولذلك وقعت بها جملة وقائع حربية فى جميع أزمنة التاريخ المصرى ، وتعرف الآن بتل الفرما ، ويقال إن فيها قبر أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقبر جالينوس الحكيم . وفيها ولد بطليموس القلوذى (Claude Ptolemee) الفلكى المشهور ، صاحب كتاب المجسطى ، من أهل

٢٠ القرن الثانى من الميلاد . (راجع فهرست المعجم الجغرافى لأمين بك واصف) .

(٤) هى مارية بنت شمعون (والمارية بتخفيف الياء : البقرة الفتية . وبالتشديد : الملساء فيقال : قطاة مارية ، أى ملساء) . وسبب إهدائها إلى النبى أنه صلى الله عليه وسلم أرسل إلى المقوقس (واسمه جريج بن ميناء) حاطب بن أبى بلتعة ، وجبرا مولى أبى رهم الغفارى ، فقارب المقوقس الإسلام ، وأهدى معهما إلى النبى صلى الله عليه وسلم بغلته ، التى يقال لها دلدل ، ومارية ، كما أهدى إليه

٢٥ أيضا قدحا من قوارير ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يشرب فيه (عن الروض الأنف) .

(٥) حفن : قرية من قرى الصعيد ، وقيل : ناحية من نواحى مصر ، وفى الحديث : أهدى المقوقس إلى النبى صلى الله عليه وسلم مارية من حفن من رستاق أنصنا ، وكلم الحسن بن على رضى الله عنه معاوية لأهل حفن ، فوضع عنهم خراج الأرض .

(٦) أنصنا (بالفتح ثم السكون وكسر الصاد المهملة وبعدها النون مقصورا) : مدينة من نواحى

٣٠ الصعيد على شرقى النيل ، ويقال إنها كانت مدينة السحرة ، ينسب إليها كثير من أهل العلم ، منهم : أبو طاهر الحسين بن أحمد بن سليمان بن هاشم الأنصناوى المعروف بالطبرى .

إذا اُفتتحتم مصر فاستوصُوا بأهلها خيراً ، فإنّ لهم ذمةً ورحماً . فقلت لمحمد ابن مسلم الزهرى : ما الرحم التى ذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لهم ؟ فقال : كانت هاجَر أمّ إسماعيل منهم :

أصل العرب

قال ابن هشام :

فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان : وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل ، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها . ٥

قال ابن إسحاق :

عادُ بنُ عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح ، وثمود وجَديس ابنا عابر[1] بن إرم بن سام بن نوح ، وطَسْم وَعِمْلاق وأُمَيْم بنو لاوِذ بن سام بن نوح : عربٌ كلهم . فولَدَ نابتُ بن إسماعيل : يَشْجُبَ بن نابت ، فولَدَ يشجب : يَعْرُب بن يشجب ، فولَدَ يعرب : تَيْرَح بن يعرب ، فولد تيرح : ناحُورَ بن تيرح ، فولَدَ ناحور : مُقَوّم بن ناحور ، فولَدَ مُقوّم : أُدَد بن مقوّم ، فوَلَدَ أدد : عدنان ابن أُدَد[2] . قال ابن هشام : ويقال : عدنان بن أُدّ . ١٠

أولاد عدنان

قال ابن إسحاق :

فمن عدنان تفرّقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، فولَدَ عدنانُ رجلَيْن : معدّ بن عدنان ، وعكّ بن عدنان . ١٥

موطن عكّ

قال ابن هشام :

فصارت عكّ فى دار اليمن ، وذلك أن عكّا تزوّج فى الأشعريّين ، فأقام فيهم ، فصارت الدار واللغة واحدةً ، والأشعريون بنو أشعر بن نَبْت بن أُدَد بن

(١) فى ا : « عاثر » . ٢٠

(٢) بعد ماساق ابن قتيبة فى كتابه « المعارف » هذه السلسلة ، متفقا فيها مع ما هنا إلا فى القليل ، ساق رأيا آخر فى نسب عدنان يختلف عن هذا وينتهى إلى قيدار بن إسماعيل بدلا من نابت ، وهذا ما ذهب إليه الجوانى فى كتابه « أصول الأحساب » ، والامام محمد الزبيدى فى كتابه « روضة الألباب » .

زيد[1] بن هَمَيْسَع[2] بن عمرو بن عَرِيب[3] بن يَشْجُب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان؛ ويقال: أشعر[4]: نَبْت بن أدد؛ ويقال: أشعر ابنُ مالك. ومالكٌ: مَذْحِجُ بن أُدْد بن زيد بن هَمَيْسع. ويقال: أشعر ابنُ[5] سبأ بن يَشْجُب.

٥ وأنشدنى أبو مُحْرِز خَلَفٌ الأحمر وأبو عُبَيْدة، لعبّاس بن مِرْداس، أحدِ بنى سُلَيْم بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار ابن معدّ بن عدنان، يفخر بعكّ:

وعكُّ بن عدنان الذين تلقّبوا[6] بغَسّان حتى طُرِّدوا كل مَطْرِدِ

وهذا البيت فى قصيدة له. وغسّان: ماء بِسَدِّ مارِب[7] باليمن، كان شِرْباً لولد

١٠ (١) ويقال فيه: زند (بالنون) كما يقال إنه هو الهميسع. (راجع الروض الأنف).

(٢) كذا فى ا وهى الرواية التى اتفقت عليها المراجع التى بين أيدينا، وفى م: مهسع ولم نجد مرجعاً يؤيد هذه الرواية. والهميسع بفتح الهاء على وزن السميدع، وبعض النسابين يرويه بالضم والصواب الفتح. (راجع أصول الأحساب).

(٣) الذى فى أصول الأحساب: «يشجب بن عريب».

١٥ (٤) كذا فى ا. وهذا ماذهب إليه الجوانى فى كتابه أصول الأحساب، وقد ذكر أن أولاد أدد هم: مالك (مذحج) وأشعر (نبت) وطىء (جلهمة) ومرة. وفى م، ر: أشعر ابن نبت، والظاهر أن كلمة «بن» مقحمة.

(٥) فى أصول الأحساب: أن هذا رأى الصحاح، وأنه رأى خاطىء.

(٦) كذا فى أصول الأحساب. وفى الأصل: «تلعبوا».

٢٠ (٧) قال المرحوم أمين بك واصف فى كتابه فهرست المعجم الجغرافى: «سبأ» أو مأرب، أو مارب من غير همز، (وهو الصحيح فيه): مدينة كانت بقرب موقع صنعاء باليمن، بناها عبد شمس بن يشجب من ملوك حمير، وهو الذى بنى أيضاً السد الكبير لتخزين مياه الأمطار. وانفجر يوما فكان الغرق الشهير المعروف بسيل العرم، وتفرقت على أثره قبائل بنى قحطان فكان منهم أهل الحيرة على الفرات، وأهل غسان ببادية الشام، ولا تزال آثار السد باقية.

٢٥ وقال فى موضع آخر:

«لما تفرق بنو قحطان بعد سيل العرم رحل آل جفنة من اليمن، والأزد من بنى كهلان، إلى الشام ونزلوا بماء يقال له غسان، فسموا به، وأقاموا ببادية الشام، وتزاحموا مع شليح، فغلبوهم على أمرهم، وأخرجوهم من ديارهم، وبقى الغساسنة ملوكا بالشام أكثر من أربعمائة سنة، وأولهم جفنة بن عمرو بن ثعلبة، وآخرهم جبلة السادس ابن الأيهم، صاحب الحديث المشهور مع عمر بن ٣٠ الخطاب فى إسلامه وتنصره وفراره إلى الروم، وقد سقنا الرأيين هنا لما بينهما من خلاف.

مازن بن الأَسْد بن الغَوْث فسمّوا به ؛ ويقال : غَسان : ماء بالْمشَلَّل[1] قريب من الجُحْفة[2] ، والذين شربوا منه[3] فسمّوا به قبائلُ من وَلَدِ مازن بن الأسْد[4] ابن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زَيْد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب ابن قَحْطان . قال حسّان بن ثابت الأنصارىّ — والأنصار بنو الأوس والخزرج ، ابنَىْ حارثة بن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن أمرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأَسْد بن الغوث — :

إمّا سألتِ فإنّا معشرٌ نُجُبٌ الأَسْد نِسْبتنا والماء غَسّانُ[5]

وهذا البيت فى أبيات له .

فقالت اليمن : و بعض عكّ ، وهم الذين بخراسان منهم ، عكّ بن عدنان بن عبد الله بن الأَسْد بن الغوث[6] ؛ ويقال : عُدْثان[7] بن عبد الله[8] بن الأَسْد بن الغَوْث .

---

(١) المشلل (بالضم ثم الفتح وفتح اللام أيضاً) : جبل وراء عزور (واد قريب من المدينة) يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر . قال العرجى :

ألا قل لمن أمسى بمكة قاطنا ومن جاء من عمق ونقب المشلل
دعوا الحج لاتستهلكوا نفقاتكم فما حج هذا العام بالمتقبل

(راجع معجم البلدان ومعجم ما استعجم) .

(٢) الجحفة (بالضم ثم السكون والفاء) : قرية كانت كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل ، وهى ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، فان مروا بالمدينة فيقاتهم ذو الحليفة ، وكان اسمها مهيعة ، وإنما سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها فى بعض الأعوام ، وهى الآن خراب . (عن معجم البلدان) .

(٣) كذا فى ا . وفى م ، ر : « . . . شربوا منه تحزبوا فسموا به . . . الخ » والظاهر أن كلمة تحزبوا مقحمة .

(٤) ويقال فيه الأزد أيضاً .

(٥) وقبل هذا البيت :

يا أخت آل فراس إنى رجل من معشر لهم فى المجد بنيان

(٦) وبهذا قال ابن قتيبة فى كتابه المعارف ، وابن دريد : فى الاشتقاق ، والجوانى : فى أصول الأحساب .

(٧) كذا فى ا . وقد نقله الجوانى أيضاً فى أصول الأحساب عن الأفطس الطرابلسى النسابة بعد ماساق الرأى الأوّل ، وفى م ، ر « عدنان » بالنون .

(٨) فى الأصل : « عدثان (عدنان) بن الديث بن عبد الله . . . الخ » . والظاهر أن كلمة « بن الديث » مقحمة ، فكل الذين عرضوا لعك بن عدنان الذين فى الأزد من النسابة لم يذكروا فى نسبهم غير الرأيين السابقين .

قال ابن إسحاق :

فولَدَ معدّ بن عدنان[1] أربعةَ نفر : نزار بن معدّ ، وقضاعة بن معدّ ، وكان قضاعة بكرَ[2] معدّ الذى به يكنى فيما يزعمون ، وقُنُص بن معدّ ، و إياد بن معدّ.

فأمّا قُضاعة فتيامنت إلى حِمْير بن سَبأ ــ وكان اسم سبأ عبدَ شمس ، و إنما سمّى سبأ ، لأنه أول مَنْ سبَى فى العرب ــ ابنِ يشجب[3] بن يعرب بن قحطان .

قال ابن هشام :

فقالت اليمن : وقُضاعة: قضاعة بن مالك بن حمير[4] . وقال عمرو بن مرّة[5] الجُهَنىّ ، وجُهَينة ابن زيد بن ليث بن سود بن أَسْلُم بن الحاف[6] بن قضاعة :

---

(١) لا خلاف بين النسابين فى أن نزارا هو ابن معد ، وأما سائر ولد معد فمختلف فيهم ، وفى عددهم .

(٢) البكر : أوّل ولد الرجل ، وأبوه بكر ، والثنى : ولده الثانى ، وأبوه ثنى ، والثالث : ولده الثالث ، ولا يقال للأب ثلث ، كما لايقال بعد الثالث شىء من هذا .

(٣) فى الأصل : « ابن يعرب بن يشجب » . والتصويب عن شرح السيرة .

(٤) يختلف النسابون ــ كما رأيت ــ فى نسب قضاعة ، فنهم من جعله فى معد ، ومنهم من نسبه إلى مالك بن حمير ، وقد ساق المؤلف قول ابن مرة سندا للرأى الثانى ، ومما يحتج به أصحاب الرأى الأوّل قول زهير :

قضاعــة أوأختها مضرية يحرق فى حافاتها الحطب الجزل

ففيه أن قضاعة ومضر أخوان ، كما يحتجون بأشعار كثيرة للبيد وغيره . وللكميت يعاتب قضاعة على انتسابهم إلى اليمن :

علام نزلتم من غير فقر ولاضراء منزلة الحميل

(والحميل : السبى ، لأنه يحمل من بلد إلى بلد) .

وإذا عرفنا أن امرأة مالك بن حمير ــ واسمها عكبرة ــ آمت منه وهى ترضع قضاعة ، فتزوجها معد ، فتبناه وتكنى به ، وهذا كثير فى العرب ــ فقد نسب بنو عبد مناة بن كنانة إلى على بن مسعود بن مازن بن الذئب الأسدى لأنه كان حاضن أبيهم وزوج أمهم ــ إذا عرفنا هذا استطعنا أن نعرف السر فى اختلاف النسابين وأن للرأيين نصيبا من الصحة .

(٥) ويكنى أبا مرة ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله وسلم ، وله عنه حديثان أحدهما فى أعلام النبوة والآخر : « من ولى أمر الناس فسد بابه دون ذوى الحاجــة والخلة والمسكنة سد الله بابه دون حاجته وخلته ومسكنته يوم القيامة » .

(٦) يجوز فى « الحاف » قطع الهمزة وكسرها ، كأنه سمى بمصدر ألحف ، ويجوز أن يكون اسم الفاعل من حفى يحفى .

نحن بنو الشيخ الهِجان الأزْهَر[1] قضاعةَ بن مالك بن حِمْيرِ[2]

النسب المعروف غيرِ المُنْكَر في الحَجَر المنقوش تحت المنبر[3]

قنص بن معد ونسب النعمان ابن المنذر

قال ابن إسحاق:

وأمّا قُنُص بن معدّ فهلكت بقيّتهم – فيما يزعم نسّاب معدّ – وكان منهم النُّعمان بن المنذر ملك الحِيرة.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهريّ: أن النعمان بن المنذر كان من ولد قُنُص بن معدّ. قال ابن هشام: ويقال: قَنَص.

قال ابن إسحاق: وحدّثني يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخْنَس، عن شيخ من الأنصار من بني زُرَيق أنه حدّثه:

أن عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه حين أُتي بسَيْف النعمان[4] بن المنذر، دعا جُبَير بن مُطْعِم بن عَدِيّ بن نَوْفل بن عبد مناف بن قُصَيّ – وكان جُبَير من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة، وكان يقول: إنما أخذتُ النسب من أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وكان أبو بكر الصدّيق أنسبَ العرب – فسلّحه[5] إياه – ثم قال: ممّن كان – يا جُبير – النعمانُ بن المنذر؟ فقال: كان من أشْلاء[6] قُنُص بن[7] معدّ.

---

(1) الهجان: الكريم، والأزهر: المشهور.

(2) أوّل هذا الرجز:

يأيها الداعي ادعنا وأبشر وكن قضاعيا ولا تنزر

(3) هذا الشطر الأخير ساقط في ا. ويقال إن هذا الشعر لأفلح بن اليعبوب. (راجع الروض الأنف للسهيلي).

(4) وكان ذلك حين افتتحت المدائن، وكانت بها حرائب كسرى وذخائره فأخذت. وكان فيها خمسة أسياف لم ير مثلها، أحدها هذا السيف. (راجع الطبري).

(5) سلحه إياه: قلده إياه، وجعله سلاحا له.

(6) الأشلاء: البقايا. وكان السبب في هلاك أولاد قنص أنهم لما كثروا وانتشروا بالحجاز وقعت بينهم وبين بني أبيهم حرب، وتضايقوا في البلاد، وأجدبت بهم الأرض، فساروا نحو سواد العراق، وذلك أيام ملوك الطوائف، فقاتلهم الأردانيون وبعض ملوك الطوائف، وأجلوهم عن السواد، وقتلوهم إلا أشلاء لحقت بقبائل العرب، ودخلوا فيهم، وانتسبوا إليهم.

(7) وقيل إن النعمان بن المنذر كان من ولد عجم بن قنص، إلا أن الناس لم يدروا ما عجم، فجعلوا مكانه لخما، فقالوا هو من لخم. (راجع الطبري).

قال ابن إسحاق :

فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلاً من لَخْم، من ولد ربيعة بن نصر، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

قال ابن هشام :

نسب لخم بن عدىّ

لخم ابنُ عدىّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد بن زَيْد بن هَمَيْسع بن عمرو بن عَرِيب بن يشجب بن زَيْد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : لَخْم ابن عدىّ بن عمرو بن سبأ ؛ ويقال : ربيعة ابن نصر[1] بن أبى حارثة بن عمرو بن عامر ، وكان تخلّف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن .

أمر عمرو بن عامر فى خروجه من اليمن

وقصة سد مارب

وكان سبب خروج عَمْرو بن عامر من اليمن — فيما حدّثنى أبو زَيْد الأنصارىّ — أنه رأى جُرَذاً[2] يَحْفِر فى سدّ مارب ، الذى كان يَحْبِس عليهم الماءَ ، فيُصَرِّفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلِم أنه لا بقاء للسدّ على ذلك ، فاعتزم على النُّقلة من اليمن ، فكاد قومَه ، فأمر أصغرَ ولده إذا أغلظ له ولطمه أن يقوم إليه فيلطِمه ، ففعل ابنُه ما أمره به ؛ فقال عمرو : لا أقيم ببلد لَطَم وجهى فيه أصغرُ ولدى ، وعرض أمواله . فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتنموا غضبةَ عمرو ، فاشتروا منه أمواله . وانتقل فى ولده وولد ولده . وقالت الأزد : لا نتخلّف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم ، وخرجوا معه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عكّ مجتازين يرتادون البُلدان ، فحاربتهم عكّ ، فكانت حربهم

(١) ويقال : هو نصر بن مالك بن شعوذ بن مالك بن عجم بن عمرو بن نمارة من لخم . (راجع الروض الأنف) .

(٢) الجرذ : الذكر من الفئران .

سِجالا[1] . ففي ذلك قال عبّاس بن مِرداس البيت الذى كتبنا[2] . ثم ارتحلوا عنهم فتفرّقوا فى البُلدان ، فنزل آلُ جَفْنة بن عمرو بن عامر الشامَ ، ونزلت الأوسُ والخزرج يثربَ ، ونزلت خُزاعة مَرًّا[3] ، ونزلت أزدُ السَّراة السراةَ[4] ، ونزلت أزدُ عُمان عُمانَ ؛ ثم أرسل الله تعالى على السدّ السيلَ فهدمه ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم : « لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ » .

والعَرِم : السدّ ، واحدته : عَرِمة ، فيما حدثني أبو عُبيدة .

قال الأعشى : أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر ابن وائل بن هِنْب بن أَفْصَى بن جَديلة بن أَسَد بن ربيعة بن نِزار بن معدّ . ـ قال ابن هشام : ويقال : أفصى بن دُعْمِىّ بن[5] جَديلة ـ واسم الأعشى مَيْمون ابن قيس بن جَنْدل بن شَراحيل بن عَوْف بن سَعْد بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة :

وفى ذاك للمُؤْتَسِى أُسْوةٌ[6] ... ومَارِب عَفَّى[7] عليها العَرِمْ
رُخامٌ بَنَتْه لهم حِمْيَرٌ ... إذا جاء[8] مَوّاره لم يَرِم
فأروى الزروعَ وأعنابَها ... عَلى سَعةٍ ماؤهم إذ قُسِم
فصاروا أيادىَ[9] ما يقدرو ... ن منه على شِرْب[10] طِفْلٍ فُطِم

(1) السجال : أن يغلب هؤلاء مرة وهؤلاء مرة ، وأصله من المساجلة فى الاستقاء ، وهو أن يخرج المستقى من الماء مثل مايخرج صاحبه .

(2) راجع هذا البيت والتعليق عليه (ص 9 من هذا الجزء) .

(3) مر : هو الذى يقال له مر الظهران، ومر ظهران ، وهو موضع على مرحلة من مكة.

(4) قال الأصمعى : الطود : جبل مشرف على عرفة ينقاد إلى صنعاء يقال له السراة ، وإنما سمى بذلك لعلوه ، يقال له سراة ثقيف ، ثم سراة فهم وعدوان ، ثم سراة الأزد . (راجع معجم البلدان) .

(5) وعلى هذا الرأى ابن دريد فى كتابه «الاشتقاق» .

(6) المؤتسى : المقتدى . والإسوة (بالكسر والضم) : الاقتداء .

(7) ويروى : « نفى » ومعناها : نحى .

(8) مواره (بضم الميم وفتحها) : تلاطم مائه وتموجه .

(9) أيادى : متفرقين .

(10) الشرب (بالضم) : المصدر . و (بالكسر) : الحظ والنصيب من الماء .

وهذه الأبيات في قصيدة له .

وقال أُمَيّة بن أبي الصَّلْت الثَّقفي ـ واسم ثَقيف قَسِيّ بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن بن مَنْصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار بن معدّ بن عدنان :

٥ مِنْ سبأ الحاضرين مارب إذ ... يبْنون من دون سَيْله العَرِمَا (١)

وهذا البيت في قصيدة له . وتُروى للنابغة الجَعْديّ ، واسمه قَيْس بن عبد الله أحد بني جَعْدة بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة بن معاوية بن بكر ابن هَوازن .

وهو حديث طويل ، منعني من استقصائه ما ذكرت من الاختصار .

---

١٠ أمر ربيعة بن نصر ملك اليمن وقصة شق و سطيح الكاهنين معه

رؤيا ربيعة ابن نصر

قال ابن إسحاق :

وكان ربيعة بن نَصْر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة ، فرأى رؤيا هالتْه وفَظِع (٢) بها ، فلم يَدَعْ كاهناً ، ولا ساحرًا ، ولا عائفاً (٣) ، ولا منجّماً من أهل ١٥ مملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيتُ رُؤْيا هالتني ، وفَظِعْتُ بها ، فأخْبِروني بها و بتأويلها ؛ قالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها ؛قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلَها إلا مَنْ عرفها قبل أن أخبره بها . فقال له رجل منهم : فإن كان الملك يريد هذا فلْيبعث إلى

---

(١) في هذا البيت شاهد على أن العرم هو السد .

٢٠ (٢) يقال فظع بالأمر (كعلم) : إذا اشتد عليه .

(٣) العائف : الذي يزجر الطير .

سَطِيح (١) وشِقّ (٢) ، فإنه ليس أحدٌ أعلمَ منهما ، فهما يخبرانه بما سأل عنه .

نسب سطيح وشق

وأسم سَطِيح رَبيع بن رَبيعة بن مَسْعود بن مازن بن ذئب بن عديّ بن مازن غسّان .

وشِقّ ابن صَعْب بن يَشْكر بن رُهْم بن أَفْرَك بن قَسْر (٣) بن عَبْقَر بن أَنْمَار ابن نزار (٤) ، وأنمار أبو بَجيلة وخثعم .

نسب بجيلة

٥ قال ابن هشام :

وقالت : اليمن : و بَجيلة : [بنو] (٥) أنمار بن إراش بن لِحْيان (٦) بن عمرو ابن الغَوْث بن نَبْت (٧) بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ و يقال : إراش ابن عمرو بن لِحْيان بن الغوث (٨) . ودار بجيلة وخثعم يمانية .

ربيعة بن نصر وسطيح

قال ابن إسحاق :

١٠ فبعث إليهما ، فقدم عليه سَطِيح قبلَ شِقّ ، فقال له : إني رأيت رؤيا هالتني وفَظِعتُ بها ، فأخبرني بها ، فإنك إن أصبتَها أصبتَ تأويلَها . قال : أفعلُ ، رأيتَ حُمَمَة (٩) خرجت من ظُلُمة (١٠) ، فوقعت بأرض تَهَمة (١١) ،

---

(١) يقال : إنما سمي سطيح سطيحا لأنه كان كالبضعة الملقاة على الأرض ، فكأنه سطح عليها ، ويروى عن وهب بن منبه أنه قال : قيل لسطيح : أنى لك هذا العلم ؟ فقال : لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى منه موسى عليه السلام ، ١٥ فهو يؤدي إلي من ذلك مايؤديه ، وقد ولد هو وشق في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر .

(٢) يقال إنه سمي كذلك لأنه كان كشق إنسان ، كما يقال إن خالد بن عبد الله القسري كان من ولده .

(٣) كذا في ا . وفي م ، ر : «قيس» .

٢٠ (٤) كذا في م ، ر : وهي إحدى روايات المعارف لابن قتيبة . وفي ا : « أنمار بن أراش » .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

(٦) ساق ابن دريد هذا الرأي إلا أنه لم يذكر فيه « لحيان » .

(٧) كذا في ا والاشتقاق لابن دريد . وفي م ، ر : « نابت » .

(٨) ويقال أيضا في نسب بجيلة وخثعم إنهما ليسا لأنمار ، وإنما هما حليفان لولده . (راجع ٢٥ المعارف لابن قتيبة) .

(٩) الحممة : الفحمة ، وإنما أراد فحمة فيها نار .

(١٠) من ظلمة : أي من ظلام ، يعني من جهة البحر ؛ يريد خروج عسكر الحبشة من أرض السودان .

(١١) التهمة : الأرض المتصوبة نحو البحر .

فأكلَتْ منها كلَّ ذات [1] جُمْجُمه ؛ فقال له الملك : ما أخطأتَ منها شيئاً يا سَطيح ، فما عندك فى تأويلها ؟ فقال : أَحْلف بما بين الْحَرَّتين [2] من حَنَش ، لتهبطنّ أرضَكم الحَبَش [3] ، فليملكُنّ مابين أَبْيَن [4] إلى جُرَش [5] ؛ فقال له الملك : وأبيك يا سَطِيح ، إن هذا لنا لغائظ مُوجِع ، فمتى هو كائن ؟ أفى زمانى هذا أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده بحين، أكثر من ستّين أو سبعين ، يمضين من السنين ؛ قال : أَفَيدوم ذلك من مُلْكهم أم ينقطع ؟ قال : لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يُقتَلون ويُخرجون منها هاربين ؛ قال : ومَنْ يَلِي ذلك مِنْ قَتْلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرَم [بن] [6] ذى يَزَن [7] ، يخرج عليهم من

---

(1) قال «كل ذات» لأن القصد إلى النفس والنسمة ، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح . (عن الروض الأنف) .

(2) الحرة : أرض فيها حجارة سود .

(3) يقال إنهم بنو حبش بن كوش بن حام بن نوح ، وبه سميت الحبشة .

(4) أبين (بفتح أوله ويكسر ، ويقال : يبين ، وذكره سيبويه فى الأمثلة بكسر الهمزة ، ولا يعرف أهل اليمن غير الفتح ، وحكى أبو حاتم قال : سألنا أبا عبيدة : كيف تقول : عدن أبين أو إبين ؟ فقال : أبين وإبين جميعا) : مخلاف باليمن منه عدن ، يقال إنه سمى بأبين ابن زهير بن أيمن . وقال الطبرى : عدن وأبين ابنا عدنان بن أدد ، وأنشد الفراء :

ما من أناس بين مصر وعالج　　وأبين إلا قد تركنا لهم وترا
ونحن قتلنا الأزد أزد شنوءة　　فما شربوا بعدا على لذة خمرا

وقال عمارة بن الحسن اليمنى الشاعر : أبين : موضع فى جبل عدن . (عن معجم البلدان) .

(5) جرش (بالضم ثم الفتح وشين معجمة) : من مخاليف اليمن من جهة مكة ، وقيل : هى مدينة عظيمة باليمن ، وولاية واسعة ، وذكر بعض أهل السير : أن تبعاً أسعد بن كلى كرب خرج من اليمن غازيا ، حتى إذا كان بجرش ، وهى إذ ذاك خربة ومعد حالة حواليها ، خلف جمعا ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفا ، وقال : اجرشوا هاهنا ، أى أثبتوا ؛ فسميت جرش بذلك ، ولم أجد فى اللغويين من قال إن الجرش المقام .

وقال أبو المنذر هشام : جرش : أرض سكنها بنو منبه بن أسلم ، فغلبت على اسمهم ، وهوجرش ، واسمه منبه بن أسلم بن زيد ، وإلى هذه القبيلة ينسب الغاز بن ربيعة . وفتحت جرش فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى سنة عشر للهجرة .

(6) زيادة يقتضيها السياق .

(7) المعروف : سيف بن ذى يزن ، ولكنه جعله إرما إما لأن الأرم هو العلم، فمدحه بذلك ، وإما أن يكون أراد تشبيهه بعاد إرم فى عظم الخلق والقوة . (راجع الروض الأنف) .

عدَن ، فلا يترك أحـداً منهم باليمن ؛ قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : لا ، بل ينقطع ؛ قال : ومَنْ يقطعه ؟ قال : نبيّ [1] زكيّ ، يأتيه الوحي من قِبَل العليّ ؛ قال : وممّن هذا النبيّ ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فِهْر بن مالك ابن النَّضْر ، يكون المُلك فى قومه إلى آخر الدهر ؛ قال : وهل للدهر من آخِر ؟ قال : نعم ، يومٌ يُجمع فيه الأولون والآخِرون ، يَسعد فيه المُحسِنون ، ويَشقَى فيه المُسيئون ؛ قال : أحقٌّ ما تخبرنى ؟ قال : نعم ، والشَّفقِ والغَسق ، والفَلَق إذا اتَّسق ، إنّ ما أنبأتُك به لحقّ .

ربيعة بن نصر وشق

ثم قدم عليـه شِقّ ، فقال له كقوله لسَطيح ، وكَتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان ؛ فقال : نعم ، رأيتَ حُمَمه ، خرجت من ظُلُمه ، فوقعت بين روضة وأَكَمه ، فأكلتْ منها كلّ ذات نسمه .

قال : فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا ، وأن قولهما واحـد ، إلا أن سَطيحاً قال : « وقعت بأرض تَهَمه ، فأكلت منها كل ذات جُمْجمه » . وقال شق : « وقعت بين روضة وأَكَمه ، فأكلت منها كلّ ذات نسمه » .

فقال له الملك : ما أخطأت ياشِقّ منها شيئاً ، فما عندك فى تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحَرّتين من إنسان ، لينزلَن أرضَكم السودان ، فليغلُبنّ على كل طَفْلَة [2] البَنان ، وليملِكُنّ ما بين أَبْيَن إلى نَجْران .

فقال له الملك : وأبيك يا شِق ، إن هذا لنا لغائظ مُوجِـع ، فمتى هو كائن ؟ أفى زمانى أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يَستنقذكم منهم عظيم ذو شان ، ويُذيقهم أشدّ الهوان ؛ قال : ومَنْ هـذا العظيم الشان ؟ قال : غلام

(1) قد عمر سطيح زمانا طويلا بعد هذا الحديث، حتى أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وحتى رأى كسرى أنوشروان ما رأى من ارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، فأرسل كسرى عبد المسيح بن عمرو — وكان سطيح من أخوال عبد المسيح — فقدم عبد المسيح على سطيح، وقد أشفى على الموت ، وله معه حديث تراه مبسوطاً فى كتب التاريخ .

(2) الطفلة : الناعمة الرخصة .

ليس بَدَنِىّ ، ولا مُدَنّ [1] ، يخرج عليهم من بيت ذى يَزَن ، [فلا يترك أحداً منهم باليمن] [2] ؛ قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مُرسَل ، يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدِّين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفَصْل ؛ قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يَوْمٌ تُجزى فيه الوُلَاةُ ، ويدعى فيه

٥ من السماء بدَعَوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويُجمع فيه بين الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات ؛ قال أحق ماتقول ؟ قال : إى وربّ السماء والأرض، وما بينهما من رَفْع وخَفْض، إن ما أنبأتك به لحق ما فيه أَمْض.

قال ابن هشام : أمض : يعنى شكًّا ، هذا بلغة حمير ، وقال أبو عمرو : أمض ، أى باطل .

١٠ فوقع فى نفس رَبيعة بن نَصْر ما قالا . فجهّز بَنيه وأهلَ بيته إلى العراق بما يُصْلِحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خُرّزاذ ، فأسكنهم الحِيرة .

[هجرة ربيعة ابن نصر إلى العراق]

فمن بقيّة ولد ربيعة بن نصر النعمانُ بن المنذر ، فهو فى نسب اليمن وعِلْمِهم [3] : النعمان بن المُنْذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدىّ بن ربيعة

١٥ ابن نصر ، ذلك الملك .

[نسب النعمان ابن المنذر]

قال ابن هشام : النعمان أبن المنذر بن المنذر ، فيما أخبرنى خلف الأحمر .

استيلاء أبى كرب تبان أسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق :

٢٠ فلما هلك ربيعة بن نصر رجع مُلْك اليمن كلّه إلى حسّان بن تُبان أسعد [4]

[نسب تبان]

(١) المدنى : « بصيغة اسم الفاعل » المقصر فى الأمور أو الذى يتبع خسيسها . وفى ابن الأثير : «مزن» من أزننته بكذا : أى اتهمته به .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ا . وفى م ، ر ، ط : « غلبهم » ولا معنى لها .

٢٥ (٤) تبان أسعد : اسمان جعلا اسما واحداً كما هى الحال فى معدى كرب . وتبان من التبانة ، وهى الذكاء والفطنة .

أبى كرب ـ وتبان أسعدهو تُبّع الآخِر ـ ابن كُلِي كَرِب [1] بن زيد، وزيد هو تُبّع الأولُ بن عمرو ذى [2] الأذْعار [3] بن أبرهة ذى المنار بن [4] الرّيش ـ قال ابن هشام : ويقال الرائش ـ قال ابن إسحاق : ابن عدىّ [5] بن صيفىّ بن سبأ الأصغر بن كَعْب ، كَهْف الظُّلْم [6] ، بن زَيْد بن سَهْل بن عمرو بن قَيْس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شَمْس بن وائل بن الغَوْث بن قطَن بن عَرِيب بن زُهَير بن أيْمَن بن الهَمَيْسع بن العَرَنْجَج ، والعَرَنْجَج [7] : حِمْير بن سبأ الأكبر ابن يَعْرُب بن يَشْجُب بن قَحْطان .

قال ابن هشام : يَشْجُب [8] : أبن يعرب بن قَحْطان .

شىء من سيرة تبان

قال ابن إسحاق :

وتُبان أسعد أبو كَرِب الذى قدم المدينة ، وساق الحَبْرَيْن من يهود [المدينة] [9] إلى اليمن ، وعمّر البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل مُلْك ربيعة بن نَصْر [10] .

---

(1) كذا فى جميع المراجع التى بين أيدينا ، وفى الأصل « كليككرب » وهو تحريف .

(2) اتفق أبو الفداء وابن جرير مع ابن إسحاق على أن ذا الأذعار هو عمرو ، وخالفهما المسعودى فى « مروج الذهب » فقال إن اسمه العبد بن أبرهة ، كما ذهب ابن دريد فى كتابه « الاشتقاق » إلى أن ذاالأذعار هو تبع ، ولم يقف الخلاف فى المراجع التى بين أيدينا عند هذا فى ملوك اليمن ، بل تجاوزه إلى كثير غيره رأينا عدم إثباته إذ لاطائل تحته .

(3) سمى ذا الأذعار لأنه ـ كما زعم ابن الكلبى ـ جلب النسناس إلى اليمن فذعر الناس ، وهو قول يحتاج إلى تمحيص . (راجع الاشتقاق ، وشرح السيرة لأبى ذر) .

(4) قيل سمى ذا المنار لأنه غزا غزوا بعيدا ، وكان يبنى على طريقه المنار ليستدل به إذا رجع . (عن شرح السيرة) .

(5) فى الطبرى « قيس » .

(6) يريد أن الظالم كان يلجأ إليه ، ويعتمد عليه ، فينصره

(7) ليست النون فى العرنجج زائدة، بل هو من قولهم : اعرنجج الرجل فى أمره : إذا جد فيه . (عن الاشتقاق) .

(8) وعلى هذا الرأى جميع المراجع التى بين أيدينا .

(9) زيادة عن : ا .

(10) الذى فى مروج الذهب : أن تبع بن حسان بن كلى كرب هو صاحب هذه الحادثة .

قال ابن هشام : وهو الذى يقال له :

ليتَ حظّى من أبى كَرِب أن يَسُدّ خَـيْرُه خَبَاله[1]

قال ابن إسحاق :

غضب تبان على أهل المدينة وسبب ذلك

وكان قد جعل طريقه ـ حين أقبل من المشرق ـ على المدينة ، وكان قد مرّ بها فى بَدْأته فلم يَهِج أهلَها ، وخلّف بين أظهرهم ابناً له ، فقُتل غِيلة ، فقدمها وهو مُجمع لإخرابها ، واستئصال أهلها ، وقطع نخلها[2] ؛ فجمع له هذا الحىّ من الأنصار ، ورئيسهم عَمْرو بن طَلّة أخو بنى النجّار ، ثم أحد بنى عمرو بن مَبْذول . واسم مَبْذول : عامر بن مالك بن النجّار ، واسم النجّار : تيم الله بن ثعلبة ابن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

نسب عمرو ابن طلة

قال ابن هشام :

عمرو بن طَلّة : عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن مالك بن النجّار ، وطَلّةُ أمه ، وهى بنت عامر بن زُرَيق[3] بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشَم بن الخزرج .

سبب قتال تبان لأهل المدينة

قال ابن إسحاق :

وقد كان رجل من بنى عدىّ بن النجار ، يقال له أحمر ، عدا على رجل من أصحاب تبّع حين نزل بهم فقتله ، وذلك أنه وجده فى عَذْق[4] له يَجُدّه[5]

(١) الخبل : الفساد ، وقد نسب هـذا البيت إلى الأعشى خطأ ، وإنما هو لعجوز من بنى سالم يقال إن اسمها جميلة ، قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبع .

(٢) وقيل إن تبعا لم يقصـد غزوها ، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها ، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم ، فلم يف لهم بذلك اليهود واستضاموهم ، فاستغاثوا بتبع ، فعند ذلك قدمها . كما قيل إن هذا الخبر كان لأبى جبلة الغسانى . (راجع شرح السيرة لأبى ذر) .

(٣) كذا فى ا . وفى م ، ر ، ط : « زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة » .

(٤) العذق (بفتح العين) : النخلة . (وبكسرها) : الكباسة بما عليها من التمر .

(٥) يجده : يقطعه .

فضربه بِمِنْجَله فقتله ، وقال : إنما التمر لمن أَبَّرَه(١) . فزاد ذلك تُبَّعاً حَنقاً عليهم، فاقتتلوا . فتزْعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويَقْرونه(٢) بالليل ، فيعجبه ذلك منهم ، ويقول : والله إن قومنا لكرام .

انصراف تبان عن إهلاك المدينة وشعر خالد فى ذلك

فبينا تُبّع على ذلك من قتالهم إذ جاءه حَبْران من أحبار اليهود ، من بنى قُرَيظة — وقُرَيظة والنَّضير والنَّجّام(٣) وعمرو ، وهو هَدَل(٤) ، بنو الخزرج بن الصريح بن التَّوْءمان(٥) بن السِّبط بن اليَسَع بن سعد بن لاوىّ بن خَيْر بن النَّجّام ابن تَنْحوم بن عازَر بن عِزْرَى بن هارون بن عمران بن يَصْهر بن قاهث(٦) ابن لاوى بن يعقوب ، وهو إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ، صلّى الله عليهم — عالمان راسخان فى العلم ، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له : أيها الملك ، لا تفعل ، فإنك إن أبيتَ إلاّ ما تريد حِيل بينك وبينها ، ولم نأمن عليك عاجلَ العقوبة ؛ فقال لهما : ولِمَ ذلك ؟ فقالا : هى مهاجَرُ ، نبىٍّ يخرج من هذا الحرَم من قريش فى آخر الزمان ، تكون دارَه وقرارَه ؛ فتناهَى عن ذلك ، ورأى أنَّ لهما علماً ، وأعجبه ما سمع منهما ، فانصرف عن المدينة ، واتبعهما على دينهما . فقال خالد بن عبد العُزَّى بن غَزِيّة بن عمرو [ابن عبد](٧) بن عَوْف بن غَنْم بن مالك بن النجّار يفخر بعمرو بن طَلَّة :

أَصَحا أم قد نَهَى ذُكَرَه(٨) ... أم قَضَى من لذّة وَطَرَهْ
أم تذكّرتَ الشبابَ وما ... ذِكْرُكَ الشباب أو عُصُرَه !(٩)

---

(١) أبره : أصلحه .
(٢) يقرونه : يضيفونه ، وذلك لأنه كان نازلا بهم .
(٣) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « النحام » بالحاء المهملة .
(٤) هو بفتح الهاء والدال ، كأنه مصدر هدل، إذا استرخت شفته. وعن ابن ماكولا عن أبي عبدة النسابة أنه بسكون الدال . (عن الروض الأنف) .
(٥) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « التومان » .
(٦) وفى رواية : « قاهت » بالتاء المثناة .
(٧) زيادة عن الطبرى .
(٨) الذكر : جمع ذكرة (كغرفة) ، وهى بمعنى الذكرى نقيض النسيان . ورواية هذا الشطر فى الطبرى : * أصحا أم انتهى ذكره *
(٩) أراد : « أو عصره » (بالضم) . والعصر (بفتح العين وضمها) بمعنى ، وحرك الصاد بالضم . قال ابن جنى : وليس شىء على وزن فعل (بسكون العين) يمتنع فيه فعل .

إنها حَرْب رَباعِيَــةٌ[1] مثلها أتى الفـــتى عِبَرَهْ
فاسألا عِمْران أو أســـداً إذ أتت عَدْوًا[2] مع الزُّهَره[3]
فَيْلَقٌ فيها أبو كَرِبٍ سُـــبَّغ أبدانُهـا ذَفِره[4]
ثم قالوا : من نَؤُمّ بهـا أبَنى عَوْفٍ أم النَّجَره[5]
٥ بل بنى النجّار إنّ لنا فيهمُ قتـــلى و إنّ تِرَه[6]
فتلقّتهـــم مُسايِفة[7] مدُّها كالغَبْية النَّثِره[8]
فيهمُ عَمْرو بن طَلّةَ مَـــلّـى الإلهُ[9] قومَه عُمُرَه
سيّدٌ سامَى[10] الملوكَ ومَنْ رامَ عَمْراً لايكن قدَرَه

---

(١) يريد : أى ليست بصغيرة ولا جذعة ، بل هى فوق ذلك ، وضرب سن الرباعية مثلا ،
١٠ كما يقال حرب عوان ، لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب .
(٢) ويروى : « غدوا » (بالغين المعجمة) ، وهو الغدوة .
(٣) أى صبحهم بغلس قبل مغيب الزهرة ، والزهرة : الكوكب المعلوم. ورواية هذا البيت فى الطبرى :

فسلا عمران أو فسلا أسدا إذ يغدو مع الزهره

١٥ (٤) سبغ : كاملة . والأبدان هنا : الدروع . وذفرة : من الذفر ، وهو سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة ، وأما الدفر (بالدال المهملة) فهو فيما كره من الروائح .
(٥) يريد بنى النجار ، وهذا كما قيل الناذرة فى بنى المنذر . والنجرة : جمع ناجر ، والناجر والنجار بمعنى واحد ، والنجار : هو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وسمى النجار لأنه — فيما ذكر — نجر وجه رجل بقدوم .
٢٠ (٦) الترة : طلب الثأر . أراد : إن لنا قتلى وترة ، فأظهر المضمر ، وهذا البيت شاهد على حروف العطف يضمر بعدها العامل المتقدم ، نحو قولك : إن زيداً وعمراً فى الدار . فالتقدير : إن زيدا ، وإن عمراً فى الدار ، فقد دلت الواو على ما أردت ، وإن احتجت إلى الإظهار أظهرت ، كما فى هذا البيت ، إلا أن تكون الواو الجامعة ، نحو اختصم زيد وعمرو ، فليس ثم إضمار ، لقيام الواو مقام صفة التثنية . وعلى هذا تقول : طلع الشمس والقمر ، فتغلب المذكر ، كأنك قلت :
٢٥ طلع هذان النيران ، فإن جعلت الواو هى التى تضمر بعدها الفعل . قلت طلعت الشمس والقمر ، وتقول فى نفى المسألة الأولى : ماطلع الشمس والقمر ، وفى نفى المسألة الثانية : ماطلعت الشمس ولا القمر ، تعيد حرف النفى لينتفى به الفعل المضمر (عن الروض الأنف) .
(٧) مسايفة (بكسر الياء) : يتقاتلون بالسيوف ، ومن رواه بفتح الياء جعله حالا .
(٨) الغبية : الدفعة من المطر . والنثرة : المنتثرة ، وهى التى لاتمسك ماء .
٣٠ (٩) ملى الإله قومه : أمتعهم به .
(١٠) سامى : ساوى . ويروى : « سام » ، أى كلفهم أن يكونوا مثله ، فلم يقدروا على ذلك .

وهذا الحىّ من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنقُ تبَّع على هذا الحىّ مِنْ يهود الذين كانوا بين أَظْهُرِهم ، وإنما أراد هلاكهم فمنعوهم منه ، حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال فى شعره :

حنقاً على سِبْطَيْن حَلاَّ يثرباً أَوْلى لهم بعقاب يومٍ مُفْسِدِ

قال ابن هشام : ٥

الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع ، فذلك الذى منعنا من إثباته .

اعتناق تبان النصرانية وكسوته البيت وتعظيمه وشعر سبيعة فى ذلك

قال ابن إسحاق :

وكان تُبَّع وقومه أصحابَ أوثان يعبدونها ، فتوجّه إلى مكة ، وهى طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسْفَانَ [1] ، وأَمَجٍ [2] أتاه نفر من هُذَيل بن مُدْرِكة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ ، فقالوا له : أيها الملك ، ألا ندلك على بيت ١٠ مالٍ داثر أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى ؛ قالوا : بيت بمكة يعبده أهلُه ، ويصلون عنده . وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك ، لما عرفوا من هلاك مَنْ أراده من الملوك وبَغَى عنده . فلما أَجْمَع لما قالوا أرسل إلى الحَبْرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القومُ إلا

(١) عسفان (بضم أوله وسكون ثانيه ثم فاء وآخره نون) : فعلان من عسفت المفازة ، ١٥ وهو يسفها ، وهو قطعها بلا هداية ولا قصد ، وكذلك كل أمر يركب بغير روية . قيل: سميت عسفان لتعسف السيل فيها ، كما سميت الأبواء لتبوؤ السيل بها . قال أبو منصور: عسفان: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . وقال غيره : عسفان : بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين، وقيل: عسفان: قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة ، وهى حد تهامة ، ومن عسفان إلى ملل يقال له الساحل ، وملل على ليلة من المدينة . ٢٠ وقال البكرى : عسفان: على مرحلتين من مكة على طريق المدينة ، والجحفة : على ثلاث مراحل وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحيان بعسفان ، وقد مضى لهجرته خمس سنين وشهران وأحد عشر يوماً .

(٢) أمج (بالجيم وفتح أوله وثانيه، والأمج فى اللغة:العطش): بلد من أعراض المدينة . وقال أبو المنذر هشام بن محمد : أمج وغران : واديان يأخذان من حرة بنى سليم ويفرغان فى البحر . ٢٥

هلاكَك وهلاكَ جندك ، ما نعلم بيتاً لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيرَه ، ولئن فعلت مادَعَوْك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا : قال : فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه ؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهله : تطوف به ، وتعظّمه وتكرمه ، وتحلِق رأسك عنده ، وتذِلّ له . حتى تخرج من عنده ؛ قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ قالا : أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، و إنه لكما أخبرناك ، ولكنّ أهلَه حالوا بيننا و بينه بالأوثان التى نصبوها حولَه ، و بالدماء التى يُهْرِيقون عنده ، وهم نَجَس أهل شرك ــ أو كما قالا له ــ فعرف نصحَهما وصِدْقَ حديثهما ، فقرّب النفرَ من هُذَيل ، فقطع أيديهم وأرجلَهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف بالبيت ، ونحر عنده ، وحلق رأسه ، وأقام بمكة ستة أيام ــ فيما يذكرون ــ ينحر بها للناس ، و يُطعم أهلها و يسقيهم العسل ، وأُرِى فى المنام أن يكسو البيت ، فكساه الخَصَف [1] ؛ ثم أُرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المَعافر [2] ؛ ثم أُرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المُلاء [3] والوصائل ، فكان تبَّع ــ فيما يزعمون ــ أولَ من كسا البيت [4] ، وأوصى به وُلاتَه من جُرْهم ، وأمرهم بتطهيره ، وألاّ يُقرِّبوه دماً ولا ميتة ولا مِثلاة [5] ، وهى المحائض [6] ، وجعل له بابا ومفتاحا [7]

(١) الخصف : حصر تنسج من خوص النخل ومن الليف ، فيسوى منها شقق تلبس بيوت الأعراب.

(٢) المعافر : ثياب تنسب إلى قبيلة من اليمن . وأصله المعافرىّ ، ثم صار اسما لها بغير نسبة.

(٣) الملاء : جمع ملاءة ، وهى الملحفة . والوصائل : ثياب مخططة يمنية ، يوصل بعضها إلى بعض.

(٤) كانت قريش فى زمن الجاهلية تشترك فى كسوة الكعبة ، حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة فقال : أنا أكسو الكعبة سنة وحدى ، وجميع قريش سنة ، واستمر يفعل ذلك إلى أن مات . ثم كساها النبى صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية ، وكساها أبو بكر وعمر وعثمان وعلى . وكسيت فى زمن المأمون والمتوكل والعباس ، ثم فى زمن الناصر العباسى كسيت السواد من الحرير ، ثم هى تكسى إلى الآن فى كل سنة ، ويقال إن أول من كسا الكعبة الديباج الحجاج ، وقيل : بل عبد الله بن الزبير .

(٥) كذا فى ط ، والطبرى ، والمثلاة : خرقة الحيض ، وجمعها : مآلِى ، وفى سائر الأصول : « مثلاثاً » بالثاء المثلثة ، ولا معنى لها .

(٦) لعله يريد : المحيضة (واحدة المحائض) ، وهى خرقة الحيض ، إذ السياق يقتضى الافراد.

(٧) ويروون لتبع هذا شعراً حين كسا البيت ، وهو :

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء منضدا وبرودا

فأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه إقليدا

وقالت سُبَيعة بنت الأحَبِّ[1] بن زَبِينة[2] بن جذيمة بن عوف بن نصر بن معاوية ابن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ ابن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر بن كنانة ، لابن لها منه يقال له خالد ، تعظّم عليه حُرْمة مكة ، وتنهاه عن البغى فيها ، وتذكر تُبَّعاً وتذلله لها ، وما صنع بها[3] :

أبُنىّ لا تظلِم بمكّة لا الصغيرَ ولا الكبيرْ
واحفظ محارمَها بُنَىّ ولا يغرّنْك الغَرورْ
أبُنى من يظلم بمكّة يلق أطْرافَ الشُّرورْ
أبُنى يُضربْ وجهُه وَيلُحْ بخدّيه السعيرْ
أبُنى قد جرّبتها فوجدتُ ظالمها يبورْ[4]
الله آمنها وما بُنيت بعَرْصتها قُصورْ
والله آمن طيرَها والعُصْم[5] تأمن فى ثَبيرْ[6]
ولقد غزاها تُبَّع فكَسا بَنِيّتها الحَبيرْ[7]
وأذلّ ربى مُلْكه فيها فأوْفى بالنُّذورْ

= ونحرنا بالشعب ستة ألف فترى الناس نحوهن ورودا
ثم سرنا عنه نؤم سهيلا فرفعنا لواءنا معقودا

(١) وتروى بالجيم بدل الحاء .

(٢) زبينة (بالزاى والباء الموحدة ثم الياء والنون) : فعيلة من الزبن ، والنسب إليها زبانى على غير قياس . ولو سمى به رجل لقيل فى النسب إليه زبنى على القياس .

(٣) وقيل إنما قالت بنت الأحب هذا الشعر فى حرب كانت بين بنى السباق بن عبد الدار وبين بنى على بن سعد بن تيم حين تفانوا ولحقت طائفة من بنى السباق بعك فهم فيهم ، ويقال إنه أول بغى كان فى قريش . (عن الروض الأنف) .

(٤) يبور : يهلك .

(٥) العصم : الوعول ، لأنها تعتصم بالجبال .

(٦) ثبير : جبل بمكة .

(٧) بنيتها : يعنى الكعبة . والحبير : ضرب من ثياب اليمن موشى .

يَمْشى إليها حافياً بفنائها أَلْفا بَعيرْ
وَيَظَلّ يُطعِم أهلَها لحمَ المَهارى[1] والجَزورْ
يَسْقِيهم العسلَ المُصَفَّى والرَّحِيضَ[2] من الشعيرْ
والفيل أهلكَ جيشَه يُرْمَوْن فيها بالصُّخُورْ
٥ والمُلْك فى أقصى البلاد وفى الأعاجم والخزيرْ[3]
فاسمع إذا حُدِّثتَ وافـهم كيف عاقبة الأمورْ

قال ابن هشام : يوقف على قوافيها لا تعرب[4] .

دعوة تبان قومه إلى النصرانية وتحكيمهم النار بينهم وبينه

ثم خرج منها متوجهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحَبْرين ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبَوْا عليه ، حتى يحاكموه إلى
١٠ النار التى كانت باليمن .

قال ابن إسحاق : حدّثنى أبو مالك بن ثعْلَبة بن أبى مالك القُرَظِىّ ، قال سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث :

أن تبعاً لمّا دنا من اليمن ليدخلها حالت حِمْير بينه وبين ذلك ؛ وقالوا : لا تدخلها علينا ، وقد فارقت ديننا ؛ فدعاهم إلى دينه وقال : إنه خير من دينكم ؛
١٥ فقالوا : فحاكِمْنا إلى النار ؛ قال : نعم . قال : وكانت باليمن — فيما يزعم أهل اليمن — نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالمَ ولا تضرّ المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقرّبون به فى دينهم ، وخرج الحَبْران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلّدَيْها ، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فذَمَرهم[5] مَنْ حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصبر لها ،

---

٢٠ (١) المهارى : الابل العراب النجيبة .
(٢) الرحيض : المنقى ، والمصفى .
(٣) كذا فى شرح السيرة . والخزير : أمة من العجم ، ويقال لهم الخزر أيضاً . وفى ا : « الجزير » . قال أبو ذر : « ويحتمل أن يكون جمع جزيرة يلاد العرب » . وفى م ، ر : « الخذير » ولا معنى لها
٢٥ (٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « قال ابن هشام : وهذا الشعر مقيد ، والمقيد : الذى لا يرفع ولا ينصب ولا يخفض » .
(٥) ذمرهم : حضهم وشجعهم .

فصبروا حتى غَشِيَتْهم ، فأكلت الأوثان وما قرّبوا معها ، ومَنْ حمل ذلك من رجال حِمْير ، وخرج الحَبْران بمصاحفهما فى أعناقهما تَعْرَق جباههما لم تضرّهما ، فأصفقت[1] عنـد ذلك حمير على دينه ؛ فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن إسحاق :

وقد حدثنى محدّث أن الحَبْرين ، ومَنْ خرج من حمير ، إنما اتبعوا النار ليردّوها ، وقالوا : من ردّها فهو أولى بالحقّ . فدنا منها رجال من حِمْير بأوثانهم ليردّوها ، فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردّها ، ودنا منها الحَبْران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة وتنكُص عنهما ، حتى ردّاها إلى مخرجها الذى خرجت منه ، فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما ، والله أعلم أى ذلك كان .

رئام وما صار إليه

قال ابن إسحاق :

وكان رئام[2] بيتاً لهم يعظّمونه، و ينحرون عنده، و يُكلَّمون [منه][3] إذ كانوا على شركهم ؟ فقال الحَبْران لتُبّع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك ، فخلّ بيننا و بينه ؛ قال : فشأنكما به ، فاستخرجا منه ــ فيما يزعم أهل اليمن ــ كلباً أسود فذبحاه ، ثم هدما ذلك البيت ، فبقاياه اليوم ــ كما ذُكر لى ــ بها آثار الدماء التى كانت تُهْراق عليه .

ملك ابنه حسان بن تبان وقتل عمرو أخيه [له][4]

سبب قتله

فلما ملك ابنه حسان بن تِبَان أسعد أبى كَرِب سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرضَ العرب وأرضَ الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق ــ

(١) يقال : أصفقوا على الأمر ، إذا اجتمعوا عليه .

(٢) بيت رئام : اسم لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسونها منه . مأخوذ من رأم الأنثى ولدها ، وذلك إذا عطفت عليه ورحمته .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

قال ابن هشام : بالبَحْرين ، فيما ذَكر لى بعضُ أهل العلم – كرهتْ حِمْير وقبائلُ اليمن المسيرَ معه ، وأرادوا الرّجعة إلى بلادهم وأهليهم ، فكلّموا أخاً له يقال له عمرو ، وكان معه فى جيشه ، فقالوا له : أُقتل أخاك حسّان وتملّكك علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم . فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعَين[1] الحميرىّ ،

٥ فإنه نهاه عن ذلك ، فلم يقبل منه ، فقال ذو رُعَين :

ألاَ مَنْ يشترى سَهرًا بنوم ... سَعيدٌ من يبيت قريرَ عَيْنِ[2]

فإمّا حِمْيرٌ غدرتْ وخانت ... فمعــذرةُ الإله لذى رُعَين

ثم كتبهما فى رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عَمْراً ، فقال له : ضع لى هذا الكتاب عندك ، ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسّان ، ورجع بمن معه إلى اليمن ؛

١٠ فقال رجل من حمير :

لاهِ[3] عَينا الذى رأى مثل حسّا ... ن قتيلاً فى سالف الأحْقابِ

قتلته مَقاوِلٌ[4] خشيةَ الحَبْــ ... ـس غداةً قالوا : لبَابِ لَبابِ

مَيْتكم خيرنا وحَيّكمُ ربٌّ ... علينا وكلّكم أربابى

قال ابن إسحاق : وقوله لباب لباب : لابأس لابأس ، بلغة حمير[5] . قال

١٥ ابن هشام : ويروى : لِبَاب لِبَاب .

قال ابن إسحاق :

ندم عمرو وهلاكه

فلما نزل عمرو بن تِبان اليمنَ مُنع منه النوم ، وسُلّط عليه السهر ، فلما جَهَده

---

(١) رعين : تصغير رعن . والرعن : أنف الجبل . وقيل : رعين : جبل باليمن ، وإليه ينسب ذو رعين هذا .

٢٠ (٢) فى البيت حذف تقديره : من يشترى سهراً بنوم غير سعيد بل من يبيت قرير عين هو السعيد ، فحذف الخبر لدلالة أوله الكلام عليه .

(٣) أراد : لله ، وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل ، وهذا حذف كثير ، ولكنه جار فى هذا الاسم خاصة لكثرة وروده على الألسنة .

(٤) يريد الأقيال ، وهم الذين دون التبابعة ، واحدهم قيل (مثل سيد ، ثم خفف) . وقال

٢٥ أبو ذر : المقاول : الذين يخلفون الملوك إذا غابوا .

(٥) وقيل : هى كلمة فارسية معناها : الفقل ، والقفل : الرجوع .

ذلك سأل الأطباء والحُزاة[1] من الكهّان والعرّافين[2] عما به ؛ فقال له قائل منهم : إنه والله ما قتل رجل قطُّ أخاه ، أو ذا رَحِمه بغياً على مثل ما قتلتَ أخاكَ عليه ، إلا ذهب نومُهُ ، وسُلِّط عليه السهر . فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسّان من أشراف اليمن ، حتى خلَص إلى ذى رُعَين ، فقال له ذو رُعَين : إن لى عندك براءةً ؛ فقال : وما هى ؟ قال : الكتاب الذى دفعتُ إليك ؛ فأخرجه فإذا فيه البيتان ، فتركه ورأى أنه قد نصحه . وهلك عمرو ، فمرِج[3] أمْرُ حِمْيَر عند ذلك وتفرّقوا .

وثوب لخنيعة ذى شناتر على ملك اليمن

توليه الملك وشىء من سيرته ثم قتله

فوثب عليهم رجل من حِمْيَر لم يكن من بيوت المملكة ، يقال له لَخْنيعة[4] ينوف ذو شَنَاتر[5] ، فقتل خِيارَهم ، وعبِث ببيوت أهل المملكة منهم ؛ فقال قائل من حِمْيَر للخنيعة :

تقتّل أبناها وتَنْفِى سَرَاتَها ... وتبنى بأيديها لها الذلَّ حِمْيَرُ

تُدَمِّرُ دُنياها بطَيْش حُلُومِها ... وما ضيّعت من دينها فهو أكثر

كذاكَ القُرون قبل ذاكَ بظلمها ... وإسرافها تأتى الشرورَ فتخسَر

وكان لَخْنيعة امرأً فاسقاً يعمل عملَ قوم لوط ، فكان يُرسل إلى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه فى مَشْرُبة[6] له قد صنعها لذلك ، لئلاّ يَملِكَ بعد ذلك . ثم يطّلع من مشربته تلك إلى حَرَسه ومَنْ حضر من جنده ، قد أخذ مِسْواكاً

(١) الحزاة : الذين ينظرون فى النجوم ويقضون بها ، واحدهم حاز .
(٢) العرافون : ضرب من الكهان يزعمون أنهم يعرفون من الغيب مالا يعرف الناس .
(٣) اختلط والتبس ، وفى ا : « هرج » ، وفى م ، ر : « مرج » .
(٤) قال ابن دريد : المعروف فيه : لخيعة (بغير نون) . مأخوذ من اللخع ، وهو استرخاء اللحم .
(٥) الشناتر : الأصابع ، بلغة حمير .
(٦) المشربة : الغرفة المرتفعة .

فجعله فى فيه ، أى ليُعْلمهم أنه قد فرغ منه . حتى بعث إلى زُرْعَةَ ذى[1] نُواس ابن تِبَان أسعد أخى حسّان ، وكان صبيّا صغيرًا حين قُتل حسّان ، ثم شبّ غلامًا جميلا وسيما[2] . ذا هيئة وعقل ؛ فلما أتاه رسولُه عرف مايريد منه ، فأخذ سكّيناً حديداً لطيفاً ، فخبّأه بين قدمه ونعله ، ثم أتاه . فلما خلا معه وثب إليه ، فواثبه ذو نواس ، فوجأه[3] حتى قتله ، ثم حزّ رأسه ، فوضعه فى الكُوّة التى كان يُشرف منها ، ووضع مِسْواكه فى فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نواس ، أرَطْب أمْ يَبَاس[4] ؟ فقال : سَلْ نَخْماس[5] استرطبان[6] ذو نواس . استرطبان لا باس[7] ـ قال ابن هشام : هذا كلام حِمْير . ونخماس : الرأس[8] ـ فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لَخْنيعة مقطوع ، فخرجوا فى إثر ذى نواس حتى أدركوه ، فقالوا : ما ينبغى أن يملكنا غيرك : إذ أرَحْتنا من هذا الخبيث .

---

(١) زرعة : هو من قولهم : زرعك الله : أى أنبتك ، وسموا بزارع كما سموا بنابت ، وسمى ذا نواس ، لأنه كان له غديرتان من شعر كانتا تنوسان : أى تتحركان وتضطربان .

(٢) وسيما : حسنا .

(٣) وجأه : ضربه .

(٤) يباس : يبس .

(٥) كذا فى ا وشرح السيرة ، وقد نبه السهيلى : فى كتابه «الروض الأنف» على أن هذا هو الصحيح ، ويروى بالنون (أو بالتاء) مع حاء مهملة ، وبهذه الرواية الأخيرة ورد فى م، ر .

(٦) يقال : إن هذه كلمة فارسية ومعناها : أخذته النار .

(٧) كذا وردت هذه العبارة بالأصل ، وهى غير واضحة . وسياقها فى الأغانى : « كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة ، وقد لاط به قطعوا مشافر ناقته وذنبها ، وصاحوا به : أرطب أم يباس ، فلما خرج ذو نواس من عنده ، وركب ناقة له يقال لها السراب . قالوا : ذونواس ، أرطب أم يباس ؟ فقال : ستعلم الأحراس ، است ذى نواس ، است رطبان أم يباس » . فلعل مافى الأصل هنا محرف عن هذا .

(٨) وقيل : نخماس : رجل كان منهم ثم تاب ، يعنى أنه كان يعمل عمل لخنيعة .

ملك ذى نواس

فملكوه، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن، فكان آخرَ ملوك حِمير، وهو صاحب الأخدود[1]، وتَسمّى يوسف، فأقام فى ملكه زماناً.

النصرانية بنجران

وبنَجْران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الإنجيل، أهل فضل، واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر، ٥
وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران، وهى بأوسط أرض العرب فى ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها، وذلك أنّ رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين ـ يقال له فَيْمِيُون[2] ـ وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه، فدانوا به.

ابتداء وقوع النصرانية بنجران

فيميون وصالح ونشر النصرانية بنجران

قال ابن إسحاق: حدثنى المغيرة بن أبى لبيد مولى الأَخْنس عن وهب ١٠
ابن مُنَبّه اليمانى أنه حدّثهم:

أن موقع ذلك الدين بِنَجْران كان أنّ رجلاً من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فَيْمِيُون، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً فى الدنيا، مجاب الدعوة، وكان سائحاً ينزل بين القرى، لا يُعْرَف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها، وكان لا يأكل إلا من كَسْب يديه، وكان بنّاء يعمل الطين ١٥

---

(١) ويقال إن الذين خدوا الأخدود ثلاثة: تبع صاحب اليمن، وقسطنطين بن هلانى (وهلانى أمه) حين صرف النصارى عن التوحيد إلى عبادة الصليب، وبختنصر من أهل بابل، حين أمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وأصحابه، فألقاهم فى النار.

(٢) فى الروض الأنف: «نيمؤن» وفى الطبرى: «قيمؤن» بالقاف، وقيل إن اسمه ٢٠
يحيى، وكان أبوه ملكا فتوفى، وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه، ففرّ من الملك ولزم السياحة.

وكان يعظّم الأحد ، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً ، وخرج إلى فَلاة من الأرض فصلّى بها حتى يُمسى . قال : وكان فى قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ، ففَطِن لشأنه رجلٌ من أهلها يقال له صالح ، فأحبّه صالح حبًّا لم يحبّه شيئاً كان قبلَه ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطُن له فَيْمِيون ؛ حتى خرج مرّة فى يوم الأحد إلى فلاة من الأرض ، كما كان يصنع ، وقد أتبعه صالح وفَيْمِيُون لا يدرى ، فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه ، لا يحب أن يعلم بمكانه . وقام فيميون يصلى ، فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه التِّنِّين ـ الحية ذات الرءوس السبعة[1] ـ فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها، فخافها عليه، فعِيلَ عَوْلُه[2]، فصرخ : يا فيميون، التنين قد أقبل نحوك ؛ فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها ، وأمسى فانصرف . وَعَرف أنه قد عُرِف ، وعرف صالح أنه قد رآى مكانه ؛ فقال [له : يا][3] فيميون ، تعلم والله أنى ما أحببتُ شيئا قطُّ حبَّكَ ، وقد أردت صحبتك، والكينونة معك حيث كنت ؛ فقال : ما شئتَ ، أمرى كما ترى ، فإن علمتَ أنك تقوى عليه فنعم ؛ فلزمه صالح . وقد كاد أهل القرية يفطُنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه[4] العبدُ به الضُّرّ دعا له فشُفِي ، وإذا دُعِى إلى أحد به ضر لم يأته ؛ وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير ، فسأل عن شأن فَيْمِيون فقيل له : إنه لا يأتى أحداً دعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأَجْر . فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه فى حجرته وألقى عليه ثوبًا ، ثم جاءه فقال له : يا فيميون ، إنى قد أردت أن أعمل فى بيتى عملاً فانطلق معى إليه حتى تنظر إليه ، فأُشارِطك عليه . فانطلق معه ، حتى دخل

---

(١) يعنى بالرءوس هنا : القرون . (عن شرح السيرة) .

(٢) عيل عوله : أى غلب على صبره ، يقال : عاله الأمر ، إذا غلبه .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) كذا فى م، ر ، ط ، والطبرى . وفى ا ، ومعجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٧٥٢ طبع أوربا) : « فاء جاءه » .

حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن تعمل في[1] بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ؛ ثم انتَشَطَ[2] الرجلُ الثوب عن الصبي ، ثم قال له : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له . فدعا له فيميون ، فقام الصبي ليس به بأس . وعرف فيميون أنه قد عُرف فخرج من القرية وأتبعه صالح ، فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مرّ بشجرة عظيمة . فناداه منها رجل فقال : يا فيميون ؛ قال : نعم ؛ قال : مازلتُ أنظرك[3] وأقول متى هوجاء، حتى سمعتُ صوتكَ، فعرفت أنك هو، لاتبرحْ حتى تقوم عليّ، فإني ميّت الآن ؛ قال : فمات وقام عليه حتى واراه ، ثم انصرف . وتبعه صالح، حتى وطئا بعضَ أرض العرب ، فعدَوْا عليهما . فاختطفتهما سيّارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنَجْران ، وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لها عيد في كل سنة ، إذا كان ذلك العيد علّقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحليّ النساء ، ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها يوماً . فابتاع فيميونَ رجلٌ من أشرافهم ، وابتاع صالحاً آخرُ .

فكان فيميون إذا قام من الليل يتهجّد في بيت له ـ أسكنه إياه سيّده ـ يصلّي، استسرج له البيتُ نوراً حتى يصبح من غير مصباح ؛ فرأى ذلك سيّده فأعجبه مايرى منه ، فسأله عن دينه فأخبره به ، وقال له فيميون : إنما أنتم في باطل ، إن هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلٰهي الذي أعبده لأهلكها ، وهو الله وحده لا شريك له . قال : فقال له سيده : فافعل ، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك ، وتركنا ما نحن عليه . قال : فقام فيميون، فتطهّر وصلّى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحاً فجعفَتْها[4] من أصلها فألقتها ، فاتبعه عند ذلك أهل نَجْران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام ، ثم

(1) كذا في الطبري . وفي جميع الأصول : « من » .
(2) انتشط الثوب : كشفه بسرعة .
(3) في الطبري : أنتظرك . والنظر والانتظار بمعنى .
(4) جعفتها : قلعتها وأسقطتها .

دخلت عليهم الأحداث التى دخلت على أهل دينهم بكل أرض . فمن هنالك كانت النصرانية بِنَجْران فى أرض العرب .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وَهْب بن مُنَبّه عن أهل نجران .

أمر عبد الله بن الثامر وقصة أصحاب الأخدود

فيميون وابن الثامر واسم الله الأعظم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، وحدّثنى أيضاً بعض أهل نَجْران عن أهلها :

أن أهل نَجْران كانوا أهلَ شِرْك يعبدون الأوثان ، وكان فى قرية من قُراها قريباً من نَجْران — ونجران : القرية العُظْمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد — ساحرٌ يعلِّم غلمان أهل نجران السحرَ . فلما نزلها فَيْمِيُون — ولم يسمُّوه لى باسمه الذى سمّاه به وَهْب بن مُنَبِّه ، قالوا : رجل نزلها — ابتنى خيمةً بين نجران وبين تلك القرية التى بها الساحر ، فجعل أهل نجران يُرْسِلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلّمهم السحر ، فبعث إليه الثّامرُ ابنَه عبدَ الله بن الثامر، مع غلمان أهل نجران ؛ فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويسمع منه ، حتى أسلم ، فوحّد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الإسلام ، حتى إذا فقُه فيه جعل يسأله عن الاُسم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكتمه إياه ، وقال [له] : يابن أخى ، إنك لن تحملَه ، أخشَى عليك ضعفَك عنه . والثامر أبو عبد الله لايظنّ إلا أنّ ابنَه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبدُ الله أنّ صاحبَه قد ضنّ به عنه،وتخوّف ضعفَه فيه،عمَد إلى قداح فجمعها، ثم لم يُبْقِ لله اسماً يعلمه إلا كتبه فى قِدْح[1]، لكلّ اسمٍ قِدْحٌ ، حتى إذا أحصاها

---

(1) القدح : السهم .

أوقد لها ناراً ، ثم جعل يقذفها فيها قِدْحاً قِدْحاً ، حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقِدْحه ، فوثب القِدْح حتى خرج منها لم تضرّه شيئاً ، فأخذه ثم أتى صاحبَه فأخبره بأنّه قد علِم الأسمَ الذى كتمه ؛ فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ؛ قال : وكيف علِمْتَه ؟ فأخبره بما صنع ؛ قال : أى ابنَ أخى ، قد أصبتَه فأمْسِك على نفسك ، وما أظنّ أن تفعل . ٥

ابن الثامر ودعوته إلى النصرانية بنجران

فجعل عبد الله بن الثّامر إذا دخل نَجْرَان لم يَلْقَ أَحَدًا به ضرٌّ إلا قال [له] [1] : يا عبد الله ، أتوحِّد الله وتدخل فى دينى وأدعو الله فيعافيك ممّا أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ؛ فيوحِّد الله ويُسلم ، ويدعو له فيُشفَى . حتى لم يبق بِنَجْران أحدٌ به ضرّ إلا أتاه ، فاتّبعه على أمره ، ودعا له فعُوفى ؛ حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال [له] [1] : أفسدتَ عَلَىَّ أهلَ ١٠ قَرْيتى ، وخالفتَ دينى ودينَ آبائى ، لأُمثلنّ بك ؛ قال : لا تقدر على ذلك . قال : فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل فيُطْرَح على رأسه فيقع إلى الأرض ليس به بأس ؛ وجعل يبعث به إلى مياه بِنَجْران ، بُحورٍ لا يقع فيها شىء إلا هلك ، فيُلْقَى فيها فيخرج ليس به بأس . فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلى حتى توحِّد الله فتؤمن بما آمنتُ به ، فإنك إن فعلت ١٥ ذلك سُلِّطْت علىّ فقتلتنى . قال : فوحّد الله تعالى ذلك الملكُ ، وشهد شهادةَ عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصاً فى يده فشجّه شجّةً غيرَ كبيرة فقتله ، ثم هلك الملك مكانَه ؛ واستجمع أهلُ نَجْران على دين عبد الله بن الثّامر ، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحُكْمِه ، ثم أصابهم مثلُ ما أصاب أهلَ دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بِنَجْران ، ٢٠ والله أعلم بذلك .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القُرَظِىّ ، وبعضِ أهلِ نَجْران عن عبد الله بن الثامر ، والله أعلم أىّ ذلك كان .

---

(١) زيادة عن ا والطبرى .

ذونواس وخد الأخدود

فسار إليهم ذو نواس بجنوده فدعاهم إلى اليهودية ، وخيّرهم بين ذلك والقتل ، فاختاروا القتل ، فخدّ لهم الأخدودَ ، فحرق من حرق بالنار . وقتل بالسيف ، ومثّل بهم ، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً . ففى ذى نواس وجنده تلك أنزل اللهُ تعالى على رسوله سيّدنا محمد صلَّى الله عليه وسلّم : « قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » .

الأخدود لغة

قال ابن هشام :

الأُخْدُود : الحفر المستطيل فى الأرض ، كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه أخاديد . قال ذو الرمّة ، واسمهُ غَيْلان بن عُقْبة ، أحد بنى عدىّ بن عبد مناف ابن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر :

مِنَ العراقيّة اللاتى يُحيل لها[1] بين الفلاة و بين النخل أُخْدودُ

يعنى جدولاً . وهذا البيت فى قصيدة له . قال : ويقال لأثر السيف والسكين فى الجلد وأثَر السوط ونحوه : أُخْدود ، وجمعه أخاديد .

مقتل ابن الثامر

قال ابن إسحاق : ويقال : كان فيمن قَتل ذو نُوَاس عبدُ الله بن الثامر ، رأسُهم و إمامُهم[2] .

مايروى عن ابن الثامر فى قبره

قال ابن إسحاق حدّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم[3] أنه حُدّث :

أن رجلاً من أهل نَجْران كان فى زمان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه حفر خَرِبَةً من خَرِب نَجْران لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحتَ دَفْن منها قاعدًا ، واضعاً يده على ضَرْبة فى رأسه ، ممسكاً عليها بيده ، فإذا أُخرتْ يده

---

(١) يحيل لها : يصب لها ، يقال : أحال الماء فى الحوض ، إذا صبه .

(٢) ويقال : إنما قتل عبد الله بن الثامر قبل ذلك ، قتله ملك كان قبل ذى نواس هو أصل ذلك الدين ، وإنما قتل ذو نواس من كان بعده من أهل دينه . (راجع الطبرى) .

(٣) قال ابن سعد : كان ثقة كثير العلم عالما ، توفى سنة ١٣٥ هـ ، وقيل سنة ١٣٣ هـ . وكان عمره سبعين سنة .

عنها تنبعث[1] دمًا ، وإذا أُرْسلت يده ردّها عليها، فأمسكت دمَها، وفى يده خاتم مكتوب فيه : «ربى الله» فكُتِب فيه إلى عمرَ بنِ الخطّاب يُخبَر بأمره ، فكتب إليهم عمرُ رضى الله عنه : أن أَقِرُّوهُ على حاله ، وردُّوا عليه الدفنَ الذى كان عليه ، ففعلوا[2] .

أمر دوس ذى ثعلبان وابتداء ملك الحبشة وذكر أرياط المستولى على اليمن

٥

فرار دوس واستنصاره بقيصر

قال ابن إسحاق :

وأفلت منهم رجلٌ من سبأ ، يقال له : دَوْس ذو ثَعْلبان[3] ، على فرس له ، فسلك الرملَ فأعجزهم ؛ فمضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قيصرَ ملكَ الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ؛ فقال له : بَعُدَتْ بلادُك منّا ، ولكنى سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره .

١٠

انتصار أرياط وهزيمة ذى نواس وموته

فقدم دَوْس على النّجاشىّ بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمّر عليهم رجلاً منهم يقال له أرياط ، ومعه فى جنده أبْرهة الأشرم ؛ فركب أرياط البحرَ حتى نزل بساحل اليمن ، ومعه دوس ذوثَعْلبان ، وسار إليه ذونُواس

١٥

---

(١) فى ا : « تثبت » . وتثعبت : سالت .

(٢) ومن ذلك ماروى من أن حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وجده معاوية حين حفر العين صحيحاً لم يتغير ، وأن الفأس أصابت إصبعه فدميت ، وكذلك ماروى عن أبى جابر عبد الله بن حرام ، وعمرو بن الجموح ، وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم ، وقد أفاض المفسرون فى ذلك عند الكلام على تفسير قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا » . (الآية) .

٢٠

(٣) ويقال : إن الذى أفلت هو جبار بن فيض ، من أهل نجران ، والأصح ماروا ابن إسحاق . (راجع الطبرى) .

فى حِمْير ، ومَنْ أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابُه .
فلما رأى ذو نواس ما نزل به و بقومه وجه فرسَه فى البحر . ثم ضربه فدخل
به ، فخاض به ضَحْضاحَ[1] البحر ، حتى أفضى به إلى غَمْره ، فأدخله فيه ، وكان
آخرَ العهد به . ودخل أَرْياط اليمنَ فملكها[2] .

شعر فى دوس وما كان منه

٥ فقال رجل من أهل اليمن ـ وهو يذكر ماساق إليهم دَوْس من أمر الحبشة:

« لا كدَوْسٍ ولا كأعلاق رَحْلِهْ »[3]

فهى مثل باليمن إلى هذا اليوم . وقال ذو جَدَن الحميرىّ :

هونكِ[4] ليس يردّ الدمعُ مافاتا لاتَهْلِكِى أسفاً فى إثر مَنْ ماتا

أبعد بَيْنونَ لا عينٌ ولا أثر وبعد سِلْحين يبنى الناسُ أبياتا

١٠ بَيْنون وسِلْحِين وغُمْدان[5] : من حصون اليمن التى هدمها أرياط ، ولم يكن فى
الناس مثلها . وقال ذو جدن أيضاً :

---

(١) الضحضاح من الماء : الذى يظهر منه القعر .

(٢) هذه رواية ابن إسحاق فى مقتل ذى نواس ، ودخول الحبشة اليمن، ساقها عنه
ابن هشام . وأما غير ابن إسحاق فيقولون : إن ذا نواس أدخل الحبشة صنعاء اليمن حين رأى
١٥ أن لا قبل له بهم بعد أن استنفر جميع المقاول ليكونوا معه يداً واحدة عليهم ، فأبوا إلا أن
يحمى كل واحد منهم حوزته على حدته ، فخرج إليهم ، ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله ، على أن
يسالموه ومن معه ولا يقتلوا أحداً ، فكتبوا إلى النجاشى بذلك ، فأمرهم أن يقبلوا ذلك منه ،
فدخلوا صنعاء ودفع إليهم المفاتيح، وأمرهم أن يقبضوا ما فى بلاده من خزائن أمواله ، ثم كتب
ذو نواس إلى كل موضع من أرضه أن اقتلوا كل ثور أسود ، فقتل أكثر الحبشة ، فلما بلغ
٢٠ ذلك النجاشى وجه إليهم جيشاً ، وعليه أرياط ، وأمره أن يقتل ذا نواس ، ويخرب ثلث بلاده
ويقتل ثلث الرجال ويسبي ثلث النساء والذرية ففعلوا ذلك ، ثم كان ما كان من اقتحام ذى نواس
البحر ، وقيام ذى جدن بعده . (راجع الطبرى والروض الأنف) .

(٣) الأعلاق : جمع علق ، وهو النفيس من كل شيء : يريد ماحمله دوس إلى الحبشة
من النجدة .

٢٥ (٤) كذا فى أكثر الأصول والطبرى . يريد ترفقى وليهن عليك هذا الأمر . وفى ا ،
وتواريخ مكة للأزرقى : « هونكما لن . . . الخ » . وهو من باب قول العرب للواحد افعلا ،
وهو كثير فى القرآن والكلام .

(٥) ستذكر فيما سيلى من شعر ذى جدن.

دَعينى لا أبالكِ لن تُطيقى[1] لحاكِ اللهُ قد أنزفْتِ ريقِى[2]

لَدَى عَزْف القِيان إذا انتشينا وإذ نُسْقَى من الخمر الرحيق[3]

وشُرْبُ الخمرِ ليس علىّ عاراً إذا لم يَشْكُنى فيها[4] رَفيقى

فإنّ الموتَ لا ينهاه ناهٍ ولو شَرِب الشفاء مع النَّشُوق[5]

ولا مُترهِّبٌ فى أُسْطوان[6] يناطح جُدْرَه بَيْضُ الأنوق[7] ٥

وغُمْدان[8] الذى حُدِّثتِ عنه بَنَوْه مُسَمَّكاً فى رأس نِيق[9]

بِمَنْهَمةٍ[10] وأسفلهُ جُرونٌ[11] وحُرُّ[12] المَوْحَلِ[13] اللثقِ الزليق[14]

مصابيح السَّليط[15] تلوح فيه إذا يُمسى كتَوْماض البُروق

---

(١) أى لن تطيق صرفى بالعذل عن شأنى .

(٢) أى أكثرت على من العذل حتى أيبست ريق بفمى . وقلة الريق من الحصر ، وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش . ١٠

(٣) الرحيق : المصفى الخالص .

(٤) فى ا : « فيه » .

(٥) كذا فى ا والطبرى . والشفاء (بالكسر) : مايتداوى به فيشفى ، تسمية للسبب باسم المسبب . والنشوق : ما يشم من الدواء ويجعل فى الأنف . يريد : ولو شرب كل دواء يستشفى به ، ونشق كل نشوق مانهى ذلك الموت عنه . وفى سائر الأصول: «الشفاء مع السويق» . ١٥

(٦) الأسطوان : جمع أسطوانة ، وهى السارية . وأراد بها هاهنا موضع الراهب المرتفع .

(٧) الأنوق : الرخم ، وهى لاتبيض إلا فى الجبال العالية .

(٨) غمدان : حصن كان لهوذة بن على ملك اليمامة .

(٩) مسمكا : مرتفعا . والنيق : أعلى الجبل . ٢٠

(١٠) المنهمة : موضع الرهبان . ويقال للراهب : نهامى ، كما يقال للنجار أيضاً نهامى ، فتكون المنهمة على هذا موضع النجر أيضاً .

(١١) كذا فى أكثر الأصول . والجرون : جمع جرن ، وهو النقير . وفى ا ، والطبرى : « جروب » . والجروب : الحجارة السود .

(١٢) الحر : الخالص من كل شىء . ٢٥

(١٣) الموحل : من الوحل ، وهو الماء والطين . ويروى : « الموجل » بالجيم المفتوحة . وهى الحجارة الملس السود ، أو هى واحدة المواجل ، وهى مناهل الماء .

(١٤) اللثق : الذى فيه بلل . والزليق : الذى يزلق فيه . وقد زادت ا بعد هذا البيت :

بمرمرة وأعلاه رخام تمام لايغيب فى الشقوق

(١٥) السليط : الدهن . ٣٠

ونَخْلتهُ التى غَرَسَتْ إليـــه ... يكاد البُسْر يَهْصِر[1] بالعذُوق

فأصبح بعـــدَ جِدَّته رماداً ... وغَـــيَّر حسنَه لهبُ الحريق

وأســـلم ذو نواس مُستكيناً[2] ... وحـــذَّر قومَه ضَنْكَ المَضِيق

وقال ابن الذِّئبة الثقفى فى ذلك . قال ابن هشام : الذئبة أُمه ، وأُسمه ربيعة ابن عَبْد ياليل بن سالم بن مالك بن حُطَيْط بن جُشَم بن قَسِىّ :

لَعَمْرك ما للفتى من مَفَرّْ ... مع الموت يلحقه والكِبَرْ

لعمرك ما للفـــتى صُحْرة[3] ... لعمرك ما إنْ له من وَزَرْ[4]

أبعد قبـائلَ من حِمْيَر ... أُبِيدُوا صباحاً بذات العَبَر[5]

بألْفِ ألُوفٍ وحُـــرَّابة[6] ... كمثل السماء قُبَيْلَ المطر

يُصِمّ صياحُهم المُقْرَبات[7] ... وينفون من قاتلوا بالذَّفَر[8]

سَعالِىَ[9] مثلُ عديد الترا ... ب تَيبس منهم رِطابُ الشجر

وقال عمرو بن مَعْدِى كَرِب[10] الزُّبَيْدِىّ فى شىء كان بينه وبين قَيْس

---

(١) يهصر : يميل . والعذوق : جمع عذق . والعذق (بكسر العين) : الكباسة ، (وبفتحها) : النخلة ، والمعنى الثانى أبلغ هنا .

(٢) مستكينا : خاضعا ذليلا .

(٣) الصحرة : المتسع ، أخذ من لفظ الصحراء .

(٤) الوزر : الملجأ . ومنه اشتق الوزير لأن الملك يلجأ إلى رأيه .

(٥) ذات العبر : ذات الحزن ، ويقال : عبر الرجل (من باب علم) ، إذا حزن ، ويقال: لأمه العبر ، كما يقال لأمه الثكل ، وذات العبر : اسم من أسماء الداهية .

(٦) الحرابة : أصحاب الحراب .

(٧) المقربات : الخيل العتاق التى لا تسرح فى الرعى ، ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو .

(٨) كذا فى الأصول ، وتواريخ مكة للأزرقى . والذفر : الرائحة الشديدة . يريد أنهم بريحهم وأنفاسهم يتقون من قاتلوا ، وهذا إفراط فى وصفهم بالكثرة ، بل بنتن آباطهم وخبيث رائحتهم ، لأن السودان أنتن الناس آباطا وأعراقا . وفى الطبرى : « بالزمر » والزمر : جمع زمرة ، وهى الجماعة من الناس .

(٩) سعالى : جمع سعلاة ، وهى من الجن ، أو هى الساحرة منها .

(١٠) معدى كرب : معناه بالحميرية وجه الفلاح . ومعدى : وجه . والكرب : الفلاح .

ابن مَكْشوح[1] المُرادىّ فبلغه أنه يتوعّده ، فقال يذكر حِمْير وعزّها وما زال من مُلْكها عنها :

أَتُوعِدنى كأنّكَ ذو رُعَيْنٍ ... بأفضل عِيشةٍ ، أو ذونُوَاسِ
وكائِنْ كان قبلك من نَعيمٍ ... ومُلْكٍ ثابتٍ فى الناس رَاسى
قديمٍ عهدُه من عَهْد عادٍ ... عظيمٍ قاهرِ الجَبَروت قاسى
فأمْسى أهلُه بادُوا وأمسى ... يُحوَّل من أُناسٍ فى أناس

نسب زيد

قال ابن هشام : زُبَيْد بن سَلَمة بن مازن بن منبّه بن صَعْب بن سعد العشيرة ابن مَذْحِج ، ويقال زُبيد بن منبّه بن صَعْب بن سَعْد العشيرة ، ويقال زُبيد ابن صَعْب . ومُراد : يُحابِر بن مَذْحِج .

سبب قول عمرو بن معدى كرب هذا الشعر

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة قال :

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سَلْمان بن رَبيعة الباهلى ، وباهلة ابن يَعْصُر بن سعد بن قيس بن عيلان ، وهو بأرْمينيَة يأمره أن يُفضِّل أصحابَ الخيلِ العِرَاب على أصحاب الخيل المَقارف[2] فى العطاء ؛ فعرض الخيلَ ، فمرّ به فرس عمرو بن مَعْدِى كَرِب ؛ فقال له سَلْمان : فرسك هذا مُقْرِف ؛ فغضب عمرو، وقال: هجين عرف هجيناً مثلَه ؛ فوثب إليه قيس فتوعّده ؛ فقال عمرو هذه الأبيات[3]

(١) إنما هو حليف لمراد ، واسم مراد : يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج ، ونسبه فى بجيلة ، ثم فى بنى أحمس ، وأبوه مكشوح اسمه : هبيرة بن هلال ، ويقال : عبد يغوث بن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن على بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار ، وأنمار هو والد بجيلة وخثم ، وسمى أبوه مكشوحا لأنه ضرب بسيف على كشحه ، ويكنى قيس أبا شداد ، وهو قاتل الأسود والعنسى الكذاب . وكان قيس بطلا بئيسا ، قتله على — كرم الله وجهه — يوم صفين .

(٢) المقارف : جمع مقرف ، وهو من الخيل الذى أبوه هجين وأمه عتيقة .

(٣) ويقال بل إن عمرا قال هذا الشعر لعمر بن الخطاب حين أراد ضربه بالدرة فى حديث طويل ساقه المسعودى فى كتابه مروج الذهب (ج ١ ص ٣٢٩ — ٣٣٠) .

صدق نبوءة سطيح وشق

قال ابن هشام :

فهذا الذى عَنَى سَطِيح الكاهن بقوله : « ليهبطنّ أرضَكم الحبش ، فليملكُن ما بين أَبْيَن إلى جُرش » . والذى عنى شِقّ الكاهن بقوله : « لينزلنّ أرضكم السودان، فليغلبُنّ على كل طفلة البنان ، وليملكن مابين أَبْيَن إلى نجران».

---

٥ غلب أبرهة الأشرم على أمر اليمن وقتل أرياط

ما كان بين أرياط وأبرهة

قال ابن إسحاق[١] :

فأقام أَرْياط بأرض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ، ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشىّ – [وكان فى جنده] [٢] – حتى تفرقت الحبشة عليهما . فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ، ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس

١٠ أرسَل أبرهةُ إلى أرياط : إنك لا تصنع بأن تَلْقى الحبشةُ بعضها ببعض حتى تفنيها شيئًا ، فابرز إلىّ وأَبْرُز إليك ، فأيّنا أصاب صاحبَه انصرف إليه جندُه . فأرسل إليه أرياط : أنصفتَ . فخرج إليه أبرهة ، وكان رجلا قصيرًا لحيمًا [٣] [حادرا][٤] ، وكان ذا دِين فى النصرانية ؛ وخرج إليه أرياط ، وكان رجلاً جميلاً عظيمًا طويلاً، وفى يده حربة له . وخَلْفَ أبرهة غلامٌ له – يقال له عَتْوَدة[٥] – يمنع

١٥ ظهرَه . فرفع أرياط الحربةَ فضرب أبرهة ، يريد يافوخَه[٦] ، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمتْ حاجبَه وأنفه وعينه وشفته ، فبذلك سُمِّى أبرهة الأشرم ، وحمل عَتْوَدة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى

---

(١) كذا فى أكثر الأصول والطبرى ، وفى ا « ابن هشام » والصواب ما أثبتناه .
(٢) زيادة عن الطبرى .
٢٠ (٣) اللحيم : الكثير لحم الجسد .
(٤) زيادة عن الطبرى . والحادر : السمين الغليظ .
(٥) مأخوذ من العتودة ، وهى الشدة فى الحرب .
(٦) اليافوخ : وسط الرأس .

أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، وَوَدَى[1] أبرهةُ أرياطَ .

غضب النجاشى على أبرهة لقتله أرياط ثم رضاؤه عنه

فلما بلغ ذلك النجاشىَّ غَضِبَ غضباً شديدًا وقال : عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ! ثم حلف لايدع أبرهةَ حتى يطأ بلادَه ، ويجزّ ناصيته . فحلق أبرهةُ رأسَه وملأ جِرابًا من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشىّ ، ثم كتب إليه :

أيها الملك : إنما كان أرياط عبدَك ، وأنا عبدُك ، فاختلفنا فى أمرك ، وكلٌّ طاعتُه لك ، إلا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبَط لها وأسوسَ منه ؛ وقد حلقتُ رأسى كلَّه حين بلغنى قَسَمُ الملك ، و بعثتُ إليه بجراب تراب من أرضى ، ليضعه تحت قدميه ، فيبَرّ قسمه فىّ .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشىّ رضى عنه ، وكتب إليه : أنِ اثبُت بأرض اليمن حتى يأتيَك أمرى . فأقام أبرهة باليمن .

أمر الفيل وقصة النسأة

بناء القليس

ثم إن أبرهة بنَى القُلَّيْس[2] بصنعاء، فبنى كنيسةً لم يُرَ مثلُها فى زمانها بشىء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشىّ إنى قد بنيتُ لك أيها الملك كنيسةً لم يُبْنَ مثلُها لملك كان قبلك ، ولست بمنتَهٍ حتى أصرف إليها حجَّ العرب ، فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشىّ، غضب رجل من النَّسَأة، أحد بنى فُقَيم

---

(1) وداه : دفع ديته .

(2) القليس (بضم القاف وتشديد اللام المفتوحة وسكون الياء) : الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف إليها حج العرب ، وسميت القليس لارتفاع بنائها وعلوها ، ومنه القلانس ، لأنها فى أعلى الرءوس ؛ وقد استذل أبرهة أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة ، وجشمهم فيها ألواناً من السخر ، وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس ، صاحبة سليمان عليه السلام ، وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ ، ومن شدته على العمال كان العامل إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ فى عمله قطعت يده .

ابن عدىّ بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر .

معنى النساة

والنسأة : الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب فى الجاهلية ، فيحلُّون الشهر من الأشهر الحرم ، ويحرّمون مكانه الشهر من أشهر الحلّ ، ويؤخّرون ذلك الشهر . ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : « إِنَّمَا النَّسِىءُ زِيَادَةٌ فِى الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ »

قال ابن هشام :

المواطأة لغة

ليواطئوا : ليوافقوا ؛ والمواطأة : الموافقة ، تقول العرب : واطأتك على هذا الأمر ، أى وافقتك عليه . والإيطاء فى الشعر : الموافقة ، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد ، وجنس واحد ، نحو قول العجّاج ـ واسم العجّاج[1] عبد الله بن رؤبة أحد بنى سَعْد بن زيد مناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابخة ابن إلياس بن مُضَر بن نِزار .

* فى أُثْعُبان الَمنْجَنون المرسَلِ[2] *

ثم قال :

* مدّ الخليج[3] فى الخليج المرسل *

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق :

تاريخ النسء عند العرب

وكان أول من نسأ الشهور على العرب ، فأحلّتْ منها ما أحل ، وحرّمت منها ما حرم الْقَلَمَّس[4] ، وهو حُذَيفة بن عَبْد بن فُقَيْم بن عدىّ بن عامر ابن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خُزَيْمة . ثم قام بعده على ذلك ابنه

---

(١) ويكنى أبو الشعثاء ، وسمى العجاج لقوله : « حتى يعجّ عندها من عجعجا » .

(٢) الأثعبان : ماينفدع من المـاء من شعبه . والمنجنون : أداة السانية .

(٣) الخليج : الحبل ، وهو أيضاً خليج المـاء .

(٤) وسمى القلمس لجوده ، إذ القلمس من أسماء البحر .

[عبّاد][1] بن حذيفة، ثم قام بعد عبّاد: قَلَع بن عبّاد، ثم قام بعد قَلَع: أمية ابن قَلَع، ثم قام بعد أمية: عَوْف بن أمية، ثم قام بعد عوف أبو ثُمَامة جُنادة ابن عوف، وكان آخرَهم، وعليه قام الإسلام[2]، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه، فحرّم الأشهر الحرم الأربعة: رجباً، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرّم. فإذا أراد أن يُحل منها شيئاً أحلّ المحرّم فأحلّوه، وحرّم مكانه صفر فحرّموه، ليواطئوا عدّة الأربعة الأشهر الحُرم. فإذا أرادوا الصَّدَر[3] قام فيهم فقال: اللهم إنى قد أحللت لهم أحد الصَّفَرين، الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المُقْبل[4]. فقال فى ذلك عُمَيْر بن قَيْس جَذْلُ[5] الطِّعان، أحدُ بنى فِراس بن غَنْم [بن ثعلبة] بن مالك بن كنانة، يفخر بالنسأة على العرب:

لقد علمتْ مَعدٌّ أنّ قومى ... كرامُ الناس أنّ لهم كِراما[6]

فأىّ الناس فاتُونا بوِتْرٍ[7] ... وأىّ الناس لم نُعْلِك لجاما[8]

---

(1) زيادة عن ا.

(2) يختلف أهل الخبر فى هل أسلم جنادة هذا أم لم يسلم، غير أن هناك خبراً يدل على إسلامه، وذلك أنه حضر الحج فى زمن عمر فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى: أيها الناس، إنى قد أجرته منكم. فخفقه عمر بالدرة. وقال: ويحك! إن الله قد أبطل أمر الجاهلية.

(3) الصدر: الرجوع من مكة.

(4) كان النسىء عندهم على ضربين، أحدهما ماذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات. والثانى: تأخيرهم الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية، فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما أو أكثر قليلا حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته، ولذلك قال عليه السلام فى حجة الوداع: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض». وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج إلى وقته، ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة غير تلك الحجة، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ولطوافهم بالبيت عراة. (عن الروض الأنف).

(5) سمى عمير كذلك لثباته فى الحرب كأنه جذل شجرة واقف، وقيل لأنه كان يستشفى برأيه، ويستراح إليه كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل تحتك به. وقال أبو عبيدة: جذل الطعان: هو علقمة بن فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة. (راجع الروض الأنف وشرح السيرة).

(6) أى: أباء كراما وأخلاقا كراما.

(7) الوتر: طلب الثأر.

(8) لم نعلك لجاما: يريد لم نقدعهم ونكفهم كما يقدع الفرس باللجام، تقول: أعلكت الفرس لجامه، إذا رددته عن تنزعه فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه.

ألسنا الناسئين على مَعَدّ شهورَ الحِلّ نجعلها حَراما ؟

قال ابن هشام : أول الأشهر الحُرُم[1] المُحرَّم .

قال ابن إسحاق :

إحداث الكنانى فى القليس وحملة أبرهة على الكعبة

فخرج الكنانىّ حتى أتى القُلَّيس فقعد[2] فيها ـ قال ابن هشام : يعنى أحدث فيها ـ قال ابن إسحاق : ثم خرج فَلَحِق بأرضه ، فأُخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ فقِيل له : صنع هذا رجلٌ من العَرب من أهل هذا البيت الذى تحجّ العرب إليه بمكة لمّا سمع قولك : « أصرف إليها حجّ العرب » غضب فجاء فقعد فيها ، أى أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرنّ إلى البيت حتى يهدمَه ، ثم أمَرَ الحبشة فتهيَّأت وتجهّزت ، ثم سار وخُرج معه بالفيل ؛ وسمعتْ بذلك العربُ فأعظموه وفَظِعوا به ، ورأوا جهاده حقًّا عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هَدْمَ الكعبة ، بيتِ الله الحرام .

هزيمة ذى نفر أمام أبرهة

فخرج إليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفْر ، فدعا قومَه ، ومَنْ أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهادِه عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هَدْمه و إخرابه ؛ فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرَض له فقاتله ، فهُزِم ذو نَفْر وأصحابُه ، وأُخِذ له ذو نَفْر فأُتى به أسيرًا ، فلما أراد قتلَه قال له ذو نَفْر : أيها الملك ، لا تقتلنى فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيرًا لك من قتلى ؛ فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق ، وكان أبرهة رجلاً حليمًا .

ما وقع بين نفيل وأبرهة

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثْعَم[3] عرض له نُفَيْل بن حَبيب الخَثْعمىّ فى قَبيلَىْ خَثْعَم : شَهران

---

(1) وقد قيل : إن أول الأشهر الحرم ذو القعدة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ به حين ذكر الأشهر الحرم ، وحجة من قال إنه المحرم هى أنه (أى المحرم) أول السنة .

(2) فى القعود بمعنى الاحداث شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء فى تفسير القعود على المقابر المنهى عنه .

(3) خثعم : اسم جبل سمى به بنو عفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار لأنهم نزلوا عنده

وناهس[1]، ومَنْ تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأُخذ له نُفَيلٌ أسيرًا فأُتى به، فلما همّ بقتله قال له نُفَيل: أيها الملك، لا تقتلنى فإنى دليلك بأرض العرب، وهاتان يداى لك على قبيلَىْ خثعم: شَهْران وناهس بالسمع والطاعة، فخلّى سبيلَه.

ابن معتب وأبرهة

وخرج به معه يدلّه، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعَتِّب ٥ ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سَعْد بن عَوْف بن ثَقِيف فى رجال ثَقِيف.

نسب ثقيف وشعر ابن أبى الصلت فى ذلك

واسم ثقيف قَسِيّ بن النَّبيت بن منبّه بن منصور بن يَقْدُم بن أفْصى ابن دُعْمِيّ بن إياد[2] [بن نزار][3] بن معدّ بن عدنان. قال أمية بن أبى الصَّلْت[4] الثقفىّ:

قومى إيادٌ لو أنهم أَمَمٌ ... أو لو أقاموا فتُهزَلَ النَّعَمُ[5] ١٠
قومٌ لهم ساحة العراق إذا ... ساروا جميعا والقِطّ والقَلَمُ[6]

= وقيل بل لأنهم تخثعموا (تلطخوا) بالدم عند حلف عقدوه بينهم. (راجع الاشتقاق لابن دريد والروض الأنف).

(١) شهران وناهس: هما بنو عفرس من خثعم. ويقال: بل خثعم ثلاث: شهران وناهس وأكلب، غير أن أكلب — عند أهل النسب — هو ابن ربيعة بن نزار، ولكنهم دخلوا فى خثعم ١٥ وانتسبوا إليهم.

(٢) بين النسابين خلاف فى نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى أياد — كما هنا — وبعضهم ينسبهم إلى قيس، كما ينسبهم البعض الآخر إلى ثمود. والكلام على هذا مبسوط فى كثير من المراجع التى بين أيدينا، وقد اكتفينا منه هنا بما أثبتنا.

(٣) زيادة عن ا. والمعروف إن إيادا هذا هو بن نزار بن معد، وليس ابنا لمعد لصلبه، ٢٠ غير أن هناك ابنا لمعد اسمه إياد، وهو عم إياد هذا وليس هو. (راجع الاشتقاق والمعارف والروض الأنف).

(٤) واسم أبى الصلت: ربيعة بن وهب.

(٥) الأمم: القريب. والنعم: الإبل، وقيل: النعم: كل ماشية أكثرها إبل. يريد أى لو أقاموا بالحجاز، وإن هزلت نعمهم، لأنهم انتقلوا عنها لأنها ضاقت عن مسارحهم فصاروا ٢٥ إلى ريف العراق.

(٦) القط: ما قط من الكاغد والرق ونحوه. وقد كانت الكتابة فى هذه البلاد التى ساروا إليها، فقد قيل لقريش: ممن تعلمتم القط؟ فقالوا: تعلمناه من أهل الحيرة وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار.

وقال أُميّة بن أبى الصّلت أيضا :

فإمّا تَسْألى عــنّى لُبَيْنَى   وعن نَسبى أُخبّرْكِ اليَقِينَا

فإنا للنَّبِيت أَبِى قَسِىٍّ   لِمَنْصور بن يَقْدُمَ الأقْدَمِينا

قال ابن هشام :

٥ ثقيف : قَسِىّ بن مُنبّه بن بَكْر بن هَوازن بن مَنْصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة ابن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن معدّ بن عدنان . والبيتان الأوّلان والآخران فى قصيدتين لأميّة .

استسلام أهل الطائف لأبرهة

قال ابن إسحاق :

فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عَبيدك سامعون لك مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيتُنا هذا البيتَ الذى تريد ــ يعنون اللات ــ إنما تريد ١٠ البيتَ الذى بمكّة ، ونحن نبعث معك مَنْ يدلّك عليه ، فتَجاوزَ عنهم .

اللات

واللات : بيت لهم بالطائف كانوا يعظّمونه نحوَ تعظيم الكعبة . قال ابن هشام : أنشدنى أبو عُبَيدة النحوىّ لِضرار بن الخطّاب الفِهْرِىّ :

وفَرّت ثقيفُ إلى لاتِها   بمُنْقَلَبِ الخائبِ الخاسرِ

١٥ وهذا البيت فى أبيات له .

معونة أبى رغال لأبرهة وموته وقبره

قال ابن إسحاق :

فبعثوا معه أبا رِغال يدلّه على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال حتى أنزله المغمِّس[1] ؛ فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فرجمت قبرَه العربُ ، فهو القبر الذى يَرْجُم الناسُ بالمغمِّس .

الأسود واعتداؤه على مكة

٢٠ فلما نزل أبرهة المُغمِّس بعث رجلاً من الحبشة يقال له : الأسْوَد

(١) المغمس (بالكسر على صيغة اسم الفاعل ، وروى بالفتح على زنة اسم المفعول) : موضع بطريق الطائف على ثلثى فرسخ من مكة .

ابن مقصود[1] على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموالَ [أهل][2] تِهامة من قريش وغيرهم ، وأصاب فيها مِئَتَىْ بعير لعبد المطّلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبيرُ قريش وسيّدُها ، فهمّت قريش وكِنانة وهُذَيل ، ومَنْ كان بذلك الحرم [من سائر الناس][3] بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقَة لهم به ، فتركوا ذلك .

حناطة وعبد المطلب

٥ وبعث أبرهة حُناطَة الحِميَريّ إلى مكة، وقال له : سَلْ عن سيِّد أهل هذا البلدِ وشريفها ، ثم قل [له][4] : إن الملك يقول لك : إنى لم آتِ لحربكم ، إنما جئت لهَدْم هذا البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم ، فإنْ هو لم يُرِدْ حَرْبِى فأْتنى به . فلما دخل حُناطةُ مكةَ سأل عن سيّد قريش وشريفها ، فقيل له : عبدُ المطّلب بن هاشم [بن عبد مناف بن قصيّ][3] ؛ فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة ؛ فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربَه ، وما لنا بذلك ١٠ من[5] طاقة ، هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام — أو كما قال — فإن يَمْنَعْه منه فهو بيتُه وحرمه[6] ، وإن يُخَلِّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دَفْع عنه ؛ فقال [له][4] حُناطة : فانطلِق معى إليه ، فإنه قد أمرنى أن آتيَه بك .

ذو نفر وأنيس وتوسطهما لعبد المطلب لدى أبرهة

فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بَنِيه حتى أتى العسكر ، فسأل عن ذى نَفْر ، وكان له صديقاً ، حتى دخل عليه وهو فى محبسه ، فقال له : ياذا نَفْر ، ١٥ هل عندكَ من غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نَفْر : وما غَناء رجل أسير بيدَىْ مَلِك ينتظر أن يقتله غُدوًّا أو عشيًّا ! ما عندنا غَناء فى شىء مما نزل بك إلا

(١) كذا فى ا هنا وفيما سيأتى ، والطبرى . وفى سائر الأصول : مفصود (بالفاء) . وهو الأسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن ٢٠ عله (على وزن عمر) بن خالد بن مذحج ، وكان النجاشى قد بعثه مع الفيلة والجيش . وكانت عدة الفيلة ثلاثة عشر فيلا ، فهلكت كلها إلا فيل النجاشى ، وكان يسمى محمودا .

(٢) زيادة عن ا والطبرى .

(٣) زيادة عن الطبرى .

(٤) زيادة عن ا والطبرى .

٢٥ (٥) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : « منه » .

(٦) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : « حرمته » .

أنّ أُنَيساً سائس الفيل صديق لى ، وسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأُعظم عليه حقّك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلّمه بما بدا لك . ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك ؛ فقال : حسبى . فبعث ذو نَفْر إلى أُنَيْس، فقال له : إن عبد المطلب سيّد قريش ، وصاحب عِير[1] مكة ، يُطْعِم الناسَ بالسهل ، ٥ والوحوشَ فى رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مئتى بعير ، فاستأذن له عليه ، وانفعْه عنده بما استطعت ؛ فقال : أفعل .

فكلّم أُنيسٌ أبرهة ، فقال له : أيها الملك ، هذا سيّد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عِير مكة ، وهو يُطعم الناس فى السهل ، والوحوشَ فى رءوس الجبال ، فأْذن له عليك ، فيكلّمك[2] فى حاجته ، [وأَحْسِن إليه] .[3]

١٠ قال : فأذن له أبرهة .

عبد المطلب وحناطة وخويلد بين يدى أبرهة

قال : وكان عبد المطّلب أوسَم الناس وأجملَهم وأعظمهم ، فلما رآه أبرهة أجلّه وأعظمه وأكرمه عن أن يُجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشةُ يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال له ذلك التُّرْجُمان ؛ ١٥ فقال : حاجتى أن يردّ علىَّ الملكُ مئتى بَعير أصابها لى ؛ فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لتَرْجُمانه: قل له : قد كنتَ أعجبتَنى حين رأيتُك، ثم قد زَهِدْتُ فيك حين كلّمتنى ، أتكلّمنى فى مئتى بعير أصبتُها لك ، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه ، لا تكلمنى فيه ! قال له عبد المطلب : إنى أنا ربّ الإبل ، وإنّ للبيت ربًّا سيمنعه ؛ قال : ما كان ليَمتنع منّى ؛ قال : أنت وذاك .

٢٠ وكان فيما يزعم بعض أهل العلم ، قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة ، حين

---

(١) كذا فى الطبرى هنا وفيما سيأتى . وفى الأصل : « عين » .

(٢) كذا فى ا والطبرى . وفى سائر الأصول : « فليكلمك » .

(٣) زيادة عن الطبرى .

بعث إليه، حُناطةَ يَعْمَرَ بْنُ نُفاثة بن عدىّ بن الدُّئل[1] بن بكر بن مناة بن كنانة، وهو يومئذ سيّد بنى بكر، وخويلدُ بن واثلة[2] الهذلى، وهو يومئذ سيّد هذيل؛ فعَرضوا على أبرهة ثُلثَ أموال تِهامة، على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، فأَبى عليهم. والله أعلم أكان ذلك أم لا. فردّ أبرهة على عبد المطلب الإبلَ التى أصاب له.

عبد المطلب فى الكعبة يستنصر بالله على رد أبرهة

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبرَ، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرّز[3] فى شَعَف[4] الجبال، والشِّعاب[5]: تخوّفاً عليهم من مَعَرّة[6] الجيش، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحَلْقةِ باب الكعبة، وقام معه نَفَر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلْقة باب الكعبة:

لاهُمَّ[7] إنَّ العَبْدَ يَمْـــنع رَحْلَه فامنع حِلالَكْ[8]

لاَ يَغْلِبَنَّ صليبُهُـــم وَمِحالُهُمْ غَدْوًا[9] مِحالَكْ[10]

---

(1) كذا فى الطبرى. وهو بضم الدال وكسر الهمزة، وفى الأصول: «الديل». وما أثبتناه هو الذى عليه جمهور العلماء. إلا أن جماعة من النحويين، ومنهم الكسائى، يقولون فيه «الديل». من غير همز، ويكسرون الدال. والمعروف أن الدئل (بالهمز) هم الذين فى كنانة، وكذلك هم فى الهون بن خزيمة أيضاً. وأما الديل (من غير همز) فهم فى الأزد، وفى إياد، وفى عبد القيس، وفى تغلب. وهناك غير هذين «الدول» أيضاً (بضم الدال وإسكان الواو). وهؤلاء فى ربيعة بن نزار، وفى عنزة، وفى ثعلبة، وفى الرباب. (راجع لسان العرب مادة دأل).

(2) كذا فى ا والطبرى. وفى سائر الأصول: «وائلة». بالهمز.

(3) التحرز: التمنع، ويروى: «التحوز» وهو أن ينحاز إلى جهة ويتمنع.

(4) شعف الجبال: رءوسها.

(5) الشعاب. المواضع الخفية بين الجبال.

(6) معرة الجيش: شدته.

(7) لاهم: أصلها اللهم، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكتفى بما بقى، كما تقول: لاه أبوك، وهى تريد لله أبوك، وكما قالوا أيضاً: أجنك تفعل كذا وكذا: أى من أجل أنك تفعل كذا وكذا.

(8) الحلال (بالكسر): جمع حلة، وهى جماعة البيوت، ويريد هنا القوم الحلول. والحلال أيضاً: متاع البيت، وجائز أن يكون هذا المعنى الثانى مرادا هنا.

(9) غدوا: غدا، وهو اليوم الذى يأتى بعد يومك، فحذفت لامه، ولم يستعمل تاما إلا فى الشعر.

(10) المحال: القوة والشدة.

[زاد الواقدى][1] :

إن كنت تاركهم وقبلتنا فأمْرٌ ما بدا لكْ [2]

قال ابن هشام : هذا ما صحّ له منها .

شعر لعكرمة فى الدعاء على الأسود بن مقصود

قال ابن إسحاق :

وقال عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصىّ :

لاهُمَّ أَخْزِ الأسودَ بن مَقْصود ... الآخذَ الهَجْمَةَ[3] فيها التقليدْ[4]

بين حِراء وثَبير فالبِيــــد[5] ... يَحْبِسها وهى أولات التطريد

فَضَمَّها إلى طَماطمٍ سُــودْ ... أَخْفِرْه[6] يا رب وأنت محمود

قال ابن هشام : هذا ما صحّ له منها ؛ والطَّماطم : الأعلاج[7]

قال ابن إسحاق :

ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة باب الكعبة ، وانطلق هوومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهةُ فاعلٌ بمكة إذا دخلها .

---

(1) زيادة عن ا .

(2) وزاد السهيلى فى الروض الأنف :

وانصر على آل الصليب ... وعابديه اليــوم آلك

وذكرت بقيتها فى الطبرى ، واجتزأنا منها بما ذكر هنا ، فارجع إليها فى القسم الأول من الطبرى (ص ٩٤٠ — ٩٤١ طبع أوربا) . وقد ذكر لعبد المطلب فى الطبرى قصيدة أخرى غير هذه القصيدة .

(3) الهجمة : القطعة من الإبل ما بين التسعين إلى المائة . ويقال للمئة منها هنيدة، وللمئتين هند، والثلاثمئة أمامة ، ومنه قول الشاعر :

* تبين رويدا ما أمامة من هند *

(4) التقليد : يريد فى أعناقها القلائد .

(5) حراء وثبير : جبلان .

(6) أخفره : أى انقض عهده ، ويروى بالحاء المهملة ؛ أى اجعله منحفرا ؛ أى خائفا وجلا .

(7) الأعلاج : كفار العجم .

دخول أبرهة مكة وما وقع له ونفيل وشعر نفيل فى ذلك

فلما أصبح أبرهة تهيَّأ لدخول مكة، وهيَّأ فِيلَه وعبّى[1] جيشه، وكان اسم الفيل محمودا؛ وأبرهة مُجْمِع لهدم البيت، ثم الانصرافِ إلى اليمن. فلما وجّهوا الفيلَ إلى مكة أقبل نُفَيل[2] بن حَبِيب [الخثعمىّ][3] حتى قام إلى جَنْب الفيل، ثم أخذ بأُذنه فقال: ابرُكْ محمود، أو ارجع راشداً من حيث جئت، فإنك فى بلد الله الحرام، ثم أرسلَ أذنه. فبركَ[4] الفيلُ، وخرج نُفيل بن حَبيب يشتدّ حتى أَصْعد[5] فى الجبل، وضربوا الفيلَ ليقوم فأَبَى، فضربوا [فى][6] رأسَه بالطَّبَرْزِين[7] ليقوم فأبى، فأَدخلوا مَحاجن[8] لهم فى مَرَاقِّه[9] فبَزَغوه[10] بها ليقوم فأبى، فوجّهوه راجعاً إلى اليمن، فقام يُهَرْوِل؛ ووجّهوه إلى الشام ففعل مثلَ ذلك، ووجّهوه إلى المَشْرق فَفَعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى مكة فبرك؛ فأرسل الله تعالى عليهم طيرًا من البحر أمثالَ الخَطاطيف[11] والبَلَسان[12]، مع كل طائر منها ثَلَاثَةُ أحجار يحملها: حجر فى مِنْقاره، وحجران فى رجليه، أمثال الحِمّص والعَدس، لا تُصيب منهم أحدًا إلا

(1) يقال عبى الجيش (بغير همز) وعبأت المتاع (بالهمز). وقد حكى: عبأت الجيش (بالهمز) وهو قليل.

(2) وقيل هو نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب ابن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل، وهو خثعم. (راجع الروض الأنف).

(3) زيادة عن الطبرى.

(4) لعله يريد فعل فعل البارك، لأن المعروف عن الفيل أنه لا يبرك.

(5) أصعد: علا.

(6) زيادة عن ا والطبرى.

(7) الطبرزين: آلة معقفة من حديد، وطبر بالفارسية: معناها الفأس.

(8) المحاجن: جمع محجن، وهى عصا معوجة، وقد يجعل فى طرفها حديد.

(9) مراقه: يعنى أسفل بطنه.

(10) بزغوه: أدموه. ومنه المبزغ، وهو المشرط للحجام ونحوه.

(11) الخطاطيف: جمع خطاف (كرمان). وهو طائر أسود يقال له «زوار الهند»، وهو الذى تدعوه العامة عصفور الجنة.

(12) كذا فى الأصل. وفى النهاية لابن الأثير (مادة بلس) فى التعليق على حديث ابن عباس، قال عباد بن موسى: «وأظنها الزرازير».

هلك ، وليس كلّهم أصابت . وخرجوا هاربين يبتدرون الطريقَ الذى منه
جاءوا ، ويسألون عن نُفيل بن حَبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن [1] ، فقال
نُفَيل حين رأى ما أنزل اللّه بهم من نِقْمَته :

أين المفرّ والإله الطالبْ   والأشرمُ المَغلوب ليس الغالبْ

٥ قال ابن هشام : قوله : «ليس الغالب» عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضاً :

ألا حُيِّيتِ عنّا يا رُدَيْنا [2]   نَعِمْناكُمْ [3] مع الإصباح عَيْنا

[أتانا قابسٌ منكم عشاءً   فلم يُقْدَر لقابسِكم لَدَيْنا] [4]

رُدَيْنةُ لو رأيتِ ولا [5] تَرَيْه   لدى جَنْب المُحصَّب ما رأينا [6]

١٠ إذًا لعذرْتِني وحمِدتِ أمرى [7]   ولم تأسَىْ على ما فاتَ بَيْنا [8]

حَمِدتُ اللّه إذ أبصرتُ طيراً   وخِفْتُ حجارةً تُلْقَى علينا

وكلّ القوم يسأل عن نُفَيل   كأنّ علىَّ للحُبْشان دَيْنا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلِكون بكل مَهْلِك على كل مَنْهَل ،
وأُصيب أبرهة فى جسده ، وخرجوا به معهم تسقط [أنامله] [4] أُنْمُلة أُنْمُلة [9] ،

---

١٥ (١) وكانت قصة الفيل هذه أول المحرم من سنة ثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين . (راجع الروض الأنف) .

(٢) ردين : مرخم ردينة ، وهو اسم امرأة .

(٣) هذا دعاء ، يريد : أى نعمنا بكم ، فعدى الفعل لما صرف الجار .

(٤) زيادة عن الطبرى .

٢٠ (٥) فى الطبرى : «ولم تريه» ، وفى معجم البلدان فى الكلام على المغمس : «ولن تريه» .

(٦) المحصب (بالضم ثم الفتح وصاد مهملة مشددة على وزن اسم المفعول) : موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب ، وهو بطحاء مكة . (راجع معجم البلدان) .

(٧) فى الطبرى «رأيى» .

(٨) بينا : مصدر بان يبين ، وهو مؤكد لفات .

٢٥ (٩) أى ينتثر جسمه . والأنملة : طرف الأصبع ، وتطلق على غيره ، كالجزء الصغير من الشىء .

كلما سقطت أُنْمُلة أتبعتها منه مِدّة تَمُث[1] قيحاً ودَمًا ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدرُه عن قلبه ، فيما يزعمون .

قال ابن إسحاق حدّثنى يعقوب[2] بن عُتْبة أنه حُدِّث :

أن أول ما رؤيت الحَصْبة والجُدَرِىّ بأرض العرب ذلك العامَ ، وأنه أول ما رُؤِى بها مَرَائر[3] الشجر الحرمل[4] والحنظل والعُشَر[5] ذلك العام . ٥

ما ذكر فى القرآن عن قصة الفيل وشرح ابن هشام لمفرداته

قال ابن إسحاق :

فلما بعث الله تعالى محمداً صلّى الله عليه وسلّم ، كان مما يعدّ اللهُ على قريش من نعمته عليهم وفضله ، ماردّ عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدّتهم ، فقال الله تبارك وتعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ[6]. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ » . وقال : « لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ. الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » . ١٠

أى لئلا يغيّر شيئاً من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

قال ابن هشام :

الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلّم لها العرب بواحد[7] علمناه . وأما السِّجِّيل ، ١٥ فأخبرنى يونس النحوىّ وأبو عُبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب . قال رُؤْبة ابن العجّاج :

---

(١) مث يمث : رشح .

(٢) هو يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفى المدنى ، حليف بنى زهرة ، رأى السائب بن يزيد ، وروى عن أبان بن عثمان وجماعة ، وعنه ، غير ابن إسحاق ، عبد العزيز ٢٥ ابن الماجشون وجماعة . وكان فقيهاً له أحاديث كثيرة وعلم بالسيرة . وكان ورعاً مسلماً يستعمل على الصدقات ويستعين به الولاة . وتوفى سنة ١٢٨ هـ . (عن تراجم رجال روى عنهم ابن إسحاق) .

(٣) يقال : شجرة مرة ، ويجمع على مرائر على غير قياس ، كما جمعوا حرة على حرائر .

(٤) الحرمل : نوعان ، نوع ورقه كورق الخلاف ، ونوره كنور الياسمين . ونوع سنفته طوال مدورة . (السنفة : أوعية الثمر) . والحرمل : لا يأكله شىء إلا المعزى ، وقد تطبخ ٣٠ عروقه فيسقاها المحموم إذا ماطلته الحمى ، وفى امتناع الحرمل عن الأكلة قال طرفة وذم قوما :

هم حرمل أعيا على كل آكل مبيتاً ولو أمسى سوامهم دثرا

(راجع اللسان والمفردات) .

(٥) العشر (كصرد) : شجر مر له صمغ ولبن ، وتعالج بلبنه الجلود قبل الدباغة .

(٦) الأبابيل : الجماعات . ٣٥

(٧) وقيل : إن واحدها أبيل وأبول وإبالة .

وَمَسَّهم ما مسّ أصحابَ الفيلْ ترميهمْ حجارةٌ من سجِّيلْ

ولعبتْ طـــيرٌ بهم أبابيلْ

وهذه الأبيات فى أرجوزة له . وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية ، جعلتْهما العربُ كلمة واحدة ، وإنما هو سَنْج وجِلّ ، يعنى بالسنج : الحجر ؛ والجل : الطين . يعنى[1] : الحجارة من هذين الجنسين : الحجر والطين . والعَصْف : ورق الزرع الذى لم يقصّب ، وواحدته عصْفة . قال[2] : وأخبرنى أبو عُبيدة النحوىّ أنه يقال له : العُصافة والعَصيفة . وأنشدنى لعلْقمة بن عَبَدة أحد بنى رَبيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :

تَسقى مَذانبَ[3] قد مالت عَصِيفتُها حَدُورُها[4] من أَتِىّ[5] الماء مَطْمومُ[6]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الراجز :

فصُيِّروا مثلَ كَعَصْف مأكول

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير فى النحو[7] .

وإيلاف قريش : إيلافهم الخروج إلى الشام فى تجارتهم ، وكانت لهم خَرْجتان : خَرْجة فى الشتاء ، وخَرْجة فى الصيف . أخبرنى[8] أبو زيد الأنصارى . أن العرب تقول : ألفت الشىء إلْفاً ، وآلفته إيلافا، فى معنى واحد . وأنشدنى لذى الرمّة :

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « يقول » .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « حدثنا ابن هشام قال: وأخبرنى . . . الخ » .

(٣) المذانب : جمع مذنب ، وهو مسيل الماء إلى الروضة .

(٤) حدورها (بالحاء المهملة) ، أى ما انحدر منها . ويروى جدورها : جمع جدر ، وهى الحواجز التى تحبس الماء ، وفى الحديث : « وأمسك الماء حتى يبلغ الجدر ثم أرسله » .

(٥) الأتى : السيل .

(٦) مطموم : مرتفع ، مأخوذ من قولهم : طم الماء : إذا ارتفع وعلا .

(٧) الكلام فيه على ورود الكاف حرف جر واسما بمعنى مثل ، وهى هنا حرف ولكنها مقحمة لتأكيد التشبيه ، كما أقحموا اللام من قولهم : يابؤس للحرب ، ولا يجوز أن يقحم حرف من حروف الجر سوى اللام والكاف . أما اللام فلأنها تعطى بنفسها معنى الإضافة فلم تغير معناها ، وكذلك الكاف تعطى معنى التشبيه فأقحمت لتأكيد معنى المماثلة .

(٨) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : أخبرنا ابن هشام قال أخبرنى . . . الخ) .

من المُؤلفات الرملَ أدماءٍ حُرَةٌ[1] شُعاع الضحى فى لونها يتوضَّحُ[2]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال مَطْرود بن كَعْب الخزاعىّ :

المُنعمين إذا النجومُ تغيَّرت[3] والظاعنين لِرحْلة الإِيلافِ

وهذا البيت فى أبيات له سأذكرها فى موضعها إن شاء اللّٰه تعالى . والإِيلاف أيضاً : أن يكون للإِنسان ألف من الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ، أو غير ذلك . ٥

يقال : آلف فلان إيلافا . قال الكُميت بن زيد ، أحد بنى أَسد بن خُزَيمة ابن مُدْركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معدّ :

بِعَامٍ يقول له المُؤلفو ن هـذا المُعيم لنا المُرْجِلُ[4]

وهذا البيت فى قصيدة له . والإِيلاف أيضاً : أن يَصير القوم ألفاً ، يقال آلف القوم إيلافاً . قال الكميت بن زيد : ١٠

وآل مُزَيقياء غداةَ لا قَوْا بنى سَعْد بنِ ضَبَّة مُؤلفينَا

وهذا البيت فى قصيدة له . والإِيلاف أيضاً : أن تؤلّف الشىء إلى الشىء فيألفه ويلزمه ؛ يقال : آلفته إياه إيلافا . والإيلاف أيضا : أن تصيّر ما دون الألف ألفاً ، يقال : آلفته إيلافا .

ما أصاب قائد الفيل وسائسه

قال ابن إسحاق حدّثنى عبد اللّٰه بن أبى بكر عن عمرة[5] بنة عبد الرحمن ١٥

(١) الأدماء من الظباء : السمراء الظهر البيضاء البطن .

(٢) شعاع الضحى : بريق لونه . ويتوضح : يتبين .

(٣) تغيرت : استحالت عن عادتها من المطر ، على مذهب العرب فى النجوم . ويروى : « تغبرت » بالباء الموحدة : أى قل مطرها ؛ من الغبر ، وهو البقية .

(٤) المعيم : من العيمة ، وهى الشوق إلى اللبن . والمرجل : الذى تذهب إبله فيمشى على أرجله . يريد أن تلك السـنة تجعل صاحب الألف من اللبن يعام إلى اللبن ، ويسمى ماشيا . ويروى : « المرحل » بالحاء المهملة : أى الذى يرحلهم عن بلادهم لطلب الخصب . ٢٠

(٥) هى عمرة بنة عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية المدنية الفقيهة . كانت فى حجر عائشة فحفظت عنها الكثير ، وقد روت عن غير عائشة وروى عنها حفيداها حارثة ومالك ابنا أبى الرجال وغيرهما . وكانت حجة . توفيت سنة ٩٨ هـ ، وقيل سنة ١٠٦ عن سبع وسبعين سنة ٢٥

ابن سعد[1] بن زُرارة عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت :

لقد رأيتُ قائدَ الفيل وسائسَه بمكة أعميَيْنِ مُقْعدَيْن يستطعمان الناس .

ما قيل فى صفة الفيل من الشعر

إعظام العرب قريشا بعد حادثة الفيل

قال ابن إسحاق :

٥ فلما ردَّ الله الحبشةَ عن مكّة ، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة ، أعظمت العربُ قريشاً ، وقالوا : هم أهل الله، قاتل اللهُ عنهم وكفاهم مئونةَ عدوِّهم . فقالوا فى ذلك أشعارًا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة ، وما ردَّ عن قريش من كيدهم .

شعر ابن الزبعرى فى وقعة الفيل

فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن عَدِىّ بن قَيْس بن عَدِىّ بن سعد[2] بن سَهْم ابن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر :

١٠ تنكّلوا[3] عن بَطْن مكّة إنّها ... كانت قديماً لا يُرام حَريمُها

لم تخلق الشِّعرى ليالىَ حُرِّمتْ ... إذ لا عزيزَ من الأنام يرومها[4]

سائلْ أميرَ الجيش عنها ما رأى ... ولسَوْفَ يُنْبِى الجاهلين عليمها

ستُّون ألفاً لم يؤُوبوا أرضَهم[5] ولم[6] ... يَعِشْ بعد الإياب سَقيمُها

---

(١) كذا فى أكثر الأصول ، وتراجم رجال طبع أوربا . وفى ا ، وإحدى روايات
١٥ الطبرى : « أسعد » .

(٢) فى م ، ر : « عدى بن سعيد بن سهم » وفى ا : « عدى بن سعد بن سعيد بن سهم » وكلاهما محرف عما أثبتناه . (راجع الروض الأنف) .

(٣) ويروى : « تنكبوا » . وعلى الروايتين ففى البيت وقص .

(٤) الشعرى : اسم النجم ، وهما شعريان ، إحداهما الغميصاء ، وهى التى فى ذراع الأسد ؛
٢٠ والأخرى التى تتبع الجوزاء ، وهى أضوأ من الضياء .

(٥) لم يؤوبوا : لم يرجعوا ، وكان الوجه أن يقول : « إلى أرضهم » فحذف حرف الجر ووصل الفعل .

(٦) كذا فى ا . وفى م ، ر « بل لم . . . الخ » ، وقد نبه السهيلى على أن « بل » زيادة زادها بعضهم ممن ظن خطأ أن البيت مكسور . والواقع أن فى هذا الشطر وقصا كما مرّ
٢٥ فى البيت الأول .

كانت[1] بها عادٌ وجُرْهُم قبلَهم   وَاللهُ مِنْ فوق العباد يقيمها

قال ابن إسحاق : يعنى ابنُ الزِّبعرى بقوله :

* . . . بعد الإياب سقيمها *

أبرهةَ ، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه حتى مات بصنعاء .

شعر ابن الأسلت فى وقعة الفيل

وقال أبو قَيْس بن الأَسْلَت الأنصاريّ ثم الخَطْمىّ ، واسمه صَيْفِىّ . قال ابن هشام أبو قيس : صيفىّ بن الأسلت بن جُشَم بن وائل بن زَيْد بن قيس ابن عامرة[2] ابن مرّة بن مالك بن الأوس :

ومن صُنْعِه يوم فِيلِ الحُبو   شِ إذْ كلّما بعثوه رَزَمْ[3]

مَحاجِنُهم تحت أَقْرابه   وقد شَرَّموا أنفَه فانخرم[4]

وقد جعلوا سَوْطه مِغْولاً   إذا يَمَّموه قَفاه كُلِمْ[5]

فولّى وأدبر أدراجَــــه   وقد باء بالظلم مَنْ كان ثَمّ

فأرسل مِن فوقهم حاصِباً   فلفَّهمُ مثلَ لفّ القُزُمْ[6]

تَحُضّ على الصبر أحبارُهم   وقد ثأجوا كثُؤاج الْغَنَمْ[7]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له : والقصيدة أيضاً تروى لأمية ابن أبى الصَّلْت .

قال ابن إسحاق : وقال أبو قَيْس بن الأَسْلت :

---

(1) ويروى : « دانت » .

(2) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر ، وفى الأصول : « عامر » وهو تحريف .

(3) رزم : ثبت بمكانه فلم يبرحه ، وأكثر مايكون ذلك من الإعياء .

(4) المحاجن : جمع محجن ، وهى عصا معوجة . والأقراب : جمع قرب ، وهو الخصر . وشرّموا : شقوا .

(5) المغول : سكين كبيرة دون المشمل (سيف صغير) . ويروى : معولا (بالعين المهملة) : وهى الفأس . وكلم : جرح .

(6) القزم : جمع قزم ، وهو الصغير الجثة .

(7) ثأج : صاح .

فقوموا فصلّوا ربّكم وتمسّحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب[1]
فعندكمُ منه بلاءٌ مصدّق غداةَ أبي يَكْسومَ هادِي الكتائب
كتيبتُه بالسهل تُمْسى[2] ورَجْلُه على القاذفات فى رءوس المَناقب[3]
فلما أتاكم نَصْر ذى العرش رَدَّهم جنودُ المليك بين سافٍ وحاصب[4]
5 فولَّوْا سراعًا هاربين ولم يَؤُب إلى أهله مِلْحبش[5] غيرُ عصائب[6]

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصاريّ قولَه :

* على القاذفات فى رءوس المناقب *

وهذه الأبيات فى قصيدة لأبى قيس سأذكرها فى موضعها إن شاء الله .

وقوله : « غداة أبى يَكْسوم » . يعنى أبرهة ، كان يكنى أبا يكسوم .

شعر طالب فى وقعة الفيل

10 قال ابن إسحاق :

وقال طالب بن أبى طالب[7] بن عبد المطلب :

ألم تعلموا ما كان فى حربِ دَاحسٍ[8] وجَيشِ أبى يَكْسوم إذ ملئوا الشِّعْبا[9]
فلولا دفاعُ الله لاَ شَىْءَ غـيرُه لأصبحتمُ لا تمنعون لكم سِرْبا[10]

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بَدْر سأذكرها فى

15 موضعها إن شاء الله تعالى .

---

(1) صلوا ربكم : أى ادعوا ربكم . والأخاشب : جبال مكة وجبال منى .

(2) كذا فى ا . وفى م ، ر : « تمشى » .

(3) القاذفات : أعالى الجبال البعيدة . والمناقب : جمع منقبة ، وهى الطريق فى رأس الجبل .

(4) السافى (هنا) : الذى غطاه التراب . والحاصب : الذى أصابته الحجارة ، وهما على معنى

20 النسب ، وقد يكون المراد منهما اسم الفاعل حقيقة .

(5) كذا فى م ، ر . يريد من الحبش . وفى ا : « ملجيش » .

(6) العصائب : الجماعات .

(7) ويذكرون أن طالبا هذا كان أسن من جعفر بعشرة أعوام ، كما كان جعفر أسن من على رضى الله عنه بمثل ذلك ، ويقال إن الجن اختطفت طالبا ، ولم يعرف عنه أنه أسلم .

25 (8) داحس : اسم فرس مشهور ، وكانت حرب بسببه .

(9) الشعب : الطريق فى الجبل .

(10) السرب (بفتح السين) : المال الراعى ، والسرب (بكسر السين) : النفس ، أو يقال القوم ، ومنه : أصبح آمنا فى سربه ، أى فى نفسه ، أو فى قومه .

شعر ابن أبي الصلت في وقعة الفيل

قال ابن إسحاق :

وقال أبو الصَّلت بن أبي ربيعة الثَّقفيّ في شأن الفيل، ويذكر الحنيفيّة دينَ إبراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : تُروى لأمية ابن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثَّقفيّ :

إنّ آياتِ ربّنا ثاقباتٌ[1] لا يُمارِي فيهنّ إلا الكفورُ
خَلقِ الليل والنهار فكُلٌّ مستبينٌ حِسابهُ مَقْدور ٥
ثم يَجلو النهارَ ربٌّ رحيم بمَهاة شعاعها مَنْشور[2]
حبس الفيلَ بالمُغمِّس حتى ظلّ يحبو كأنه مَعْقور
لازمًا حَلْقة الجِران كما قُطِّر من صَخْر كَبْكَب مَحْدور[3]
حوله من ملوك كِنْدة أبطا لٌ ملاوِيث[4] في الحُروب صُقور
خلّفوه ثم ابذعَرُّوا[5] جميعاً كلّهم عَظْمُ ساقه مَكْسورُ ١٠
كلّ دين يومَ القيامة عند اللّه إلا دينَ[6] الحنيفة بور[7]

شعر الفرزدق في وقعة الفيل

قال ابن هشام :

وقال الفرزدق ـ واسمه همّام بن غالب أحد بني مُجاشع بن دَارم بن مالك ابن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مَناة بن تميم ـ يمدح سليمان بن عبد الملك ابن مَرْوان ، ويهجو الحجّاج بن يوسف ، ويذكر الفيلَ وجيشَه : ١٥

---

(١) في ا : « باقيات » .

(٢) المهاة : الشمس ، سميت بذلك لصفائها، والمها من الأجسام: الذي يرى باطنه من ظاهره .

(٣) كذا في ا . والجران : الصدر . وقطر ، أي رمى به على جانبه . والقطر : الجانب . وكبكب : اسم جبل . والمحدور : الحجر الذي حدر حتى بلغ الأرض . يشبه الفيل ببروكه ووقوعه إلى الأرض بهذا الحجر الذي يتحدر من جبل كبكب ، وفي . . . . : ٢٠
« . . . . * . . . . مجدور » بالجيم .

(٤) ملاويث : أشداء .

(٥) ابذعروا : تفرقوا .

(٦) يريد بالحنيفة : الأمة الحنيفة : أي المسلمة التي على دين إبراهيم الحنيف صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه : أي عدل . ٢٥

(٧) كذا في م ، ر . وفي ا : « زور » .

فلمّا طغى الحَجّاجُ حين طغى به | غِنًى[1] قال إنى مُرْتَقٍ فى السَّلالِمِ
فكان كما قال ابنُ نوحٍ سأرتقى | إلى جبلٍ من خَشْيةِ الماء عاصمِ
رمَى اللهُ فى جُثمانه مثلَ ما رَمَى | عن القِبْلةِ[2] البيضاء ذاتِ المحَارم
جُنوداً تسوق الفيلَ حتى أعادهم | هَباء وكانوا مُطْرَخِمِّى الطَّراخم[3]
٥ نُصِرْتَ كنصرِ البيتِ إذ ساقَ فيلَه | إليه عظيمُ المشركين الأعاجمِ

وهذه الأبيات فى قصيدة له :

شعر ابن الرقيات فى وقعة الفيل

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن قيس الرقيّات : أحد بَنى عامر بن لؤىّ ابن غالب يذكر أبرهة — وهو الأشرم — والفيلَ :

كاده الأشرمُ الذى جاء بالفيـــل فولّى وجيشُه مَهْزومُ
١٠ واستهلّت عليهمُ الطيرُ بالجَنْـــدل حتى كأنّه مَرْجــوم[4]
ذاكَ من يَغْزُهُ من الناس يَرْجِــعْ وهو فَلٌّ[5] من الجيوش ذَميمُ

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

ملك يكسوم ثم مسروق على اليمن

قال ابن إسحاق :

فلما هلك أبرهة ، مَلَكَ الحَبَشةَ ابنُهُ يَكسوم بن أبرهة ، وبه كان يكنى ؛
١٥ فلما هلك يَكْسوم بن أبرهة ، مَلَكَ اليمنَ فى الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة .

---

(١) كذا فى ا ، وهو من الغناء ، بمعنى الاستغناء ، وفى سائر الأصول : « عتا » . بالعين المهملة . وهو تصحيف .

(٢) القبلة البيضاء : يريد الكعبة .

(٣) الهباء : مايظهر فى شعاع الشمس إذا دخلت من موضع ضيق . والمطرخم : الممتلىء
٢٠ كبرا وغضبا . والطراخم : جمع مطرخم .

(٤) قال السهيلى فى التعليق على هذا البيت : «وقوله : حتى كأنه مرجوم» وهو قد رُجم ، فكيف شبهه بالمرجوم ، وهو مرجوم بالحجارة ، وهل يجوز أن يقال فى مقتول كأنه مقتول ؟ فنقول : لما ذكر استهلال الطير ، وجعلها كالسحاب يستهل بالمطر ، والمطرليس يرجم ، وإنما الرجم بالأكف ونحوها ، شبهه بالمرجوم الذى يرجمه الآدميون أو من يعقل ويتعمد الرجم من
٢٥ عدو ونحوه ، فعند ذلك يكون المقتول بالحجارة مرجوما على الحقيقة ، ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك ، وإنما أمطروا حجارة ، فمن ثم قال : « كأنه مرجوم » .

(٥) الفل : الجيش المنهزم .

خروج سيف بن ذى يزن وملك وهرز على اليمن

ابن ذى يزن عند قيصر

فلما طال البلاء على أهل اليمن ، خَرَج سيفُ بن ذى يَزَن الحميرىّ ، وكان يكنى بأبى مُرّة ، حتى قدم على قيصر ملك الرّوم فشكا إليه ماهم فيه ، وسأله أن يخرجهم عنه ويَلِيَهم هو ، ويبعث إليهم مَنْ شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكِه [ولم يجد عنده شيئاً مما يريد][1] .

توسط النعمان لابن ذى يزن لدى كسرى

فخرج حتى أتى النعمانَ بنَ المنذر ، وهو عامل كسرى[2] على الحيرة ، وما يليها من أرض العراق ، فشكا إليه أمرَ الحبشة ، فقال له النعمان : إن لى على كسرى وِفادةً فى كلّ عام ، فأقِمْ حتى يكون ذلك . ففعل ثم خرج معه فأدخَله على كسرى . وكان كسرى يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثلَ القَنْقل[3] العظيم — فيما يزعمون — يُضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة ، معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك ، وكانت عُنقه لا تحمل تاجَه ، إنما يُستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ، ثم يُدخِل رأسَه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كُشفت عنه الثيابُ ، فلا يراه رجل لم يره قبلَ ذلك إلاّ بَرَك هيبةً له ؛ فلما دخل عليه سيفُ بن ذى يزن بَرَك .

---

(١) زيادة عن الطبرى .

(٢) هو أنو شروان . ومعناه مجدد الملك ، لأنه جمع ملك فارس الكبير بعد شتات .

(٣) القنقل : المكيال ، وقيل هو مكيال يسع ثلاثة وثلاثين منا . (المن : وزان رطلين تقريبا) . وهذا التاج قد أتى به عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين استلب من يزدجرد بن شهريار — وقد صار إليه من قبل جده أنو شروان المذكور — فلما أتى به عمر رضى الله عنه دعا سراقة بن مالك المدلجى فحلاه بأسورة كسرى ، وجعل التاج على رأسه ، وقال له : قل الحمد لله نزع تاج كسرى ملك الأملاك من رأسه ، ووضعه فى رأس أعرابى من بنى مدلج ، وذلك بعز الإسلام وبركته لا بقوتنا ، وإنما خص عمر سراقة بهذا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قال له : يا سراقة ، كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك وأسوراه فى يديك ؟ .

ابن ذى يزن بين يدى كسرى ، ومعاونة كسرى له

قال ابن هشام حدثنى أبو عُبيدة :

أن سَيْفاً لما دخل عليه طأطأ رأسَه ، فقال الملك : إن هذا الأحمق يدخل علىّ من هذا الباب الطويل ، ثم يطأطئ رأسَه ! فقيل ذلك لسَيْف ؛ فقال : إنما فعلتُ هذا لهمّى ، لأنه يَضيق عنه كلُّ شىء .

٥ قال ابن إسحاق :

ثم قال له : أيها الملك ، غَلَبَتْنا على بلادنا الأغْرِبة ؛ فقال له كِسْرى : أىّ الأغربة : الحَبَشة أم السِّند ؟ فقال : بل الحَبَشة ، فجئْتُك لتَنْصُرنى، ويكون مُلْك بلادى لك ؛ قال : بَعُدتْ بلادُك مع قلّة خَيْرها ، فلم أكن لأورِّط[1] جيشاً من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لى بذلك . ثم أجازه بعشرة آلاف

١٠ درهم[2] وافٍ ، وكساه كُسْوةً حسنة . فلما قبض ذلك منه سيفٌ خرج ، فجعل ينثر ذلك الوَرِق للناس ؛ فبلغ ذلك الملكَ ، فقال : إن لهذا لشأناً ، ثم بعث إليه فقال : عمدتَ إلى حِباء الملك تَنْثُره للناس ؛ فقال : وما أصنع بهذا ، ما جبال أرْضى التى جئتُ منها[3] إلا ذَهَبٌ وفضّة ؛ يرغّبه فيها . فجمع كسرى مَرَازبته[4]، فقال لهم : ماذا ترَوْن فى أمر هـذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ، إن فى

١٥ سُجونك رجالاً قد حبستَهم للقَتْل ، فلو أنك بعثتَهم معه ، فإن يَهْلِكوا كان ذلك الذى أردتَ بهم ، وإن ظَفِروا كان مُلْكاً ازددتَه[5] . فبعث معه كسرى مَنْ كان فى سجونه ، وكانوا ثمان مئة رجل .

وهرز وسيف بن ذى يزن وانتصارهما على مسروق وما قيل فى ذلك من الشعر

واستعمل عليهم رجلاً منهم يقال له وَهْرِز ، وكان ذا سِنّ فيهم ، وأفضلَهم حسباً وبَيْتاً . فخرجوا فى ثمان سفائن، فغرِقت سفينتان ، ووصل إلى ساحل عَدَن

٢٠ (١) لأورط جيشا : أى لأنشب فى شر . والورطة : الانتشاب فى الشر .
(٢) يقال : وفى الدرهم المثقال ، وذلك إذا عدله .
(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بها » .
(٤) المرازبة : وزراء الفرس ، واحدهم مرزبان .
(٥) كذا فى ا والطبرى ، وفى سائر الأصول : « أردته » .

ستّ سفائن[1] . فجَمَع سيف إلى وَهْرِز من استطاع من قومه ، وقال له : رِجْلى مع رِجْلك حتى نموت جميعاً أو نظفر جميعاً . قال له وهرز : أنصفتَ ، وخرج إليه مَسْروق بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جندَه . فأرسل إليهم وَهْرِز ابناً[2] له ، ليقاتلهم فيختبر قتالَهم ؛ فقُتِل ابْنُ وَهْرِز ، فزاده ذلك حَنَقاً عليهم . فلما تواقف الناس على مصافّهم قال وَهْرِز : أَرُونى مَلِكَهم ؛ فقالوا له : أترى رجلاً على الفِيل عاقداً تاجَه على رأسه ، بين عَيْنَيْه ياقوتةٌ حمراء ؟ قال : نعم ، قالوا : ذاك مَلِكُهم ؛ فقال : اتركوه . فوقفوا طويلاً ، ثم قال : عَلامَ هو ؟ قالوا : قد تحوّل على الفَرَس ؛ قال : اتركوه . فوقفوا طويلا ، ثم قال : عَلامَ هو ؟ قالوا : قد تحوّل على البغلة . قال وَهْرِز : بنتُ الحِمار ! ذلّ وذلّ مُلْكُه ، إنى سأرْميه ، فإن رأيتم أصحابَه لم يتحرّكوا فاثبتوا حتى أُوذِنكم ، فإنى قد أخطأتُ الرجلَ ، وإن رأيتمُ القومَ قد استداروا ولاثوا[3] به ، فقد أصبتُ الرجل ، فاحملوا عليهم . ثم وَتَرَ قوسَه ، وكانت فيما يزعمون لا يُوتِرها غيرُه مِنْ شدّتها ، وأمر بحاجِبَيْه فعُصِّبا له ، ثم رماه فصَكّ الياقوتةَ التى بين عينيه ، فتغلغلت[4] النّشابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونُكِس عن دابته ، واستدارت الحَبَشة ولاثت به ، وحملت عليهم الفُرْسُ ، وانهزموا ، فقُتِلوا وهربوا فى كل وجه ؛ وأقبل وَهْرِز ليدخل صنعاء[5] ، حتى إذا أتى بابَها قال : لا تدخل رايتى منكّسة أبداً ، اهدموا البابَ فهُدِم . ثم دخلها ناصباً رايتَه . فقال سيفُ بن ذى يَزَن الحِمْيرىّ :

---

(1) ويقال إن الجيش بلغ سبعة آلاف وخمس مئة ، وانضافت إليهم قبائل من العرب . (راجع الروض الأنف) .

(2) وكان يقال له نوزاذ . (راجع الطبرى)

(3) لاثوا به : اجتمعوا حوله .

(4) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فتلغلغت » . وهو تحريف .

(5) ويقال : إن صنعاء كان اسمها ، قبل أن يدخلها وهرز ويهدم بابها ، أوال (بفتح الهمزة وكسرها) ، وأنها سميت كذلك لقول وهرز حين دخلها : « صنعة صنعة » . يريد أن الحبشة أحكمت صنعها . ويقال إنها سميت باسم الذى بناها ، وهو صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ ، فكانت تعرف مرة بصنعاء ، وأخرى بأوال .

يظنُّ الناسُ بالمَلْكَيْنَ أنَّهما قد التأمَا[1]
ومَنْ يَسْمع بِلأَمِهما فإنَّ الخَطْبَ قد فَقُمَا[2]
قتلنا القَيْلَ مَسْروقاً ورَوَّينا الكَثِيبَ دَمَا[3]
وإنَّ القَيْلَ قَيْلَ النّا س وَهْرِز مُقْسِمٌ قَسَمَا
٥ يذوق مُشَعْشَعاً حتى يُفِئُ السَّبْىَ والنَّعما[4]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له . وأنشدنى خلّاد بن قرة السَّدوسى آخرَها بيتاً لأعشى بَنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له ، وغيره من أهل العلم بالشعر يُنْكرها له .

قال ابن إسحاق :

١٠ وقال أبو الصّلت بن أبى ربيعة الثّقفى ـ قال ابن هشام : وتروى لأُمية ابن أبى الصَّلْت :

لِيَطْلب الوِتْر أمثالُ ابنِ ذى يَزَن رَيَّمَ[5] فى البحرِ للأَعداء أحوالاَ
يَمَّمَ قيصرَ لما حانَ رِحْلتُه فلم يجد عنده بعضَ الذى سالا[6]
ثم انثنى[7] نحو كِسْرى بعدَ عاشرةٍ[8] من السنين يُهين النفسَ والمالا

---

١٥ (١) التأما : يريد: قد اصطلحا واتفقا .
(٢) فقم : عظم .
(٣) القيل : الملك .
(٤) المشعشع : الشراب الممزوج بالماء . ويفئ : يغنم .
(٥) ريم : أقام . أو هو مأخوذ من رام يريم ، إذا برح. كأنه يريد: أنه غاب زمانا وأحوالا
٢٠ ثم رجع للأعداء . ويروى : « لجج » .
(٦) رواية هذا البيت فى الطبرى ، والشعر والشعراء (طبع ليدن) :
أتى هرقل وقد شالت نعامتهم فلم يجد عنده بعض الذى قالا
٢٥ (٧) فى ا : « انتحى » .
(٨) فى الشعر والشعراء : « بعد تاسعة » .

حتى أتى بَنى الأحرار يَحْمِلهم ... إنَّكَ عَمْرى لقد أَسْرعتَ قِلْقالا[1]

لله دَرّهمُ من عُصبة خرجوا ... ما إنْ أرى لهمُ فى الناس أمثالا

بيضاً مَرازِبةً غُلْباً أساورةً ... أُسْداً تُربِّب فى الغَيْضات أشْبالا[2]

يَرمون عن شُدُف كأنها غُبُط[3] ... بزَمْخرٍ[4] يُعجل المَرْمىّ إعجالا

أرسلتَ أُسْدًا على سُود الكلاب فقد ... أضحَى شريدُهم فى الأرض فُلّالا[5]

فاشربْ هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً ... فى رأس غُمْدان[6] داراً منك مِحْلالا

واشرب هنيئاً فقد شالت نَعامتهم[7] ... وأَسْبِل اليومَ فى بُرْدَيك إسبالا[8]

تلك المكارمُ لا قَعْبان من لبنٍ ... شِيباً بمَاء فعادا بعدُ أبوالا[9]

قال ابن هشام : هذا ماصحّ له مما روى ابن إسحاق منها ، إلا آخرها بيتاً قوله :

---

(١) بنو الأحرار : الفرس . والقلقال : (بالكسر وبالفتح) : شدة الحركة .

(٢) الغلب : الشداد . والأساورة : رماة الفرس . وتربب : من التربية . والغيضات : جمع غيضة ، وهى الشجر الكثير الملتف .

(٣) شدف : عظام الأشخاص ، يعنى بها القسى . وغبط : جمع غبيط ، وهى عيدان الهودج وأداته .

(٤) كذا فى ا . والزمخر : القصب اليابس، يعنى قصب النشاب . وفى سائر الأصول : «بزمجر» وهو تصحيف .

(٥) الفلال : المنهزمون .

(٦) غمدان (بضم أوله وسكون ثانيه وآخره نون) : قصر بناه يشرح بن يحصب على أربعة أوجه : وجه أبيض ، ووجه أحمر ، ووجه أصفر ، ووجه أخضر . وبنى فى داخله قصراً على سبعة سقوف ، بين كلّ سقفين منها أربعون ذراعاً ، وجعل فى أعلاه مجلساً بناه بالرخام الملوّن ، وجعل سقفه رخامة واحدة ، وصير على كل ركن من أركانه تمثال أسد من شبه كأعظم ما يكون من الأسد ، فكانت الريح إذا هبت إلى ناحية تمثال من تلك التماثيل دخلت من دبره وخرجت من فيه ، فيسمع له زئير كزئير السباع . وقيل : إن الذى بناه سليمان ابن داود عليهما السلام. وللشعراء شعر كثير فى غمدان. وقد هدم فى عهد عثمان رضى الله عنه . ومعنى قوله مرتفقاً : أى متكئاً ، كما فى لسان العرب .

(٧) شالت نعامتهم : أهلكوا . والنعامة : باطن القدم . وشالت : ارتفعت ، ومن هلك ارتفعت رجلاه ، وانتكس رأسه ، فظهرت نعامة قدمه . والعرب تقول : تنعمت ، إذا مشيت حافيا .

(٨) الإسبال : إرخاء الثوب ، ويريد به هنا الخيلاء والإعجاب .

(٩) القعبان : تثنية قعب ، وهو قدح يحلب فيه . وشيبا : مزجا ،

* تلك المكارم لا قعبان من لبن * [1]

فإنه للنابغة الجعدىّ . واسمه [حبّان بن] [2] عبد الله بن قيس . أحد بنى جَعْدة ابن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فى قصيدة له .

٥ قال ابن إسحاق :

وقال عدىّ بن زَيْد الحِيرىّ ، وكان أحدَ بنى تميم . قال ابن هشام : ثم أحد بنى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، ويقال : عدىّ من العِباد من أهل الحيرة [3] :

ما بعدَ صَنْعاء كان يَعْمُرها ... ولاةُ مُلْكٍ جَزْلٍ مواهبُها [4]

١٠ رَفَّعها مَنْ بَنَى لدى قَزَع الـ ... ـمُزْن وتَنْدَى مِسْكاً محاربها [5]

محفوفةٌ بالجبال دون عُرَى الْـ ... ـكائد ما تُرْتقى غَواربها [6]

يَأْنَس فيها صَوْتُ النُّهام إذا ... جاوبها بالعشىّ قاصبُها [7]

(١) ومن روى هذا البيت للنابغة جعله من قصيدته التى مطلعها :

إما ترى ظلل الأيام قد حسرت ... عنى وشمرت ذيلا كان ذيالا

١٥ ولقد هجا بهذه القصيدة رجلا من قشير يقال له : ابن الحيا (الحيا أمه) . ويعنى بهذه البيت (تلك المكارم . . . الخ) أن ابن الحيا فخر عليه بأنهم سقوا رجلا من جعدة أدركوه فى سفر، وقد جهد عطشاً ، لبناً وماء فعاش. (راجع الأغانى ج ٥ ص١٣ ــ ١٥ طبع دار الكتب).

(٢) زيادة عن أسد الغابة (ج ٥ ص ٢) وخزانة الأدب (ج ١ ص ٥١٢) والإصابة (ج ٦ ص٢١٨) والاستيعاب (ج ١ ص ٣٢٠) والأغانى (ج ٥ ص ١ طبع دار الكتب).

٢٠ (٣) العباد : هم من عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة ، قيل إنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح ، وعبد كلال ، وعبد الله ، وعبد ياليل . وكانوا قدموا على ملك فتسموا له ، فقال : أنتم العباد ، فسموا بذلك . وذكر الطبرى فى نسب عدى : أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة ابن تميم ، وقد دخل بنو امرئ القيس بن زيد مناة فى العباد ، فلذلك ينسب عدى إليهم .

٢٥ (٤) ولاة ملك : يريد الذين يدبرون أمر الناس ويصلحونه . وجزل : كثير .

(٥) القزع : السحاب المتفرق ، والمزن : السحاب . والمحارب : الغرف المرتفعة .

(٦) يريد : دون عرى السماء وأسبابها . والكائد : هو الذى كادهم ، وهو البارى سبحانه وتعالى : والغوارب : الأعالى .

(٧) النهام : الذكر من البوم . والقاصب : صاحب الزمارة .

سَاقت إليها[1] الأسبابُ جُنْدَ بَنى الـأَحْرار فرسانُها مَواكبها

وفُوِّزت بالبغال تُوسَـق بالـحَتْف وتَسْعَى بها توالبُها[2]

حتى رآها الأَقْوالُ من طَرَف الـمَنْقَل مُخضرّةً كتائبُها[3]

يوم يُنادون آل بَرْبر[4] والـيَكْسوم لا يُفلحن هاربها[5]

وكان يوم باقى الحديث وزا لت إمّةٌ ثابتٌ مَراتبها[6] ٥

و بُدِّل الفَيْج[7] بالزرافة[8] والأيّـام جُونٌ[9] جمٌّ عجائبها

بعـد بَنى تُبَّع نَخاوِرة[10] قد اطمأنت بها مَرازبها

قال ابن هشام: وهـذه الأبيات فى قصيدة له. وأنشدنى أبو زيد

هـزيمة الأحباش ونبوءة سطيح وشق

[الأنصارىّ][11]، ورواه لى عن المفضَّل الضبىّ. قوله:

« يوم ينادون آل بربر واليكسوم » ١٠

وهذا الذى عنى سطيحٌ بقوله: « يليه إرم ذى يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحدا منهم باليمن ». والذى عنى شقٌّ بقوله: « غلام ليس بدنى ولا مدنٍّ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن ».

---

(١) كذا فى ا، وفى سائر الأصول: « إليه ».

(٢) فوزت المفازة: قطعت. وقوله: توسق بالحتف، أى أن وسق البغال الحتوف. ١٥
والتوالب: جمع تولب، وهو ولد الحمار.

(٣) الأقوال: الملوك. والمنقل: الطريق المختصر، وهو أيضاً: الأرض التى يكثر فيها النقل: أى الحجارة، وقوله: من طرف المنقل، أى من أعالى حصونها. والمنقال: الخرج ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية، فكان المنقل من هذا. ومخضرة كتائبها: يعنى من الحديد، ومنه الكتيبة الخضراء. ٢٠

(٤) آل بربر: يريد الحبشة.

(٥) فى شعراء النصرانية: « لا يفلتن ».

(٦) الإمة (بكسر الهمزة): النعمة.

(٧) كذا فى شرح السيرة. والفيج: المنفرد، أو هو الذى يسير للسلطان بالكتب على رجليه.
وفى جميع الأصول: « الفيح » بالحاء المهملة. وهو تصحيف. ٢٥

(٨) الزرافة: الجماعة من الناس.

(٩) فى شرح السيرة لأبى ذر: « خون ». وهى جمع خائنة.

(١٠) بنو تبع: اليمن. والنخاورة: الكرام. واحدهم: نخوار.

(١١) زيادة عن ا.

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

ملك الحبشة في اليمن وملوكهم

قال ابن إسحاق :

فأقام وهرز والفرس باليمن ، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم . وكان ملك الحبشة باليمن ، فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرسُ مسروقَ بن أبرهة وأُخرجت الحبشةُ ، اثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يَكْسوم بن أبرهة ، ثم مَسْروق بن أبرهة .

ملوك الفرس على اليمن

قال ابن هشام :

ثم مات وَهْرِز فأَمَّر كسرى ابنه المَرْزُبان بن وهرز على اليمن ، ثم مات المَرْزُبان فأمّر كسرى ابنه التَّيْنُجان بن المَرْزُبان على اليمن ، ثم مات التينُجان ، فأمّر كسرى ابنَ التينجان على اليمن ، ثم عزله وأمّر باذان ؛ فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمداً [النبي][1] صلّى الله عليه وسلّم .

فبلغنى عن الزهرىّ أنه قال :

كسرى وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم

كتب كسرى إلى باذان : أنه بلغنى أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبيّ ، فسِرْ إليه فاستَتِبْه ، فإن تاب وإلا فابعث إلىّ برأسه . فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قد وعدنى أن يُقتل كِسْرى في يوم كذا من شهر كذا . فلما أتى باذانَ الكتابُ تَوَقَّف لينظر ، وقال : إن كان نبيًّا فسيكون ما قال . فقتل الله كسرى في اليوم الذى قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال ابن هشام : قُتل على يدى ابنه شِيرَوَيْه ، وقال خالد بن حقّ الشيبانى :

وكِسْرَى إذ تَقَسَّمه بَنوه ... بأَسْياف كما اُقتُسِم اللِّحامُ[2]

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) اللحام : جمع لحم .

تمخَّضت المَنون له بيومٍ أَنَى ولكلِّ حاملة تِمام[1]

سلام باذان

قال الزهرى :

فلما بلغ ذلك باذانَ بعث بإسلامه[2] وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقالت الرسل من الفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إلى مَنْ نحن يارسول الله ؟ قال : أنتم منّا وإلينا أهلَ البيت . ٥

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا

قال ابن هشام : فبلغنى عن الزهرى أنه قال :

فمن ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سَلْمان منّا أهل البيت :

بعثة النبي ونبوءة سطيح وشق

قال ابن هشام :

فهو الذى عَنَى سطيح بقوله : « نبى زكىّ ، يأتيه الوحي من قبل العلىّ » . والذى عَنَى شق بقوله : « بل ينقطع برسول مُرْسَل ، يأتى بالحق والعدل ، ١٠ من[3] أهل الدين والفَضْل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفَصْل » .

الحجر الذى وجد باليمن

قال ابن إسحاق :

وكان فى حَجَر باليمن — فيما يزعمون — كتاب بالزَّبُور كُتب فى الزمان الأول : « لمن مُلْك ذِمار ؟ لِحِمْير الأَخْيار[4] ؛ لمن مُلْك ذمار ؟ للحبشة الأشرار[5] ؛ لمن مُلْك ذمار ؟ لفارس الأحرار[6] ؛ لمن ملك ذمار ؟ لقريش التجّار » .

وذِمار : اليمن أوصنعاء . قال ابن هشام : ذمار : بالفتح، فيما أخبرنى[7] يونس. ١٥

---

(١) أنى : حان .

(٢) كان إسلام باذان باليمن فى سنة عشر ، وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبناء يدعوهم إلى الإسلام .

(٣) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « من » .

(٤) سموا بالأخيار : لأنهم كانوا أهل دين ، كما تقدم فى حديث فيميون ، وابن الثامر . ٢٠

(٥) سموا بالأشرار : لما أحدثوا فى اليمن من العبث والفساد وإخراب البلاد ، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام .

(٦) سموا بالأحرار : لأن الملك فيهم متوارث من عهد جيومرت إلى أن جاء الاسلام ، لم يدينوا لملك ، ولا أدوا الإتاوة لذى سلطان من سواهم ، فكانوا أحرارا لذلك .

(٧) وحكى الكسر عن ابن إسحاق . (راجع الروض الأنف) . ٢٥

شعر الأعشى فى نبوءة سطيح وشق

قال ابن إسحاق :

وقال الأعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة فى وقوع ما قال سطيح وصاحبه :

ما نظرتْ ذاتُ أشفارٍ كنظرتها حَقًّا كما صدق الذِّئْبِىّ إذ سَجَعَا (1)

وكانت العرب تقول لسطيح : الذِّئْبِىّ ، لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود

٥ ابن مازن بن ذِئْب .

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له .

قصة ملك الحضر

نسب النعمان وشىء عن الحضر وشعر عدى فيه

قال ابن هشام : وحدثنى خلّاد بن قُرّة بن خالد السَّدُوسىّ عن جَنّاد أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب أنه يقال :

١٠ إن النعمان بن المنذر من ولد ساطِرون (2) ملك الحَضْر . والحَضْر : حِصْن عظيم كالمدينة ، كان على شاطئ الفرات ، وهو الذى ذكر عدىّ بن زيد فى قوله :

وأخو الحَضْر إذ بناه وإذ دِجْـلة تُجْبَى إليه والخَابورُ (3)

شاده مَرْمراً وجلَّله كِلـساً فللطير فى ذُراه وُكورُ (4)

لم يَهَبْه رَيْبُ المَنون فبان (5) الـمُلْكُ عنه فبابُه مَهْجورُ

---

١٥ (1) ذات أشفار : زرقاء اليمامة ، وكانت العرب تزعم أنها ترى الأشخاص على مسيرة ثلاثة أيام فى الصحراء ، وخبرها مشهور .

(2) الساطرون : معناه بالسريانية الملك ، واسم الساطرون : الضيزن بن معاوية ، جرمقانى ، وقيل : قضاعىّ ، من العرب الذين تنخوا بالسواد (أقاموا به) فسموا تنوخ ، وهم قبائل شتى . وأمه جيهلة ، وبها كان يعرف ، وهى أيضاً : قضاعية من بنى تزيد الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية.

٢٠ (3) دجلة والخابور : نهران مشهوران .

(4) المرمر : الرخام . والكلس : ماطلى به الحائط من جص وجيار . وجلله : كساه . ويروى : خلله (بالخاء المعجمة) . أى جعل الجص بين حجر وحجر . وذراه : أعاليه . ووكور : جمع وكر ، وهو عش الطائر .

(5) فى ا : « فباد » .

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

والذى ذكره أبو دُوَاد الإيادى[1] فى قوله :

وأرى الموتَ قد تدلَّى من الحَضْـــر على ربِّ أهله السَّاطرون

وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال: إنها لخلف الأحمر، ويقال: لحمّاد الراوية.

دخول سابور الحضر وزواجه بنت ساطرون وما وقع بينهما

وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون مَلِكَ الحَضْر فحصره سنتين ، فأشرفت بنتُ ساطرون[2] يومًا فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج ، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلا ، فدسّت إليه : أتتزوّجنى إن فتحتُ لك بابَ الحَضْر ؟ فقال : نعم ؛ فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر ، وكان لا يبيت إلاَّ سكران . فأخذت مفاتيحَ باب الحَضْر من تحت رأسه ، فبعثتْ بها مع مولًى لها ، ففتح الباب[3] ، فدخل سابور ، فقتل ساطرونَ ، واستباح الحَضْر وخرّبه ، وسار بها معه فتزوّجها . فبيناهى نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تتململُ لا تنامُ ، فدعا لها بشمعٍ ، ففُتِّش فراشُها ، فوُجد عليه ورقةُ آس[4] ؛ فقال لها سابور : أهذا الذى أسْهَرَكِ ؟ قالت : نعم ؛ قال : فما كان أبوكِ يصنع بكِ ؟ قالت : كان يفرش لى الديباجَ ، ويُلبسنى الحرير ، ويُطْعمنى المخّ ، ويَسْقينى الخمر ؛ قال : أفكان جزاءُ أبيك ماصنعتِ به ، أنت إلىَّ بذلك أسْرع ؛ ثم أَمَرَ بها فرُبطت قُرون[5] رأسها بذَنب فَرَس ، ثم رَكَض الفرسُ حتى قتلها[6] . ففيه يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

---

(١) واسمه جارية بن حجاج ، وقيل : حنظلة بن شرقى .

(٢) يقال إن اسمها النضيرة .

(٣) ويقال : إنها دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحضر ، فقطع لهم الماء ، ودخلوا منه . وقيل : بل دلته على طلسم كان فى الحضر ، وعلى طريقة التغلب عليه . (راجع المسعودى والروض الأنف) .

(٤) الآس : الريحان .

(٥) قرون رأسها : يعنى ذوائب شعرها .

(٦) ويقال إن صاحب هذه القصة هو سابور بن أزدشير بن بابك : لأن أزدشير هو أوّل من جمع ملك فارس ، وأذل ملوك الطوائف ، حتى دان الملك له ، والضيزن كان من ملوك ـــ

أَلَمْ تَرَ الحَضْرَ[1] إذ أهلُه بنُعْمَى وهل خالدٌ من نَعَمْ
أقام به شاهبور[2] الجنو دَ حَوْلَيْنَ تضرب فيه القُدُمْ[3]
فلما دعا ربه دَعْــــوةً أناب إليــــــه فلم ينتقم

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

٥ وقال عدىّ بن زيد فى ذلك :

والحَضْر صابت عليه دَاهيةٌ من فوقه أَيِّدٌ مناكبُها[4]
رَبِيَّةٌ[5] لم تُوَقِّ وَالدَها لِحَيْنِها[6] إذ أضاع راقبها[7]
إذْ غَبَقَتْه[8] صهباءَ صافيةً والخمرُ وَهْلٌ[9] يَهِيم[10] شاربها
فأسلمت أهلَها بلَيْلتها تظنّ أنّ الرئيسَ خاطبها
١٠ فكان حظُّ العروس إذ جَشَرَ[11] الـــصبح دماءً تجرى سَبائبها[12]

= الطوائف ، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذى الأكتاف ، وهو سابور بن هرمز ، لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل ، وبينهم ملوك عدة ، وهم هرمز بن سابور ، وبهرام ابن بهرام ، وبهرام الثالث : ونرس بن بهرام ، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف .

(١) فى ا : « ألم ترى الحضر . . الخ » . .

١٥ (٢) شاهبور معناه : ابن الملك . وشاه : ملك ، وبور : ابن .

(٣) القدم : جمع قدوم ، وهو الفأس ونحوها .

(٤) صابت : سقطت ونزلت . وأيد : شديدة .

(٥) ربية : فعيلة بمعنى مفعول من ربى ؛ وقد تكون بمعنى الربو ، وهو النماء والزيادة ، لأنها ربت فى نعمة ، فتكون بمعنى فاعلة . وقيل : بل أراد : ربيئة ، بالهمز ، وسهل الهمزة ٢٠ فصارت ياء ، وجعلها ربيئة ، لأنها كانت طليعة حيث اطاعت حتى رأت سابور وجنوده ، ويقال للطليعة ، ذكرا أو أنثى : ربيئة .

(٦) ويروى : « لحبها » ، أى لمكرها .

(٧) أى أضاع المربئة الذى يرقبها ويحرسها ، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية ، أى أضاعها حافظها .

٢٥ (٨) غبقته : سقته بالعشى .

(٩) يقال : وهل الرجل ، إذا أراد شيئا فذهب وهمه إلى غيره .

(١٠) يهيم : يتحير .

(١١) جشر : أضاء وتبين .

(١٢) سبائبها : طرائقها .

وخُرِّب الخَضْر واستُبيح وقد   أُحْرِق فى خدرها مشاجبها[1]

وهذه الأبيات فى قصيدة له .

ذكر ولد نزار بن معد

أولاده فى رأى ابن إسحاق وابن هشام

قال ابن إسحاق :

فولد نزار بن معدّ ثلاثةَ نفر : مُضَر[2] بن نِزار ، ورَبيعة بن نزار ، وأَنْمار بن نزار . ٥

قال ابن هشام :

و إياد بن نزار . قال الحارث بن دَوْس الإيادى ، و يروى لأبى دُوَاد الإيادى ، واسمه جارية[3] بن الحجاج :

وفُتُوٌّ[4] حسنٌ أوجهُهُمْ   مِنْ إياد بن نزار بن معدّ

وهذا البيت فى أبيات له : ١٠

فأمُّ مضر و إياد : سَوْدةُ بنت علكّ بن عَدْنان . وأمُّ ربيعة وأنمار : شُقَيقة بنت علكّ بن عَدْنان ، و يقال جُمْعة بنت علكّ بن عَدْنان .

أولاد أنمار

قال ابن إسحاق :

فأنمار : أبو خَثْعم وبَجِيلة[5] . قال جَرير بن عبد الله البَجَلى ، وكان سيِّد بَجيلة ، وهو الذى يقول له القائل : ١٥

---

(١) كذا فى الأصل . والمشاجب : جمع مشجب ، وهو عود تعلق عليه الثياب . ويروى : « مساحبها » . والمساحب : القلائد فى العنق من قرنفل وغيره .

(٢) ويقال : إن مضر أوّل من سن حداء الإبل ، وكان ذلك فيما يزعمون أنه سقط عن بعير فوثبت يده ، وكان أحسن الناس صوتا ، فكان يمشى خلف الإبل ، ويقول : وايدياه وايدياه . يترنم بذلك ، فأعنقت الابل وذهب كلالها ، فكان ذلك أصل الحداء عند العرب . ٢٠

(٣) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « حارثة » وهو تحريف . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧ من هذا الجزء) .

(٤) فتو : جمع فتى ، وهو الشاب الحدث .

(٥) وأم أولاد أنمار : بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، ولد له من غيرها أفتل ، وهو خثعم فلم ينسب إليها . ويقال : إن بجيلة حبشية حضنت أولاد أنمار ، ولم تحضن أفتل ، فلم ينسب إليها . (راجع الروض الأنف) . ٢٥

لولا جَرِيرٌ هلكتْ بَجِيلهْ نِعْمَ الفتى وبئستِ القبيلهْ

وهو ينافر[1] الفُرافصةَ[2] الكَلْبيّ إلى الأقرع بن حابس التَّميمى [بن عِقال ابن مُجاشع بن دارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مَناة][3] :

يا أقرعُ بن حابس يا أقرعْ إنَّكَ ان يُصرعْ أخوك[4] تُصرع

٥ وقال :

ابْنَيْ نزارٍ انْصُرا أخاكما إنّ أبي وجَدْتُه أبَاكما

* لن يُغلَب اليومَ أخٌ وَالاَكُما *

وقد تيامنتْ فلَحِقتْ باليمن .

قال ابنُ هشام :

١٠ قالت اليمن : وبَجيلة : أنمارُ بن إراش بن لِحْيان بن عمرو بن الغَوْث ابن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ ؛ ويقال : إراش ابنُ عمرو ابن لِحْيان بن الغَوْث . ودار بَجيلة وخَثْعم : يمانية .

أولاد مضر

قال ابن إسحاق :

فولد مُضَر بن نزار رجلَيْن : إلياس بن مُضَر ، وعَيْلان[5] بن مضر .

١٥ قال ابن هشام : وأمهما جُرْهمية[6] .

أولاد إلياس

قال ابن إسحاق :

فولد إلياس بن مُضَر ثلاثة نفر : مُدْرِكة بن إلياس ، وطابخة بن إلياس ، وقَمَعة بن إلياس ، وأمهم خِنْدف، امرأة من اليمن .

---

(١) ينافر : يحاكم .

٢٠ (٢) الفرافصة (بالضم) : الأسد . (وبالفتح) : اسم الرجل ؛ وقد قيل : كل فرافصة فى العرب بالضم إلا الفرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان ، فإنه بالفتح .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) كذا فى ا . وهو الأشهر . وفى سائر الأصول : « أخاك » .

(٥) ويقال : إن عيلان هذا، هو قيس نفسه لا أبوه ، وسمى بفرس له اسمه عيلان ، وقيل: ٢٥ عيلان اسم كلبه .

(٦) ويقال : إنها ليست من جرهم ، وإنما هى الرباب بنت حيدة بن معد بن عدنان . (راجع الطبرى والروض الأنف) .

شيء عن خنـــدف وأولادها

قال ابن هشام :

خِنْدف[1] بنت عِمْران بن الحاف بن قُضاعة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مُدْرِكة عامرًا ، وأسمُ طابخة عمرًا ؛ وزعموا أنهما كانا فى إبل لهما يرْعيانها ، فاقتنصا صيدًا فقعَدا عليه يطبخانه ، وعَدَتْ عاديةٌ على إبلهما ، فقال عامر لعَمْرو : أتدرك الإبلَ أم تطبخ هذا الصيدَ ؟ فقال عمرو : بل أطبُخ . فلَحِق عامرٌ بالإبل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدّثاه بشأنهما ، فقال لعامر : أنت مُدْرِكة ؛ وقال لعمرو : وأنت طابخة [وخرجت أُمهم لما بلغها الخَبرُ ، وهى مسرعة ، فقال لها : تُخَندفين ! فسميت : خِنْدف][2] .

وأما قَمَعَة[3] فيزعُم نُسّاب مضر : أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَىّ بن قَمعة بن إلياس .

قصة عمرو بن لحى وذكر أصنام العرب

رآه النبي صلى الله عليه وسلم يجر قصبه فى النار

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر بن محمّد بن عمرو بن حَزْم عن أبيه قال :

حُدِّثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت عمرو بن لُحَىّ يجُرّ قُصْبَه[4] فى النار ، فسألته عمّن بينى و بينه من الناس فقال : هلكوا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ أن أبا صالح السّمّان حدّثه أنه سَمِع أبا هُرَيرة – قال ابن هشام : واسم أبى هُرَيرة : عبد الله ابن عامر ، و يقال اسمه عبد الرحمن بن صَخْر – يقول :

---

(١) واسمها ليلى : وأمها ضرية بنت ربيعة بن نزار التى ينسب إليها حمى ضرية ، وخندف هذه هى التى ضربت الأمثال بحزنها على الياس ، وذلك أنها تركت بنيها وساحت فى الأرض تبكيه حتى ماتت ، وإنما نسب أولادها إليها لأنها حين تركتهم بشغلا لحزنها على أبيهم ، وكانوا صغارا رحمهم الناس ، فقالوا هؤلاء أولاد خندف التى تركتهم ، وهم صغار أيتام .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) واسم قمعة : عمير ، وسمى قمعة لأنه انقمع وقعد .

(٤) القصب : الأمعاء .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجَوْن الخُزاعيّ : يا أكثم ، رأيت عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعة بن خِنْدف يجرّ قُصْبه في النار . فما رأيت رجلاً أشبهَ برَجُل منك به ، ولا بك منه ؛ فقال أكثم : عسى أن يَضُرّني شَبَهُه يا رسول الله . قال : لا ، إنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أوّل

٥ مَنْ غَيّر دين إسماعيل ، فَنصب الأوثان ، وبَحَر البَحيرة[1] ، وسيّب السّائبة ، ووَصَل الوَصيلة ، وحَمَى الحامى .

جلب الأصنام من الشام إلى مكة

قال ابن هشام حدّثنى بعض أهل العلم :

أن عمرو بن لُحَيّ خرج من مكة إلى الشام فى بعض أموره ، فلما قدم مآبَ من أرض البَلْقاء ، وبها يومئذ العَماليق ـ وهم ولد عِمْلاق . ويقال عِمْليق

١٠ ابن لاوذ بن سام بن نوح ـ رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم : ما هذه الأصنام التى أراكم تَعْبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعبدها ، فَنَسْتمطرها فتُمْطِرنا ، ونَسْتَنْصرها فتَنْصرنا ؛ فقال لهم : أفلا تُعْطُوننى منها صَنَماً ، فأَسيرَ به إلى أرض العرب ، فيعبدوه[2] ؟ فأعطَوْه صنماً يقال له هُبَل ، فقدم به مكّة فَنَصبه ، وأَمَرَ النّاسَ بعبادته وتعظيمه[3] .

أول عبادة الحجارة كانت فى بنى إسماعيل

١٥ قال ابن إسحاق :

ويزعمون أن أوّل ما كانت عبادة الحجارة فى بَنِى إسماعيل ، أنه كان لا يَظْعَن

---

(١) ويقال : إن أول من بحر البحيرة رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع أذانهما ، وحرم ألبانهما . (راجع الروض الأنف) .

(٢) فى الأصول : « فيعبدونه » .

٢٠ (٣) ويقال : إنه أول ما كان من أمر عمرو هذا فى عبادة الأصنام : أنه كان حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة ، جعلته العرب ربا لايبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ، لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم فى الموسم ، فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكسا عشرة آلاف حلة ، وكانت هناك صخرة يلت عليها السويق للحجاج رجل من ثقيف ، وكانت تسمى صخرة اللات (أى الذى يلت العجين) ، فلما مات هذا الرجل ، قال لهم

٢٥ عمرو : إنه لم يمت ، ولكن دخل فى الصخرة ، وأمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بيتاً يسمى اللات . (راجع الروض الأنف) .

من مكة ظاعنٌ منهم ، حين ضاقت عليهم ، والتمسوا الفُسَحَ فى البلاد ، إلاّ حَمَل معه حجراً من حجارة الحَرَم تعظيماً للحرم ، فحيثما نزلوا وضعوه ، فطافوا به كطَوافهم بالكعبة ، حتى سَلَخ[1] ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة ، وأعجبهم ؛ حتى خَلَف الْخُلوف[2] ، ونَسَوْا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيرَه ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قَبْلَهم من الضلالات ؛ وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسّكون بها ، من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحجّ والعمرة ، والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهَدْى البُدن ، والإهلال بالحجّ والعُمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كِنانة وقُريش إذا أهلّوا قالوا : « لبّيك اللهم لبّيك ، لبّيك لاشريك لك إلا شريك هو لك ، تملكه وما مَلَكَ » . فيوحّدونه بالتلبية ، ثم يُدْخلون معه أصنامَهم ، ويجعلون مِلْكَها بيده . يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلّى الله عليه وسلم : « وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ » . أى مايوحّدوننى لمعرفة حقّى إلا جعلوا معى شريكاً من خَلْقى .

الأصنام عند قوم نوح

وقد كانت لقوم نوح أصنامٌ قد عكفوا عليها ، قصّ الله تبارك وتعالى خبَرها على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : «وَقالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً » .

القبائل وأصنامها ، وشىء عنها

فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم ، وسموا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هُذَيلَ بن مُدْركة بن إلياس بن مضر ، اتخذوا سُواعا ، فكان لهم بُرهَاط[3] . وكَلْب بن وَبْرة من قُضاعة ، اتخذوا وَدًّا بدُومة[4] الجَنْدَل .

---

(١) سلخ بهم : خرج بهم .

(٢) الخلوف : جمع خلف (بالفتح) ، وهو القرن بعد القرن .

(٣) رهاط : من أرض ينبع .

(٤) دومة الجندل (بضم أوله وفتحه ، وقد أنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين) : من أعمال المدينة ، سميت بدوم بن إسماعيل بن إبراهيم . (راجع معجم البلدان)

قال ابن إسحاق :

وقال كعب بن مالك الأنصارى :

وَنَنْسى اللاتَ والعُزّى ووَدًّا ونسلُبها القلائدَ والشُّنوفَا[1]

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله .

رأى ابن هشام فى نسب كلب ابن وبرة

قال ابن هشام :

وكَلْب ابنُ وَبْرَةَ بن تغلب بن حُلْوَان بن عِمْران بن الحاف بن قضاعة .

يغوث وعبدته

قال ابن إسحاق :

وأَنْعُم من طيّئ ، وأهل جُرَش[2] من مَذْحج اتخذوا يغوث بجُرَش[3] .

رأى ابن هشام فى أنعم وفى نسب طيئ

قال ابن هشام :

ويقال : أَنْعَم . وطيّئ ابنُ أُدد بن مالك ، ومالك : مَذْحج بن أُدَد ، ويقال : طيئ ابنُ أُدد بن زيد بن كَهْلان بن سَبأ .

يعوق وعبدته

قال ابن إسحاق :

وخَيْوانُ[4] بَطْن من هَمْدان ، اتخذوا يَعوق بأرض هَمْدان من أرض اليمن[5] .

قال ابن هشام :

---

(١) الشنوف : جمع شنف ، وهو القرط الذى يجعل فى الأذن .

(٢) المعروف أن جرش فى حمير ، وأن مذحج من كهلان بن سبأ . وذكر الدارقطنى أن جرش وحرش (بالحاء المهملة) أخوان ، وأنهما ابنا عليم بن جناب الكلبى ، فهما قبيلان من كلب . (راجع الروض الأنف ص ٦٣ ، وشرح السيرة ص ٢٩) . وعبارة ابن الكلبى فى الأصنام : « واتخذت مذحج وأهل جرش » . فلم يجعل هو الآخر جرش من مذحج .

(٣) جرش (بالضم ثم الفتح وشين معجمة) : من مخاليف اليمن من جهة مكة . (راجع معجم البلدان) .

(٤) وخيوان أيضاً : قرية لهم من صنعاء على ليلتين مما يلى مكة ، وكان بها يعوق هذا .

(٥) قال ابن الكلبى فى كتابه الأصنام : « ولم أسمع همدان ولا غيرها من العرب سمت به ، ولم أسمع لها ، ولا لغيرها فيه شعرا ، وأظن ذلك لأنهم قربوا من صنعاء ، واختلطوا بحمير ، فدانوا معهم باليهودية ، أيام تهود ذى نواس فتهودوا معه . ويرد عليه ما أورده هنا ابن هشام لمالك بن نمط الهمدانى فى يعوق من الشعر ، فلعل ابن الكلبى لم يقع عليه ، أو لعله يريد أن يعوق كان أقل خطرا وأركد ذكرا .

وقال[1] مالك بن نَمَط الهَمْدانى[2] :

يَرِيش الله فى الدنيا ويَبْرِى ... ولا يَبْرِى يَعوقُ ولا يَرِيشُ[3]

وهذا البيت فى أبيات له .

همدان ونسبه

قال ابن هشام :

اسم همدان : أَوْسَلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أَوْسَلة بن الخِيار بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : أوسَلة ابنُ زيد بن أَوْسَلة بن الخيار . ويقال : همدان ابنُ أَوْسَلة بن ربيعة[4] بن مالك بن الخِيار بن مالك بن زيد ابن كَهْلان بن سبأ[5] .

نسر وعبدته

قال ابن إسحاق :

وذو الكُلاع[6] من حِمْير ، اتخذوا نَسْرًا بأرض حِمْير[7] .

عميانس وعبدته

وكان لخوْلان صَنَم يقال له عُمْيَانِس[8] بأرض خَوْلان ، يَقْسِمون له من أنعامهم وحروثهم قسمًا بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل فى حق عُمْيَانِسَ من

---

(1) مكان هذه العبارة والبيت وما يتعلق به ، فيما سيأتى بعد : « . . . بن الخيار » . وقبل : « ويقال همدان . . . الخ » . وقد رأينا تقديمها عن موضعها ليتصل سياق الحديث عن همدان من غير فصل ، وقد يكون هذا مكانها الأول .

(2) هو أبو ثور : ويلقب ذا المعشار ، وهو من بنى خارف ، وقيل إنه من يام بن أصى ، وكلاهما من همدان . (راجع الروض الأنف) .

(3) يريش ويبرى : من رشت السهم وبريته ، ثم استعير فى النفع والضر .

(4) فى ا : « ربيعة بن الخيار بن مالك . . الخ » .

(5) والذى فى الاشتقاق لابن دريد : أنه أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان .

(6) الذى فى الأصنام لابن الكلبى : أن عمرو بن لحى دفع نسرا هذا إلى رجل من ذى رعين من حمير يقال له معد يكرب .

(7) كان هذا الصنم بأرض يقال لها : بلخع ، موضع من أرض سبأ ، ولم تزل تعبده حمير ومن والاها حتى هودهم ذو نواس . (راجع الأصنام لابن الكلبى ، ومعجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٧٨٠ طبع أوربا) .

(8) كذا فى الأصنام لابن الكلبى . وفى أكثر الأصول : « غم أنس » . وفى ا وعمود النسب للشيخ أحمد البدوى الشنقيطى : « عم أنس » ، وقد نبه المرحوم زكى باشا أنه لم يعثر على اسم كهذا الذى ورد فى السيرة فى كتب اللغة .

حقّ الله تعالى الذى سمّوه له ، تركوه له ، وما دخل فى حق الله تعالى من حق عُمْيَانِسَ ردّوه عليه . وهم بطن من خولان ، يقال لهم الأديم . وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون : « وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللّٰهِ وَمَا كَانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » .

نسب خولان

قال ابن هشام :

خَوْلان ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة ؛ ويقال : خَوْلان ابنُ عمرو ابن مرة[1] بن أُدد بن زيد بن مِهْسَع بن عمرو بن عَريب بن زيد بن كهلان ابن سبأ ؛ ويقال : خَوْلان ابن عمرو بن سعد العشيرة بن مَذْحج .

سعد وعبدته

قال ابن إسحاق :

وكان لبَنِى[2] مِلْكان[3] بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْركة بن أُلياس بن مُضَر صنم ، يقال له سَعْد ، صَخْرة بفلاة[4] من أرضهم طويلة . فأقبل رجل من بنى مِلْكان بإبل له مُؤَبَّلة[5] ليقفها عليه ، التماسَ بركته ، فيما يزعم ؛ فلما رأته الإبل ، وكانت مَرْعيّة لا تُركَب ، وكان يُهْراق عليه الدماء ، نفرتْ منه ، فذهبتْ فى كل وجه ، وغَضِب ربها المِلْكانى ، فأخذ حجرًا فرماه به ، ثم قال : لا بارك الله فيك ، نفّرت على إبلى ، ثم خرج فى طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أَتَيْنَا إلى سَعْد ليجمع شَمْلَنا ... فَشَتَّتنا سعدٌ فلا نَحْنُ من سَعْدِ

وهل سعدُ إلاّ صخرة بتَنُوفة[6] ... من الأرض لا تَدْعُو[7] لغىٍّ ولا رُشْد

(1) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « برة » .

(2) عبارة الأصنام : « وكان لمالك وملكان ابنى كنانة » .

(3) كل ملكان فى العرب : فهو بكسر الميم وسكون اللام ، غير ملكان فى قضاعة ، وملكان فى السكون ، فإنهما بفتح الميم واللام .

(4) وكانت تلك الفلاة بساحل جدة : (راجع معجم البلدان ج ٣ ص ٩٢ طبع أوربا ، والأصنام لابن الكلبى) .

(5) إبل مؤبلة : تتخذ للقنية .

(6) التنوفة : القفر من الأرض الذى لا ينبت شيئا .

(7) كذا فى الأصول والأصنام ، وفى معجم البلدان لياقوت : « لايدعى » .

صنم دوس

وكان فى دَوْس صنم[1] لعمرو بن حُمَمة الدَّوسىّ .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله .

نسب دوس

ودَوس ابنُ عُدْثان[2] بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسْد بن الغوث. ويقال : دوس ابنُ عبد الله ابن زهران بن الأسد بن الغوث .

هبل

قال ابن إسحاق :

وكانت قريش قد اتخذت صنماً على بئر فى جوف الكعبة يقال له : هُبَل.[3]

قال ابن هشام : سأذكر حديثَه إن شاء الله فى موضعه .

إساف ونائلة وحديث عائشة عنهما

قال ابن إسحاق :

واتخذوا إِسَافاً[4] ونائلة ، على موضع زمزم[5] ينحرون عندها . وكان إساف ونائلة رجلاً وامرأة من جُرْهم ـ هو إساف بن بَغْى[6] ، ونائلة بنت[7] دِيك ـ فوقع إساف على نائلة فى الكعبة ، فمسخهما الله حَجَرَيْن .

---

(١) وكان يقال لهذا الصنم : « ذو الكفين » . وكان لبنى منهب بن دوس بعد دوس ، ولما أسلموا بعث النبى صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو الدوسى فحرقه (راجع الأصنام لابن الكلبي) .

(٢) كذا فى ا والاشتقاق لابن دريد . وفى سائر الأصول : « عدنان » .

(٣) وكان هبل أعظم أصنام العرب التى فى جوف الكعبة وحولها ، وكان من عقيق أحمر على صورة إنسان ، مكسور اليد اليمنى ؛ أدركته قريش كذلك ، فجعلوا له يدا من ذهب ، وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر ، وكان يقال له : هبل خزيمة ، وكانت تضرب عنده القداح : (راجع الأصنام لابن الكلبي) .

(٤) هو بفتح الهمزة وكسرها . (راجع شرح القاموس مادة أسف) .

(٥) وكان أحد هذين الصنمين أولا بلصق الكعبة ، والآخر فى موضع زمزم ، فنقلت قريش الذى كان بلصق الكعبة إلى الآخر ، فكانا فى موضعهما هذا . (راجع الألوسى وابن الكلبي) .

(٦) وقيل : هو إساف بن يعلى، كما قيل إنه إساف بن عمرو ، وقيل : ابن بغاة . (راجع الأصنام لابن الكلبي) . ومعجم البلدان وشرح القاموس مادتى أسف ونال ، وبلوغ الأرب ج ٢ ص ٢١٧) .

(٧) ويقال : هى نائلة بنت زيد من جرهم ، كما قيل : إنها نائلة بنت سهل : كما يقال إنها بنت ذئب أو بنت زفيل (راجع ابن الكلبي وبلوغ الأرب ومعجم البلدان وشرح القاموس).

قال ابن إسحاق حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عَمْرة بنت عبد الرحمن بن سعد بْنْ زرارة أنها قالت :

سمعت عائشة رضى الله عنها تقول : مازلنا نسمع أن إسافًا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جُرْهم، أَحْدثا[1] فى الكَعْبة ، فمسخهما الله تعالى حَجَرَيْن . والله أعلم .

٥ قال ابن إسحاق :

وقال أبو طالب[2] :

وحيث يُنيخ الأشعرون رِكابَهم بمُفْضَى السُّيول من إسافٍ ونائلِ[3]

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

ما كان يفعله العرب مع الأصنام

قال ابن إسحاق :

١٠ واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنماً يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفرًا تمسّح به حين يركب ، فكان ذلك آخرَ ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسّح به ، فكان ذلك أولَ ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمدًا صلّى الله عليه وسلّم بالتوحيد، قالت قريش : أجعلَ الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشىء عجاب ! وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طَواغيت،

١٥ وهى بيوت تعظّمها كتَعْظيم الكعبة ، لها سَدَنة وحُجّاب ، وتُهدِى لها كما تُهْدِى للكعبة ، وتطوف بها كَطَوافها بِها ، وتَنْحر عندها . وهى تعرف فضلَ الكعبة عليها ، لأنها كانت قد عَرَفت أنها بيتُ إبراهيم الخليل ومسجدُه .

---

(١) يريد: الحدث الذى هو الفجور، ومنه قوله عليه السلام : « من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله » .

٢٠ (٢) وقال أبو طالب هذا الشعر يحلف بإساف ونائلة حين تحالفت قريش على بنى هاشم فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم : (راجع الأصنام لابن الكلبى) .

(٣) وقبل هذا البيت :

أحضرت عند البيت رهطى ومعشرى وأمسكت من أثوابه بالوصائل

[الوصائل : ثياب يمانية بيض ، أو مخططة بيض وحمر] .

العزى وسدنتها

فكانت لقريش وبنى كنانة العُزَّى[1] بنَخْلة[2]، وكان سَدنتَها وحُجّابَها بنو شَيْبان[3]، من سُلَيْم، حلفاء بنى هاشم.

قال ابن هشام:

حلفاء [بنى][4] أبى طالب خاصّة، وسُليم: سُلَيم بن مَنْصُور بن عِكْرِمة ابن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان.

قال ابن إسحاق:

فقال شاعر من العرب:

لقد أُنْكِحتْ أَسْماءُ رأسَ[5] بُقَيْرَةٍ ... من الأُدْمِ أهداها امرؤ من بنى غَنْمِ[6]

---

(1) والعزى: أحدث من اللات ومناة، فقد سمت العرب بهما قبل العزى، فقد سمى تميم ابن مر ابنه زيد مناة، كما سمى ثعلبة بن عكابة ابنه تيم اللات، وكان عبد العزى بن كعب من أقدم ما سمت به العرب، وكان الذى اتخذ العزى ظالم بن أسعد، وكانت أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح. وقد قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها يوما، فقال: «لقد أهديت للعزى شاة عفراء، وأنا على دين قومى». ولقد بلغ من حرص قريش على عبادتها أنه لما مرض أبو أحيحة مرضه الذى مات فيه دخل عليه أبو لهب يعوده فوجده يبكى، فقال: ما يبكيك يا أبا أحيحة! أمن الموت تبكى، ولابد منه؟ قال: لا والله؛ ولكن أخاف أن لاتعبد العزى بعدى؛ قال أبو لهب: والله ماعبدت حياتك لأجلك، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك؛ فقال أبو أحيحة: الآن علمت أن لى خليفة. وأعجبه من أبى لهب شدة نصبه فى عبادتها: (راجع الأصنام لابن الكلبى، ومعجم البلدان لياقوت).

(2) هى نخلة الشامية، وكانت العزى بواد منها، يقال له الحراض، بإزاء الغمير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة، وذلك فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال، وقد حمت قريش للعزى شعبا من وادى الحراض يقال له: سقام. يضاهون به حرم الكعبة. (راجع الأصنام لابن الكلبى، ومعجم البلدان لياقوت).

(3) وشيبان: ابن جابر بن مرة بن عبس بن رفاعة بن الحارث بن عتبة بن سليم بن منصور. وكان آخر من سدنها من بنى شيبان دبية بن حرمى السلمى، وله يقول أبو خراش الهذلى — وكان قد قدم عليه فحذاه نعلين — أبياتا، منها:

حذانى بعد ماخذمت نعالى ... دبية، إنه نعم الخليل

(راجع معجم البلدان ج ٣ ص ٦٦٥ طبع أوربا، والأصنام لابن الكلبى).

(4) زيادة عن ا.

(5) فى الأصنام لابن الكلبى: «لحى». واللحى: عظم الحنك، وهو الذى عليه الأسنان.

(6) هو غنم بن فراس بن كنانة.

رأى قَدَعًا[1] فى عينها إذ يسوقها إلى غَبْغَبِ العُزَّى فوضّع[2] فى القَسْم

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هَدْيًا قسّموه فى مَنْ حضرهم . والغَبْغَب : المنحر ومهراق الدماء .

قال ابن هشام :

وهذان البيتان لأبى خراش : الهذلىّ[3] ، واسمه خُويلد بن مُرّة ، فى أبيات له .

معنى السدنة

والسدنة : الذين يقومون بأمر الكعبة . قال رؤبة بن العجاج :

فلا وربّ الآمناتِ القُطَّن[4] بِمَحْبِسِ الهَدْيِ وَبَيْتِ المَسْدَنِ

وهذان البيتان[5] فى أرجوزة له، وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه.

اللات وسدنتها

قال ابن إسحاق :

وكانت اللات[6] لثقيف بالطائف ، وكان سَدَنتها وحجّابها بنو مُعَتِّب[7] من ثَقيف .

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى فى موضعه .

مناة وسدنتها وهدمها

قال ابن إسحاق :

وكانت مناة[8] للأوس والخزرج ، ومن دان بدينهم من أهل يثرب ، على

---

(١) كذا فى الأصول . والقدع : السدر فى العين . وفى الفائق للزمخشرى : القدع : انسلاق العين من كثرة البكاء . وفى الأصنام لابن الكلبى : « قذعا » بالذال المعجمة . والقذع : البياض .

(٢) كذا فى الأصول . وفى الأصنام : « فوضّع » . وفى الفائق للزمخشرى : « فنصف» . يريد أن يشبه هذا الممدوح برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها ، فلا تصلح إلا للذبح والتقسيم .

(٣) قال أبو خراش هذا الشعر يهجو به رجلا تزوج امرأة جميلة يقال لها أسماء .

(٤) يريد حمام مكة ، لأنه آمن فى حرمه .

(٥) هذا على أنه من مشطور الرجز .

(٦) وهى أحدث من مناة ، وكانت صخرة مربعة .

(٧) فى الأصنام لابن الكلبى : « وكان سدنتها من ثقيف بنو عتاب بن مالك » .

(٨) وكانت مناة أقدمها كلها ، ولم يكن أحد أشد إعظاما لها من الأوس والخزرج . (راجع الأصنام لابن الكلبى) .

ساحل البحر من ناحية المشلّل بقُدَيد[1] .

قال ابن هشام :

وقال الكُمَيت بن زيد أحد بنى أسد بن خُزَيمة بن مُدْركة :

وقد آلتْ قبائلُ لا تُوَلّى مناةَ ظهورَها مُتحرِّفينا

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام :

فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إليها أبا سفيان بن حَرْبٍ فهدمها .

ويقال : علىّ بن أبى طالب[2] .

ذو الخلصة وسدنته وهدمه

قال ابن إسحاق :

وكان ذو الخَلَصة[3] لدَوْس وخَثْعم وبَجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب بتَبالة[4] .

قال ابن هشام : ويقال : ذو الخُلُصة . قال رجل من العرب :

لو كنتَ يا ذا الخلص المَوْتورَا مِثْلى وكان شيخُك المَقْبورَا

* لم تَنْهَ عن قَتْل العُداة زُورَا *

---

(1) قديد : موضع قرب مكة . والمشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر . (راجع معجم البلدان) .

(2) وعلى هذا الرأى ابن الكلبى فى كتابه الأصنام ، ويقال إن عليا لما هدمها أخذ ما كان لها ، فأقبل به إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك غسان أهداهما لها ، أحدهما يسمى « مخذما » ، والآخر « رسوبا » . وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة فى شعره . فقال :

مظاهر سربالى حديد عليهما عقيلا سيوف مخذم ورسوب

فوهبهما النبى صلى الله عليه وسلم لعلى . كما يقال إن عليا وجد هذين السيفين فى الفلس ، صنم لطىء . وإلى هذا الرأى الأخير ذهب ابن إسحاق عند الكلام على فلس . (راجع الأصنام لابن الكلبى وبلوغ الأرب ج ٢ ص ٢١٨) .

(3) وكان ذو الخلصة مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكان سدنتها بنو أمامة ، من باهلة بن أعصر .

(4) تبالة : قرب مكة على مسيرة سبع ليال منها ، وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة : (راجع معجم البلدان ، والأصنام ، وخزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٩٠٢) . والألوسى ج ٢ ص ٢٢٣) .

قال : وكان أبوه قُتِلَ فأراد الطلبَ بثأره ، فأتى ذا الخَلَصة ، فاستَقْسَم عنده بالأزلام ، فخرج السهم بنَهْيه عن ذلك ، فقال هذه الأبيات . ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حُجْر الكِنْدىّ[1] . فبعث إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جريرَ بن عبد الله البجلى فهدمه .

فلس وسدنته وهدمه

٥ قال ابن إسحاق :

وكانت فَلس[2] لطيّئ ومَنْ يليها بجَبَلَىْ طيّئ ، يعنى سَلْمى وأجأ .

قال ابنُ هشام :

فحدّثنى بعض أهل العلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث إليها علىّ ابن أبى طالب فهدمها ، فوجد فيها سَيْفَيْن ، يقال لأحدهما : الرَّسُوب ، وللآخر

١٠ المِخْذَم . فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوَهبهما له ، فهما سَيْفا علىّ رضى الله عنه

رئام

قال ابن إسحاق :

وكان لحِمير وأهلِ اليمن بيتٌ بصنعاء يقال له : رئام[3]

قال ابن هشام : قد ذكرت حديثَه فيما مضى[4] .

رضاء وسدنته

قال ابن إسحاق :

١٥ وكانت رُضاء[5] بيتاً لبنى رَبيعة بن كَعب بن سَعْد بن زيد مناة بن تميم ،

---

(١) ومن ينحل هذا الرجز امرأ القيس يقول إنه هو الذى استقسم بالأزلام عند ذى الخلصة لما وترته بنو أسد بقتل أبيه ، وأنه استقسم بثلاثة أزلام ، وهى الزاجر ، والآمر والمربص ، فخرج له الزاجر ، فسب الصنم ورماه بالحجارة ، وقال له : اعضض بظر أمك . وأنه لم يستقسم أحد عند ذى الخلصة بعده حتى جاء الإسلام . (راجع الروض الأنف) .

٢٠ (٢) كذا فى الأصنام لابن الكلبى ، وكان أنفا أحمر فى وسط جبلهم الذى يقال له أجأ ، كأنه تمثال إنسان ، وكانوا يعبدونه ويهدون إليه ، ولا يأتيه خائف إلا أمن عنده ، وكانت سدنته بنو بولان . وبولان هو الذى بدأ بعبادته . وفى الأصل : قلس (بالقاف) ، وهو تصحيف .

(٣) كذا فى الأصول ، وهو يتفق وما ذهب إليه البغدادى . وفى صفة جزيرة العرب

٢٥ للهمدانى « ريام » بالمثناة .

(٤) راجع الكلام عليه (ص ٢٨ من هذا الجزء) .

(٥) ويذكر بعض الرواة أنه « رضى » بالقصر ، وأورده البغدادى ممدودا ، وورد ممدودا فى بيت المستوغر المذكور بعد .

ولها يقول المُسْتَوْغِر[1] بنُ ربيعة بن كَعْب بن سَعْد . حين هدمها فى الإسلام :

ولقد شددتُ على رُضاء شَدَّةً فتركتُها قفراً بقاعٍ أَسْحَمَا[2]

قال ابن هشام : قوله :

* فتركتها قفرا بقاع أسحما *

المستوغر وعمره — عن رجل من بنى سَعْد . ويقال : إن المُسْتَوْغِر عُمِّر ثلاثَ مِئَةِ سنة وثلاثين سنة ، ٥

وكان أطول مُضَر[3] كلِّها عمرا ، وهو الذى يقول :

ولقد سئمتُ من الحياة وطُولِها وعَمَرْتُ من عَدد السنين مئِينَا

مِئَة حَدَتْها بعدها مِئَتان لى وازددتُ من عدد الشهور سنينا

هل ما بقى إلاّ كما قَدْ فاتنا يومٌ يَكُرُّ وليلةٌ تَحْدُونا

وبعض الناس يَرْوِى هذه الأبياتَ لزُهَير بن جَناب الكَلْبى[4] . ١٠

---

(١) واسمه كعب ، وقيل عمرو ، وسمى مستوغرا لقوله :

ينش الماء فى الربلات منه نشيش الرضف فى اللبن الوغير

(راجع الأصنام لابن الكلبى، والروض الأنف ، وكتاب المعمرين لأبى حاتم السجستانى، ومعجم البلدان) .

(٢) القاع : المنخفض من الأرض . ورواية هذا الشطر فى الأصنام : ١٥

* فتركتها تلا تنازع أسحما *

(٣) ذكر بعضهم أن المستوغر حضر سوق عكاظ ، ومعه ابن ابنه وقد هرم ، والجد يقوده . فقال له رجل : ارفق بهذا الشيخ فقد طال مارفق بك ؛ فقال : ومن تراه ؟ قال : هو أبوك أو جدك ؟ فقال : ماهو إلا ابن ابنى ؛ فقال : مارأيت كاليوم ، ولا المستوغر بن ربيعة ؛ فقال : أنا المستوغر ، وذكر هذه الأبيات ؛ وقد ساق عنه السجستانى فى المعمرين حديثاً طويلا . ٢٠

(٤) هو من المعمرين أيضاً : كالمستوغر بن ربيعة ، ويقال إنه عاش ٤٢٠ سنة ، وأوقع مثتى وقعة ، ومن شعره لبنيه :

أبنى إن أهلك فإنى قد بنيت لكم بنيه

وتركتكم أبناء سا دات زنادهم وريه ٢٥

من كل ما نال الفتى قد نلته إلا التحيه

(راجع كتاب المعمرين) .

ذو الكعبات وسدنته

قال ابن إسحاق :

وكان ذو الكَعَبات لبكر وتَغْلب ابنى وائل وإياد بِسَنْداد[1] . وله يقول أعشى بنى قَيْس بن ثَعْلبة :

بَيْنَ الخَوَرْنَق[2] والسَّدِير وبارقٍ والبَيْتِ ذِى الكَعَبات[3] من سِنْدادِ

٥ قال ابن هشام : وهذا البيت للأسود بن يَعْفر النَهْشَلِيّ . نهشل بنُ دارم بن مالك ابن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تَميم ، فى قصيدة له . وأنشدنيه أبو مُحْرِز خَلَف الأحمر :

أَهْل الخَوَرْنَق والسَّدِير وبارق والبيتِ ذى الشُّرفات مِنْ سنداد

أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

رأى ابن إسحاق فيها

١٠ قال ابن إسحاق :

فأمّا البَحيرة فهى بنت السّائبة ، والسائبة : الناقة إذا تابعتْ بين عَشْر إناثٍ ليس بينهنّ ذَكَر ، سِيبَتْ فلم يُرْكَب ظهرُها ، ولم يُجَزّ وَبَرُها ، ولم يَشْرب لبنَها إلا ضيفٌ ؛ فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقّت أذُنها، ثم خُلّى سبيلُها مع أُمّها فلم يُرْكَب ظَهْرُها ، ولم يُجَزّ وَبَرُها ، ولم يَشْرب لبنها إلا ضيفٌ كما فُعِلَ بِأُمّها ،

١٥ فهى البَحيرة بنت السائبة . والوَصِيلة : الشاة إذا أَتْأَمت[4] عَشْرَ إناثٍ مُتتابعات فى خَمْسة أَبْطُن ، ليس بينهن ذَكَر ، جُعِلت وصيلةً . قالوا : قد وَصلت ، فكان

---

(١) سنداد (بكسر السين وفتحها) : منازل لإياد أسفل سواد الكوفة ، وراء نجران الكوفة . (عن معجم البلدان) .

(٢) الخورنق : قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ليكون ولده فيه عنده ، وبناه

٢٠ بنيانا عجيبا لم تر العرب مثله، بناه له سنمار ، وله معه حديث مشهور ، ومعنى السدير (بالفارسية): بيت الملك .

(٣) الكعبات : يريد التربيع ، وكل بناء يبنى مربعا ، فهو كعبة .

(٤) أتأمت : جاءت باثنين فى بطن واحد .

ما وَلَدَتْ بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شيء فيشتركوا في أكله ، ذكورُهم وإناثُهم .

قال ابن هشام : ويروى: فكان ماولدت بعدذلك لذكور بنيهم دون بناتهم .

قال ابن إسحاق :

والحامى : الفَحْل إذا نُتِجَ له عَشْر إناث مُتتابعات ليس بينهنّ ذَكَر ، ٥
حُمِى ظَهْرُه فلم يُرْكَب ، ولم يُجَزّ وَبَرُه ، وخُلِّى فى إبله يَضْرِب فيها ، لا يُنتفع منه بغير ذلك .

رأى ابن هشام فيها

قال ابن هشام :

وهذا [كلّه][1] عند العرب على غير هذا إلا الحامى ، فإنه عندهم على
ما قال ابن إسحاق . فالبحيرةُ عندهم : الناقة تشق أذنها فلا يُركب ظهرُها ، ولا ١٠
يُجزّ وَبَرُها ، ولا يَشرب لبنَها إلاّ ضيف ، أو يُتصدَّق به ، وتُهمَل لآلهتهم .
والسائبة : التى يَنْذِرُ الرجل أن يُسيبها إن بَرِئَ من مرضه ، أو إن أصاب أمرًا يَطْلُبه . فإذا كان أساب ناقةً من إبله أو جملاً لبعض آلهتهم ، فسابت فَرَعَتْ لا يُنتفع بها . والوَصِيلة : التى تَلِد أمُّها اثنين فى كلّ بطن ، فيَجعل صاحبُها
لآلهته الإناث[منها][1] ولنفسه الذكور منها ، فتلِدها أمها ومعها ذكر فى بطن ، ١٥
فيقولون : وَصَلت أخاها . فيُسيَّب أخوها معها فلا يُنتفع به[2] .

قال ابن هشام : حدّثنى به يونس بن حَبيب النحوى وغيرُه ، روى بعضٌ مالم يَرْوِ بعض .

قال ابن إسحاق :

فلما بعث الله تبارك وتعالى رسولَه محمدًا صَلى الله عليه وسلّم أنزل عليه : ٢٠
« مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَائِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) زيادة عن ا .

(٢) والكلام فى البحيرة وأخواتها كثير مختلف فيه ، وقد ذكر الألوسى معظمه . (راجع بلوغ الأرب ج ٣ ص ٣٤ ــ ٣٩) .

يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ » . وأنزل الله تعالى :
« وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هٰذِهِ ٱلْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ
يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ » . وأنزل عليه :
« قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ ٱللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ
٥ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللهِ تَفْتَرُونَ » . وأنزل عليه : « مِنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ
وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ
ٱلْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِى بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ
ٱثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنْثَيَيْنِ
أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ ٱللهُ بِهٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللهِ كَذِبًا
١٠ لِيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللهَ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ » .

البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى لغة

قال ابن هشام : قال الشاعر :

حول الوصائل[1] فى شُرَيف[2] حِقَّةٌ ... وَالحاميات ظُهورها والسُّيَّبُ

وقال تميم بن أُبَىّ [بن][3] مُقْبل أحد بنى عامر بن صَعْصعة :

فيه من الأخرج[4] المِرْباع[5] قرقرة[6] ... هَدْرَ الدِّيافِىّ[7] وَسْطَ الهَجْمة البُحر[8]

---

١٥ (١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول « الفصائل » .

(٢) الشريف (مصغرا) : ماء لبنى نمير ، ويقال إنه سرة بنجد ، وهو أمرأ نجد موضعا . قال أبو زياد : وأرض بنى نمير : الشريف ، دارها كلها بالشريف إلا بطنا واحدا باليمامة . (راجع معجم البلدان) .

(٣) زيادة عن ا ومعجم البلدان ، والإصابة .

٢٠ (٤) الأخرج : الظليم الذى فيه بياض وسواد ، يريد حمار الوحش .

(٥) كذا فى الأصول . والمرباع : الفحل الذى يبكر بالإلقاح ، ويقال للناقة أيضاً : مرباع إذا بكرت بالنتاج ، وقيل: المرباع : الذى رعى فى الربيع ، ويروى : « المرياع » بالياء المنقوطة باثنتين من أسفل ، على أنه مفعال من راع يريع : أى رجع .

(٦) القرقرة : هدير الفحل .

٢٥ (٧) دياف : (بكسر أوله) بلد بالشام . وقيل من قرى الجزيرة .

(٨) الهجمة : القطعة من الإبل . والبحر : جمع بحيرة ، وهى المشقوقة الآذان ، وجعلها بحراً لأنها تأمن من الغارات ، يصفها بالمنعة والحماية كما تأمن البحيرة من أن تدع أو تنحر .

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمع بحيرة : بحائر و بحر ، وجمع وصيلة : وصائل ووصل . وجمع سائبة (الأكثر): سوائب وسيّب .وجمع حام (الأكثر) : حوام .

عدنا إلى سياقة النسب

نسب خزاعة

قال ابن إسحاق :

وخزاعة تقول : نحن بنو عَمْرو بن عامر ، من اليمن . ٥

قال ابن هشام :

وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عَمْرو بن عامر ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثَعْلبة بن مازن بن الأسْد بن الغَوْث ؛ وخِنْدف أُمنا[1] ، فيما حدّثنى أبو عُبيدة وغيره من أهل العلم . ويقال خُزاعة : بنو حارثة ابن عمرو بن عامر ، وإنما سُمّيت خزاعة لأنهم تخزّعوا[2] من ولد عمرو ١٠ ابن عامر ، حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فنزلوا بمرّ الظَّهْران فأقاموا بها . قال عون[3] بن أيوب الأنصارىّ أحد بنى عمرو بن سَواد بن غَنْم بن كعب ابن سَلَمة من الخزرج فى الإسلام :

فلما هبطنا بَطْن مَرٍّ تخزّعت   خُزاعة منّا فى خيول[4] كَرَاكِرِ[5]

حَمَتْ كلَّ وادٍ من تهامة واحتمتْ   بصُمِّ القَنَا وَالْمُرْهِفات البواتر ١٥

وهذان البيتان فى قصيدة له :

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أمنا » .

(٢) تخزع : تأخر وانقطع .

(٣) كذا فى ا ، ومعجم البلدان . وفى سائر الأصول : « عوف » . وهو تحريف .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا . والروض الأنف ، وشرح السيرة : «حلول». ٢٠ والحلول : البيوت الكثيرة .

(٥) كراكر : جماعات ، وقيل هو خاص بجماعات الخيل .

وقال أبو المطيَّر إسماعيل بن رافع الأنصاريّ، أحد بنى حارثة بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس :

فلمّا هبطنا بطنَ مكة أحْمَدَت ... خُزاعةُ دار الآكل المُتحامل

فحلّت أكاريساً(١) وشتّت(٢) قنابلاً(٣) ... على كلّ حيّ بين نجْدٍ وساحل

نَفَوْا جُرْهُمًا عن بطن مكة واحتبَوْا ... بعزٍّ خُزاعيّ شديد الكواهل

٥

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له ، وأنا إن شاء الله أذكر نفْيَها جُرْهُما فى موضعه .

أولاد مدركة وخزيمة

قال ابن إسحاق :

فولد مُدْرِكة بن اُلياس رجلَيْن : خُزَيمة بن مُدْرِكة ، وهُذَيل بن مُدْرِكة ؛ وأمهما امرأة من قُضاعة . فولد خُزَيمة بنُ مدركة أربعةَ نفر : كِنانة بن خُزَيمة ، وأسَد بن خُزَيمة ، وأسَدَة بن(٤) خُزَيمة ، والهُون بن خُزَيمة . فأمُّ كِنانة عُوانة بنت سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر .

١٠

قال ابن هشام : ويقال الهَوْن بن خُزيمة .

أولاد كنانة وأمهاتهم

قال ابن إسحاق :

فولد كِنانة بن خُزَيمة أربعةَ نفر : النَّضْر بن كِنانة ، ومالك بن كِنانة ، وعبد مناة بن كِنانة ، ومِلْكان بن كِنانة(٥) . فأمّ النضر بَرّة بنتُ مُرّ بن أدّ ابن طابخة بن اُلياس بن مُضَر ، وسائر بَنيه لامرأة أخرى .

١٥

---

(١) كذا فى ا وشرح السيرة . والأكاريس : الجماعات من الناس . وقد وردت هذه الكلمة فى سائر الأصول محرفة .

(٢) كذا فى شرح السيرة . وشتت : فرقت . وفى ا : « سنت » ، وفى سائر الأصول : « شنت » ، والظاهر أن كليهما مصحف عما أثبتناه .

٢٠

(٣) القنابل : جمع قنبلة ، وهى القطعة من الخيل .

(٤) لم يذكر ابن قتيبة فى المعارف « أسدة » ولدا لخزيمة ، واقتصر على إخوته الثلاثة .

(٥) وزاد الطبرى فى ولد كنانة : عامرا ، والحارث ، والنضير ، وغنما ، وسعدا ، وعوفا ، وجرولا ، والجرال ، وغزوان .

قال ابن هشام :

أم النضر ومالك ومِلْكان : بَرّة بنت مُرّ ؛ وأم عبد مناة : هالة بنت سُوَيد ابن الغِطْريف من أزدِشنوءَة . وشنوءَة : عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك ابن نَصْر بن الأَسْد بن الغوث ، وإنما سُمُّوا شنوءة ، لشنآن كان بينهم . والشنآن : البغض . ٥

قال ابن هشام :

النضر: قريش ، فمَنْ كان من ولده فهو قُرَشىّ، ومَنْ لم يكن من ولده فليس بقرشى . قال جرير بن عطيّة أحد بنى كُلَيب بن يربوع بن حَنْظلة بن مالك ابن زَيْد مناة بن تميم يمدح هشامَ بن عبد الملك بن مروان :

فما الأمّ التى ولدتْ قريشاً ... بمُقْرفة النِّجار ولا عَقيمِ (١) ١٠

وما قَرْمٌ (٢) بأنجب من أبيكم ... وما خالٌ بأكرم من تميم

يعنى بَرّة بنت مُرّ أخت تميم بن مر ، أم النضر . وهذان البيتان فى قصيدة له .

ويقال : فهر بنُ مالك : قريش ، فمن كان من ولده فهو قُرَشى ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشى، وإنما سُمِّيت قريش قريشاً من التّقرش ، والتّقرش: التجارة والاكتساب . قال رؤبة بن العجّاج : ١٥

قد كان يُغْنيهم عن الشُّغوشِ ... والخَشْل مِن تساقط القروشِ

شَحْم ومَحْض ليس بالمَغْشوشِ

قال ابن هشام :

والشغوش : قمح ، يسمى الشغوش . والخشل : رءوس الخلاخيل والأسورة (٣) ونحوه . والقروش : التجارة والاكتساب . يقول : قد كان يغنيهم ٢٠

---

(١) المقرفة : اللئيمة . والنجار : الأصل . والعقيم : التى لاتحمل .

(٢) القرم : الفحل من الإبل ، واستعاره هنا للرجل السيد .

(٣) ويقال : الخشل (هنا) : المقل (هو ثمر الدوم) . والقروش : ماتساقط من حتاته ، وتقشر منه .

عن هذا شحم ومَحْض . والمحض : اللبن الحليب الخالص .

وهذه الأبيات فى أرجوزة له . وقال أبو جِلْدة[1] اليَشْكرىّ ، ويشكر ابن بكر بن وائل :

إخوة قَرَّشوا الذنوبَ علينا   فى حديث من عُمْرنا وقديمِ

٥ وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن إسحاق :

ويقال : إنما سميت قريش قريشاً لتجمعها من بعد تفرّقها ؛ ويقال للتجمع : التقرش .

أولاد النضر وأمهاتهم

فولد النَّضْرُ بن كنانة رجلين : مالك بن النضر ، ويَخْلُد بن النضر ؛ فأمُّ ١٠ مالك : عاتكة بنت عَدْوان بن عمرو بن قَيْس بن عَيْلان ، ولا أدرى أهى أمّ يَخْلُد أم لا .

قال ابن هشام :

والصَّلت بن النضر — فيما قال أبو عمرو المدنى — وأمهم جميعاً بنت سعد ابن ظَرِب العَدْوانى . وعَدْوان ابنُ عمرو بن قيس بن عيلان . قال كُثَيِّر ١٥ ابن عَبد الرحمن ، وهو كُثيِّر عزّة أحد بنى مُلَيح بن عَمْرو ، من خُزاعة :

أليس أبى بالصَّلْت أَمْ ليس إخوتى   لِكل هِجانٍ من بَنى النَّضْر أزهرَا[2]

رأيت ثيابَ العَصْبِ مختلط السَّدَى[3]   بِنَا وبِهِمْ والحَضْرَمىَّ المخصَّرا[4]

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : «أبو خلدة» . بخاء معجمة مفتوحة ولام ساكنة، كما يروى : (حلزة) أيضاً .

٢٠ (٢) الهجان : الكريم ، مأخوذ من الهجنة ، وهى البياض . والأزهر : المشهور .

(٣) ثياب العصب : ثياب يمنية، لأنها تصبغ بالعصب. ولا ينبت العصب ولا الورس إلا باليمن. يريد أن قدورنا من قدورهم ، فسدى أثوابنا مختلط بسدى أثوابهم .

(٤) الحضرمى : النعال . والمخصرة : التى تضيق من جانبيها ، كأنها ناقصة الخصرين .

فإن لم تكونوا من بنى النَّضْر فاتركوا ... أراكًا بأذناب الفوائج[1] أخضرا

وهذه الأبيات فى قصيدة له .[2]

والذين يُعْزَوْنَ إلى الصَّلت بن النَّضْر من خزاعة ، بنو مُلَيح بن عمرو ، رَهْط كثيِّر عزة .

ولد مالك بن النضر وأمه

قال ابن إسحاق :

فولد مالكُ بن النضر فِهْرَ بن مالك ، وأمه جَنْدلة بنت الحارث ابن مُضاض الجرهمىّ .

قال ابن هشام : وليس بابن مضاض الأكبر .

أولاد فهر وأمهاتهم

قال ابن إسحاق :

فولد فِهْر بن مالك أربعةَ نفر : غالب بن فهر ، ومُحارب بن فهر ، والحارث ابن فهر ، وأَسَد بن فهر ، وأُمُّهم ليلى بنت سعد بن هُذَيل بنُ مُدْركة .

قال ابن هشام :

وجَنْدلة بنت فهر ، وهى أم يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد[3] مناة ابن تميم ، وأمها ليلى بنت سَعْد . قال جَرير بن عطيّة بن الخَطَفى ـ واسم الخَطَفى حُذَيفة بن بَدْر بن سَلَمة بن عَوْف بن كُليب بن يَرْبوع بن حَنْظلة :

وإذا غضبتُ رَمَى وَرائى بالْحَصى ... أبْناء جَنْدلةٍ كَخير الجَنْدلِ

وهذا البيت فى قصيدة له .

أولاد غالب وأمهاتهم

قال ابن إسحاق :

فولد غالب بن فِهْر رجلَين : لؤىّ بن غالب ، وتَيْم بن غالب ؛

(١) الفوائج : رءوس الأودية ، وقيل هى عيون بعينها .
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال : وهذه ... الخ » .
(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « زيد بن مناة » .

وأمهما سَلْمى[1] بنت عمرو الخُزاعِيّ . وتَيْم بن غالب : الذين يقال لهم بنو الأَدْرَم[2] .

قال ابن هشام :

وقَيْس بن غالب ، وأمه سَلْمى بنت كَعْب[3] بن عمرو الخُزاعِيّ ، وهى أم لؤَىّ وتَيْم ابنى غالب .

أولاد لؤى وأمهاتهم

قال ابن إسحاق :

فوِلد لؤَىّ بن غالب أربعةَ نفر : كَعْب بن لُؤَىّ ، وعامر بن لؤَىّ ، وسامة ابن لُؤَىّ ، وعَوْف[4] بنُ لُؤَىّ ؛ فأُمّ كعب وعامر وسامة : ماوِيةُ[5] بنت كعب بن القَيْن بن جَسْر ، من قُضاعة .

قال ابن هشام :

ويقال : والحارث بن[6] لُؤَىّ ، وهم جُشَم بن الحارث ، فى هِزّان من رَبيعة .

قال جرير :

---

(١) ويقال إن أم لؤى عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة ، وهى أول العواتك اللاتى ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش : (راجع الطبرى) .

(٢) الأدرم : المدفون الكعبين من اللحم ، وهو أيضاً المنقوص الذقن ، ويقال إن تيم بن غالب كان كذلك . وبنو الأدرم هؤلاء هم أعراب مكة ، وهم من قريش الظواهر لا من قريش البطاح ، وكذلك بنو محارب بن فهر ، وبنو معيص بن فهر .

(٣) كذا فى الأصول . وقد انفرد ابن هشام بزيادة «كعب» فى نسب سلمى ، والذى ذكره ابن إسحاق أولا مجردا من «كعب» يتفق مع ما أورده الطبرى عند الكلام على أم لؤى وإخوته .

(٤) وأم عوف بن لؤى : الباردة بنت عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان ، ويقال إن الباردة لما مات لؤى خرجت بابنها عوف إلى قومها فتزوجها سعد بن ذبيان بن بغيض ، فتبنى عوفا .

(٥) كأنها نسبت إلى الماء لصفائها بعد قلب همزة الماء واوا ، وكان القياس قلبها هاء . وكانت ماوية هذه تحب سامة أكثر من إخوته .

(٦) اتفق ابن قتيبة فى كتابه المعارف مع السيرة فى ذكر الحارث ولدا للؤى ، وخالفهما فى ذلك الطبرى وابن دريد فلم يذكرا ولدا للؤى بهذا الاسم ، وقد ذكر أبو الفرج فى الجزء التاسع من الأغانى (ص ١٠٤ ــ ١٠٥) الحارث ولدا لسامة بن لؤى ، وذكر أن من النسابين من يدفعه عن قريش ، ويدعى أنه ابن لناجية امرأة سامة ، وليس ابنا لسامة .

بَنِى جُشَمٍ لستم لِهِزّانَ فانْتَمُوا ... لأعلى الرَّوابِى[1] من لؤىّ بن غالبِ[2]

ولا تُنْكِحوا فى آلِ ضَوْرٍ نساءَكم ... ولا فى شُكَيْسٍ بئس مَثْوَى الغَرائبِ[3]

وسَعْد بن لؤىّ ، وهم بُنانة ، فى شَيْبان بن ثَعْلبة بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ ابن بَكْر بن وائل ، من ربيعة .

٥ وبنانة : حاضنة لهم من بَنِى القَيْن بن جَسر بن شَيْع الله ، ويقال سَيْع الله ، ابن الأسد بن وبرة بن ثعلبة[4] بن حُلْوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة . ويقال : بنت النَّمِر بن قاسط ، من رَبيعة . ويقال : بنت جَرْم بن رَبَّان ابن حُلوان بن عِمْران بن الحافِ بن قُضاعة .

وخزيمة بن لُؤَىّ بن غالب ، وهم عائذة فى شَيْبان بن ثَعْلبة . وعائذة : امرأة
١٠ من اليمن ، وهى أم بنى[5] عبيد بن خُزَيمة بن لُؤَىّ .

وأم بنى لُؤَىّ كلِّهم إلا عامر[6] بن لؤى : ماوية بنت كعب بن القَيْن ابن جَسْر . وأم عامر بن لُؤَىّ مَخْشية بنت شَيْبان بن مُحارب بن فِهْر ؛ ويقال : لَيْلى بنت شيبان بن مُحارب بن فِهْر .

---

(١) الروابى : جمع رابية ، وهى الكدية المرتفعة ، ويريد بها هنا الأشراف من الناس والقبائل .
١٥
(٢) ويقال : إنهم أعطوا جريرا على هذا الشعر ألف عير ، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة فما انتسبوا بعد إلا لقريش .

(٣) ضور وشكيس : بطنان من عنزة .

(٤) فى الطبرى : « ... بن تغلب » .

(٥) هذا ماذهب إليه ابن هشام . وأما ابن جرير الطبرى ، فقد جعل عائذة أما لخزيمة ،
٢٠ وهى عنده عائذة بنت الخمس بن قحافة ، من خثعم .

(٦) يذهب ابن جرير الطبرى إلى غير ماذهب إليه ابن هشام ، وهو يتفق مع ابن إسحاق فى أن كعبا ، وعامرا ، وسامة إخوة أشقاء ، وأمهم ماوية . وقد قدمنا عن ابن جرير قوله فى أم عوف ، وأنها الباردة ، وأن عوفا أخو هؤلاء الثلاثة لأبيهم ، وكذلك خزيمة ، وأمه العائذة ، وسعد ، وأمه بنانة ، وقد ذكر ابن هشام أن بنانة حاضنتهم .
٢٥

أمر سامة

رحلته الى عمان وموته

قال ابن إسحاق :

فأما سامة بن لؤىّ فخَرج إلى عُمان ، وكان بها . ويزعمون أن عامرَ ابن لؤىّ أخْرجه ، وذلك أنه كان بينهما شىء ففقأ سامةُ عينَ عامر ، فأخافه عامرٌ فخرج إلى عُمان . فيزعمون أنّ سامة بن لؤىّ بينا هو يَسير على ناقته ، إذ وضعت رأسَها تَرْتع، فأخذتْ حيةٌ بمِشْفرها فهَصَرَتْها ، حتى وقعت الناقة لشِقّها ، ثم نهشتْ سامةَ فقتلته . فقال سامةُ حين أحسّ بالموت فيما[1] يزعمون :

عينِ فابكِى لسامةَ بنِ لؤىّ　　علقتْ ساق[2] سامة العلّاقه[3]

لا أرى مثلَ سامة بن لؤىّ　　يوم حلّوا به قتيــلاً لناقه

بلّغا عامراً وكعباً رســولاً　　أنّ نفسى إليهما مُشتاقه

إنْ تـكن فى عُمان دارى فإنّى　　غَالبى ، خرجتُ من غير ناقه

رُبَّ كأسٍ هرَقتَ يابن لُؤَىّ　　حَذَرَ الموتِ لم تـكُن مُهْراقه

رُمْت دفعَ الحُتوف يابن لؤىّ　　ما لِمَنْ رام ذاك بِالْحَتْفِ طاقه

وخَرُوس السُّرى[4] تركْتَ رَدِيّا[5]　　بعد جــدّ وجِدّة ورَشاقه

---

(١) روى أبو الفرج فى الأغانى (ج ٩ ص ١٠٤) قصة سامة هذه إلا أنه لم يتفق مع ابن إسحاق فى أن خروج سامة كان بسبب أخيه عامر : بل جعل ذلك الخلاف كان بين سامة ، وأخيه كعب ، وأن هذا الشعر هو لـكعب يرثى به أخاه سامة .

(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول :

* علقت مابسامة . . . الخ *

(٣) العلاقة (هنا) : الحية التى تعلقت بالناقة .

(٤) خروس السرى : يريد ناقة صموتا صبورا على السرى لاتضجر منه، فسراها كالأخرس .

(٥) الردى : التى سقطت من الإعياء .

قال ابن هشام :

وبلغنى أن بعضَ ولده أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلم فانتسب إلى سامة ابن لؤى ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ألشاعر ؟ فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قولَه :

رُبّ كأس هرقتَ يابن لؤى   حَذَر الموت لم تَكُن مُهْراقه   ٥

قال : أجل .

أمر عوف بن لؤى ونقلته

سبب انتمائه الى بنى ذبيان

قال ابن إسحاق :

وأما عَوف بن لؤى فإنه خرج ـ فيما يزعمون ـ فى رَكْب من قُريش ، حتى إذا كان بأرض غَطفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيْلان، أُبْطِئ به ، فانطلق مَنْ كان   ١٠ معه مِنْ قومه ، فأتاه ثعلبة بن سَعْد ، وهو أخوه فى نَسب بَنى ذُبيان[1] ـ ثعلبة ابنُ سعد بن ذبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان . وعوف بن سعد بن ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان ـ فحبسه وزوّجه والتاطه[2] وآخاه . فشاع نَسَبُه فى بنى ذُبيان . وثَعْلبة ـ فيما يزعمون ـ الذى يقول لِعَوْف حين أبطئ به فتركه قومُه :   ١٥

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « . . . ذبيان بن ثعلبة » بزيادة « بن » ، وظاهر أنها مقحمة .

(٢) التاطه : ألصقه به ، وضمه إليه ، وألحقه بنسبه . ومنه : كان يليط أولاد الجاهلية بآبائهم : أى يلصقهم .

احبس[1] علىّ ابن لؤىّ جَمالَكَ ... تَركَكَ القومُ ولا منزل[2] لكْ

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن جعفر[3] بن الزُّبير . أو محمدُ ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن حُصَين .

أنّ عمر بن الخطاب قال : لو كنت مُدَّعياً حيًّا من العرب ، أو مُلْحقهم بنا لادّعيت بَنى مُرّة بن عَوْف ، إنّا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف مِنْ موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى عوف بن لؤى .

نسب مرة

قال ابن إسحاق :

فهو فى نسب غَطَفان : مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث ابن غَطَفان . وهم يقولون إذا ذُكر لهم هذا النسب : ما ننكره وما نَجْحده ، وإنه لأحبُّ النسب إلينا .

وقال الحارث بن ظالم بن جَذيمة بن يَرْبوع ـ قال ابن هشام : أحد بنى مُرّة ابن عوف ـ حين هرب من النعمان بن المنذر فلحق بقُريش :

فما قومى بثَعلَبة بن سَعْد ... ولا بفَزارة الشُّعر[4] الرّقابا
وقَوْمى، إن سألت، بنو[5] لؤىّ ... بمكّة علّموا مُضرَ الضِّرابا
سفهنا باتباع بنى بَغيض ... وتَرْكِ الأقربينَ لنا انْتِسابا
سفاهةَ مُخْلف[6] لما تروّى ... هَراق الماء واتّبع السّرابا

---

(1) فى الطبرى : « عرج » .

(2) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : « بمترك » .

(3) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى المدنى، حدث عن عمه عروة وابن عمه عباد بن عبيد الله ، وغيرهما ، وحدث عنه عبد الرحمن بن القاسم ، وعبيد الله بن أبى جعفر ، وغيرهما . وكان فقيها عالما ، ووثقه النسائى .

(4) الشعر : جمع أشعر ، وهو الكثير الشعر الطويله .

(5) كذا فى الأغانى (ج ١٠ ص ٢٨) . وفى الأصول : « بنى » وهو تحريف .

(6) المخلف (هنا) : المستقى للماء ، يقال : ذهب يخلف لقومه : أى يستقى لهم .

فلو طووعت، عَمْرَكَ، كنت فيهم ... وما أُلْفِيتُ أنتجع السَّحابا[1]
وخشَّ[2] رواحةُ القُرَشىّ رحْلى ... بناجِيَة ولم يَطْلُبْ ثوابا

قال ابن هشام: هذا ما أنْشدنى أبو عُبَيدة منها.

قال ابن إسحاق:

فقال الحُصَين بن الحُمَام المُرّى، ثم أحد بنى سَهْم بن مُرّة، يردّ على الحارث ٥
ابن ظالم، وينتمى إلى غَطَفان:

ألاَ لستُمُ منّا ولسنا إليكمُ ... بَرِئْنا إليكم من لُؤَىّ بن غالبِ
أَقَمْنا عَلَى عزّ الحجاز وأنتمُ ... بمُعْتَلَج البطحاء[3] بين الأَخَاشب[4]

يعنى قريشا. ثم ندم الحُصَيْن على ما قال، وعرف ما قال الحارث بن ظالم، فانتمى
إلى قُرَيش وأَكْذَب نَفْسَه، فقال: ١٠

نَدِمْتُ على قولٍ مَضَى كنْتُ قُلتهُ ... تبيّنْتُ فيــه أنه قول كاذبِ
فليتَ لسانى كان نِصْفين منهما ... بَكِيمٌ ونِصْفٌ عند مَجْرَى[5] الكواكب
أبونا كِنَانِىّ بمكّة قَــبْرُه ... بمُعْتَلَج البَطْحَاء بين الأخاشب
لنا الرُّبع من بيت الحرام وِراثةً ... وربع البِطاح عند دار ابن حاطب

أى أن بَنى لؤَىّ كانوا أربعة: كعباً، وعامرًا، وسامة، وعوفاً. ١٥

---

(١) أنتجع السحابا: أى أطلب موضع الغيث والمطر كما تفعل القبائل الذين يرحلون من موضع إلى موضع. يريد أنه لو انتسب إلى قريش لكان معهم بمكة مقيما، ولم يكن يطلب المطر من موضع إلى موضع.

(٢) كذا فى أكثر الأصول. وخش: أصلح. والناجية: الناقة السريعة. وفى ا: «وحس . . . الخ». وحس (بالحاء المهملة): قوى وأعاد. وفى الأغانى: «... وهش ٢٠ رواحة الجحى».

(٣) المعتلج: الموضع السهل الذى يعتلج فيه القوم، أى يتصارعون. والبطحاء (هنا): بطحاء مكة.

(٤) الأخاشب: جبلان بمكة، جمعهما بما حولهما.

(٥) بكيم: أبكم. ٢٥

قال ابن إسحاق[1] : وحدّثنى من لا أتهم .

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجال من بنى مُرّة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه .

سادات مرة

قال ابن إسحاق :

وكان القوم أشرافًا فى غَطَفان ، هم سادتهم وقادتهم . منهم : هَرِم بن سنان ابن أبى حارثة [بن مرة بن نُشْبة][2] ، وخارجة بن سنان بن أبى حارثة ، والحارث بن عَوْف ، والحُصَين بن الحُمام ، وهاشم بن حَرْملة الذى يقول له القائل :

أَحْيا أباه هاشم[3] بنُ حرمله[4] يوم الهباآت[5] ويوم اليَعْمله[6]

ترى الملوك عنـــده مُغَرْبله[7] يقتل ذا الذَّنب ومَنْ لاَذنْبَ له[8]

هاشم بن حرملة وعامر الخصفى

قال ابن هشام :

أنشدنى أبو عُبَيدة هذه الأبيات لعامر الخَصَفِىّ ، خَصَفة بن قَيْس بن عَيْلان :

أحيا أباه هاشمُ بنُ حَرْمله يَوم الهباآت ويَوْم اليعملهْ

ترى الملوكَ عِنْده مغربله يقتل ذا الذنب ومَنْ لاَ ذنب له

ورُمحُه للوالدات مُثْكِلَهْ

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال ابن هشام » .

(٢) زيادة عن ا . والظاهر أنها : « بن نشبة بن مرة » كما فى اللسان (مادة نشب) .

(٣) هاشم بن حرملة : هو جد منظور بن زبان بن يسار الذى كانت بنته زجلة عنـد ابن الزبير ، فهو جد منظور لأمه ، واسمها قهطم بنت هاشم ، وكانت قهطم قد حملت بمنظور أربع سنين ــ فيما يزعمون ــ فسمى منظوراً لطول انتظارهم إياه : (عن الروض الأنف) .

(٤) يريد أنه أخذ بثأره فكأنه أحياه .

(٥) يوم الهباآت : يوم مشهور من أيام العرب . وهباءة : موضع ، فجمعه مع مايليه . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٠٦)

(٦) يوم اليعملة : من أيام العرب . واليعملة : اسم موضع .

(٧) مغربلة : مقتولة ، يقال : غربل ، إذا قتل أشراف الناس وخيارهم . ويقال : إنما أراد بالغربلة استقصاءهم وتتبعهم ، كأنه من غربلت الطعام ، إذا تتبعته بالاستخراج حتى لايبقى منه إلا الحثالة .

(٨) يصفه بالعزة والامتناع ، وأنه لايخاف حا كما يعدى عليه ، ولا ترة من طالب ثأر .

وحدّثنى[1] .

أن هاشماً قال لعامر : قل فىّ بيتاً جيِّداً أُثِبْكَ عليه ؛ فقال عامر البيتَ الأول ، فلم يعجب هاشماً ؛ ثم قال الثانى ، فلم يعجبه ؛ ثم قال الثالث ، فلم يعجبه ؛ فلما قال الرابع :

* يَقتُل ذا الذنب ومن لا ذنب له * ٥

أعجبه ، فأثابه عليه .

قال ابن هشام :

وذلك الذى أراد الكُمَيت بن زَيْد فى قوله :

وهاشم مُرَّةَ المُفْنِى ملوكاً ... بلا ذنب إليه ومُذْنبينا

وهذا البيت فى قصيدة له . وقول عامر : «يوم الهباآت[2]» عن غير أبى عُبيدة . ١٠

مرة والبسل

قال ابن إسحاق :

قوم لهم صيت وذِكْر فى غَطفان وقَيْس كلها ، فأقاموا على نسبهم[3] ، وفيهم كان البَسْل[4] .

أمر البسل

تعريف البسل

والبَسْل ــ فيما يزعمون ــ ثمانية[5] أشهر حُرُم ، لهم من كلّ سنة من بين ١٥ العرب ، قد عرفت ذلك لهم العربُ لا يُنكرونه ولا يَدْفعونه ، يسيرون به إلى

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال ابن هشام وحدثنى . . . الخ » .

(٢) ويروى : «يوم الهباتين» فقصر للضرورة ، وإنما أراد الهباءتين . وكثيراً مايرد المكان مثنى أو مجموعا فى الشعر العربى ، ويراد به المفرد ، ويوم الهباءة كان لعبس على ذبيان . والهباءة : موضع ببلاد غطفان : (راجع العقد الفريد ج ٣ ص ٦٩) . ٢٠

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « سنتهم » .

(٤) البسل : الحرام والحلال ، فهو من الأضداد .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «نسيئهم ثمانية . . . الخ » . ولا يستقيم الكلام بهذه الزيادة .

أىّ بلاد العرب شاءوا ، لا يخافون منهم شيئا . قال زُهَير بن أبى سُلْمى . يعنى بنى مُرّة :

نسب زهير

ـ قال ابن هشام :

زهير أحد بنى مُزَينة بن أدّ بن طابخة بن اليأس[1] بن مضر ، ويقال زُهَير ابن أبى سُلْمى من غَطَفان ، ويقال حَليف فى غَطَفان ـ

تأمّل[2] فإن تُقْوِ المَروراة[3] منهمُ ... ودَاراتها لا تُقْوِ منهم إذاً نَخْلُ[4]

بلاد بها نادمتُهم وأَلِفتهم ... فإن تُقْوِيا منهم فإنهمُ بَسْلُ

يقول : ساروا فى حَرمهم .

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق :

وقال أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة :

أجارتكم بَسْـــلٌ علينا مُحرَّم ... وجارتُنا حِـــلٌّ لكم وَحَليلُها

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له .

---

(١) يحمل بعضهم الياس بن مضر على الياس النبي فى همز أوله ، والصواب فى الياس بن مضر أن تعتبر فيه الألف واللام زائدتين ، كزيادتهما فى الفضل والعباس ، وأنهما داخلتان على المصدر الذى هو اليأس ، وقد تسهل همزته الثانية ، فيقال فيــه الياس . أما إلياس النبي فهو بقطع الهمزة الأولى مفتوحة أو مكسورة (راجع شرح القاموس مادة ألس) .

(٢) فى معجم البلدان (ج ٤ ص ٥٠٦) : « تربص » .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « المرورات » . بتاء مفتوحة ، كأنه جمع مرورى ، وليس فى الـكلام مثل هذا البناء ، وإنما هو المروراة بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام ، فهو فعلعلة ، والألف فيه منقلبة عن واو أصلية . والمروراة : موضع كان فيه يوم المروراة .

(٤) نخل : موضع بنجد من أرض غطفان ، وقيل هو موضع لبنى مرة بن عوف على ليلتين من المدينة : (راجع معجم البلدان) .

أولاد كعب وأمهم

قال ابن إسحاق :

فولد كعب بن لؤى ثلاثة نفر : مرة بن كَعْب ، وعَدِىّ بن كعب ، وهُصَيْص بن كعب . وأمهم وَحْشِيّة[1] بنت شَيْبان بن مُحارب بن فهر بن مالك ابن النضر.

أولاد مرة وأمهاتهم

فولد مُرّة بن كَعْب ثلاثة نَفَر : كِلاَب بن مُرّة ، وتَيْم بن مُرّة ، ويَقَظَة[2] ابن مُرّة .

فأم كلاب : هِنْد بنت سُرَيْر بن ثَعْلبة بن الحارث بن [فهر بن][3] مالك ابن [النضر بن][3] كِنانة بن خُزَيْمة . وأم يَقَظة : البارقية[4] ، امرأة من بارق، من الأسْد من اليمن . ويقال : هى أم تَيْم . ويقال : تَيْمُ لهِنْد بنت سُرَيْر أم كلاب.

نسب بارق

قال ابن هشام :

بارق : بَنُو عَدِىّ بن حارثة بن عَمْرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القَيْس ابن ثَعْلبة بن مازن بن الأسْد بن الغَوْث ، وهم فى شَنُوءة . قال الكُمَيت بن زَيْد:

وأَزْد شَنوءة اندرءوا[5] علينا ... بجُمٍّ يحسبون لها قُرُونا[6]

فما قُلْنا لبارقَ قد أسأتم ... وما قُلْنا لبارقَ أَعْتِبونا[7]

(1) ويقال إن أم هؤلاء الثلاثة : مخشية . كما يقال : إن أم مرة وهصيص : مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ، وأم عدى: رقاش بنت ركبة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان . (راجع الطبرى) .

(2) هو بفتح القاف ، وقد جاء فى شعر مدح به خالد بن الوليد ، ساكنها ، وهو :

وأنت لمخزوم بن يقظة جنة ... كلا اسميك فيه ماجد وابن ماجد

(3) زيادة عن الطبرى .

(4) ويقال إن أم تيم ، ويقظة : أسماء بنت عدى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن بارق ؛ ويقال : هند بنت حارثة البارقية . كما يقال : بل يقظة لهند بنت سرير أم كلاب . (راجع الطبرى) .

(5) اندرءوا : خرجوا .

(6) الجم : الكباش لاقرون لها . واحدها : أجم . يريدون أنهم يناطحون بلا عدة ، ولا منة ، كالكباش الجم التى لاقرون لها ، ويحسبون أن لهم قوة .

(7) وقيل: سموا بارقا بجبل نزلوا عنده اسمه بارق.

قال : وهذان البيتان فى قصيدة له . و إنما سمّوا ببارق ، لأنّهم تَبِعوا البَرْق .

ولدا كلاب وأمهما

قال ابن إسحاق :

فولد كِلاب بن مُرّة رجلين : قُصَىّ[1] بن كلاب ، وزهرة[2] بن كلاب . وأمهما فاطمة بنت سَعْد بن سَيَل[3] أحد [بنى][4] الجَدَرة، مِنْ جُعْثُمة[5] الأزد ، ٥ من اليمن ، حلفاء فى بَنى الدِّيل[6] بن بكر بن عَبْد مناة بن كِنانة .

نسب جعثمة

قال ابن هشام :

و يقال : جُعْثمة الأسْد ، وجُعْثمة الأزْد ؛ وهو جُعْثمة بن يَشْكُر بن مُبَشِّر ابن صَعْب بن دُهْمان بن نَصْر بن زَهْران بن الحارث بن كَعْب بن عبد الله ابن مالك بن نَصْر بن الأسْد بن الغَوْث ، ويقال : جُعْثمة ابنُ يشكر بنُ مُبَشِّر ١٠ ابن صَعْب بن نَصْر بن زَهْران بن الأسْد بن الغوث .

و إنما سموا الجَدَرة ، لأن عامر بن عمرو[7] بن جُعْثمة تزوج بنت الحارث ابن مضاض الجُرْهمى ، وكانت جُرْهم أصحاب الكعبة . فبنى للكعبة جداراً فسمّى عامر بذلك الجادر ؛ فقيل لولده : الجَدَرة لذلك[8] .

---

(١) واسم قصى : زيد ، وسمى قصيا ، لأن أباه مات عنه ، وعن أخيه زهرة ، وكان زهرة ١٥ كبيرا وقصى فطيا ، وتركهما لأمهما فاطمة ، فتزوجت ربيعة بن حزام ، ورحلت معه ، وأخذت معها زيدا لصغره ، فسمى قصيا لبعده عن دار قومه . (راجع الطبرى) .

(٢) وزهرة : امرأة نسب ولدها إليها دون الأب ، وهم أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) واسم سيل : خير بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر بن عمرو بن جعثمة .

(٤) زيادة عن ا .

٢٠ (٥) كذا فى الطبرى ، والاشتقاق لابن دريد ، ولسان العرب (مادة جعثم) . وفى الأصول : « خثعمة » وهو تحريف .

(٦) راجع الحاشية (رقم ١ ص ٥٢ من هذا الجزء) .

(٧) فى الأصل : « عامر بن عمرو بن خزيمة بن خثعمة » . والصواب ما أثبتناه . (راجع الروض الأنف) .

٢٥ (٨) وذلك أن السيل ذات مرة دخل الكعبة وصدع بنيانها ، ففزعت لذلك قريش ، وخافوا انهدادها إن جاء سيل آخر ، وأن يذهب شرفهم ودينهم ، فبنى عامر لها جداراً ، فسمى الجادر لذلك .

قال ابن إسحاق :

واسعد بن سَيَل يقول الشاعر :

ما نرى فى الناس شخصاً واحداً ... مَن ْ عَلِمْناه كسَعْد بن سَيَلْ

فارساً أضبطَ فيـــه عُسْرةٌ ... وإذا ما واقَفَ القِرْن نَزَل[1]

فارساً يَسْتَدْرِج الخَيْلَ كما اُسْـــتدرج الحرُ[2] القَطامىّ الحَجَل ٥

قال ابن هشام : قوله :

« كما اســـتدرج الحُرّ » عن بعض أهل العلم بالشعر .

بقية أولاد كلاب

قال ابن هشام :

ونُعْم بنت كلاب ، وهى أم أسعد وسُعَيد ابنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص ابن كَعبَ بن لؤَى ، وأمها فاطمة بنت سعد بن سيَل . ١٠

أولاد قصى وأمهم

قال ابن إسحاق :

فولد قُصَىّ[3] بن كِلاب أربعةَ نفر وامرأتين : عبد مناف بن قصى ، وعبد الدار بن قصى ، وعبد العزى بن قصى ، وعبد [قُصَى][4] بن قُصَى ، وتَخْمُر[5] بنت قُصى ، وبَرة بنت قُصَىّ . وأمهم حُبَىّ بنت حُلَيل بن حَبَشِيَّة بن سَلُول ابن كعب بن عمرو الخزاعى . ١٥

---

(١) الأضبط : الذى يعمل بكلتا يديه ، يعمل باليسرى كما يعمل باليمنى . والعسرة : الشدة . والقرن : الذى يقاوم فى الحرب .

(٢) الحر القطامى : يريد الصقر .

(٣) وكان قصى يقول فيما زعموا : ولد لى أربعة ، فسميت اثنين بصنمى ، وواحدا بدارى وواحدا بنفسى . ٢٠

(٤) زيادة عن الطبرى .

(٥) لم يذكر الطبرى تخمر فى أولاد قصى ، واقتصر على الذكور الأربعة ، وذكرها الزبيدى فى كتابه إيضاح المدارك ، وقال : تخمر كتنصر .

قال ابن هشام :

ويقال : حُبْشِيَّة[1] بن سَلول .

أولاد عبد مناف وأمهاتهم

قال ابن إسحاق :

فولد عبدُ مناف ــ واسمه المُغيرة بن قُصَى ــ أربعة نفر : هاشم[2] بن عبد مناف ، وعبد شمس[3] بن عبد مناف ، والمطّلب بن عبد مناف ؛ وأمهم عاتكة[4] بنت مُرّة بن هلال[5] بن فالج[6] بن ذَكْوان بن ثَعْلبة بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور ابن عِكْرمة ونوفل بن عبد مناف ، وأمه واقدة بنت عمرو المازنية . مازن ابن منصور بن عكرمة .

نسب عتبة ابن غزوان

قال ابن هشام :

فبهذا النسب خالفهم عُتْبة بن غَزْوان بن جابر بن وهب بن نُسَيْب[7] ابن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة .

---

(1) ضبطت فى الأولى بفتحتين ، وفى الثانية بالضم ، وعلى هذا الرأى الأخير الزبيدى فى كتابه إيضاح المدارك عن العواتك ، فقد ضبطت فيه بالعبارة بالضم .

(2) واسمه عمرو ، ويقال له : هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه ، وله يقول مطرود بن كعب الخزاعى ، وقيل ابن الزبعرى :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

(راجع الطبرى) .

(3) وكان عبد شمس تلوا لهاشم ، وقيل : بل كانا توءمين ، فولد هاشم ، ورجله فى جبهة عبد شمس ملتصقة ، فلم يقدر على نزعها إلا بدم. فكانوا يقولون : سيكون بين ولديهما دماء ، فكانت تلك الدماء ماوقع بين بنى هاشم وبنى أمية بن عبد شمس .

(4) ويقال : إن لعاتكة من غير عبد مناف: الحارث بن حبش السلمى ، فهو أخو هاشم ، وعبد شمس ، والمطلب ، لأمهم ، وأنه رثى هاشما لهذه الأخوة .

(5) وأم عبد مناف عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان ، وعلى هذا تكون أم عبد مناف عمة عاتكة أم هاشم .

(6) كذا فى ا ، وإيضاح المدارك عن العواتك لزبيدى . وفى سائر الأصول : « فالح » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(7) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « سبب » .

عود إلى أولاد عبد مناف

قال ابن هشام :

وأبو عمرو، وتُماضر ، وقلابة ، وحَيَّة ، ورَيْطَة ، وأم الأَخْثَم ، وأم سفيان : بنو عبد مناف .

فأم أبي عمرو : رَيْطة ، امرأة من ثقيف ؛ وأم سائر النساء : عاتكة بنت مُرّة ابن هلال ، أم هاشم بن عبد مناف ؛ وأُمُّها صَفِيَّة بنت حَوْزة بن عَمْرو ابن سَلول بن صَعْصعة بن مُعاوية بن بَكْر بن هَوازن؛ وأم صَفِيَّة : بنت عائذ الله[1] ابن سَعْد[2] العَشِيرة بن مَذْحج .

أولاد هاشم وأمهاتهم

قال ابن هشام[3] :

فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ، وخَمْسَ نسوة : عبد المطلب بن هاشم ، وأَسد بن هاشم ، وأبا صَيْفِيّ بن هاشم ، ونَضْلة بن هاشم ، والشِّفاء ، وخالدة ، وضعيفة ، ورُقَية ، وحيّة . فأم عبد المطلب ورقية : سَلْمى[4] بنت عمرو[5] ابن زيد بن لَبيد [بن حرام][6] بن خِداش بن عامر[7] بن غَنْم بن عدي بن النجار

واسم النجار : تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر .

---

(١) ويروى : عبد الله .

(٢) كذا : في الأصل . والظاهر أن صواب العبارة : « . . . من سعد . . . الخ » . لأن سعد العشيرة بن مذحج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مذحج إلا أقلها ، ولا يكون في عصر هاشم من هو ابن له لصلبه .

(٣) كذا في الأصول . ولقد عودنا ابن هشام فيما مضى من الكلام على النسب أن ينقل عن ابن إسحاق ويقفي هو برأيه ، ولكنه عرض هنا للكلام على أولاد هاشم غير ناقل عن ابن إسحاق ، وكذلك كان شأنه عند الكلام على أولاد عبد المطلب .

(٤) وأمها عمرة بنت صخر المازنية ، وابنها عمرو بن أحيحة بن الجلاح ، وأخوه معبد ، ولدتهما لأحيحة بعد هاشم .

(٥) ويقال : هي سلمى بنت زيد بن عمرو . (راجع الطبري) .

(٦) زيادة عن الطبري .

(٧) اتفق الطبري مع السيرة في نسب سلمى إلى خداش ، ثم خالفها فيما بعد هذا ، فقال : « خداش ابن جندب بن عدي بن النجار » .

وأمها: عَميرة بنت صَخْر بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجّار . وأم عَميرة: سلمى بنت عبد الأشْهل النجّارية .

وأم أسد : قَيْلة بنت عامر بن مالك الخزاعىّ .

وأم أبى صَيْفى وَحيّة : هند بنت عمرو بن ثعلبة الخَزْرجية [١] .

وأم نَضْلة والشِّفاء : امرأة من قضاعة .

وأم خالدة وضعيفة : واقدةُ بنت أبى عدىّ المازنيّة .

أولاد عبد المطلب بن هاشم

عـــددهم وأمهاتهم

قال ابن هشام :

فولد عبدُ المطلب بن هاشم عشرةَ نفر وستَّ نِسْوة : العباسَ ، وحمزة ، وعبد الله ، وأبا طالب ــ واسمه عبد مناف ــ والزُّبير [٢] ، والحارث ، وحَجْلا [٣] ، والمقوِّم، وضِرَارا ، وأبا لهب [٤] ــ واسمه عبد العُزَّى ــ وصَفِية ، وأم حَكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأُمَيْمة ، وأَرْوى ، و بَرَّة .

---

(١) هذا ما ذهب إليه ابن إسحاق ، والمعروف عند أهل النسب أن أم حية : جحل بنت حبيب بن الحارث بن مالك بن خطيط الثقفية ، وأن حية هذه كانت تحت الأحجم بن دندنة الخزاعى ، ولدت له أسيدا وفاطمة .

(٢) الزبير هو أكبر أعمام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان يرقص النبي صلى الله عليه وسلم وهو طفل ، ويقول :

محمد بن عبــدم عشت بعيش أنعم
فى دولة ومغـــنم دام سجيس الأزلم

وبنته ضباعة كانت تحت المقداد ، وابنه عبد الله من الصحابة رضى الله عنهم . وكان الزبير يكنى أبا طاهر ، بابنه الطاهر ، وكان من أظرف فتيان قريش ، وبه سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه الطاهر ؛ ويقال : إن الزبير كان ممن يقرون بالبعث .

(٣) كذا فى أكثر الأصول ، والروض الأنف ، والمعارف ، والقاموس مادة : «حجل» . وفى ا : «جحل» . بتقديم الجيم على الحاء ، وهو تصحيف .

(٤) واسم أبى لهب عبد العزى ، وكنى أبا لهب لإشراق وجهه .

فأم العبّاس وضِرار : نُتَيْلة[1] بنت جَناب بن كليب[2] بن مالك بن عَمْرو ابن عامر[3] بن زَيْد مناة بن عامر — وهو الضَّحْيان — بن سَعْد بن الخَزْرج بن تَيْم اللات بن النَّمِر بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصَى بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار.

ويقال : أفصى ابنُ دُعْمِيّ بن جَديلة .

وأم حمزة والمقوِّم وحَجْل — وكان يلقب بالغَيْداق لكثرة خيره ، وسعة ماله — وصَفِيّة : هالةُ[4] بنت[5] وُهَيب بن عبد مَنَاة[6] بن زُهْرة بن كِلاب ابن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ .

وأم عبد الله ، وأبي طالب ، والزُّبَير ، وجميع النساء غير صَفِيّة : فاطمةُ بنت عَمْرو بن عائذ بن عمران بن مَخْزُوم بن يَقَظه بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالب ابن فِهْر بن مالك بن[7] النضر .

وأمها: صَخْرة بنت عبد بن عِمْران بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر .

وأم صخرة : تَخْمُر بنت عبد بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ ابن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر .

وأم الحارث بن عبد المطلب : سَمْراء بنت جُنْدب بن حُجَيْر بن رِئاب بن حبيب بن سُوَاءة بن عامر بن صَعْصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن مَنْصور ابن عِكْرِمة .

---

(١) وأم نتيلة : أم حجر ، أو أم كرز بنت الأزب من بني بكيل من همدان .

(٢) في المعارف : « نتيلة بنت كليب بن مالك بن جناب »

(٣) وعامر هذا هو الذي يعرف بالضحيان ، وكان من ملوك ربيعة .

(٤) ويقال إن أم الغيداق : ممنعة بنت عمرو الخزاعية . (راجع الروض الأنف ، والمعارف) .

(٥) كذا في المعارف لابن قتيبة . وفي الأصول : « أهيب بن عبد مناف » .

(٦) ويقال إن أولاد فاطمة من عبد المطلب هم : عبد الله ، وعبد مناف (أبو طالب) ، والزبير ، وعبد الكعبة ، وعاتكة ، وبرة ، وأميمة . (راجع الطبري) .

(٧) في المعارف : صفية بنت جندب ، وفيه أن ولديها اثنان : الحارث وأروى .

وأم أبي لهب: لبْنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حُبْشية بن سَلول ابن كعب بن عَمْرو الخزاعيّ.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهاته

قال ابن هشام:

فولد عبدُ الله بنُ عبد المطلب رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم سيّد ولد آدم، محمد بنَ عبد الله بن عبد المطلب. صلواتُ الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله. وأمه: آمنةُ بنت وَهْب بن عبد مناف بن زُهْرة[1] بن كِلاب بن مُرّة ابن كَعْب بن لؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر. وأمّها: بَرّة بنت عبد العُزّى بن عثمان بن عَبْد الدار بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ ابن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر. وأم بَرّة: أمّ حَبيب بنت أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك ابن النَّضْر. وأم أم حَبيب: برّة[2] بنت عَوْف بن عُبيد بن عُوَيج بن عديّ بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النضر.

قال ابن هشام:

فرسول الله صلّى الله عليه وسلّم أشرفُ وَلَد آدم حسباً، وأفضلهم نسباً من قِبَل أبيه وأمه صلى[3] الله عليه وسلم.

---

(١) في المعارف لابن قتيبة: أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة؛ وهذا منكر غير معروف، وإنما هو اسم جدهم، كما قال ابن إسحاق.

(٢) المعروف: أن جميع أمهاته صلى الله عليه وسلم من آمنة إلى برة بنت عوف قرشيات؛ وأما ما بعد ذلك من أمهاته فليس من قريش. فأم برة بنت عوف: قلابة بنت الحارث، وأم قلابة: أميمة بنت مالك، وأم أميمة: دبة بنت الحارث، وأمها: بنت كهف الظلم، من ثقيف.

(٣) ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ما ولدتني بغي قط منذ كنت في صلب آدم، فلم تزل تنازعني الأمم كابرا عن كابر حتى خرجت في أفضل حيين في العرب: هاشم وزهرة».

إشارة إلى ذكر احتفار زمزم

شيء عن زمزم

قال محمد بن إسحاق المطلبي[1] :

بينما عبد المطّلب بن هاشم نائمٌ فى الحِجْر إذ أُتى فأُمِر بحَفْر زَمْزم ، وهى دَفْن بين صَنَمىْ قُرَيشٍ : إسافٍ ونائلة ، عند مَنْحر قريش . وكانت جُرْهم دَفَنْتها حين ظَعنوا من مكة ، وهى بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، التى سقاه ٥ اللهُ حين ظَمِئَ وهو صغير ، فالتمست له أمُّهُ ماءً فلم تجده ، فقامت إلى الصَّفا تدعو اللهَ وتستغيثه لإسماعيل ، ثم أتت المَرْوة ففعلت مثلَ ذلك . و بعث اللهُ تعالى جبريل عليه السلام ، فهَمَز له[2] بعَقبِه فى الأرض ، فظهر الماء ، وسمعت أمه أصواتَ السّباع فخافتْها عليه ، فجاءت تشتدّ نحوَه ، فوجدته يَفْحص[3] بيده عن الماء من تحت خدّه و يشرب ، فجعلته حِسْياً[4] . ١٠

أمر جرهم ودفن زمزم

ولاة البيت

قال ابن هشام :

وكان من حديث جُرْهم ، ودَفْنها زمزم ، وخروجها من مكة ، وَمَنْ ولِى أمرَ

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام . قال : وكان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحدثنا به زياد بن عبد الله البكائى عن محمد ٥ ابن إسحاق المطلبى قال . . الخ » .

(٢) ومن هنا سميت زمزم أيضاً : همزة جبريل ، وهزمة جبريل . وقال المسعودى : سميت زمزم لأن الفرس كانت تحج إليها فى الزمن الأول فزمزمت عليها ، والزمزمة : صوت تخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء ، وقد كتب عمر رضى الله عنه إلى عماله : أن انهوا الفرس عن الزمزمة . وقيل : بل سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا .

(٣) يفحص : يكشف .

(٤) الحسى : الحفيرة الصغيرة ؛ وقيل : أصل الحسى ما يغور فى الرمل ، فإذا بحث عنه ظهر .

مكة بعدها إلى أن حَفَر عبدُ المطلب زمزم ، ماحدّثنا به زِياد بن عبد ٱللّه البكّائى
عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال :

لما توفى إسماعيل بن إبراهيم وَلِى البيتَ بعده ابنُه نابت بن إسماعيل ماشاء ٱللّهُ أن يَليه ، ثم ولى البيتَ بعده مُضاض بن عمرو الجرْهمى .

٥ قال ابن هشام :

و يقال : مِضاض بن عمرو الجُرْهمىّ .

جرهم وقطوراء ، وما كان بينهما

قال ابن إسحاق :

و بنو إسماعيل وبنو نابت مع جدّهم مُضاض بن عمرو وأخوالهم من جُرْهم.[1] وجُرْهم وقَطُوراء[2] يومئذ أهلُ مكة ، وهما ابنا عمّ . وكانا ظَعنا من اليمن ١٠ فأقبلا سيّارةً ، وعلى جُرْهم مُضاض بن عمرو ، وعلى قطوراء السَّمَيْدع[3] ، رَجُلٌ منهم . وكانوا إذا خَرَجوا من اليمن لم يَخْرجوا إلا ولهم مَلِكٌ يُقيم أمرَهم . فلما نزلا مكة رَأَيا بلداً ذا ماء وشَجَرٍ ، فأعجبهما فنَزَلا به . فنزَل مُضاض بن عَمْرو بمَنْ معه من جُرْهم بأعْلى مكة بُقَعَيْقِعان[4] فما حازَ . ونزل السميدع بقَطوراء ، أسفلَ مكة بأَجْياد[5] فما حاز . فكان مضاض يَعْشُر[6] مَنْ دَخَل مكة مِن أعلاها ، وكان ١٥ السميدع يَعْشُر مَنْ دخل مكة من أسفلها ، وكلٌّ فى قومه لايدخل واحدٌ منهما على صاحبه . ثم إن جُرْهم وقَطُوراء بَغَى بعضُهم على بعض ، وتنافسوا المُلْكَ بها ، ومع مُضاض يومئذ بنو إسماعيل و بنو نابت ، و إليه ولايةُ البيت دون السَّمَيْدع .

---

(١) جرهم : هو قحطان بن عابر بن شالخ .

(٢) قطوراء : هو قطوراء بن كركر .

٢٠ (٣) السميدع : هو السميدع بن هوثر بن لأى بن قطوراء بن كركر بن عملاق ؛ ويقال : إن الزباء من ذريته ، وهى بنت عمرو بن أذينة بن ظرب بن حسان ، وبين حسان والسميدع آباء كثيرة .

(٤) قعيقعان : جبل بمكة . (راجع معجم البلدان) . وسيعرض له المؤلف بعد قليل .

(٥) أجياد : موضع بمكة يلى الصفا . (راجع معجم البلدان) .

٢٥ (٦) يقال عشر فلان القوم عشرا وعشورا : إذا أخذ عشر أموالهم

فسار بعضُهم إلى بعض ، فخرج مُضاض بن عَمْرو من قُعَيْقعان فى كتيبته سائراً إلى السَّمَيْدع ، ومع كتيبته عُدَّتها من الرّماح والدَّرَق والسُّيوف والجعاب ، يُقعْقع بذلك معه ، فيقال ما سُمِّى قعيقعان بقعيقعان إلاّ لذلك . وخرج السَّميدع من أجياد ومعه الخيل والرجال ، فيقال ماسمى أجياد أجياداً إلا لخروج الجياد[1] من الخيل مع السَّميدع منه . فالتقَوْا بفاضِح[2] ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل السميدع ، وفُضِحت قطوراء . فيقال ماسمّى فاضح فاضحا إلا لذاك . ثم إن القوم تداعَوْا إلى الصُّلح ، فساروا حتى نزلوا المَطابخ : شِعْباً بأعلى مكة[3] ، واصطلحوا به ، وأسْلموا الأمرَ إلى مُضاض . فلما جُمع إليه أمْرُ مكة فصار مُلْكُها له ، نَحر للناس فأطعمهم ، فاطَّبخ[4] الناسُ وأكلوا ، فيقال ماسمّيت المَطابخ المطابخ إلا لذلك . و بعضُ أهل العلم يزعمُ أنها إنما سُمِّيت المطابخ ، لِمَا كان تُبَّع نَحر بها وأطعم ، وكانت منزلَه . فكان الذى كان بين مُضَاض والسَّميدع أولَ بَغْى كان بمكة فيما يزعمون .

أولاد إسماعيل وجرهم بمكة

ثم نشر الله وَلَدَ إسماعيل بمكة ، وأخوالُهم من جُرْهم ، ولاة البيت والحكّام بمكة ، لاينازعهم ولد إسماعيل فى ذلك لخؤولتهم وقرابتهم ، و إعظاما للحُرْمة أن يكون بها بَغْى أو قتال . فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا فى البلاد ، فلا يناوئون قومًا إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوَطِئوهم .

---

(١) هذا بعيد : لأن جياد الخيل لايقال فيها أجياد ، وأما أجياد فجمع جيد . وقد ذكر أن مضاضا ضرب فى ذلك الموضع أجياد مئة رجل من العمالقة فسمى الموضع أجيادا لهذا .

(٢) فاضح : موضع قرب مكة عند أبى قبيس ، كان الناس يخرجون إليه لحاجاتهم . (راجع معجم البلدان) .

(٣) وفى المطابخ يقول الشاعر :

أطوف بالمطابخ كل يوم مخافة أن يشردنى حكيم

يريد حكيم بن أمية . (راجع معجم البلدان) .

(٤) اطبخ الرجل : طبخ لنفسه خاصة ، أو اتخذ طبيخا ؛ ويقال : اطبخ الرجل اللحم ، وذلك إذا طبخه .

استيلاء قوم كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم

بغى جرهم بمكة ونفي بني بكر لهم

ثم إن جُرْهما بَغَوْا بمكة ، واستحلّوا خِلالا[1] من الحرمة ، فظلموا مَنْ دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مالَ الكعبة الذى يُهْدى[2] لها ، فرقّ أمرُهم . فلما رأت بنو بَكْر بن عَبْد مَناة بن كِنانة ، وغُبْشان من خُزاعة ذلك ، أجمعوا لحَرْبهم وإخراجهم من مكة . فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بَكْر وغُبْشان ، فنفَوْهم من مكة . وكانت مكة فى الجاهلية لا تُقِرّ فيها ظُلْماً ولا بَغْيا ، ولا يَبْغِى فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت تسمى النّاسّة[3] ، ولا يريدها ملك يستحلُّ حرْمَتها إلا هلك مكانَه ، فيقال إنها ما سُمّيت ببكّة إلا أنها كانت تَبُكّ[4] أعناقَ الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئاً .

بكة لغة

قال ابن هشام : أخبرنى أبو عُبَيدة :

أن بكة اسم لبطن مكة ، لأنهم يتباكون فيها ، أى يزدحمون . وأنشدنى :

إذا الشَّرِيبُ[5] أخذتْه أَكّه[6] فخلّه حتى يَبُكّ بَكّه

أى فَدعْه حتى يبكّ إبله ، أى يخلّيها إلى الماء فتزدحم عليه . وهو موضع

(1) الخلال : الخصال .

(2) كان كل مايهدى إلى الكعبة يلقى فى بئر قرية القعر ، كان احتفرها إبراهيم عليه السلام عند باب الكعبة . ويقال : إنه لما فسد أمر جرهم ، وسرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة دخل رجل منهم البئر ليسرق مال الكعبة ، فسقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها . كما يذكرون أنه أرسلت على البئر حية ، فكانت تهيب من يدنو منها .

(3) كما كانت تسمى النساسة ، وهما من « نس » بمعنى يبس وأجدب ؛ كما يقال لها : الباسة » أيضاً ، وهو من البس بمعنى التفتيت .

(4) تبك : تكسر .

(5) كذا فى ا ولسان العرب (مادتى أك وبك) . والشريب : الذى يسقى إبله مع إبلك . وفى الأصل : « الشريت » ، وهو تصحيف .

(6) الأكة : شدة الحر ، وقيل شدة الألم .

البيت والمسجد . وهذان البيتان لعامان بن كَعْب بن عمرو بن سَعْد بن زيد مَناة بن تَمِيم .

قال ابن إسحاق :

فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي بغزالَي الكعبة وبحجر الركن فدفنها في زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جُرْهم إلى اليمن ، فحزنوا على مافارقوا من أمر مكة ومُلْكها حزناً شديداً . فقال عمرو بن الحارث [بن عمرو][1] بن مُضاض في ذلك[2] ، وليس بمُضاض الأكبر :

وقائلةٍ والدمعُ سَكْبٌ مُبادرُ ... وقد شَرِقتْ بالدمع منها المَحاجرُ

كأن لم يكن بين الحَجون[3] إلى الصَّفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكّة سامر

فقلتُ لها والقلبُ منيّ كأنما ... يُلَجْلجه[4] بين الجَناحين طائر

بلى نحن كُنا أهلَها فأزالنا ... صُروفُ الليالي والجُدود[5] العَواثر

وكنّا وِلاةَ البيت من بَعْد نابتٍ ... نطوفُ بذاك البيت والخيرُ ظاهر[6]

ونحن وَلينا البيتَ من بعد نابت ... بعزٍّ فما يَحْظَى لدينا المُكاثر

---

(١) زيادة عن معجم البلدان .

(٢) والسبب في قول هذا الشعر : أن عمرو بن الحارث كان قد نزل بقنونا من أرض الحجاز ، فضلت له إبل، فبغاها حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ليأخذ إبله، فنادى عمرو بن لحي: من وجد جرهميا فلم يقتله قطعت يده . فسمع بذلك عمرو بن الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة، فرأى إبله تنحر ويتوزع لحمها، فانصرف بائسا خائفا ذليلا، وأبعد في الأرض: وبغربته يضرب المثل ، ثم قال هذا الشعر .

(٣) الحجون : جبل بأعلى مكة ، عليـــه مدافن أهلها ؛ وقيل : مكان من البيت على ميل ونصف ؛ وقيل على فرسخ وثلث ، عليه سقيفة آل زياد بن عبد الله الحارثي ، وكان عاملا على مكة في أيام السفاح وبعض أيام المنصور . وقال الأصمعي : الحجون : هو الجبل المشرف الذي بحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين . (راجع معجم البلدان) .

(٤) يلجلجه : يديره .

(٥) الجدود : جمع جد ، وهو الحظ .

(٦) يشير بهذا البيت إلى أنه بعد موت نابت ، وأمه جرهمية ، ولم يكثر ولد إسماعيل ، غلبت جرهم على ولاية البيت .

مَلَكْنا فعزَّزْنا فأَعْظِمْ بِمُلْكِنا فليس لحىّ غيرِنا ثَمَّ فاخِرُ
ألمْ تُنْكِحوا مِنْ خَيْرِ شخص[1] علمتُه[2] فأبناؤه منّا و نحن الأصاهِرِ
فإن تَنْثَنِ الدنيا علينا بحالها فإنّ لها حالاً وفيها التشاجُر
فأَخْرَجَنا منها المليكُ بقُدْرة كذلك يا للناس تجرى المقادر
٥ أقولُ إذا نام الخلّى ولم أَنَمْ أذا العرشِ : لايبعد سُهَيل وعامر
وبُدِّلْت منها أوجُها لا أُحبّها قبائلُ منها حِمْــير ويُحابر[3]
وصِرْنا أحاديثاً وكُنَّا بِغِبْطَةٍ بذلك عَضَّتْنا السِّنون الغَوابر
فسحّت دمُوع العين تَبْكى لبَلْدة بها حَرَم أَمْنٌ وفيها المَشاعر[4]
وتَبْكى لبيتٍ ليس يؤذَى حَمامُه يَظَلّ به أَمْناً وفيه العَصافر[5]
١٠ وفيه وُحوش لا تُرام أنيسة إذا خرجتْ منه فليست تُغَادر

قال ابن هشام : قوله « فأبناؤه منا » ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق :

وقال عمرو بن الحارث أيضاً يذكر بَكْرا وغُبْشان، وساكنى مكة الذين خَلَفوا فيها بعدهم :

١٥ ياأيها الناس سِيرُوا إن قَصْرَكُم[6] أن تُصْبحوا ذاتَ يوم لاتَسيرونَا
حُثّوا المطىَّ وأَرْخوا من أزِمَّتها قبلَ الممات وقَضّوا ما تقضُّونا

(١) يعنى : إسماعيل عليه السلام ، وذلك أنه نكح امرأة من جرهم .

(٢) ورواية هذا الشطر فى الطبرى :

* وصاهرنا من أكرم الناس والدا *

٢٠ (٣) حمير ويحابر : من قبائل اليمن ، ويقال : إن يحابر هى مراد .

(٤) المشاعر : المواضع المشهورة فى الحج التى يتعبد بها .

(٥) أراد : العصافير، وحذف الياء للضرورة .

(٦) قصركم : نهايتكم وغايتكم .

كنّا أناساً كما كنتم فغيّرنا دهرٌ فأنتم كما كنّا تكونونا[1]

قال ابن هشام :

هذا ما صحّ له منها . وحدّثنى بعضُ أهلِ العلم بالشعر : أن هذه الأبيات أولُ شعر قيل فى العرب ، وأنها وُجدتْ مكتوبة فى حجر باليمن ، ولم يُسمّ لى قائلها[2] .

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق :

ثم إن غُبْشان من خُزاعة وَلِيتْ البيتَ دون بنى بَكْر بن عَبْد مناة ، وكان

---

(١) وزاد بعضهم على هذه الأبيات :

إن التفكر لايجدى لصاحبه عند البديهة فى علم له دونا

فاستخبروا فى صنيع الناس قبلكم كما استبان طريق عنده الهونا

كنا زمانا ملوك الناس قبلكم بمسكن فى حرام الله مسكونا

(٢) ويروى : أنه وجد فى بئر باليمامة ثلاثة أحجار . فوجدوا فى حجر من الثلاثة مكتوبا هذه الأبيات ، ووجدوا فى حجر آخر مكتوبا :

يأيها الملك الذى بالملك ساعده زمانه

ما أنت أوّل من علا وعلا شؤون الناس شانه

أقصر عليك مراقبا فالدهر مخذول أمانه

كم من أشم معصب بالتاج مرهوب مكانه

قد كان ساعده الزمان وكان ذا خفض جنانه

تجرى الجداول حوله للجند مترعة جفانه

قد فاجأته منية لم ينجه منها اكتنانه

وتفرقت أجناده عنه وناح به قيانه

والدهر من يعلق به يطحنه مفترسا جرانه

والناس شتى فى الهوى كالشرع مختلف بنانه

والصدق أفضل شيمة والمرء يقتله لسانه

الذى يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشانى . وقُرَيش إذ ذاك حُلول وصِرَم،[1] و بيوتات متفرقون فى قومهم من بَنى كِنانة . فوَلِيتْ خزاعة البيتَ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر ، حتى كان آخرهم حُلَيل بن حَبَشِيّة بن سَلول بن كَعْب بن عمرو الخزاعى .

٥ قال ابن هشام : يقال حُبْشية بن سَلول .

تزوج قصي بن كلاب حبى بنت حليل

أولاد قصى

قال ابن إسحاق :

ثم إن قُصَىّ بن كلاب خطب إلى حُليل بن حُبْشية ابنتَه حُبَّى ، فرغب فيه حُليل فزّوجه ، فولدت له عبدَ الدار ، وعبد مناف ، وعبد العُزّى ، وعبداً .

١٠ فلما انتشر ولدُ قصىّ ، وكثُر ماله ، وعظم شرَفه ، هلك حُليل .

تولى قصى أمر البيت ونصرة رزاح له

فرأى قُصىّ أنه أولى بالكعبة و بأمْر مكة من خُزاعة و بنى بكر ، وأن قريشاً قُرْعة[2] إسماعيل بن إبراهيم وصَريح وَلَده . فكلّم رجالاً من قُرَيش ،

= والصمت أسعد للفتى ولقد يشرفه بيانه

ووجد بالحجر الثالث قصيدة على هذا النمط كلها حكم ومواعظ ، ومطلعها :

١٥ كل عيش تعـله ليس للدهر خـله

يوم بؤس ونعـمة واجتماع وقـله

حبذا العيش والتكاثر جهل وضله

ومنها :

آفـة العيش والنعـيم كرور الأهـله

٢٠ وصل يوم وليـلة واعـتراض بعـله

(١) الصرم : الجماعات المتقطعة .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . والقرعة : نخبة الشيء وخياره . وفى الطبرى و ا : «فرعة» بالفاء . وفرعة الجبل : أعلاه . يريد أن قريشا أعلى ولد إسماعيل .

وبنى كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبنى بَكْر من مكة ، فأجابوه . وكان رَبيعة بن حَرَام ،[1] من عُذْرة بن سَعْد بن زَيْد قد قَدِم مكةَ بعد هُلْك كِلاب ، فتزوّج فاطمةَ بنت سعد بن سَيَل ، وزُهْرة يومئذ رجل ، وقصيّ فَطِيم ، فاحتملها إلى بلاده ، فحملت قُصيًّا معها ، وأقام زُهْرة ، فولدت لربيعة رِزاحا . فلما بلغ قُصىّ وصار رجلاً أتى مكة، فأقام[2] بها ، فلما أجابه قومُه إلى ما دعاهم إليه ، كتب إلى أخيه من أمّه ، رِزاح بن ربيعة ، يدعوه إلى نُصْرته ، والقيام معه . فخرج رِزاح بن ربيعة ومعه إخوته : حُنّ بن ربيعة ، ومحمود ابن ربيعة ، وجُلْهُمة بن ربيعة ، وهم لغير فاطمة، فيمن تبعهم من قُضاعة فى حاجّ العرب ، وهم مُجمعون لنُصْرة قُصَى . وخُزاعة تزعم أن حُلَيل بن حُبْشية أوصى بذلك قُصَيًّا ، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر . وقال : أنت أولى بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكّة من خُزاعة ؛ فعند ذلك طلب قُصىّ ما طلب . ولم نسمع ذلك من غيرهم[3] ، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

---

(١) فى ا : « بن »

(٢) والسبب فى رجوعه إلى مكة ، هو أنه لما كان غلاما — وكان يدعى إلى ربيعة لأنه لايعلم له أب إلا إياه — تساب هو ورجل من قضاعة ، فعيره بالدعوة وقال له : لست منا ، وإنما أنت فينا ملصق . فدخل على أمه ، وقد وجم لذلك ، فقالت له : يابنى ، صدق ، إنك لست منهم ، ولكن رهطك خير من رهطه ، وآباءك أشرف من آبائه ، وإنما أنت قرشى ، وأخوك وبنو عمك بمكة ، وهم جيران بيت الله الحرام ، فدخل فى سيارة حتى أتى مكة .

(٣) ويقال أيضاً فى انتقال ولاية البيت إلى قصى : أن حليلا كان يعطى مفاتيح البيت إلى ابنته حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصى ربما أخذها فى بعض الأحيان ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قصى ، فأبت خزاعة أن تمضى ذلك لقصى ، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة .

كما يذكر أيضاً : أن حليلا لما كبر ولم يقدر على فتح الباب وإغلاقه ، عهد بالمفاتيح إلى أبى غبشان — وهو من خزاعة ، واسمه سليم بن عمرو — فابتاعها منه قصى بزق خمر ، فقيل أخسر من صفقة أبى غبشان .

وكان الأصل فى الانتقال ولاية البيت من ولد مضر إلى خزاعة : أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار وبغت فيه إياد ، أخرجتهم بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم عن مكة ، فعمدوا فى الليل إلى الحجر الأسود ، فاقتلعوه واحتملوه على بعير ، فرزح البعير به وسقط إلى الأرض ، وجعلوه على آخر ، فرزح أيضاً . وعلى الثالث ، ففعل مثل ذلك . فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا ، فلما أصبح أهل مكة ولم يروه ، وقعوا فى كرب عظيم . وكانت امرأة من خزاعة قد بصرت به حين

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغَوْث بن مُرّ بن أدّ بن طابخة بن اليأس بن مُضَر يَلِى الإجازة[1] للناس بالحج من[2] عرفة ، وولدُه من بعده ؛ وكان يقال له ولولده صُوفة[3] .

وإنما وَلِى ذلك الغوثُ بن مرّ لأن أمّه كانت امرأةً من جُرْهم ، وكانت لا تَلِد ، فنذرت لله إن هى ولدتْ رجلاً أن تَصَدّق به على الكعبة عَبْدًا لها يخدُمها ، ويقوم عليها . فولدت الغوثَ ، فكان يَقوم على الكعبة فى الدّهْر الأول مع أخواله من جُرْهم ، فوَلِى الإجازةَ بالناس من عرَفة ، لمكانه الذى كان به من الكعبة ، وولدُه من بعده حتى انقرضوا[4] . فقال مُرّ بن أدّ لوفاء نَذْر أمّه :

إنى جعلتُ ربّ من بَنِيّه ... رَبيطةً بمكّةَ العليّه

فباركنّ لى بها أليّه[5] ... واجْعله لى من صالح البَرّيه

وكان الغوث بن مُرّ ـ فيما زعموا ـ إذا دفع بالناس قال :

= دفن ، فأعلمت قومها بذلك ، فحينئذ أخذت خزاعة على ولاة البيت أن يتخلوا لهم عن ولايته ويدلوهم على الحجر ، ففعلوا ذلك ؛ فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صارت إلى بنى عبد مناف . (راجع الروض الأنف وكتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى) .

(١) الإجازة : الإفاضة .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « من بعد عرفة » .

(٣) وإنما قيل للغوث وولده: صوفة ، لأن أمه حين جعلته ربيطا للكعبة علقت برأسه صوفة ؛ وقيل : ألبسته ثوبا من صوف ؛ وقيل : إنما سمى كذلك ، لأن أمه لما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط وذوى واسترخى ، فقالت : ما صار ابنى إلا صوفة ، فسمى صوفة . وقيل : إنما سمى كذلك لأن كل من ولى من البيت شيئا من غير أهله ، أو قام بشىء من خدمة البيت ، أو بشىء من أمر المناسك ، يقال لهم : صوفة وصوفان .

(٤) وقيل : إن ولاية الغوث بن مر كانت من قبل ملوك كندة . (راجع الروض الأنف) .

(٥) الألية : فى الأصل اليمين ، وهى هنا: النذر الذى نذرته أمه .

لا هُمَّ إنى تابعٌ تَباعه[1] إن كان إثمٌ فعلَى قُضاعه[2]

قال ابن إسحاق : حدثنى يَحْيَى[3] بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبَير عن أبيه [عباد][4] . قال :

صوفة ورمى الجمار

كانت صُوفة تدفع بالناس من عَرفة ، وتُجيز بهم إذا نفَروا من مِنى ؛ فإذا كان يوم النَّفر أتَوْا لرَمْى الجِمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون حتى يرمى[5] . فكان ذوو الحاجات المتعجّلون يأتونه فيقولون له : قُمْ فارم حتى نرمىَ معك ؛ فيقول : لا والله ، حتى تميلَ الشمس . فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبُّون التعجّل يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له : ويلك ! قم فارْم ؛ فيأبى عليهم . حتى إذا مالت الشمس قام فرمَى ورمَى الناس معه .

تولى بنى سعد أمر البيت بعد صوفة

قال ابن إسحاق :

فإذا فرغوا من رَمْى الجمار وأرادوا النَّفر من مِنى ، أخذت صُوفة بجانبى العقبة ، فحبسوا الناسَ وقالوا : أجيزى صُوفة ، فلم يَجُزْ أحدٌ من الناس حتى يَمرّوا ، فإذا نفرت صُوفة ومضت خُلّى سبيل الناس ، فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك حتى انقرضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم بالقُعدد[6] بنو سعد بن زَيْد

---

(١) التباعة : مايتبعه الإنسان ويقتدى به .

(٢) إنما خص قضاعة بهذا ، لأن منهم محلين يستحلون الأشهر الحرم ، كما كانت خثعم وطيء تفعل .

(٣) روى عن جده ، وأبيه ، وعمه حمزة . وعنه هشام بن عروة ، وموسى بن عقبة ، وابن إسحاق وجماعة ، ولقد مات شابا عن سبع وثلاثين سنة . (راجع تراجم رجال لابن إسحاق) .

(٤) زيادة عن ا .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « يرمى » ، وهو تحريف .

(٦) يريد قرب النسب . يقال : رجل قعدد ، إذا كان قريب الأباء إلى الجد الأكبر . ومن أغرب مايذكر أن يزيد بن معاوية حج بالناس سنة خمسين ، وأن عبد الصمد بن على حج بالناس سنة مئة وخمسين ؛ وأباؤهما فى القعدد إلى عبد مناف واحد ، وبينهما مئة سنة .

مناة بن تميم[1] ، وكانت من بنى سعد فى آل صفوان بن الحارث بن شِجْنة .

نسب صفوان

قال ابن هشام :

صفوان ابنُ جناب ابن شِجْنة بن عُطارد بن عَوْف بن كَعْب بن سعْد ابن زيد مناة بن تميم .

صفوان وكرب والاجزة فى الحج

٥ قال ابن إسحاق :

وكان صَفْوان هو الذى يُجيز الناس بالحجّ من عَرَفة ، ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرَهم الذى قام عليه الإسلام ، كَرِب بن صَفوان وقال أَوْس بن تميم ابن مغراء السَّعْدى :

لايبرح الناس ما حجّوا مُعرَّفهم . حتى يقال أَجيزوا آل صَفْوانا

١٠ قال ابن هشام :

هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مغراء .

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

شعر ذى الإصبع فى إفاضتهم بالناس

وأما قول ذى الإصبع العَدْوانى ، واسمه حُرْثان [من عَدْوان][2] بن عمرو ، وإنما سمى ذا الإصبع لأنه كان له إصبع فقطعها :

---

١٥ (١) وذلك لأن سعداً هو ابن زيد مناة بن تميم بن مر ، وكان سعد أقعد بالغوث بن مر من غيره من العرب .

(٢) زيادة عن الشعر والشعراء ، وهى زيادة يقتضيها السياق ، إذ لم نجد مرجعا من المراجع التى بين أيدينا اتفق مع الأصول فى اسم ذى الإصبع ، وهو كما نصت عليه : حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة بن سيار (شباة ، شبابة) بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب

٢٠ ابن عمرو (عياذ) بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار . وقيل : حرثان بن موت بن الحارث بن شباة بن ذهب بن ثعلبة . . . الخ (راجع خزانة الأدب ج٢ ص ٤٠٨ ، والمفضليات ص٣١٢ طبع بيروت ، والأغانى ج٣ ص٨٩ طبع دار الكتب ، والشعر والشعراء ، وشرح القاموس) .

عذيرَ[1] الحيّ من عَدوا ن كانوا حيّة الأرضِ[2]

بَغَى بعضُهم ظلماً فلم يُرْعِ[3] على بَعْض

ومنهم كانت الساداتُ والمُوفون بالقَرْض[4]

ومنهم مَنْ يُجيز النا س بالسُّـنة والفَرْض

ومنهم حَكَمٌ يَقْضى فلا يُنْقَض ما يَقْضى ٥

أبو سيارة وإفاضته بالناس

ـ وهذه الأبيات فى قصيدة له ـ فلأن الإفاضة من المُزْدلفة كانت فى عَدْوان ـ فيما حدثنى زياد بن عبد الله البكّائى عن محمد بن إسحاق ـ يتوارثون ذلك كابراً عن كابر. حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو سيّارة، عُمَيْلة بن الأعزل[5]. ففيه يقول شاعر من العرب:

نحن دفعنا عن أبى سيّارهْ وعن مَواليه بَنِى فَزاره[6] ١٠

حتى أجاز سالمًا حِماره مستقبلَ القبلة يدعو جاره[7]

قال: وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان[8] له، فلذلك يقول: «سالمًا حِماره»

---

(١) العذير: من يعذر. يريد: أى هاتوا من يعذر.

(٢) يقال: فلان حية الأرض، وحية الوادى: إذا كان مهيبا يذعر منه؛ وقيل: حية الأرض: أى حياتها، لأنهم كانوا يقومون بالناس لجودهم وكرمهم، فكأنهم كانوا حياة للأرض وأهلها. ١٥

(٣) لم يرع: لم يبق، يقال: ما أرعى فلان على فلان: أى ما أبقى عليه.

(٤) القرض هنا: الجزاء، أى من فعل شيئا جازوه به.

(٥) وقيل اسمه العاصى، واسم الأعزل خالد.

(٦) يعنى بمواليه: بنى عمه، لأنه من عدوان، وعدوان وفزارة من قيس عيلان. ٢٠

(٧) يدعو جاره: أى يدعو الله عز وجل يقول: اللهم كن لى جاراً ممن أخافه، أى مجيراً.

(٨) وكانت تلك الأتان سوداء. ولذلك يقول:

لاهُمّ مالى فى الحمار الأسود أصبحت بين العالمين أحسد

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

قضاؤه في خنثى ومشورة جريته سخيلة

قال ابن إسحاق:

وقوله « حكم يقضى » ، يعني عامر بن ظَرِب بن عَمْرو بن عِياذ بن يَشْكُر ابن عَدْوان العَدْوانى . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة[1] ولا عُضْلة[2] في قضاء إلا أَسْندوا ذلك إليه ، ثم رضُوا بما قَضَى فيه . فاختُصِم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه ، في رجل خُنثَى ، له ما للرجل وله ما للمرأة . فقالوا : أتجعله رجلاً أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضلَ منه . فقال : حتى أنظر في أمركم ، فوالله ما نزل بي مثلُ هذه منكم يا معشر العرب ! فاستأخروا عنه . فبات ليلتَه ساهراً ، يقلّب أمرَه ، وينظر في شأنه ، لا يتوجّه له منه وَجْه . وكانت له جارية يقال لها سُخَيلة ترعى عليه غنَمه ، وكان يُعاتبها إذا سرحت فيقول : صبّحتِ والله يا سُخَيل ! وإذا أراحت عليه قال : مسّيت والله ياسُخَيل ! وذلك أنها كانت تؤخّر السرح حتى يسبقها بعضُ الناس ، وتؤخّر الإراحة حتى يسبقها بعضٌ . فلما رأت سَهرَه وقلّة قَراره على فراشه قالت : مالك لا أبالك ! ما عَراكَ في ليلتك هذه ؟ قال : ويلك ! دَعِيني ، أمرٌ ليس من شأنك ؛ ثم عادتْ له بمثل قولِها . فقال في نفسه : عسى أن تأتِي ممّا أنا فيه بفَرَج ؛ فقال : ويحكِ ! اختُصِم إليّ في ميراث خُنْثى ، أأجعله رجلاً أو امرأة ؟ فوالله ما أدري ما أصنع ، وما يتوجّه لي فيه وَجْه . قال : فقالت : سبحان الله ! لا أبالك ! أَتْبِع القضاء المَبال[3] ، أَقْعِدْه ، فإن بال من حيث يبولُ الرجل فهو رجل ، وإن بال من حيث

---

(1) النائرة : الكائنة الشنيعة تكون بين القوم .

(2) العضلة : الأمر الشديد الذى لا يعلم له وجه .

(3) أى اجعله تابعاً له ، وهـذا من الاستدلال بالأمارات وله نظائر كثيرة في الشريعة . ومنه قوله تعالى : « جَاؤا على قميصه بدم كذب » . لأن القميص المدمى لم يكن فيـه خرق ، ولا أثر لأنياب الذئب .

تبولُ المرأة ، فهى أمرأة . قال : مسِّى سُخَيل بعدَها أو صبّحى ، فرّجْتِها والله . ثم خرج على الناس حين أصبح ، فقضى بالذى أشارت عليه به .

غلب قصى بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له

هزيمة صوفة

قال ابن إسحاق :

فلما كان ذلك العام فعلتْ صوفةُ كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العربُ ، وهو دِينٌ فى أنفسهم فى عهد جُرْهم وخُزاعةَ وولايتهم . فأتاهم قُصَىّ ابن كلاب بمن معه مِنْ قومه من قريش وكِنانة وقُضاعة عند العَقبة ، فقال : لنحن أولَى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، ثم انهزمت صوفةُ ، وغلبهم قُصَىّ على ما كان بأيديهم من ذلك .

محاربة قصى خزاعة وبنى بكر وتحكيم يعمر بن عوف

وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بَكْر عن قُصَىّ ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صُوفة ، وأنه سَيحُول بينهم وبين الكَعبة وأمر مكّة . فلما انحازوا عنه باداهم[1] وأجمع لحَربِهم [وثبت معه أخوه رِزاح بن رَبيعة بمن معه من قومه من قضاعة][2] . وخرجتْ له خُزاعة وبنو بَكْر فالتقَوْا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً [بالأبْطح][3] ، حتى كثرت القتلى فى الفريقَيْن جميعاً ، ثم إنهم تداعَوْا إلى الصلح وإلى أن يحكّموا بينهم رجلاً من العَرب ، فحكّموا يَعْمر بن عَوْف ابن كَعْب بن عامر[4] بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مناة بن كِنانة ؛ فقضى بينهم بأن قُصَيًّا أولى بالكعبة وَأمْرِ مكة من خُزاعة ، وأن كل دَمٍ أصابه

---

(١) باداهم : كاشفهم .
(٢) زيادة عن الطبرى .
(٣) زيادة عن ا .
(٤) فى الطبرى : « . . . بن كعب بن ليث » .

قصيّ من خُزاعة و بني بَكر ، موضوع يَشْدخه[1] تحت قدميه ، وأنّ ما أصابت خُزاعة و بنو بَكْر من قُرَيش وكِنانة وقُضاعة ففيه الدِّية مُؤدّاة ، وأنْ يُخلَّى بين قُصَي و بين الكعبة ومكّة .

سبب تسمية يعمر بالشداخ

فسُمِّي يَعْمر[2] بن عَوْف يومئذ: الشدّاخ ، لِمَا شَدَخ من الدماء ووضع منها .

٥ قال ابن هشام : و يقال الشُّدَاخ .

قصيّ أميرا على مكة وسبب تسميته مجمعا

قال ابن إسحاق :

فولى قصيّ البيت وأمر مكة ، وجمع قومَه من منازلهم إلى مكة ، وتملّك على قومه وأهلِ مكة فملّكوه . إلا أنه قد أقرّ للعرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه دِيناً فى نفسه لا ينبغى تغييره . فأقرّ آل صَفوان وعَدْوان والنسأة

١٠ ومُرَّة بن عَوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام فهدم الله به ذلك كلَّه . فكان قصيّ أولَ بَنى كَعْب بن لؤَى أصابَ مُلْكاً أطاع له به قومُه ، فكانت إليه الحِجابة[3] ، والسِّقاية[4] ، والرِّفادة[5] ، والنَّدْوة[6] ،

---

(١) يشدخه : يكسره ، ويريد أنه أبطل تلك الدماء ، ولم يجعل لها حظا ، ولذلك قيل: تحت قدميه .

١٥ (٢) يعمر الشداخ : هو جد بنى دأب الذين أخذ عنهم كثير من علم الأخبار والأنساب . وهم عيسى بن يزيد بن دأب ، وأبوه يزيد ، وحذيفة بن دأب ، ودأب : هو ابن كرز بن أحمر، من بنى يعمر بن عوف .

(٣) الحجابة : أن تكون مفاتيح البيت عنده فلا يدخله أحد إلا بإذنه .

(٤) السقاية : يعنى سقاية زمزم ، وكانوا يصنعون بها شرابا فى الموسم للحاج الذى يوافى مكة

٢٠ ويمزجونه تارة بعسل ، وتارة بلبن ، وتارة بنبيذ ، يتطوعون بذلك من عند أنفسهم .

(٥) الرفادة : طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم ، ويقولون : هم أضياف الله تعالى . وسيعرض لها المؤلف بالكلام بعد قليل .

(٦) الندوة : الاجتماع للمشورة والرأى ، وكانت الدار التى اتخذها قصى لذلك يقال لها دار الندوة ، وهذه الدار صارت بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد

٢٥ العزى بن قصى ، فباعها فى الإسلام بمئة ألف درهم . وذلك فى زمن معاوية ، فلامه معاوية فى ذلك . وقال : أبعت مكرمة آبائك وشرفهم ؟ فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى ، والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر ، وقد بعتها بمائة ألف درهم ، وأشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله ، فأينا المغبون ؟

واللّواء[1] ، فحاز شرفَ مكةَ كلَّه . وقطع مكة رِباعا بين قومه ، فأنزل كلَّ قوم من قُرَيش منازلَهم من مكةَ التى أصبحوا عليها ، ويزعُم الناسُ أن قريشاً هابوا قطع شجرِ الحَرم فى منازلهم ، فقطعها قصىّ بيده وأعوانه[2] ، فسمّته قريشٌ مُجمِّعًا لما جمع من أمرها ، وتيمّنت بأمره ، فما تُنكح امرأةٌ ، ولا يتزوّج رجلٌ من قريش ، وما يتشاورون فى أمرٍ نزل بهم ، ولا يَعْقدون لواءً لحرب قومٍ من غيرهم إلا فى داره ، يعقده لهم بعضُ ولده ، وما تَدَّرِع[3] جارية إذا بلغت أن تَدَّرِع من قريش إلا فى داره ، يشق عليها فيها درعها ثم تدَّرِعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها . فكان أمره فى قومه من قُريش فى حياته ، ومن بعد موته ، كالدِّين المتّبع لا يُعمل بغيره . واتخذ لنفسه دارَ الندوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تَقْضى أمورَها .

قال ابن هشام : وقال الشاعر :

قُصىٌّ لعمرى كان يُدعى مُجمِّعًا ... به جَمَّع الله القبائلَ من فِهْرِ[4]

قال ابن إسحاق : حدّثنى عبد الملك بن راشد عن أبيه قال سمعت السائب[5] بن خَبّاب صاحب المقصورة يحدّث .

(1) اللواء : يعنى فى الحرب ، لأنه كان لايحمله عندهم إلا قوم مخصوصون .

(2) المعروف والأصح أن قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصى : كيف نصنع فى شجر الحرم ؟ فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك ، فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة حتى تكون فى منزله ، وأن أول من ترخص فى قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقعيقعان ، لكنه جعل دية كل شجرة بقرة ، وكذلك يروى عن عمر رضى الله عنه أنه قطع دوحة كانت فى دار أسد بن عبد العزى ، وكانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة ، وذلك قبل أن يوسع المسجد ، فقطعها عمر رضى الله عنه ، ووداها بقرة .

(3) ادرعت الجارية : لبست الدرع .

(4) ويذكر أن هذا الشعر لحذافة بن جمح .

(5) هو السائب بن خباب المدنى أبو مسلم صاحب المقصورة ، ويقال هو مولى فاطمة بنت عتبة ، ولم نجد فيمن رووا عنه عبد الملك بن راشد ، كما لم نجده فى شيوخ ابن إسحاق الذين روى عنهم . (راجع تهذيب التهذيب وتراجم رجال) .

أنه سمع رجلا يحدّث عمرَ بن الخطاب ، وهو خليفة ، حديث قصىّ ابن كِلاب ، وما جَمع من أمر قومه ، وإخراجه خُزاعة وَبنى بكر من مكّة . وولايته البيتَ وأمر مكة ، فلم يردّ ذلك عليه ولم ينكره .

شعر رزاح فى نصرته قصيا وردّ قصى عليه

قال ابن إسحاق :

٥ فلما فرغ قصىّ من حَرْبه ، انصرف أخوه رِزاح بن رَبيعة إلى بلاده بمَنْ معه من قومه وقال رِزاح فى إجابته قصيًّا :

لمّا أتى من قصىّ رسول فقال الرسولُ أجيبوا الخليلاَ

نهضْنا إليه نقود الجياد ونطرح عنّا المَلولَ الثَّقيلا

نسير بها الليلَ حتى الصباح ونَكْمِي(١) النهار لئلاّ نزولا

١٠ فهنّ سِراعٌ كوِرْدِ(٢) القَطَا يُجبن بنا من قُصىّ رسولا

جَمَعْنا من السرِّ من أشمذَين(٣) ومن كل حىّ جمعنا قَبيلا

فيالك حلبــة ماليـــلة تزيد على الألف سَيْباً رَسيلا(٤)

فلما مررن على عَسْجد(٥) وأسهلن من مُسْتناخ سَبيلا(٦)

وجاوزن بالركن من وَرِقان(٧) وجاوزن بالعَرْج(٨) حيًّا حُلولا

---

١٥ (١) نكمى : نكمن ونستتر .

(٢) الورد : الواردة .

(٣) أشمذان (بفتح الذال المعجمة وكسر النون، على لفظ التثنية) : قبيلتان ؛ ويقال جبلان . بين المدينة وخيبر تنزلهما جهينة وأشجع .

(٤) الحلبة : جماعة الخيل . والسيب : المشى السريع فى رفق كما تنساب الحية . والرسيل :
٢٠ الذى فيه تمهل .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « عسجر » وكلاهما اسم على موضع بعينه . (راجع معجم البلدان) .

(٦) أسهل : حل الموضع السهل .

(٧) ورقان (بالفتح ثم الكسر ؛ ويروى بسكون الراء) : جبل أسود بين العرج
٢٥ والرويثة ، على يمين المصعد من المدينة إلى مكة . (راجع معجم البلدان لياقوت) .

(٨) العرج (بفتح أوله وسكون ثانيه) : واد من نواحى الطائف ، وإليه ينسب العرجى الشاعر . (راجع معجم ما استعجم ، ومعجم البلدان) .

مررن على الحِلِّ[1] ما ذُقْنه   وعالجن من مَرّ ليلاً طويلاَ
ندنّى من العُوذ أفلاءها[2]   إرادة أَنْ يسترقن الصَّهيلا
فلما انتهينا إلى مكّة   أبحنا الرجال قبيلاً قبيلا
نُعاورهم ثَمّ حدّ السيوف   وفى كل أَوْب خَلَسْنا العقولا[3]
نُخبّزهم بصلاب النُّسو   ر خَبْز القوىّ العزيزَ الذليلا[4]   ٥
قتلنا خُزاعة فى دارها   وبكراً قتلنا وجيلاً فَجِيلا
نفيناهمُ من بلاد المَليك   كما لا يَحُلّون أرضا سُهولا
فأصبح سَبْيهمُ فى الحديد   ومِنْ كلّ حىّ شَفَينا الغَليلا

---

(١) كذا فى إحدى روايات الروض الأنف، وشرح السيرة. والحل (بالكسر) : جمع حلة، وهى شجرة شاكة، أصغر من القتاد، يسميها أهل البادية الشرق. وقال ابن   ١٠
الأعرابى: هى شجرة إذا أكلتها الإبل سهل خروج ألبانها؛ وقيل: هى شجرة تنبت بالحجاز تظهر من الأرض غبراء ذات شوك، تأكلها الدواب. وهو سريع النبات ينبت بالجدد والآكام والحصباء، ولا ينبت فى سهل ولا جبل. وقال أبو حنيفة: الحلة: شجرة شاكة، تنبت فى غلظ الأرض، أصغر من العوسجة، وورقها صغار ولا ثمر لها، وهى مرعى صدق.
وفى رواية ثانية: «الحيل». وهو الماء المستنقع فى بطن واد.   ١٥
وفى رواية ثالثة، وهى الرواية التى أجمعت عليها الأصول: «الحلى». وقد ذهب السهيلى فى تفسيره إلى أنه نبت، وهو ثمر الفلقلان. وغلطه فى ذلك أبو ذر فى شرح السيرة، وقال: «... وهذا غلط، لأن اسم النبات الحلى، بتشديد الياء وبكسر اللام». وهذا ما عليه معاجم اللغة، وذهب أبو ذر إلى أن «الحلى» اسم موضع، ولم يتعرض للكلام عنه بشىء. والذى فى المعاجم الجغرافية: أن حلى: موضع باليمن على ساحل البحر بينه وبين السرين يوم واحد،   ٢٠
وبينه وبين مكة ثمانية أيام؛ وقيل هى لغة فى حلية، وهى من أرض اليمن، وقيل بنواحى الطائف. (راجع الروض الأنف، وشرح السيرة، ولسان العرب، ومعجم البلدان).
(٢) العوذ: جمع عائذ، وهى الناقة أو الفرس التى لها أولاد. والأفلاء: جمع فلو، وهو المهر العظيم، أو البالغ سنة.
(٣) نعاورهم: نداولهم مرة بعد مرة. والأوب: الرجوع.   ٢٥
(٤) نخبزهم: نسوقهم سوقا شديدا. وصلاب النسور: الجبل. والنسور: جمع نسر، وهو اللحم اليابس الذى فى باطن الحافر.

وقال ثَعْلبة بن عبد الله بن ذُبيان بن الحارث بن سَعْد[١] هُذَيمٍ القُضاعيّ فى ذلك من أمر قُصىّ حين دعاهم فأجابوه :

جلبنا الخيلَ مُضْمرةً تَغالَى[٢] من الأعراف[٣] أعراف الجِناب[٤]

إلى غَوْرى تِهامة فالتقينا من الفَيْفاء فى قاع يَباب[٥]

٥ فأما صوفة الخنثى فخَلَّوا منازلهم محاذرةَ الضِّراب

وقام بنو علىّ إذ رأونا إلى الأسياف كالإبل الطِّراب[٦]

وقال قصىّ بن كلاب :

أنا ابنُ العاصِمين[٧] بَنِى لؤىّ بمكّة مَنْزِلى وبها رَبِيتُ

إلى البطحاء قد علمتْ معدٌّ ومَرْوتُها رَضِيت بها رَضِيت

١٠ فَلستُ لغالب إن لم تأثّل[٨] بها أولاد قَيْذر والنَّبيتُ[٩]

رِزاحٌ ناصِرى وبه أُسامِى فلستُ أخاف ضَيْماً ما حَيِيتُ

---

(١) كذا فى ا والاشتقاق والمعارف . وكان هذيم عبدا حبشيا فنسب إليه سعد ، وفى سائر الأصول : « سعد بن هذيم » . وهو تحريف .

(٢) تغالى : ترتفع فى سيرها ، من المغالاة ، وهى الارتفاع والتزيد فى السير .

١٥ (٣) الأعراف : جمع عرف ، وهو الرمل المرتفع المستطيل .

(٤) الجناب (بالكسر) : موضع بعراض خيبر وسلاح ووادى القرى ؛ وقيل هو من منازل بنى مازن ، وقيل من ديار بنى فزارة بين المدينة وفهر . وقال السهيلى : هو موضع من بلاد قضاعة . وهناك جناب آخر ، إلا أنه بفتح الجيم ، وهو موضع فى أرض كلب فى السماوة بين العراق والشام . والظاهر أن الأول هو المراد هنا .

٢٠ (٥) الغور : المنخفض . والفيفاء : الصحراء . والقاع : المنخفض من الأرض . واليباب : القفر .

(٦) كذا فى الأصل . والطراب : الابل التى حنت إلى مواطنها واشتاقت . ويروى : « الظراب » . (بالظاء المعجمة) : جمع ظرب ، وهو الجبيل الصغير ، شبه الابل به .

(٧) يريد أنهم يعصمون الناس ويمنعونهم ، لكونهم أهل البيت والحرم .

٢٥ (٨) يقال تأثل فلان بالمكان : إذا أقام به واستقر ولم يبرح .

(٩) أولاد قيذر والنبيت : يعنى أولاد إسماعيل عليه السلام .

ما كان بين رزاح وبين نهد وحوتكة وشعر قصي في ذلك

فلما استقر رِزاح بن رَبيعة فى بلاده، نَشَره الله ونَشَر حُنًّا، فهما قَبيلا عُذرة[1] اليوم. وقد كان بين رِزاح بن رَبيعة، حين قَدِم بلاده، و بين نَهْد بن زَيْد وحَوْتكة ابن أسلُم[2]، وهما بطنان من قُضاعة، شىء؛ فأخافهم حتى لحقوا باليمن وأجلوا من بلاد قُضاعة، فهم اليومَ باليمن. فقال قُصَىّ بن كِلاب، وكان يُحبّ قُضاعة ونماءها واجتماعَها ببلادها، لما بينه و بين رِزاح من الرحم، ولبلائهم[3] عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نُصْرته، وكَرِه ما صنع بهم رِزاح:

ألا من مُبْلغ عنّى رِزاحًا ... فإنى قد لَحيتك[4] فى اثنتين

لَحَيتُك فى بَنى نَهْد بن زَيْد ... كما فرّقت بينهمُ وبينى

وحَوْتكة بن أسلُم إنّ قومًا ... عَنَوْهم بالمَساءة قد عَنَوْنى

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لزُهير بن جَناب الكَلْبى.

ما آثر به قصي عبد الدار

قال ابن إسحاق:

فلما كبِر قُصَىّ ورقّ عظمه، وكان عبد الدار بِكْرَه، وكان عبدُ مناف قد شَرُف فى زمان أبيه وذهب كلّ مذهب، وعبدُ العزّى وعَبْدٌ. قال قصىّ لعبد الدار: [أما والله يا بُنَىّ][5] لأُلحقنّك بالقوم وإن كانوا قد شَرُفوا عليك: لا يدخل رجلٌ منهم الكعبةَ حتى تكون أنت تَفْتحها له، ولا يَعقِد لقُريش لواءً لحربها إلا أنت بيدك، ولا يشرب أحدٌ بمكة إلا من سِقايتك، ولا يأكل

(1) فى قضاعة عذرتان، عذرة بن رفيدة، وهم من بنى كلب بن وبرة، وعذرة بن سعد ابن سود بن أسلم (بضم اللام) بن الحاف بن قضاعة. وأسلم هذا من ولد حن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة. (عن الروض الأنف).

(2) هو بضم اللام، وليس فى العرب أسلم بضم اللام إلا ثلاثة، اثنان فى قضاعة، وهما أسلم ابن الحاف هذا، وأسلم بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب. والثالث فى عك، وهو أسلم بن القيافة بن الشاهد بن عك. (راجع مؤتلف القبائل ومختلفها لابن حبيب).

(3) بلاؤهم: نعمتهم.

(4) لحاه: لامه.

(5) زيادة عن ا.

أحدٌ من أهل المَوْسم طَعَامًا إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمرًا من أمورها
إلا فى دَارك . فأعطاه داره دار النّدْوة ، التى لا تقضى قريش أمراً من أمورها
إلا فيها ، وأعطاه الحِجابة واللواء والسقاية والرِّفادة .

الرفادة

وكانت الرِّفادة خَرْجًا تُخرجه قريش فى كل مَوْسم من أموالها إلى قُصىّ
٥ ابن كِلاب ، فيصنع به طعامًا للحاجّ ، فيأكله مَنْ لم يكن له سَعة ولا زاد .
وذلك أن قصيًّا فَرَضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : « يا معشرَ قريش،
إنكم جيرانُ الله وأهلُ بيته وأهل الحرم ، و إن الحاجّ ضيف الله وزوّار بيته ، وهم
أحق الضَّيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعامًا وشرابا أيامَ الحج ، حتى يصدُرُوا
عنكم » ففعلوا . فكانوا يُخرجون لذلك كلّ عام من أموالهم خرجًا فيدفعونه إليه ،
١٠ فيصنعه طعامًا للناس أيام مِنى . فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام
الإسلام ، ثم جرى فى الإسلام إلى يومك هذا . فهو الطعام الذى يصنعه السلطان
كلّ عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .

قال ابن إسحاق :

حدثنى بهذا من أَمْر قُصىّ بن كِلاب ، وما قال لعَبْد الدار فيما دفع إليه مما
١٥ كان بيده ، أبى إسحاق بن يَسار عن الحسن بن محمد بن علىّ بن أبى طالب
رضى الله عنهم قال :

سمعته يقول ذلك لرجل من بَنى عبد الدار ، يقال له : نُبَيه بن وَهْب بن
عامر بن عِكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصىّ .

قال الحسن : فجعل إليه قُصىّ كلّ ما كان بيده من أمر قومه ، وكان
٢٠ قصىّ لا يُخالف ، ولا يُردّ عليه شىء صَنَعه .

ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قصي وحلف المطيبين

قال ابن إسحاق :

الخلاف بين بني عبد الدار وبين بني أعمامهم

ثم إن قُصَىّ بن كِلاب هَلَك ، فأقام أمرَه فى قومه وفى غيرهم بنوه من بعده، فاختطّوا مكةَ رِباعًا[1] — بعد الذى كان قَطَع لقومه[2] بها — فكانوا يَقْطعونها[3] فى قومهم وفى غيرهم من حُلفائهم ويَبيعونها ؛ فأقامت على ذلك قريشٌ معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إنّ بَنى عَبْد مَناف بن قُصىّ : عبدَ شمس وهاشماً والمطّلب ونوفلاً[4] أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدى بَنى عبد الدار بن قُصَىّ ممّا كان قُصىّ جعل إلى عبد الدار ، من الحِجابة واللواء والسِّقاية والرِّفادة ، وَرَأَوْا أنهم أَوْلى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلِهم فى قومهم ؛ فتفرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بَنى عبد مناف على رأيهم يَرَوْن أنهم أحق به من بنى عبد الدار لمكانهم فى قومهم ، وكانت طائفة مع بنى عبد الدار ، يرون أن لا يُنزَع منهم ما كان قُصَىّ جعل إليهم .

من ناصروا بني عبد الدار ومن ناصروا بني أعمامهم

فكان صاحبَ أمر بنى عبد مناف عبدُ شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسنَّ بنى عبد مناف ، وكان صاحب أمر بَنِى عبد الدار عامرُ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . فكان بنو أسد بن عبد العزّى بن قُصىّ ، و بنو زُهرة ابن كِلاب ، و بنو تَيْم بن مُرّة بن كعب ، و بنو الحارث بن فِهْر بن مالك ابن النَّضْر ، مع بنى عَبْد مناف .

---

(1) الرباع : المنازل وما حولها ، واحدها : ربع (بالفتح) .
(2) تقدم أن قصيا أنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها .
(3) فى ا : « يعطونها » .
(4) وقد كان لعبد مناف ولد خامس ، وهو أبو عمرو ، واسمه عبيد ، أدرج ولا عقب له . (راجع الروض الأنف) .

وكان بنو مَخزوم بن يَقَظة بن مُرّة ، وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيص ابن كعب ، وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب ، وبنو عَدِىّ بن كعب ، مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامر بن لُؤَىّ ومُحارب بن فِهْر ، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

٥ فعقد كل قوم على أمرهم حِلفاً مؤكّداً على أن لا يتخاذلوا ، ولا يُسلم بعضُهم بعضاً مابلّ بحرٌ صوفة[1] .

من دخلوا في حلف المطيبين

فأخرج بنو عبد مناف جفنةً مملوءة طِيباً . فيزعمون أن بعض[2] نساء بنى عَبْد مناف ، أخرجتْها لهم، فوضعوها لأحلافهم فى المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القومُ أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم ١٠ توكيداً على أنفسهم ، فسُمّوا المُطَيَّبين .

من دخلوا في حلف الأحلاف

وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكدا ، على أن لايتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً ، فسموا الأحلاف[3] .

توزيع القبائل أمام بعضها في الحرب

ثم سُونِد[4] بين القبائل ، ولُزّ[5] بعضُها ببعض ؛ فعُبِّيت[6] بنو عبد مناف لبنى سَهْم ، وعُبِّيت بنو أَسَد لبنى عَبْد الدار ، وعُبِّيت زُهْرة لبنى جُمَح ، وعُبِّيت ١٥ بنو تَيْم لبنى مَخْزُوم ، وعُبِّيت بنو الحارث بن فِهْر لبنى عَدِىّ بن كَعْب . ثم قالوا لتفْنِ كلُّ قبيلة من أُسند إليها .

---

(١) يريد إلى الأبد . وصوف البحر : شىء على شكل الصوف الحيوانى ، واحدته : صوفة . يقال : لا آتيك مابل بحر صوفة . أو مابل البحر صوفة . يريد لا أتيك أبدا . (راجع لسان العرب مادة صوف) .

٢٠ (٢) يقال : إن التى أخرجت لهم الجفنة هى أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوأمة أبيه . (راجع الروض الأنف وشرح السيرة) .

(٣) ويقال إن عمر كان من الأحلاف ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر من المطيبين .

(٤) المساندة : المقابلة والمعاونة .

٢٥ (٥) لز : أى شد بعضها ببعض .

(٦) راجع الحاشية (رقم ١ ص ٥٤) .

اصطلاح القوم عليه

فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح ، على أن يُعطوا بَنى عبد مناف السقايةَ والرِّفادة ، وأن تكون الحِجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار كما كانت . ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك، وتحاجز الناس عن الحرب ، وثبت كلُّ قوم مع من حالفوا ، فلم يزالوا على ذلك ، حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ما كان من حِلْف فى الجاهلية فإن الإسلام لم يَزِدْه إلا شدّة[1] . ٥

حلف الفضـــول

سبب تسميته كذلك

قال ابن هشام :

وأما حلف الفضول[2] فحدّثنى زياد بن عبد الله البكّائى عن محمد ابن إسحاق قال : ١٠

(١) يريد المعاقدة على الخير ونصرة الحق . وبذا يجتمع هـذا الحديث وحديث آخر له صلى الله عليه وسلم وهو : « لاحلف فى الإسلام » . على أن يكون المراد من هذا الحديث الثانى النهى عما كانت تفعله الجاهلية من المحالفة على الفتن والقتال بين القبائل والغارات . وقيل إن الحديث الثانى وهو «لاحلف فى الإسلام» جاء لاحقاء قاله الرسول صلى الله عليه وسلم زمن الفتح ، فهو ناسخ للحديث الأول . (راجع لسان العرب مادة حلف) . ١٥

(٢) يذكرون : فى سبب تسمية هذا الحلف بهذا الاسم أن جرهما فى الزمن الأول ، قد سبقت قريشا إلى مثل هذا الحلف ، فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم ، أحدهم : الفضل بن فضالة ، والثانى : الفضل بن وداعة ، والثالث : فضيل بن الحارث ؛ وقيل : بل هم : الفضيل ابن شراعة . والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاعة ، فلما أشبه حلف قريش هذا حلف هؤلاء الجرهميين سمى حلف الفضول . ٢٠

وقيل : بل سمى كذلك لأنهم تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها ، وألا يغزو ظالم مظلوما .

وكان حلف الفضول هـذا قبل البعث بعشرين سـنة ، وكان أكرم حلف وأشرفه .

وأول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى بن وائل، وكان ذا قدر بمكة وشرف ، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف : عبد الدار ، ومخزوما ، وجمح ، وسهما ، وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصى ، وزبروه (انتهروه) . فلما رأى الزبيدى الشر، أوفى على أبى قبيس= ٢٥

تداعت قبائل من قريش إلى حِلْف ، فاجتمعوا له فى دار عبد الله بن جُدْعان
ابن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤَىّ ، لشرفه وسنّه ،
فكان حِلفهم عنده ، بنو هاشم ، و بنو المطلب ، وأَسَد بن عبد العُزّى ، وزُهْرة
ابن كِلاب ، وتَيْم بن مُرّة . فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلومًا من
٥ أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظَلَمه حتى
تردّ عليه مَظْلمته ، فسمت قريش ذلك الحلفَ حلفَ الفضول .

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حلف الفضول

قال ابن إسحاق : فحدّثنى محمد بن زيد بن المهاجر بن قُنفذ[1] التيمى[2] أنه
سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرىّ يقول :
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لقد شهدتُ فى دار عبد الله بن جُدْعان[3]

---

١٠ = عند طلوع الشمس ، وقريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ... ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ... ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : مالهذا مترك . فاجتمعت هاشم ، وزهرة ، وتيم بن
١٥ مرة فى دار ابن جدعان ، فصنع لهم طعاما وتعاقدوا ، وكان حلف الفضول . وكان بعدها أن
أنصفوا الزبيدى من العاصى . (عن الروض الأنف) .

(١) هو محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمى الجدعانى المدنى . روى عن عبد الله بن عمر،
وعمير مولى أبى اللحم، وأبى سلمة بن عبد الرحمن وغيرهم.وروى عنه مالك بن أنس، ويعقوب
ابن عبد الرحمن الاسكندرانى ، وبشر بن المفضل ، وحفص بن غياث ، وفضيل بن سليمان النميرى،
٢٠ وأبو داود والترمذى وابن ماجه . (راجع تراجم رجال) .

(٢) زيادة عن ا ، وتراجم رجال .

(٣) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، ويكنى أبا زهير . وهو
ابن عم عائشة رضى الله عنها ، ولذلك قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ابن جدعان
كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : لا ، إنه لم يقل يوما :
٢٥ رب اغفرلى خطيئتى يوم الدين .

وكان ابن جدعان فى بدء أمره صعلوكا ترب اليدين ، وكان مع ذلك فاتكا لا يزال يجنى
الجنايات ، فيعقل عنه أبوه وقومه ، حتى أبغضته عشيرته ونفاه أبوه وحلف ألا يؤويه أبدا
لما أثقله به من الغرم وحمله من الديات ، ثم كان أن أثرى ابن جدعان بشوره على ثعبان من
ذهب ، وعيناه ياقوتتان ، فأوسع فى الكرم حتى كان يضرب بعظم جفنته المثل ، ومدحه أمية
٣٠ ابن أبى الصلت لكرمه .

حلفاً ما أُحب أنّ لى به حُمْر النَّعم[1] ولو أُدْعَى به فى الإسلام لأجبت .

نازع الحسين الوليد فى حق وهدد بالدعوة إلى حلف الفضول

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن عبد الله[2] بن أسامة بن الهادى الليثى أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ حدّثه .

أنه كان بين الحُسَين بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنهما ، و بين الوليد ابن عُتْبة بن أبى سُفْيان . والوليد يومئذ أمير على المدينة أمّره عليها عمه مُعاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنه — منازعة فى مال كان بينهما بذى[3] المَرْوة . فكان الوليد تحامل على الحسين رضى الله عنه فى حقّه لسلطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفنّى من حقى أو لآخُذنّ سيفى ثم لأقومنّ فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم لأدعون بحلف الفُضول . قال : فقال عبد الله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين رضى الله عنه ما قال : وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذنّ سيفى ، ثم لأقومنّ معه حتى يُنصَف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المسورَ بن مَخْرمة بن نوفل الزهرىّ ، فقال مثل ذلك ، و بلغت عبدَ الرحمن ابن عُثمان بن عُبيد الله التيمىّ ، فقال مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليدَ بن عتبة أنصف الحسينَ من حقه حتى رضى .

سأل عبد الملك محمد بن جبير عن عبد شمس وبنى نوفل ودخولهما فى حلف الفضول فأخبره بخروجهما منه

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن عبد الله بن أُسامة بن الهادى الليثى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمىّ قال :

قدم محمد بن جُبير بن مُطْعم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف — وكان محمد

---

(١) أى لا أحب نقضه ، وإن دفع لى حمر النعم فى مقابلة ذلك .

(٢) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى الليثى المدنى أبو عبد الله. روى عن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم، ومحمد بن كعب القرظى وغيرهما . وروى عنه يحيى بن أيوب، والليث وآخرون . قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث توفى بالمدينة سنة تسع وثلاثين ومئة . (راجع تراجم رجال) .

(٣) ذو المروة : قرية بوادى القرى ، وقيل بين خشب ووادى القرى . (راجع معجم البلدان) .

ابن جُبير أعلم قريش — على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قَتل ابنَ الزبير ، واجتمع الناس على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا سَعيد ، ألم نكن نحن وأنتم ، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف ، و بنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ؛ قال عبد الملك : لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق
٥ من ذلك ؛ فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ! قال : صدقت .

تم خبر حلف الفضول .

ولاية هاشم الرفادة والسقاية وما كان يصنع إذا قدم الحاج

قال ابن إسحاق :

فولى الرِّفادة والسِّقاية هاشمُ بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفاراً قلّما يقيم بمكة ، وكان مُقلاًّ ذا وَلَد ، وكان هاشم مُوسراً فكان — فيما
١٠ يزعمون — إذا حضر الحاج قام فى قريش فقال : «يامعشر قريش ، إنكم جيران الله وأهلُ بيته ، و إنه يأتيكم فى هذا الموسم زوّار الله وحجّاج بيته ، وهم ضَيْف الله ، وأحقُّ الضيف بالكرامة ضيْفه ، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعامًا أيامَهم هذه التى لابدّ لهم من الإقامة بها ، فإنه والله لو كان مالى يَسع لذلك ما كلفتكموه» . فيخرجون لذلك خَرجا من أموالهم ، كل أُمرئ بقدر ماعنده ، فيصنع به للحجّاج
١٥ طعاما حتى يصدُروا منها .

شىء من أعمال هاشم

وكان هاشم فيما يزعمون أول من سنّ الرِّحلتين لقريش : رحلتى الشتاء والصيف . وأول من أطعم الثريدَ بمكة ، و إنما كان اسمه عَمراً ، فما سُمِّى هاشماً إلا بِهَشْمه الخبز بمكة[1] لقومه . فقال شاعر[2] من قريش أو من بعض العرب .

---

(١) ومما يذكر فى هذا أن هاشما — وقد كان يستعين بقريش على إطعام الحاج — أصابته
٢٠ وأصابت قومه أزمة شديدة، فكره أن يكلف قريشا أمر الرفادة، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله فاشترى به أجمع كعكا ، ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك كله هشما ، ودقه وصنع منه للحاج طعاما شبه الثريد . (راجع الروض الأنف) .

(٢) هو عبد الله بن الزبعرى، وكان سبب مدحه لبنى عبد مناف، مع أنه سهمى، أنه كان قد

عَمْرو الذى هَشَم الثريد لقومه   قوم بمكّة مسنتين عجافِ[1]

سُنَّت إليه الرحلتان كلاهما   سفر الشتاء ورحلةُ الأصياف

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز :

* قوم بمكة مسنتين عجاف[2] *

ولاية المطلب الرفادة والسقاية

قال ابن إسحاق :   ٥

ثم هلك هاشمُ بن عبد مناف بغَزّة[3] من أرض الشام تاجرًا ، فولى السقاية والرفادة من بعده المطّلبُ بن عبد مناف ، وكان أصغرَ من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف فى قومه وفَضْل ، وكانت قُريش إنما تُسَمِّيه الفيضَ لسماحته وفضله.

وكان هاشم بن عبد مناف قَدِم المدينة فتزوّج سَلْمى بنت عمرو أحد بنى

= هجا قصيا بشعر كتبه فى أستار الكعبة ، فاستعدوا عليه بنى سهم ، فأسلموه إليهم فضربوه   ١٠
وحلقوا شعره وربطوه إلى صخرة ، فاستغاث قومه فلم يغيثوه ، فجعل يمدح قصيا ويسترضيهم ، فأطلقه بنو عبد مناف منهم وأكرموه ، فمدحهم بهذا الشعر ، وبأشعار كثيرة .
ويقال : إن هذين البيتين من أبيات لمطرود بن كعب ستجىء فيما بعد من هذا الكتاب أولها :

يأيها الرجل المحول رحله   هلا نزلت بآل عبد مناف

(١) المسنتون : الذين أصابتهم السنة ، وهى الجوع والقحط . والعجاف : من العجف ،   ١٥
وهو الهزال والضعف . وذلك أن قومه من قريش كانت أصابتهم لزبة وقحط ، فرحل إلى فلسطين ، فاشترى منها الدقيق ، فقدم به مكة، فأمر به فخبز له ، ونحر جزورا ، ثم اتخذ لقومه مرقة ثريد بذلك الخبز . (راجع الطبرى) .

(٢) ويروى :

* ورجال مكة مسنتون عجاف *   ٢٠

وعلى هذه الرواية يكون فى الشعر إقواء . ولعل هذه الرواية عن غير أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز ، الذين أخذ عنهم ابن هشام الرواية الأولى ، ورفض الثانية : لأنها لم تستقم فى نظره ، وأدلى بعذره فى أنه أخذها عن أهل علم بالشعر ، ولم يكن له به دراية تامة فيقيم نفسه فى هذا الميدان حكما .

(٣) غزة (بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحه) : مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر ، بينها   ٢٥
وبين عسقلان فرسخان أو أقل . (راجع معجم البلدان) .

زواج هاشم

عدىّ بن النجّار[١] ، وكانت قبله عنـد أُحَيحَة بنِ الجُلاح بن الحَرِيش[٢] . قال ابن هشام : ويقال : الحريس - ابنِ جَحْجبى بن كُلْفة بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس . فولدت له عمرو بنَ أُحَيحة ، وكانت لاتنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لهـا أنّ أمرها بيدها ، إذا كرهت رجلاً فارقَتْه .

٥

ميلاد عبد المطلب وسبب تسميته كذلك

فولدت لهاشم عبدَ المطلب ، فسمّته شَيْبة[٣] . فتركه هاشم عندها حتى كان وَصيفاً[٤] أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمُّه المطلب ليقبِضَه فيُلحقه ببلده وقومه ؛ فقالت له سَلْمى : لستُ بمُرْسلته معك ؛ فقال لهـا المطلب : إنى غيرُ منصرف حتى أُخرِجَ به معى ، إنّ ابن أخى قد بلغ ، وهو غَريب فى غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف فى قومنا ، نَلِى كثيراً من أمورهم ، وقومُه و بلده وعشيرته خيرٌ له من الإقامة فى غيرهم ، أو كما قال. وقال شيبة لعمّه المطلب - فيما يزعمون - : لستُ بمفارقها إلا أن تأذنَ لى ، فأَذِنتْ له ، ودفعتْه إليه ؛ فاحتمله فدخل به مكة مُرْدِفه معه على بعيره ، فقالت قُريش : عبدُ المطلب ، ابتاعه ، فبها سمّى شَيْبةُ عبدَ المُطّلب. فقال المطّلب: وَيْحَكم ! إنما هو ابن أخى هاشمٍ ، قدمتُ به من المدينة .

١٠

موت المطلب وما قيل فى رثائه من الشعر

ثم هلك المطلب برَدْمان[٥] من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يبْكيه :

١٥

قد ظمئَ الحجيجُ بعد المطّلبْ ... بعد الجِفانِ والشَّراب المُنْثَعِبْ[٦]

(١) ويقال إنه بسبب هذا النسب : رحب سيف بن ذى يزن ، أو ابنه معدى كرب بن سيف ملك اليمن ، بعبد المطلب بن هاشم ، حين وفد عليه فى ركْب من قريش ، وقال له : مرحبا بابن أختنا : لأن سلمى من الخزرج ، وهم من اليمن من سبأ ، ولأن سيفا من حمير بن سبأ .

(٢) ويقال : إن كل من فى الأنصار بهذا الاسم ، فهو حريس (بالسين المهملة) إلا هذا فهو بالشين المعجمة . (راجع شرح السيرة والروض الأنف) .

٢٠

(٣) سمى شيبة لشيبة كانت فى رأسه ، ويكنى بأبى الحارث أكبر ولده . (راجع الطبرى).

(٤) الوصيف (كقتيل) : الغلام دون المراهقة .

(٥) ردمان (بفتح أوله) : موضع باليمن . (راجع معجم البلدان) .

(٦) المنثعب : الكثير السيل ، يقال : انثعب الماء : إذا سال من موضع حصر فيه .

* ليت قريشاً بعده على نَصَبْ[1] *

وقال مَطْرود بن كَعْب الخُزاعيّ ، يبكى المطّلب وبَنى عبد مَناف جميعاً حين أتاه نَعْىُ نَوْفل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرَهم هُلْكاً :

يا ليلة هَيَّجتِ ليلاتى   إحدى لياليَّ القسيّات[2]

وما أُقاسِى مِنْ هُمومٍ وما   عالجتُ من رُزْء المنيّات

إذا تذكرتُ أخى نوفلاً   ذَكَّرَنى بالأوّليّات

ذَكَّرَنى بالأُزُر الحُمْرِ والـ   أَرْدية الصُّفر القَشيبات

أربعة كلّهمُ سَيِّد   أبناء سادات لسادات

مَيْتٌ برَدْمان وميت بسَلْـ   ـمان[3] وميت عند غَزّات[4]

وميِّت[5] أُسْكِنَ لحْداً لدى الْـ   ـمَحْجوب شَرْقِيَّ البنيّات[6]

أَخْلصهم عبدُ مناف فهمْ   من لَوْم مَنْ لامَ بمَنْجاة

إنّ المُغيرات وأبناءها   مِنْ خَيْر أحياء وأموات[7]

وكان اسمُ عبد مناف المُغيرةَ ، وكان أوّلَ بنى عبد مناف هُلْكاً هاشمٌ ، بغَزّة من

---

(١) النصب : التعب والعذاب .

(٢) كذا فى الأصل . والقسيات : الشدائد . ويروى : العشيات . والعشيات : المظلمات .

(٣) سلمان : ماء قديم جاهلى ، وبه قبر نوفل بن عبد مناف ، وهو طريق إلى تهامة من العراق فى الجاهلية . (راجع معجم البلدان) .

(٤) هى غزة ، ولكنهم يجعلون لكل ناحية ، أو لكل ربض من البلدة اسم البلدة ، فيقولون : غزات فى غزة ، كما يقولون فى بغداد بغادين كقول بعض المحدثين .

شربنا فى بغادين   على تلك الميادين

والذى عند غزة هو هاشم بن عبد مناف .

(٥) ورواية هذا البيت فى معجم البلدان فى الكلام على ردمان :

وميت مات قريباً من الـ   ـحجون من شرق البنيات

قال ياقوت : « . . . والذى بقرب الحجون عبد شمس بن عبد مناف » .

والحجون : جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها .

(٦) البنيات : الكعبة .

(٧) المغيرات : بنو المغيرة .

أرض الشام ، ثم عبد شمس بمكة ، ثم المطلب بِرَدْمان من أرض اليمن ، ثم نوفلاً بسَلمان من ناحية العراق .

فقيل لمطرود ــ فيما يزعمون ــ : لقد قلتَ فأحسنت ، ولو كان أخفل مما قلتَ كان أحسن ؛ فقال : أَنْظِرنى ليالى ، فمكث أيامًا ، ثم قال :

٥ ياعين جُودى وأَذْرِى الدمعَ وانهمرى ... وابكى عَلَى السِّرّ من كَعْب المُغيرات[١]

ياعين واُسْحَنْفِرى بالدمع واحتفلى[٢] ... وابكى خبيئةَ نفسى فى الملمات[٣]

وابكى عَلَى كُلّ فيّاض أخى ثِقَةٍ ... ضَخْمِ الدَّسيعة وهّاب الجَزِيلات[٤]

مَحْض الضريبة عالى الهم مُخْتَلَق ... جَلْد النَّحيزة ناء بالعظيمات[٥]

صَعْب البديهة لانِكْس ولا وَكِلٍ ... ماضى العَزِيمة مِتْلاف الكَرِيمات[٦]

١٠ صَقْرٍ توسّط من كَعْب إذا نُسبوا ... بُحبوحةَ المَجْد والشمّ الرفيعات[٧]

ثم اندُبى الفيضَ والفيّاض مُطَّلباً ... واسْتَخْرِطى بعد فَيْضاتٍ بجَمّات[٨]

أَمْسى بَرَدْمان عنّا اليومَ مُغْترِبًا ... يالهفَ نَفْسى عليه بين أَمْوات[٩]

وابكى، لكِ الويلُ، إمّا كنت باكيةً ... لعَبْد شَمْس بشَرْقِ البنيّات

وهاشِم فى ضريح وَسْطَ بَلْقعةٍ ... تَسْفِى الرياحُ عليه بين غَزّات

١٥ ونوفل كان دون القوم خالِصتى ... أَمسَى بسَلْمان فى رَمْس بموماة[١٠]

---

(١) السر : الخالص النسب .

(٢) اسحنفرى : أديمى . واحتفلى : أى أجمعيه ، من احتفال الضرع ، وهو اجتماع اللبن فيه .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . والخبيئة : الشىء المخبوء . يريد أنه كان ذخيرته عند نزول الشدائد . وفى ا : « خبيئات » .

٢٠ (٤) الفياض : الكثير المعروف . وضخم الدسيعة : كثير العطاء . والجزيلات : الكثيرات .

(٥) الضريبة : الطبيعة . والمختلق : التام الخلق . والنحيزة : الطبيعة أيضاً . وناء : ناهض .

(٦) النكس : الدنىء من الرجال . والوكل : الضعيف الذى يتكل على غيره .

(٧) البحبوحة : وسط الشىء . والشم : العالية .

(٨) استخرطى : استكثرى . والجمات : المجتمع من الماء ، فاستعاره هنا للدمع .

٢٥ (٩) راجع الحاشية (رقم ٥ ص ١٤٥ من هذا الجزء) .

(١٠) الموماة : القفر .

لم ألق مثلهمُ عُجماً ولا عربًا ... إذا استقلّت بهم أُدْم المَطيّات[1]

أمستْ ديارُهمُ منهم مُعطَّلةً ... وقد يكونون زَيْناً فى السريّات[2]

أَفْناهمُ الدهر أم كلّت سيوفُهمُ ... أم كلُّ مَنْ عاش أزوادُ المَنيّات[3]

أَصْبحتُ أَرْضى من الأقوام بعدَهمُ ... بَسْطَ الوجوه وإلقاءَ التحيّات

يا عينُ فابكى أبا الشُّعثِ الشجيّات[4] ... يَبْكينه حُسَّرا مثل البَليّات[5] ٥

يبكين أكرمَ مَنْ يَمْشى على قَدَم ... يُعْوِلْنه بدُموع بعــــد عَبْرات[6]

يبكين شخصاً طويل الباع ذا فَجَر ... آبِى الهَضِيمة فرّاج الجَليلات[7]

يبكين عمرو العُلاَ إذحان مَصْرعُه ... سَمِح السجيّة بسّام العشيات[8]

يبكينه مُستكيناتٍ على حَزَن ... يا طولَ ذلك مِنْ حزن وعَوْلات

---

(١) الأدم من الأبل : البيض الكرام . ١٠

(٢) السريات : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش أقصاها أربع مئة ، تبعث إلى العدو . سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم .

(٣) ويروى : «أوراد» . يريد القوم الذين يريدون الموت ، شبههم بالذين يردون المـاء .

(٤) الشجيات : الحزينات . وينكر أهل اللغة تشديد ياء الشجى ، ويقولون : بأن ياء الشجى مخففة ، وياء الخلى مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أبى تمـام الطائى فى قوله : ١٥

أيا ويح الشجى من الخلى ... وويح الدمع من إحدى بلى

واحتج بقول يعقوب فى ذلك . فقال له الطائى : ومن أفصح عندك : ابن الجرمقانية يعقوب ، أم أبو الأسود الدؤلى حيث يقول :

ويل الشجى من الخلىّ فإنه ... وصب الفؤاد بشجوه مغموم ؟

والقياس لايمنع من أن يكون هناك شج وشجى ، لأنه فى معنى حزن وحزين . ٢٠

(٥) البليات : جمع بلية ، وهى الناقة التى كانت تعقل عنـد قبر صاحبها إذا مات حتى تموت جوعا وعطشا ، ويقولون : إن صاحبها يحشر راكبا عليها ، ومن لم يفعل معـه هذا حشر راجلا . وهذا على مذهب من كان يقول منهم بالبعث .

(٦) كان الوجه أن يقول « عبرات » بالتحريك : إلا أنه أسكن للتخفيف ضرورة .

(٧) الهضيمة : الذل والنقص . والجليلات : الأمور العظام . ٢٥

(٨) السجية : الطبيعة . وبسام العشيات : يريد أنه يتبسم عند لقاء الأضياف ، لأن الأضياف أكثر مايردون عشية .

يبكين لمّا جلاهنّ الزمانُ له | خُضْر الخدود كأمثال الحَميّات[1]
مُحتزمات على أوساطهنّ لِمَا | جرّ الزمان مِنَ أحْداث المُصيبات
أَبيتُ ليلِي أراعى النجم من ألمٍ | أبكى وتبكى معى شَجْوِى بُنيّاتى
ما فى القُروم لهم عِدْل ولا خَطَر | ولا لمن تركوا شَرْوى بَقيّات[2]
٥ أبناؤهم خَيرُ أبناء وأنفسُهم | خيرُ النفوس لدى جَهْد الأَلّيات[3]
كم وهبوا من طِمِرٍّ سابحٍ أرِنٍ | ومن طِمِرّة نَهْبٍ فى طِمِرّات[4]
ومن سُيوف من الهِنْدىّ مُخْلَصَةٍ | ومن رماح كأشطان الرَّكِيَّات[5]
ومن توابع مِمَّا يُفْضِلون بها | عند المسائل من بَذْل العطيّات
فلو حَسبْتُ وأَحْصَى الحاسبون معى | لم أَقْضِ أفعالَهم تلك الهَنيَّات
١٠ هم المُدِلّون إمّا مَعْشر فَخَروا | عنــد الفخار بأنساب نَقيّات
زَيْنُ البيوت التى خَلّوا[6] مساكنَها | فأصبحتْ منهمُ وَحْشاً خَليّات
أقول والعينُ لا ترقا مدامعُها[7] | لا يُبْعِد اللهُ أصحابَ الرَّزِيّات[8]

قال ابن هشام : الفجر : العطاء . قال أبو خِراش الهُذَلىّ[9] :

---

(١) الحميات : الإبل التى حميت الماء : أى منعت .

١٥ (٢) القروم : سادات الناس ، وأصله الفحول من الإبل . والعدل : المثل . والخطر : القدر والرفعة . وشروى : مثل ، يقال : هذا شروى هذا ، أى مثله .

(٣) الأليات : الشدائد التى يقصر الإنسان بسببها ، وهى أيضاً جمع ألية ، وهى اليمين .

(٤) الطمر : الفرس الخفيف . وسابح : كأنه يسبح فى جريه ، أى يعوم . وأرن : نشط . والنهب : ما انتهب من الغنائم .

٢٠ (٥) الأشطان : جمع شطن ، وهو الحبل . والركيات : جمع ركية ، وهى البئر .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « حلوا » بالحاء المهملة .

(٧) لاترقا : لاتنقطع ، وأصله الهمز خفف فى الشعر .

(٨) الرزيات : جمع رزية ، لغة فى الرزيئة ، بمعنى المصيبة والإصابة بالانتقاص . ويريد بأصحاب الرزيات : من أصيبوا وانتقصوا وأصبح شأنهم كما وصف .

٢٥ (٩) وهذا البيت مطلع قصيدة لأبى خراش قالها فى قتل زهير بن العجوة أخى بنى عمرو بن الحارث ، وكان قتله جميل بن معمر بن حبيب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص ، يوم حنين .

عَجَّفَ أضيافي جميلُ بنُ معمر   بذى فَجَر تأوى إليه الأراملُ[1]

قال ابن إسحاق :

أبو الشُّعث الشَّجيّات : هاشم بن عبد مناف .

ولاية عبد المطلب السقاية والرفادة

قال : ثم وَلِي عبدُ المطّلب بن هاشم السقايةَ والرِّفادة بعد عمِّه المطّلب ، فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يُقيمون قبلَه لقومهم من أمرهم ، وشَرُف في قومه شرفاً لم يَبْلُغْه أحدٌ من آبائه ، وأحبّه قومُه وعظم خَطَره فيهم .

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

الرؤيا التى أريها عبد المطلب فى حفر زمزم

ثم إنّ عبد المطلب بينما هو نائم فى الحِجر إذ أُتى فأُمِر بحفر زمزم .

قال ابن إسحاق :

وكان أول ما ابتدئ به عبدُ المطلب من حَفْرها ، كما حدّثنى يَزِيد[2] ابن أبى حبيب المصرى عن مَرْثَد[3] بن عبد الله اليَزَنِىّ عن عبد الله بن زُرَير[4]

---

(١) كذا فى الأصول . وعجف : حبس عن الطعام . يريد : أجاعهم . وفى أشعار الهذليين المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية برقم (٦ أدب ش) : « فجع » .

(٢) هو يزيد بن أبى حبيب سويد أبو رجاء الأسدي المصرى عالم أهل مصر ، مولى شريك ابن الطفيل الأزدى ، وقيل أبوه مولى بنى حسل ، وأمه مولاة لتجيب . روى عن عبد الله ابن الحارث بن جزء الزبيدى ، وابن الطفيل الكنانى ، وأبى الخير مرثد اليزنى وغيرهم . (عن تراجم رجال) .

(٣) هو مرثد بن عبد الله اليزنى (بفتح الياء والزاى) أبو الخير المصرى الفقيه . روى عن عقبة بن عامر الجهنى ، وكان لايفارقه ، وعمرو بن العاص وغيرهما . وروى عنه غير يزيد هذا ربيعة بن جعفر ، وكعب بن علقمة ، وعبدالرحمن بن شماسة وغيرهم . توفى سنة تسعين. (راجع تهذيب التهذيب) .

(٤) هو عبد الله بن زرير (بالتصغير) الغافقى المصرى . روى عن على وعمر . وعنه أبو الخير مرثد اليزنى وأبو الفتح الهمدانى ، وغيرهما . مات فى خلافة عبد الملك سنة إحدى وثمانين ، وقيل سنة ثمانين . (راجع تهذيب التهذيب) .

الغافقي : أنه سَمِع عليّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه يحدّث حديثَ زمزم حين أُمِر عبدُ المطلب بحَفْرها ، قال :

قال عبدُ المطلب : إني لنائم في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال : أحْفِر طِيبة[1] .

قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عنّي . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي فنِمْتُ فيه ، فجاءني فقال : احفر[2] بَرّة . قال : فقلت : وما برة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعتُ إلى مَضْجعي فنِمْتُ فيه ، فجاءني فقال : احفر المَضنونة[3] . قال : فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي فنِمْتُ فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم . قال ؟ قلت : وما زمزم ؟ قال : لا تَنْزِف[4] أبداً ولا تُذَمّ[5] ، تسق الحَجيجَ الأعظم ، وهي بين الفَرْث والدم ، عند نُقْرة الغراب الأعْصم[6] ، عند قَرْية[7] النَّمْل .

عبد المطلب وابنه الحارث وما كان بينهما وبين قريش عند حفرهما زمزم

قال ابن إسحاق :

فلمّا بُيِّن له شأنُها ، ودُلّ على موضعها ، وعَرَف أنه قد صُدِق ، غدَا بمِعْوله ومعه ابنُه الحارث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولدٌ غيرُه ، فحَفَر فيها . فلمّا بدا لعبد المطلب الطَّي[8] كبّر ، فعرفتْ قريشٌ أنه قد أدرك حاجتَه ، فقاموا

---

(1) قيل لزمزم طيبة ، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم .

(2) قيل لها برة ، لأنها فاضت على الأبرار وغاضت عن الفجار .

(3) قيل لها مضنونة ، لأنها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق .

(4) لاتنزف : لايفرغ ماؤها ولايلحق قعرها .

(5) لاتذم : أي لا توجد قليلة الماء ؛ تقول : أذممت البئر : إذا وجدتها قليلة الماء .

(6) الأعصم من الغربان : الذي في جناحيه بياض ؛ وقيل غير ذلك .

(7) إنما خصت بهذه العلامات الثلاث لمعنى زمزم ومائها . فأما الفرث والدم ، فإن ماءها طعام طعم، وشفاء سقم ؛ وأما عن الغراب الأعصم ففيه إشارة إلى ماورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليخربن الكعبة ذوالسويقتين من الحبشة » . وأما قرية النمل، ففيها من المشاكلة أيضا والمناسبة أن زمزم هي عين مكة التي يردها الحجيج والعمار من كل جانب، فيحملون إليها البر والشعير وغير ذلك ، وهي لاتحرث ولا تزرع، وقرية النمل كذلك لاتحرث ولاتبذر وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب . (راجع الروض الأنف وما يعول عليه في قرية النمل) .

(8) الطي: الحجارة التي طوى بها البئر .

إليه فقالوا : يا عبدَ المطلب ، إنها بئرُ أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقًّا فأشرِكْنا معك فيها ؛ قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمرَ قد خُصِصْتُ به دونكم ، وأُعطيته من بينكم ؛ فقالوا له : فأنصفنا فإنّا غيرُ تاركيك حتى نُخاصمك فيها ؛ قال : فاجعلوا بيني وبينكم مَنْ شئتم أُحاكمكم إليه ؛ قالوا : كاهنة بَنى سَعْد هُذَيم[1] ؛ قال : نعم ؛ قال : وكانت بأشراف[2] الشام . فركب عبدُ المطلب ومعه نَفَر من بَنى أبيه من بنى عبد مناف ، وركب من كلّ قبيلة من قريش نَفَر . قال : والأرض إذ ذاك مَفاوز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المَفاوز بين الحجاز والشام ، فَنِي ماء عبد المطلب وأصحابِه ، فظمئوا حتى أيْقنوا بالهلكة ، فاستسقَوْا مَنْ معهم مِنْ قبائل قُرَيش، فأَبَوْا عليهم ، وقالوا : إنا بمفَازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثلَ ما أصابكم . فلما رأى عبد المطلب ماصنع القومُ وما يتخوّف على نفسه وأصحابه ، قال : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : ما رأْيُنا إلا تَبَعٌ لرأيك ، فمُرْنا بما شئت ؛ قال : فإنى أرى أن يَحْفِر كلّ رجل منكم حفرتَه لنفسه بما بكم الآن من القوة ، فكلّما مات رجل دَفعه أصحابُه فى حُفْرته ثم واروْه ، حتى يكون آخرُكم رجلاً واحداً ، فضَيْعة رجلٍ واحد أيسر من ضَيْعة ركبٍ جميعاً ؛ قالوا : نِعْم ما أمرتَ به . فقام كل واحد منهم فحفر حفرته ، ثم قعدوا ينتظرون الموتَ عطشاً ؛ ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لانَضْرِب فى الأرض ولا نبتغى لأنفسنا ، لَعَجْز ، فعسى الله أن يَرْزقنا ماءً ببعض البلاد، ارتحِلُوا ، فارتحلَوا . حتى إذا فرغوا ، ومَنْ معهم من قبائل قُرَيش ينظرون إليهم ماهم فاعلون ، تقدّم عبدُ المطّلب إلى راحلته فرَكِبها . فلمّا انبعثت به انفجرتْ من تحت خفّها عينٌ من ماءٍ عَذْب ، فكبّر عبدُ المطلب

---

(1) كذا فى ا . والطبرى . وفى سائر الأصول : سعد بن هذيم وهو تحريف « لأن هذيما لم يكن أباه ، وإنما كفله بعد أبيه فأضيف إليه . (راجع شرح السيرة والمعارف) .

(2) أشراف الشام : ما ارتفع من أرضه .

وكبّر أصحابه ، ثم نزل فشَرب وشَرِب أصحابُه واسْتَقَوْا حتى ملئوا أسْقِيَتهم ، ثم دعا القبائل من قُرَيْش فقال : هلُمّ إلى الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقُوا ، فجاءوا فشَرِبوا واسْتَقَوْا . ثم قالوا : قد والله قُضِيَ لك علينا يا عبدَ المطّلب ، والله لا نخاصمك فى زَمْزم أبدا ، إن الذى سقاك هذا الماءَ بهذه الفَلاة لهو الذى سقاك زمزم ، فارجع إلى سِقايتك راشداً . فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخلّوا بينه و بينها .

قال ابن إسحاق :

فهذا الذى بلغنى من حَديث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم ، وقد سمعتُ من يُحدِّث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أُمِر بحَفْر زمزم :

ثم ادْعُ بالماء الرِّوَى[1] غيرِ الكَدِرْ يَسْقِى حَجيجَ[2] الله فى كل مَبَرّْ[3]

* ليس يُخاف منه شىء ما عَمَرْ[4] *

فخرج عبدُ المطلب ، حين قيل له ذلك ، إلى قُرَيش فقال : تعلَمُوا أنّى قد أُمرت أن أَحْفِر لكم زمزم ؛ فقالوا : فهل بُيِّن لك أين هى ؟ قال : لا ؛ قالوا : فارجع إلى مَضجعك الذى رأيتَ فيه ما رأيتَ ، فإن يك حقّا من الله يُبَيّن لك ، و إن يك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبدُ المطّلب إلى مَضجعه فنام فيه ، فأُتى فقيل له : أُحفِر زمزم إنك إن حفرتها لم تندم ، وهى تراث من أبيك الأعظم ، لا تنزِف أبدًا ولا تُذَمّ ، تسقى الحجيجَ الأعظم ، مثل نَعام جافل[5] لم يُقْسَم ،

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « رواء » . وهما بمعنى . فيقال : ماء روى (بالكسر والقصر) ورواء (بالفتح والمد) : أى كثير .

(٢) الحجيج : جمع حاج .

(٣) مبر : يريد مناسك الحج ومواضع الطاعة ، وهو مفعل من البر .

(٤) عمر : بقى ، أى ما عمر هذا الماء فإنه لا يؤذى ولا يخاف منه .

(٥) الجافل : الكثير .

يَنْذِر فيها ناذرٌ لمُنعم ، تكون ميراثاً وعَقْدًا مُحْكَم ، ليستْ كبعض ما قد تعلم ، وهى بين الفَرْث والدم .

قال ابن هشام :

هذا الكلام والكلام الذى قبله من حديث علىّ [رضوان الله عليه][1] فى حفر زمزم من قوله : « لا تنزف أبداً ولا تذم » إلى قوله : « عنْد قرية النمل » ٥
عندنا سجع وليس شعرًا .

قال ابن إسحاق :

فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال : وأين هى ؟ قِيل له : عند قرية النمل ، حيث ينقرُ الغراب غداً . والله أعلم أى ذلك كان .

فغدا عبد المطلب ومعه ابنُه الحارث ، وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فوجد قرية ١٠
النمل ، ووجد الغراب ينقُر عندها بين الوَثَنيْن : إسافٍ ونائلة ، اللذين كانت قُريش تنحر عندهما ذبائحها . فجاء بالمِعْوَل وقام ليحفِر حيث أُمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جِدّه فقالوا : والله لا نتركك تحفِر بين وثَنَيْنا هذين اللذين ننحر عندهما ؛ فقال عبدُ المطلب لابنه الحارث : ذُدْ عنّى حتى أحفِر ، فوالله لأمضيّن لِمَا أُمرت به . فلما عرفوا أنه غيرُ نازع[2] ، خلّوا بينه و بين الحَفْر وكفّوا عنه ، ١٥
فلم يحفِر إلا يسيراً حتى بدا له الطَّى ، فكبّر وعرف أنه قد صُدِق . فلما تمادى به الحفرُ وجد فيها غَزَالين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دَفنت جُرْهم فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافاً قَلْعية[3] وأدراعا ؛ فقالت له قريش :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) يقال : نزع عن الأمر نزوعا (وربما قالوا : نزاعا) : إذا كف وانتهى . ٢٠

(٣) قلعية : نسبة إلى القلعة (بالفتح ثم السكون) : قيل جبل بالشام . وقال مسعر بن مهلهل فى خبر رحلته إلى الصين : « . . . ثم رجعت من الصين إلى كله ، وهى أول بلاد الهند من جهة الصين ، وإليها تنتهى المراكب ثم لاتتجاوزها ، وفيها قلعة عظيمة فيها معدن الرصاص القلعى ، لا يكون إلا فى قلعتها ، وفى هذه القلعة تضرب السيوف القلعية ، وهى الهندية العتيقة . وأهل هذه القلعة يمتنعون على ملكهم إذا أرادوا ويطيعونه إذا أرادوا » . وقال : « ليس= ٢٥

يا عبدَ المطلب ، لنا معك فى هذا شِرْك وحقّ ؛ قال : لا ، ولكن هلمّ إلى أمرٍ نَصَفٍ[1] بينى و بينكم : نضرب عليها بالقِداح[2] ؛ قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدْحين ، ولى قِدْحين ، ولكم قِدْحين ، فمن خرج له قِدْحاه على شىء كان له ، ومن تخلّف قِدْحاه فلا شىء له ؛ قالوا : أنصفتَ . فجعل قِدْحين أصفرَيْن للكعبة ، وقِدْحين أسودين لعبد المطلب ، وقِدْحين أبيضَيْن لقريش ؛ ثم أعطوا [القداحَ][3] صاحبَ القِداح الذى يضرب بها عند هُبَل (وهُبَل : صنم فى جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يَعْنى أبو سفيان ابنُ حَرْب يوم أُحُد حين قال : أَعْلِ[4] هُبَل : أى أظهر دينك) وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزّ وجل ، فضرب صاحبُ القِداح فخرج الأصفران على الغزَالَيْن للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب ، وتخلّف قِدْحَا قُرَيش . فضرب عبد المطّلب الأسيافَ بابًا للكعبة ، وضرب فى الباب الغزَالَيْن من ذهب . فكان أولَ ذهب حُلِّيته الكعبة ، فيما يزعمون . ثم إن عبدَ المطّلب أقام سقاية زمزم للحجّاج .

= فى الدنيا معدن الرصاص القلعى إلا فى هذه القلعة » ، وبينها وبين سندا بل ، مدينة الصين ، ثلاث مئة فرسخ ، وحولها مدن ورساتيق واسعة . وقال أبو الريحان : « يجلب الرصاص القلعى من سرنديب ، جزيرة فى بحر الهند » .

وبالأندلس إقليم القلعة من كورة قبرة ، ويظن أن الرصاص القلعى ينسب إليها . (راجع معجم البلدان ، وعجائب الهند) .

(١) النصف : اسم من الإنصاف .

(٢) القداح : جمع قدح (بكسر القاف وسكون الدال) ، وهو السهم الذى كانوا يستقسمون به ، يقال للسهم أول مايقطع : قطع (بكسر القاف وسكون الطاء) ، ثم ينحت ويبرى فيسمى : بريا ، ثم يقوم قدحا ، ثم يراش ويركب نصله فيسمى سهما ، وهذه هى الأزلام المذكورة فى قوله عز وجل : « وأن تستقسموا بالأزلام » .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) كما يصح أن يكون أمرا من الفعل الثلاثى (علا يعلو) : أى تبوأ منزلتك من العلو والسمو .

ذكر بئار قبائل قريش بمكة

الطوى ومن حفرها

قال ابن هشام :

وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت[1] بئاراً بمكة ، فيما حدّثنا زياد ابنُ عبد الله البكّائى عن محمد بن إسحاق قال :

حفَر عبدُ شمس بن عبد مناف الطَّوِىّ[2] ، وهى البئر التى بأعلى مكة عند البَيْضاء ، دار محمّد بن يوسف [الثقفى][3] .

بذر ومن حفرها

وحَفَر هاشم بن عبد مناف بَذَّر ، وهى البئر التى عند المُسْتَنْذَر ، خَطْم الخَنْدمة[4] على فم شِعْب أبى طالب . وزعموا أنه قال حين حَفَرَها : لأجعلنّها بلاغًا للناس[5] .

قال ابن هشام : وقال الشاعر :

سقى اللهُ أمْواهاً عرفتُ مكانَها ... جُراباً[6] ومَلْكُوما[7] وبَذَّرَ والغَمْرا[8]

---

(١) يقال إن قصيا كان يسقى الحجيج فى حياض من أدم ، وكان ينقل الماء من آبار خارجة من مكة،منها بئر ميمون الحضرمى ، ثم احتفر قصى العجول فى دار أم هانىء بنت أبى طالب ، وهى أول سقاية احتفرت بمكة ، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا فقالوا :

نروى على العجول ثم تنطلق ... إن قصيا قد وفى وقد صدق

فلم تزل العجول قائمة حياة قصى وبعد موته، حتى كبر عبد مناف بن قصى ، فسقط فيها رجل من بنى جعيل فعطلوا العجول واندفنت ، واحتفرت كل قبيلة بئرا . (عن الروض الأنف) .

(٢) وفى الطوى تقول سبيعة بنت عبد شمس :

إن الطوى إذا ذكرتم ماءها ... صوب السحاب عذوبة وصفاء

(راجع معجم البلدان) .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) الخندمة : جبل بمكة .

(٥) وذكر ياقوت نقلا عن أبى عبيدة فى كتاب الآبار : أن هاشم بن عبد مناف قال حين حفرها :

انبطت بذرا بماء قلاس ... جعلت ماءها بلاغا للناس

(٦) جراب (بالضم) : اسم ماء ، وقيل : بئر بمكة قديمة . (راجع معجم البلدان) .

(٧) ملكوم (على زنة اسم المفعول) : اسم ماء بمكة . (راجع معجم البلدان) .

(٨) الغمر (بفتح أوله وسكون ثانيه) : بئر قديمة بمكة حفرتها بنو سهم ، وفى ذلك يقول شاعرهم :

سجلة ومن حفرها

قال ابن إسحاق :

وحفر سَجْلَةَ[1] ، وهى بئر المُطْعِم بن عَدِىّ بن نَوْفل بن عَبْد مَناف التى يَسْقون عليها اليوم . ويزعُم بنو نوفل أنّ المُطْعم ابتاعها من أَسَد بن هاشم ، ويزعُم بنو هاشم أنه وَهَبها له حين ظهرت زمزم ، فاسْتَغْنَوْا بها عن تلك الآبار .

الحفر ومن حفرها

٥ وحفر أميةُ بنُ عبد شَمْس الحَفْرَ[2] لنفسه .

سقية ومن حفرها

وحفرت بنو أَسَد بن عبد العُزّى سُقَيّةَ[3] ، وهى بئر بَنى أَسَد .

أم أحراد ومن حفرها

وحفرت بنو عبد الدار أُمَّ أَحْرَاد[4] .

= نحن حفرنا الغمر للحجيج تثج ماء أيما ثجيج

(راجع معجم البلدان) . وسيعرض لها المؤلف بعد قليل .

١٠ (١) ويقال إن الذى حفر سجلة ليس هاشما ، وإنما هو قصى ، ويروون عنه أنه قال حين حفرها :

أنا قصى وحفرت سجلة تروى الحجيج زغلة فزغلة

ويروى هذا البيت لخالدة بنت هاشم باختلاف فى صدره ، وهو :

نحن وهبنا لعدى سجلة تروى الحجيج زغلة فزغلة

١٥ [الزغلة (بالضم) : الدفعة] (راجع الروض الأنف ومعجم البلدان) .

(٢) ذكرها ياقوت عند الكلام على الحفر (بالحاء المهملة) ، فقال : « . . . وحفر بئر لبنى تيم بن مرة بمكة ، ورواه الحازمى بالجيم » .

ثم ذكرها عند الكلام على الجفر (بالجيم) نقلا عن أبى عبيدة ، فقال : « . . . واحتفرت كل قبيلة من قريش فى رباعهم بئرا فاحتفر بنو تيم بن مرة الجفر ، وهى بئر مرة بن كعب ،

٢٠ وقيل حفرها أمية بن عبد شمس وسماها جفر مرة بن كعب » .

(٣) كذا فى معجم البلدان ، وفى الأصول : « بشفية » قال ياقوت : « سقية » (بلفظ تصغير سقية ، وقد رواها قوم (شفية) بالشين المعجمة والفاء) : وهى بئر قديمة كانت بمكة . قال أبو عبيدة : وحفرت بنو أسد شفية . فقال : الحويرث بن أسد :

ماء شفية كصوب المزن وليس ماؤها بطرق أجن

٢٥ قال الزبير : وخالفه عمى فقال : إنما هى سقية (بالسين المهملة والقاف) .

(٤) ويروون عن أمية بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحراد :

نحن حفرنا البحر أم أحراد ليست كبذر البرور الجماد

فأجابتها ضرتها صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضى الله عنه :

٣٠ نحن حفرنا بذر نسقى الحجيج الأكبر

من مقبل ومدبر وأم أحراد شر

(راجع الروض ، ومعجم البلدان) .

السنبلة ومن حفرها — وحفرت بنو جُمَح السُّنْبلةَ ، وهى بئر خَلَف بن وَهْب .

الغمر ومن حفرها — وحَفَرت بنو سَهْم الغمْرَ ، وهى بئر بنى سَهْم .

رم وخم والحفر وأصحابها — وكانت آبار حفائر خارجًا من مكّة قديمة من عهد مُرّة بن كَعْب ، وكِلاب ابن مُرّة ، وكُبَراء قريش الأوائل منها يَشْربون ، وهى رُمّ ، ورُمّ : بئر مُرّة بن كَعْب ابن لؤىّ ؛ وخُمّ ، وخُمّ بئر بَنى كِلاب بن مُرّة ؛ والحَفْر[1] . قال حُذَيْفة[2] بن غانم أخو بنى عَدىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ .

قال ابن هشام : وهو أبو أبي جَهْم بن حُذَيْفة :

وقِدْمًا غنَينا قبل ذلك حِقْبةً ولا نَسْتقى ألا بخُمّ أو الحَفْرِ

قال ابن هشام : وهذا البيتُ فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

فضل زمزم وما قيل فيها من شعر — قال ابن إسحاق :

فعفّت[3] زمزم على البِئار التى كانت قبلها يَسْقى عليها الحاجّ ، وانصرف الناسُ إليها لمكانها من المسجد الحرام ، ولفضلها على ما سِواها من المياه ، ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وافتخرتْ بها بَنو عبد مناف على قُرَيش كلّها ، وعلى سائر العرب ، فقال مُسافر[4] بن أبي عَمْرو بن أُميَّة بن عبد شَمْس ابن عَبْد مناف ، وهو يَفْخر على قريش بما ولوا عليهم من السِّقاية والرِّفادة ، وما أقاموا للناس من ذلك ، وبِزَمْزم حين ظَهرتْ لهم . وإنما كان بَنو عَبْد مناف

---

(١) لقد ذكر ابن هشام « الحفر » قبل هذا بقليل ونسبها إلى أميـة ، وأردفنا نحن ثم بما ذكر عنها فى المعاجم . ولعل فى ذكرها هنا مع « رم » و« خم » إشارة إلى الرأى القائل بأنها من حفر مرة بن كعب . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٥٧) .

(٢) كذا فى الأصول ، ومعجم البلدان لياقوت ، والإصابة (ج ٤ ص ٥٤١) عند الكلام على ليلى بنت أبى حثمة . وفى الطبرى : والاشتقاق لابن دريد (ص ٨٧ طبع أوربا) والأغانى (ج ٧ ص ٢٢٩ طبع دار الكتب المصرية) : « حذافة » .

(٣) عفت على البئار : غطت عليها وأذهبتها .

(٤) وكان مسافر سيدا جوادا ، وهو أحد زواد الراكب ، وإنما سموا بذلك لأنهم كانوا لايدعون غريبا ولامارا طريقا ولامحتاجا يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفلوا به حتى يظعن ، وهو أحد شعراء قريش ، وكان يناقض عمارة بن الوليد . وله شعر فى هند بنت عتبة بن ربيعة ، وكان يهواها ، فراقها ، فخطبها إلى أبيها بعد ضرتها الفاكه بن المغيرة ، فلم ترض ثروته وماله ، وكان أن تزوجها أبو سفيان ، فحزن مسافر ، وانتهى به الحزن إلى أن مات بهبالة ودفن بها . (راجع الأغانى ج ٨ ص ٤٨ — ٥١ طبع بلاق والروض الأنف) .

أهلَ بيت واحد ، شرفٌ بعضِهم لبعض شرفٌ ، وفَضْلُ بعضهم لبعض فَضْل :

وَرِثْنا المجدَ من آبا ئنا فنَمى بنا صُعُدَا

ألَمْ نَسْقِ الحجيجَ وننـ ـحر الدَّلَّافَةَ الرُّفدا[1]

ونُلْقى عنـد تَصْريف الـ ـمنايا شُـدَّداً رُفُدا[2]

٥ فإن نَهْلِكْ فلم نُمْلَكْ[3] ومن ذا خالدٌ أبدا[4]

وزمزم في[5] أُرُومتنا[6] ونفقأ عَيْنَ من حَسَدا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق :

وقال حُذَيفة بن غانم أخو بنى عدىّ بن كَعْب بن لؤى :

١٠ وساقِ الحَجيج ثم للخَيْر هاشم وعبد مناف ذلك السيّد الفِهْرى[7]

طَوَى زمزمًا عند المقام فأصبحتْ سِقايتُه فَخْراً على كلّ ذى فَخْرِ

قال ابن هشام :

يعنى عَبْدَ المطّلب بن هاشم . وهذان البيتان فى قصيدة لحُذَيفة بن غانم سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

---

١٥ (١) الدلافة : يريد بها هنا الإبل التى تمشى متمهلة لكثرة سمنها ، يقال : دلف الشيخ ، إذا مشى مشيا ضعيفا ، وهو فوق الدبيب . والرفد : جمع رفود . وهى التى تملأ الرفد ، وهو قدح يحلب فيه .

(٢) رفد : من الرفد ، وهو الإعطاء .

(٣) لم نملك (بالبناء للمجهول) : أى لم يكن علينا وال ولا ملك .

(٤) فى ا : « خلدا » .

٢٠ (٥) فى الأغانى : « من » .

(٦) الأرومة : الأصل .

(٧) ويروى : « الغمر » : أى الكثير العطاء . كما يروى : « القهر » ، أى القاهر ، ويكون صفة بالمصدر .

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق :

وكان عبدُ المطّلب بن هاشم ـ فيما يزعمون واُللهُ أعلم ـ قد نَذَر حين لَقِى من قُرَيش ما لقِى عند حَفْر زمزم ، لئن وُلد له عشرةُ نَفَر ، ثم بلغوا معه حتى يَمْنعوه ، لَيَنْحرنّ أحدَهم لله عندَ الكعبة . فلما توافَى بنوه عشرةً ، وعرف أنهم سيمنعونه ، ٥ جَمَعهم ثم أخبرهم بنَذْره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نَصْنع ! قال : ليأخذ كلّ رجل منكم قِدْحًا ثم يكتب فيه اسمَه ، ثم ائتونى . ففعلوا ثم أَتَوْه ، فدخل بهم على هُبَل فى جَوْف الكعبة ، وكان هُبَل على بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التى يُجمع فيها ما يُهدَى للكعبة .

الضرب بالقداح عند العرب

وكان عند هُبَل قِداح سَبْعة ، كل قِدْح منها فيه [كتاب . قِدْح فيه][1] ١٠ «العَقْل»[2] إذا اختلفوا فى العَقْل مَنْ يَحْمِله منهم ، ضربوا بالقداح السَّبعة[3]، فإن خرجَ العَقْل فَعَلَى مَنْ خرج حَمْلُه ؛ وقِدْح فيه « نعم » للأمر إذا أرادوه يُضرب به فى القِداح ، فإن خَرَجَ قِدْح « نعم » عملوا به ؛ وقِدْح فيه « لا » إذا أرادوا أمرًا ضربوا به فى القِداح ، فإن خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر ؛ وقِدْح فيه « مِنْكم » ؛ وقِدْح فيه « مُلْصَق » ، وقدح فيه « مِنْ غَيْرِكم » ؛ ١٥ وقِدْح فيه « المِياه » إذا أرادوا أن يَحْفِروا للماء ضَرَبوا بالقِداح ، وفيها ذلك القِدْح ، فحيثُما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا ، أو يُنْكِحوا

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) العقل : الدية .

(٣) ويروى إنهم كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها : أمرنى ٢٠ ربى . وعلى الآخر : نهانى ربى . والثالث غفل . فإن خرج الآمر مضوا على ذلك ، وإن خرج الناهى تجنبوا عنه ، وإن خرج الغفل أجالوها ثانيا . ولعلهم كانوا يستعملون الطريقتين .

منكحاً ، أو يَدْفنوا مَيْتا ، أو شكّوا فى نسب أحدهم ، ذَهبوا به إلى هُبَل و بمئة درهم وجَزور ، فأعطَوْها صاحبَ القِداح الذى يَضْرب بها ، ثم قرّبوا صاحبَهم الذى يريدون به مايريدون ، ثم قالوا : يا إلاهنا ، هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأَخْرِج الحقَّ فيه . ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب ، فإن

٥ خرج عليه « منكم » كان منهم وسيطاً[1] ، وإن خَرَج عليه « مِنْ غَيْرِكم » كان حَليفاً ؛ وإن خَرَج عليه « مُلْصَق » كان على مَنْزلته فيهم ، لانَسَب له ولا حِلْف ؛ وإن خرج فيه شىء ، مما سِوَى هذا ممّا يعمَلون به « نعم » عملوا به ؛ وإن خرج « لا » أخّروه عامَه ذلك حتى يأتوه به مرّةً أُخْرى ، ينتهُون فى أمورهم إلى ذلك مما خرجتْ به القِداح[2] .

عبد المطلب وأولاده بين يدى صاحب القداح

١٠ فقال عبدُ المطلب لصاحب القِداح : اضربْ على بَنِيَّ هؤلاء بقِداحهم هذه ، وأَخْبَره بنَذْره الذى نَذَر ، فأعطاه كلُّ رجل منهم قِدْحَه الذى فيه اْسمه ، وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغرَ بنى[3] أبيه ، كان هو والزُّبير وأبو طالب لفاطمة بنت عَمْرو بن عائذ بن عبد بن عِمْران بن مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب ابن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر .

---

١٥ (١) وسيطا : خالص النسب فيهم ، ويقال : إن الوسيط هو الشريف فى قومه ، لأن النسب الكريم دار به من كل جهة ، وهو وسط .

(٢) وقد عرض الألوسى فى كتابه بلوغ الأرب فى أحوال العرب (ج ٣ ص ٧٠ — ٧٥) الكلام على القداح بإسهاب وتفصيل فارجع إليه .

(٣) الظاهر أنه يريد أن عبد الله كان أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ، أو لعل الرواية :

٢٠ « أصغر بنى أمه » . وإلا فالمعروف أن حمزة كان أصغر من عبد الله ، والعباس كان أصغر من حمزة ، وقد ذكر عن العباس رضى الله عنه أنه قال : أذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أونحوها ، فجىء بى حتى نظرت إليه ، وجعل النسوة يقلن لى : قبل أخاك ، قبل أخاك ، فقبلته . وفى هذا دليل على أن عبد الله ليس أصغر أولاد عبد المطلب . (راجع الروض الأنف) .

قال ابن هشام : عائذ ابنُ عِمْران بن مَخْزوم[1] .

خروج القدح على عبد الله وشروع أبيه فى ذبحه ومنع قريش له

قال ابن إسحاق :

وكان عبد الله ــ فيما يزعمون ــ أحبَّ وَلَدِ عبد المطّلب إليه ، فكان عبدُ المطلب يرى أن السّهْم إذا أخطأه فقد أَشْوَى[2] . وهو أبو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فلما أخذ صاحبُ القِداح القداحَ ليضرب بها ، قام عبدُ المطلب عند هُبَل يدعو الله ، ثم ضرب صاحبُ القِداح ، فخرج القِدْحُ على عبد الله ، فأخذه عبدُ المطلب بيده وأخذ الشَّفرة ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبَحه ، فقامت إليه قريش من أَنْديتها، فقالوا : ماذا تريد ياعبد المطلب ؟ قال : أَذْبحه ؛ فقالت له قريش وبَنوه : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِر فيه . لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأتى بابنه حتى يذبَحه ، فما بقاء الناس على هذا ! وقال له المُغيرة بن عبد الله بن عَمْرو[3] بن مَخْزوم بن يَقَظَة ، وكان عبدالله ابنَ أخت القوم : والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فَدَيْناه . وقالت له قريش وبَنوه : لا تفعل ، وانطلق به إلى الحِجاز، فإنّ به عرّافةً[4] لها تابع ، فسَلْها ، ثم أنت على رأس أَمْرِك ، إن أمرتْك بذبحه ذبحتَه ، و إن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه فَرَج قَبِلْته.

عرافة الحجاز وما أشارت به على عبد المطلب

فانطلقوا حتى قدموا المدينةَ فوجدوها ــ فيما يزعمون ــ بخَيْبر . فركبوا حتى جاءوها فسألوها ، وقصّ عليها عبدُ المطّلب خبَره وخبَر ابنه ، وما أراد به ونَذْره فيه ؛ فقالت لهم : ارجعوا عنّى اليومَ حتى يأتينى تابعى فأسأله . فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم غَدَوْا عليها ، فقالت لهم :

---

(1) وهذا الرأى ــ رأى ابن هشام ــ هو الأصح ، فقد ذكر الزبيريون أن « عبدا » هو أخو عائذ بن عمران ، وأن بنت عبد هى صخرة امرأة عمرو بن عائذ ، على قول ابن إسحاق ، أن عائذ : هو ابن عبد ، تكون صخرة عمة لعائذ ، وعلى قول ابن هشام بنت عمه . (راجع الروض الأنف) .

(2) أشوى : أبقى ، يقال : أشويت من الطعام : إذا أبقيت .

(3) كذا فى أكثر الأصول وابن الأثير . وفى ا والطبرى : « عمر » .

(4) يقال إن اسم هذه العرافة : قطبة . وقيل بل اسمها : سجاح .

قد جاءنى الخبرُ ، كم الدِّية فيكم ؟ قالوا : عشرٌ من الإبل ، وكانت كذلك[1] .
قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرِّبوا صاحبَكم وقرّبوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداحَ[2] فإن خرجتْ عَلَى صاحبكم فزيدُوا من الإبل حتى يَرْضى ربُّكم ، وإن خرجتْ على الإبل فانحروها عنه ، فقد رَضِى ربُّكم ونجا صاحبُكم .

نجاة عبد الله من الذبح

فخرجوا حتى قَدِموا مكةَ ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبدُ المطلب يدعو الله ؛ ثم قرّبوا عبدَ الله وعشراً من الإبل ، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هُبَل يدعو الله عزّ وجلّ ، ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبلُ عشرين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزّ وجلّ ، ثم ضربوا فخَرَج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل أربعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل خمسين ؛ وقام عبد المطلب يدعو الله ؛ ثم ضربوا فخَرَج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل ستّين ، وقام عبد المطلب يدعو الله ؛ ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل سبعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضَربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثمانين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل تِسْعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح عَلَى عبد الله ؛ فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل مئة ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على

(١) من هنا ترى أن الدية كانت عندهم عشرة من الإبل ، ويكون عبد الله — على هذا — هو أول من جعلها مئة من الإبل .
والمعروف أن أول من ودى بالإبل من العرب زيد بن بكر بن هوازن حين قتله أخوه معاوية جد بنى عامر بن صعصعة . (عن الروض الأنف ، وكتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى) .
(٢) فى ر : «القدح» .

الإبل ؛ فقالت قريش ومَنْ حضر : قد انتهى رِضا ربّك يا عبدَ المطلب . فزعموا أن عبد المطلب قال : لاوالله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرّات ؛ فضربوا على عبد الله وعلَى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، فخرج القِدْح عَلَى الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فضربوا ، فخرج القِدْح على الإبل ، ٥
فنُحرت ثم تُركت لا يُصدّ عنْها إنسان ولا يُمنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سَبُع .

قال ابن هشام :

وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصحّ عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر .

ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب ١٠

رفض عبدالله طلب المرأة التى عرضت نفسها عليه

قال ابن إسحاق :

ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فمرّ به — فيما يزعمون — على امرأة من بنى[1] أسَد بن عبد العزّى بن قُصىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب ابن لؤىّ بن غالب بن فِهْر ، وهى أخت وَرَقة بن نَوْفل بن أسد بن عبد العُزّى ، وهى عند الكعبة ؛ فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ ١٥ قال : مع أبى ؛ قالت : لك مثلُ الإبل التى نُحِرتْ عنك وَقعْ علىّ الآن ؛ قال : أنا مع أبى ولا أستطيع خِلافَه ولا فراقه .

زواج عبدالله من آمنة بنت وهب

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وهبَ بن عبد مناف بن زُهْرة بن كِلاب

(١) واسم هذه المرأة : رقية بنت نوفل ، وتكنى : أم قتال . ويقال إن عبد الله قال حين ذاك : ٢٠

أما الحرام فالحِمام دونه ... والحل لاحل فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه ... يحمى الكريم عرضه ودينه

=

ابن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر ، وهو يومئذ سيّد بنى زُهْرة نسباً وشرفاً ، فزوّجه ابنته آمنة بنتَ وَهْب ، وهى يومئذ أفضلُ امرأة فى قُرَيش نسباً وموضعاً .

أمهات آمنة بنت وهب

وهى لبَرّة بنت عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة ٥ ابن كَعْب بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر . و برّة : لأمّ حَبِيب بنت أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر . وأمّ حَبِيب : لبرّة بنت عَوْف بن عُبَيد بن عُوَيج بن عدىّ بن كَعْب بن لؤىّ ابن غالب بن فِهْر .

ماجرى بين عبدالله والمرأة المتعرضة له بعد بنائه بآمنة

فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكها[1] مكانَه فوقع عليها ، فحملتْ برسول ١٠ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عرضتْ عليه ما عرضتْ ، فقال لها : مالكِ لا تَعْرِضين علىّ اليومَ ما كنتِ عرضْتِ علىّ بالأمس ؟ قالت له : فارقك النورُ الذى كان معك بالأمس ، فليس [لى][2] بك اليومَ حاجةٌ . وقد كانت تَسْمع من أخيها ورقةَ بن نَوْفل ــ وكان قد تنصّر واتّبع الكُتُب : أنه سيكون[3] فى هذه الأمة نبىّ .

١٥ قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بنُ يَسار[4] أنه حُدّث :

= كما يقال إن المرأة التى مر عليها عبد الله مع أبيه اسمها فاطمة بنت مر ، وكانت من أجمل النساء وأعفهن ، وكانت قرأت نور النبوة فى وجهه ، فدعته إلى نكاحها فأبى . فلما أبى قالت أبياتا منها :

إنى رأيت مخيلة نشأت فتلألأت بحناتم القطر

٢٠ لله ما زهرية سلبت منك الذى استلبت وماتدرى

ويقال : إن التى عرضت نفسها عليه هى ليلى العدوية . (راجع الروض الأنف ، وشرح السيرة) .

(١) أملك المرأة (بالبناء للمجهول) : تزوجها .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « كائن » .

٢٥ (٤) رأى معاوية ، وروى عن عروة ومقسم وغيرهما ، وعنه ــ غير ولده محمد ــ يعقوب ابن محمد بن طحلاء . وثقه ابن معين ، وقال أبو زرعة : هو أوثق من ابنه . (عن تراجم رجال) .

أنّ عبد الله إنّما دخل على أمرأة كانت له مع آمنة بنت وَهْب ، وقد عمل فى طين له ، و به آثارٌ من الطين ، فدعاها إلى نفسه فأبطأتْ عليه لِمَا رأت به من أَثَر الطين ، فخرج من عندها فتوضّأ وغَسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج عامدًا إلى آمنة فمرّ بها ، فدَعَتْه إلى نفسها، فأبَى عليها ، وعَمد إلى آمنة، فدخل عليها فأصابها ، فحملتْ بمحمّد صلّى الله عليه وسلّم . ثم مرّ بأمرأته تلك فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررتَ بى و بين عَيْنَيْك غُرّة بيضاء ، فدعوتُك فأبيتَ علىّ، ودخلتَ على آمنة فَذَهَبتْ بها .

قال ابن إسحاق :

فزعموا أن أمرأته تلك كانت تحدّث : أنه مرّ بها و بين عَيْنَيْه غُرّة مثل غُرّة الفرَس ؛ قالت : فدعوتُه رَجاءَ أن تكون تلك بى فأَبَى علىّ ، ودخل على آمنة فأصابها، فحملتْ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أوسطَ قومه نسباً ، وأعظمَهم شرفًا من قِبَل أبيه وأمّه ، صلّى الله عليه وسلّم .

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

و يزعمون ــ فيما يتحدّث الناس والله أعلم ــ أنّ آمنة بنة وَهْب أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كانت تحدّث .

أنها أُتِيتْ ، حين حملَتْ برَسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقيل لها : إنك قد حملتِ بسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقُولى : أُعيذه بالواحد ، من شرِّ كلّ حاسد ؛ ثم سمّيه[1] محمداً . ورأتْ حين حملت به أنه خَرج منها نورٌ رأتْ به قُصور بُصْرى ، من أرض الشام .

---

(1) لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة ، طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم و بقرب زمانه وأنه يبعث فى الحجاز ، أن يكون ولدا لهم . وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع ، جد جد الفرزدق الشاعر ؛ والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ؛ =

موت عبد الله

ثم لم يلبثْ عبدُ الله بن عبد المطلب [1]، أبو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أنْ هَلَكَ، وأمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاملٌ به [1].

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاعته

رأى ابن إسحاق فى مولده صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق:

ولد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الأثنين، لاثنتى عشرة ليلةً خلتْ من شهر ربيع الأول، عامَ الفيل [3].

رواية قيس ابن مخرمة عن مولده صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: حدّثنى المطّلب بن عبد الله بن قَيْس بن مَخْرمة عن أبيه عن جدّه قيس بن مَخْرمة قال:

ولدتُ أنا ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عامَ الفيل، فنحن لِدان [4].

= والآخر: محمد بن حمران بن ربيعة. وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول، فأخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وباسمه، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا. فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً، ففعلوا ذلك. (راجع الفصول لابن فورك، والروض الأنف).

(1) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام. قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال ... الخ».

(2) أكثر العلماء على أن عبد الله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهد، ابن شهرين أو أكثر من ذلك. وقيل بل مات عبد الله عند أخواله بنى النجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان وعشرين شهراً. ويقال إنه دفن فى دار النابغة فى الدار الصغرى، إذا دخلت الدار على يسارك فى البيت. (راجع الطبرى والروض الأنف).

(3) اختلف فى مولده صلى الله عليه وسلم، فذكر أنه كان فى ربيع الأول، وهو المعروف. وقال الزبير: كان مولده فى رمضان. وهذا القول موافق لقول من قال: إن أمه حملت به فى أيام التشريق. ويذكرون أن الفيل جاء مكة فى المحرم وأنه صلى الله عليه وسلم ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما. وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم بالشعب؛ وقيل بالدار التى عند الصفا، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجاج، ثم بنتها زبيدة مسجدا حين حجت. (راجع الروض الأنف والطبقات الكبرى لابن سعد والطبرى).

(4) كذا فى ا. ولدان: مثنى لدة. واللدة: الترب، والهاء فيه عوض عن الواو الذاهبة من أوله، لأنه من الولادة. وفى سائر الأصول: «لدتان». ولم تذكره كتب اللغة.

رواية حسان ابن ثابت عن مولده صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى صالح بن[1] إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سَعْد بن زُرارة الأنصارى . قال حدثنى من شِئْت من رجال قومى عن حسّان بن ثابت قال :

والله إنى لغلام[2] يَفَعة . ابن سبع سنين أو ثمان ، أَعْقِل كلَّ ما سمعت ، إذ سمعتُ يهوديًّا يصرخ بأعلى صوته على أَطَمة[3] بيثرب : يامعشر يهود . حتى إذا اجتمعوا إليه قالوا له : ويلك ! مالك ؟ قال : طَلَع الليلةَ نجمُ أحمد الذى وُلد به .

قال محمد بن إسحاق :

فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت فقلت : ابْنُ كَمْ كان حسّان بن ثابت مَقْدَمَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة ؟ فقال : ابن ستّين [سنة][4] ، وقَدِمها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو ابن ثلاث وخَمْسين سنةً ، فسمع حسّانُ ما سَمِع وهو ابنُ سبع سنين .

إعلام أمه جده بولادته صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

فلما وضعتْه أمهُ صلّى الله عليه وسلّم أرسلت إلى جدّه عبدِ المطلب : أنه قد وُلد لك غلام ، فَأْتِه فانظرْ إليه ؛ فأتاه فنظر إليه ، وحدَّثتْه بما رأت حين حَمَلتْ به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمرتْ به أن تُسمّيه .

فرح جده به صلى الله عليه وسلم والتماسه له المراضع .

فيزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبةَ . فقام يدعوالله ، ويشكر

---

(١) هو صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بن عمران الزهرى المدنى ، روى عن أبيه وأنس ومحمود بن لبيد والأعرج وغيرهم . وعنه ــ غير ابن إسحاق ــ ابنه سالم والزهرى ويونس بن يعقوب الماجشون وجماعة . مات بالمدينة فى خلافة هشام بن عبد الملك . (عن تراجم رجال) .

(٢) غلام يفعة : قوى قد طال قده ، مأخوذ من اليفاع ، وهو العالى من الأرض .

(٣) الأطمة (بفتحتين) : الحصن .

(٤) زيادة عن ا .

له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمّه فدفعه إليها[1] . والتمس لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم الرضعاء .

قال ابن هشام :

المراضع . وفى كتاب الله تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام :
٥ « وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ[2] » .

نسب حليمة ونسب أبيها

قال ابن إسحاق :

فاسْترضع له[3] امرأةً من بنى سَعْد بن بكر ، يقال لها : حليمة ، ابنةُ أبى ذُؤَيب .

وأبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شِجْنة بن جابر بن رِزام بن ناصرة
١٠ ابن فُصيّة[4] بن نصر[5] بن سَعْد بن بكر بن هَوازن بن مَنْصور بن عِكرمة ابن خَصَفة بن قَيْس بن عَيلان .

---

(١) وفى رواية أخرى أن عبد المطلب عوذه بشعر منه .

الحمد لله الذى أعطانى هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذى الأركان

١٥ (راجع الروض الأنف) .

(٢) المعروف أن المراضع : جمع مرضع . وعلى هذا تخرج رواية ابن إسحاق على أحد وجهين ، أحدهما : حذف المضاف ، كأنه قال : ذوات الرضعاء . والثانى : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفال على حقيقة اللفظ ، لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعاً يرضع معه . فلا يبعد أن يقال : التمسوا له رضيعا ، علما بأن الرضيع لابد له من مرضع .
٢٠ (راجع الروض الأنف) .

(٣) كذا فى ا . واسترضعت المرأة ولدى : طلبت منها أن ترضعه . وفى سائر الأصول : « واسترضع له من امرأة » .

(٤) فى الأصول : « قصية » بالقاف . وهو تصحيف . (راجع الروض الأنف ، وشرح السيرة ، والطبقات) .

٢٥ (٥) فى الطبرى هنا وفيما سيأتى فى نسب الحارث : « قصية بن سعد » . بإسقاط « نصر » .

نسب أبيه صلى الله عليه وسلم في الرضاع

واسم أبيه الذى أرضعه صلّى الله عليه وسلّم : الحارثُ بن عَبْد العُزّى بن رفاعة ابن مَلّان بن ناصرة بن فُصَيّة[١] بن نَصْر بن سَعْد بن بَكْر بن هَوازن[٢] .

قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة .

إخوته صلى الله عليه وسلم من الرضاع

قال ابن إسحاق :

وإخوته من الرضاعة : عبدُ الله بن الحارث ، وأُنَيسة بنت الحارث ٥ وحُذافة[٣] بنت الحارث ، وهى الشَّيماء[٤] ، غلب ذلك على اُسمها فلا تُعرف فى قومها إلا به . وهم لحَليمة بنت أبى ذُؤَيب ، عبدِ الله بن الحارث ، أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

ويذكرون أن الشَّيْماء كانت تحضنه مع أمها[٥] إذا كان عندهم[٦] .

---

(١) كذا فى م هنا . وفى سائر الأصول : « قصية » بالقاف . وهو تصحيف . ١٠

(٢) ويقال إن الحارث قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين أنزل عليه القرآن فقالت له قريش : ألا تسمع ياحار مايقول ابنك هذا ؟ فقال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله يبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم من أطاعه ، فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا ، فأتاه فقال : أى بنىّ ، مالك ولقومك يشكونك ويزعمون أنك تقول : إن الناس يبعثون بعد الموت، ثم يصيرون إلى جنة ونار؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أزعم ١٥ ذلك ، ولوقد كان ذلك اليوم يا أبت لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم . فأسلم الحارث بعد ذلك وحسن إسلامه ، وكان يقول حين أسلم : لوقد أخذ ابنى بيدى فعرفنى ما قال لم يرسلنى إن شاء الله حتى يدخلنى الجنة . (راجع الروض الأنف، وشرح المواهب والإصابة) .

(٣) فى الإصابة : « خذامة » ، وهى بكسر الخاء المعجمة كما نبه على ذلك السهيلى وأبو ذر ، وقد ذكر السهيلى وأبو ذر وابن حجر ما أثبتناه رواية أخرى ، وانفرد أبو ذر بالتنبيه ٢٠ على أنه هو الصواب . وفى ا والطبرى : والطبقات « جدامة » وبها جزم ابن سعد فى الطبقات على أنها « جدامة » بالجيم والدال المهملة .

(٤) ويقال إنها : « الشيماء » بلا ياء (راجع شرح المواهب) .

(٥) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : « أمه » .

(٦) ويقال إن أول من أرضعته صلى الله عليه وسلم : ثويبة ، أرضعته بلبن ابن لها يقال له : ٢٥ مسروح ، أياما قبل أن تقدم حليمة . وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب المخزومى . كما أرضعت عبد الله بن جحش ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك لثويبة ويصلها من المدينة . فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح ، فأخبر أنهما ماتا ، وسأل عن قرابتهما فلم يجد أحدا منهم حيا ، وكانت ثويبة جارية لأبى لهب . كما يقال إنه صلى الله عليه وسلم رضع أيضاً من غيرهاتين. (راجع الطبرى والروض الأنف والاستيعاب وشرح المواهب) . ٣٠

حديث حليمة عما رأته من الخير بعد تسلمها له صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى جَهْم بن أبى جَهْم مولى الحارث بن حاطب الجُمَحىّ عن عبد الله بن جَعْفر بن أبى طالب . أو عمّن حدّثه عنه قال :

كانت حليمة بنت أبى ذُؤَيب السَّعْدية . أمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم التى أرْضعته ، تحدّث : أنها خرجتْ من بَلَدها مع زوجها ، وابن لها صغير[1] تُرْضعه فى نِسْوة من بَنى سَعْد بن بَكْر ، تلتمس الرُّضعاء . قالت : وذلك فى سنة[2] شَهْباء . لم تُبْق لنا شيئاً . قالت : فخرجت على أتان لى قَمراء[3] ، معنا شارف[4] لنا ، والله ما تَبِضّ[5] بقَطرة ، وما ننام ليلَنا أجمعَ من صَبِينا الذى معنا ، من بكائه من الجوع ، ما فى ثديىّ ما يُغْنيه ، وما فى شارفنا ما يغدّيه — قال ابن هشام : ويقال يغذّيه[6] — ولكنّا كنّا نرجو الغيثَ والفَرَج . فخرجت على أتانى تلك ، فلقد أَدَمْتُ[7] بالرَّكْب حتى شقّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفا[8] ، حتى قَدِمْنا مكة نلتمس[9] الرضعاء ، فما منّا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسولُ الله صلّى الله عليه

(١) يقال إن اسمه عبد الله بن الحارث . (راجع شرح المواهب والمعارف والطبقات) .

(٢) كذا فى الطبرى . وفى ا : « وفى سنة . . . الخ » . وفى سائر الأصول : « وهى فى سنة . . . الخ » .

(٣) القمرة (بالضم) : لون إلى الخضرة ، أو بياض فيه كدرة . يقال : حمار أقمر ، وأتان قمراء .

(٤) الشارف : الناقة المسنة .

(٥) ما تبض : ما ترشح بشىء .

(٦) وماذكره ابن هشام أتم فى المعنى من الاقتصار على ذكر الغداء دون العشاء . ويروى : « ما يعذبه » أى ما يقنعه حتى يرفع رأسه وينقطع عن الرضاع .

(٧) كذا فى ا . ولقد شرحها أبو ذر فقال : فلقد أدمت بالركب ، أى أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها ، مأخوذ من الشىء الدائم . وفى سائر الأصول : « أذمت » . وأذمت الركاب : أعيت وتخلفت عن جماعة الإبل ، ولم تلحق بها . يريد أنها تأخرت بالركب ، أى تأخر الركب بسببها .

(٨) العجف : الهزال .

(٩) يذكرون فى دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع أسبابا ، أحدها : تفريغ النساء إلى الأزواج ، كما قال عمار بن ياسر لأم سلمة رضى الله عنها ، وكان أخاها من الرضاعة ، حين انتزع من حجرها زينب بنت أبى سلمة ، فقال : دعى هذه المقبوحة المشقوحة التى أذيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسلّم فتأباه ، إذا قيل لها إنه يَتيم ، وذلك أنا إنما كنّا نرجو المعروفَ من أبي الصبيّ ، فكنّا نقول : يتيم ! وما عسى أن تَصْنع أمُّه وجدُّه ! فكنّا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمتْ معي إلا أخذتْ رضيعاً غيري ، فلمّا أجْمعنا الانطلاقَ قلتُ لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجعَ من بين صَواحبي ولم آخذْ رضيعاً ، والله لأذهبنّ إلى ذلك اليَتيم فلآخذنّه ؛ قال : لا عليك أن تَفْعلي ، عسى الله أن يجعلَ لنا فيه بركةً . قالت[1] : فذهبتُ إليه فأخذته ، وما حَمَلني على أَخْذه إلا أنّي لم أجدْ غيرَه . قالت : فلما أخذتُه رجعت به إلى رَحْلي ، فلما وضعته في حِجْري[2] أقبلَ عليه ثَدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى[3] ، ثم ناما ، وما كنّا ننام معه قبلَ ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحافل ، فحلَب منها ما شَرب . وشربتُ معه حتى انتهينا رِيًّا وشِبَعا ، فبتنا بخيرليلة . قالت : يقول صاحبي حين أَصْبحنا : تَعلمي[4] والله ياحَليمة . لقد أخذت نسمةً مباركة . قالت : فقلت : والله إني لأرجو ذلك .

= وقد يكون ذلك منهم لينشأ الطفل في الأعراب فيكون أفصح لسانا وأجلد لجسمه وأجدر ألا يفارق الهيئة المعدية ، كما قال عمر رضي الله عنه : تمعددوا تمعززوا واخشوشنوا . ولقد قال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه حين قال له : مارأيت أفصح منك يارسول الله ؟ فقال : وما يمنعني وأنا من قريش، وأرضعت في بني سعد .

فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء إلى المرضعات الأعرابيات . وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان كان يقول : أضرَّ بنا حب الوليد . لأن الوليد كان لحانا وكان سليمان فصيحا ، لأن الوليد أقام مع أمه ، وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية فتعربوا ثم أدبوا فتأدبوا . (راجع الروض الأنف وشرح المواهب) .

(١) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « قال » ولعل تذكير الفعل على معنى الشخص .

(٢) ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لايقبل إلا على ثدى واحد ، وكان يعرض عليه الثدى الآخر فيأباه ، كأنه قد أشعر عليه الصلاة والسلام أن معه شريكا في لبانها . (راجع الروض الأنف) .

(٣) كذا في أكثر الأصول والطبرى . وفي ا والروض الأنف : « رويا » .

(٤) كذا في الأصول . يريد : اعلمي . وفي الطبرى : « أتعلمين . . . الخ » .

قالت : ثم خرجنا وركبت [أنا][1] أتانى ، وحملته عليها معى . فوالله لقطعتْ بالرَّكب ، ما يَقْدِر عليها[2] شىء من حُمُرهم ، حتى إنّ صَواحبى ليقلْن لى : يابنة أبى ذُؤَيب ، ويحك ! اربَعى[3] علينا ، أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله ، إنها لهى هى ؛ فيقلن : والله إن لها لشأنا . قالت :

٥ ثم قَدِمْنا منازلَنا من بلاد بَنى سَعْد ، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدبَ منها ، فكانت غَنمى تروح علىّ حين قَدِمْنا به معنا شِباعاً لُبّناً ، فنحلُب ونشرب ، وما يحلُب إنسان قَطْرة لبن ، ولا يجدها فى ضَرع ، حتى كان الحاضرون من قَوْمنا يقولون لرُعْيانهم : ويلكم اسْرَحُوا حيث يسرَح راعى بنت أبى ذُؤَيب ، فتروح أغنامهم جياعًا ما تَبِضّ بقطرة لبن ، وتروح غَنمى شِباعاً لُبنا . فلم نزل نتعرّف

١٠ من الله الزيادةَ والخير[4] حتى مضت سنتاه[5] وفصلتُه ، وكان يشِبّ شَبابًا لا يشبّه الغِلمان ، فلم يبلغ سنَتيْه حتى كان غلامًا جَفْرا[6] . قالت : فقَدِمْنا به على أُمّه ونحن أحرصُ شىء على مُكْثه فينا ، لِما كنّا نرى من بَركته . فكلّمنا أمّه وقلت لها : لو تركتِ بُنَىّ عندى حتى يغلُظَ ، فإنى أخشى عليه وَبأ[7] مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى ردّته معنا .

١٥ قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مَقْدمنا [به][1] بأشهر مع أخيه لفى بَهْم[8] لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يَشْتدّ[9] ، فقال لى ولأبيه :

حديث الملكين اللذين شقا بطنه صلى الله عليه وسلم

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) فى ا : « علىّ » .

(٣) اربعى : أقيمى وانتظرى . يقال : ربع فلان على فلان ، إذا أقام عليه وانتظره . ومنه

٢٠ قول الشاعر :

* عودى علينا واربعى يا فاطما *

(٤) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « الزيادة والخيرة » . وفى الطبرى : « زيادة الخير » .

(٥) فى الطبرى : « سنتان » .

(٦) الجفر : الغليظ الشديد .

٢٥ (٧) الوبأ (يهمز ويقصر) والوباء (بالمد) : الطاعون .

(٨) البهم : الصغار من الغنم ، واحدتها : بهمة .

(٩) اشتد فى عدوه : أسرع .

ذاك أخى القُرشىّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه ، فشقّا بطنَه ، فهما يَسُوطانه[1] . قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائماً مُنْتَقِعاً[2] وجهُه . قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يا بُنى ؟ قال : جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعانى وشقّا بطنى ، فالتمسا [فيه] شيئاً لا أدرى ما هو . قالت : فرجعنا [به][3] إلى خِبائنا .   ٥

رجوع حليمة به صلى الله عليه وسلم إلى أمه

قالت : وقال لى أبوه يا حَليمة ، لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أُصيب ، فألْحقيه بأهلِه قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه فقَدِمْنا به على أمه ، فقالت : ما أقْدمك به يا ظِئْر[4] وقد كنتِ حريصةً عليه ، وعلى مُكْثه عندك ؟ قالت : فقلت[5] : قد بلغ الله بأبنى وقضيتُ الذى علىّ ، وتخوّفتُ الأحداث ، عليه فأدّيته إليك[6] كما تُحبّين ؛ قالت : ما هذا شأنك ، فاُصدُقينى خَبَرَكِ . قالت : فلم تدعْنى حتى أخبرتُها . قالت : أفتخوّفتِ عليه الشيطانَ ؟ قالت : قلت : نعم ؛ قالت : كلاّ ، والله ما للشيطان عليه من سَبيل ، وإن لبُنَىّ لشأنا ، أفلا أخبرُكِ خبرَه قالت : [قلت][3] بلى ؛ قالت : رأيتُ حين حملتُ به أنه خَرَج منّى نورٌ أضاء[7] لى قُصورَ بُصْرَى[8] من أرض الشام ، ثم حملتُ به ، فوالله ما رأيتُ من حَمْل قطُّ كان أخفّ [على][3]   ١٥

---

(١) يقال : سطت اللبن أو الدم أوغيرهما أسوطه : إذا ضربت بعضه ببعض . واسم العود الذى يضرب به : السوط .

(٢) منتقعا وجهه : أى متغيرا ، يقال : انتقع وجهه وامتقع (بالبناء للمجهول) : إذا تغير .

(٣) زيادة عن ا والطبرى .

(٤) الظئر (بالكسر) : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له ، فى الناس وغيرهم ، فهو أعم من المرضعة ، لأنه يطلق على الذكر والأنثى .   ٢٠

(٥) كذا فى ا والطبرى . وفى سائر الأصول : « فقلت : نعم قد بلغ . . . الخ » .

(٦) كذا فى الطبرى . وفى الأصول : « عليك » .

(٧) كذا فى ا والطبرى . وفى سائر الأصول : « أضاء لى به قصور . . . الخ » .

(٨) بصرى (بالضم والقصر) : من أعمال دمشق بالشام ، وهى قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثا ، ولهم فيها أشعار كثيرة . (راجع معجم البلدان) .   ٢٥

ولا أيسرَ منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضعٌ يَدَيْه بالأرض ، رافعٌ رأسَه إلى السماء ، دَعِيه عنك وانطلقى راشدةً .

تعريفه صلى الله عليه وسلم بنفسه وقد سئل عن ذلك

قال ابن إسحاق وحدّثنى ثَوْر[1] بن يزيد عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن مَعْدان[2] الكَلاعى .

٥ أنّ نفرًا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالوا له : يا رسول الله : أخبِرْنا عن نَفْسك ؟ قال : نعم . أنا دعوة أبى إبراهيم[3] ، و بُشْرى [أخى][4] عيسى ، ورأتْ أمّى حين حملتْ بى أنه خرج منها نور أضاء لها قُصورَ الشام[5] ، واستُرضِعتُ فى بَنى سَعْد بن بَكْر ، فبينا أنا مع أخ لى خلفَ بُيوتنا نرعى بَهْمًا لنا ، إذ أتانى رجلان عليهما ثيابٌ بيض بطَسْت من ذهب مملوءة ثلجا ، ثم

١٠ أخذانى فشقّا بطنى ، واستخرجا قَلْبى فشقّاه ، فاستخرجا منه علقةً سوداء فطرحاها ، ثم غَسَلا قلبى و بَطْنى بذلك الثلج حتى أَنْقَياه[6] ، ثم قال أحدُهما

---

(١) هو ثور بن يزيد الكلاعى ، ويقال الرحبى ، أبو خالد الحمصى أحد الحفاظ العلماء . روى عن خالد هذا وحبيب بن عبيد وصالح بن يحيى وغيرهم ، وروى عنه ابن المبارك ويحيى القطان ، وخلق كثير ، وكان يرى القدر . ومات سنة ثلاث وخمسين ومئة وهوابن بضع وستين سنة ،

١٥ وقيل مات سنة خمس وخمسين ومئة : (راجع تراجم رجال) .

(٢) هو خالد بن معدان بن أبى كريب الكلاعى أبو عبد الله الشامى الحمصى . روى عن ثوبان وابن عمرو وابن عمر وغيرهم . وروى عنه بجير بن سعيد ومحمد بن إبراهيم بن الحارث وغيرهما . توفى سنة ١٠٣ ، وقيل سنة ١٠٤ ، وقيل سنة ١٠٨ . (راجع تهذيب التهذيب) .

(٣) كذا فى أكثر الأصول والطبرى . وفى ا : « دعوة إبراهيم » .

٢٠ (٤) زيادة عن الطبرى .

(٥) وتأويل هذا النور مافتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره صلى الله عليه وسلم . ويحكى أن خالد بن سعيد بن العاصى رأى قبل البعث بيسير نورا يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر فى نخيل يثرب ، فقصها على أخيه عمرو ، فقال له : إنها حفيرة عبد المطلب وإن هذا النور منهم . فكان ذلك سبب مبادرته

٢٥ إلى الإسلام . (راجع الروض الأنف) .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال : ثم قال . . . الخ » .

لصاحبه زِنْه بعشرة من أُمّته ، فوزَنَنى بهم فوزنتُهم ، ثم قال : زِنْه بمئة من أُمّته ، فوزننى بهم فوزنتُهم ، ثم قال : زنه بألف من أُمّته ، فوزننى بهم فوزَنتُهم ؛ فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنتَه بأمّته لوزنها[(١)] .

قال صلى الله عليه وسلم : إنه هو والأنبياء قبله رعوا الغنم.

قال ابن إسحاق :

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : ما من نبىّ إلا وقد رَعَى الغنم ؛ ٥
قيل : وأنت يا رسولَ الله ؟ قال : وأنا[(٢)] .

اعتزازه صلى الله عليه وسلم بقرشيته واسترضاعه فى بنى سعد.

قال ابن إسحاق .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول لأصحابه : أنا أعربكم . أنا قرشى واستُرضعتُ فى بنى سَعْد بن بكر .

افتقدته حليمة صلى الله عليه وسلم حين رجوعها به ووجده ورقة ابن نوفل.

قال ابن إسحاق : ١٠

وزعم الناسُ فيما يتحدّثون ، والله أعلم : أنّ أُمّه السعديّة لما قدمت به مكةَ أضلّها فى الناس وهى مقبلةٌ به نحو أهله ، فالتمستْه فلم تجده ، فأتت عبدَ المطّلب ، فقالت له : إنى قد قدمت بمحمّد هذه الليلةَ . فلما كنتُ بأعلى مكّة أضلّنى ، فوالله ما أدرى أين هو : فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو اللهَ أن يردّه . فيزعمون أنه وجدَه ورقةُ بنُ نوفل بنِ أَسَد ، ورجلٌ آخر من قُرَيش ، ١٥
فأَتَيا به عبدَ المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلَى مكة ، فأخذه عبدُ المطلب ، فجعله عَلَى عُنقِه وهو يطوف بالكعبة يُعوِّذه ويدعو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

---

(١) وزاد الطبرى بعد هذا : « قال ثم ضمونى إلى صدرهم ، وقبلوا رأسى ومابين عينى ، ثم قالوا : ياحبيب ، لم ترع ، إنك لوتدرى مايراد بك من الخير لقرت عينك » . ٢٠

(٢) المعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رعى الغنم فى بنى سعد مع أخيه من الرضاعة ، وأنه رعاها بمكة أيضاً على قراريط لأهل مكة . (راجع الروض الأنف) .

قال ابنُ إسحاق : وحدّثنى بعضُ أهل العلم :

أن مّما هاج أمّه السَّعْدية عَلَى ردّه إلى أمه ، مع ماذكرتْ لأُمه مما أخبرتْها عنه ، أنّ نَفَراً من الحَبشة نصارى ، رأوْه معها حين رجعتْ به بعدَ فِطامه ، فنظروا إليه وسألوها عنه وقلّبوه ، ثم قالوا لها : لنأخذنّ هذا الغلامَ، فلنذهبنّ به إلى مَلِكنا وبَلَدنا ، فإنّ هذا غلامٌ كائن له شأن نحن نعرف أمرَه ، فزعم الذى حدّثنى أنها لم تكَدْ تنفلت به منهم .

وفاة آمنة وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بعدها

وفاة آمنة

قال ابن إسحاق :

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع أُمّه آمنة بنت وَهْب . وجدِّه عبد المطلب بن هاشم فى كِلاَءة الله وحِفْظه ، يُنبته الله نباتا حسناً لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ستَّ سنين ، توفيت أُمّه آمنة بنت وَهْب .

قال ابن إسحاق : حدّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم :

أن أم رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم آمنة تُوفّيت ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ابن ست سنين بالأبْواء . بين مكة والمدينة . كانت قد قَدِمت به على أخواله من بَنى عَدِىّ بن النجّار . تُزيره إيّاهم ، فماتت وهى راجعة به إلى مكّة[1] .

سبب خؤولة بنى عدى بن النجار لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابنُ هشام :

أم عبد المطلب بن هاشم : سَلْمى بنت عمرو النجّارية . فهذه الخُؤولة التى

---

(١) ويقال إن قبر آمنة بنت وهب فى شعب أبى ذر بمكة . (راجع الطبرى) .

ذكرها ابنُ إسحاق لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيهم .

إكرام عبد المطلب له صلى الله عليه وسلم وهو صغير

قال ابن إسحاق :

فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع جدّه عبد المطلب بن هاشم ، وكان يُوضع لعبدِ المطلب فِراش فى ظلّ الكعبة ، فكان بَنوه يجلسون حول فِراشه ذلك حتى يخرج إليه . لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له . قال : فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يأتى وهو غُلام جَفْر ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامُه ليؤخّروه عنه ، فيقول عبدالمطلب ، إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابْنى ، فوالله إن له لشأناً ؛ ثم يُجلسه معه على الفراش[1] ، و يمسح ظهرَه بيده ، و يسرّه مايراه يصنع . ٥

وفاة عبد المطلب وما رثى به من الشعر

وفاة عبد المطلب ، وما قيل فيه من الشعر

فلما بلغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ثمانى سنين هلَك عبدُ المطّلب ابنُ هاشم . وذلك بعدَ الفيل بثمانى سنين . ١٠

قال ابن إسحاق : حدثنى العبّاس[2] بن عبد الله بن مَعْبد بن العباس عن بعض أهله :

أن عبد المطّلب تُوفى ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلم ابنُ ثمانى سنين[3] .

قال ابن إسحاق : حدّثنى محمد بن سَعيد بن المُسيِّب : ١٥

أن عبد المطلب لما حضرتْه الوفاةُ وعرَف أنه ميّت جمع بناتِه ، وكنّ

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « . . . معه عليه . . . الخ» .

(٢) هو العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمىّ المدنى . روى عن أخيه إبراهيم وأبيه وعكرمة وغيرهم . وروى عنه ابن جريج وابن إسحاق ووهيب وسفيان بن عيينة والدراوردى . (عن تراجم رجال) . ٢٠

(٣) وبعضهم يقول : توفى عبد المطلب ورسول الله ابن عشر سنين . (راجع الطبرى) .

ستّ نِسْوة : صفيّة ، وبَرّة ، وعاتكة ، وأم حَكيم البَيْضاء ، وأُمَيْمة ، وأَرْوى ، فقال لهن : أُ بكين علىّ حتى أسمع ما تقلْن قبل أن أموت .

قال ابن هشام :

ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لمّا[1] رواه

٥ عن محمد بن سَعيد بن المُسيِّب كتبناه .

رثاء صفية لأبيها عبد المطلب

فقالت صَفيّة بنةُ عبد المطّلب تَبْكى أباها :

أَرِقتُ لصوت نائحةٍ بليْلٍ ... على رَجُل بقارعةِ الصَّعيدِ

ففاضت عند ذلكمُ دُموعى[2] ... على خدِّى كمُنْحدِرِ القَريد[3]

على رَجُل كريم غيرِ وَغْل[4] ... له الفضلُ المُبين على العَبِيد

١٠ على الفَيّاض شَيْبة ذى المَعالى ... أبيكِ الخير وارثِ كلّ جُود[5]

صَدُوق فى المَواطن غيرِ نِكْس ... ولا شَخْت المقام ولا سَنِيد[6]

طَويل الباع أَرْوع شَيْظَمِىّ[7] ... مُطاعٍ فى عَشيرته حَميد

رَفيع البيت أَبْلج ذى فُضول ... وغَيْث الناس فى الزّمن[8] الحَرُود[9]

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « إلا أنه رواه . . . كما كتبناه » .

١٥ (٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا :

* ففاضت عند ذاك دموع عينى *

(٣) الفريد : الدر .

(٤) الوغل : الضعيف النذل الساقط المقصر فى الأشياء .

(٥) أرادت « الخيِّر » بالتشديد فخففت ، ويجوز أن يكون الخير (هاهنا) : ضد الشر ، جعلته

٢٠ كله خيرا على المبالغة .

(٦) النكس : الرجل الضعيف الذى لاخير فيه . والشخت (بالفتح وبالتحريك) : الدقيق الضامر من الأصل لاهزالا . والسنيد : الضعيف الذى لايستقل بنفسه حتى يسند رأيه إلى غيره .

(٧) الشيظمى : الفتى الجسيم .

(٨) فى ا : « فى الزمان » . ولا يستقيم بها الوزن .

٢٥ (٩) كذا فى أكثر الأصول . والحرود : الناقة القليلة الدر ، شبه الزمن فى جدبه بها . وفى ا : « الجرود » . والجرود : جمع جرد ، وهو المكان لانبات فيه .

كريم الجدّ ليس بذى وُصُوم[1] يَروق على المسـوّد والمَسُود
عظيم الحِلْم من نَفَرٍ كِرام خَضارمة ملاوثةٍ أُسـود[2]
فلو خَلَد امرؤ لِقديم مَجْـد ولـكنْ لا سبيلَ إلى الخُلود
لكان مُخلَّدًا أُخرَى الليالى لِفضْل المَجْد والحَسب التَّليد

رثاء برة لأبيها عبد المطلب

وقالت برّة بنت عبد المطلب تبكى أباها : ٥

أعينىّ جُـودا بدَمْع دُرَرْ عَلَى طَيِّب الخِيم والمُعْتَصَر[3]
عَلَى ماجِدِ الجدّ وارى الزِّناد جميـل المُحيَّا عظيم الخَطَر
على شَيْبة الحَمْد ذى المَـكْرُمات وذى المَجْد والعزّ والمُفْتخر
وذى الحِلم والفَضْل فى النّائبات كثيرِ المَـكارم جَمّ الفَجَر[4]
له فضـلُ مَجْدٍ على قَوْمه مُنير يلوحُ كضـوء القَمر ١٠
أتتْه المَنايا فلم تُشْـوِه[5] بصَرْف اللّيالى ورَيب القدر[6]

رثاء عاتكة لأبيها عبد المطلب

وقالت عاتكةُ بنت عبد المطّلب تَبْكى أباها :

أعينىّ جُـودَا ولا تَبْخلاَ بدَمْعكما بعـد نَوْم النّيامْ
أعينىّ واسْتَحْنِفرَا واسْكُبا وشُـوبَا بكاءَكما بالْتِدام[7]
أعينىّ واسْتَخْرِطا واسجُما عَلَى رَجُل غير نِكْس كَهام[8] ١٥

---

(١) الوصوم : جمع وصم ، وهو العار .

(٢) الخضارمة : جمع خضرم (كزبرج) . وهو الجواد المعطاء والسيد الحمول . والملاوثة : جمع ملواث ، من اللوثة ، وهى القوة ، ومنه قول المكعبر :

* عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا *

(٣) الخيم (بالكسر) : السجية والطبيعة . ومعنى كونه طيب المعتصر ، أنه جواد عند المسألة . ٢٠

(٤) الفجر : العطاء ، والكرم ، والجود ، والمعروف ، والمال وكثرته .

(٥) لم تشوه : لم تصب الشوى بل أصابت المقتل . والشوى : الأطراف .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وريث القمر » وهو تحريف .

(٧) استحنفر المطر وغيره : كثر صبه . والالتدام : ضرب النساء وجوههن فى النياحة .

(٨) استخرط الرجل فى البكاء : لج فيه . والكهام : الرجل الكليل المسن . يريد أنه ليس بنكس ، أى ضعيف ولا كليل. ٢٥

عَلَى الجَحْفل الغَمْر فى النائبات كريم المَساعى وَفِىّ الذِّمام(١)

عَلَى شَيْبة الحَمْد وارى الزِّناد وذى مَصْدَق بعدُ ثَبْت المَقام

وسيفٍ لَدَى الحَرْب صَمْصامة ومُرْدى المُخاصم عند الخِصام

وسَهْل الخَليقة طَلْق اليَدَيْن وَفِى(٢) عُدْ مُلِىّ صَمِيمٌ لُهام(٣)

٥ تبنّكَ فى باذخٍ . بيْتُه رفيعُ الذُّؤابة صَعْب المَرام(٤)

رثاء أم حكيم لأبيها عبد المطلب

وقالت أمُّ حَكيم البَيْضاء بنتُ عَبْد المطّلب تَبْكى أباها :

ألاَ يا عينُ جُودِى واستهلّى وَبكِّى ذا النّدَى والمَكْرُماتِ(٥)

ألا يا عينُ وَيحْكِ أسْعفينى(٦) بدَمْع من دُموعٍ هاطلات

وَبكِّى خيرَ مَنْ رَكِب المَطايا أباكِ الخَيْر تيّار الفُرات(٧)

١٠ طَويل الباع شَيْبة ذا المَعالى كَرِيم الخِيم مَحْمود الهِبات(٨)

وَصولاً للقَرابة هِبْرِزِيّا وغَيْثاً فى السِّنين المُمْحِلات(٩)

ولَيْثاً حين تَشْتجر العوالِى تَرُوقُ له عُيون النّاظرات(١٠)

عَقيل بَنى كِنانة والمُرَجَّى إذا ما الدَّهرُ أَقبلَ بالهَنات(١١)

---

(١) الجحفل : الرجل العظيم ، والسيد الكريم .

١٥ (٢) خففت الياء من « وفى » ليستقيم الوزن .

(٣) العدملى : الضخم . واللهام (كغراب) : الكثير الخير .

(٤) تبنك : تأصل ، مأخوذ من البنك (بضم الباء) ، وهو أصل الشىء وخالصه . تريد أن بيته تأصل فى باذخ من الشرف .

(٥) استهلى : أظهرى البكاء . وبكى : أمر من بكاه (بالتشديد) ، بمعنى بكى عليه ورثاه .

٢٠ (٦) فى ا : « أسعدينى » . وأسعده : أعانه على البكاء .

(٧) أصله الخير (بالتشديد) خففت الياء . والتيار : معظم الماء . والفرات : الماء العذب .

(٨) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٩) الهبرزى : الجميل الوسيم . ويقال : الحاذق فى أموره .

(١٠) تشتجر : تختلط . والعوالى : الرماح . تريد حين تجد الحرب .

٢٥ (١١) الهنات : جمع هنة ، وهى كناية عن القبيح .

وَمَفْزَعها إذا ماهاج هَيْجٌ بداهية وخَصْم المُعْضِلات[1]
فَبَكِّيه ولا تَسْمى بحُزْنه وَبَكِّى ، ما بَقيتِ ، الباكيات[2]

رثاء أميمة لأبيها عبد المطلب

وقالت أُمَيْمة بنتُ عَبْد المطّلب تَبْكى أباها :

أَلا هَلَكَ الرّاعى العشيرة ذو الفَقْدِ وساقِى الحَجيج والمُحامى عن المَجْدِ[3]
ومن يُؤْلف الضيفَ الغريبَ بيوتَه إذا ما سماء الناسِ تَبْخَل بالرّعد
كَسبتَ وليداً خَيْرَ مايكسبُ الفَتى فلم تَنفَككَ تزدادُ يا شيبةَ الحَمْد
أبو الحارث الفَيّاض خلّى مكانَهُ فلا تبعدن فكلّ حىّ إلى بُعْد
فإنى لَباكٍ ما بقيتُ ومُوجَع وكان له أهلاً لما كان من وَجْدى[4]
سقاكَ ولىُّ الناس فى القَبْر مُمْطِرًا فسوف أُبكّيه وإن كان فى اللَّحْد
فقد كان زَيْناً للعَشيرة كلِّها وكان حَميدًا حيث ما كان من حَمْد

رثاء أروى لأبيها عبد المطلب

وقالت أَرْوى بنتُ عبد المطّلب تَبْكى أباها :

بكتْ عَيْنِى وحقّ لها البُكاء عَلَى سَمْحٍ سَجِيّته الحَياء[5]
عَلَى سَهْل الخَليقَة أَبْطحىّ كريم الخِيم نيّته العَلاء[6]
عَلَى الفَيّاض شَيْبَة ذى المَعالى أبيك الخَيْر ليس له كِفاء[7]

---

(١) مفزعها : ملجؤها . والهيج : الحرب ، وهو من التسمية بالمصدر .
(٢) ولا تسمى : أى لاتسأمى ، فسهل الهمزة بالنقل ثم حذف .
(٣) الراعى العشيرة : الحافظ لعشيرته . وفى الفقد : الذى يفقد ، تريد الباذل المعطى .
(٤) أخبرت بهذا الشطر عن نفسها إخبار المذكر ، على معنى الشخص ، كما قيل :

قامت تبكيه على قبره من لى من بعدك يا عامر
تركتنى فى الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر

[تريد : شخصاً ذا غربة] .
(٥) السجية : الطبيعة .
(٦) أى من قريش البطاح : وهم الذين ينزلون بين أخشبى مكة .
(٧) الكفاء : المثل .

طويل الباعِ أَمْلسُ شَيْظَمِيٌّ أغرُّ كأنّ غُرّته ضِياءُ[1]
أقبُّ الكَشْح أَرْوعُ ذي فُضول له المَجْدُ المقدَّمُ والسَّناءُ[2]
أَبِيُّ الضَّيْمِ أبلجُ هِبْرِزيٌّ قديمُ المجدِ ليس له[3] خَفاءُ
ومَعْقِلُ مالكٍ ورَبيع فِهْرٍ وفاصِلُها[4] إذا التُمِسَ القضاءُ
٥ وكان هو الفتى كرمًا وجُودًا وبأسًا حين تَنْسكبُ الدِّماءُ
إذا هابَ الكُماةُ الموتَ حتى كأنّ قلوبَ أكثرِهم هَواءُ[5]
مضى قُدُمًا بذي رُبَدٍ خَشيبٍ[6] عليه حين تُبصره البَهاءُ[7]

قال ابن إسحاق :

فزعم لي محمد بن سَعيد بن المسيِّب أنه أشار وقد برأسه أُصْمِتَ[8] :
١٠ أن هكذا فأُبكِينني .

نسب السيب

قال ابن هشام : [و][9] المسيِّب[10] ابنُ حَزْن[11] بن أبي وَهْب بن عَمْرو ابن عائذ بن عِمْران بن مَخْزوم .

---

(١) الشيظمي : المقول الفصيح .
(٢) الأقب : الضامر . والكشح : الخصر . والأروع : من يعجبك بحسنه ،
١٥ ومنظره وشجاعته .
(٣) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « به » .
(٤) كذا في ا . والفاصل : الذي يفصل في الخصومات . وفي سائر الأصول : «وفاضلها» بالضاد المعجمة ، وما أثبتناه أولى للسياق .
(٥) الكماة : الشجعان ، واحدهم : كمي .
٢٠ (٦) الربد (كصرد) الفرند . والخشيب : الصقيل .
(٧) ويروى : « الهباء » . يريد به مايظهر على السيف المجوهر تشبيها بالغبار .
(٨) أصمت العليل : اعتقل لسانه .
(٩) زيادة عن ا .
(١٠) أهل العراق يفتحون الياء من « المسيب » ، وأهل المدينة يكسرون ، ونقل عن
٢٥ سعيد ابنه أنه كان يقول : سيب الله من سيب أبي ، وحكى الكسر عياض وابن المديني .
(١١) روى سعيد بن المسيب ، قال : أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يغير اسم جدي ويسميه سهلا فأبى ، وقال : لا أغير اسما سماني به أبي . فما زالت تلك الحزونة فينا . (راجع شرح القاموس مادة حزن) .

رثاء حذيفة لعبد المطلب

قال ابن إسحاق :

وقال[1] حُذَيفة[2] بن غانم أخو بَنى عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ ، يبكى عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويَذكر فضلَه وفضلَ قُصىّ على قُريش ، وفضلَ وَلَده من بعده عليهم ، وذلك أنه أُخذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكّة ، فوقف بها فمرّ به أبو لَهَب عبدُ العزّى بن عبد المطّلب فافتكّه :

أعينىّ جُودَا بالدُّموع على الصَّدر ... ولا تَسْأما أُسْقيتما سَبَل القَطْرْ[3]

وجُودا بدَمع واسفَحا كلَّ شارق ... بُكاءَ أمرئ لم يُشْوِه نائبُ الدهر[4]

[وسُحَّا وجُمَّا واسجُما ما بَقيتما[5] ... على ذى حَياء من قُريش وذى سِتْرْ][6]

على رجل جَلْد القُوى ذى حَفيظة ... جميل المُحَيّا غير نِكْس ولا هَذْرْ[7]

على الماجد البُهلول ذى الباع والندى[8] ... رَبيع لُؤىّ فى القُحوط وفى العُسْر[9]

---

(١) ويقال إن الشعر لحذافة بن غانم ، وهو أخو حذيفة ، ووالد خارجة بن حذافة ، وله يقول فى هذه القصيدة :

* خارج إما أهلكن فلا تزل *

(٢) وهو والد أبى جهم عبيد بن حذيفة ، وهو الذى أهدى الخميصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى علمها فردها . وأم أبى جهم : يسير بنت عبد الله بن أذاة بن رياح . وابن أذاة هو خال أبى قحافة . (راجع الروض الأنف) .

(٣) السيل : المطر .

(٤) كل شارق : أى عند طلوع الشمس كل يوم ، ولم يشوه : لم يخطئه .

(٥) سحا : صبا . وجما : أجما وأكثرا . واسجما : أسيلا .

(٦) زيادة عن ا .

(٧) الحفيظة : الغضب مع عزة . والنكس من السهام : الذى نكس فى الكنانة ليميزه الرامى فلا يأخذه لرداءته ؛ وقيل : الذى انكسر أعلاه فنكس ورد أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرمى . والهذر : الكثير الكلام فى غير فائدة .

(٧) البهلول : السيد .

(٩) كذا فى أكثر الأصول . واللهى : العطايا . وفى ا : « والندا » . وفى رواية أخرى : « والنهى » . والنهى : جمع نهية ، وهى العقل .

على خَيْر حافٍ من مَعدّ وناعلٍ ... كريم المَساعى طيّب الخِيم والنَّجْر[1]

وخَيْرُهمُ أصـــلاً وفرعًا ومَعْدِناً ... وأحظاهمُ بالمُــكْرُمات وبالذّ كر

وأولاهمُ بالمجْــد والحِلْم والنُّهَى ... وبالفَضْل عند المُجْحِفات من الغُبْر[2]

على شَيْبة الحَمْد الذى كان وجهُه ... يُضىء ســوادَ اللّيل كالقمَر البَدْر

٥ وساقِى الحَجيج ثم للخير هاشمٌ[3] ... وعبدُ مناف ذلك السيّد الفِهْرى[4]

طوَى زمزمًا عند المقام فأصبحتْ ... سِقايتُه فَخراً عَلَى كلّ ذى فَخر

لِيَبْك عليه كلُّ عانٍ بكُرْبة ... وآل قُصَىّ من مُقلٍّ وذى وفْر[5]

بَنوه سَراة كَهْلهمْ وشَبابهم ... تفلّق عنهمْ بيْضة الطائر الصَّقْر[6]

قُصَىٌّ الذى عادى كِنانة كلها ... ورابط بيتَ الله فى العُسْر واليُسر

١٠ فإن تكُ غالته المنايا وصَرْفُها ... فقد عاش مَيْمونَ النَّقيبة والأمر[7]

وأبقَى رجالاً سادةً غيرَ عُزَّل ... مَصاليتَ أمثال الرّدينيّة السُّمْر[8]

أبو عُتبة المُلقِى إلىّ حِباءه ... أغرّ هِجان اللون من نَفَر غُرّ[9]

وحمزةُ مثل البَدْر يهتزّ للنّدى ... نقىّ الثياب والذّمام من الغَدْر

---

(١) النجر: الأصل.

١٥ (٢) المجحفات: التى تذهب بالأموال. والغبر: السنون المقحطات.

(٣) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «للخبز».

(٤) كذا فى الأصول. وفى شرح السيرة: «القهر» بالقاف. أى الذى يقهر الناس، فوصفه بالمصدر، كما تقول: رجل عدل، أو رجل صوم، أو رجل فطر.

(٥) العانى: الأسير.

٢٠ (٦) سراة: خيار.

(٧) النقيبة: النفس. وميمون النقيبة: منجح الفعال مظفر المطالب.

(٨) عزل: جمع أعزل. ولا يجمع أفعل على فعل، ولـكن جاء هكذا لأن الأعزل فى مقابلة الرامح، وقد يحملون الصفة على ضدها. وقد يجوز أن يكون أجراه مجرى «حسر» جمع حاسر، لأنه قريب منه فى المعنى. ومصاليت: شجعان. والردينية: الرماح.

٢٥ (٩) الحباء: العطاء. وهجان اللون: بيض.

وعبدُ مناف ماجـــد ذو حَفيظة ... وَ ولٌ لذى القُرْبى رَحيمٍ بذِى[1] الصِّهْر
كُهولُهم خـــيرُ الـكُهول ونَسْلهم ... كنَسْل المُلوكِ لاَ تبور ولا تحرى[2]
متى ما تلاقى منهمُ الدهرَ ناشئاً ... تَجِدْه بِإجْرِيَّا أوائله يَجْرى[3]
هُمُ ملئوا البَطْحاء مَجْداً وعِزَّةً ... إذا استُبِق الخيرات فى سالف العَصْر
وفيهم بُناة للعُـــلا وعِمارةٌ ... وعبدُ مناف جدّهمْ جابرُ الـكَسْر
بِإنْـكاح عَوْف بنتَه لِيُجِيرَنا ... مِن أعدائنا إذ أَسْلمتنا بنو فِهْر
فسِرْنَا تِهامىّ البـــلاد ونَجْدَها[4] ... بأَمْنِهِ حتى خاضت العِيرُ فى البَحْر[5]
وهُمْ حَضروا والناسُ بادٍ فريقهُم ... وليس بها إلا شيوخ بنى[6] عَمْرو[7]

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « لذى » .

(٢) لاتبور : لاتهلك . ولا تحرى : لاتنقص .

(٣) الإجريا (بالقصر والمد) : الوجه الذى تأخذ فيه وتجرى عليه .

(٤) يريد ما انخفض منها وماعلا .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بأمنة » . وهو تصحيف . وقد قال السهيلى فى التعليق على هذه الكلمة : « . . . حذف الياء من هاء الـكناية (الضمير) ضرورة ، كما أنشده سيبويه :

* سأجعل عينيه لنفسه مقنعا *

فى أبيات كثيرة أنشدها سيبويه ، وهذا مع حذف الياء والواو وبقاء حركة الهـاء ، فإن سكنت الهـاء بعد الحذف . فهو أقل فى الاستعمال من نحو هذا وأنشدوا :

* نضواى مشتاقان له أرقان *

وهذا الذى ذكرناه هو فى القياس أقوى لأنه من باب حمل الوصل على الوقف ، نحو قول الراجز :

* لمـا رأى أن لادعه ولا شبع *

ومنه فى التنزيل كثير ، نحو إثبات هاء السكت فى الأصل ، وإثبات الألف من أنا ، وإثبات ألف الفواصل نحو : « وتظنون بالله الظنونا » . وهذا الذى ذكره سيبويه من الضرورة فى هاء الإضمار إنمـا هو إذا تحرك ما قبلها نحو به ، ولا يكون فى هاء المؤنث ألبتة لخفة الألف ، فإن سكن ماقبل الهـاء نحو فيه ، كان الحذف أحسن من الإثبات .

(٦) شيوخ بنى عمرو : يريد بنى هاشم ، لأن اسمه عمرو .

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بنو » وهو تحريف .

بَنَوْها دياراً جَمَّـــة وطَوَوْا بها ... بئاراً تَسُحّ الماءَ من ثَبَجٍ بَحْرِ[1]

لكى يشربَ الحجّاج منها وغيرُهم ... إذا ابتدروها صُبْحَ تابعة النّحْرِ

ثلاثةُ أيّام تَظَلّ رِكابُهم ... مُخَيَّسةً[2] بين الأخاشب والحِجْرِ[3]

وقِدْمًا غَنينا قبلَ ذلك حِقْبةً ... ولا نَسْتقى إلا بخُمٍّ أو الحَفْرِ[4]

٥ وهم يَغْفرون الذنبَ يُنقَم دونه ... ويَعْفُون عن قولِ السّفاهة والهجْرِ[5]

وهم جَمعوا حِلْف الأحابيش كلّها ... وهم نَكّلوا عنّا غُواة بنى بَكْرِ[6]

فَخارِجَ ، إمّا أهلكنّ فلا تزل ... لهم شاكرًا حتى تُغَيَّب فى القبْرِ

ولا تنسَ ما أسدَى ابنُ لُبنى فإنه ... قد أسدى يدًا محقوقة منك بالشُّكرِ[7]

وأنت ابنُ لُبنى من قُصَىّ إذا انتموا ... بحيث انتهى قصدُ الفؤاد من الصَّدْرِ

١٠ وأنت تناولتَ العُـــلا فجمعتَها ... إلى مَحْتدٍ المَجْد ذى ثَبَج جَسْرِ[8]

سبقتَ وفُتَّ القومَ بَذْلاً ونائلاً ... وسُدْتَ وليدًا كلَّ ذى سُودَد غَمْرِ

وأمك سرٌّ من خُزاعة جَوْهر ... إذا حَصَّل الأنسابَ يومًا ذوو الخُبْرِ[9]

إلى سَبأ الأبطال تُنْمَى وتَنْتمى ... فأَكْرِم بها منسوبةً فى ذُرَا الزُّهْرِ

أبو شَمِرٍ منهمْ وعَمْرو بنُ مالك ... وذو جَدَن من قومها وأبو الجَبْرِ[10]

---

١٥ (١) كذا فى ا . وثبج كل شىء : معظمه . وفى سائر الأصول : « ... ثبج البحر » .

(٢) كذا فى الأصول . ومخيسة : مذللة . ويروى : « محبسة » . والمحبسة : المحبوسة .

(٣) الأخاشب : جبال بمكة ، وهما جبلان ، فجمعها مع ما يليهما .

(٤) خم والحفر : اسما بئرين . وقد تقدم الكلام عليهما .

(٥) الهجر : القبيح من الكلام الفاحش .

٢٠ (٦) الأحابيش : أحياء القارة ، انضموا إلى بنى ليث فى محاربتهم قريشا ، وقيل : حالفوا قريشا تحت جبل يسمى حبشيا ، فسموا بذلك . ونكلوا : صرفوا وزجروا .

(٧) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « مخفوفة » . (بفاءين) .

(٨) الجسر : الماضى فى أموره القوى عليها .

(٩) سر : خالصة النسب .

٢٥ (١٠) أبو شمر : مالك . ويقال له : الأملاك . وابنه شمر هو الذى بنى سمرقند ، ويحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغسانى والد الحارث بن أبى شمر . وعمرو بن مالك : قد يكون عمرا =

وأَسْعد قاد الناسَ عشرين حِجَّةً يُؤَيَّد فى تلك المَواطن بالنَّصْر[1]

قال ابن هشام :

« أُمُّكَ سر من خزاعة » ، يعنى أبا لهب ، أمه لُبْنَى بنت هاجر الخُزاعى .

وقوله : « بإجريّا أوائله » عن غير ابن إسحاق .

رثاء مطرود لعبد المطلب وبنى عبد مناف

قال ابن إسحاق : ٥

وقال مَطْرود بن كَعْب الخُزاعى يَبْكى عبدَ المطلب وبَنى عبد مناف :

يأيها الرجلُ المُحوِّل رحلَه هلا سألتَ عن آل عبدِ مَنافِ

هبَلَتكَ أُمّك لو حَلَلتَ بدَارهم ضَمِنوك من جُرْمٍ ومن إقْراف[2]

[الخالطين غنيّهم بفقيرهم حتى يعودَ فقيرُهم كالكافِى][3]

المُنْعِمين إذا النجومُ تغيّرت والظّاعنين لرِحْلة الإيلاف ١٠

والمُطْعِمينَ إذا الرّياحُ تناوحت حتى تغيبَ الشمسُ فى الرَّجّاف[4]

= ذا الأذعار . وأبو الجبر : ملك من ملوك اليمن ، ويقال : إن سمية أم زياد كانت لأبى جبر هذا ، ودفعها إلى الحارث بن كلدة المتطبب فى طب طبه .

(١) أسعد : هو أسعد أبو حسان بن أسعد ، وهو ومن ذكرهم فى البيت السابق ، من التبابعة ، وإنما جعلهم مفخرا لأبى لهب لأن أمه خزاعية من سبأ ، والتبابعة كلهم من حمير بن سبأ . ١٥

(٢) هبلتك : فقدتك . وهو على جهة الإغراء لاعلى جهة الدعاء ، كما تقول : تربت يداك ، ولا أبا لك ، وأشباههما . والإقراف : مقاربة الهجنة . أى منعوك من أن تنكح بناتك وأخواتك من لئيم فيكون الابن مقرفا للؤم أبيه وكرم أمه فيلحقك وصم من ذلك . ونحو منه قول مهلهل : ٢٠

أنكحها فقدها الأراقم فى جنب وكان الحباء من أدم

[أى أنكحت لقربتها من غير كفء وذلك أن مهلهلا نزل فى جنب ، وهو حى وضيع من مذحج ، فخطبت ابنته فلم يستطع منعها فزوجها ، وكان نقدها من أدم] .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) تناوحت : تقابلت . والرجاف (هنا) : البحر . ٢٥

إمّا هلكتَ أبا الفِعال فما جَرى   من فوق مثلك عَقْد ذاتِ نِطاف[1]
إلا أبيك أخِى المَكارم وحدَه   والفيض مُطّلب أبى الأضْياف[2]

ولاية العباس على سقاية زمزم

قال ابن إسحاق[3] :

فلما هلك عبدُ المطّلب بنُ هاشم وَلِى زمزمَ والسقايةَ عليها[4] بعده العباسُ ابنُ عبد المطلب ، وهو يومئذ من أحدث إخوته سنًّا ؛ فلم تزل إليه حتى قام الإسلامُ وهى بيده . فأقرّها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم له على ما مَضى من ولايته ، فهى إلى آل العبّاس ، بولاية العبّاس إياها ، إلى [هذا][5] اليوم .

كفالة أبى طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعد عبد المطّلب مع عمّه أبى طالب ، وكان عبدُ المطلب — فيما يزعمون — يُوصى به عمّه أباطالب ، وذلك لأنّ عبدَ الله ، أبا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأبا طالب أخوان لأب وأُم ، أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عِمْران بن مخزوم .

قال ابن هشام : عائذ ابنُ عِمْران بن مَخْزوم .

---

(١) النطاف : جمع نطفة ، وهى القرط الذى يعلق من الأذن . هذا على رواية من روى « عقد » بكسر العين ، ومن رواه بفتح العين جعل النطاف جمعا لنطفة ، وهى الماء القليل الصافى .

(٢) يريد أنه كان لأضيافه كالأب . والعرب تقول لكل جواد : أبو الأضياف ، كما قال مرة بن محكان :

أدعى أباهم ولم أقرف بأمهم   وقد عمرت ولم أعرف لهم نسبا

(٣) زيادة عن ا .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « عليهما » . وهو تحريف .

(٥) زيادة عن ا .

ولاية أبى طالب لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

وكان أبو طالب هو الذى يَلِى أمرَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعد جدّه فكان إليه ومعه .

نبوءة رجل من لهب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى[1] بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير أن أباه حدّثه . ٥

أنّ رجلا من لِهْب ـ قال ابن هشام : ولِهْب : من أزد شَنُوءة[2] ـ كان عائفاً[3] ، فكان إذا قَدِم مكّة أتاه رجالُ قُرَيش بغِلْمانهم ينظر إليهم و يعتاف لهم فيهم . قال : فأَتى به أبو طالب وهو غلام ، مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم شغله عنه شىء ، فلما فَرَغ قال : الغلام ، علىّ به . فلما رأى أبو طالب حِرْصَه عليه غَيَّبه عنه ، فجعل يقول : ١٠ ويلكم ! رُدّوا علىّ الغلام الذى رأيت آنفاً ، فوالله ليكوننّ له شأن . قال : فانطلق أبو طالب .

(١) وكان يحيى ثقة كثير الحديث . روى عن أبيه وجده وعمه حمزة وابن عم أبيه عبد الله ابن عروة بن الزبير . وعنه غير ابن إسحاق ابن عم أبيه هشام بن عروة وموسى بن عقبة وحفص بن عمر بن ثابت بن زرارة وعبد الله بن أبى بكر بن حزم ، ويزيد بن عبد الله بن ١٥ الهاد . مات وهو ابن ست وثلاثين . (راجع تهذيب التهذيب ، وتراجم رجال) .

(٢) وقيل : هو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . وهى القبيلة التى تعرف بالعيافة والزجر ، ومنهم اللهبى الذى زجر حين وقعت الحصاة بصلعة عمر رضى الله عنه فأدمته ، وذلك فى الحج فقال : أشعر أمير المؤمنين ، والله لا يحج بعد هذا العام ، فكان كذلك . وفيهم يقول كثير : ٢٠

تيممت لهبا أبتغى العلم عندهم وقد رد علم العائفين إلى لهب

(راجع شرح القاموس مادة لهب ، والروض الأنف) .

(٣) العائف : الذى يتفرس فى خلقة الإنسان فيخبر بما يؤول حاله إليه .

قصـــة بحيرى[1]

نزول أبي طالب ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببحيرى

قال ابن إسحاق :

ثم إنّ أبا طالب خرج فى رَكْب تاجراً إلى الشام ، فلما تهيّأ للرحيل وأجمع المسيرَ صَبّ به[2] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما يزعمون — فرقّ له ٥ [أبو طالب] . وقال : والله لأخرجنّ به معى ، ولا يفارقنى ، ولا أفارقه أبدا ، أو كما قال . فخرج به[3] معه ، فلما نزل الركبُ بُصْرى[4] من أرض الشام ، وبها راهبٌ يقال له بَحِيرى فى صَوْمعة له ، وكان إليه عِلْمُ أَهْل النصرانية ، ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قطّ راهبٌ ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها . فيما يزعمون ، يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العامَ بَبَحِيرى ، وكانوا كثيراً ما يمرّون

١٠ (١) واسم بحيرى (بحيرى بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورا ، وقيل ممدودا) : جرجيس (بكسر الجيمين) . ويقال : سرجس ، كما يقال : جرجس . وكان حبرا من أحبار يهود تيماء ؛ كما قيل إنه كان نصرانيا من عبد القيس ، وهو ماذهب إليــه ابن إسحاق هنا . ويقال إنه سمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة : بحيرى ورباب الشنى ، والثالث المنتظر ، فكان الثالث رسول الله صلى ١٥ الله عليه وسلم . (راجع المعارف ، ومروج الذهب ، والإصابة ، والروض ، وشرح المواهب) .

(٢) كذا فى الأصول والطبرى ، وشرح المواهب اللدنية (ج ١ ص ١٩٢ طبع المطبعة الأزهرية) . وصب به : مال إليه . وفى هامش الطبرى ، وشرح السيرة : « ضب به » بالضاد المعجمة . وضب به : تعلق به وامتسك . وفى رواية أخرى فى هامش الطبرى ، والروض ، وشرح المواهب : « ضبث » . وضبث به : لزمه . ومنه قول الشاعر :

٢٠ * كأن فؤادى فى يد ضبثت به *

(٣) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ابن تسع سنين ، وقيل ابن اثنتى عشرة سنة ، وقيل غير ذلك . (راجع الطبرى ، وشرح المواهب ، والروض) .

(٤) بصرى : مدينة حوران ، فتحت صلحاً لخمس بقين من ربيع الأوّل سنة ثلاث عشرة ، وهى أول مدينة فتحت بالشام ، وقد وردها صلى الله عليــه وسلم مرتين . (راجع ٢٥ شرح المواهب) .

به قبلَ ذلك فلا يكلِّمهم ولا يعْرِض لهم ، حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريباً من صَوْمعته صَنَع لهم طَعامًا كثيراً ، وذلك فيما يزعمون عن شىء رآه وهو فى صَوْمعته . يزعمون أنّه رأى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو فى صَوْمعته ، فى الرَّكْب حين أقبلوا ، وغمامة تُظِلّه من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فنزلوا فى ظلّ شجرة قريباً منه . فنظر إلى الغمامة حين أظلّت الشجرةَ ، وتَهصّرت[1] أغصانُ الشجرة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بَحِيرَى نزل من صَوْمعته[2] ، ثم أَرْسل إليهم ، فقال : إنى قد صنعتُ لكم طعامًا يا معشرَ قُريش ، فأنا أُحبّ أن تحضُروا كلُّكم ، صغيرُكم وكبيرُكم ، وعبدُكم وحرّكم ؛ فقال له رجل منهم : والله يا بَحيرَى إنّ لك لشأناً اليومَ ! فما كنتَ تصنع هذا بنا وقد كنا نَمُرّ بك كثيراً ! فما شأنُك اليومَ ؟ قال له بَحيرى : صدقتَ ، قد كان ما تقول ، ولكنّكم ضَيْفٌ وقد أحببتُ أن أكرمكم وأصنعَ لكم طعامًا فتأكلوا[3] منه كلّكم . فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من بين القوم ، لحداثة سنّه ، فى رِحال القوم تحت الشجرة ، فلما نَظَرَ بَحِيرَى فى القوم لم يَرَ الصفةَ التى يعرفُ ويَجِدُ عنده ، فقال : يا معشر قُريش ، لا يتخلفنّ أحدٌ منكم عن طَعامى ؛ قالوا له : يا بَحِيرى ، ما تخلّف عنك أحدٌ ينبغى له أنْ يَأْتيَك إلا غلامٌ ، وهو أحدثُ القوم سنًّا ، فتخلّف فى رِحالهم ؛ فقال : لا تفعلوا ، أُدعوه فليحضُر هذا الطعامَ معكم . قال : فقال رجل من قُرَيش مع القوم ؛ واللاتِ والعزّى ، إنْ كان لَلُوْمٌ بنا أن يتخلّف

---

(١) تهصرت : مالت وتدلت ؛ وتقول : هصرت الغصن ، وذلك إذا جذبته إليك حتى يميل .

(٢) كذا فى الطبرى ، وفى الأصول : « . . . نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل . . . الخ » .

(٣) كذا فى شرح المواهب وفى ا . وفى سائر الأصول : «فتأكلون» . وهو تحريف .

ابن عبد الله بن عبد المطّلب عن طعامٍ من بيننا ، ثم قام إليه فاحتَضَنه[1] وأَجلسه مع القوم . فلما رآه بَحِيرَى جعل يَلْحَظُه لَحْظاً شديداً وَيَنْظُرُ إلى أشياء من جَسَدِه ، قد كان يَجِدُها عنده من صِفتَه ، حتى إذا فَرَغ القومُ من طعَامهم وتفرقوا ، قام إليه بَحِيرَى ، فقال [له][2] : ياغلام ، أسألك بحق اللاتِ والعزّى إلاّ ما أخبرتَنى عَمّا أَسْأَلُكَ عنه ؛ وإنما قال له بَحِيرَى ذلك ، لأنه سَمِع قَومه يَحْلِفون بهما[3] . فزَعموا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال [له][2] : لا تسألنى باللاتِ والعزّى ، فوالله ما أبغضتُ شيئا قطُّ بغضَهما ؛ فقال له بَحِيرَى : فبالله إلاّ ما أخبرتَنى عما أسألك عنه ؛ فقال له : سَلْنى عمّا بدا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حالِه فى نَوْمه وهَيْئَتِهِ وأموره ؛ فجعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم يُخبره ، فيوافق ذلك ما عند بَحِيرَى من صِفتَه ، ثم نظر إلى ظَهْره فرأى خاتَمَ[4] النبوّة بين كَتِفَيْه على موضعه من صفتَه التى عنده .

قال ابن هشام : وكان مثلَ أثر الْمِحْجَم[5] .

قال ابن إسحاق :

فلما فرغ أقبل على عَمّه أبى طالب ، فقال له : ما هذا الغلامُ منك ؟ قال : أبنى . قال له بحيرَى : ما هو بابنك ، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًا ؛ قال : فإنه ابنُ أخى ؛ قال : فما فعل أبوه ؛ قال : مات وأمه حُبْلَى به ؛ قال :

---

(1) احتضنه : أخذه مع حضنه ، أى مع جنبه .

(2) زيادة عن ا .

(3) ويقال إنه إنما سأله باللات والعزى اختبارا ، وهو أولى من قول ابن إسحاق . (راجع الشفاء ، وشرح المواهب اللدنية) .

(4) قيل سمى بذلك لأنه من العلامات التى يعرفه بها علماء الكتب السابقة . (راجع شرح المواهب) .

(5) المحجم : الآلة التى يحجم بها . يعنى أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئا . وفى الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود ، وأنه كان كالتفاحة ، أو كبيضة الحمامة . عند نغض (غضروف) كتفه اليسرى . (راجع شرح المواهب ، والروض) .

صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحْذَر عليه يهودَ ، فوالله لئن رأَوْه وعرَفوا منهُ ماعرفتُ لَيَبْغُنّه[1] شرًّا ، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم ، فأسْرِعْ به إلى بلاده .

رجوع أبي طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان من زرير وصاحبيه

فخرج به عمُّه أبو طالب سريعاً حتى أقدمهُ مكةَ حين فرغ من تجارته بالشام ؛ فزعموا فيما رَوى الناسُ : أن زُرَيْراً وتمّاما ودَريسا ، وهم نَفَر من أهل الكتاب ، قد كانوا رأَوْا من رسول الله صلّى الله عليه وسلَّم مثل مارآه بَحِيرَى في ذلك السفر ، الذي كان فيه مع عمّه أبي طالب ، فأرادوه فردّهم عَنْهُ بَحِيرَى ، وذَكّرهم اللهَ وما يجدون في الكتاب من ذِكْرِه وَصِفَتِه ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم يخلُصوا إليه ، ولم يَزَلْ بهم حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدّقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه : فشبَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، والله تعالى يَكْلَؤُه ويحفظه ويحوطُه من أقذار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أنْ كان رجلاً ، وأفضلَ قومه مروءةً ، وأحسنَهم خُلقاً ، وأكرمَهم حسباً ، وأحسنَهم جواراً ، وأعظمهم حِلْماً ، وأصدقَهم حديثاً ، وأعظمهم أمانةً ، وأبعدَهم من الفحش والأخلاق التي تُدَنس الرجال تنزّهاً وتكرما ، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لِمَا جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

حديثه صلى الله عليه وسلم عن عصمة الله له في طفولته

وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم — فيما ذُكر لي — يُحدّث عمّا كان الله يحفظه به في صِغَرِه وأمْرِ جاهليته ، أنه قال :

لقد رأيتني في غِلْمانِ قُرَيش ننقل حجارةً لبعض مايلعب به الغِلْمانُ ، كلّنا قد تعرّى ، وأخذ إزاره فجعله على رَقَبته ، يحمل عليه الحجارة ؛ فإني لأُقبل معهم كذلك وأُدْبِر ، إذ لَكَمَني لاَكِمٌ ماأراه ، لكمةً وجيعةً ، ثم قال : شُدَّ عليك

(1) كذا في ا والطبري وشرح المواهب . وفي سائر الأصول : « ليبغينه » ، وهو تحريف .

إزارَكَ ؛ قال : فأخذْتُه وشددتُه علىّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزارى علَىَّ من بين أصحابى[1] .

حرب الفجار[2]

سببها

قال ابن هشام :

٥ فلما بلغ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أربعَ عشرةَ سنةً أو خمسَ عشرةَ

---

(١) قال السهيلى فى التعليق على هذا القصة : «وهذه القصة إنما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بنيان الكعبة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يحملون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملها على عاتقه وإزاره مشدود عليه ؛ فقال له العباس رضى الله عنه : يابن أخى ، لوجعلت إزارك

١٠ على عاتقك ؛ ففعل فسقط مغشيا عليه ، ثم قال : إزارى إزارى . فشد عليه إزاره ، وقام يحمل الحجارة .

وفى حديث آخر : أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه وسأله عن شأنه ، فأخبره أنه نودى من السماء : أن اشدد عليك إزارك يا محمد . قال : وإنه لأول مانودى .

وحديث ابن إسحاق ، إن صح أن ذلك كان فى صغره إذ كان يلعب مع الغلمان ، فحمله

١٥ على أن هذا الأمر كان مرتين ، مرة فى حال صغره ، ومرة فى أول اكتهاله عند بنيان الكعبة» .

(٢) الفجار (بالكسر) : بمعنى المفاجرة ، كالقتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالا فى الشهر الحرام ففجروا فيه جميعا ، فسمى الفجار .

وكان للعرب فجارات أربع ، آخرها فجار البراض هذا . وأما الفجار الأول فكان بين كنانة وهوازن ، وكان الذى هاجه أن بدر بن معشر ، أحد بنى عقال بن مليك من كنانة ، جعل له

٢٠ مجلسا بسوق عكاظ ، وكان حدثا منيعا فى نفسه ، ثم كان أن افتخر فى السوق وتصدى له الأحيمر بن مازن أحد بنى دهمان ، ثم تحاور الحيان عند ذلك حتى كاد أن تكون بينهما الدماء ، ثم تراجعوا ورأوا أن الخطب يسير .

وكان الفجار الثانى بين قريش وهوزان ، وكان الذى هاجه فتية من قريش تعرضوا لامرأة من بنى عامر بن صعصعة ، فهاجت الحرب . وكان بينهم قتال ودماء يسيرة ، فحملها حرب بن أمية

٢٥ وأصلح بينهم .

وكان الفجار الثالث بين كنانة وهوزان ، وكان الذى هاجه أن رجلا من بنى كنانة كان عليه دية لرجل من بنى نصر ، فأعدم الكنانى ، فعير النصرانى ذلك قومه بسوق عكاظ ، فقام إليه كنانى فضربه ، ثم تهايج الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال ، ثم تراجعوا . (راجع العقد الفريد ، والأغانى ج ١٩ ص ٧٤ — ٨٠ طبع بلاق)

سنةً ، فيما حدثنى أبو عُبيدة النحوىّ عن أبى عَمْرو بن العلاء ، هاجت حربُ الفجار بين قُرَيش ، ومن معهم من كِنانة ، و بين قَيْس عَيْلان . وكان الذى هاجها أنّ عُروة الرَّحّال بن عُتْبَة بن جَعْفَر بن كِلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ابن مُعاوية بن بَكْر بن هوازن ، أجار[1] لَطيمةً[2] للنعمان بن المُنْذر[3] ؛ فقال له البرّاض بن قَيْس ، أحد بَنى ضَمْرَة بن بَكْر بن عَبْد مَناة بن كِنانة : أتُجيرها[4] على كِنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الخَلْق [كله][5] . فخرج فيها عُروة الرَّحّال وخرج البَرّاض يَطْلب غَفْلته ، حتى إذا كان بتَيْمَن[6] ذى طِلال بالعالية ، غَفل عُروة ، فَوثب عليه البَرّاض فقتله فى الشهر[7] الحرام ، فلذلك سُمِّى الفِجار . وقال البَرّاض[8] فى ذلك :

وَدَاهيةٍ تُهِمّ الناسَ قَبْلى ... شَدَدْتُ لها بنى بَكْر ضُلوعى[9]

---

(١) كذا فى ا والعقد الفريد . وفى سائر الأصول : « أجاز » بالزاى ، وهو تصحيف .

(٢) اللطيمة : الجمال التى تحمل التجارة ، الطيب والبز وأشباههما .

(٣) وذلك أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث بسوق عكاظ فى كل عام لطيمة فى جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له حتى تباع هناك ، ويشترى له بثمنها من أدم الطائف ما يحتاج إليه . (راجع العقد الفريد ، والأغانى ج ١٩ ص ٧٥ طبع بلاق) .

(٤) كذا فى ا والعقد الفريد. وفى سائر الأصول : « أتجيزها » بالزاى ، وهو تصحيف.

(٥) زيادة عن ا .

(٦) تيمن ذو طلال : واد إلى جانب فدك ، فى قول بعضهم . والصحيح أنه بعالية نجد ، كما ذكر هنا (راجع معجم البلدان) .

(٧) ويقال إنما كان ذلك وعروة إلى جانب فدك ، إلى أرض يقال لها أوارة قريبة من تيمن ، يشرب فيها من الخمر وتغنيه قينة ، إلى أن قام فنام ، فعندها دخل عليه البراض فناشده عروة وقال : كانت منى زلة ، وكانت الفعلة منى ضلة ؛ فلم يسمع له وقتله . (راجع العقد الفريد والأغانى) .

(٨) ويروى عن البراض أيضا رجز قاله بعد قتله لعروة ، قبل هذا الشعر ، وهو يردد فيه قول عروة وندمه على ما كان منه :

قد كانت الفعلة منى ضله ... هلا على غيرى جعلت الزله

فسوف أعلو بالحسام القله

(٩) رواية هذا البيت فى العقد الفريد :

وداهية يهال الناس منها ... شددت على بنى بكر ضلوعى

هدمت بها بيوتَ بنى كِلابٍ   وأرضعتُ المَوالى بالضُّروع[1]

رفعت له[2] بذى طلاّل كَفِّى[3]   فخرَّ يَميدُ كالجِذْع الصَّرِيع[2]

وقال لَبيد بن رَبيعة بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب :

أبلغْ ، إنْ عرضت ، بنى كِلابٍ   وعامرَ والخُطوبُ لها موالى

٥ وبلغ ، إنْ عرضت ، بنى نُمَيْر   وأخوالَ القَتيل بنى هِلال

بأنّ الوَافد الرَّحال أمْسَى   مُقيماً عند تَيْمَن ذى طِلال

وهذه الأبياتُ فى أبياتٍ له فيما ذكر ابنُ هشام .

قال ابن هشام :

نشوب الحرب بين قريش وهوازن

فأتى آتٍ قريشاً فقال : إنّ البَراضَ قد قَتل عُرْوَةَ ، وهم فى الشهر الحرام

١٠ بعُكاظ ، فارتحلُوا وهوازنُ لا تَشْعر [بهم][4] ، ثم بلغهم الخبرُ فأَتْبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليلُ ، ودخلوا الحرمَ ، فأمسكت عنهم هَوازن ، ثم التَقَوْا بعد هذا اليوم أياما ، والقوم مُتساندون[5] ، على كل قَبيل من قريش وكِنانة رئيسٌ منهم ، وعلى كل قَبيل من قَيْس رئيسٌ منهم .

حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير فيها وعمره

وشهد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعضَ أيامهم ، أخرجه أعمامُه معهم .

---

١٥ (١) الضروع : جمع ضرع . يريد : ألحقت الموالى بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع ، وأظهرت فسالتهم ، وهتكت بيوت أشراف بنى كلاب وصرحائهم .

(٢) كذا ورد هذا الشطر فى أكثر الأصول ، و « طلال » فيه مشددة كما يقضى بذلك الوزن ، ولقد عقد أبو ذر والسهيلى بين « طلال » المشددة هنا ، و « طلال » المخففة فى بيت لبيد بعده موازنة ، التمسا فيها للبراض عذرا فى إيرادها مشددة ، ولو أنهما وقعا على ٢٠ رواية ا وهى :

* رفعت له يدى بذى طــلال *

لغنيا عن تلمس المعذرة ، وعقد هذه الموازنة هنا ، وعن الكلام على منع « طلال » من الصرف (على الرواية الأولى) على أنه اسم مؤنث معرف .

(٣) رواية هذا البيت فى العقد الفريد والأغانى :

٢٥ جمعت له يدى بنصــل سيف   أفل فخر كالجــذع الصريع

(٤) زيادة عن ا .

(٥) متساندون : أى ليس لهم أمير واحد يجمعهم .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كنت أُنَبِّلُ على أعمامى : أى أَردّ عليهم[1] نَبْلَ عدوّهم إذا رَمَوْهم بها .

سبب تسميتها بذلك

قال ابن إسحاق .

هاجت حربُ الفِجار ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ابنُ عشرين سنة .

و إنما سمِّى يوم الفِجار ، بما استحل هذان الحيّان ، كنانة وقَيْس عَيْلان ، فيه من المَحارمَ بينهم .

قواد قريش وهوازن فيها ونتيجتها

وكان قائدَ قريش وكنانة حَرْبُ [بن][2] أمية بن عَبْد شَمْس ، وكان الظَّفر فى أول النهار لقَيْس على كِنانة ، حتى إذا كان فى وسط النهار كان الظَّفر لكنانة على قيس .

قال ابن هشام :

وحديثُ الفِجار أطول ممّا ذكرت ، و إنما منعنى من استقصائه قَطْعُه حديثَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

سنه صلى الله عليه وسلم عند تزوجه من خديجة

قال ابن هشام :

فلما بلغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خمساً وعشرين[3] سنة ، تزوج خديجة[4] بِنتَ خُوَيلد بن أَسَد بن عَبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة

(١) فى الأصل : « عنهم » . والتصويب عن كتب اللغة .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) وقيل كان سنه صلى الله عليه وسلم إحدى وعشرين سنة ، وقيل ثلاثين، كما قيل سبعا وثلاثين ، وقيل غير ذلك . (راجع شرح المواهب ، والاستيعاب) .

(٤) وكان عمر خديجة إذ ذاك أربعين سنة . وقيل : خمسا وأربعين . وكانت تدعى فى الجاهلية بالطاهرة ، لشدة عفافها وصيانتها . وكانت تحت أبى هالة بن زرارة =

ابن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب ، فيما حدّثنى غيرُ واحد من أهل العِلْم عن أبى عمرو المَدنى .

خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الشام فى تجارة خديجة وما كان من بحيرى

قال ابن إسحاق :

وكانت خديجةُ بنتُ خُوَيلد امرأةً تاجرة ذاتَ شرف ومال ، تستأجر الرجال فى مالها وتُضاربهم[1] إياه ، بشىء تجعلُه لهم ، وكانت قُرَيش قومًا تجارا ، فلما بلغها عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما بلغها، من صدْق حَديثه ، وعِظَم أمانته ، وكَرَم أخلاقه ، بعثتْ إليه ، فعرضتْ عليه أن يَخرُج فى مال لها إلى الشام تاجراً ، وتُعطيه أفضلَ ما كانت تُعطى غيرَه من التجار ، مع غُلام لها يقال له مَيْسرة ، فقَبله رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم منها ، وخرج فى مالها ذلك ، وخرج معه غلامُها مَيْسرة حتى قَدِم الشام .

فنزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى ظل شجرة قريباً من صَوْمعة راهب[2] من الرّهبان ، فاطّلع الراهبُ إلى مَيْسرةَ ، فقال له : من هذا الرجلُ الذى نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له مَيْسرة : هذا رجلٌ من قريش من أهل الحَرَم ؛ فقال له الراهبُ : ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبىٌّ[3] .

= التيمى ، ومات أبو هالة فى الجاهلية ، وقد ولدت له خديجة هندا الصحابى . راوى حديث صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد بدرا ، وقيل أحدا . وقد روى عنه الحسن بن على فقال : حدثنى خالى ، لأنه أخو فاطمة لأمها . وكان هند فصيحا بليغا وصافا ، وكان يقول : أنا أكرم الناس أبا وأما وأخا وأختا . أبى رسول الله صلى الله وعليه وسلم ، وأخى القاسم ، وأختى فاطمة ، وأمى خديجة ، رضى الله عنهم ، وقتل هند مع على يوم الجمل ؛ وقيل مات بالبصرة فى الطاعون ، ويقال إن الذى مات بالطاعون ولده، واسمه هند أيضا .

كما ولدت خديجة أيضا لأبى هالة : هالة بن أبى هالة ، وكان له صحبة .

وبعد أن مات أبو هالة عن خديجة تزوجها عتيق بن عابد المخزومى، فولدت له بنتا اسمها هند ، وقد أسلمت وصحبت . (راجع شرح المواهب ، والاستيعاب) .

(١) تضاربهم : تقارضهم ؛ والمضاربة : المقارضة .

(٢) وكان اسم هذا الراهب نسطورا ، وليس هو بحيرى المتقدم ذكره .

(٣) يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبى ، ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبى ، لبعد العهد

رغبة خديجة في الزواج منه

ثم باع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سلعته التى خرج بها، واشترى ما أراد أن يشترى ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه مَيْسرةُ . فكان ميسرةُ — فيما يزعمون — إذا كانت* الهاجرةُ واشتدّ الحر يرى مَلَكَيْن يُظلاّنه من الشمس — وهو يسير على بعيره. فلما قَدِم مكةَ على خديجة بمالها، باعتْ ماجاء به، فأضْعف أو قريباً[1] . وحدّثها ميسرةُ عن قول الراهب، وعمّا كان يرى من إظلال المَلَكَيْن إياه . وكانت خديجة أمرأةً حازمةً شريفة لبيبة ، مع ما أراد اللهُ بها من كرامته ، فلما أخبرها مَيْسرةُ بما أخبرها به بعثت[2] إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالت له ، فيما يزعمون: يابن عمّ، إنى قد رَغبتُ فيك لقَرابتك ، وَسِطَتِكَ[3] فى قومك ، وأمانتك وحُسْن خُلقك ،

= بالأنبياء قبل ذلك . وإن كان فى لفظ الخبر « قط » فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفى ، والشجرة لاتعمر فى العادة هذا العمر الطويل، حتى يدرى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى أوغيره من الأنبياء عليهم السلام . ويبعد فى العادة أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد حتى يجىء نبى ، إلا أن تصح رواية من قال فى هذا الحديث : لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم عليه السلام ، وهى رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية . (راجع الروض الأنف) .

(١) وروى الزرقانى عن الواقدى وابن السكن فى اختيار خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أبا طالب قال : يابن أخى ، أنا رجل لامال لى ، وقد اشتد الزمان علينا، وألحت علينا سنون منكرة ، وليس لنا مادة ولا تجارة ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون فى مالها ويصيبون منافع ، فلو جئتها لفضلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك ، وإن كنت أكره أن تأتى الشام ، وأخاف عليك من يهود ، ولكن لانجد من ذلك بدا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : لعلها ترسل إلى فى ذلك ؟ فقال أبو طالب : إنى أخاف أن تولى غيرك .

فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له . ثم كان أن أرسلت إليه ، لعلمها قبل هذا بصدقه وأمانته .

(٢) هذا قول ابن إسحاق : أنها عرضت عليه نفسها من غير وساطة ، ويذهب غيره إلى أنها عرضت عليه نفسها بوساطة ، وأن ذلك كان على يد نفيسة بنت منية ، والجمع ممكن ، فقد تكون بعثت نفيسة أولا لتعلم أيرضى أم لا . فلما علمت بذلك كلمته بنفسها . (راجع شرح المواهب) .

(٣) كذا فى ا ، وشرح المواهب ، وشرح السيرة ، والروض والطبرى. وسطتك : شرفك . مأخوذة من الوسط مصدر ، كالعدة والزنة ؛ والوسط من أوصاف المدح والتفضيل . وفى سائر الأصول : « وسلطتك »، وهو تحريف .

وصدْق حديثك ، ثم عرضتْ عليه نفسَها . وكانت خديجة يومئذ أوسطَ نساء قريش نسباً ، وأعظمهنّ شرفا ، وأكثرهنّ مالاً ؛ كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدُر عليه .

نسب خديجة

وهى خديجة بنت خُوَيْلد بن أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ بن كِلاب

٥ ابن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر . وأمها : فاطمة بنت زائدة[1] بن الأصمّ ابن رَواحة بن حَجَر بن عَبْد بن مَعيص بن عامر بن لُؤَى بن غالب بن فهر . وأم فاطمة : هالةُ بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن مُنْقِذ بن عمرو ابن مَعِيص بن عامر بن لُؤَى بن غالب بن فهر . وأم هالة : قِلابة بنت سُعَيد بن سَعْد ابن سَهْم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر .

زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة

١٠ فلما قالت ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذَكَر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمُّه حمزة[2] بنُ عبد المطلب ، رحمه الله ، حتى دخل على خُوَيلد[3] بن أسَد فخطبها إليه فتزوّجها .

قال ابن هشام :

وأصْدَقَها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عشرين بَكْرةً ، وكانت أول امرأة

١٥ تزوّجها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولم يتزوّج عليها غيرَها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

---

(١) كذا فى ا والطبرى ، وفى سائر الأصول : « بنت زائد » .

(٢) ويقال إن الذى نهض معه صلى الله عليه وسلم هو أبو طالب ، وهو الذى خطب خطبة النكاح . وقيل : لعلهما خرجا معه جميعا وخطب أبو طالب الخطبة ، لأنه كانْ أسن من

٢٠ حمزة . (راجع شرح المواهب ، والروض) .

(٣) وذكر الزهرى أن خويلد أبرم هذا الزواج ، وهو سكران ، فلما أفاق أنكر ذلك ، ثم رضيه وأمضاه ، وفى ذلك يقول راجز من أهل مكة :

لاتزهدى خـــديج فى محمد نجم يضىء كإضاء الفرقد

وذكر غير ابن إسحاق أن خويلدا كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة رضى الله

٢٥ عنها هو عمها عمرو بن أسد . كما يقال أيضا بأن الذى أنكحها هو أخوها عمرو بن خويلد . (راجع شرح المواهب ، والروض) .

أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة

قال ابن إسحاق :

فولدت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وَلَدَه كلّهم إلا إبراهيم : القاسمَ ، وبه كان يُكنى صلّى الله عليه وسلّم ، والطاهرَ[1] ، والطّيب ، وزينبَ ، ورُقية ، وأمّ كُلثوم ، وفاطمةَ ، عليهم السلام .

قال ابن هشام :

أكبرُ بَنيه القاسمُ ، ثم الطّيب ، ثم الطّاهر ؛ وأكبر بناته رُقية ، ثم زينب ، ثم أم كُلثوم ، ثم فاطمة .

قال ابن إسحاق :

فأما القاسمُ ، والطّيب ، والطاهرُ فهلكوا[2] فى الجاهلية ؛ وأما بناتُه فكلّهن أدركْنَ الإسلامَ ، فأسلمنَ وهاجرنَ معه صلّى الله عليه وسلّم .

أم إبراهيم

قال ابن هشام :

وأمّا إبراهيم فأمّه مارية [القبطية] . حدثنا عبد الله بن وَهْب عن ابن لَهِيعة قال :

أم إبراهيم : مارية سرية النبىّ صلّى الله عليه وسلّم التى أهداها إليه المقوقسُ من حَفْن من كورة أَنْصِنا[3] .

---

(1) يشعر سياق الحديث هنا وفيما سيأتى ، أن الطاهر والطيب شخصان ، والمعروف أنهما لقبان لعبد الله ، وبهما كان يلقب . (راجع زاد المعاد ، والروض الأنف ، والمعارف) .

(2) فى موت القاسم فى الجاهلية خلاف ، فقد ذكر السهيلى عن الزبير أن القاسم مات رضيعا ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة بعد موت القاسم ، وهى تبكى ، فقالت : يا رسول الله ، لقد درت لبينة القاسم [اللبينة تصغير لبنة ، وهى قطعة من اللبن] . فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعه لهون على ؛ فقال : إن شئت أسمعتك صوته فى الجنة ؛ فقالت بل أصدق الله ورسوله . وفيما روى الزبير دليل على أن القاسم لم يهلك فى الجاهلية .

(3) راجع الحاشية (رقم ٥ و ٦ ص ٧ من هذا الجزء) .

حديث خديجة مع ورقة وصدق نبوءة ورقة فيه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

وكانت خديجة بنت خُويلد قد ذكرت لوَرقة[1] بن نَوفل بن أَسَد بن عبد العُزّى، وكان ابن عمها، وكان نصرانيا قد تتبّع الكتب وعَلِم من عِلْم الناس - ما ذكرلها غلامُها ميسرةُ من قولِ الراهب، وما كان يرى منه إذ كان المَلَكان يُظلاّنه ؛ فقال وَرَقَةُ : لئن كان هذا حقًّا يا خديجةُ ، إن محمداً لنبيُّ هذه الأمة ، وقد عرفتُ أنه كائنٌ لهذه الأمّة نبيٌّ يُنتظر ، هذا زمانهُ ، أو كما قال .

[قال][2] : فجعل ورقةُ يستبطئُ الأَمْرَ ويقول : حتى متى ؟ فقال ورقةُ فى ذلك :

لَجِجْتُ وكنتُ فى الذكرى لَجُوجًا ... لِهَمٍّ طالما بعث النَّشِيجَا[3]
وَوَصْفٍ من خديجةَ بعد وصْفٍ ... فقد طال انتظارى يا خَديجا
ببطن المَكَّتين[4] على رجائى ... حديثك أن أرى منه خُروجَا[5]
بما خَبَّرتِنا من قول قَسٍّ ... من الرهبان أكْره أن يَعُوجا
بأنّ محمداً سيَسود فينا ... ويَخْصِم من يكون له حَجِيجا
ويظهر فى البلاد ضياءُ نور ... يُقيم به البريةَ أن تَمُوجا[6]
فَيلْقى مَنْ يُحاربه خَساراً ... ويَلْقى من يُسالمه فُلوجا[7]

(1) أم ورقة : هند بنت أبى كبير بن عبد بن قصى . ولا عقب لورقة هذا ، وهو أحد من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعث . (راجع الروض) .

(2) زيادة عن ا .

(3) النشيج : البكاء مع صوت .

(4) ثنى «مكة» ، وهى واحدة لأن لها بطاحا وظواهر ، ومقصد العرب فى هذا الإشارة إلى جانبي كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى ، وقد قالوا : صدنا بقنوين ، وهو قنا : اسم جبل . وقال عنترة :

* شَرِبَتْ بِماءِ الدُّحْرُضَيْنِ *

وقد ورد مثل هذا كثير فى شعر العرب .

(5) الهاء فى «منه» : راجعة على الحديث . وحرف الجر متعلق بالخروج .

(6) تموج : تضطرب .

(7) الفلوج : الظهور على الخصم والعدو .

فيالَيْتِى إذا ما كان ذاكم شَهِدْتُ فكنتُ أوّلَهم وُلوجا[1]
وُلُوجًا فى الذى كرهتْ قُرَيشٌ ولو عجّت بمكّتها عَجِيجا[2]
أُرجِّى بالذى كَرِهوا جميعاً إلى ذى العرش إن سفلوا عُروجا[3]
وهل أمرُ السَّفالة غيرُ كُفْر بمَنْ يختار مَنْ سمكَ البرُوجا
فإنْ يبقَوْا وأبقَ تكنْ أمورٌ يضجُّ الكافرون لها ضَجِيجا   ٥
وإن أَهْلِكْ فكل فتى سيَلْقى من الأقدارِ مَتْلَفةٍ[4] حَروجا

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش فى وضع الحجر

سبب بنيان قريش الكعبة

قال ابن إسحاق :

فلما بلغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خمساً وثلاثين سنة ، اجتمعت قريش   ١٠
لبنيان الكعبة[5] ، وكانوا يهمّون بذلك ليُسقّفوها ويهابون هَدْمها . وإنما

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أكثرهم » .
(٢) عجت : ارتفعت أصواتها .
(٣) العروج : الصعود والعلو .
(٤) المتلفة : المهلكة . والحروج : الكثيرة التصرف .   ١٥
ولورقة فى هذا المعنى شعر ذكره السهيلى ، وذكر أنه من رواية يونس عن ابن إسحاق ، منه :
أتبكر أم أنت العشية رائح وفى الصدر من إضمارك الحزن قادح
(٥) بنيت الكعبة خمس مرات . الأولى حين بناها شيث بن آدم . والثانية حين بناها إبراهيم . والثالثة حين بنتها قريش هذه المرة ، وكان ذلك قبل الإسلام بخمس سنين .   ٢٠
والرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير . فلما قام عبد الملك بن مروان هدمها ، لأنه لم يعجب بما فعل ابن الزبير فى بنائها ، وبناه على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب ، ثم زاد فيه عثمان ، ثم زاد ابن الزبير فى إتقانه لا فى سعته ، ثم زاد عبد الملك بن مروان فى ارتفاع المسجد . (راجع تواريخ مكة للأزرقى ، والروض ، وشرح المواهب) .   ٢٥

كانت رَضْماً[1] فوق القامة ، فأرادوا رَفْعَها وتَسْقيفها[2] ، وذلك أن نفراً سرقوا كنزاً للكعبة ، وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة ، وكان الذى وُجد عنده الكنز دُوَيْكاً[3] ، مولى لبنى مُلَيح بن عمرو ، من خزاعة . قال ابن هشام : فقطعت قريش يدَه . وتزعم قريشٌ أنّ الذين سرقوه وضعوه عند دُوَيك.

٥ وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدّة لرجل من تجّار الروم فتحطّمت ، فأخذوا خَشَبها فأعدّوه لتَسْقيفها ، وكان بمكة رجل[4] قِبطى نجار ، فتهيأ لهم فى أنفسهم بعضُ مايُصْلحها . وكانت حَيّة تخرج من بئر الكعبة التى كان يُطْرح فيها مايُهدى لها كل يوم ، فتتشرّق[5] على جدار الكعبة ، وكانت مما يهابون ، وذلك أنه كان لايدنو منها أحد إلا احْزَأَلّتْ وكَشّت[6] وفتحت فاها ، وكانوا يهابونها .

١٠ فبينا هى ذات يوم تتشرّق على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع ، بعث الله إليها طائراً فاختطفها فذهب بها ؛ فقالت قريش : إنا لنرجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا عندنا عامل رفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحيّة .

ماحدث لأبى وهب عند بناء قريش الكعبة

فلما أجمعوا أمرَهم فى هَدْمها وبنائها ، قام أبو وَهْب بن عَمْرو بن عائذ بن عَبْد ابن عِمران بن مخزوم — قال ابن هشام : عائذ ابنُ عمران بن مخزوم —

---

١٥ (١) الرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

(٢) وقيل إن الذى حمل قريشا على بنائها أن السيل أتى من فوق الردم الذى بأعلى مكة فأضر به ، فخافوا أن يدخلها الماء . وقيل بل كان الذى حملهم على هذا احتراقها ، وذلك أن امرأة أجمرت الكعبة فطارت شرارة فى ثيابها فأحرقتها . (راجع شرح المواهب) .

(٣) قد تقدم أن سارقا سرق من مالها فى زمن جرهم ، وأنه دخل البئر التى فيها كنزها، ٢٠ فسقط عليه حجر ، فحبسه فيها حتى خرج منها وانتزع المال منه ، ثم بعث الله حية لها رأس كرأس الجدى ، إلى آخر ما جاء فى الخبر هناك .

وقد نبهنا على ذلك هنا ليجتمع بين يدى القارئ ما قيل فى الخبر الواحد مما يباين بعضه بعضا ، مما ذكر غير متصل فى الكتاب .

(٤) وكان اسم ذلك الرجل : ياقوم ، وقيل : باقول . (راجع الإصابة ، وشرح ٢٥ المواهب ، والروض) .

(٥) تتشرق : تبرز للشمس . ويقال : تشرقت : إذا قعدت للشمس لايحجبك عنها شىء .

(٦) احزألت : رفعت رأسها . وكشت : صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض .

فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال: يامعشرَ قريش، لا تُدخلوا فى بنائها من كَسْبكم إلا طَيّبا، لايدخل فيها مَهْر بغىّ ولابيْع رِباً، ولا مظلمة أحد من الناس[1]. والناس يَنْحلون هذا الكلامَ الوليدَ ابن المُغيرة بن عبد اللهِ بن عُمَر بن مَخْزوم.

قال ابن إسحاق: وقد حدّثنى عبدُ الله بن أبى نَجيح المكّى أنه حُدّث عن عبد الله بن صَفْوان بن أُميّة بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو ابن هُصَيص بن كَعْب بن لُؤَى.

أنه رأى ابناً لجَعدّة بن هُبَيرة بن أبى وَهْب بن عَمْرو يطوف بالبيت، فسأل عنه فقيل: هذا ابنُ لجَعْدة بن هُبيرة؛ فقال عبد الله بن صَفوان: عند ذلك جَدّ هذا، يعنى أبا وهب، الذى أخذ حجرا من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها، فوثب من يده، حتى رجع إلى موضعه، فقال عند ذلك: يامعشر قريش، لاتدخلوا فى بنائها من كَسْبكم إلا طيّبا، لاتدخلوا فيها مَهْرَ بغىّ، ولا بَيْع رباً، ولا مظلمة أحد من الناس.

قرابة أبى وهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق:

وأبو وهب خالُ أبى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكان شريفاً، وله يقول شاعر من العرب:

ولو بِأبى وَهْب أنختُ مَطِيّتى ... غَدَتْ من نَداه رَحْلُها غيرُ خائبِ

بأبيضَ من فَرْعَىْ لُؤَىّ بن غالب ... إذا حُصِّلت أنسابُها فى الذوائب[2]

أَبِىّ لأخْذِ الضَّيم يرتاح للنَّدى ... توسَّط جَدّاه فُروعَ الأطايب

(1) وفى رواية أخرى: لاتجعلوا فى نفقة هذا البيت شيئا أصبتموه غصبا، ولا قطعتم فيه رحما، ولا أنهكتم فيه ذمة أحد بينكم وبين أحد من الناس.

(2) الذوائب: الأعالى، وأراد بها الأنساب الكريمة.

عظيم رَماد القِدْر يملا جِفانَه   من الُخبز يَعْلوهنّ مثلُ السبائب[1]

تجزئة الكعبة بين قريش ونصيب كل فريق منها

ثم إن قريشاً جَزّأت[2] الكعبةَ ، فكان شقّ[3] الباب لبنى عبد مناف وزُهرة ، وكان مابين الركن الأسود والركن اليمانى لبنى مَخْزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهرُ الكعبة لبنى جُمح وسهم ، ابنى عمرو بن هُصَيص ابن كَعْب بن لُؤَى ، وكان شقّ الحِجْر لبنى عبد الدار بن قُصَىّ ، ولبنى أَسَد ابن العُزّى بن قُصَىّ ، ولبنى عدى بن كَعْب بن لُؤَىّ ، رهو الحَطِيم[4] .

الوليد بن المغيرة وهدم الكعبة وما وجدوه تحت الهدم

ثم إن الناس هابوا هَدْمها وفَرِقُوا منه ، فقال الوليدُ بن المُغيرة : أنا أبدؤكم فى هَدْمها ، فأخذ المِعولَ ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم تُرَعْ[5] — قال ابن هشام : ويقال : لم نزغ[6] — اللهم إنا لا نريد إلا الخير . ثم هدم من ناحية الركنَيْن ، فتربص الناسُ تلك الليلةَ ، وقالوا : ننظُر ، فإن أُصيب لم نهدم منها شيئاً وردَدْناها كما كانت ، وإنْ لم يُصبه شىء ، فقد رضى الله صُنْعَنا ، فهدَمْنا . فأصبح الوليدُ من ليلته غادياً على عمله ، فهدمَ وَهَدَمَ الناسُ معه ، حتى إذا انتهى الهدمُ بهم إلى الأساس ، أساسِ إبراهيم ، عليه السلام ، أفضَوا إلى حجارة خُضْر كالأَسْنِمة[7] آخذٌ بعضُها بعضا .

---

(1) السبائب : جمع سبيبة ، وهى ثياب رقاق بيض ، فشبه الشحم الذى يعلو الجفان بها .

(2) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « تجزأت » . ولا يستقيم بها الكلام .

(3) الشق : الناحية والجانب .

(4) قيل : سمى حطيما ، لأن الناس يزدحمون فيه حتى يحطم بعضهم بعضا ؛ وقيل بل لأن الثياب كانت تجرد فيه عند الطواف . (عن شرح السيرة لأبى ذر) .

(5) لم ترع : لم تفزع . والضمير فيها يعود على الكعبة :

(6) لم نزغ : أى لم نمل عن دينك ولا خرجنا عنه ، يقال : زاغ عن كذا ، إذا خرج عنه .

(7) الأسنمة : جمع سنام ، وهو أعلى الظهر ، وأراد أن الحجارة دخل بعضها فى بعض كما تدخل عظام السنام بعضها فى بعض ، فشبهها بها .

وتروى : « كالأسنة » . وهى جمع : سنان . شبهها بأسنة الرماح فى الخضرة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض منْ يَروى الحديث .

أن رجلاً من قريش ، ممن كان يهدمها ، أدخل عَتلةً بين حَجَرين منها ليقلع بها أحدَهما ، فلما تحرّك الحجر تنقضت[1] مكة بأسرها، فانتَهَوا عن ذلك الأساس.

قال ابن إسحاق :

وحُدثت أن قريشاً وجدوا فى الركن كتاباً بالسريانية ، فلم يدروا ماهو ٥ حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : أنا الله ذو بكّة[2] ، خلقتها يوم خلقتُ السموات والأرض ، وصورتُ الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاكٍ حُنفاء ، لا تزول حتى يزول أَخْشَباها[3] ، مبارك لأهلها فى الماء واللبن .

قال ابن هشام : أخشباها : جبلاها .

قال ابن إسحاق : ١٠

وحدثت أنهم وجدوا فى المقام كتاباً فيه : مكة بيت الله الحرام ، يأتيها رِزقُها من ثلاثة سُبلُ ، لايُحلها أولُ مِنْ أهلها[4] .

قال ابن إسحاق :

وزعم ليثُ بن أبى سُليم أنهم وجدوا حجراً فى الكعبة قبل مَبْعث النبى صلّى الله عليه وسلّم بأربعين سنة ، إنْ كان ماذكر حقًّا ، مكتوباً فيه : من يزرع ١٥ خيراً يحصد غبطة ، ومن يزرع شرا يحصد ندامة . تعملون السيئات ، وتجزون الحسنات ! أجل ، كما لايُجتنى من الشوك العِنَب .

---

(١) تنقضت : اهتزت .

(٢) فى ا : « ذو مكة » .

(٣) الأخشبان : جبلان بمكة . ٢٠

(٤) يريد: لايحلها ابتداء بعض أهلها . وفى ذلك إشارة إلى ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير وحصين ابن نمير ، ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبى ربيعة :

ألا من لقلب معنى غزل يحب المحلة أخت المحل

يعنى بالمحل : عبد الله بن الزبير لقتاله فى الحرم . (راجع الروض الأنف) .

قال ابن إسحاق :

اختلاف قريش فيمن يضع الحجر ولعقة الدم

ثم إنّ القبائل من قُرَيش جمعت الحجارةَ لبنائها ، كل قَبيلة تجمع على حِدَة ، ثم بَنَوْها ، حتى بلغ البنيانُ موضعَ الركن[١] ، فاختصموا فيه ، كلّ قبيلة تُريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوزوا[٢] وتحالفوا وأعدّوا للقتال ، فقرّبت بنو عبد الدار جَفْنة مملوءة دمًا ، ثم تعاقدوا هم وبَنو عدى بن كَعْب ابن لُؤَى على الموت ، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة ، فسُموا لَعَقة الدم . فمكثت قُرَيش على ذلك أربعَ ليال أو خمسا ، ثم إنهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا .

إشارة أبى أمية بتحكيم أول داخل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فزعم بعضُ أهل الرواية : أن أبا أُمَيّة بن المُغيرة[٣] بن عبد الله بن عُمَر ابن مَخْزوم ، وكان عامئذٍ أسنَّ قُرَيش كلها ؛ قال : يامعشرَ قُرَيش ، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوّلَ من يدخل من باب[٤] هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا. فكان أوّل داخل عليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينا ، هذا محمد ؛ فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبرَ ، قال صلّى الله عليه وسلّم : هلمّ إلىّ ثوبًا ، فأُتى به ، فأخذ الركن فوَضَعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية[٥] من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا : حتى إذا

---

(١) يريد بالركن : الحجر الأسود . وسمى ركنا ، لأنه مبنى فى الركن .

(٢) كذا فى ا . وتحاوزوا : انحازت كل قبيلة إلى جهة . وفى سائر الأصول : « تحاوروا » بالراء المهملة .

(٣) ويروى أن المشير على قريش مهشم بن المغيرة ، ويكنى أبا حذيفة .

(٤) هو باب بنى شيبة ، وكان يقال له فى الجاهلية : باب بنى عبد شمس ، ويقال له الآن : باب السلام . وفى رواية : أول من يدخل باب الصفا .

(٥) أى بناحية من زواياه . ولما فعلوا كان فى ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة ، وكان فى الربع الثانى زمعة ، وفى الثالث أبو حذيفة بن المغيرة ، وفى الرابع قيس بن عدى . وقد تم بناء الكعبة قبل الهجرة بثمان عشرة سنة ، بعد أن حلت كلمة الوفاق محل الشقاق ، ورضى الكل بحكمه صلوات الله عليه . وإلى قضية التحكيم يشير قول هبيرة بن أبى وهب المخزومى : =

بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى[1] عليه .

شعر الزبير في الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها

وكانت قُرَيشٌ تسمى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قبل أن ينزل عليه الوحي : الأمين . فلما فرغوا من البنيان و بنوها على ما أرادوا ، قال الزُّبَيْرُ ابن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحيّة التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها :

عجبتُ لِمَا تَصَوَّبت العُقابُ ... إلى الثعبانِ وهى لها اضطرابُ

وقد كانت يكون لها كشيشٌ ... وأحياناً يكون لها وِثاب[2]

إذا قُمنا إلى التأسيس شدّت ... تُهيِّبنا البناءَ وقد تُهاب

فلما أن خَشينا الرِّجْزَ[3] جاءت ... عُقابٌ تَتْلَئِبّ[4] لها انْصِباب

فضمَّتْها إليها ثم خلّت ... لنا البُنيان ليس له حِجاب

فقُمنا حاشدين إلى بناءٍ ... لنا منه القواعدُ والتراب

غداةَ نُرَفِّع التأسيسَ منه ... وليس على مُسَوِّينا[5] ثياب[6]

= تشاجرت الأحياء فى فصل خطة ... جرت بينهم بالنحس من بعد أسعد

تلاقوا بها بالبغض بعد مودة ... وأوقد ناراً بينهم شر موقد

فلما رأينا الأمر قدجد جده ... ولم يبق شىء غير سل المهند

رضينا وقلنا العدل أول طالع ... يجىء من البطحاء من غير موعد

ففاجأنا هذا الأمين محمد ... فقلنا رضينا بالأمين محمد

(١) وأما وضع الركن حين بنيت الكعبة فى أيام ابن الزبير ، فقد وضعه فى الموضع الذى هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأبوه يصلى بالناس فى المسجد ، اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس فى ذلك وخاف الخلاف ، فأقره أبوه . (راجع الروض الأنف) .

(٢) الوثاب : الوثوب .

(٣) الرجز : العذاب . ويروى : « الزجر » وهو المنع .

(٤) تتلئب : تتابع فى انقضاضها .

(٥) كذا فى ا . يريد به مسوى البنيان . وفى سائر الأصول : « مسوبنا » بالباء الموحدة وهو تصحيف .

(٦) لقد كانوا ينقلون الحجارة عراة ويرون ذلك دينا ، وأنه من باب التشمير والجد فى الطاعة .

أعزَّ به المليكُ بَنِى لُؤَىّ   فليس لأصْله منهم ذَهاب
وقد حَشَدت هناك بنو عدىّ   ومُرّة قد تَقدَّمها كِلاب
فبَوَّأنا[1] المليكُ بذاك عِزًا   وعند الله يُلتمسُ الثواب

قال ابن هشام: ويروى:

٥ * وليس على مساوينا[2] ثياب *

ارتفاع الكعبة وأول من كساها الديباج

وكانت الكعبة على عهد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ثمانى عَشْرةَ ذراعا، وكانت تُكْسى القَباطى[3]، ثم كُسِيت البُرود[4]، وأول من كساها الديباجَ الحجّاجُ بن يوسف[5].

حديث الحمس

الحمس عند قريش

١٠ قال ابن إسحاق:

وقد كانت قُرَيش ـ لا أدرى أقبلَ الفيل أم بعده ـ ابتدعت رأى[6] الحُمْس[7] رأيًا رأوه وأداروه؛ فقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهلُ الحُرْمة وولاة البيت وقطّان[8] مكة وساكنُها، فليس لأحدٍ من العرب مثلُ حقّنا، ولا مثلُ

---

(١) بوأنا: أحلنا وأوطننا.

١٥ (٢) يريد بالمساوى: السوآت.

(٣) القباطى: ثياب بيض كانت تصنع بمصر.

(٤) البرود: ضرب من ثياب اليمن.

(٥) وكساها ابن الزبير قبل الحجاج الديباج، وكان خالد بن جعفر بن كلاب ممن كساها الديباج قبل الإسلام. (عن الروض الأنف).

٢٠ (٦) فى ا: «أمر».

(٧) الحمس: جمع: أحمس. والأحمس: المشتد الصلب فى الدين. وسميت قريش حمسا لزعمهم بأنهم اشتدوا فى الدين، وكانوا قد ذهبوا فى ذلك مذهب التزهد والتأله. فكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر. وسيعرض المؤلف لتفصيل هذا بعد قليل.

(٨) فى ا: «قاطن».

منزلتنا ، وَلا تَعْرِفُ له العربُ مثلَ ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظّمون الحرم ، فإنكم إنْ فعلتم ذلك استخفت العربُ بحُرْمتكم ، وقالوا : قد عظّموا من الحل مثل ماعظموا من الحرم. فتركوا الوقوفَ على عَرَفة والإفاضة منها ، وهم يَعْرِفون ويُقِرّون أنها من المَشاعر[1] والحجّ ودين إبراهيم صلّى الله عليه وسلّم ، ويَرَوْنَ لسائر العرب أن يَقفوا عليها ، وأن يُفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهلُ الحَرم ، فليس ينبغى لنا أن نخرج من الُحرمة ولا نعظّم غيرها كما نُعظّمها نحن الحُمْس ، والحُمْس أهلُ الحرم ، ثم جعلوا لمن وَلدوا من العرب من ساكن الحل والحَرم مثلَ الذى لهم ، بولادتهم إياهم يحل لهم مايحل لهم ، ويحرُم عليهم مايحرم عليهم .

القبائل التى دانت مع قريش بالحمس

وكانت كِنانة وخُزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عُبَيدة النحوى : أن بنى عامر بن صَعْصعة ابن معاوية بن بَكْر بن هوازن دخلوا معهم فى ذلك ، وأنشدنى لَعمْرو بن مَعْد يكرب :

أَعبَّاسُ لو كانت شِياراً جِيادُنا بِتَثْليثَ ماناصيتَ بعدى الأَحَامِسا[2]

قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشيار : [3] [السمان] الحسان . يعنى بالأحامس : بَنى عامر بن صَعْصعة . و بعبّاس : عباسَ بن مِرْداس السلمى ، وكان أغار على بَنِى زُبَيد بتَثليث . وهذا البيت من قصيدة لعمرو .

وأنشدنى للَقيط بن زُرارة الدّارمى فى[4] يوم جَبلة :

---

(١) المشاعر : المواضع المشهورة فى الحج ، لايتم إلا بها .

(٢) ناصيت : أخذت بناصيتهم ونازعتهم . ومنه حديث عائشة : لم تكن واحدة من نساء النبى صلى الله عليه وسلم تناصينى غير زينب : أى تنازعنى وتبارينى .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) وكان يوم جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام مولد الرسول صلى الله عليه وسلم (راجع العقد الفريد ، والروض) .

أَجْـــذِمِ[1] إليك إنها بنو عَبْس   المعشرُ الجِلّة[2] فى القوم الحُمْس

لأن بنى عَبْس كانوا يوم جَبلة حُلفاءَ فى بَنى عامر بن صَعْصعة .

يوم جبلة

ويومُ جبلة يومٌ كان بين بنى حَنْظلة بن مالك بن زَيد مناة بن تَميم ، وبين بَنى عامر بن صَعْصعة[3] ، فكان الظَّفر فيه لبَنى عامر بن صَعْصعة على بَنى حَنْظلة ، وقُتِل يومئذ لَقيطُ بن زُرارة بن عُدس[4] ، وأُسِر حاجب بن زُرارة ابن عُدس ، وانهزم عَمْرو بن عَمْرو بن عُدس بن زَيْد بن عبد الله بن دارم ابن مالك بن حَنْظلة . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كأنَّك لم تَشْهد لَقيطاً وحاجباً   وعَمْرَو بن عَمْرٍو إذْ دَعَوْا يا لَدارمِ

وهذا البيتُ فى قصيدة له .

يوم ذى نجب

ثم التقوا يومَ ذى نَجَب[5] ، فكان الظَّفر لحَنْظلة على بَنى عامر ، وقُتل يومئذٍ حسّان بن مُعاوية الـكِنْدىّ ، وهو ابن[6] كَبْشة . وأُسِر يَزيد بن الصَّعِق الـكِلابىّ ، وانهزم الطُّفَيل بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب ، أبو عامر بن الطُّفَيل . ففيه يقول الفرزدق[7] :

ومنهنّ إذ نجّى طُفَيلُ بن مالك   على قُرْزل[8] رَجْلاً رَكُوضَ الهَزائمِ

(١) أجذم : زجر معروف للخيل .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . والجلة : العظماء . وفى ا : « الحله » بالحاء المهملة . والحلة : الذين يسكنون فى الحل .

(٣) ذكر ابن عبد ربه فى كتابه « العقد الفريد » يوم شعب جبلة هذا . وقال إنه كان لعامر وعبس على ذبيان وتميم .

(٤) هو بضم الدال عند الجميع إلا أبا عبيدة ، فإنه عنده بفتحها ، وكل عدس فى العرب ، فإنه مفتوح الدال . (راجع الروض ، وشرح السيرة لأبى ذر ، ومؤتلف القبائل ومختلفها لابن حبيب) .

(٥) ذو نجب (محركة) : واد قرب ماوان . (راجع مايعول عليه ، ومعجم البلدان) .

(٦) كذا فى ا هنا وفيما سيأتى من جميع الأصول . وفى سائر الأصول هنا : «أبو كبشة »

(٧) نسب هذا الشعر فى معجم البلدان عند الكلام على ذى نجب لسحيم بن وثيل الرياحى .

(٨) قرزل (بالضم) : اسم فرس لطفيل بن مالك . وكان طفيل يسمى : فارس قرزل .

ونحنُ ضَرَبْنا هامةَ ابنِ خُوَيْلد[1] نزيد على أُمّ الفِراخ الجَواثم[2]

وهذان البيتان فى قصيدة له .

فقال جرير :

ونحن خَضَبْنا لابن كَبْشة تاجَه ولاقى امرأ فى ضَمّة الخَيْل مِصْقَعا[3]

وهذا البيتُ فى قصيدة له . ٥

وحديث يوم جَبَلة ويوم ذى نجب أطول مما ذكرنا ، وإنما منعنى من استقصائه ماذكرتُ فى حديث يوم الفِجار .

ما زادته العرب فى الحمس

قال ابن إسحاق :

ثم ابتدعوا فى ذلك أموراً لم تكن لهم، حتى قالوا: لاينبغى للحُمْس أن يَأْتَقِطوا الأقِط[4] ، ولا يَسلئوا[5] السمن وهم حُرُم ، ولا يدخلوا بيتاً من شَعر ، ولا ١٠ يستظلّوا إنِ استظلوا إلا فى بيوت الأدَم[6] ما كانوا حُرُمًا ، ثم رفعوا فى ذلك فقالوا : لاينبغى لأهل الحِل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحلّ إلى الحرم، إذا جاءوا حُجّاجا أو عُمّارا ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدِموا أولَ طَوافهم إلا فى ثياب الحُمْس ، فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عُراةً ، فإن تكرّم منهم مُتكرِّم من رجل أو امرأة ، ولم يجد ثِياب الحُمْس ، فطاف فى ثيابه التى جاء بها من الحلّ ، ألقاها ١٥

---

(١) رواية هذا البيت فى معجم البلدان :

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد يزيد وضرجنا عبيدة بالدم

(٢) أم الفراخ الجواثم : يريد الهامة ، وهى البوم ، وكانوا يعتقدون أن الرجل إذا قتل خرجت من رأسه هامة تصيح : اسقونى اسقونى ، حتى يؤخذ بثأره.

(٣) المصقع (هنا) : مأخوذ من قولهم صقعه : إذا ضربه على شىء مصمت . ٢٠

(٤) الأقط (مثلثة ويحرك وككتف ورجل وإبل): شىء يتخذ من المخيض الغنمى . وجمعه أقطان . وأقط الطعام : عمله به .

(٥) سلأت السمن واستلأته : إذا طبخ وعولج ، والاسم : السلاء (بالكسر ممدود) .

(٦) بيوت الأدم : الأخبية التى تصنع من الجلد .

إذا فرغ من طَوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يَمَسَّها هو ولا أحدٌ غيرُه أبدا .

اللقى عند الحمس وشعر فيه

فكانت العربُ تسمّى تلك الثيابَ اللَّقَى[1] . فحملوا على ذلك العربَ ، فدانت به . و وقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عُراةً : أمّا الرجال فيطوفون عراة ، وأمّا النساء فتَضع إحداهنّ ثيابَها كلَّها إلا دِرْعًا مُفَرَّجا[2] عليها ، ثم تَطوف فيه . فقالت امرأة[3] من العرب ، وهى كذلك تطوف بالبيت :

اليـــومَ يبدو بعضُه أو كلّه ... وما بدا منـــه فلا أُحِـــلّه

ومَنْ طاف منهم فى ثيابه التى جاء فيها من الحِلّ ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره . فقال قائلٌ من العرب يذكر شيئاً تركه من ثيابه فلا يَقْرَبه ، وهو يُحبّه[4] :

كفَى حَزَناً كَرِّى عليها كأنها[5] ... لقًى بين أيدى الطَّائفين حَرِيمُ[6]

يقول : لا تُمَسّ .

حكم الاسلام فى الطواف وإبطال عادات الحمس فيه

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً صلّى الله عليه وسلّم ، فأنزل عليه

---

(١) اللقى : الشىء الملقى ، ويقال : المنسى . وجمعه : ألقاء .

(٢) المفرج : المشقوق من قدام أو خلف .

(٣) يقال إن هذه المرأة هى ضباعة بنت عامر بن صعصعة ، ثم من بنى سلمة بن قشير ، ويذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها، فذكرت له عنها كبرة فتركها . ولعل الذى أخرها عن أن تكون أما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين تكريم الله لنبيه وعلمه بغيرته ، والله أغير منه ، لما فى قولها :

* اليـــوم يبدو بعضه أو كله *

من شىء فيه مافيه . (راجع الروض الأنف) .

(٤) ومن اللقى حديث فاختة أم حكيم بن حزام ، وكانت دخلت الكعبة ، وهى حامل متم بحكيم بن حزام ، فأجاءها المخاض ، فلم تستطع الخروج من الكعبة ، فوضعته فيها ، فلفت فى الأنطاع هى وجنينها ، وطرح مثبرها وثيابها التى كانت عليها ، فجعلت لقى لاتقرب .

(٥) فى ا : * . . . عليه كأنه * .

(٦) حريم : محرم ، لايؤخذ ولاينتفع به .

حين أحكم له دينَه، وشَرع له سُنن حجّه : « ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأسْتَغْفِرُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » يعنى قريشاً . والناس : العرب . فرفعهم فى سنّة الحج إلى عرفات والوقوف عليها والإفاضة منها .

وأنزل الله عليه فيما كانوا حرّموا على الناس من طعامهم ولَبوسهم عند البيت ، حين طافوا عُراةً وحرّموا ماجاءوا به من الحلّ من الطعام : « يَابَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَيُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ. قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ[1] » . فوضع اللهُ تعالى أمرَ الحُمْس ، وما كانت قُرَيش ابتدعت منه على[2] الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسولَه صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن إسحاق : حدّثنى عبدُ الله بنُ أبى بَكْر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم ، عن عثمان بن أبى سُلَيمان بن جُبَير بن مُطْعِم، عن عمّه نافع بن جُبير، عن أبيه جُبَير ابن مطعم ، قال :

لقد رأيت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قبل أن ينزل عليه الوحىُ ، وإنه لواقفٌ على بَعيرٍ له بعرَفات مع الناس من بين قومه حتى يدْفع معهم منها ، توفيقاً[3] من الله له، صلّى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) المراد بالزينة فى الآية اللباس وعدم التعرى . وقوله تعالى : « كلوا واشربوا » . إشارة إلى ما كانت الحمس حرمته من طعام الحج إلى طعام أحمسى .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « عن » .

(٣) وذلك حتى لايفوته صلى الله عليه وسلم ثواب الحج والوقوف بعرفة . ولقد قال جبير حين رآه واقفا بعرفة مع الناس : هذا رجل أحمسى ، فما باله لايقف مع الحمس حيث يقفون . (راجع الروض الأنف) .

إخبار الكهان من العرب ، والأحبار من يهود ، والرهبان من النصارى

قال ابن إسحاق :

معرفة الكهان والأحبار والرهبان بمبعثه صلى الله عليه وسلم

وكانت الأحبار من يَهود ، والرُّهبان من النصارى ، والكُهّان من العرب قد تحدّثوا بأمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قبل مَبْعثه ، لما تقارَب من زمانه . أمّا الأحبار من يَهود ، والرهبان من النصارى ، فَعمّا وَجدوا فى كُتبهم من صِفته وصِفة زمانه ، وما كان من عَهْد أنبيائهم إليهم فيه . وأمّا الكُهَّان من العَرب فأَتَتْهم به الشياطينُ من الجنّ فيما تَسْترق من السمع ، إذ كانت وهى لاتُحجب عن ذلك بالْقذْف بالنجوم . وكان الكاهنُ والكاهنة لا يزال يَقَع منهما ذِكرُ بعضِ أموره ، لاتُلْقِى العربُ لذلك فيه بالاً ، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التى كانوا يَذْكرون ، فعرفوها .

قذف الجن بالشهب وآية ذلك على مبعثه صلى الله عليه وسلم

فلمّا تقارب أَمْرُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وحَضَر مَبْعثُه ، حُجبت الشياطينُ عن السَّمْع ، وحِيل بينها و بين المَقاعد التى كانت تَقْعُد لاستراق السمع فيها ، فرُمُوا بالنجوم ، فعرفت الجنُّ أنّ ذلك لأمْر حَدَث من أَمْرالله فى العباد[1] . يقول الله تبارك وتعالى لنبيّه محمدٍ صلى الله عليه وسلَّم حين بعثه ، وهو يقُصّ عليه خبر الجنّ إذ حُجبوا عن السمع فعَرفوا ماعَرَفوا ، وما أَنكروا من ذلك حين رأَوْا مارَأَوْا: « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً[2]

(١) وقد قالت قريش حين كثر القذف بالنجوم : قامت الساعة ؛ فقال عتبة بن ربيعة : انظروا إلى العيوق ، فإن كان رمى به فقد آن قيام الساعة وإلا فلا .

(٢) أى عجبا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه . والعجب : ما يكون خارجا عن العادة ، وهو مصدر وضع موضع العجيب .

يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ[1] رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَداً. وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا[2] . وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً » . إلى قوله : « وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَداً[3] . وَأَنَّا لاَنَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً » .

فلما سمعت الجنُّ القرآنَ عرفتْ أنها إنما مُنعت من السَّمعِ قبل ذلك لئلا يُشْكِلَ الوحىُ بشىء من خَبَر السماء ، فيلتبس[4] على أهل الأرض ماجاءهم من الله فيه ، لوُقوع الحجّة ، وقَطْع الشبهة . فآمنوا وصدّقوا ، ثم . « وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا يَاقَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ » . الآية .

وكان قولُ الجن : « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً » . أنه كان الرجلُ من العَرب من قُريش وغيرهم إذا سافر فنزل بَطْنَ وادٍ من الأرض ليَبيت فيه قال : إنى أعوذ بعَزِيز هذا الوادى من الجن الليلةَ من شرّ مافيه .

قال ابن هشام : الرهق : الطغيان والسَّفه . قال رؤبة بن العجّاج :

---

(1) الجد : العظمة . يقال : جد فلان فى عينى : إذا عظم . ومنه قول سيدنا عمر رضى الله عنه : كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا : أى عظم فى عيوننا .

(2) المراد به الكفر . من شطت الدار : إذا بعدت . فكأنهم بنسبتهم الصاحبة والولد إليه جل شأنه بعدوا عن الصواب .

(3) الرصد : الراصد . أى يجد شهابا راصدا له . أو هو اسم جمع للراصد . على معنى : ذوى شهاب راصدين بالرجم ، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع .

(4) وكذلك كان رمى الجن بالنجوم فى الجاهلية ، إلا أنه لما جاء الإسلام غلظ وشدد .

* إذْ تَسْتَبِي الهَيَّامَةَ المُرَهَّقا[1] *

وهذا البيت في أرجوزة له . والرَّهق أيضا : طَلبك الشيء حتى تدنو منه ، فتأخذه أوْ لاَ تأخذه . قال رُؤْبة بن العجّاج يصف حَمير وَحْش :

* بَصْبَصْنَ[2] واقشعررن من خَوْف الرَّهق *

٥ وهذا البيت فى أرجوزة له . والرهق أيضاً : مصدر لِقَول الرجل للرجل : رَهِقتُ الإثم أو العسر ، الذى أرهقتنى رَهَقا شديدا ، أى حَملتُ الإثم أو العسر الذى حملتنى حملاً شديدا وفى كِتاب الله تعالى : « فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْراً » . وقوله : « وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً » .

فزع ثقيف من رمى الجن بالنجوم وسؤالهم عمرو بن أمية

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يعقوب[3] بن عُتْبة بن المُغِيرة بن الأخنس ١٠ أنه حُدّث :

أن أول العرب فَزِع للرّمى بالنجوم حين رُمى بها ، هذا الحىّ من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية ، أحد بنى عِلاج ــ قال : وكان أدهى العرب وأَنكرها[4] رأياً ــ فقالوا له : ياعمرو : ألم ترَ ماحدث فى السماء من القَذْف بهذه النجوم ؟ قال : بلى ، فانظروا فإن كانت معالم[5] النجوم

١٥ (١) تستبى : تذهب بعقله . والهيامة : الكثيرة الهيام . وأصل الهيام : داء يصيب الإبل فتشتد حرارة أجوافها ، فلا تروى من الماء إذا شربت .

(٢) يريد : حركن أذنابهن .

(٣) وقد رأى عتبة هذا، السائب بن يزيد ، وروى عن أبان بن عثمان وعروة وسليمان بن يسار والزهرى. وروى عنه غير ابن إسحاق ، عبد العزيز بن الماجشون وإبراهيم بن سعد .

٢٠ وكان ثقة ورعا مسلما يستعمل على الصدقات ويستعين به الولاة. ومات سنة ثمان وعشرين ومئة . (راجع تراجم رجال) .

(٤) كذا فى ا . يريد : أهداها رأيا ، من النكر (بفتح النون) ، وهو الدهاء . ويروى بالباء . أى أشدهم إبداء لرأى لم يسبق إليه ، من البكور فى الشىء ، وهو أوله . وفى سائر الأصول : « أمكرها » .

٢٥ (٥) معالم النجوم : النجوم المشهورة .

التى يُهتدى بها فى البرّ والبحر ، وتُعرف بها الأنواء من الصَّيف والشتاء ، لِمَا يُصلح الناسَ فى معايشهم ، هى التى يُرمى بها ، فهو والله طىّ الدنيا ، وهلاكُ هذا الخَلْق الذى فيها ؛ وإن كانت نجومًا غيرها ، وهى ثابتة على حالها ، فهذا لأمْرٍ أراد اللهُ به هذا الخلق ، فما هو[1] ؟

حديثه صلى الله عليه وسلم مع الأنصار فى رمى الجن بالنجوم

قال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مُسْلم بن شِهاب الزهرى عن علىّ ابن الحُسين بن علىّ بن أبى طالب عن عبد الله بن العبّاس عن نفر منَ الأنصار :

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لهم : ماذا كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يُرمى به ؟ قالوا : يا نبى الله ، كنّا نقول حين رأيناها يُرمى بها : مات مَلِك ، مُلِّكَ ملك ، وُلد مولود ، مات مولود ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ليس ذلك كذلك ، ولكن اللهَ تبارك وتعالى كان إذا قضى فى خَلْقِه أمراً سمعه حَمَلَةُ العرش ، فسبّحوا فسبّح مَنْ تحتهم ، فسبح لتسبيحهم مَنْ تحت ذلك ، فلا يزال التّسبيحُ يَهْبِط حتى ينتهى إلى السماء الدنيا فيسبّحوا ، ثم يقول بعضهم لبعض : مِمّ سبّحتم ؟ فيقولون : سبّح مَنْ فوقنا فسبّحنا لتسبيحهم ؛ فيقولون : ألا تسألون مَنْ فوقكم مِمّ سبّحوا ؟ فيقولون مثل ذلك ، حتى ينتهوا إلى حملة العرش ، فيقال لهم : مِمّ سبّحتم ؟ فيقولون : قضى اللهُ فى خَلْقِه كذا وكذا ، للأمر الذى كان ؛ فيهبطُ به الخبرُ من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا ، فيتحدّثوا به ، فتسترقه الشياطين بالسمع ، على توهّم واختلاف ، ثم يأتوا به الكُهّان من أهْلِ الأرض فيحدثوهم به فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به الكُهّانُ ، فيصيبون بعضاً ويُخطئون بعضا . ثم إن الله عزّ وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التى يُقذفون بها ، فانقطعت الكَهانة اليومَ ، فلا كهانة[2] .

(1) ومثل هذا ما حدث لبنى لهب عند فزعهم للرمى بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم . يقال له : خطر ، فبين لهم الخبر وما حدث من أمر النبوة . (راجع الروض الأنف) .

(2) يريد تخصيص ذلك الزمان . والذى انقطع اليوم وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه فى الجاهلية الجهلاء ، وعند تمكنها من سماع أخبار السماء ، وما يوجد اليوم من =

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عَمْرو بن أبى جعفر عن محمد بن عبد الرحمن ابن أبى لَبِيبة[1] عن علىّ بن الحسين بن علىّ رضى الله عنه بمثل حديث ابن شهاب عنه.

الغيطلة وما حدثت به بنى سهم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بعض أهل العلم :

إن اُمرأةً من بنى سَهْم ، يقال لها الغَيْطلة ، كانت كاهنةً فى الجاهلية ، جاءها صاحبها ليلةً من الليالى ، فانقض تحتها ، ثم قال : أَدْرِ ما أَدْرِ[2] . يوم عَقْر ونَحْر ؛ فقالت قريش حين بلغها ذلك: مايريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى، فانقض[3] تحتها ، ثم قال : شُعوب[4] ماشُعوب ، تُصْرع فيه كَعْبٌ[5] لِجُنوب . فلما بلغ ذلك

= كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خبر منهم عما يرونه فى الأرض، مما لانراه نحن، كسرقة سارق، أو خبيئة فى مكان خفى ، أونحو ذلك . وإن أخبروا بما سيكون كان تخرصا وتظنيا، فيصيبون قليلا ويخطئون كثيراً ، وذلك القليل الذى يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة . (راجع الروض الأنف) .

(١) كذا فى ا وتراجم رجال وتهذيب التهذيب ، وتقريب التهذيب ، ويقال فيه أيضا : «ابن لبيبة» بفتح اللام وكسر الموحدة . ويقال إن لبيبة أمه ، وأبا لبيبة أبوه، واسمه وردان . روى عن سعيد بن المسيب ، وعبدالله بن أبى سليمان ، والقاسم بن محمد ، وعمرو بن سعد بن أبى وقاص ، وعبد الله بن عمرو وغيرهم . وعنه ابن ابنه يحيى بن عبد الرحمن، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، ويحيى بن أبى كثير وغيرهم . ولم نجد عمرا هذا من تلاميذه وكذلك لم نجد عليا من شيوخه فى المراجع التى بين أيدينا . وفى سائر الأصول : بن لبينة ، وهو تصحيف .

(٢) وفى رواية : « وما بدر » وهى أبين مما أثبته ابن إسحاق .

(٣) انقض : سقط ؛ يقال : انقض الطائر ، إذا سقط على الشىء .

ويروى : « أنقض » : أى صوت وتكلم بصوت خفى ؛ تقول : سمعت نقيض الباب ونقيض الرجل : أى صوته .

(٤) قال السهيلى : « وشعوب (هاهنا) : أحسبه بضم الشين، ولم أجده مقيدا، وكأنه جمع شعب ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال : فلم يدر ما قالت حتى قتل من قتل ببدر وأحد بالشعب » .

(٥) كعب (هاهنا) : هو كعب بن لؤى ، والذين صرعوا ببدر وأحد أشراف قريش ، معظمهم من كعب بن لؤى .

قريشاً. قالوا : ماذا يريد؟ إن هذا لأمرٍ هو كائن؟ فانظروا ماهو؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بَدْر وأُحد بالشِّعب ، فعرفوا أنه الذى كان جاء به إلى صاحبته .

نسب الغيطلة

قال ابن هشام :

الغيطلة: من بنى مُرّة بن عَبْدمناة بن كِنانة، إخوة مُدْلج بن مُرّة، وهى أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب فى قوله :

٥

لقد سَفُهتْ أحلامُ قَوْمٍ تبدّلوا بَنى خَلَف قَيْضاً[١] بنا والغياطل[٢]

فقيل لولدها : الغياطل ؛ وهم من بَنى سهم بن عَمْرو بن هُصيص . وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

حديث كاهن جنب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى على بن نافع الجرشىّ :

إن جَنْباً[٣] : بطناً من اليمن ، كان لهم كاهنٌ فى الجاهلية ، فلما ذُكر أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وانتشر فى العرب ، قالت له جَنْب : انظُر لنا فى أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له فى أسفل جبله ؛ فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزو[٤] ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهّر قلبه وحشاه ، ومُكْثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم أَسْند[٥] فى جبله راجعاً من حيث جاء .

١٠

١٥

---

(١) قيضا : عوضا .

(٢) ويقال إن الغيطلة : بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق بن شنوق بن مرة ؛ وشنوق : أخو مدلج .

(٣) جنب : من مذحج . وهم : عبد الله ، وأنس الله ، وزيد الله ، وأوس الله ، وجعفى والحكم ، وجروة ، بنو سعد العشيرة بن مذحج ؛ ومذحج : هو مالك بن أدد . وسموا جنبا ، لأنهم جانبوا بنى عمهم صداء ويزيد ابنى سعد العشيرة بن مذحج .

٢٠

(٤) ينزو : يثب .

(٥) كذا فى ا . وأسند : علا وارتفع . وفى سائر الأصول : « اشتد » .

ماجرى بين عمر بن الخطاب وسواد بن قارب

قال ابن إسحاق : وحدّثنى من لاأتّهم عن عبد الله بن كَعْب ، مولى عثمان ابن عفان ، أنه حدّث :

أن عمر بن الخطاب ، بينا هو جالس فى الناس فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إذ أقبل رجل[1] من العرب داخلاً المسجدَ ، يريد عمرَ بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمرُ رضى الله عنه قال : إن هذا الرجل لعَلَى شِرْكه مافارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهناً فى الجاهلية . فسلّم عليه الرجلُ ، ثم جلس ، فقال له عمر رضى الله عنه : هل أسلمتَ ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهناً فى الجاهلية ؟ فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتَ[2] فىّ، واستقبلتنى بأمرٍ ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليتَ ماوليتَ ؛ فقال عمر : اللهم غَفراً[3] ، قد كنّا فى الجاهلية على شرٍّ من هذا ، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ؛ قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً فى الجاهلية ؛ قال : فأخبرنى ما جاءك به صاحبُك ؛ قال : جاءنى قبل

(1) هذا الرجل هو سواد بن قارب ، كان كاهنا فى الجاهلية ثم أسلم .

(2) هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خلت وظننت، كقولهم فى المثل : من يسمع يخل . ولايجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر، فإذا حذفت الجملة كلها جاز لأن حكمها حكم المفعول، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لابد من قرينة تدل على المراد . ففى قولهم : من يسمع يخل ، دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع . وفى قوله : « خلت فى » . دليل أيضا ، وهو قوله « فى » .

(3) غفرا : كلمة تقولها العرب إذا أخطأ الرجل على الرجل . ومعناها : اللهم اغفرلى غفرا . ويقال إن عمر مازحه . فقال : ما فعلت كهانتك ياسواد ؟ فغضب وقال : قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الأصنام ، وأكل الميتات ، أفتعيرنا بأمر تبت منه ؟ فقال عمر حينذاك : اللهم غفرا . (راجع الروض الأنف) .

ولقد ساق السهيلى قصة سواد مع عمر عن غير ابن إسحاق فى سياقة حسنة ، وزيادة مفيدة رأينا أن نجتزىء بالإشارة إليها إذ يمنعنا طولها من إثباتها .

الإسلام بشهر أو شَيْعه[1] ، فقال : ألم تَرَ إلى الجن و إبلاسها[2] ، و إياسها[3] من دينها ، ولُحوقها بالقِلاص[4] وأَحْلاسها[5] .

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

قال عبد الله بن كَعْب :

فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدّث الناس : والله إنى لعند وَثَن من أوثان الجاهلية فى نَفَر من قريش ، قد ذَبح له رجل من العرب عجلاً ، فنحن ننتظر قَسْمه ليَقْسِم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتاً ماسمعت صوتاً قطُّ أنفذ منه، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شَيْعه ، يقول: ياذَرِيح[6] ، أمرٌ نَجِيح ، رجل يَصيح ، يقول : لاإله إلا الله .

قال ابن هشام :

ويقال رجل يصيح . بلسان فصيح ، يقول: لاإله إلا الله . وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر :

عَجِبتُ للجنّ و إبلاسِها ... وشَدِّها العيسَ بأَحْلاسها

تَهْوِى إلى مكّة تبغى الهُدَى ... مامؤمنو الجنّ كأنْجاسها

(١) شيعه : دونه بقليل .

(٢) كذا فى أكثر الأصول والطبرى ، وأبلس الرجل : إذا سكت ذليلا أو مغلوبا . وفى ا : « وإسلامها » . والإسلام : الانقياد .

(٣) الإياس : اليأس .

(٤) القلاص من الابل : الفتية .

(٥) الأحلاس : جمع حلس ، وهو كساء من جلد يوضع على ظهر البعير ، ثم يوضع عليه الرحل ، ليقيه من الدبر .

(٦) كذا فى الأصول . ولعله نداء للعجل المذبوح ، لقولهم : أحمر ذريحى ، أى شديد الحمرة . فصار وصفا للعجل الذبيح من أجل الدم .

ويروى : « ياجليح » ، ويقال إن جليح: اسم شيطان . والجليح (لغة):ماتطاير من رءوس النبات وخف ، نحو القطن وشبهه ، الواحدة : جليحة ، وهو على هذا المعنى اللغوى وصف للعجل أيضاً ، على أن العجل قد جلح : أى كشف عنه الجلد .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من الكهّان من العرب .

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

إنذار اليهود به صلى الله عليه وسلم ولما بعث كفروا به

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عمر[1] بن قتادة عن رجال من قومه قالوا[2] :

٥ إن مما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه لنا ، لَما كنّا نسمع من رجال يهود ، [و][2] كنّا أهلَ شِرْك أصحابَ أوثان ، وكانوا أهلَ كتاب ، عندهم علمٌ ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلْنا منهم بعضَ ما يكرهون قالوا لنا : إنه [قد][2] تقارب زمانُ نبيّ يُبعث الآن نقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرم ، فكنّا كثيراً مانسمع ذلك منهم . فلما بعث الله رسولَه صلّى الله

١٠ عليه وسلّم أَجَبْناه ، حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرّفنا ما كانوا يتوعّدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنا به وكفروا به ، ففينا وفيهم نزّل هؤلاء الآيات من البقرة : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » .

١٥ قال ابن هشام :

يستفتحون : يستنصرون ويستفتحون [أيضاً][2] : يتحاكمون وفى كتاب الله تعالى : « رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ » .

حديث سلمة عن اليهودى الذى أنذر بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى صالحُ بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عَوْف ، عن محمود بن لَبيد ، أخى بنى عَبْد الأشهل ، عن سَلَمة[3] بن سلامة

---

٢٠ (١) كذا فى ا وتراجم رجال . وفى سائر الأصول هنا : « عمرو » ، وهو تحريف .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) هو سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصارى ، =

ابن وقش[1] ، وكان سَلَمة من أصحاب بَدْر ، قال :

كان لنا جار من يهود فى بَنى عَبْد الأَشْهل ، قال : فخرج علينا يومًا من بيته حتى وقف على بَنى عَبْد الأَشْهل – قال سَلَمة : وأنا يومئذمن أَحْدث مَنْ فيه سنًّا ، علىّ بُرْدة لى، مُضْطجع فيها بفِناء أهلى – فذكر القيامةَ والبَعْث والحِساب والمِيزان والجنّة والنار، قال:فقال ذلك لقوم أهلِ شِرْك أصحاب أوثان،لايَرَوْن أنّ بعثاً كائن بعد الموت ؛ فقالوا له : ويحك يافلان ! أو ترى هذا كائناً ، أنّ الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنّة ونار يُجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذى يُحلف به ، ولَوَدّ أن له بحظّه من تلك النار أعظمَ تنّور فى الدار ، يُحمونه ثم يُدخلونه إياه فيطيّنونه عليه ، بأن يَنْجو من تلك النار غدا ؛ فقالوا له : ويحك يافلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبىّ مَبْعوث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده إلى مكة واليمن ؛ فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلىّ ، وأنا مِنْ أحدثهم سنًّا، فقال: إن يَسْتنفد هذا الغلامُ عمرَه يُدركه . قال سَلَمة : فوالله ماذهب الليل والنهارحتى بعث الله محمداً رسولَه صلّى الله عليه وسلّم ، وهو حىّ بين أظهرنا ، فآمنّا به وكفر به بغياً وحسداً . قال : فقلنا له : ويحك يافلان ! ألستَ الذى قلتَ لنا فيه ماقلت ؟ قال : بلى ، ولكنْ ليس به .

إسلام ثعلبة وأسيد ابنى سعية وأسد ابن عبيد

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة عن شيخ من بنى قُرَيظة قال لى :

هل تدرى عَمَّ كان إسلامُ ثَعْلبة بن سَعْية وأَسِيد[2] بن سَعْية

= وأمه سلمى بنت سلامة بن خالد بن عدى أنصارية حارثية، ويكنى أبا عوف. شهد العقبة الأولى والعقبة الآخرة ، فى قول جميعهم ، ثم شهد بدرا والمشاهد كلها . واستعمله عمر رضى الله عنه على اليمامة ، وتوفى سنة خمس وأربعين بالمدينة ، وهو ابن سبعين سنة . (راجع الاستيعاب) .

(1) هو بالفتح ، وقيل بالتحريك . (راجع شرح القاموس مادة وقش) .

(2) قال السهيلى فى الروض عند الكلام على ضبط أسيد هذا : « وأما أسيد بن سعية ،

وأَسَد بن عبيد[1] ، نفَرٍ من بنى هَدْل، إخوة[2] بنى قُرَيظة، كانوا معهم فى جاهليتهم، ثم كانوا سادتهم فى الإسلام. قال : قلت : لا والله؛ قال : فإن رجلاً من يَهود من أهل الشام ، يقال له : ابن الهَيِّبان[3] ، قَدِم علينا قُبَيل الإسلام بسنين ، فحلّ بين أَظْهُرنا ، لا والله ماراأينا رجلاً قطُّ لايصلِّى الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا.

٥ فكنّا إذا قَحَط عنا المطرُ قُلْنا له : اخرُج يابن الهَيِّبان فاستسْق لنا ؛ فيقول : لا والله ، حتى تُقدّموا بين يدى مَخْرَجكم صدقةً ؛ فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعًا من تمر ، أو مُدَّيْن من شَعير . قال : فنُخرجها ثم يَخْرج بنا إلى ظاهر حَرّتنا فيستسقى اللهَ لنا . فوالله ما يبرح مَجْلسه حتى يمرّ السحابُ ونُسْقَى ، قد فعل ذلك غيرَ مَرّة ولا مَرّتين ولا ثلاث . قال : ثم حَضَرَتْه الوفاةُ عندنا ، فلما عرَف أنه

١٠ ميّت قال : يامعشر يهود ، ماترونه أخْرَجنى من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قال: قلنا: إنك أعلم؛ قال: فإنى إنما قَدمتُ هذه البلدةَ أتَوَكّف[4] خروجَ نبىّ قد أظلّ[5] زمانُهُ ؛ وهذه البلدة مُهاجَره ، فكنت أرجو أن

فقال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدنى عن ابن إسحاق ، وهو أحد رواة المغازى ، عنه : أسيد بن سعية ، بضم الألف . وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق ،

١٥ وهو قول الواقدى وغيره : أسيد ، بفتحها . قال الدارقطنى : وهذا هو الصواب ، ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق » . وسعية أبوهم ، ويقال له ابن العريض .

(١) عبارة الطبرى والاستيعاب عند الكلام على أسد بن عبيد القرظى ، وأسيد وثعلبة ابنى سعية : « وهم نفر من بنى هدل ، ليسوا من بنى قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم » .

٢٠ (٢) فى الروض : « وأسد بن سعية » . وفى هؤلاء أنزل الله عز وجل : « من أهل الكتاب أمة قائمة » الآية .

(٣) هو من المسمين بالصفات . يقال : قطن هيبان ، أى منتفش خفيف . قال ذو الرمة :

تمج اللغام الهيبان كأنه جنى عشر تنفيه أشداقها الهدل

(راجع اللسان والروض) .

٢٥ (٤) أتوكف : أنتظر .

(٥) أظل : أشرف وقرب .

يُبعث فأتبعه، وقد أظلّكم زمانُه ، فلا تُسْبَقُنّ إليه يامعشر يهود، فإنه يُبعث بسَفْك الدماء وسَبْى الذرارى والنساء مِمّن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه . فلما بُعِثَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وحاصَرَ بنى[1] قُرَيظة ، قال هؤلاء الفِتْية ، وكانوا شبابا أحداثا : يابنى قُرَيظة ، والله إنه للنبىّ الذى كان عَهِد إليكم فيه ابنُ الهَيِّبان ؛ قالوا : ليس به؛ قالوا : بلى والله، إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا وأَحْرزوا ٥ دِماءَهم وأموالَهم وأَهْليهم .

قال ابن إسحاق : فهذا مابلغنا عن أخبار يهود .

حديث إسلام سلمان رضى الله عنه

كان سلمان مجوسيا فر بكنيسة فتطلع إلى النصرانية

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصمُ بن عُمر بن قَتادة الأنصارىّ عن محمود ابن لَبيد عن عبدالله بن عبّاس ، قال حدثنى سَلْمان الفارسى، وأنا أسمع من فِيه، قال: ١٠ كنتُ رجلاً فارسيّا من أهل أَصْبهان[2] من قَرْية يُقال لها جَىّ[3] ، وكان أبى دِهْقانَ[4] قَرْيته ، وكنتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إليه ، لم يزل به حبّه إياى حتى حَبَسنى فى بيته كما تُحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنتُ

---

(١) يريد حين غزا صلى الله عليه وسلم بنى قريظة عقب منصرفه من غزوة الخندق .

١٥ (٢) أصبهان (بفتح الهمزة وهو الأكثر ، وقيل بكسرها) : مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ، ويسرفون فى وصف عظمها حتى يتجاوزوا حد الاقتصاد إلى غاية الإسراف . وأصبهان : اسم للإقليم بأسره ، وكانت مدينتها أولا جيا ، ثم صارت اليهودية ، وقيل فى سبب تسمية أصبهان أقوال كثيرة . (راجع معجم البلدان لياقوت).

(٣) كذا فى ا ومعجم البلدان . وجىّ (بالفتح ثم التشديد) : مدينة ناحية أصبهان القديم ،
٢٠ وهى الآن كالخراب منفردة ، وتسمى الآن عند العجم شهر ستان . وعند المحدثين المدينة .

(٤) الدهقان : شيخ القرية العارف بالفلاحة وما يصلح بالأرض ، يلجأ إليه فى معرفة ذلك .

قَطِن(١) النار الذى يُوقدها، لايتركها تَخْبو ساعةً . قال : وكانت لأبى ضيعةٌ عظيمة، فشُغل فى بُنيانٍ له يومًا، فقال لى : يابنىّ، إنّى قد شُغلت فى بُنيانى هذا اليومَ عن ضَيْعتى، فاذهب إليها فاطّلعْها. وأمَرنى فيها ببعض مايُريد، ثم قال لى : ولا تحتبس عنّى فإنك إن احتبستَ عنّى كنتَ أهمَّ إلىّ من ضَيْعتى، وشَغَلْتَنى

٥ عن كلّ شىء من أمرى . قال : فخرجت أُريد ضيعَته التى بعثنى إليها، فمررتُ بكَنيسة من كنائس النّصارى، فسمعت أصواتَهم فيها وهم يصلّون، وكنت لا أدرى ما أَمْرُ الناس، لِحَبْس أبى إياى فى بيته، فلما سمعتُ أصواتَهم دخلتُ عليهم أَنْظر مايَصْنعون، فلما رأيتُهم أعجبتْنى صلاتُهم ورغبتُ فى أمرهم وقلت : هذا والله خيرٌ من الدين الذى نحن عليه، فوالله مابرِحْتُهم حتى غَرَبت الشمسُ،

١٠ وتركت ضيعة أبى فلم آتِها؛ ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام. فرجعت إلى أبى، وقد بعث فى طلبى، وشغلْتُه عن عمله كلّه، فلما جئته قال : أى بنى، أين كنت ؟ أولم أكُنْ عَهِدْتُ إليك ماعهدتُ؛ قال : قلت له : ياأبتِ، مررتُ بأُناس يصلّون فى كنيسة لهم، فأعجبنى مارأيتُ من دينهم، فوالله مازلْت عندهم حتى غَرَبت الشمس؛ قال : أى بُنى، ليس فى ذلك الدينِ خيرٌ، دينُك

١٥ ودينُ آبائك خيرٌ منه؛ قال : قلت له : كلا والله، إنه لخيرٌ من ديننا. قال : فخافنى فجعل فى رِجْلى قيداً، ثم حبسنى فى بيته.

اتفاق سلمان والنصارى على الهرب

قال : وبعثتُ إلى النّصارى فقلت لهم : إذا قَدِم عليكم رَكْبٌ من الشام فأخبِرونى بهم. قال : فقَدِم عليهم ركبٌ من الشام تجار من النصارى، فأخبرونى بهم، فقلت لهم : إذا قَضَوْا حوائجَهم، وأرادُوا الرجعة إلى بلادهم، فآذنونى بهم.

٢٠ قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أَخْبَرونى بهم، فألقيتُ الحديدَ من رِجْلىّ، ثم خرجتُ معهم حتى قَدِمْتُ الشام. فلما قَدِمتُها قلتُ : مَنْ أَفضلُ أهلِ هذا الدين

(١) قطن النار : خادمها الذى يخدمها ويمنعها من أن تخبو، لتعظيمهم إياها.

علماً ؟ قالوا : الأسقفُ[1] فى الكنيسة .

سلمان وأسقف النصارى السيء

قال فجئته فقلت له: إنى قد رَغِبْتُ فى هذا الدين، فأحببتُ أن أكونَ معك، وأَخْدُمكَ فى كنيستك ، فأتعلَّم منك ، وأُصلِّى معك ؛ قال : ادخُل ، فدخلتُ معه. قال : وكان رَجُلَ سَوْء ، يأمرهم بالصدقة ، ويرغّبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها[2] اكتنزه لنفسه ، ولم يُعْطِه المَساكين ، حتى جمع سَبْع قِلال من ذهب وورِق. قال : فأبغضتُه بغضاً شديداً لِمَا رأيتهُ يَصْنع ؛ ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إنّ هذا كان رجلَ سَوْء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ، ولم يُعْطِ المَساكينَ منها شيئاً . قال : فقالوا لى : وما عِلْمُكَ بذلك ؟ قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كَنْزه ؛ قالوا : فَدُلّنا عليه ؛ قال : فأريتُهم موضِعَه ، فاستخرجوا منه سَبْع قِلال مملوءة ذهباً وَوَرِقاً . قال : فلما رأوها قالوا . والله لا نَدْفنه أبداً . قال : فصَلبوه ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه .

سلمان والأسقف الصالح

قال : يقول سَلْمان : فما رأيتُ رجلاً لا يصلّى الخمس ، أَرَى أنه كان أفضلَ منه [و][3] أزهد فى الدنيا ، ولا أرغبَ فى الآخرة ولا أدأبَ ليلاً ونهاراً منه . قال : فأحببته حبّاً لم أحبّه شيئاً قبله[4] . قال: فأقمتُ معه زماناً طويلا ، ثم حضرتْه الوفاة ، فقلتُ له : يا فلان ، إنى قد كنت معك وأحببتك حبّا لم أحبّه شيئاً قبلك ، وقد حَضَركَ ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلَى مَنْ تُوصى بى ؟ وبِمَ تأمرنى ؟ قال : أى بُنَيّ ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناسُ ، وبدّلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالمَوْصِل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه فالحقْ به .

(١) الأسقف (بالتشديد وبالتخفيف أيضا) : عالم النصارى الذى يقيم لهم أمر دينهم .
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فيهم » ، وهو تحريف .
(٣) زيادة عن ا .
(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ... قبله مثله » .

سلمان وصاحبه بالموصل

قال: فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب المَوْصل، فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصانى عند موته أن ألحقَ بك، وأخبرنى أنك على أمره؛ فقال لى: أقِمْ عندى، فأقمتُ عنده، فوجدتُه خيرَ رجلٍ على أمْرِ صاحبه، فلم يلبث أن مات. فلما حضرتْه الوفاة قلت له: يافلان، إن فلاناً أوصى بى إليك، وأمرنى باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ماترى، فإلى من تُوصى بى؟ وبِمَ تأمرنى؟ قال: يابنى، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنّا عليه، إلا رجلاً بنَصِيبين[1]، وهو فلان، فالحقْ به.

سلمان وصاحبه بنصيبين

فلما مات وغُيِّب لحقت بصاحب نَصِيبين، فأخبرته خبرى، وما أمرنى به صاحبه، فقال: أَقِمْ عندى، فأقمتُ عنده، فوجدته على أمر صاحبيه. فأقمتُ مع خَيْر رجلٍ، فوالله مالَبِث أن نزل به الموتُ، فلما حُضِر قلت له: يافلان، إن فلاناً كان أوصى بى إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إليك. قال: فإلى مَنْ تُوصى بى؟ وبِمَ تأمرنى؟ قال: يابنى، والله ما أعلمه بَقِى أحدٌ على أمرنا آمرُك أَنْ تأتيه إلا رجلاً بعَمُّورِيَة[2] من أرض الروم، فإنه على مثل مانحن عليه، فإن أحببتَ فاته فإنه على أمْرِنا.

سلمان وصاحبه بعمورية

فلما مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب عمورية فأخبرته خَبرى؛ فقال: أَقِمْ عندى، فأقمت عند خَيْر رجلٍ، على هَدْى أصحابه وأمْرِهم. قال: واكتسبتُ حتى كانت لى بقرات وغُنَيمة. قال: ثم نزل به أمرُ الله تعالى، فلما حُضِر قلت له: يافلان، إنى كنتُ مع فلان فأوصى بى إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إلى فلان، ثم أوصى بى فلان إليك، فإلى مَنْ تُوصى بى؟ وبِمَ تأمرنى؟

---

(1) نصيبين (بالفتح ثم الكسر ثم باء وعلامة الجمع الصحيح): مدينة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، وكان فيها وفى قراها — على ماذكر أهلها — أربعون ألف بستان. وبينها وبين الموصل ستة أيام. وكانت الروم قد بنت عليها سوراً وأتمه أنوشروان الملك عند فتحه إياها.

(2) عمورية (بفتح أوله وتشديد ثانيه): بلد فى بلاد الروم غزاه المعتصم. وسميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح. (راجع معجم البلدان).

قال : أى بنى ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحدٌ على مثل ما كنّا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه ، ولكنه قد أظلّ زمان نبيّ ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مُهاجَره إلى أرضٍ بين[1] حَرّتين ، بينهما نخل به علامات لاتخفى ، يأكل الهديّة ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كَتِفَيْه خاتَم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل . ٥

سلمان ونقلته إلى وادى القرى ثم إلى المدينة وسماعه ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ثم مات وغُيِّب ، ومكثتُ بعمورية ماشاء الله أن أمكث ، ثم مَرّ بى نَفَر مِنْ كَلْب تجّار ، فقلت لهم : احملونى إلى أرض العرب وأعطيكم بَقراتى هذه وغُنَيمتى هذه ؛ قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخلَ ، فرجوت أن يكون البلد الذى وَصَف لى صاحبى ، ولم يَحِقّ فى نفسى ، فبينا ١٠ أنا عنده إذ قَدِم عليه ابنُ عم له من بَنى قُرَيظة مِن المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ماهو إلا أن رأيتُها فعرفتها[2] بصِفَة صاحبى ، فأقمتُ بها ، وبُعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأقام بمكة ما أقام ، لاأسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرقّ ، ثم هاجر إلى المدينة فوالله إنى لفى رأس عذْق[3] لسيدى أعمل له فيه بعضَ العمل ، وسيّدى جالس تحتى ، إذ أقبل ابنُ عمٍ له حتى وقف ١٥ عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل الله بَنى قَيْلة ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُباء[4] على رجل قَدِم عليهم من مكّة اليوم يزعمون أنه نبيّ .

نسب قيلة

قال ابن هشام :

قيلة : بنت كاهل بن عُذْرة بن سَعْد بن زَيْدِ بن لَيْث بن سود بن أَسْلُم ابن الحافِ بن قُضاعة ، أم الأوس والخزرج . ٢٠

---

(١) الحرة : كل أرض ذات حجارة سود .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « عرفتها » .

(٣) العذق (بالفتح) : النخلة . والعذق (بالكسر) : الكباسة .

(٤) قباء (بالضم) أصله اسم بئر عرفت القرية بها ، وهى مساكن بنى عمرو بن عوف من الأنصار . وتقع قرية قباء على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . (راجع معجم البلدان) .

قال النعمان بن بَشير الأنصارى يمدح الأوس والخزرج :

بَهاليل[1] مِنْ أولاد قَيْلة لم يَجِدْ عليهم خَليطٌ فى مُخالطة عَتْبَا
مَساميح أبطال يَراحون للندى يَرَوْن عليهم فِعْلَ آبائهم نَحْبا[2]

وهذان البيتان فى قصيدة له .

٥ قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عُمر بن قتادة الأنصارى عن محمود ابن لَبيد عن عبد الله بن عبّاس قال :

قال سَلْمان : فلما سمعتُها أَخذَتْنى العُرَواء . فقال ابن هشام : والعرواء : الرعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عَرق فهى الرُّحَضاء ، وكلاهما ممدود – حتى ظننتُ أنى سأسقط على سيّدى ، فنزلت عن النخلة فجعلت

١٠ أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ [ماذا تقول][3] ؟ فغضب سيّدى فلكمنى لكمةً شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ! أقبل على عملك . قال : قلت : لا شىء ، إنما أردتُ أن أستثبته عما قال :

سلمان بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم بهديته يستوثق

[قال][3] وقد كان عندى شىء قد جمعته ، فلما أمسيتُ أخذتُه ، ثم ذهبت به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بقُباء[4] ، فدخلت عليه فقلت له : إنه

١٥ قد بلغنى أنك رجلٌ صالح ، ومعك أصحاب لك غُرباء ذوو حاجة ، وهذا شىء قد كان عندى للصَّدَقة ، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم ، قال : فقرّبته إليه ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه : كلوا ، وأَمْسكَ يدَه فلم يأكل . قال : فقلت فى نفسى : هذه واحدة . قال : ثم انصرفتُ عنه فجمعت شيئاً ، وتحوّل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، ثم جئته به فقلت له : إنى قد رأيتك

---

٢٠ (١) البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد .

(٢) المساميح : الأجواد الكرام . ويراحون : يهتزون . والنحب : النذر ، وما يجعله الإنسان على نفسه .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) راجع الحاشية (رقم ٤ ص ٢٣٢) .

لا تأكل الصدقة ، وهذه هَدِيّة أكْرمتكَ بها . قال : فأكل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه . قال : فقلت فى نفسى : هاتان ثنتان ؛ ثم جئت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو ببَقِيع الغَرْقد[1] ، قد تَبِع جنازة رجلٍ من أصحابه[2] ، [و][3] علىّ شملتان[4] لى ، وهو جالس فى أصحابه ، فسلّمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتَم الذى وَصف لى صاحبى ؛ ٥ فلما رآنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم استدبرتُه[5] عَرَف أنى أستثبت فى شىء وُصف لى ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتَم فعرفتُه ، فأكْببتُ عليه أُقبّله وأبْكى ؛ فقال لى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: تحوّل ، فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصتُ عليه حديثى كما حدّثتُك يابن عبّاس ، فأُعْجب رسولَ الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم أن يسمع ذلك أصحابُه . ثم شغل سَلْمانَ الرقُّ حتى ١٠ فاته مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بدرٌ وأُحُد .

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان بالمكاتبة ليخلص من الرق

قال سَلْمانَ : ثم قال لى رسول الله صلّى الله وسلّم : كاتِبْ ياسَلْمان ؛ فكاتبتُ صاحبى على ثلاث مئة نخلة أُحْييها له بالفَقِير[6] ، وأربعين أُوقية . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأصحابه : أعينوا أخاكم ، فأعانونى بالنخل ، الرجلُ بثلاثين وَدِيّةً[7] ، والرجل بعشرين وَدِيّةً ، والرجلُ بخَمْس عشرة وديةً ، ١٥

(١) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة ، وهى داخل المدينة .

(٢) هو كلثوم بن الهدم ، وكان هو أول من توفى من المسلمين بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة، لم يلبث إلا يسيرا حتى مات . (راجع الطبرى، والروض، وشرح السيرة) .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) الشملة : الكساء الغليظ يشتمل به الإنسان ، أى يلتحف به . ٢٠

(٥) ويروى : « أستدير به » .

(٦) كذا فى الأصول ، أى بالحفر وبالغرس ، يقال : فقرت الأرض : إذا حفرتها ، ومنه سميت البئر : فقيرا .

وفى رواية أخرى : « بالتفقير » . مصدر : « فقر » . ولعل هذه الرواية أنسب .

(٧) الودية : واحدة الودى ، وهو فراخ النخل الصغار . ٢٥

والرجل بعشر ، يُعين الرجل بقَدر ماعنده ، حتى اجتمعت لى ثلاث مئة وديّة ؛ فقال لى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اذهب ياسَلْمان فِفقِّر[1] لها ، فإذا فرغتَ فأْتنِى أَكُنْ أنا أضعها بيدى . قال : ففقّرت وأعاننى أصحابى ، حتى إذا فرغتُ جئتُه فأخبرتُه ، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم معى إليها ، فجعلنا نقرّب إليه الودىّ ، ويضعه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بيده ، حتى فرَغْنا . فوالذى نفس سَلْمان بيده ما ماتت منها وَدِيّة واحدة[2] . قال : فأدّيتُ النخلَ وبَقى علىّ المالُ . فأُتى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمثل بَيْضة الدّجاجة من ذهب ، من بَعْض المَعَادن[3] ، فقال : مافعل الفارسىّ المُكاتب ؟ قال : فدُعيت له ، فقال : خُذْ هذه فأدّها ممّا عليك يا سَلْمان ؛ قال : قلت : وأين تقَع هذه يا رسول الله ممّا علىّ ! فقال : خذها فإن الله سيؤدّى بها عنك . قال : فأخذتها فوزنت لهم منها — والذى نفسُ سَلْمان بيده — أربعينَ أوقية فأوفيتُهم حقّهم منها ، وعَتَق سَلْمان . فشهدتُ مع رسولِ الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم الخندقَ حُرًّا ، ثم لم يَفُتنى معه مَشْهدٌ .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن أبى حَبيب عن رجل من عَبْد القَيْس عن سَلْمان أنه قال :

لمّا قلت : وأين تقع هذه مِنَ الذى علىّ يا رسول الله ؟ أخذها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فقلّبها على لسانه ثم قال : خذها فأَوْفِهم منها ، فأخذتها فأوفيتهم منها حقّهم كلّه ، أربعين أوقية .

---

(١) فقر : احفر .

(٢) ويقال إن سلمان غرس بيده ، ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها ، فعاشت كلها إلا التى غرس سلمان . (راجع الروض الأنف) .

(٣) المعادن : جمع معدن (كمجلس) : منبت الجواهر من ذهب وفضة وحديد ونحوه .

قال ابن إسحاق: وحدّثنى عاصم بن عُمَرَ بن قَتادة . قال حدّثنى من لا أتّهم عن عُمر بن عبد العزيز بن مَرْوان قال :

سلمان والرجل الذى كان يخرج بين غيضتين بعمورية

حُدثت عن سَلْمان الفارسى أنه قال لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أخبره خبرَه: إنّ صاحبَ عمورِيّة قال له : ائت كذا وكذا من أرض الشام ، فإنّ بها رجلاً بين غَيْضتين[1] ، يخرج فى كل سنة مِن هذه الغَيْضة إلى هذه الغَيْضة مستجيزاً ، يعترضه ذَوُو الأسقام فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شُفِى ، فاسألْه عن هذا الدين الذى تبتغى ، فهو يخبرك عنه . قال سَلْمان : فخرجتُ حتى أتيتُ حيثُ وُصِف لِى ، فوجدتُ الناسَ قد اُجتمعوا بمَرْضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلةَ مستجيزاً من إحدى الغَيْضتين إلى أخرى ، فغشيه الناسُ بمَرْضاهم ، لا يدعو لمريض إلا شُفِى ، وغلبونى عليه ، فلم أخلُص إليه حتى دخل الغَيْضة التى يريد أن يدخل ، إلا مِنْكبه. قال : فتناولتُه ؛ فقال : مَنْ هذا ؟ والتفت إلىّ ؛ فقلت : يرحمك الله ، أَخْبِرنى عن الحنيفية دين إبراهيم . قال : إنك لتسأل عن شىء ما يسأل عنه الناسُ اليومَ ! قد أظلّك زمان نبىّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم ، فأْتِه فهو يَحْمِلك عليه ؛ قال : ثم دخل . قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لسلمان : لئن كنتَ صَدَقتنى يا سلمان ، لقد لقيتَ عيسى بنَ مَرْيَم[2] ، على نبيّنا وعليه السلام .

---

(١) الغيضة : الشجر الملتف .

(٢) قال السهيلى عند الكلام على هذا الحديث : «إسناد هذا الحديث مقطوع، وفيه رجل مجهول ، ويقال إن الرجل هو الحسن بن عمارة ، وهو ضعيف بإجماع منهم ، فإن صح الحديث فلا نكارة فى متنه » . ثم تصدى السهيلى لتأييده على فرض صحته ناقلا عن الطبرى فى كلام طويل رأينا أن نجتزئ هنا بالإشارة إليه .

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعبيد الله ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل[1]

بحثهم فى الأديان

قال ابن إسحاق :

واجتمعت قريش يومًا فى عيدٍ لهم عند صنم من أصنامهم، كانوا يعظّمونه وينحرون له، ويعكِفون عنده، ويُديرون[2] به، وكان ذلك عيداً لهم فى كل سنة يومًا ، فخلُص منهم أربعةُ نفرٍ نجيًّا[3] ، ثم قال بعضُهم لبعض : تصادقُوا وليكتُمْ بعضُكم على بعض ؛ قالوا : أجل . وهم : وَرَقة بن نَوْفل بن أسَد بن عبد العُزّى ابن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ ؛ وعُبيد الله بن جَحْش بن رِئاب ابن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودان[4] بن أسَد بن خُزيمة ، وكانت أمه أُمَيْمة بنت عبد المطّلب ؛ وعثمان بن الحُوَيرث بن أسَد بن عبد العزّى بن قُصَىّ ؛ وزَيْد[5] بن عَمْرو بن نُفَيل بن عبد العزّى بن عبد الله بن قُرْط ابن رِياح[6] بن رَزاح[7] بن عدىّ بن كَعْب بن لؤىّ . فقال بعضهم لبعض :

(1) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « أمر النفر الأربعة المتفرقين فى عبادة الأوثان فى طلب الأديان » .

(2) فى ا : « يدورون » . وهما بمعنى .

(3) النجى : الجماعة يتحدثون سرا عن غيرهم ، ويقع للاثنين والجماعة بلفظ واحد .

(4) كذا فى ا والقاموس وشرحه . وفى سائر الأصول : « داودان » وهو تحريف .

(5) وأم زيد : الحيداء بنت خالد الفهمية ، وهى امرأة جده نفيل ، ولدت له الخطاب ، فهو أخو الخطاب لأمه وابن أخته ، وكان ذلك مباحا فى الجاهلية . (راجع الروض) .

(6) المعروف فى نسب عمر بن الخطاب ، وهو ابن عم زيد بن عمرو ، أنه : عمر بن الخطاب ابن نفيل بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح ، بتقديم « رياح » على « عبد الله » . (راجع الروض الأنف) .

(7) رزاح : بفتح الراء . وقيل بكسرها ، وقيل إن الذى بالكسر هو رزاح بن ربيعة، أخو قصى لأمه . (راجع الروض الأنف) .

تعلموا والله ما قومُكم على شىء ! لقد أخطئوا دينَ أبيهم إبراهيم ! ما حَجَر نُطِيف به ، لا يسمع ولا يُبْصر ولا يضر ولا ينفع ! يا قوم ، التمسوا لأنفسكم [ديناً][1] فإنكم والله ما أنتم على شىء . فتفرّقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية ، دينَ إبراهيم .

ماوصل إليه ورقة وابن جحش

فأمّا ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانيـة ، واتبع الكتبَ من أهلها حتى علم علماً من أهل الكتاب . وأمّا عُبيد الله بن جَحْش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأتُه أمّ حَبيبة بنت أبى سفيان مُسْلِمةً ؛ فلما قدمها تنصّر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نَصْرانيًّا .

ما كان يفعله ابن جحش بعد تنصره بمسلمى الحبشة

قال ابن إسحاق : فحدّثنى محمد بن جَعْفر بن الزُّبير قال :

كان عُبَيْد الله بن جَحْش حين تنصّر يَمُرّ بأصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهم هنالك من أرض الحبشة فيقول : فقَّحْنا وصأصأتم ، أى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ، ولم تُبْصروا بعدُ . وذلك أن وَلَدَ الكَلْب إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر صأصأ لينظر . وقوله : فقّح : فتح عينيه .

زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من امرأة ابن جحش بعد موته

قال ابن إسحاق :

وخَلَف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بعده على امرأته أم حَبيبة بنت أبى سفيان بن حَرْب .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن علىّ بن حُسَيْن :

أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث فيها إلى النجاشى عمْرَو بنَ أُمَيّة الضَّمْرِىّ ، فخطبها عليه النجاشىّ ، فزوّجه إياها ، وأصدقها عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أربع مئة دينار . فقال محمد بنُ علىّ : ما نرى عبدَ الملك بن مَرْوان وَقَفَ صداقَ النساء على أربع مئة دينار إلا عن ذلك . وكان الذى

(١) زيادة ن ا .

أمْلَكها النبيَّ[1] صلّى الله عليه وسلّم خالدُ بن سَعيد بن العاص .

قال ابن إسحاق :

تنصر ابن الحويرث وذهابه إلى قيصر

وأمّا عثمان بن الحُوَيرث فقَدِم على قيصر ملك الرُّوم فتنصّر، وحسنت منزلته عنده .

٥ قال ابن هشام : ولعثمان بنْ الحُوَيرث عند قيصر حديثٌ منعنى من ذكره ما ذكرتُ فى حديث حرب الفِجار[2] .

قال ابن إسحاق :

زيد بن عمرو وما وصل إليه وشىء عنه

وأمّا زيد بنْ عَمْرو بن نُفَيل فوقفَ فلم يدخل فى يهوديّة ولا نَصْرانية ، وفارق دينَ قومه، فاعتزل الأوثان والمَيْتة والدم والذبائح التى تذبح على الأوثان[3]

---

١٠ (١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « للنبى » . والمعروف أن : « أملك » . تتعدى إلى مفعولين .

(٢) وهذا الحديث هو أن قيصر كان قد توج عثمان وولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا لملك، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى : ألا إن مكة حى لقاح لاتدين لملك ؛ فلم يتم له مراده ، وقيل غير هذا .

١٥ وكان يقال لعثمان هذا البطريق ولا عقب له ، ومات بالشام مسموما ، سمه عمرو بن جفنة الغسانى الملك . (راجع الروض الأنف) .

(٣) قال السهيلى بعد ما تعرض للكلام على ترك زيد لما ذبح على النصب : « وفيه سؤال ؛ يقال : كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ماذبح على النصب ، وما لم يذكر اسم الله عليه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية ؟ فالجواب من وجهين :

٢٠ أحدهما : أنه ليس فى الحديث حين لقيه ببلدح [يشير إلى لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ببلدح قبل أن ينزل الوحى ، فقدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة فأبى زيد أن يأكل منها وقال : إنى لست آكل مايذبح على النصب ولا آكل إلا ماذكر اسم الله عليه] فقدمت إليه السفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل منها ، وإنما فى الحديث أن زيداً قال حين قدمت السفرة : لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه .

٢٥ الجواب الثانى : أن زيداً إنما فعل ذلك برأى رآه لابشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة لابتحريم ماذبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك فى الإسلام . وبعض الأصوليين يقول : الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة ؛ فإن قلنا بهذا وقلنا إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل مماذبح على النصب ، فإنما فعل أمرا مباحا ، فإن

ونَهَى عن قتل الموءودة[1] ، وقال : أَعْبُدُ ربَّ إبراهيم ؛ وبادى قومَه بعَيْبِ ماهم عليه .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى هشام بن عُرْوة عن أبيه عن أُمّه أسماء بنت أبى بَكْر رضى الله عنهما قالت :

لقد رأيت زيدَ بن عمرو بن نُفَيل شيخاً كبيرًا مُسْنِدًا ظهرَه إلى الكعبة ٥ وهو يقول : يا معشر قريش ، والذى نفسُ زيدِ بن عمرو بيده ، ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيرى ، ثم يقول : اللهم لو أنى أعلم أىّ الوجوه أحبّ إليك عَبَدتك به ، ولكنّى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته .

قال ابن إسحاق :

وحُدّثت أن ابنَه ، سعيدَ بن زَيْد بن عمرو بن نُفَيل ، وعُمَر بن الخطّاب ، ١٠ وهو ابن عمّه . قالا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أنَسْتغفِرُ[2] لزيد بن عمرو ؟ قال نعم ، فإنه يُبعث أمةً وحدَه .

= وإن كان لا يأكل منه فلا إشكال . وإن قلنا أيضاً : إنها ليست على الإباحة ، ولا على التحريم ، وهو الصحيح ، فالذبائح خاصة لها أصل فى تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ، ونحو ذلك ، مما أحله الله تعالى فى دين من كان قبلنا ، ولم يقدح فى ذلك التحليل المتقدم ١٥ ما ابتدعوه ، حتى جاء الإسلام وأنزل الله سبحانه : «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه» . ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدح فى ذلك التحليل ما أحدثوه من الكفر وعبادة الصلبان ، فكذلك كان ماذبحه أهل الأوثان محلا بالشرع المتقدم حتى خصه القرآن بالتحريم .

(١) وكان زيد — فيما يقال — يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أكفيك ٢٠ مؤونتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤونتها .

وقد كان صعصعة بن معاوية جد الفرزدق رحمه الله يفعل مثل ذلك ، ولما أسلم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل لى فى ذلك أجر ؟ فقال : لك من أجره إذ من الله عليك بالإسلام . وفى الفخر بمعاوية يقول الفرزدق : ٢٥

ومنا الذى منع الوائدا ت وأحيا الوئيد فلم يوأد

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «استغفر» .

شعر زيد فى فراق دين قومه

وقال زيدُ بنُ عمرو بنِ نُفَيل فى فِراق دين قومه ، وما كان لَقِيَ منهم فى ذلك :

أربًّا واحــدًا أم ألفَ ربٍّ ... أَدِينُ إذا تُقُسِّمت الأُمورُ

عَزَلْتُ اللاتَ والعُزَّى[1] جميعاً ... كذلك يفعلُ الجَلْد الصَّبُورُ

٥ فلا العُزَّى أدينُ ولا ابنَتَيْها ... ولا صَنَمَىْ بنى عمرٍو أُزُورُ[2]

ولا هُبَلا أدينُ وكان رَبًّا[3] ... لنا فى الدهر إذ حِلْمِى يَسيرُ

عجبتُ وفى الليالى مُعْجِباتٌ ... وفى الأيام يَعْرِفها البَصــيرُ

بأنَّ اللهَ قد أَفْنَى رجالاً ... كثيرًا كان شَأْنَهم الفجورُ[4]

وأبقى آخرين ببرِّ قومٍ ... فَيَرْبِلُ منهمُ الطفلُ الصغيرُ[5]

١٠ وبينا المرءُ يفترُ[6] ثاب[7] يومًا ... كما يتروَّح الغُصْنُ المَطيرُ[8]

---

(١) وكانت العزى نخلات مجتمعة ، وكان عمرو بن لحى قد أخبرهم ، فيما ذكر ، أن الرب يشتى بالطائف عند اللات ، ويصيف بالعزى ، فعظموها وبنوا لها بيتا ، وكانوا يهدون لها كما يهدون إلى الكعبة ؛ وهى التى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليهدمها فقال له سادنها : يا خالد ، احذرها فإنها تجذع وتكتع ، فهدمها خالد وترك منها جذمها ١٥ وأساسها ، فقال قيمها : والله لتعودن ولتنتقمن ممن فعل بها هذا ، ثم كان أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا باستئصال بقيتها ففعل .

(٢) كذا فى الأصول : يريد قبيل أبيه . وفى الأصنام لابن الكلبى (ص ٢٢) ، وبلوغ الأرب (ج ٢ ص ٢٢٠) : « بنى غنم » .

(٣) كذا فى كتاب الأصنام لابن الكلبى ، وهبل (كصرد) : صنم لهم . وقد تقدم ٢٠ الكلام عليه ، وفى جميع الأصول : « ولاغنما » . ولم نجد من بين أصنام العرب صنما له هذا الاسم .

(٤) رواية هذا البيت فى الأغانى :

ألم تعــلم بأن الله أفنى ... رجالا كان شأنهم الفجور

(٥) كذا فى الأصول وبلوغ الأرب . وربل الطفل يربل (من بابى نصر وضرب) : إذا شب ٢٥ وعظم وكبر . وفى الأغانى : « فيربو » .

(٦) كذا فى أكثر الأصول والأغانى وبلوغ الأرب . وفى ا : « يفتر » . وفتر الشىء يفتر (من بابى نصر وضرب) : سكن بعد حدته ، ولان بعد شدته وضعف .

(٧) ثاب : رجع .

(٨) يتروح : يهتز ويخضر ، وينبت ورقه بعد سقوطه .

ولكنْ أعبُد الرحمنَ ربّى ... ليغفِرَ ذنْبِىَ الربُّ الغَفورُ
فتقوى اللهِ ربِّكمُ احفَظُوها ... متَى ما تَحْفظوها لاَ تَبورُوا
تَرَى الأبرار دارُهم جِنان ... وللكفَّار حاميةً سَعيرُ
وخِزْىٌ فى الحياة وإن يموتوا ... يُلاقُوا ما تَضيق به الصُّدورُ

وقال زيد بن عمرو بن نُفيل أيضاً ـ قال ابن هشام : هى لأُميَّة بن أبى الصلت فى قصيدة له، إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز البيتَ الأول عن غير ابن إسحاق ـ :

إلى الله أُهْدِى مِدْحتى وثَنائيا ... وقولاً رَصِينا[1] لاَ يَنِى الدهرَ باقيا[2]
إلى الملِكِ الأعلى الذى ليس فوقه ... إلاهٌ ولا ربٌّ يكون مُدانيا
ألا أيّها الإنسان إياك والرَّدَى[3] ... فإنك لاَ تُخْفِى مِنَ الله خافيا
وإياك لا تجعلْ مع الله غيرَه ... فإن سبيلَ الرشــد أصبحَ بادِيا
حنَانَيك[4] إنّ الجِن[5] كانت رَجاءهم ... وأنت إلاهى ربّنا ورجائيا
رضيتُ بك اللهم ربًّا فلن أرى ... أدينُ إلاها[6] غيرك اللهُ[7] ثانيا

(١) كذا فى ا . والرصين : الثابت المحكم . وفى سائر الأصول : « وقولا رضينا » .
(٢) لاينى : لايفتر ولا يضعف .
(٣) الردى : الهلاك والموت ، وليس المراد تحذيره الموت ، وإنما المراد تحذيره ما يأتى به الموت ويبديه ويكشفه من جزاء الأعمال .
(٤) حنانيك : أى حنانا بعد حنان ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار ، لاإلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد ، ويجوز أن يكون المراد : حنانا فى الدنيا وحنانا فى الآخرة ، وإذا خوطب بهذا اللفظ مخلوق ، كقول طرفة :

* حنانيك بعض الشر أهون من بعض *

فإنما يريد حنان دفع ، وحنان نفع ؛ لأن كل من أمل ملكا ، فإنما يؤمله ليدفع عنه ضيرا أو ليجلب إليه خيرا .
(٥) قوله: إن الجن. قال فى القاموس: «والجن (بالكسر): حى من الجن، منهم الكلاب السود البهم ، أو سفلة الجن وضعفاؤهم ، أو كلابهم ، أو خلق بين الجن والإنس» اه .
(٦) أدين إلاها : أى أدين لإله ، وحذف اللام وعدى الفعل ، لأنه فى معنى: أعبد إلاها .
(٧) يريد : يا ألله .

[أَدِينُ لربٍّ يُستجاب ولا أرى أدين لمن لم يسمع الدهرَ داعيا][1]

وأنت الذى مِنْ فضل مَنٍّ وَرَحْمة بعثتَ إلى موسى رسولاً مناديا

فقلت له: ياذهب[2] وهارون[3] فادعُوَا إلى الله فرعون الذى كان طاغيا

وقولا له : أأنتَ سوّيت هذه[4] بلا وتدٍ حتى اطمأنت كما هيا

٥ وقولا له : أأنت رفَّعت هــذه[5] بلا عَمَد أَرْفِقْ إذا بك بانيا[6]

وقولا له : أأنت سوّيت وَسْطها مُنيراً إذا ماجنّــه الليلُ هاديا

وقولا له : من يُرْسل الشمسَ غُدوةً فيُصْبِح مامسّت من الأرض ضاحيا

وقولا له : من يُنْبت الحبَّ فى الثَّرى فيُصبح منــه البَقْل يَهْتَزّ رابيا[7]

ويخرُج منه حبَّه فى رءوســـه وفى ذاك آياتٌ لمن كان وَاعِيا

١٠ وأنت بفضلٍ منك نَجّيت يُونُسًا وقد بات فى أضعاف حُوتٍ لياليا

وإنى[8] [و][9] لوسبّحت باسمك ربَّنا لأُكْثِر، إلا ماغفرتَ ، خطائيا[10]

---

(١) زيادة عن الأغانى .

(٢) يا اذهب : على حذف المنادى . كأنه قال : ألا ياهذا اذهب ؛ كما قرئ : « ألا يا اسجدوا » يريد: ياقوم اسجدوا ؛ وكما قال غيلان :

١٥ * ألا يا اسلمى يا دارمىّ على البلى *

(٣) يصح عطف « هارون » على الضمير المستتر فى الفعل « اذهب » مع عدم توكيده بضمير فصل ، وهو قبيح . والجيد نصب « هارون » على المفعول معه .

(٤) يريد الأرض ، وأشار إليها للعلم بها .

(٥) يريد السماء .

٢٠ (٦) أرفق : فعل تعجب ، وعليه فالباء فى « بك » زائدة . وهى فى محل رفع فاعل . ويكون المعنى : رفقت .

(٧) رابيا : ظاهرا على وجه الأرض .

(٨) ويروى : « وإنى إن . . . الخ » .

(٩) زيادة عن ا .

٢٥ (١٠) يريد : إنى لأكثر من هذا الدعاء الذى هو : باسمك ربنا إلا ماغفرت . وما بعد إلا زائدة ؛ ولو سبحت : اعتراض بين اسم إن وخبرها . والتسبيح (هنا) : الصــلاة : أى لا أعتمد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياى .

فربَّ العبادِ ألقِ سَيْباً ورحمةً[1] علىَّ وبارك فى بَنِىَّ وماليا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمى ـ .

قال ابن هشام :

نسب الحضرمى

واسم الحضرمى : عبدُ الله بن عماد[2] [بن أكبر][3] أحد الصَّدف ، واسم الصدِف : عمرو بن مالك أحد السَّكون بن أشْرس بن كِنْدى ؛ ويقال: كِنْدة ابنُ ثَور بن مرتع بن عفير بن عدىّ بن الحارث بن مُرّة بن أدد بن زيد ابن مهسع بن عمرو بن عَريب بن زَيد بن كهلان بن سبأ ؛ ويقال : مرتع ابنُ مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

شعر زيد فى عتاب زوجته على اتفاقها مع الخطاب فى معاكسته

قال ابن إسحاق :

وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروجَ من مكة ليضرب فى الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم صلّى الله عليه وسلّم ، فكانت صَفيّة بنت الحضرمىّ كلّما رأته قد تهيّأ للخروج وأراده آذنت به الخطّاب بن نُفَيل ، وكان الخطّاب ابنُ نُفَيل عمه[4] وأخاه لأمه ، وكان يُعاتبه على فِراق دين قومه ، وكان الخطّاب قد وَكّل صفيّة به ، وقال : إذا رأيتيه قد همّ بأمر فآذنينى به ـ فقال زيد :

لا تَحْبِسينى فى الهَوا ن صَفِىّ مادابى ودابُهْ[5]

إنى إذا خِفْتُ الهوا نَ مُشَيَّعٌ ذُلُلٌ رِكابه[6]

---

(١) السيب : العطاء .

(٢) فى الأصول : « عباد » . والتصويب عن شرح السيرة والروض والاستيعاب .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) وذلك أن أم زيد ، وهى جيداء بنت خالد بن جابر بن أبى حبيب بن فهم ، كانت عند نفيل بن عبد العزى، فولدت له الخطاب، أبا عمر بن الخطاب ؛ ثم مات عنها نفيل فتزوجها ابنه عمرو فولدت له زيدا ، وكان هذا نكاحا ينكحه أهل الجاهلية . (راجع الأغانى ج ٣ ص ١٣٣ طبع دار الكتب) .

(٥) الدأب : العادة . وسهلت همزته للقافية .

(٦) المشيع : الجرىء الشجاع . والذلل : السهلة التى قد ارتاضت .

دُعموص(1) أبواب الملو ك وجائبٌ للخرق نابه(2)

قَطَّاع أسباب تَذِ لّ بغـــير أقرانٍ صِعابه(3)

وإنما أخـــذ الهوا ن العير إذ يُوهى إهابه(4)

ويقول إنى لا أذلّ بصك جَنْبيه صِلابه(5)

وأخى ابن أُمّى ثم عَمْـــمِى لا يُواتينى خِطابه(6)

وإذا يعاتبُنى بسُو ء قلتُ أعيانى جَـــوابه

ولو أشاء لقلت ما عندى مَفاتحُهُ وبابه(7)

شعر زيد حين كان يستقبل الكعبة.

قال ابن إسحاق: وحُدثت [عن](8) بعض أهل زَيْد بن عمرو بن نُفَيل: أن زيداً كان إذا استقبل الكعبة داخلَ المسجد قال:

لبّيك حقًّا حقا تعبُّدًا ورِقا.

عُذْت بما عاذ به إبراهِمْ مستقبلَ القبلة وهو قائمْ

إذ قال:

أَنْفِي لك اللَّهُمَّ عانٍ راغمْ مهما تُجشّمنى فإنى جاشمْ(9)

البرَّ أبْغى لا الخالَ(10)، ليس مُهجِّر كمن(11) قال.

---

(1) الدعموص: دويبة تغوص فى الماء مرة بعد مرة، يشبه بها الرجل الذى يكثر الولاج فى الأشياء. يريد: ولاجاً فى أبواب الملوك، وأنه يكثر الدخول عليهم.

(2) جائب: قاطع، والخرق: الفلاة الواسعة.

(3) الأقران: جمع قرن، وهو الجبل.

(4) يوهى: يشق. وإهاب: الجلد. وفى البيت خرم.

(5) أى يقول العير ذلك بصك جنبيه صلابه، أى صلاب مايوضع عليه. وأضافها إلى العير لأنها عبؤه وحمله.

(6) لايواتينى: لايوافقنى.

(7) فى البيت خرم.

(8) زيادة عن ا.

(9) العانى: الأسير. وتجشمنى: تكلفنى.

(10) الخال: الخيلاء والكبر.

(11) المهجر: الذى يسير فى الهاجرة: أى القائلة، وقال يقيل: إذا نام فى القائلة: أى ليس من هجر كمن آثر القائلة والنوم.

قال ابن هشام : ويقال : البرُّ أبقَى لا الخال ، ليس مهجِّر كمن قال . قال : وقوله « مستقبل الكعبة » عن بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسلمتُ وَجْهى لمن أسلمتْ ... له الأرضُ تحملُ صخرًا ثقالاَ
دَحاها فلما رآها استوتْ ... على الماء أَرْسى عليها الجبالا[1]
وأسلمتُ وَجْهى لمن أسلمتْ ... له المُزْن تَحْمِل عذباً زُلالا[2]
إذا هى سِيقت إلى بلدة ... أطاعت فَصَبَّتْ عليها سِجالا[3]

الخطاب ووقوفه فى سبيل زيد ابن نفيل وخروج زيد إلى الشام وموته

وكان الخطّاب قد آذى زيدًا حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل حِراء[4] مقابلَ مكة، ووكّل به الخطابُ شباباً من شباب قريش وسُفهاء من سفهائهم ، فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ؛ فكان لا يدخلها إلا سرًّا منهم ، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطّاب فأخرجوه وآذوْه كراهيةَ أن يُفْسد عليهم دينَهم ، وأن يُتابعه أحدٌ منهم على فِراقه . فقال وهو يعظّم حُرْمته على من استحلّ منه ما استحلّ من قومه :

لاهُمّ إنى مُحْرِمٌ لا حِلّهْ[5] ... وإن بَيْتى أوسطُ المَحلّهْ
عند الصَّفا ليس بذى مَضَلّهْ

ثم خرج يطلب دينَ إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأحبار ، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلَّها ، ثم أقبل فجال الشَّامَ كلَّه ، حتى انتهى إلى راهب بميْفعة[6] من أرض البلقاء[7] كان ينتهى إليه عِلْمُ أهلِ النصرانية فيما يزعمون ،

---

(1) دحاها : بسطها . وأرسى : أثبت عليها وثقلها بها .
(2) المزن : السحاب ؛ وقيل الأبيض منها .
(3) السجال : جمع سجل ، وهى الدلو المملوءة ماء ، فاستعارها لكثرة المطر .
(4) حراء (بكسر الحاء المهملة والمد) : جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال ، على يسار الذاهب إلى منى .
(5) محرم : ساكن بالحرم . والحلة : أهل الحل ؛ يقال للواحد والجميع : حلة .
(6) الميفعة : الأرض المرتفعة .
(7) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القرى قصبتها عمان ، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة . (راجع معجم البلدان) .

فسأله عن الحنيفيّة دينِ إبراهيم ؛ فقال : إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد مَنْ يحملك عليه اليومَ ، ولـكن قد أظلَّ زمانُ نبيّ يخرج من بلادِك التي خرجت منها، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية فالحقْ بها ، فإنه مبعوثٌ الآن ، هذا زمانه . وقد كان شام[1] اليهوديةَ والنصرانيةَ فلم يَرْضَ شيئاً منهما ، فخرج سَرِيعاً ، حين

٥ قال له ذلك الراهبُ ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسّط بلاد لَخْم عَدَوْا عليه فقتلوه . فقال ورقة بن نوفل بن أسَد يبكيه :

رثاء ورقة لزيد

رشدتَ وأنعمت ابنَ عمرو وإنما[2] تجنبتَ تَنُّورًا من النار حامياً

بدينكَ ربًّا ليس ربّ كمثْـله وتركَكَ أوثانَ الطواغى كما هِيا[3]

وإدراكِكَ الدينَ الذى قد طلبتَه ولم تَكُ عن تَوْحيد ربِّك ساهيا

١٠ فأصبحتَ فى دارٍ كريمٍ مُقامُها تُعلَّل فيها بالـكرامة لاهيا

تُلاقى خليل الله فيها ولم تَـكُنْ من الناس جَبَّاراً إلى النار هاويا

وقد تدركُ الإنسانَ رحمةُ ربّه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا[4]

قال ابن هشام : يروى لأميَّة بن أبى الصلت البيتان الأولان منها ، وآخرها بيتاً فى قصيدة له ، وقوله : « أوثان الطواغى » عن غير ابن إسحاق .

---

١٥ (١) شام : استخبر ، استعاره من الشم .

(٢) أنعمت : أى بالغت فى الرشد .

(٣) الطواغى : جمع طاغية ، وهو (هنا) : ماعبد من دون الله .

(٤) نصب « سبعين » على الحال ، لأنه قد يكون صفة للنكرة ، كما قال :

* فلو كنت فى جب ثمانين قامة *

٢٠ وما يكون صفة للنكرة يكون حالا من المعرفة ، وهو هنا حال من «البعد»، كأنه قال : ولو بعد تحت الأرض سبعين ؛ كما تقول : بعد طويلا ، أى بعدا طويلا ، وإذا حذفت المصدر وأقمت الصفة مقامه لم تكن إلا حالا .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

تبشير يحنس الحواري برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

وقد كان ، فيما بلغني عما كان وَضَع عيسى بنُ مريم فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل من صِفَة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، مما أثبت يُحَنّسُ الحواريُّ لهم ، حين نَسخ لهم الإنجيلَ عن عهد عيسى بنِ مريم عليه السلام ، فى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الربّ ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائعَ لم يَصْنعها أحدٌ قبلى ما كانت لهم خطيئةٌ ، ولكن من الآن بَطِروا وظَنّوا أنهم يَعِزُّوننى[1] ، وأيضاً للربّ ، ولكن لا بُدّ من أن تتم الكلمة التى فى الناموس : أنهم أبْغضونى مَجّاناً[2] ، أى باطلاً. فلو قد جاء المُنْحَمَنّا هذا الذى يُرسله الله إليكم من عند الربّ ، [و][3] روح القدس[4] ، هذا الذى من عند الربّ خَرَج ، فهو شَهيدٌ علىّ وأنتم أيضاً ، لأنكم قديماً كنتم معى ؛ فى هذا قلتُ لكم لكيما لا تشكوا .

والمُنْحَمَنّا [بالسريانية][3] : محمد ؛ وهو بالرومية : البَرَقْليطس ، صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم .

---

(١) يعزوننى : يغلبوننى ؛ يقال : عز الرجل الرجل : إذا غلبه .

(٢) وكذلك جاء فى الحكمة : يابن آدم ، علم مجانا ، كما علمت مجانا : أى بلا ثمن .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) كذا فى أكثر الأصول . والقدس : التطهير . وفى ا . « القسط » . والقسط : العدل .

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

قال ابن إسحاق(١) :

فلما بلغ محمدٌ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أربعين سنةً بعثه(٢) الله تعالى رحمةً للعالمين ، وكافّةً للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كلّ نبي بعثه قبلَه بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على مَنْ خالفه ، وأَخذ عليهم أن يؤدّوا ذلك إلى كل مَنْ آمن بهم وصدّقهم ، فأدّوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم : « وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذٰلِكُمْ إِصْرِي » أى ثِقَل ما حمّلتكم من عَهْدِى « قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » . فأَخَذ الله ميثاق النّبيّين جميعاً بالتصديق له والنصر له ممّن خالفه ، وأدّوْا ذلك إلى مَنْ آمن بهم وصدّقهم من أهل هذين الكتابَيْن .

أول مابدئ به الرسول صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة

قال ابن إسحاق : فذَكَر الزُّهرى عن عُرْوة بن الزُّبَير عن عائشة رضى الله عنها أنها حدّثته :

أنّ أول ما بُدئ به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من النُّبوّة ، حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به ، الرُّؤيا الصادقة ، لا يرى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبي قال . . . الخ » .

(٢) ويقال إن بعثه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ، ويستدلون على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لبلال : لا يفتك صيام يوم الاثنين ، فإنى قد ولدت فيه ، وبعثت فيه ، وأموت فيه . وقيل غير ذلك . (راجع شرح المواهب ، والروض) .

رؤيا فى نومه إلا جاءت كفَلَق الصبح . قالت : وحَبَّب اللهُ تعالى إليه الخَلْوة ، فلم يكن شىء أحبَّ إليه مِنْ أن يخلوَ وحدَه .

تسليم الحجارة والشجر عليه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الملك بن عُبَيد الله بن أبى سُفْيان بن العلاء ابن جارية الثَّقفى ، وكان واعيةً[1] ، عن أهل العلم .

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أراده الله بكرامته وابتدأه بالنبوّة ، كان إذا خرج لحاجته أبْعَدَ حتى تحسّر[2] عنه البيوتُ ويُفْضِى إلى شِعاب[3] مكة وبُطون أَوْديتها ، فلا يَمُرّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بحَجر ولا شَجَر إلا قال : السلام عليك يارسول الله[4] . قال : فيلتفت رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم حولَه وعن يَمينه وشماله وخلفَه فلا يرى إلا الشجَر والحِجارة . فمكث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم كذلك يرى ويسمع ، ما شاء اللهُ أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بِحراء فى شهر رمضان .

---

(١) واعية : حافظا ، والتاء فيه للمبالغة .

(٢) تحسر عنه البيوت : تبعد عنه وتتخلى عنها .

(٣) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .

(٤) قال السهيلى : « وهذا التسليم الأظهر فيه أن يكون حقيقة ، وأن يكون الله أنطقه إنطاقا، كما خلق الحنين فى الجذع ، ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف ، الحياة والعلم والإرادة ، لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت عرض فى قول الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النظام ، فإنه زعم أنه جسم ، وجعله الأشعرى اصطكاكا فى الجواهر بعضها لبعض . وقال أبو بكر : ليس الصوت نفس الاصطكاك ، ولكنه معنى زائد عليه . . « إلى أن قال : ولوقدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر ، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بدّ من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله أعلم أىّ ذلك كان : أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمنا ؟ أو كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة ، وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة . . . وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ويعمرونها ، فيكون مجازا من باب قوله تعالى : « واسأل القرية » .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى وَهَبُ[1] بنُ كَيْسان ، مولى آل الزبير . قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ الزُّبير وهو يقول لعُبَيد بن عُمَير بن قَتادة الليثىّ : حَدِّثنا يا عُبيد ، كيف كان بدء ما ابْتُدِئ به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من النبوّة حين جاءه جبريلُ عليه السلام ؟ قال : فقال : عبيدٌ ـ وأنا حاضرٌ يُحدّث عبدَ الله ابنَ الزبير ومَنْ عنده من الناس ـ : كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُجاور[2] فى حِراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنّث به قريشٌ فى الجاهلية . والتحنث : التبرُّر .

ابتداء نزول جبريل عليه السلام

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وثَورٍ ومَنْ أرْسَى ثَبيراً مكانَه ... وراقٍ ليَرْقَى فى حِراءٍ ونازلِ

قال ابن هشام : تقول العرب : التحنّث والتحنّف ، يريدون الحنفيّةَ ، فيُبْدِلون الفاء[3] من الثاء ، كما قالوا جَدَثَ وجَدَف ، يريدون القبْر . قال رؤبة ابن العجاج :

بحث لغوى لابن هشام فى معنى التحنث

* لو كان أحْجارى مع الأجْداف[4] *

يريد الأجداث . وهذا البيت فى أرجوزة له . وبيت أبى طالب فى قصيدة له سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

(١) هو وهب بن كيسان القرشى مولى : آل الزبير أبو نعيم المدنى المعلم المكي . روى عن أسماء بنت أبى بكر وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وغيرهم . وعنه هشام بن عروة وأيوب وعبيد الله بن عمر وغيرهم . توفى سنة سبع وعشرين ومئة ، وقيل سنة تسع . (راجع تهذيب التهذيب) .

(٢) يجاور : يعتكف .

(٣) وفى الرد على ابن هشام . قال أبو ذر : « . . . والجيد فيه أن يكون فيه التحنث هو الخروج من الحنث : أى الإثم ، كما يكون التأثم ، الخروج عن الإثم ، لأن تفعل قد تستعمل فى الخروج من الشيء ، وفى الانسلاخ عنه ، ولا يحتاج فيه إلى الإبدال الذى ذكره ابن هشام » .

(٤) فى هذا الشعر شاهد ورد على ابن جنى حيث زعم أن « جدف » بالفاء لايجمع على أجداف (راجع الروض) .

قال ابن هشام : وحدّثني أبو عُبيدة أن العرب تقول : فمَّ ، فى موضع ثُمَّ ، يبدلون الفاء من الثاء .

قال ابن إسحاق : وحدّثني وهب بنُ كَيْسان قال قال عُبيد :

فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُجاور ذلك الشهرَ من كل سنةٍ ، يُطْعم مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جواره من شهره ذلك ، كان أولُ ما يبدأ به ، إذا انصرف من جواره ، الكعبةَ ، قبل أن يدخل بيتَه ، فيطوف بها سَبْعاً أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهرُ الذى أراد اللهُ تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السَّنَة التى بعثه اللهُ تعالى فيها ؛ وذلك الشهر [شهر][1] رمضان ، خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى حِراء كما كان يخرج لِجواره ومعه أهلُه ، حتى إذا كانت الليلةُ التى أكرمه اللهُ فيها برسالته ، ورَحِم العبادَ بها ، جاءه جبريلُ عليه السلام بأمر الله تعالى . قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فجاءنى جبريلُ ، وأنا نائم ، بنَمَط[2] من ديباج فيه كتابٌ[3] ، فقال : اقرأ ؛ قال : قلت : ما أقرأ[4] ؟ قال : فغتّنى[5] به حتى ظننتُ أنه الموتُ ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ؛ قال قلت : ما أقرأ ؟ قال : فغتّنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ ؛ قال . قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : فغتّنى به حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرسلنى[6] ، فقال :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) النمط : وعاء كالسفط .

(٣) قال بعض المفسرين : فى قوله تعالى : « الٓمٓ ذلك الكتاب لاريب فيه » إنها إشارة إلى الكتاب الذى جاء به جبريل حين قال له : اقرأ . (راجع الروض) .

(٤) كذا فى الأصول والطبرى . وفى شرح المواهب : « ما أنا بقارئ » . يريد أن حكمى كسائر الناس من أن حصول القراءة إنما هو بالتعلم ، وعدمها بعدمه .

(٥) كذا فى الأصول والطبرى . والغتّ : حبس النفس . وفى المواهب : « فغطنى » . وهى بمعنى غت .

(٦) لعل الحكمة فى تكرير : « اقرأ » الإشارة إلى انحصار الإيمان الذى ينشأ عنه الوحى بسببه فى ثلاث : القول ، والعمل ، والنية ، وأن الوحى يشتمل على ثلاث : التوحيد . والأحكام . والقصص . (راجع شرح المواهب) .

أقرأ ؛ قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لى بمثل ما صنع بى ؛ فقال : « اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ » . قال : فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنّى وهببتُ من[1] نومى ، فكأنما كتبتْ فى قلبى كتابًا .

٥ قال : فخرجتُ حتى إذا كنتُ فى وَسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : يامحمد ، أنت رسولُ الله وأنا جبريلُ ؛ قال : فرفعت رأسى إلى السماء أنظرُ ، فإذا جبريلُ فى صورة رجل صافٍّ قدَمَيْهِ فى أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدّم وما أتأخّر ، وجعلت أَصْرِف وجهى عنه فى آفاق السماء قال : فلا أنظر فى ناحية منها إلا رأيتُه

١٠ كذلك ، فما زِلتُ واقفاً ما أتقدّم أمامى وما أرجع ورائى حتى بَعثتْ خديجةُ رُسلَها فى طلبى ، فبلغوا أعْلَى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ؛ ثم انصرف عنّى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على خديجة ما كان من أمر جبريل معه

وانصرفتُ راجعاً إلى أهلى حتى أتيتُ خديجةَ جلست إلى فخذها مُضيفاً[2] إليها ؛ فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنتَ ؟ فوالله لقد بعثت رُسلى فى

١٥ طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لى ، ثم حدّثتها بالذى رأيتُ ، فقالت : أبشر

---

(١) قال السهيلى : « قال فى الحديث : فأتانى وأنا نائم ؛ وقال فى آخره : فهببت من نومى فكأنما كتبت فى قلبى كتابا . وليس ذكر النوم فى حديث عائشة ولا غيرها ، بل فى حديث عروة مايدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة « اقرأ » كان فى اليقظة ، لأنها قالت فى أول الحديث : أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة ،

٢٠ كان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء . . . إلى قولها حتى جاءه الحق ، وهو بغار حراء ، فجاءه جبريل . فذكرت فى هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبى عليه السلام بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل فى المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به ، لأن أمر النبوة عظيم وعبئها ثقيل والبشر ضعيف » .

٢٥ (٢) مضيفا : ملتصقا ، يقال : أضفت إلى الرجل ، إذا ملت نحوه ولصقت به ؛ ومنه سمى الضيف ضيفا .

يا بنَ عمّ واُثبُتْ ، فوالذى نفسُ خديجةَ بيَدِه إنى لأرجو أن تكون نبىَّ هذه الأمّة .

خديجة بين يدى ورقة تحدثه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم قامت فجمعت عليها ثيابَها ، ثم انطلقت إلى وَرَقَةَ بن نوفل بن أَسَد ابن عبد العُزّى بن قُصَىّ ، وهو ابن عمّها ، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتبَ ، وسَمِع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرتْه بما أخبرها به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنه رأى وسمع ؛ فقال ورقةُ بن نوفل : قُدُّوس قُدُّوس[1] ، والذى نفسُ ورقةَ بيده ، لئن كنت صَدَقْتِينى يا خديجةُ لقد جاءه الناموسُ[2] الأكبرُ الذى كان يأتى موسى ، وإنه لنبىُّ هذه الأمة ، فقولِى له : فليثبُتْ . فرجعت خديجة إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرته بقول وَرَقة بنِ نوفل ، فلما قضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جِوارَه وانصرف ، صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبةِ فطاف بها، فلقيه ورقةُ بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال : يا بن أخى ، أَخْبِرنى بما رأيتَ وسمعتَ ، فأخبره رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقال له ورقةُ : والذى نفسى بيده ، إنك لنبىُّ هذه الأمّة ، ولقد جاءك الناموسُ الأكبرُ الذى جاء موسى وَلَتُكَذَّبنَّهْ ولتُؤْذَيَنَّهْ ولَتُخْرَجَنَّهْ ولتقاتَلَنَّهْ[3] ، ولئن أنا أدركتُ ذلك اليومَ لأنصرنّ اللهَ نصراً يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبّل يا فوخه[4] ، ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى منزله .

امتحان خديجة برهان الوحى

قال ابن إسحاق : وحدّثنى إسماعيل بن أبى حَكيم[5] مولى آل الزبير :

(١) قدوس قدوس : أى طاهر طاهر ، وأصله من التقديس ، وهو التطهير .

(٢) الناموس (فى الأصل) : صاحب سر الرجل فى خيره وشره ، فعبر عن الملك الذى جاءه بالوحى به .

(٣) الهاء فى هذه الأفعال للسكت .

(٤) اليافوخ : وسط الرأس .

(٥) هو إسماعيل بن أبى حكيم القرشى . روى عن سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وعبيدة ابن شعبان الحضرمى وغيرهم ، وعنه مالك وابن إسحاق وإسماعيل بن جعفر وأبو الأسود وغيرهم . وكان عاملا لعمر بن عبد العزيز . وتوفى سنة ١٣٠ . (راجع تهذيب التهذيب) .

أنه حُدّث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أى ابْنَ عمّ ، أتستطيعُ أن تُخْبِرنى بصاحبك هذا الذى يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ؛ قالت : فإذا جاءك فأَخْبِرْنى به . فجاءه جبريلُ عليه السلام كما كان يصنع ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لخديجة : يا خديجة ، هذا جبريلُ قد
٥ جاءنى ؛ قالت : قم يا بن عم فاجلس على فخذى اليسرى ؛ قال فقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس عليها ؛ قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ؛ قالت : فتحوّلْ فاجلس على فخذى اليمنى ؛ قالت : فتحوّلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس على فخذها اليُمنى ؛ فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحوّلْ فاجلس فى حجرى ؛ قالت : فتحوّل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فجلس فى حجرها ؛
١٠ قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ؛ قال : فتحسّرت وألقت خِمارها ورسولُ الله صلى الله عليه وسلّم جالس فى حِجرها ، ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا ؛ قالت يا بن عم ، اُثبُتْ وأَبْشِر ، فوالله إنه لَمَلَكٌ وما هذا بشيطان .

قال ابن إسحاق : وقد حدثتُ عبدَ الله[1] بن حسن هذا الحديثَ فقال :

قد سمعتُ أمى فاطمة بنت حُسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا
١٥ أنى سمعتُها تقول : أدخلتْ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بينها وبين دِرْعها ، فذهب عند ذلك جبريلُ ، فقالت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إن هذا لَمَلَكٌ وما هو بشيطان .

---

(١) هو عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، وأمه فاطمة بنت الحسن أخت سكينة ، واسمها آمنة وسكينة لقب لها ، التى كانت ذات دعابة ومزح . وفى سكينة وأمها
٢٠ الرباب يقول الحسين بن على :

كأن الليـــل موصول بليل إذا زارت سكينة والرباب

[أى زارت قومها ، وهم بنو عليم بن جناب بن كلب] وعبد الله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بنى العباس ، وهم : محمد ويحيى وإدريس . مات إدريس فى إفريقية فارا من الرشيد . (راجع الروض) .

ابتداء تنزيل القرآن

قال ابن إسحاق :

فابتدئ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّمَ بالتنزيل فى شهر رمضان ، بقول الله عز وجل : « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالفُرْقَانِ » . وقال الله تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فى لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » ، وقال الله تعالى . « حَمَ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إنا أَنْزَلْنَاهُ فى لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ » ، وقال تعالى . « إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ » . وذلك مُلْتَقى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّمَ والمُشركين ببدر .

قال ابن إسحاق وحدّثنى أبو جَعْفر محمد بن علىّ بن حُسَين .

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم التقى هو والمُشْركون ببَدْر يومَ الجمعة صبيحةَ سَبْعَ عشرة من رمضان .

قال ابن إسحاق :

ثم تتامّ الوحىُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وهو مؤمنٌ بالله مُصَدِّق بما جاءه منه ، قد قبلَه بقَبوله ، وتحمّل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم ، والنبوّةُ أثقال ومُؤْنة ، لا يحملها ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يَلقَوْن من الناس وما يُرَدّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال فمضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على أمْرِ الله ، على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والأذى .

إسلام خديجة بنت خويلد

وآمنت به خديجةُ بنتُ خُوَيلد ، وصدّقت بما جاءه من الله ، ووازرتْه على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدّق بما جاء منه . فخفف الله بذلك عن نبيه صلّى الله عليه وسلّم ، لايسمع شيئاً مما يكرهُه من ردٍّ عليه وتكذيب له ، فيَحزنه ذلك ، إلاّ فرّج الله عنه بها إذا رَجَعَ إليها ، تثبّته وتخفّف عليه ،وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى !

تبشير الرسول لخديجة ببيت من قصب

قال ابن إسحاق : وحدّثنى هشام بن عُرْوة عن أبيه عُرْوة بن الزُّبير عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال :

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أُمِرْتُ أَنْ أُبشّر خديجة ببيتٍ من قَصب ، لاصَخَب فيه ولا نَصب [1] .

قال ابن هشام : القصب [ههنا] [2] : اللؤلؤ المجوّف .

قال ابن هشام : وحدّثنى مَنْ أثق به :

جبريل يقرئ خديجة السلام

أنّ جبريل عليه السلام أَتَى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقال : أَقْرِئْ خديجة السلامَ من ربها ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا خديجة ، هذا جبريلُ يُقْرِئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : اللهُ السلامُ ، ومنه السلامُ ، وعلى جبريل السلام .

فترة الوحى ونزول سورة الضحى

قال ابن إسحاق :

ثم فَتَرَ الوحي عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فترة من ذلك ، حتى شقّ ذلك عليه فأحزنه ؛ فجاءه جبريلُ بسورة الضحى ، يُقسم له ربه ، وهو الذى

(١) هذا حديث مرسل ، وقد رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ماغرت على أحد ماغرت على خديجة ، ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب فى الجنة . (راجع الروض الأنف) .

(٢) زيادة عن ا .

أكرمه بما أكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه ، فقال تعالى : « وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى » . يقول ماصَرَمك فتركك ، وما أبغضك منذ أحبّك . « وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى » أى : لما عندى من مَرْجعك إلى ، خيرٌ لك مما عجّلتُ لك من الكرامة فى الدنيا . « وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى » من الفُلْج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة . « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى » يعرّفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنّه عليه فى يُتمه وعَيْلته وضَلالته ، واستنقاذه من ذلك كلّه برحمته .

تفسير ابن هشام لمفردات سورة الضحى

قال ابن هشام : سجى : سكن . قال أمية بن أبى الصلت الثقفى .

إذْ أتى مَوْهِناً وقد نام صَحْبى وسَجَا الليلُ بالظلام البَهيم[1]

وهذا البيت فى قصيدة له ، و يقال للعين إذا سكن طرفُها . ساجية ، وسجا طرفُها .

قال جرير [بن الخطَفى][2] :

ولقد رَمَيْنَك حين رُحْن بأعينٍ يَقتُلن من خَلَل السُّتورِ سَواجِى

وهذا البيت فى قصيدة له . والعائل : الفقير . قال أبو خِراش الهُذلى :

إلى بيته يأوى الضَّريكُ إذا شَتا ومُستنبحٌ بَالِى الدَّريسين عائِلُ[3]

وجمعه : عالة وعيل . وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله . والعائل [أيضاً][2] : الذى يعول العيال . والعائل [أيضاً][2] . الخائف. وفى كتاب الله تعالى : « ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا » . وقال أبو طالب :

---

(١) الوهن : ساعة من الليل . والبهيم : الشديد السواد ليس فيه ضياء .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) الضريك : الفقير والضعيف المضطر . والمستنبح : الذى يضل عن الطريق فى ظلمة الليل فينبح نباح الكلاب لتسمعه الكلاب فتجاوبه ، فيعلم موضع البيوت فيقصدها . والدريس : الثوب الخلق ، وثناه لأنه أراد به الإزار والرداء ، وهو أقل ما يكون للرجل من اللباس .

بِميزانِ قِسْطٍ لايُخِسُّ شــــعيرةً   له شاهدٌ من نفسه غـــيرُ عائل

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها إن شاء الله فى موضعها . والعائل [أيضاً][1] : الشىء المُثْقل المُعْيِى . يقول الرجل : قد عالنى هذا الأمرُ : أى أثقلنى وأعيانى . قال الفرزدق[2] :

٥ تَرَى الغُرَّ الجَحاجِحَ من قُرَيْشٍ   إذا ما الأَمْرُ فى الحَدَثانِ عَالاَ[3]

وهذا البيت فى قصيدة له .

« فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ » . أى لا تكن جبّاراً ولا متكبراً ، ولا فحّاشا فظًّا على الضعفاء من عباد الله . « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » : أى بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدّث ، أى اذكرها وادْعُ إليها .

١٠ فجعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرًّا إلى مَنْ يطمئن إليه من أهله .

ابتداء فرض الصلاة[4]

وافتُرضت الصلاة عليه ، فصلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وآله ، والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته .

---

١٥ (١) زيادة عن ا .

(٢) يمدح الفرزدق بهذا الشعر سعيد بن العاص بن أمية ، وكان حينئذ أمير المدينة من قبل معاوية رحمه الله ، وكان يوليه معاوية سنة ، ويولى مروان سنة أخرى ، فأنشد الفرزدق سعيد بن العاص بحضرة مروان هذه القصيدة ، وفيها :

قياما ينظرون إلى ســـعيد   كأنهم يرون به الهـــلالا

٢٠ فقال له مروان : بل قعودا ينظرون ؟ فقال : لا أقول إلا قياما ، وإنك يا أبا عبد الملك لصافن من بينهم [صفن الفرس : إذا وقف على ثلاث قوائم ورفع واحدة . وصفن الرجل أيضاً : إذا رفع إحدى قدميه ووقف على الأخرى] . (راجع الروض ، وشرح السيرة ، والأغانى) .

(٣) الغر : المشهورون . وأصله البيض ، وهو جمع أغر . والجحاجح : السادة ، واحدهم : جحجاح . وكان الوجه أن يقال الجحاجيح (بالياء) فحذفها لإقامة وزن الشعر .
٢٥ والحدثان : حوادث الدهر .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها » .

افترضت الصلاة ركعتين ركعتين ثم زيدت

قال ابن إسحاق وحدّثنى صالح بن كَيْسان عن عُرْوة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت :

افتُرِضت الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أول ما افتُرِضت عليه ركعتين ركعتين ، كل صلاة ؛ ثم إن الله تعالى أتمها فى الحضر أربعاً ، وأقرّها فى السفر على فرضها الأول ركعتين[1] . ٥

تعليم جبريل الرسول صلى الله عليه وسلم الوضوء والصلاة

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بعضُ أهل العلم :

أن الصلاة حين افتُرِضت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة ، فهمز له بعَقِبه فى ناحية الوادى ، فانفجرتْ منه عين ، فتوضأ جبريلُ عليه السلام ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ينظر إليه ، ليُرِيَه كيف

(١) قال السهيلى: « وذكر المزنى أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس ، وصلاة قبل طلوعها ، ويشهد لهذا القول قوله سبحانه : « وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار » . وقال يحيى بن سلام مثله ، وقال : كان الإسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام ، فعلى هذا يحتمل قول عائشة : « فزيد فى صلاة الحضر » . أى زيد فيها حين أكملت خمسا ، فتكون الزيادة فى الركعات وفى عدد الصلوات ، ويكون قولها : « فرضت الصلاة ركعتين » أى قبل الإسراء ، وقد قال بهذا طائفة من السلف ، منهم ابن عباس . ويجوز أن يكون معنى قولها : « فرضت الصلاة » أى ليلة الإسراء حين فرضت الخمس ، فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيد فى صلاة الحضر بعد ذلك ، وهذا هو المروى عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة . وممن رواه هكذا الحسن والشعبى أن الزيادة فى صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام أو نحوه ، وقد ذكره أبو عمرو ، وقد ذكره البخارى من رواية معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة، قالت : « فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ففرضت أربعا » . هكذا لفظ حديثه . وهاهنا سؤال ، يقال : أهذه الزيادة فى الصلاة نسخ أم لا ؟ فيقال : أما زيادة ركعتين أو ركعة إلى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة فنسخ ، لأن النسخ رفع الحكم ، وقد ارتفع حكم الإجزاء من الركعتين وصار من سلم منهما عامدا أفسدها ، وإن أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم وتحدث عامدا لم يجزه إلا أن يستأنف الصلاة من أولها . فقد ارتفع حكم الاجزاء بالنسخ . وأما الزيادة فى عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعد ما كانت اثنتين ، فيسمى نسخا على مذهب أبى حنيفة ، فإن الزيادة عنده على النص نسخ ، وجمهور المتكلمين على أنه ليس بنسخ ، ولاحتجاج الفريقين موضع غير هذا » .

١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥

الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم كما رأى جبريلَ توَضأ ، ثم قام به جبريلُ فصلّى به، وصلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بصلاته ، ثم انصرف جبريلُ عليه السلام .

تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم خديجة الوضوء والصلاة

فجاء رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خديجة، فتوضأ لها ليُريها كيف الطّهور للصلاة كما أراه جبريل ، فتوضأت كما توضأ لها رسولُ الله عليه السلام ، ثم صلّى بها رسولُ الله عليه السلام كما صلّى به جبريلُ ، فصلّتْ بصلاته[1] .

تعيين جبريل أوقات الصلاة للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عُتبة بن مُسْلم ، مولى بنى تيم ، عن نافع ابن جُبَير بن مُطْعِم ، وكان نافع كثيرَ الرواية ، عن ابن عبّاس قال : لما افتُرضت الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتاه جبريلُ عليه السلام فصلّى به الظهر حين مالت الشمسُ ، ثم صلّى به العصر حين كان ظلّه مثله ، ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلّى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلّى به الصبحَ حين طلع الفجر ، ثم جاءه فصلّى به الظهر من غدٍ

---

(١) قال السهيلى : « هذا الحديث مقطوع فى السيرة ، ومثله لا يكون أصلا فى الأحكام الشرعية ، ولكنه قد روى مسندا إلى زيد بن حارثة يرفعه . غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله بن لهيعة ، وقد ضعف ولم يخرج عنه مسلم ، ولا البخارى لأنه يقال إن كتبه احترقت ، فكان يحدث من حفظه . وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول . ويقال إنه الذى روى عنه حديث بيع العربان فى الموطأ : مالك عن الثقة عنده عن عمرو بن شعيب . فيقال إن الثقة هاهنا ابن لهيعة . ويقال إن ابن وهب حدث به عن ابن لهيعة ، وحديث ابن لهيعة هذا أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد بن العربى ، قال حدثنا أبو المطهر سعد بن عبد الله ابن أبى الرجاء عن أبى نعيم الحافظ ، قال حدثنا أبو بكر أحمد بن يوسف العطار قال حدثنا ابن أبى أسامة ، قال حدثنا الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الزهرى عن عروة عن أسامة بن زيد ، قال حدثنى زيد بن حارثة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما أوحى إليه أتاه جبريل عليه السلام فعلمه الوضوء ، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه . وحدثنا به أيضاً أبو بكر محمد بن طاهر عن أبى على الغسانى عن أبى عمر النمرى عن أحمد بن قاسم عن قاسم بن أصبغ عن الحارث بن أبى أسامة بالإسناد المتقدم .

فالوضوء على هذا الحديث مكى بالفرض ، مدنى بالتلاوة ، لأن آية الوضوء مدنية .

حين كان ظله مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظلّه مثليه ، ثم صلّى به المغربَ حين غابت الشمسُ لوقتها بالأمس ، ثم صلّى به العشاءَ الآخرة حين ذهب ثلثُ الليل الأول ، ثم صلّى به الصبحَ مُسْفِراً غير مُشْرِق ، ثم قال : يامحمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس (١) .

ذكر أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أول ذكر أسلم ٥

قال ابن إسحاق :

ثم كان أوّلَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وصلّى معه وصدّق بما جاءه من الله تعالى : عَلِيُّ بن أبى طالب بن عبد المطّلب بن هاشم ، رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذٍ ابنُ عَشْر سِنينَ .

نشأته فى حجر الرسول صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك

وكان مما أنعم اللهُ [به] على عَلِيّ بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان ١٠ فى حِجْر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح عن مجاهد بن جَبْر (٢) أبى الحجّاج قال :

كان من نعمة الله على علىّ بن أبى طالب ، ومما صنع الله له ، وأراده به

---

(١) قال السهيلى : « وهذا الحديث لم يكن ينبغى أن يذكره فى هذا الموضع ، لأن أهل ١٥ الصحيح متفقون على أن هذه القصة كانت فى الغد من ليلة الإسراء ، وذلك بعد ماتنبىء بخمسة أعوام . وقد قيل : إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف ، وقيل بعام ، فذكره ابن إسحاق فى بدء نزول الوحى ، وأول أحوال الصلاة » .

(٢) كذا فى ا وتهذيب التهذيب . وهو مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومى المقرى مولى السائب بن أبى السائب . روى عن على وسعد بن أبى وقاص والعبادلة الأربعة وغيرهم ، ٢٠ وعنه أيوب السختيانى وعطاء وعكرمة وغيرهم . وكان مولده سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر ، ومات سنة أربع ومئة . وفى سائر الأصول : « . . . جبر بن أبى الحجاج » . وكلمة « ابن » مقحمة .

من الخَبْر أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عِيال كثير ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للعبّاس عمّه ، وكان من أيْسر بنى هاشم : يا عبّاس، إنّ أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزمة[1] ، فانطلقْ بنا إليه فَلْنخفّف عنه من عياله ، آخذُ من بَنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً

٥ فنكلهما[2] عنه؛ فقال العبّاس: نعم . فانطلقا حتى أتيا أباطالب، فقالا له : إنا نريد أن نخفّف عنك مِنْ عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه ؛ فقال لهما أبوطالب: إذا تركتما لى عقيلاً فاصنعا ماشئتما ــ قال ابن هشام : ويقال : عقيلاً وطالباً[3] .

فأخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عليًّا فضمّه إليه ، وأخذ العباسُ جعفرًا فضمّه إليه ؛ فلم يزل علىّ مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بعثه الله تبارك

١٠ وتعالى نبيًّا ، فاتبعه علىّ رضى الله عنه ، وآمن به وصدّقه ؛ ولم يزل جعفرٌ عند العبّاس حتى أسلم واستغنى عنه .

خروج على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شعاب مكة يصليان ووقوف أبي طالب على أمرهما

قال ابن إسحاق :

وذكر بعضُ أهل العلم أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان إذا حضرت الصلاةُ خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علىّ بن أبى طالب مُستخفياً من أبيه

١٥ أبى طالب ، ومِنْ جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلّيان الصلواتِ فيها ، فإذَا أمْسيا رجعا . فمكثا كذلك ماشاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصلّيان ، فقال لرسول الله صلّى الله وسلّم : يا بن أخى ! ما هذا الدينُ الذى أراك تَدِين به ؟ قال : أى عمّ ، هذا دينُ الله ، ودينُ ملائكته ، ودينُ رُسله ، ودينُ أبينا إبراهيم ــ أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم ــ بعثنى اللهُ به رسولاً إلى العباد ،

---

٢٠ (١) الأزمة : الشدة ، وأراد بها سنة القحط والجوع .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فنكفهما » .

(٣) وكان من ولد أبى طالب غير هؤلاء جعفر . وكان علىّ أصغر من جعفر بعشر سنين ، وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين ، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين . وكلهم أسلم إلا طالبا .

وأنت أى عم ، أحقُّ مَنْ بذلتُ له النصيحةَ ، ودعوته إلى الهُدى ، وأحقّ مَنْ أجابنى إليه وأعاننى عليه ، أو كما قال ؛ فقال أبو طالب : أى ابنَ أخى ، إنى لا أستطيع أن أفارق دينَ آبائى وما كانوا عليه ، ولـكن واللهِ لا يُخْلَص[1] إليك بشىء تكرهه ما بقيتُ .

وذكروا أنه قال لعلىّ : أى بُنَى ، ما هذا الدينُ الذى أنت عليه ؟ فقال : يا أبتِ ، آمنتُ بالله وبرسول الله ، وصدّقته بما جاء به ، وصلّيت معه لله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أما انه لم يَدْعُك إلا إلى خيرٍ فالزمْه .

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق :

ثم أسْلَمَ زيدُ بن حارثة بن شُرَحْبيل بن كَعْب بن عبد العزّى بن امرئ القيس الـكلبى ، مولى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان أول ذَكَرٍ أسلم ، وصلّى بعد علىّ بن أبى طالب .

نسبه وسبب تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم له

قال ابن هشام : زيد ابنُ حارثة بن شَرَاحيل بن كَعْب بن عبد العُزّى ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عَبْد ودّ بن عَوْف بن كِنانة ابن بكر بن عَوْف بن عُذْرة بن زيد اللات[2] بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب ابن وَبْرة. وكان حكيم بن حزام بن خُويلد قدم من الشام برقيق[3] ، فيهم زيدُ بن حارثة وصيف ، فدخلتْ عليه عمته خديجةُ بنت خُوَيلد ، وهى يومئذ عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال لها : اختارى يا عمّة أى هؤلاء الغلمان شئْتِ فهو لك ؛ فاختارت زيدًا فأخذته ، فرآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عندها ، فاستوهبه منها ، فوهبته له ،

---

(١) لا يخلص إليك : لا يوصل إليك .

(٢) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « الله » .

(٣) وذلك أن أم زيد ، وهى سعدى بنت ثعلبة ، من بنى معن من طيء ، كانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها ، فأصابته خيل من بنى القين بن جسر فباعوه بسوق حباشة ، وهو من أسواق العرب ؛ وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام .

فأعتقه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وتبنّاه ، وذلك قبل أن يوحَى إليه .

شعر حارثة حين فقد ابنه زيداً وقدومه على الرسول صلى الله عليه وسلم يسأله رده عليه

وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعاً شديداً ، وبكى عليه حين فقده ، فقال:

بكيتُ على زيدٍ ولم أدرِ ما فَعَلْ ... أحيٌّ فيُرْجَى أم أتى دونَه الأجَلْ

فوالله ما أدرِى وإنى لسائلٌ ... أغالَكَ بعدِى السَّهْلُ أم غالك الجَبَلْ[1]

ويا ليت شِعْرى هل لك الدهرَ أوْبَةٌ ... فحَسْبى من الدنيا رجوعُك لى بَجَلْ[2]

٥ تُذَكِّرنيه الشمسُ عنـد طُلوعها ... وتَعرِض ذِكْراه إذا غَرْبُها أفَلْ[3]

وإن هبّت الأرواحُ هَيَّجْن ذِكْرَه ... فياطُول ما حُزْنى عليه وما وَجَلْ[4]

سأُعمِل نصَّ العيس فى الأرض جاهدًا ... ولا أسأم التَّطْواف أو تَسْأم الإبلْ[5]

حياتىَ أو تأتى علىَّ مَنِيَّتى ... فكُلُّ امرىءٍ فانٍ وإن غرّه الأمَلْ[6]

١٠ ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إن شئتَ فأقِم عندى ، وإن شئت فانطلق مع أبيك ! فقال : بل أقيم عندك . فلم يزل عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بعثه الله فصدّقه[7] وأسلم ، وصلّى معه ؛ فلما أنزل الله عزّ وجلّ : « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ » . قال : أنا زيد بن حارثة .

---

٢٠ (١) غال : أهلك .

(٢) بجل : بمعنى حسب .

(٣) الأفول : غيبوبة الشمس . ونسب الأفول إلى الغروب اتساعا ومجازا .

(٤) الأرواح : جمع ريح ، جمعه على الأصل ، لأن الأصل فيه الواو . والوجل : الخوف .

١٥ (٥) النص : أرفع السير .

(٦) وزاد السهيلى بعد هذا البيت :

سأوصى به قيسا وعمرا كليهما ... وأوصى يزيدا ثم أوصى به جبل

[يعنى بيزيد : كعبا ، وهو ابن عم زيد وأخوه ؛ ويعنى بجبل : جبلة بن حارثة أخا زيد ، وكان أسن منه] .

٢٥ (٧) ويقال إنه لما بلغ زيدا قول أبيه قال :

أحن إلى أهلى وإن كنت نائيا ... بأنى قعيد البيت عنـد المشاعر =

إسلام أبى بكر الصديق رضى الله عنه وشأنه

نسبه

قال ابن إسحاق :

ثم أسلم أبو بَكْر بن أبى قُحافة ، واسمه عتيق ، واسم أبى قُحافة عثمان ابن عامر بن عمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب ابن فهر . ٥

قال ابن هشام : واسم أبى بكر : عبد الله ، وعتيق : لقب لحسن وَجْهه وعتقه (١) .

قال ابن إسحاق :

إسلامه

فلما أسلم أبو بكر رضى الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله .

= فكفوا من الوجـد الذى قد شجاكم ولا تعملوا فى الأرض نص الأباعر

فإنى بحمد الله فى خـير أسرة كرام معد كابرا بعـد كابر ١٠

فبلغ أباه فجاء هو وعمه كعب حتى وقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وذلك قبل الإسلام ، فقالا له : يا بن عبد المطلب ، يابن سيد قومه ، أنتم جيران الله ، وتفكون العانى وتطعمون الجائع ، وقد جئناك فى ابننا عبدك ، فتحسن إلينا فى فدائه ؟ فقال : أو غير ذلك ؟ فقالا : وماهو ؟ فقال : أدعوه ، وأخبره ، فإن اختاركما فذاك ، وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى اختار على من اختارنى أحدا ؟ فقالا له : قد زدت على النصف ، فدعاه رسول الله ١٥ صلى الله عليه وسلم ، فلما جاء قال : من هذان ؟ فقال : هذا أبى حارثة بن شراحيل ، وهذا عمى كعب بن شراحيل ؟ فقال : قد خيرتك ، إن شئت ذهبت معهما ، وإن شئت أقمت معى ؟ فقال : بل أقيم معك ؟ فقال له أبوه : يازيد ، أتختار العبودية على أبيك وأمك وبلدك وقومك ؟ فقال : إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئا ، وما أنا بالذى أفارقه أبدا ، فعند ذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وقام به إلى الملأ من قريش فقال : اشهدوا أن هذا ابنى ٢٠ وارثا وموروثا . فطابت نفس أبيه عند ذلك ، وكان يدعى زيد بن محمد ، حتى أنزل الله تعالى : « ادعوهم لآبائهم » . .

(١) وقيل سمى عتيقا ، لأن أمه كانت لايعيش لها ولد ، فنذرت إن ولد لها ولد أن تسميه عبد الكعبة ، وتتصدق به عليها ، فلما عاش وشب سمى عتيقا ، كأنه أعتق من الموت . وكان يسمى أيضا عبد الكعبة إلى أن أسلم ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الله . وقيل ٢٥ سمى عتيقا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أسلم : أنت عتيق من النار ، وقيل بل كان لأبيه ثلاثة من الولد : معتق ومعيتق وعتيق ، وهو أبو بكر .

وكان أبو بكر[1] رجلاً مألفاً[2] لقومه محبّبا سهْلاً ، وكان أنسبَ قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلاً تاجرًا ذا خلق ومعروف ، وكان رجالُ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه ، وتجارته وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ، ممن يغشاه ، ويجلس إليه . ٥

منزلته في قريش ودعوته للإسلام

ذكر من اسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه

قال : فأسلم بدعائه ــ فيما بلغني ــ عثمانُ بن عفّان بن أبي العاص بن أُمَيّة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالب[3] .

إسلام عثمان

والزُّبير[4] بن العوّام بن خُوَيلد بن أَسَد بن عبد العزّى بن قُصَيّ بن كِلاب

إسلام الزبير

---

١٠ (١) وأم أبي بكر أم الخير بنت صخر بن عمرو ، بنت عم أبي قحافة ، واسمها سلمى ، وهي من المبايعات ، وأم أبيه عثمان أبي قحافة : قيلة بنت أذاة بن رياح بن عبد الله بن قرط . وامرأة أبي بكر ، أم ابنه عبد الله ، قتلة بنت عبد العزى .

[اعتمدنا أمهات المراجع في الترجمة لكل من سيرد عنهم شيء هنا ممن أسلموا كالاستيعاب والإصابة ، وأسد الغابة ، والتهذيب . ونحن نكتفي بالإشارة هنا إلى هذه المراجع تفاديا ١٥ من تكرار الإشارة إليها عند كل ترجمة] .

(٢) كذا في ا . والمألف : الذي يألفه الإنسان ، وفي سائر الأصول : « مؤلفا » .

(٣) ويكنى عثمان أبا عبد الله وأبا عمرو ، كنيتان مشهورتان له ، وأبو عمرو أشهرها ؛ قيل إنه ولدت له رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنا فسماه عبد الله ، واكتنى به ومات، ثم ولد له عمرو، فاكتنى به إلى أن مات رحمه الله . وقيل إنه كان يكنى أبا ليلى . وولد ٢٠ عثمان في السنة السادسة بعد الفيل، وأمه أروى بنت كرز بن ربيعة ، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هاجر إلى الحبشة فارا بدينه مع زوجته رقية ، وكان أول خارج إليها ثم تابعه سائر المهاجرين . ولم يشهد بدرا لتخلفه على تمريض زوجته رقية ، وكانت عليلة ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتخلف عليها . وقيل : بل تخلف لأنه كان مريضاً بالجدري . وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة .

٢٥ (٤) ويكنى أبا عبد الله ، وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأسلم الزبير وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقيل وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، كما قيل إنه أسلم هو وعلي وهما ابنا ثماني سنين . وولد الزبير هو وعلي وطلحة وسعد بن أبي وقاص في عام واحد . ولم يتخلف الزبير عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ =

إسلام عبد الرحمن — ابن مُرّة بن كَعْب بن لُؤىّ . وعبد الرحمن[1] بن عَوْف بن عَبْد عَوْف بن عبد
إسلام سعد — ابن الحارث بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ ، وسَعْد[2] بن أبى
وقّاص ، واسم أبى وقّاص مالك بن أُهَيْب[3] بن عبد مناف بن زُهْرة بن مُرّة
إسلام طلحة — ابن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ ، وطَلْحة[4] بن عُبَيد الله بن عُثْمان

= وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود حين آخى بين المهاجرين ٥
بمكة ، فلما قدم المدينة وآخى بين المهاجرين والأنصار آخى بين الزبير وبين سلمة بن سلامة
ابن وقش ، ويقال إن الزبير أول رجل سل سيفه فى الإسلام ، كما يقال : إنه كان له ألف
مملوك يؤدون إليه الخراج فما يدخل بيته منها درهم واحد . يعنى أنه كان يتصدق بذلك كله .
وقتل رحمه الله فى منصرفه من وقعة الجمل ، قتله عميرة بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع ،
وكانت سنة إذ ذاك سبعا وستين ، وقيل ستا وستين. ١٠

وكان للزبير من الولد عشرة : عبد الله وعروة ومصعب والمنذر وعمرو وعبيدة وجعفر
وعاصم وعمير وحمزة .

(١) ويكنى أبا محمد ، وكان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو ، وقيل عبد الكعبة ، فسماه
رسول الله صلى الله عليه وسلم : عبد الرحمن . وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد
ابن الحارث بن زهرة . ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل أن يدخل رسول الله صلى الله ١٥
عليه وسلم دار الأرقم . وكان من المهاجرين الأولين، جمع الهجرتين جميعا، هاجر إلى أرض الحبشة،
ثم قدم قبل الهجرة وهاجر إلى المدينة . وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد
ابن الربيع . شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى دومة الجندل إلى بنى كلب ، وقال له : إن فتح الله عليك فتزوج بنت
شريفهم ؛ وكان الأصبغ بن ثعلبة الكلبى شريفهم ، فتزوج بنته تماضر بنت الأصبغ ، وهى ٢٠
أم ابنه أبى سلمة الفقيه . وتوفى عبد الرحمن بن عوف بالمدينة سنة إحدى وثلاثين ، وقيل سنة
اثنتين وثلاثين ، وهو ابن خمس وسبعين سنة ، ودفن بالبقيع .

(٢) وأم سعد : حمدونة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ، ويكنى أبا إسحاق . وهو
أحد العشرة ، دعا له النبى صلى الله عليه وسلم أن يسدد الله سهمه ، وأن يجيب دعوته، فكان
دعاؤه أسرع الدعاء إجابة . وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : احذروا ٢٥
دعوة سعد ، ولقد مات سعد فى خلافة معاوية .

(٣) وأهيب هذا هو عم آمنة بنت وهب ، أم النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) وأمه الحضرمية ، اسمها الصعبة بنت عبد الله بن عماد بن مالك بن ربيعة بن أكبر
ابن مالك بن عويف بن مالك بن الخزرج ، ويعرف أبوها عبد الله بالحضرمى . ويكنى طلحة
أبا محمد الفياض . ولما قدم طلحة المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين كعب ٣٠
ابن مالك حين آخى بين المهاجرين والأنصار . وقتل طلحة رحمه الله وهو ابن ستين سنة يوم
الجمل

ابن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ ، فجاء بهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين استجابوا له فأسلموا وصلّوا ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول ، فيما بلغنى : مادعوتُ أحدًا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كَبْوة[1] ، ونَظَر وتردّد ، إلا ما كان من أبى بَكْر بن أبى قُحافة ، ما عَكَم عنه حين ذكرتُه له ، وما تردّد فيه .

قال ابن هشام : قوله : « بدعائه » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن هشام : قوله : عكم : تلبث . قال رُؤبة بن العجّاج :

* وأُنصاع[2] وثّابٌ بها وما عَكَم *

قال ابن إسحاق :

فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام ، فصلّوا وصدّقوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما جاءه من الله .

إسلام أبى عبيدة

ثم أسلم أبو عُبيدة[3] بن الجرّاح ، واسمه عامر[4] بن عبدالله بن الجرّاح بن هِلال[5] ابن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث بن فِهْر . وأبو سَلَمة[6] ، واسمه عبد الله بن عبد

إسلام أبى سلمة

(1) الكبوة : التأخير وقلة الإجابة . وهو من قولهم كبا الزند : إذا لم يور نارا .

(2) انصاع : ذهب .

(3) وأم أبي عبيدة أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن وديعة . شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وما بعدها من المشاهد كلها ، وهو الذى انتزع من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقتى الدرع يوم أحد فسقطت ثنيتاه ، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة . وتوفى رحمة الله عليه ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة بالأردن من الشام ، وبها قبره .

(4) وقيل اسمه عبد الله بن عامر . والصحيح أن اسمه عامر . (راجع الاستيعاب) .

(5) فى الاستيعاب : « حلال » .

(6) وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم . وكان ممن هاجر بامرأته أم سلمة بنت أبى أمية إلى أرض الحبشة ، ثم شهد بدرا بعد أن هاجر الهجرتين وجرح يوم بدر جرحا اندمل ، ثم انتقض فمات منه ، وذلك لثلاث مضين لجمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة . وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأته أم سلمة.

الأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ.

إسلام الأرقم — والأرقم[1] بن أبى الأرْقم . واسم أبى الأرقم عبد مناف بن أَسَد ـ وكان أَسَد يُكْنى أبا جُنْدب ـ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظة بن مُرّة بن كَعْب ابن لؤىّ .

إسلام أبناء مظعون — وعثمان[2] بن مَظْعون بن حبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ابن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤىّ . وأخواه قُدامة وعبد الله ابنا مَظْعون ٥ ابن حبيب .

إسلام عبيدة ابن الحارث — وعُبَيْدة[3] بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف بن قصىّ

---

(١) ويكنى أبا عبد الله . وأمه من بنى سهم بن عمرو بن هصيص ، واسمها أميمة بنت عبد الحارث . ويقال: بل اسمها تماضر بنت حذيم ، من بنى سهم . وكان من المهاجرين الأولين، أسلم بعد عشرة أنفس . وفى دار الأرقم بن أبى الأرقم هذا كان النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا من قريش بمكة يدعو الناس فيها إلى الاسلام فى أول الإسلام حتى خرج عنها ، ١٠ وكانت داره بمكة على الصفا فأسلم فيها جماعة كثيرة ، وهو صاحب حلف الفضول ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار أبى الأرقم عند الصفا حتى تكاملوا أربعين رجلا مسلما . وكان آخرهم إسلاما عمر بن الخطاب ، فلما تكاملوا أربعين رجلا خرجوا . وتوفى الأرقم يوم مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وقيل توفى سنة خمس وخمسين بالمدينة ، وهو ابن بضع وثمانين سنة . ١٥

(٢) ويكنى أبا السائب . وأمه سخيلة بنت العنبس بن أهبان بن حذافة بن جمح . وهى أم السائب وعبد الله . وأسلم عثمان بن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر الهجرتين وشهد بدرا . وكان أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين بعد مارجع من بدر ، وكان أول من دفن بيقيع الغرقد .

وكان عثمان بن مظعون أحد من حرّم الخمر فى الجاهلية ، وقال : لا أشرب شرابا يذهب ٢٠ عقلى، ويضحك بى من هو أدنى منى ، ويحملنى على أن أنكح كريمتى . فلما حرمت الخمر أتى وهو بالعوالى فقيل له : ياعثمان ، قد حرمت ؛ فقال : تبا لها ، قد كان بصرى فيها ثاقبا [وفى هذا نظر لأن تحريم الخمر عند أكثرهم بعد أحد] .

(٣) ويكنى أبا الحارث ، وقيل أبو معاوية : وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين ، وكان إسلامه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وكانت ٢٥ هجرته إلى المدينة مع أخويه الطفيل والحصين ، وكان لعبيدة بن الحارث قدر ومنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

إسلام سعيد ابن زيد وامرأته

ابن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ . وسَعيد[1] بن زيد بن عمرو بن نُفيل ابن عبد العزّى بن عبد الله بن قُرْط بن رِياح[2] بن رَزاح بن عدىّ بن كَعْب ابن لؤىّ ؛ وامرأته فاطمةُ بنت الخطّاب بن نُفيل بن عبد العزّى بن عبد الله ابن قُرْط بن رِياح بن رَزاح بن عدىّ بن كَعْب بن لؤىّ ، أخت عُمر بن الخطّاب.

إسلام أسماء وعائشة وخباب

٥ وأسماء[3] بنت أبي بَكْر . وعائشة بنت أبى بكر ، وهى يومئذ صَغيرة . وخَبّاب[4] بن الأرتّ ، حليف بنى زهرة .

قال ابن هشام : خبّاب بن الأرتّ من بنى تميم ، ويقال هو من خُزاعة .

---

(١) ويكنى أبا الأعور ، وأمه فاطمة بنت بعجة بن خلف الخزاعية . وهو ابن عم عمر ابن الخطاب وصهره ، وكانت تحته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب ، وكانت أخته ١٠ عاتكة بنت بن عمرو تحت عمر بن الخطاب . وبسبب زوجة سعيد كان إسلام عمر بن الخطاب. وقد أقطع عثمان سعيدا أرضا بالكوفة فنزلها وسكنها إلى أن مات وسكنها من بعده من بنيه الأسود بن سعيد ، وكان له غير الأسود : عبد الله وعبد الرحمن وزيد ، وكلهم أعقب وأنجب . وتوفى سعيد بأرض العقيق . ودفن رحمه الله بالمدينة فى أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى وخمسين ، وهو ابن بضع وسبعين سنة .

١٥ (٢) فى الاستيعاب : « ... عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قرط » وقد تقدم الكلام على هذا عند الكلام على نسب زيد بن عمرو بن نفيل .

(٣) وأم أسماء قيلة ، وقيل : قتيلة بنت عبدالعزى بن عبد أسد . وكانت أسماء تحت الزبير ابن العوام ، وكان إسلامها قديما ، بمكة وهاجرت إلى المدينة وهى حامل بعبد الله بن الزبير . وتوفيت أسماء بمكة فى جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير ٢٠ بيسير ، وكانت تسمى ذات النطاقين . ويقال إنها عمرت مئة سنة .

(٤) اختلف فى نسب خباب كما ترى ، فقيل إنه خزاعى وقيل تميمى ، والصحيح أنه تميمى النسب ، لحقه سباء فى الجاهلية فاشترته امرأة : [هى أم أنمار بنت سباع الخزاعية] من خزاعة وأعتقته . وكانت من حلفاء بنى عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، فهو تميمى بالنسب، خزاعى بالولاء ، زهرى بالحلف . وهو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة ٢٥ ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكان قينا يعمل السيوف فى الجاهلية ، وقد شهد بدرا ، وما بعدها من المشاهد . ويكنى أبا عبد الله ، وقيل أبو يحيى وقيل أبو محمد ، وكان قديم الإسلام ممن عذب فى الله وصبر على دينه . نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين . وكانت سنة ثلاثا وستين . وقيل بل مات سنة تسع عشرة بالمدينة .

إسلام عمير وابن مسعود وابن القارى

قال ابن إسحاق :

وعُمَيْر[1] بن أبي وقّاص ، أخو سَعْد بن أبي وقّاص . وعبد الله[2] ابن مَسْعود بن الحارث بن شَمْخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل[3] بن الحارث ابن تميم بن سَعْد بن هُذيل[4] ، حليف بني زُهْرة . ومسعود بن القارى ، وهو مَسْعود[5] بن رَبيعة بن عمرو بن سعد[6] بن عبد العزّى بن حَمالة بن غالب ابن مُحلِّم بن عائذة بن سُبَيْع[7] بن الهُون بن خزيمة من القارة .

شىء عن القارة

قال ابن هشام: والقارة[8] : لقب [لهم][9] ولهم يقال :

---

(١) وقد قتل عمير هذا يوم بدر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استصغر سنه يومها وأراد أن يرده فبكى ، ثم أجازه ، بعد قتله ، فقتل يومئذ وهو ابن ست عشرة سنة . (راجع الاستيعاب) .

(٢) ساق نسبه ابن عبد البر فى الاستيعاب ، وهو يختلف عما هنا قال : « عبد الله ابن مسعود بن غافل (بالغين المنقوطة والفاء) بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم » ثم اتفق مع الأصل فيما بعد ذلك .

(٣) يروى بفتح الهاء ، كأنه سمى بالفعل من كاهل يكاهل : إذا أسن وقوى .

(٤) ويكنى عبد الله : أبا عبد الرحمن . وأم عبد الله : أم عبد بنت عبد ودّ بن سواء ابن قديم بن صاهلة ، من بنى هذيل أيضاً . وكان إسلامه قديماً فى أول الإسلام حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة ، وكان سبب إسلامه أنه كان يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ شاة حائلا من تلك الغنم فدرت عليه لبنا غزيرا. ولقد شهد بدرا والحديبية . وشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ومات بالمدينة سنة ثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع ، وكان يوم توفى ابن بضع وستين سنة .

(٥) ويكنى أبا عمير. وقد أسلم مسعود قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وشهد بدرا ، وهو أحد حلفاء بنى زهرة ، وقد مات سنة ثلاثين ، وقد زاد سنه على الستين.

(٦) فى الاستيعاب : « عمرو بن عبد العزّى » .

(٧) كذا فى ا . وفى م : « سبع » . وفى ر : « سميع » .

(٧) والقارة قبيلة ، وهم عضل والديش ابنا الهون بن خزيمة ، وإنما سموا قارة لاجتماعهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم فى بنى كنانة ، فقال شاعرهم :

دعونا قارة لا تذعرونا فنجفل مثل إجفال الظليم

(٩) زيادة عن ا .

* قد أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ راماها[1] *

وكانوا قوما رُماة[2] .

إسلام سليط وأخيه

قال ابن إسحاق : وسَليط[3]* بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نصر ابن مالك بن [حِسْل بن][4] عامر بن لؤىّ بن غالب بن فهر ؛ [وأخوه حاطب ابن عمرو][4] وعيّاش[5] بن أبى ربيعة[6] بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم بن يَقَظة بن مرّة بن كَعْب بن لؤىّ ؛ وامرأته أسماء[7] بنت سلامة[8] بن مُخرّبة التميمية .

إسلام عياش وامرأته

(1) هذا مثل ، يقال إنه قيل فى حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة . وكانت القارة مع قريش ، وهم قوم رماة . فلما التقى الفريقان راماهم الآخرون ، فقيل: قد أنصفهم هؤلاء إذ ساووهم فى العمل الذى هو شأنهم وصناعتهم . (راجع الأمثال ، وفرائد اللآل ، والروض) .

(2) يزعمون أن رجلين التقيا أحدهما قارى ، فقال القارى : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ؛ فقال الآخر : قد اخترت المراماة ؛ فقال القارى : قد أنصفتنى ، وأنشأ يقول :

قد علمت سلمى ومن والاها ... أنا نرد الخيل عن هواها
نردها رامية كلاها ... قد أنصف القارة من راماها
إنا إذا ما فئة نلقاها ... نرد أولاها على أخراها

(راجع الأمثال ، والروض) .

(3) وهو أخو سهيل بن عمرو ، وكان من المهاجرين الأولين ، وهو الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن على الحنفى وإلى ثمامة بن أثال الحنفى ، وهما رئيسا اليمامة ، وذلك فى سنة ست أو سبع . وقتل سليط سنة أربع عشرة .

(4) زيادة عن ا .

(5) ويكنى عياش : أبا عبد الرحمن ، وقيل أبو عبد الله ، وهو أخو أبى جهل بن هشام لأمه ، أمهما أم الجلاس أسماء بنت مخرمة . وأخو عبد الله بن أبى ربيعة لأبيه وأمه . وكان إسلامه قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم . وهاجر عياش إلى أرض الحبشة مع امرأته أسماء بنت سلمة ، وولد له بها ابنه عبد الله ، ثم هاجر إلى المدينة ، ومات بمكة .

(6) واسم أبى ربيعة : عمرو .

(7) وكانت من المهاجرات ، هاجرت مع زوجها إلى الحبشة . وولدت له عبد الله ، ثم هاجرت إلى المدينة ، وتكنى أم الجلاس .

(8) وقيل : أسماء بنت سلمة .

إسلام خنيس — وخُنَيس[1] بن حُذافة بن قيس بن عدىّ بن سعد[2] بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤىّ. وعامر[3] بن رَبيعة، من[4] عَنْز[5] بن وائل، حليف آل الخطّاب بن نُفيل بن عبد العزّى. — إسلام عامر

قال ابن هشام: عَنْز بن وائل أخو بَكْر بن وائل، من ربيعة بن نزار.

قال ابن إسحاق: ٥

إسلام ابنى جحش — وعبد الله[6] بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبِرة بن مُرّة بن كَبير[7] ابن غَنْم بن دُودان بن أَسَد بن خُزَيمة. وأخوه أبو أحمد بن جَحْش، حليفا بنى

---

(١) وكان خنيس على حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قبله، وكان من المهاجرين الأولين، شهد بدرا بعد هجرته إلى أرض الحبشة، ثم شهد أحدا ونالته جراحة مات منها بالمدينة، وهو أخو عبد الله بن حذافة السهمى. ١٠

(٢) كذا فى الاستيعاب، وشرح السيرة. وفى الأصول: «سعيد» وهو تحريف. قال السهيلى: «وحيثما تكرر نسب عدى بن سعد بن سهم، يقول فيه ابن إسحاق: سعيد. والناس على خلافه، إنما هو سعد... وإنما سعيد بن سهم أخو سعد، وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم. وفى سهم سعيد آخر وهو ابن سعد المذكور، وهو جد المطلب بن أبى وداعة. واسم أبى وداعة عوف بن جبيرة ابن سعيد بن سعد». ١٥

(٣) فى نسب عامر خلاف، فمن النسابين من ينسبه إلى عنز، ومنهم من ينسبه إلى مذحج فى اليمن، إلا أنهم مجمعون على أنه حليف للخطاب بن نفيل، لأنه تبناه. وأسلم عامر وهاجر إلى الحبشة مع امرأته، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرا وسائر المشاهد، وتوفى سنة ثلاث وثلاثين، وقيل سنة اثنتين وثلاثين، كما قيل سنة خمس وثلاثين، وكان يكنى أبا عبد الله. ٢٠

(٤) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «ابن» وهو تحريف لأن بين ربيعة وعنز غير واحد من الآباء.

(٥) هو بسكون النون، وقيل بفتحها، والسكون أعرف. (راجع الروض).

(٦) وأم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب، وكان عبد الله حليفا لبنى عبد شمس، أسلم قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وكان هو وأخوه أبو أحمد عبد ابن جحش من المهاجرين الأولين، ممن هاجر الهجرتين. ولقد تنصر أخوهما عبيد الله ابن جحش بأرض الحبشة، ومات بها نصرانيا، وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته أم حبيبة، ولقد شهد عبد الله بدرا، واستشهد يوم أحد. ٢٥

(٧) فى الاستيعاب: «ابن كثير».

إسلام جعفر وامرأته
إسلام أولاد الحارث ونسائهم

أُمَيَّة بن عبد شمس(١) . وجعفر(٢) بن أبي طالب ؛ وامرأته أَسْماء(٣) بنت عُمَيس(٤) بن النعمان بن كَعْب بن مالك بن قُحافة ، من خَثْعم(٥) . وحاطب(٦) ابن الحارث بن مَعْمر بن حَبِيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيص ابن كَعْب بن لؤىّ ؛ وامرأته فاطمة بنت المجلّل بن عبدالله بن أبى قَيْس بن عبد ودّ
٥ ابن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر ؛ وأخوه حطّاب(٧) بن الحارث ؛ وأُمرأته فُكَيهة بنت يَسَار . ومَعْمَر(٨) بن الحارث

---

(١) وقيل بل كانا حليفين لحرب بن أمية . (راجع الاستيعاب فى ترجمة عبد الله وأخيه أبى أحمد) .

(٢) وكان جعفر يكنى أبا عبد الله ، وكان أشبه الناس خلقا وخلقا برسول الله صلى الله
١٠ عليه وسلم ؛ وكان أكبر من على بعشر سنين ، كما كان عقيل أكبر من جعفر بعشر سنين ، وكان طالب أكبر من عقيل بعشر سنين . ولقد هاجر جعفر إلى أرض الحبشة وقدم منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر ، فتلقاه النبى صلى الله عليه وسلم واعتنقه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أشد فرحا بقدوم جعفر ، أم بفتح خيبر ، وقتل جعفر فى غزوة مؤتة .

١٥ (٣) وأم أسماء هند بنت عوف بن زهير ، وأسماء أخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخت لبابة أم الفضل زوجة العباس . وهاجرت أسماء مع زوجها جعفر إلى الحبشة فولدت له هناك محمدا وعبد الله وعونا ، ثم هاجرت إلى المدينة ، فلما قتل جعفر زوجها تزوجها أبو بكر ، فولدت له محمد بن أبى بكر ، ثم مات عنها ، فتزوجها على بن أبى طالب ، فولدت له يحيى بن على بن أبى طالب .

٢٠ (٤) فى الاستيعاب : « عميس بن مالك بن النعمان . . . الخ » .

(٥) وقيل فى نسبها : إنها أسماء بنت عميس بن سعد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك ابن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب بن شهران ابن عفرس بن خلف بن أقبل ، وهو جماعة خثم بن أنمار .

(٦) ولقد مات حاطب بأرض الحبشة ، وكان خرج إليها مع امرأته فاطمة بنت المجلل
٢٥ مهاجرين ، وولدت له فاطمة هناك ابنيه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وأتى بهما من هناك غلامين .

(٧) كذا فى الاستيعاب . وفى الأصول خطاب «بالخاء المعجمة» وهو تصحيف ، ولقد هاجر حطاب مع أخيه إلى أرض الحبشة ، فمات فى الطريق . وقيل إنه مات فى الطريق منصرفه منها .

(٨) وهو أخو حاطب وحطاب ، وهو ممن أسلموا قبل دخول رسول الله صلى الله
٣٠ عليه وسلم دار الأرقم ، ولقد شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها ، وتوفى فى خلافة عمر رضى الله عنه .

ابن مَعْمر بن حَبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح بن عمرو بن هُصَيص ابن كعب بن لؤى . والسائب[1] بن عثمان بن مَظْعون بن حَبيب بن وَهْب .

إسلام السائب

والمطّلب[2] بن أزْهر بن عبد عَوْف بن عَبْد بن الحارث بن زُهْرة بن كِلاب ابن مُرّة بن كعب بن لؤىّ ، وامرأته : رَمْلة بنت أبى عَوْف بن صُبيرَة[3] ابن سُعَيد [بن سعد][4] بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ . ٥

إسلام المطلب وامرأته

والنحّام، واسمه نُعَيم[5] بن عبد الله بن أسِيد، أخو بنى عدىّ بن كَعْب بن لؤىّ .

إسلام نعيم ونسبه

قال ابن هشام : هو نُعَيم بن عبد الله بن أسيد[6] بن عبد عَوْف بن عَبيد ابن عَوِيج بن عدىّ بن كَعْب بن لؤىّ ، وإنما سمّى النحّامَ ، لأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : لقد سمعت نَحْمَه فى الجنة .

قال ابن هشام : نحمه : صوته . [ونحمه]:[7] حسّه[8] . ١٠

---

(١) ولقد هاجر السائب مع أبيه عثمان بن مظعون ، ومع عميه قدامة وعبد الله إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، وقتل السائب وهو ابن بضع وثلاثين سنة ، قتل يوم اليمامة شهيدا .

(٢) وهو أخو عبد الرحمن وطليب ابنى أزهر ، وكان المطلب وطليب من مهاجرة الحبشة وبها ماتا ، وكان خروج المطلب إلى الحبشة مع امرأته رملة ، وقد ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب . ١٥

(٣) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « ضبيرة » ، بالضاد المعجمة ، وهى لغة فيه . وهو الذى كان شابا جميلا يلبس حلة ، ويقول للناس : هل ترون بى بأسا ؟ إعجابا بنفسه ، فأصابته المنية بغتة فقال الشاعر فيه :

من يأمن الحدثان بعـــد ضبيرة القــرشى ماتا
سبقت منيتـــه المشيـ ـب وكان ميتته افتلاتا ٢٠

(٤) زيادة يقتضيها السياق . (راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧٤) .

(٥) ويقال إن نعيم هذا أسلم بعد عشرة نفر قبل إسلام عمر بن الخطاب ، وكان يكتم إسلامه ، ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة ، لأنه كان ينفق على أرامل بنى عدى . وأيتامهم ويمونهم ، وقتل بأجنادين شهيدا سنة ثلاث عشرة فى آخر خلافة أبى بكر ، وقيل : قتل يوم اليرموك شهيدا فى رجب سنة خمس عشرة فى خلافة عمر . ٢٥

(٦) كذا فى الاستيعاب وشرح السيرة . وفى الأصول : « . . . أسيد بن عبد الله ابن عوف . . . الخ » . وهو تحريف .

(٧) زيادة عن ا .

(٨) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « حسنه » .

إسلام عامر ابن فهيرة ونسبه

قال ابن إسحاق :

وعامر بن فُهَيْرة ، مولى أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه .

قال ابن هشام : عامر بن فُهَيْرة[1] مولَّد من مولَّدى الأَسْد ، أسود ، اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم .

إسلام خالد ابن سعيد وامرأته أمينة

قال ابن إسحاق :

وخالد بن سَعيد[2] بن العاص بن أُمية بن عبد شَمْس بن عبد مناف ابن قُصىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ ؛ وامرأته أُمَيْنة[3] بنت خَلَف ابن أسعد بن عامر بن بَيَاضة بن سُبَيع بن جِعْثِمة[4] بن سعد بن مُلَيح بن عمرو، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : هُمَينة[5] بنت خَلَف .

إسلام حاطب وأبى حذيفة

قال ابن إسحاق :

وحاطب بن عمرو[6] بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤىّ بن غالب بن فِهْر . وأبو حُذَيفة ، وأسمه مِهْشَم[7] ـ فيما قال ابن هشام ـ بن عُتبة بن رَبيعة بن عبد شَمْس بن عَبْد

---

(1) وفهيرة أمه ، وكان عبدا للطفيل بن الحارث بن سخبرة . وأسلم عامر قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وقتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة .

(2) ويكنى خالد: أبا سعيد ، ويقال إنه أسلم بعد أبى بكر الصديق ، فكان ثالثا أورابعا ، وقيل كان خامسا . وقد هاجر إلى الحبشة مع امرأته الخزاعية ، وولد له بها ابنه سعيد ابن خالد ، وابنته أم خالد ، وهاجر معه إلى أرض الحبشة أخوه عمرو بن سعيد بن العاص .

(3) فى الاستيعاب : « أميمة » وقد نص أبو ذر على أن ما أثبتناه هو الصواب .

(4) فى الأصول : خثعمة . والتصويب عن شرح السيرة .

(5) فى الاستيعاب وفى الأصول : « هميمة » .

(6) وهو أخو سهيل وسليط والسكران أبناء عمرو ، وقد أسلم حاطب قبل دخول الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وقد هاجر إلى الحبشة الهجرتين جميعا ، وهو أول من قدم الحبشة فى الهجرة الأولى .

(7) قال السهيلى : « قال ابن هشام : واسمه مهشم ، وهو وهم عند أهل النسب ، فإن مهشما إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشم وهشام ابنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه قيس ، فيما ذكروا .

إسلام واقد وشيء عنه

مناف بن قُصيّ بن كِلاب بن مرّة بن كَعْب بن لؤيّ . وواقد[1] بن عبد الله ابن عبد مناف بن عَرِين بن ثعلبة بن يَرْبوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف بنى عدىّ بن كَعْب .

قال ابن هشام : جاءت به باهلةُ ، فباعوه من الخطّاب بن نُفيل ، فتبنّاه ، فلمّا أنزل اللهُ تعالى : « ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ » قال : أنا واقد بن عبد الله ، فيما قال أبو عمرو المدنى

إسلام بنى البكير

قال ابن إسحاق :

وخالد[2] وعامر[3] وعاقل[4] وإياس[5] بنو البُكَير[6] بن عبد يَاليل

---

(١) ولقد أسلم واقد قبل دخول رسول الله صلى الله عليه دار الأرقم ، وهو الذى قتل عمرو بن الحضرمى ، وشهد واقد مع الرسول صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والمشاهد كلها ، وتوفى فى خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) ولقد شهد هو وإخوته بدرا ، وقتل يوم الرجيع فى صفر سنة أربع من الهجرة ، وكان يوم قتل ابن أربع وثلاثين سنة ، وكانت السرية يوم الرجيع مع عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح ومرثد بن أبى مرثد الغنوى ، قاتلوا هذيلا ورهطا من عضل والقارة حتى قتلوا ومن معهم وأخذ خبيب بن عدى ثم صلب ، وله يقول حسان :

ألا ليتنى فيها شهدت ابن طارق وزيدا وماتغــنى الأمانى ومرثدا
فدافعت عن حبى خبيب وعاصم وكان شفاء لوتداركت خالدا

(٣) وشهد عامر بدرا مع إخوته ، وما بعدها من المشاهد ، وقتل يوم اليمامة شهيدا .

(٤) شهد مع إخوته بدرا وقتل بها ، قتله مالك بن زهير الخطمى ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة ، وكان اسمه غافلا فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقلا ، وكان من أول من أسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الأرقم .

(٥) ولقد شهد إياس بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إسلامه وإسلام أخيه عامر فى دار الأرقم . وإياس هذا هو والد محمد ابن إياس بن البكير الذى يروى عن ابن عباس وابن عمر وأبى هريرة ، فيمن طلق امرأته ثلاثا قبل أن يمسها أنها لاتحل له .

(٦) قال ابن عبد البر : « هــذا كلام ابن إسحاق وغيره . وقال الواقدى . . . أبى البكير » .

ابن ناشب بن غِيَرَة بن[1] سعد بن لَيْث بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة ، حلفاء بنى[2] عدىّ بن كعب . وعمّار بن ياسر[3] ، حليف بنى مخزوم بن يَقَظة .

إسلام عمار ابن ياسر

قال ابن هشام : عمّار بن ياسر عَنْسِىّ من مَذْحِج[4] .

قال ابن إسحاق :

إسلام صهيب ونسبه

٥ وصُهَيب بن سِنان[5] ، أحد النَّمِر بن قاسط ، حليف بنى تَيْم بن مُرّة .

قال ابن هشام : النَّمِر ابنُ قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن جَديلة بن أسَد ابن رَبيعة بن نزار ، ويقال : أفصَى ابنُ دُعْمىّ بن جَديلة بن أسَد ؛ ويقال :

---

(١) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « غيرة من بنى سعد » .

(٢) وذلك أن عبد يا ليـل كان قد حالف فى الجاهلية نفيل بن عبد العزى جد عمر

١٠ ابن الخطاب رضى الله عنه .

(٣) وكان عمار وأمه سمية ممن عذب فى الله ، ثم أعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه واطمأن بالإيمـان قلبه ، فنزلت فيه : « إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمـان » . وهاجر عمار إلى أرض الحبشة ، ولقد شهد بدرا والمشاهد كلها ، وأبلى ببدر بلاء حسنا ، ثم شهد اليمـامة فأبلى فيها أيضا ويومئذ قطعت أذنه ، وقيل فى صفين ، وكانت سنه إذ ذاك تزيد على التسعين .

١٥ (٤) وقال الواقدى وطائفة من أهل العلم بالنسب والخبر : « إن ياسرا والد عمار عرنى قحطانى مذحجى من عنس فى مذحج ، إلا أن ابنه عمارا مولى لبنى مخزوم ، لأن أباه ياسرا تزوج أمة لبعض بنى مخزوم فولدت له عمارا ، وذلك أن ياسرا والد عمار قدم مكة مع أخوين له أحدهما يقال له الحارث ، والثانى مالك ، فى طلب أخ لهم رابع ، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن

٢٠ وأقام ياسر بمكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فزوجه أبو حذيفة أمة له يقال لهـا سمية بنت خياط فولدت له عمارا ، فأعتقه أبو حذيفة ؛ فمن هنا هو عمار مولى لبنى مخزوم . . . . وللحلف والولاء الذى بين بنى مخزوم وابن عمار وأبيه ياسر كان اجتماع بنى مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتى انفتق له فتق فى بطنه . فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا : والله لئن مات ماقتلنا به أحدا غير عثمان » .

٢٥ (٥) وهو ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان إسلامه هو وعمار ابن ياسر فى يوم واحد ، ومات صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين فى شوال ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وقيل ابن تسعين ، ودفن بالبقيع .

صُهَيب : مولى عبد الله[١] بن جُدْعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تيم ؛ ويقال : إنه روميّ . فقال بعضُ مَنْ ذكر أنه من النَّمِر بن قاسط : إنما كان أسيراً فى أرض الروم ، فاشتُرِى منهم . وجاء فى الحديث عن النبى صلّى الله عليه وسلّم : صهيب سابق الروم .

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وما كان منهم

أمر الله له صلى الله عليه وسلم بمباداة قومه

قال ابن إسحاق :

ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتُحدِّث به . ثم إن الله عزّ وجل أمر رسولَه صلّى الله عليه وسلّم أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادىَ الناسَ بأمره ، وأن يدعوَ إليه ؛ وكان بين ما أُخفَى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أمرَه واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاثُ سنين — فيما بلغنى — من مَبْعَثه ؛ ثم قال الله تعالى له : « فَاصْدَعْ[٢] بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ » . وقال تعالى :

---

(١) وذلك أن أباه سنان بن مالك أو عمه كان عاملا لكسرى على الأبلة ، وكانت منازلهم بأرض الموصل فى قرية من شط الفرات مما يلى الجزيرة والموصل ، فأغارت الروم على تلك الناحية فسبت صهيبا وهو غلام صغير ، فنشأ صهيب بالروم فصار ألكن فابتاعته منهم كلب ثم قدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمى منهم فأعتقه ، فأقام معه بمكة حتى هلك عبد الله ابن جدعان ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم . وأما صهيب وولده فيزعمون أنه إنما هرب من الروم حين عقل وبلغ ، فقدم مكة فحالف عبد الله بن جدعان ، وأقام معه إلى أن هلك .

(٢) قال السهيلى : « والمعنى : اصدع بالذى تؤمر به ، ولكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها ، وكان الحذف هاهنا أحسن من ذكرها لأن « ما » فيها من الإبهام أكثر مما يقتضيه « الذى » . وقولهم «ما» مع الفعل بتأويل المصدر ، راجع إلى معنى «الذى» إذا تأملته ، وذلك أن «الذى» تصلح فى كل موضع تصلح فيه « ما » التى يسمونها المصدرية . نحو قول الشاعر :

« وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ » .

تفسير ابن هشام لبعض المفردات

قال ابن هشام : اصدع : افرُق بين الحق والباطل . قال أبو ذُؤَيب الهذلىّ ، واسمه خُويلد بن خالد ، يصف أُتن[1] وَحش وفَحْلها :

٥ وكأنهن رِبابةٌ وكأنّه يَسَرٌ يُفيض على القِداح ويَصْدعُ[2]

اى يُفرِّق على القِداح ويبين أنصباءها . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رؤبة بن العجّاج :

أنت الحليمُ والأميرُ المنتقمْ تَصْدعُ بالحقّ وتنفِى مَنْ ظَلَمْ

وهذان البيتان[3] فى أرجوزة له .

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه الى شعاب مكة وما فعله سعد

١٠ قال ابن إسحاق :

وكان أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا صلّوا ذهبوا فى الشِّعابْ فاستَخْفَوْا بصلاتهم من قومهم ، فبينا سَعْد بن أبى وقّاص فى نَفَرٍ من أصحاب

= عسى الأيام أن يرجعـن يوما كالذى كانوا

أى كما كانوا . فقول الله عز وجل إذا : « فاصدع بما تؤمر » . إما أن يكون معناه بالذى

١٥ تؤمر به من التبليغ ونحوه ، وإما أن يكون معناه اصدع بالأمر الذى تؤمره ، كما تقول عجبت ... من الضرب الذى تضربه ، فتكون «ما» هاهنا عبارة عن الأمر الذى هو أمر الله تعالى ، ولا يكون للباء فيه دخول ولا تقدير . وعلى الوجه الأول تكون «ما» مع صلتها عبارة عما هو فعل للنبى صلى الله عليه وسلم . والأظهر أنها مع صلتها عبارة عن الأمر الذى هو قول الله ووحيه ، بدليل حذف الهاء الراجعة إلى ما ، وإن كانت بمعنى الذى فى الوجهين جميعا ، إلا أنك إذا أردت معنى الأمر لم تحذف إلا الهاء وحدها ، وإذا أردت معنى المأمور به حذفت باء وهاء ،

٢٠ فحذف واحد أيسر من حذفين ، مع أن صدعه وبيانه إذا علقته بأمر الله ووحيه كان حقيقة ، وإذا علقته بالفعل الذى أمر به كان مجازا ، وإذا صرحت بلفظ الذى لم يكن حذفها بذلك الحسن وتأمله فى القرآن تجده كذلك ، نحو قوله تعالى : « وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون » . وإنما كان الحذف مع « ما » أحسن لما قدمناه من إبهامها ، فالذى فيها من الإبهام قربها من « ما » التى هى للشرط لفظا ومعنى» .

٢٥ (١) الأتن : جمع أتان ، وهى الأنثى من الحمر .

(٢) الربابة (بكسر الراء) : خرقة تلف فيها القداح . وتكون أيضا جلدا . واليسر : الذى يدخل فى الميسر . والقداح : جمع قدح ، وهو السهم .

(٣) هذا على أنهما من شطور الرجز .

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى شِعْب من شِعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفرٌ من المشركين وهم يصلّون ، فناكروهم ، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعدُ بن أبى وقاص يومئذٍ رجلاً من المشركين بلَحْىِ[1] بعير فشجّه[2] ، فكان أولَ دم هُريق فى الإسلام .

إظهار قومه صلى الله عليه وسلم العداوة له وحدب عمه أبى طالب عليه

قال ابن إسحاق : ٥

فلما بادى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قَومه بالإسلام وصدَع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قَومُه ولم يردّوا عليه ــ فيما بلغنى ــ حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلمّا فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خِلافَه وعداوتَه ، إلا مَنْ عَصَم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفُون ، وحَدِب[3] على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عمّه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على أمْر ١٠ الله مظهراً لأمره ، لا يردّه عنه شىء . فلما رأت قريش أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لا يُعْتِبهم[4] مِنْ شىء أنكروه عليه ، مِنْ فراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأَوْا أن عمّه أبا طالب قد حَدِب عليه ، وقام دونه ، فلم يُسْلمه لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قُريش إلى أبى طالب ، عتبةُ وشَيْبة ابْنا ربيعة بن عبد شَمْس ابن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب . ١٥

---

(١) اللحى : العظم الذى على الفخذ ، وهو من الإنسان : العظم الذى تنبت عليه اللحية .

(٢) شجه : جرحه.

(٣) أصل الحدب : الانحناء فى الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له ، كما قال النابغة :

حدبت علىّ بطون ضبة كلها إن ظالما فيهم وإن مظلوما ٢٠

وقد يكون الحدب أيضا مستعملا فى معنى المخالفة إذا قرن بالقعس ، كقول الشاعر :

وإن حدبوا فاقعس وإن هم تقاعسوا لينتزعوا ماخلف ظهرك فاحدب

(٤) لايعتبهم من شىء : أى لايرضيهم ؛ يقال استعتبنى فأعتبته ، أى أرضيته وأزلت العتاب عنه .

وأبو سفيان بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شَمْس بن عبد مناف بن قصىّ بن كِلاب ابن مُرّة بن كَعْب بن لؤىّ بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبى سفيان : صَخْر .

قال ابن إسحاق :

٥ وأبو البَخترى ، واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسَد بن عبد العزّى ابن قصىّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب بن لؤىّ .

قال ابن هشام : أبو البخترى : العاص بن هاشم[1] .

قال ابن إسحاق :

والأسود بن المطّلب بن أسَد بن عبد العزّى بن قُصىّ بن كِلاب بن مرّة ١٠ ابن كَعْب بن لؤىّ . وأبو جهل ـ واسمه عمرو ، وكان يكنى أبا الحَكَم ـ ابن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مرّة بن كعب ابن لؤىّ . والوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم بن يَقَظَة بن مرّة ابن كعب بن لؤىّ . ونُبيه ومنبِّه ابنا الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سعد بن سَهْم ابن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ . والعاص بن وائل .

١٥ قال ابن هشام : العاص ابنُ وائل بن هاشم[2] بن سُعَيد بن سهم بن عمرو ابن هُصَيص بن كعب بن لؤىّ .

قال ابن إسحاق :

وفد قريش مع أبى طالب فى شأن الرسول صلى الله عليه وسلم .

أو مَنْ مشى منهم . فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا

---

(١) قال السهيلى : « الذى قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبى ، والذى قاله ابن هشام ٢٠ هو قول الزبير بن أبى بكر وقول مصعب ، وهكذا وجدت فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر سفيان بن العاص » .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول هشام » .

وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضلّل آباءنا ، فإمّا أن تُكفّه عنّا ، وإما أنْ تخلِّى بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خِلافه فنكفيكه ؛ فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا ، وردّهم ردًّا جميلا ، فانصرفوا عنه .

استمرار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته ورجوع وفد قريش إلى أبى طالب ثانية

ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على ماهو عليه ، يُظْهر دينَ الله ويدعو إليه ، ثم شرِى[1] الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرجالُ وتضاغنوا[2] ، وأكثرت قريشٌ ذِكْرَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بينها ، فتذامروا[3] فيه ، وحضّ بعضُهم بعضاً عليه ، ثم إنهم مَشَوْا إلى أبى طالب مرّة أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سنًّا وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنّا ، وإنا والله لا نَصْبِر على هذا مِنْ شَتْم آبائنا ، وتَسْفيه أحلامنا ، وعَيْب آلهتنا ، حتى تكفّه عنّا ، أو نُنازله وإياك فى ذلك حتى يَهْلِكَ أحدُ الفريقين ، أو كما قالوا له . [ثم][4] انصرفوا عنه ، فعظم على أبى طالب فراقُ قومه وعَداوتهم ، ولم يَطِبْ نفساً بإسلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لهم ولا خِذْلانه .

طلب أبى طالب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم الكف عن الدعوة وجوابه له

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأَخْنس أنه حُدِّث .

أنّ قريشاً حين قالوا لأبى طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له : يا بن أخى ، إنّ قومك قد جاءونى ؛ فقالوا لى كذا وكذا ، للذى كانوا قالوا له ، فأبْقِ علىّ وعلى نفسك ، ولا تُحَمِّلنى من الأمر مالا أُطيق ؛ قال : فظن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاء[5] أنه خاذله

(١) شرى : كثر واشتد .

(٢) تضاغنوا : تعادوا .

(٣) تذامروا : حض بعضهم بعضا .

(٤) زيادة عن ا .

(٥) كذا فى ا . والبداء : الاسم من بدا . يريد : ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء لأنه شىء يبدو بعد ماخفى . وفى سائر الأصول : « بدو » .

ومُ ْلمه ، وأنه قد ضعُف عن نصرته والقيام معه . قال ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ياعمّ ، والله لو وضعوا الشمسَ فى يَمينى والقمرَ فى يَسارى[1] على أن أترك هذا الأمرَ حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركتُه . قال : ثم استَعْبر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فبكَى ثم قام ، فلما ولّى ناداه أبو طالب ، فقال : أَقْبِل يا بن أخى . قال : فأقبل عليه رسولُ اللهُ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : اُذهب يا بن أخى فقل ما أحببتَ ، فوالله لا أُسْلمك لشىء أبداً .

مشى قريش إلى أبى طالب ثالثة بعمارة ابن الوليد المخزومى

قال ابن إسحاق :

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبَى خذلان رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم و إسلامه ، و إجماعَه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم ، مشَوْا إليه بعُمارة ابن الوليد بن المُغيرة ، فقالوا له ؛ فيما بلغنى : يا أبا طالب ، هذا عُمارة بن الوليد ، أنهد[2] فتًى فى قريش وأجمله ، فخذْه فلك عَقْله ونَصْرُه ، واتّخذْه ولداً فهو لك ، وأَسْلِمْ إلينا ابنَ أخيك هذا الذى قد خالف دينَك ودينَ آبائك ، وفرّق جماعةَ قومك ، وسفّه أحلامَهم ، فنقتله ، فإنما هو رجل برجل ؛ فقال : والله لبئس ما تَسومونى[3] ! أتعطونى ابنَكم أغذوه لكم، وأُعطيكم ابنى تقتلونه ! هذا والله مالا يكون أبدًا . قال : فقال المُطْعم بن عدىّ بن نوفل بن عبد مناف بن قصىّ : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومُك ، وجهدوا على التخلّص ممـا تكرهه ، فما أراك

(١) قال السهيلى : « خص الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الممحوة ، وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إنى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم ؛ فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ؛ قال : كنت مع الآية الممحوة ، اذهب فلا تعمل لى عملا . وكان عاملا له فعزله ، فقتل الرجل فى صفين مع معاوية ، واسمه حابس بن سعد . وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم النيرين حين ضرب المثل بهما لأن نورهما محسوس والنور الذى جاء به من عند الله » .

(٢) أنهد : أشد وأقوى . وأصل هذه الكلمة التقدم ، يقال : نهد ثدى الجارية ، أى برز قدما .

(٣) تسومونى : تكلفونى .

تريد أن تقبل منهم شيئاً ؛ فقال أبو طالب للمُطْعِم : والله ما أَنْصفونى ، ولكنّك قد أجمعتَ خذلانى ومُظاهرة القوم علىّ ، فاصنع ما بدا لك ، أو كما قال . فحَقَبَ[1] الأمر ، وحميت الحربُ ، وتنابذ القومُ ، وبادى بعضُهم بعضا .

شعر أبي طالب في التعريض بالمطعم ومن خذله من بني عبد مناف

فقال أبو طالب عند ذلك يعرّض بالمُطْعِم بن عدىّ ، ويعُمّ مَنْ خَذَله من بنى عبد مناف ، ومَنْ عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم : ٥

ألاَ قُلْ لعمرو والوليد ومُطْعِمٍ ... ألا ليتَ حظّى من حِياطتكم بكْرُ[2]

من الخُور[3] حَبْحاب[4] كثيرٌ رُغاؤه ... يُرَشّ على الساقين من بَوله قَطْر

تخَلّف خَلْف الوِرْد ليس بلاحق ... إذا ما علا الفَيْفاءَ قِيل له وَبْر[5]

أرى أخوَيْنا من أبينا وأُمّنا ... إذا سُئلا قالاَ إلى غيْرنا الأمْر

بلَى لهما أمرٌ ولكن تَجَرْجَما[6] ... كما جُرجمتْ من رأس ذى[7] عَلَق الصّخر[8] ١٠

(١) حقب : زاد واشتد ؛ وهو من قولك . حقب البعير : إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب ، وإذا عسر عليه البول أيضا لشدة الحقب على ذلك الموضع .

(٢) يريد : أى أن بكرا من الإبل أنفع لى منكم ، فليته لى بدلا من حياطتكم ، كما قال طرفة فى عمرو بن هند : ١٥

ليت لنا مكان الملك عمرو ... رغوثا حول قبتنا تخور

(٣) الخور : الضعاف .

(٤) كذا فى الأصول . والحبحاب : القصير . ويروى : « جبجاب » بالجيم . وهو الكثير الهدر . كما يروى « خبخاب » بالخاء ، وهو الضعيف .

(٥) الوبر : دويبة على شكل الهرة . يشبهه بها لصغره ، ويحتمل أن يكون أراد أنه يصغر فى العين لعلو المكان وبعده . ٢٠

(٦) تجرجم . سقط وانحدر .

(٧) ذو علق : جبل فى ديار بنى أسد .

(٨) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « صخر » . وعلى الرواية الأولى يكون حذف التنوين من « علق » لالتقاء الساكنين ، كما قرئ : « قل هو الله أحد الله الصمد » . ٢٥ بحذف التنوين من «أحد» . وعلى الرواية الثانية يكون ترك صرف « علق » على أنه اسم بقعة ، وإنما لأنه اسم علم ، وترك صرف الأسم العلم سائغ فى الشعر ، وإن لم يكن مؤنثا ولا أعجميا ، نحو قول عباس بن مرداس :

وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداسَ فى المجمع

أَخُصّ خصوصاً عبدَ شمس ونوفلاً ... هما نَبذانا مثلَ ما يُنبذ الجمر

هما أغمزا[1] للقوم فى أخويْهما ... فقد أصبحا منهم أكفّهما[2] صِفْر[3]

هما أشركا فى المَجْد مَنْ لا أباَ لَه ... من الناس إلا أن يُرَسّ[4] له ذِكْر

وتَيْم ومَخْزوم وزُهرة منهمُ ... وكانوا لنا مولًى إذا بُغى النَّصْر

٥ فوالله لا تنفكّ منّا عداوةٌ ... ولا منهمُ ما كان من نَسْلنا شَفْر[5]

فقد سفُهت أحلامُهم وعقولُهم ... وكانوا كَجَفْر بئس ماصنعت جَفْر

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما

ذكر ما فتنت به قريش المؤمنين وعذبتهم على الإيمان

قال ابن إسحاق :

ثم إن قريشاً تذامروا بينهم على مَنْ فى القبائل منهم مِنْ أصحاب رسول الله

١٠ صلّى الله عليه وسلّم الذين أسلموا معه ، فوثبتْ كلُّ قبيلة على مَنْ فيهم من المسلمين يعذّبونهم وَيَفْتنونهم عن دينهم ، ومَنَع اللهُ رسولَه صلّى الله عليه وسلّم منهم بعمّه أبى طالب ، وقد قام أبوطالب ، حين رأى قريشاً يصنعون مايصنعون ، فى بنى هاشم وبنى المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه ، مِنْ مَنْع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والقيام دونه ؛ فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه ، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ،

١٥ إلا ما كان من أبى لهب عدوّ الله الملعون .

شعر أبى طالب فى مدح قومه لحدبهم عليه

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرّه فى جهدهم معه ، وحَدَبهم عليه ، جعل يمدحهم ويذكر قديمَهم ، ويذكر فضلَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيهم ، ومكانَه منهم ليشدّلهم رأيَهم، وليَحْدَبوا معه على أمره ، فقال :

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وأغمز فلان فى فلان : إذا استضعفه وعابه وصغر شأنه .

٢٠ وفى ا : « أغمرا » .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أكفهم » .

(٣) الصفر : الخالى .

(٤) يرس : يذكر . يقال : رسست الحديث ، إذا حدثت به فى خفاء .

(٥) شفر : أحد .

إذا اجتمعت يومًا قريشٌ لَمفخر فعَبْدُ مناف سِرُّها وصَمِيمُهَا[1]
وإن حُصِّلت أشرافُ عبْدِ مَنافها[2] فَفِي هاشم أشرافُها وقَديمُها
وإن فخرتْ يومًا فإنّ محمدًا هو المصطفَى مَنْ سرّها وكريمُها
تداعت قريشٌ غَثُّها وسَمِينُها علينا فلم تظفَر وطاشت حلومُها[3]
وكُنّا قديمًا لا نُقِرّ ظُلامةً إذا ما ثنَوْا صُعْر الخُدود نُقيمها[4] ٥
ونَحْمى حِماها كلّ يوم كَريهة ونَضْرِب عن أجحارها من يَرُومها[5]
بنا انتعش العُود الذَّواء وإنّما بأكنافنا تندَى وتَنْمى أرُومُها[6]

تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآن

اجتماعه بنفر من قريش ليبيتوا ضد النبي صلى الله عليه وسلم

ثم إن الوليدَ بن المُغيرة اجتمع إليه نفرٌ من قريش، وكان ذا سنّ فيهم، وقد حضَر الموسمَ فقال لهم: يا معشَر قريش، إنه قد حضر هذا الموسمُ، وإن ١٠ وفود العرب ستقدَم عليكم فيه، وقد سَمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذِّب بعضُكم بعضًا، ويردّ قولُكم بعضُه بعضًا؛ قالوا: فأنتَ يا أبا عبد شمس، فقُلْ وأقِم لنا رأيًا نقول[7] به؛ قال: بل أنتم فقولوا

---

(١) سرها، وسطها. وصميمها: خالصها.

(٢) وفى رواية: «أنساب». ١٥

(٣) الغث: فى الأصل، اللحم الضعيف فاستعاره هنا لمن ليس نسبه هنالك. وطاشت: ذهبت.

(٤) ثنوا: عطفوا. وصعر الخدود: المائلة. يقال: صعر خده، إذا أماله إلى جهة، فعل المتكبر. قال الله تعالى: «ولا تصعر خدك للناس».

(٥) كذا فى الأصول. يريد بها حصونها ومعاقلها. وفى رواية: «أجحارها». ٢٠ والأجحار: جمع جحر، والجحر (هنا): مستعار، وإنما يريد: عن بيوتها ومساكنها.

(٦) الذواء: الذى جفت رطوبته. والأروم: جمع أرومة، وهى الأصل.

(٧) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «نقل».

أسمعْ ؛ قالوا : نقول كاهن ؛ قال : لاوالله ماهو بكاهن ، لقد رأينا الكُهّان فما هو بزَمزمة[1] الكاهن ولا سَجْعه ؛ قالوا : فنقول : مجنون ؛ قال : ماهو بمجْنون ، لقد رأينا الجُنون وعرفناه ، فما هو بخَنْقه ولا تخالُجه ولا وَسْوسته ؛ قالوا : فنقول : شاعر ؛ قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كلَّه رجَزه وهَزجه وقَريضَه ومَقْبوضه ومَبْسوطه ، فما هو بالشعر ؛ قالوا : فنقول: ساحر ؛ قال : ماهو بساحر ، لقد رأينا السُّحّار وسِحْرَهم ، فما هو بنَفْثهم ولا عَقْدهم[2] ؛ قالوا : فما نقول ياأبا عبد شمس ؟ قال : والله إنّ لقوله لحلاوةً ، وإن أصله لعذْق[3] وإن فَرْعه لجَناة ـ قال ابن هشام : ويقال لغَدَق[4] ـ وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عُرِف أنه باطل ، وإنّ أقربَ القول فيه لأنْ تقولوا ساحر ، جاء بقولٍ هو سحر يُفرِّق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فتفرّقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بِسُبُل الناس حين قدموا الموسِمَ ، لايمرّ بهم أحدٌ إلا حذّروه إياه ، وذكروا لهم أمرَه .

اتفاق قريش على أن يصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالساحر وما أنزل الله فيهم

فأنزل الله تعالى فى الوليد بن المُغيرة وفى ذلك من قوله : « ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً ومَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً » أى خَصِيما .

قال ابن هشام : عنيد : معاند مخالف . قال رؤبةُ بن العجّاج :

---

(١) الزمزمة : الكلام الخفى الذى لايسمع .

(٢) إشارة إلى ما كان يفعل الساحر بأن يعقد خيطا ثم ينفث فيه . ومنه قوله تعالى : « ومن شر النفاثات فى العقد » . يعنى الساحرات .

(٣) العذق (بالفتح) : النخلة . يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها إذا جنى .

(٤) الغدق : الماء الكثير . ومنه يقال : غيدق الرجل : إذا كثر بصاقه . وكان أحد أجداد النبى صلى الله عليه وسلم يسمى الغيدق ، لكثرة عطائه .

* ونحن ضرّابون رأس[1] العُنَّدِ[2] *

وهذا البيت فى أرجوزة له .

« سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ » .

قال ابن هشام : بسر : كرّه وَجْهه . قال العجّاج :

* مُضبَّر اللَّحْيين بَسْرًا مِنْهَسا[3] *

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت فى أرجوزة له :

« ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هٰذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ » .

ما أنزله الله فى النفر الذين كانوا مع ابن المغيرة

قال ابن إسحاق :

وأنزل الله تعالى :[4] فى النفر الذين كانوا معه يصنّفون القولَ فى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ . الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ . فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

قال ابن هشام : واحدة العضين : عِضة ، يقول : عَضَّوه : فرقوه . قال رؤبة بن العجّاج :

* وليس دينُ الله بالمُعَضَّى *

وهذا البيت فى أرجوزة له .

---

(١) فى ا : « هام » .

(٢) فى استشهاد ابن هشام ببيت رؤبة عقب تفسيره لكلمة « العنيد » ما يشعر بأن « عند » : جمع « لعنيد » . والذى فى اللسان والراغب أن عند : جمع لعاند ، وهى بمعناه .

(٣) المضبر : الشديد الخلق . واللحيان : العظمان اللذان فى الوجه . والمنهس : الذى يأخذ اللحم بمقدم أسنانه ، وقد روى هذا البيت فى اللسان (مادتى ضبر ونهس) هكذا :

* مضبر اللحيين نسرا منهسا *

ونسبه ابن منظور فى مادة (نهس) للعجاج ، قال : « . . . وفى الحديث : أنه أخذ عظما فنهس ما عليه من اللحم ، أى أخذه بفيه . ونسر منهس . قال العجاج » ثم ساق البيت .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أنزل الله تعالى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى و . . . الخ » .

قال ابن إسحاق :

تفرق النفر في قريش يشوهون رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم

فجعل أولئك النفرُ يقولون ذلك فى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لِمَنْ لَقُوا من الناس ، وصدرت العربُ من ذلك الموسم بأمر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلّها .

شعر أبي طالب في استعطاف قريش

٥ فلما خَشِى أبو طالب دَهْماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التى تعوّذ فيها بحُرَم مكة و بمكانه منها ، وتودّد فيها أشرافَ قومه ، وهو على ذلك يُخبرهم وغيرَهم فى ذلك من شعره أنه غير مُسْلِمٍ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ولا تاركه لشىء أبداً حتى يهلِكَ دونه ، فقال :

ولما رأيتُ القومَ لاوُدَّ فيهمُ ... وقد قطعوا كلَّ العُرَى والوَسائلِ

١٠ وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طَاوعُوا أمْرَ العدو المُزايلِ

وقد حالفوا قومًا علينا أَظِنَّةً ... يَعَضُّون غيظًا خَلْفَنا بالأناملِ

صبرتُ لهم نَفْسى بسَمْراء سَمْحةٍ ... وأبيضَ عَضْب من تُراث المقَاوِل(١)

وأحضرتُ عندالبيتِ رَهْطِى وإخوتى ... وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل(٢)

قيامًا معاً مُسْتقبلين رِتاجَــه ... لدى حيثُ يَقْضى حَلْفَه كلُّ نافل(٣)

١٥ وحيث يُنيخ الأشعرون رِكابَهم ... بمُفْضَى السُّيول من إساف ونائل

مُوسَّمة الأعضادِ أو قَصَراتِها ... مُخَيَّسة بين السَّديس وبازل(٤)

---

(١) المقاول : الملوك ، يريد بهم أباءه ؛ ولم يكونوا ملوكا ولا كان فيهم من ملك ، بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل : هل كان فى آبائه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذى ذكره أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب ٢٠ ابن ذى يزن لعبد المطلب هبات جزيلة حين وفد عليه مع قريش يهنئونه بظفره بالحبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين .

(٢) الوصائل : ثياب حمر فيها خطوط ، كان يكسى بها البيت .

(٣) كل نافل : أى كل متبرئ ؛ يقال : انتفل من كذا ، إذا تبرأ منه ، فاستعمل اسم الفاعل من الثلاثى غير المزيد . قال الأعشى :

٢٥ * لاتلفنا من دماء القــوم ننتفل *

(٤) موسمة : معلمة ؛ ويقال لذلك الوسم الذى فى الأعضاد : السطاع والرقة أيضا ، والذى =

ترى الوَدْع فيها والرخام وزينةً بأعناقها معقودةً كالعثاكل[1]
أعوذ بربّ الناس من كلّ طاعنٍ علينا بسُوء أو مُلحٍّ بباطل
ومِنْ كاشحٍ يَسْعَى لنا بمَعيبة ومن مُلحِق فى الدين مالم نُحاول
وثَوْرٍ ومَنْ أرْسَى ثَبيرًا مكانَهُ وراقٍ لَيَرْقَى فى حِراء ونازل[2]
وبالبيت،حقّ البيت، من بطن مكة وبالله إنّ اللهَ ليس بغافل ٥
وبالحَجر المُسْوَدّ إذ يَمْسحونه إذا اكتنفوه بالضُّحى والأصائل[3]
ومَوْطىءِ[4] إبراهيمَ فى الصخر رَطْبة على قدَمَيْه حافياً غيرَ ناعل
وأشْواطِ بين المَرْوتين إلى الصّفا وما فيهما من صُورة وتَماثِل[5]
ومَنْ حجّ بيتَ اللهِ مِنْ كل راكب ومِنْ كلّ ذى نَذْر ومِنْ كل راجل

= فى الفخذ : الحياط ، والذى فى الكشح : الكشاح ؛ ولما فى قصرة العنق : العلاط . ١٠
والقصرات : جمع قصرة ، وهى أصل العنق ، وخفضها بالعطف على الأعضاد . والخيسة :
المذللة . والسديس من الإبل : الذى دخل فى السنة الثامنة . والبازل : الذى خرج نابه ،
وذلك فى السنة التاسعة .

(١) الودع (بالسكون والفتح) : خرزات تنظم ويتحلى بها النساء والصبيان . قال الشاعر :
إن الرواة بلا فهم لما حفظوا مثل الجمال عليها يحمل الودع ١٥
لا الودع ينفعه حمل الجمال له ولا الجمال بحمل الودع تنتفع
والرخام : أى ماقطع من الرخام . والعثاكل : الأغصان التى ينبت عليها الثمر ، واحدها
عثكول . وجمعها : عثاكيل ، وحذفت الياء للضرورة .

(٢) ثور وثبير وحراء . جبال بمكة ؛ ويقال إن ثبيرا سمى كذلك باسم رجل من هذيل
مات فيه فعرف به . ٢٠

(٣) اكتنفوه : أحاطوا به .

(٤) يعنى موضع قدميه ، وذلك فيما يقال : حين غسلت كنته رأسه وهو راكب ، فاعتمد
بقدمه على الصخرة حتى أمال رأسه ليغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهدا حين
استأذنها فى أن يطالع تركته بمكة ، حلف لها أنه لاينزل عن دابته ، ولايزيد على السلام
واستطلاع الحال ، غيرة من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها أثر ٢٥
قدمه آية . (راجع الروض الأنف) .

(٥) الشوط : الجرى إلى الغاية مرة واحدة ؛ وأراد بالأشواط السعى بين الصفا
والمروة . والمروتين : يريد الصفا والمروة ، فغلب . والتماثل : الصور ، وأصلها تماثيل
وواحدها : تمثال ، وأسقط الياء ضرورة .

وبالمَشْعرِ[1] الأقصى إذا عَمدوا له إلال إلى مُفْضَى الشِّراج القَوابِل[2]

وتَوْقافِهم فوق الجبال عشيّةً يُقيمون بالأيدى صدورَ الرّواحل

وليلةِ جَمْع[3] والمنازل من مِنًى وهَلْ فوقها من حُرْمة ومَنازل

وجَمْع إذا ما المُقْرَبات أَجِزْنَه سِراعاً كما يَخْرُجْنَ من وَقْع وابِلِ[4]

٥ وبالجَمْرة الكُبْرى إذا صَمَدُوا لها يؤمُّون قَذْفاً رأسَها بالجَنادل

وكِنْدة إذ هم بالحِصاب عشيَّة تُجيز بهم حُجَّاجَ بَكْرِ بن وائل[5]

حَليفان شَدًّا عَقْدَ ما احتلَفا له وردًّا عليه عاطفات الوَسائل

وحَطْمِهم[6] سُمْرَ[7] الصِّفاح[8] وسَرْحه[9]

وشِبْرِقَه[10] وَخْدَ النَّعام الجَوافل[11]

---

١٠ (١) المشعر الأقصى : عرفة .

(٢) إلال (كسحاب وكتاب) : جبل بعرفات، أو جبل رمل عن يمين الإمام بعرفة . قال النابغة :

* يزرن إلالا سيرهن التدافع *

وسمى كذلك لأن الحجيج إذا رأوه ألواق السير : أى اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف .

١٥ قال الراجز :

مهر أبى الحبحاب لاتشلى بارك فيك الله من ذى أل

أى من فرس ذى سرعة . والشراج : جمع شرج، وهو مسيل الماء . والقوابل : المتقابلة .

(٣) جمع : المزدلفة، معرفة، وسميت المزدلفة بذلك لاجتماع الناس بها .

(٤) المقربات : الخيل التى تقرب مرابطها من البيوت لكرمها، والوابل : المطر الشديد .

٢٠ (٥) الحصاب : موضع رمى الجمار، مأخوذ من الحصباء، وهو مصدر نقل إلى المكان .

(٦) الحطم : الكسر .

(٧) قال أبو ذر . والسمر : «من شجر الطلح، وسكن الميم تخفيفا، كما قالوا فى عضد : عضد (بالإسكان) . ومن ضم السين فإنه نقل حركة الميم إليها، ثم أسكن الميم» . وقال السهيلى : «يجوز أن يكون أراد به السمر، يقال فيه : سمر وسمر (بسكون الميم)، ويجوز

٢٥ نقل ضمة الميم إلى ماقبلها إلى السين، كما قالوا فى حسن : حسن، وكذا وقع فى الأصل بضم السين، غير أن هذا النقل إنما يقع غالبا فيما يراد به المدح أو الذم نحو حسن وقبح، كما قال : وحسن ذا أدبا، أى حسن ذا أدبا . وجائز أن يراد بالسمر هاهنا : جمع أسمر وسمراء، ويكون وصفا للنبات والشجر، كما يوصف بالدهمة إذا كان مخضرا . وفى التنزيل : «مدهامتان» . أى خضراوان إلى السواد» .

٣٠ (٨) كذا فى ا والصفاح : جمع صفح، وهو عرض الجبل، ويقال هو أسفله حيث يسيل ماؤه . وفى سائر الأصول : «الرماح» .

(٩) السرح : شجر عظام؛ وقيل : كل شجر لاشوك له .

(١٠) الشبرق : نبات يقال ليابسه الحلى، ولرطبه الشبرق .

(١١) الوخد : السير السريع . والجوافل : الذاهبة المسرعة .

فهل بعد هـذا من مَعاذٍ لعائذٍ ... وهل مِنْ مُعيذ يتَّقى اللهَ عاذل
يُطاع بنا العُدَّى وودّوا لو أنّنا[1] ... تُسد بنا أبوابُ تُرْكٍ وكابُل[2]
كذبتُم وبيتِ الله نَترك مكّةً ... ونَظْعن إلا أمرُكم فى بَلابل[3]
كذبتم وبيتِ الله نُبْزَى محمداً ... ولمّا نُطاعن دونه ونُناضل[4]
ونُسْلمه حتّى نصرَّع حولَه ... ونَذْهل عن أبنائنا والحَلائل[5] ٥
وَيَنْهض قومٌ فى الحديد[6] إليكمُ ... نهوضَ الرّوايا تحت ذات الصَّلاصل[7]
وحتى ترى ذا الضِّغن يركب رَدْعه ... من الطعن فِعلَ الأنْكَبِ المُتحامل[8]
وإنّا لعمرُ الله إن جدّ ما أرى ... لتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأماثل
بكفَّىْ فتًى مثل الشهاب سَمَيْدع ... أخِى ثقةٍ حامى الحقيقة باسل[9]
شُهوراً وأيامًا وحَوْلاً مُجرَّما[10] ... علينا وتأتى حِجَّةٌ بعدَ قابل ١٠

---

(١) كذا ورد هذا الشطر فى ا . والعدى : جمع عاد ، من عدا عليه يعدو . كما قالوا : غاز وغزى ، وعاف وعفى . وفى سائر الأصول :

* يطاع بنا أمر العـــدا ود أننا *

(٢) ترك وكابل : جيلان . (راجع شرح السيرة لأبى ذر) .

(٣) كذا فى الأصول . والبلابل : وساوس الهموم ، واحدها بلبال . ويروى : « فى تلاتل » . أى فى حركة واضطراب . ١٥

(٤) نبزى محمدا : أى نسلبه ونغلب عليه . ورواية اللسان والنهاية : «يبزى محمد» أى يقهر ويغلب، أراد «لايبزى» فحذف «لا» من جواب القسم وهى مرادة . ونناضل: نرامى بالسهام.

(٥) الحلائل : الزوجات ، واحدتها : حليلة .

(٦) فى ا : « فى الحديد » . ٢٠

(٧) الروايا : الإبل التى تحمل الماء والأسقية ؛ واحدتها : راوية . وأصل هذا الجمع : رواوى ، ثم يصير فى القياس روائى ، مثل حوائل جمع حائل ، ولـكنهم قلبوا الـكسرة فتحة بعد ماقدموا الياء قبلها ، وصار وزنه فوالع . وإنما قلبوه كراهية اجتماع واوين : واو فواعل والواو التى هى عين الفعل . ووجه آخر : وهو أن الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة فى الجمع لوقوع الألف بين واوين ، فلما انقلبت همزة قلبوها ياء كما فعلوا فى خطايا وبابه ، مما الهمزة فيه معترضة فى الجمع . والصلاصل : المزادات لها صلصلة بالماء . ٢٥

(٨) الضغن : العداوة . وركب ردعه : إذا خر صريعا لوجهه . والأنكب : المائل إلى جهة ، والذى مشى على شق .

(٩) السميدع : السيد . والباسل : الشجاع .

(١٠) حولا مجرما : حولا كاملا ؛ يقال : تجرم العام ، والشتاء ، والصيف : تصرم . وجرّمناه : قطعناه ، وأتممناه ، وعام مجرم ، وفى الأصول : « محرما » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . ٣٠

وما تركُ قومٍ، لا أبالك، سيِّداً يَحُوط الذمار غير ذَرْب مُوا كِل[1]
وأبيض يُسْتسقى الغمام بوَجْهه ثِمَال اليتامى عِصْمةٌ للأرامل[2]
يلوذُ به الهلَّاك من آل هاشم فهمْ عنده فى رَحْمة وفَواضِل
لعَمْرى لقد أَجْرى أَسيدٌ وبكْرُه إلى بُغْضنا وَجزَّ آنا لآ كل[3]
٥ وعثمانُ لم يَرْبَع علينا وقُنفذٌ[4] ولكن أطاعَا أمْرَ تلك القبائل
أطاعا أُبيًّا وابنَ عَبْد يَغوثهم ولم يرقُبا فينا مقالةَ قائل
كما قد لَقِينا من سُبَيع ونَوْفَل وكُلٌّ تولّى مُعْرِضاً لم يُجامل
فإن يُلْقيا[5] أو يُمْكِنِ اللهُ منهما نَكِلْ لهما صاعًا بِصَاعِ المُكايل
وذاك أبو عَمْرو أَبَى غيرَ بُغْضنا ليُظْعِننا فى أَهْل شاء وجامل[6]
١٠ يُناجِي بنا فى كلّ مُمْسًى ومُصْبَح فناجِ أبا عَمْرٍو بنا ثم خاتِل[7]
ويُؤْلِى[8] لنا بالله ما إنْ يَغُشُّنا بلَى قَد نراه جَهْرةً غيرَ حائل
أضاق عليه بُغْضُنا كلَّ تَلْعة من الأرض بين أخْشَب فمَجادل[9]
وسائلْ أبا الوليــد ما ذا حَبَوْتنا بسَعْيك فينا مُعْرِضاً كالمُخاتِل

---

(١) الذمار: ما يلزمك حمايته. والذرب (مخففا): الفاحش المنطق. والمواكل: الذى
١٥ لاجد عنده، فهو يكل أموره إلى غيره.
(٢) ثمال اليتامى: الذى يشملهم ويقوم بهم؛ يقال: هو ثمال مال: أى يقوم به.
(٣) سيعرض ابن إسحاق للكلام على الأعلام التى وردت فى هذه القصيدة بعد الفراغ منها.
(٤) لم يربع: لم يقم ولم يعطف.
(٥) كذا فى ا. ويريد بالإلقاء: التسليم والخضوع. وفى سائر الأصول: «يلقيا» بالقاف.
٢٠ (٦) كذا فى ا. والشاء: اسم للجمع. والجامل: اسم لجماعة الجمال، ومثله الباقر، اسم لجماعة البقر. وفى سائر الأصول: «ليطعنا ... الخ».
(٧) الختل: الخداع والمكر.
(٨) يؤلى: يقسم ويحلف.
(٩) التلعة: المشرف من الأرض. وأخشب (بضم) الشين: جمع الأخشبين، وهى
٢٥ جبلان بمكة، جمعهما مع ما اتصل بهما على غير قياس، إذ القياس: أخاشب، ويروى، بفتح الشين على الإفراد، ويراد به التثنية لشهرة الأخشبين. والمجادل: القصور والحصون فى رؤوس الجبال. كأنه يريد ماين جبال مكة فقصور الشام والعراق.

وكنتَ أمرأً ممن يُعاش برأْيه ورَحْمته فينا ولستَ بجاهل

فعُتْبة لا تَسْمع بنا قولَ كاشِح[1] حَسُود كَذُوب مُبْغض ذى دَغاوِل[2]

ومرَّ أبو سُفْيان عَنِّىَ مُعْرِضاً كما مرّ قَيْلٌ[3] من عِظام المَقاول

يَفِرُّ إلى نَجْدٍ وبَرْدِ مياهه ويزعُم أنى لستُ عنكم بغافل

ويُخْبرنا فعلَ المُناصِح أنه شَفيقٌ ويُخْفى عارمات[4] الدَّواخل[5] ٥

أمُطْعِمُ لم أَخْذُلْك فى يوم نَجْدةٍ ولا مُعْظِمٍ عند الأمور الجلائل

ولا يوم خَصْمٍ[6] إذا أتَوْكَ ألِدّة[7] أولى جَدَل من الخُصوم المَساجِل[8]

أمُطْعم إنّ القومَ ساموكَ خُطَّة وإنى متى أُوكَلْ فلستُ بوائل[9]

جَزَى اللهُ عنّا عبدَ شمس ونَوْفلاً عُقوبةَ شرٍّ عاجلاً غيرَ آجل

بميزان قِسْط لا يُخِسّ[10] شَعيرةً له شاهدٌ من نفسه غيرُ عائل[11] ١٠

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « كاسح » بالسين ، وهو تصحيف .

(٢) الدغاول : الأمور الفاسدة ؛ وقيل : الدغاول : الغوائل .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قبل » . بالموحدة ، وهو تصحيف .

(٤) كذا فى الأصول . والعارمات : الشديدات . ويروى : « عازمات » بالزاى . أى التى عزم على إنفاذها . ١٥

(٥) كذا فى الأصول . والدواخل : النمائم والإفساد بهن بين الناس . ويروى : « الذواحل » . والذواحل : العداوات ، مأخوذ من الذحل . وهو الثأر .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « خسم » وهو تحريف .

(٧) فى ا : « أشدة » .

(٨) كذا فى الأصول . والمساجل : الذين يعارضونه فى الخصومة ويغالبونه ، وأصله من المساجلة ، وهو أن يأتى الرجل بمثل ما أتى به صاحبه . ويروى : « بالمساحل » بالحاء المهملة . والمساحل : الخطباء البلغاء ، واحدهم : مسحل . ٢٠

(٩) ساموك خطة : كلفوك . ولست بوائل : لست بناج . يقال : ماوأل من كذا : أى مانجا . وفى الخبر : فلا وألت نفس الجبان : أى لانجت .

(١٠) كذا فى ا . وأخس : أنقص . وفى سائر الأصول : « لايخيس » وهو من قولهم : خاس بالعهد ، إذا نقضه وأفسده . ويروى : « يحص » بالصاد . من حص الشعر : إذا أذهبه . ٢٥

(١١) العائل : الجائر .

لقد سَفُهت أحلامُ قوم تبدّلوا | بنى خَلَفٍ قَيْضًا بنا والغَياطِلِ[1]
ونحنُ الصميمُ من ذُؤابة هاشمٍ | وآل قُصىٍّ فى الخُطوب الأوائل
وسَهْمٌ ومَخزوم تَمالَوْا وأَلَّبُوا | علينا العِدَا من كل طِمْلٍ وخامِلِ[2]
فعبد مناف أنتمُ خيرُ قَوْمكم | فلا تُشْركوا فى أمْرِكم كلَّ واغلِ[3]
٥ لعمرى لقد وَهَنتمُ وعَجَزْتمُ | وجئتم بأمرٍ مُخطئٍ للمَفاصِلِ[4]
وكنتم حديثاً حَطْبَ قِدْرٍ وأنتمُ | ألآنَ حِطابُ أقدُرٍ ومَراجِلِ[5]
ليَهْنئْ بنى عبد مناف عُقُوقُنا | وخذلانُنا وترْكُنا فى المَعاقِلِ
فإنْ نك قومًا نَتَّئِر ما صنعتمُ[6] | وتَحْتلبوها لِقْحة غيرَ باهِلِ[7]
وسائط كانت فى لؤىّ بن غالب | نفَاهم إلينا كلُّ صَقْرٍ حُلاحِلِ[8]
١٠ ورهطُ نُفَيل شَرُّ مَنْ وَطِئَ الحَصَى | وألأم حافٍ من مَعدٍّ وناعِلِ
فأبلغ قُصيًّا أن سيُنشر أمرُنا | وبَشِّر قصيًّا بعدَنا بالتخاذل
ولو طرقت ليلاً قصيًّا عظيمةٌ | إذاً ما لجأنا دونهم فى المَداخل

(١) قيضا : عوضا . والغياطل : بنو سهم ، قيل سموا كذلك لأن رجلا منهم قتل جانا طاف بالبيت سبعا ، ثم خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكة حتى فزعوا من شدة الظلمة التى
١٥ أصابتهم . والغيطلة : الظلمة الشديدة .
(٢) ألبوا : اجتمعوا . والطمل : الرجل الفاحش ، والفقير أيضا .
(٣) الواغل : الداخل على القوم وهم يشربون ولم يدع .
(٤) مخطئ للمفاصل : أى بعيد عن الجادة والصواب .
(٥) حطب : اسم للجمع ، مثل ركب ، وليس بجمع لأنك تقول فى تصغيره : حطيب .
٢٠ وحطاب : جمع حاطب . والمراجل : القدور ، واحدها : مرجل . وقيل : هى القدور من النحاس خاصة ، ومعنى البيت : كنتم متفقين لاتحطبون إلا لقدور واحدة ، فأنتم الآن بخلاف ذلك .
(٦) كذا فى الأصول . ونتئر : نأخذ بثأرنا منكم . ويروى : « نبتئر » أى ندخره حتى ننتصف منكم ؛ يقال : ابتأرت الشىء : إذا خبأته وادخرته .
٢٥ (٧) اللقحة : الناقة ذات اللبن . والباهل : الناقة التى لاصرار على أخلافها ، فهى مباحة الحلب .
(٨) الحلاحل : السيد فى عشيرته ، الشجاع الركين فى مجلسه ، وهذا البيت والذى بعده ساقطان من ا .

ولو صَدَقوا ضَرْبًا خلال بُيوتِهم — لـكنَّا أسًى عند النساء المَطافل[1]
فـكلُّ صديقٍ وابنِ أختٍ نعُدّه — لعمرى وَجَـدنا غِبَّه غـيرَ طائل
سوى أنّ رهطاً من كِلاب بن مرّة — براءٌ[2] إلينا من معقّة خاذِل
وَهَنّا لهم حـــتى تبدّد جمعُهم — ويَحْسُرَ عنّا كلُّ باغٍ وجاهل[3]
وكان لنا حوضُ السقاية فِيهمُ — ونحنُ الـكُدى من غالب والـكَواهل[4]   ٥
شباب من المطيّبين وهاشِم — كبيض السيوف بين أيدى الصَّياقل
فما أدركوا ذَحْلا ولاسفـكوا دمًا — ولا حالفوا إلاَّ شِرار القَبائل
بضربٍ ترى الفِتيان فيه كأنهم — ضَوَارى أُسود فوق لحم خَرادِل[5]
بنى أَمَةٍ محبوبةٍ هِنْدِكيّة[6] — بنى جُمح عُبَيد قيس بن عاقل
ولـكنّنا نسلٌ كرامٌ لسادةٍ — بهم نُعِىَ الأقوام عند البواطل   ١٠
ونعم ابنُ أختِ القوم غيرَ مكذّب — زهيرٌ حُسامًا مفرداً مِن حَمائل
أشمَّ من الشمّ البَهاليل يَنتمى — إلى حسبٍ فى حَوْمة المَجْد فاضل
لعمرى لقد كُلِّفتُ وجدًا بأحمد — وإخوته دَأْبَ المُحِبِّ المُواصل

(١) الأسى : جمع أسوة ، أى لاقتدى بعضنا ببعض فى الدفع عنهم . والمطافل : ذوات الأطفال .

(٢) قال السهيلى : « يقال قوم براء ، (بالفتح وبالـكسر) . فأما براء (بالـكسر) فجمع برىء ، مثل كريم وكرام . وأما براء (بالفتح) فمصدر مثل سلام . والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل ؟ يقال : رجل براء ورجلان براء . وإذا كسرتها أو ضممتها لم يجز فى الجمع . وأما براء (بضم الباء) فالأصل فيه برآء مثل كرماء ، فاستثقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الأولى ، وكان وزنه فعلاء ، فلما حذفوا التى هى لام الفعل صار وزنه فُعاء وانصرف لأنه أشبه فعالا . والنسب إليه ، إذا سميت به براوى . والنسب إلى الآخرين : برائى وبرائى . وزعم بعضهم إلى أن براء (بضم أوله) من الجمع الذى جاء على فعال .   ١٥ ٢٠

(٣) هذا البيت والأبيات الستة التى بعده غير موجودة فى ا .

(٤) الـكدى : جمع كدية ، وهى الصفاة العظيمة الشديدة . يشبههم بها فى المنعة والعزة ، والـكواهل : جمع كاهل ، وهو سند القوم وعمدتهم .   ٢٥

(٥) الخرادل : القطع العظيمة .

(٦) هندكى (بكسر الهاء والدال) : من أهل الهند ، وليس من لفظه ، لأن الـكاف ليست من حروف الزيادة .

فلا[1] زال فى الدنيا جمالاً لأهلها | وزيناً لمن والاه ربُّ المشاكل[2]
فَمَنْ مِثْلُه فى الناس أىّ مُؤَمَّل | إذا قاسه الحُكّام عند التفاضل
حليمٌ رشيد عادل غيرُ طائش | يُوالى إلاهاً ليس عنــــه بغافل
فوالله لولا أنْ أجىء بسُنّة[3] | تُجَرّ على أشياخنا فى المَحافل
لـكنّا أتبعناه على كل حالة | من ألدّهْر جدًّا غير قول التهازل
لقد علموا أنّ أبنَنا لا مُكَذَّبٌ | لدينا ولا يُعنَى بقَوْل الأباطل
فأصبح فينا أحمــــدٌ فى أرومة. | تُقصِّر عنه سَــوْرَةُ المُتطاول[4]
حَدِبْتُ بنفسى دونه وحَمَيْتُه | ودافعتُ عنه بالذُّرا والـكَلاكِل[5]
فأيّدَه ربُّ العباد بنَصْره | وأظهر ديناً حقُّه غَــــيرُ باطل[6]
رجالٌ كِرامٌ غــيرُ مِيلٍ نَماهُم | إلى الخير آباءٌ كِرام المَحاصل[7]
فإن تكُ كعبٌ من لؤىٍّ صُقَيْبَةً[8] | فلا بدّ يومًا مَرّةً مِنْ تَزايُل

قال ابن هشام : هذا ما صحّ لى من هذه القصيدة ، و بعضُ أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

---

(1) هذا البيت ساقط فى ا .

(2) كذا فى الأصل : ولعله يريد بها العظيمات من الأمور . وإن صح أن هذا اللفظ من هذا البيت فما أقربه به إلى أنه مصنوع ، ويلاحظ أن الأبيات التى استبعدتها « ا » ولم تثبتها ، على أكثرها ، إن لم يكن كلها ، مسحة الضعف والانحطاط عن مستوى القصيدة ، حتى ليكاد يبلغ الظن بها إلى أنها دخيلة ، ويرجح ذلك عدم تعرض السهيلى وأبى ذر لها بشىء مما يدل على أنهما لم يقعا على شىء منها .

(3) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بسبة » .

(4) السورة (بضم السين) : المنزلة . والسورة (بفتح السين) : الشدة والبطش .

(5) حدبت : عطفت ومنعت . والذرا : جمع ذروة ، وهى أعلى ظهر البعير . والكلاكل : جمع كلكل ، وهو عظم الصدر .

(6) هذا البيت والبيتان اللذان بعده ساقطة فى ا .

(7) ميل : جمع أميل ، وهو الجبان والذى لا يحسن الركوب ؛ أو الذى لا يميل عن الحق .

(8) الصقب (بوزان فرح) . القريب .

دعا صلى الله عليه وسلم للناس حين أقحطوا فنزل المطر وودلو أن أبا طالب حي فرأى ذلك

قال ابن هشام : وحدّثني مَنْ أثق به قال :

أقحط أهلُ المدينة فأتَوْا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فشَكَوْا ذلك إليه ، فصَعِد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المنبرَ فاستسقى ، فما لبث أنْ جاء من المطر ما أتاه أهلُ الضواحي[1] يَشْكُون منه الغَرقَ ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: اللّهم حَوَالَيْنا ولا علينا[2] ، فانجاب السحابُ عن المدينة فصار حوالَيْها كالإِكليل ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لو أدرك أبو طالب هذا اليومَ لسرّه ! فقال له بعضُ أصحابه : كأنك يا رسولَ الله أردت قولَه :

وأبيض يُسْتسقى الغمامُ بوَجْهه ... ثِمال اليَتامى عِصْمة للأَرامِلِ

قال : أجل[3] .

قال ابن هشام : وقوله « وشبرقه » عن غير ابن إسحاق .

(١) الضواحى : جمع ضاحية ، وهى الأرض البراز التى ليس فيها ما يكن من المطر ولا منجاة من السيول . وقيل : ضاحية كل بلد : خارجه .

(٢) هو من حسن الأدب فى الدعاء ؛ لأنها رحمة الله ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته وكشف رحمته .

(٣) قال السهيلى : « فإن قيل كيف قال أبو طالب :

* وأبيض يستسقى الغمام بوجهه *

ولم يره قط استسقى ، وإنما كانت استسقاآته عليه السلام بالمدينة فى سفر وحضر ، وفيها شوهد ما كان من سرعة إجابة الله له ؟ فالجواب : أن أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضاً فى حياة عبد المطلب مادله على ماقال . روى أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستى النيسابورى أن رقيقة بنت أبى صيفى بن هاشم قالت : تتابعت على قريش سنو جدب قد أقحلت الظلف وأرقت العظم ، فبينا أنا راقدة للهم أو مهدمة ومعى صنوى . إذا أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يقول : يا معشر قريش ، إن هذا النبى المبعوث منكم ، هذا إبان نجومه ، فحيهلا بالحيا والخصب ، ألا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاما أبيض أشم العرنين له فخر يكظم عليه ، ألا فليخلص هو وولده وليدلف إليه من كل بطن رجل فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعا إلا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ، ألا فليدع الرجل وليؤمن القوم ، إلا فغثتم أبدا ماعشتم . قالت : فأصبحت مذعورة قد قف جلدى ، ووله عقلى ، فاقتصصت رؤياى ، فوالحرمة والحرم ، إن بقى أبطحى إلا قال هذا شيبة الحمد ، وتتامت عنده قريش وانقض إليه الناس من كل بطن رجل فشنوا ومسوا واستلموا وطوفوا ، ثم ارتقوا أباقبيس وطفق القوم يدفون حوله ما إن يدرك سعيهم مهلة حتى قروا بذروة الجبل ، واستكفوا جنابيه . فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه ، وهو يومئذ غلام قد أيفع ، أو قد كرب ثم قال : اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ، ومسئول غير مبخل ، وهذه عبداؤك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك سنتهم فاسمعن اللهم وأمطرن علينا غيثا مريعا مغدقا . فما راموا والبيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى بثجيجه » .

الأسماء التى وردت فى قصيدة أبى طالب

قال ابن إسحاق :

والغياطل : من بنى سهم بن عمرو بنُ هُصَيص ، وأبو سفيان ابنُ حرب ابن أُمَيَّة . ومُطعم ابنُ عدىّ بن نَوْفل بن عبد مناف . وزُهير ابنُ أبى أُمَيَّة ابن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب .

٥ قال ابن إسحاق :

وأسيد ،و بِكْرُهُ:عتّابُ بن أَسيد بنأبىالعيص بن أُمية بنعَبْدشمس بنعَبْد مناف بن قصىّ . وعثمان ابنُ عُبيد الله ، أخو طلحة بن عُبيد الله التَّيمى . وقُنْفذ ابنُ عُمير بن جُدْعان بن عَمْرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة . وأبو الوليد عُتْبةُ بنُ ربيعة . وأبىّ الأخنس ابنُ شريق الثَّقفى ، حليف بنى زهرة بن كلاب.

١٠ قال ابن هشام : وإنما سمى الأخنس . لأنه خَنس بالقوم يوم بدْر ، وإنما اسْمُه أُبَىّ ، وهو من بنى عِلاج ، وهو عِلاج بن أبى سَلمة بن عوْف ابن عُقْبة . والأسود ابنُ عَبْد يغوث بن وَهْب بن عبد مناف بنزُهرة بن كلاب. وسُبَيع ابنُ خالد ، أخو بَلْحارث بن فِهْر . ونوفل ابنُ خُوَيلد بن أسد بن عبد العزّى بن قُصَىّ ، وهو ابنُ العَدَويَّة . وكان من شياطين قُرَيش ، وهو الذى ١٥ قَرَن بين أبى بكر الصديق وطَلْحة بنِ عُبَيد الله رضى الله عنهما فى حَبْل حين أَسْلما ، فبذلك كانا يُسمّيان القَرينين ؛ قتله علىُّ بنُ أبى طالب عليه السلام يوم بَدْر . وأبوعمرو قُرظَة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . «وقوم علينا أظنّة» : بنو بكر بن عبد مناة بن كِنانة ، فهؤلاء الذين عدّد أبو طالب فى شعره من العرب .

انتشار ذكر الرسول فى القبائل ولا سيما فى الأوس والخزرج

٢٠ فلما أُنتشر أمرُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فى العرب وبَلَغ البلدانَ ، ذُكر بالمدينة ، ولم يكن حىٌّ من العرب أعلمَ بأَمْر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حين ذُكر وقبلَ أن يُذكر من هذا الحىّ من الأوس والخزرج ، وذلك لِما

كانوا يسمعون من أحبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ومعهم فى بلادهم . فلما وقع ذِكْره بالمدينة وتحدّثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف . قال أبو قَيْس ابن الأَسْلت[1] . أخو بَنى واقف .

نسب أبى قيس بن الأسلت

قال ابن هشام : نَسَب ابنُ إسحاق أبا قَيْس هذا هاهنا إلى بنى واقف ، ونسبه فى حديث الفِيل إلى خَطْمة ، لأن العرب قد تنسب الرجلَ إلى أخى جدّه الذى هو أشهر منه . ٥

قال ابن هشام : حدّثنى أبو عُبيدة :

أنّ الحَكم بن عَمْرو الغِفارى من ولد نُعَيلة أخى غِفار . وهو غِفار بن مُلَيل، ونُعيلة ابنُ مُليل بن ضَمْرة بن بَكْر بن عبد مناة ، وقد قالوا عُتْبة ابنُ غزوان السُّلمى ، وهو من ولد مازن بن منصور ، وسُليم ابنُ منصور. ١٠

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بنى وائل ، ووائل وواقف وخطمة إخوة من الأوس .

شعر ابن الأسلت فى الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

فقال أبو قَيْس بن الأسلت ــ وكان يحبّ قريشاً ، وكان لهم صهراً ، كانت عنده أَرْنب بنت أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصىّ ، وكان يُقيم عندهم السنينَ بامرأته ــ قصيدةً يعظّم فيها الحُرمة ، وينهى قريشاً فيها عن الحَرب ، ويأمرهم بالكفّ بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلَهم وأحلامَهم ، ويأمرهم بالكفّ عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويذكّرهم بلاءَ الله عندهم ، ودَفْعَه عنهم الفِيل وكيدَه عنهم ، فقال : ١٥

يا راكباً إمّا عرضَت فبَلِّغن مُغَلغلةً عنّى لؤىّ بنَ غالبِ[2] ٢٠

---

(١) واسم الأسلت : عامر .

(٢) المغلغلة الرسالة . وقال السهيلى : «المغلغلة : الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها» .

وسول امرئ قد راعه ذاتُ بَيْنِكم على النأْيِ مَحْزونٍ بذلك ناصبِ (١)
وقد كان عندى للهمُوم مُعرّسٌ فلم أقضِ منها حاجتى ومآربى (٢)
نُبِّئتُكم شَرْجَيْن كلٌّ قبيلةٍ لهـا أزْمَلٌ مِنْ بين مُذْكٍ وحاطب (٣)
أُعيذكمُ باللهِ مِنْ شرِّ صُنْعكم وَشَرِّ تَباغيكم ودسِّ العقارب
٥ وإظهارِ أخلاقٍ ونَجْوَى سَقيمةٍ كَوَخْزِ الأشافى وَقْعُها حقٌّ صائب (٤)
فذَكِّرْهُمُ باللهِ أوَّلَ وَهْـــلةٍ وإحلال أحْرام الظّباء الشوازب (٥)
وقُلْ لهمُ واللهُ يحكم حُكْمه ذَرُوا الحربَ تذهب عنكمُ فى المَراحب (٦)
متى تَبْعثوها تبعثوها ذَميمةً هى الغُول للأَقْصَيْن أو للأقارب (٧)
تُقطِّع أرحامًا وتُهلكُ أُمَّةً وتَبْرى السَّديف من سَنام وغارب (٨)
١٠ وتَسْتبدلوا بالأَتْحميَّة بعدها شَليلاً وأصــداءً ثيابَ المُحارب (٩)
وبالمِسْك والكافور غُبْرًا سَوابغاً كأنّ قَتيرَيْها عيونُ الجَنادب (١٠)

---

(١) الناصب : المعى التعب .
(٢) المعرس : المكان ينزل فيه المسافرون فى آخر الليل ، يقعون فيه وقعة للاستراحة ثم يرتحلون .
١٥ (٣) شرجين : نوعين . والأزمل : الصوت المختلط . والمذكى : الذى يوقد النار . والحاطب : الذى يحطب لها . ضرب هذا مثلا لنار الحرب . كما قال الآخر :
أرى خلل الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعـودين تذكى وإن الحـرب أولها كلام
(٤) الأشافى : جمع إشفى ، وهى التى يخرز بها .
٢٠ (٥) أحرام الظباء : هى التى يحرم صيدها فى الحرم . يقال لمن دخل فى الشهر الحرام . أو فى البلد الحرام محرم. والشوازب : الضامرة البطون. أى أن بلدكم بلد حرام تأمن فيه الظباء الشوازب التى تأتيه من بعد لتأمن فيه ، فهى شازبة ضامرة من بعد المسافة ، وإذا لم تحلوا بالظباء فيه فأحرى ألا تحلوا بدمائكم .
(٦) المراحب : المواضع المتسعة .
٢٥ (٧) الغول : الهلاك .
(٨) تبرى : تقطع . والسديف : لحم الظهر . والغارب : أعلى الظهر .
(٩) الأتحمية : ثياب رقاق تصنع باليمن . والشليل : درع قصيرة . والأصداء : جمع صدأ الحديد .
(١٠) القتير : حلق الدرع ، شبهها بعيون الجراد . وأخذ هذا المعنى التنوخى فقال :
٣٠ كأثواب الأراقـم مزقتها فخاطتها بأعينها الجـراد

فإيّاكمُ والحربَ لا تَعْلَقَنَّكم وحَوْضاً وَخِيم الماء مُرَّ المَشارب

تَزَيَّن للأقوام ثم يَرَوْنها بعاقبةٍ إذ بَيَّنت ، أمَّ صاحب[1]

تحرّق لا تُشْوِى ضعيفاً وتَنْتَحى ذوى العزّ منكم بالحُتوف الصَّوائب[2]

ألم تعلموا ما كان فى حرب دَاحسٍ فتَعْتبروا أو كان فى حَرْب حاطِب[3]

وكم قد أصابتْ من شَريف مُسوَّد طويلِ العِماد ضيفُه غيرُ خائب ٥

عظيمٍ رمَاد النَّار يُحْمَد أمرُه وذى شيمةٍ مَحْضٍ كريم المَضارب[4]

وماء هُرِيق فى الضَّلال[5] كأنما أذاعت به ريحُ الصَّبا والجَنائب[6]

يخبِّركمُ عنها امرؤٌ حقّ عالمٍ بأيامها والعِلْمُ عِلْمُ التجارب

فبيعُوا الحِرابَ مِلْمُحارب واذكُروا حِسابَكم واللهُ خيرُ مُحاسِب

وَلِيّ امرىءٍ فاختار ديناً فلا يكُنْ عليكم رقيباً غيرَ رَبّ الثواقب[7] ١٠

أقيموا لنا ديناً حَنيفاً فأنتمُ لنا غايةٌ قد يُهتدى بالذَّوائب[8]

وأنتم لهذا الناسِ نورٌ وعِصْمةٌ تُؤَمُّون ، والأحلام غَيْرُ عَوازب[9]

وأنتم ، إذا ماحُصِّل الناسُ، جَوْهرٌ لكم سُرَّة البَطْحاء شُمُّ الأرانب[10]

---

(١) بينت : اتضحت . وأم صاحب : أى عجوزا كأم صاحب لك ؛ إذ لا يصحب الرجلَ إلا رجل فى سنه . ١٥

(٢) لاتشوى : لاتخطىء . وتنتحى : تقصد .

(٣) سيعرض ابن إسحاق للكلام على داحس وحاطب بعد الانتهاء من القصيدة .

(٤) كذا فى الأصول . يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة ولا راجعة عليه إلا بالثناء ، والحمد والوصف بالمكارم . ويروى : « الضرائب » . والضرائب : الطباع .

(٥) كذا فى الأصول . ويروى : « فى الصلال » . والصلال : جمع صلة ، وهى الأرض ٢٠ التى لاتمسك الماء .

(٦) أذاعت به : بددته . والجنائب : جمع جنوب . يريد ريح الشمال وريح الجنوب .

(٧) الثواقب : النجوم .

(٨) الذوائب : الأعالى .

(٩) الأحلام : العقول . وعوازب : بعيدة . ٢٥

(١٠) سرة الشىء : خيره وأعلاه . وشم : مرتفعة . والأرانب : جمع أرنبة ، وهى التى فيها ثقب الأنف .

تَصونون أجساداً كِرامًا عَتيقةً مُهذَّبةَ الأنساب غيْرَ أشائبِ[1]
ترى طالبَ الحاجات نحو بُيوتكم عصائبَ هَلْكَى تَهْتَدِى بعَصائب
لقد علم الأقوامُ أنّ سَراتكم على كلّ حال خيرُ أهل الجَباجِب[2]
وأفضله رأيًا وأعلاه سنّة وأقوله للحقّ وَسْط المَواكب
٥ فقُومُوا فصلُّوا ربكم وتَمسّحوا بأركان هذا البيتِ بين الأَخاشب[3]
فعِنْدَكُمُ منه بلاءٌ ومصدَق غَداةَ أبى يَكْسوم هادِى الكَتائب
كتيبتُه بالسَّهل تُمسِى ورَجْلُه على القاذفات فى رُءوس المَناقب[4]
فلما أتاكم نَصْرُ ذى العَرْش ردَّهم جنودُ المليك بين سافٍ وحاصِبِ[5]
فولَّوْا سِراعًا هاربِينَ ولم يَؤُبْ إلى أهله مِلْحبْش[6] غيرُ عَصائب
١٠ فإن تَهْلِكوا نَهْلِكْ وتَهْلِكْ مَواسمٌ يُعاش بها، قولُ امرىء غيرِ كاذب

قال ابن هشام: أنشدنى بيتَه: «وماء هريق»، وبيتَه: «فبيعوا الحراب»، وقولَه: «ولى أمرىء فاختار»، وقوله:

* على القاذفات فى رءوس المناقب *

أبو زيد الأنصاريّ وغيرُه.

حرب داحس

١٥ قال ابن هشام: وأما قوله:

* ألم تعلموا ما كان فى حَرْب داحس *

---

(1) غير أشائب: غير مختلطة، يعنى أنها خالصة النسب.

(2) الجباجب: المنازل. واحدها جبجبة.

(3) صلوا: ادعوا. والأخاشب: أراد الأخشبين، وهما جبلا مكة، فجمعهما مع ما حولهما.

٢٠ (4) القاذفات: أعالى الجبال. والمناقب: الطرق فى أعالى الجبال، واحدها: منقبة.

(5) السافى: الذى أصابه الغبار. والحاصب الذى أصابته الحصباء؛ وهو على معنى النسب، كما قالوا: تامر ولابن. وقد يكون السافى: الذى يثير الغبار؛ والحاصب: الذى يثير الحصباء، أى يقتلعها.

(6) فى ا: «ملجيش».

فحدثنى أبو عُبيدة النحوى :

أن داحساً فَرَس كان لقَيْس بن زُهير بن جَذِيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن الحارث بن مازن بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ؛ أجراه مع فرس لحُذَيفة بن بَدْر بن عَمْرو بن زيد[1] بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثعلبة بن عدىّ بن فَزارة بن ذُبيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان ، يقال لها : الغَبْراء . فدسّ حُذيفة قومًا وأمرهم أن يضربوا وَجْه داحس إن رأوه قد جاء سابقاً ، فجاء داحس سابقاً فضربوا وجهَه ، وجاءت الغبراء . فلما جاء فارسُ داحس أخبر قيساً الخبرَ ، فوثب أخوه مالكُ بن زُهَير فلطم وجهَ الغبراء ، فقام حَمَلُ بنُ بدر فلطم مالكاً . ثم إنّ أبا الجُنَيْدب العَبْسى لقى عوفَ بن حُذيفة فقتله ، ثم لقى رَجلٌ من بَنى فَزارة مالكاً فقتله ، فقال حَمَلُ بن بَدْر أخو حُذيفة بن بَدْر :

قتلنا بعَوْفٍ مالكاً وهو ثأرُنا ... فإن تطلبوا منّا سوى الحقّ تَندَمُوا

وهذا البيت فى أبيات له . وقال الربيع بن زياد العَبْسى :

أفبعدَ مقْتل مالكِ بنِ زُهَير ... ترجو النساء عواقبَ الأطهار[2]

وهذا البيت فى قصيدة له .

فوقعت الحرب بين عَبْس وفَزارة ، فقُتِلَ حُذيفة بن بدر وأخوه حَمَل بن بدر ، فقال قيس بن زُهَير بن جَذِيمة يرثى حُذيفة ، وجَزِع عليه :

كم فارسٍ يُدعى وليس بفارسٍ ... وعلى الهَباءة فارسٌ ذو مَصْدقِ[3]

فابكوا حُذيفة لن تُرَثّوا مثلَه[4] ... حتى تَبيد قبائلٌ لم تُخْلَقِ

وهذان البيتان فى أبيات له . وقال قيس [بن][5] زهير :

---

(١) فى ا : « . . . بن عمرو بن جؤية . . . الخ » .

(٢) الأطهار : جمع طهر . وهو كقول الأخطل :

قـــوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بأطهار

(٣) الهباءة : موضع فى بلاد غطفان .

(٤) لن ترثوا : من الرثاء . ومن رواه : تربوا ، (بضم التاء) فهو من التربية . ومن رواه : تربوا (بفتح التاء) فمعناه تصيرونه ربا عليكم ، أى أميرا .

(٥) زيادة عن ا .

على أنّ الفتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ بغَى والظلمُ[1] مرتعهُ وخيمُ

وهذا البيت فى أبيات له . وقال الحارث بن زُهير أخو قَيْس بن زُهير :

تركتُ على الهَباءة غيرَ فَخْرٍ حُذَيفةَ عنده قِصَدُ العَوالِى[2]

وهذا البيت فى أبيات له .

٥ قال ابن هشام :

ويقال أرسل قيسٌ داحساً والغَبْراء ، وأرسل حُذَيفةُ الخطّارَ والحَنْفاء، والأول أصح الحديثين . وهو حديث طويل مَنعنى من استقصائه قَطْعُه حديثَ سيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

حرب حاطب

قال ابن هشام : وأما قوله : « حرب حاطب » . فيَعْنى حاطبَ بنَ الحارث

١٠ ابن قَيْس بن هَيْشَةَ بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عَوْف بن عَمْرو ابن عَوْف بن مالك بن الأوس ، كان قتل يهوديًّا جاراً للخَزْرَج ، فخرج إليه يزيدُ[3] بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمرَ بن حارثة بن ثَعْلبة بن كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ـ وهو الذى يقال له : ابن فُسْحمُ ، وفُسْحمُ[4] أُمه ، وهى امرأة من القَيْن بن جَسْر ـ ليلاً فى نفر من بَنى الحارث بن الخزرج

١٥ فقتلوه ، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكان الظفر للخزرج على الأوس ، وقُتل يومئذٍ سُوَيد بن صامت بن خالد بن عطيّة بن حَوْط ابن حَبِيب بن عَمْرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، قَتله المُجذَّر بن[5] ذياد البلوى ، واسمه عبد الله ، حليف بنى عَوْف بن الخزرج . فلما كان

(١) فى ا : « والبغى » .

٢٠ (٢) القصد : جمع قصدة ، وهى القطعة المتكسرة . والعوالى : الرماح .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « زيد » . وهو تحريف . (راجع شرح القاموس مادة فسحم) .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قسحم » بالقاف فى الموضعين وهو تصحيف . (راجع شرح القاموس مادة فسحم) .

٢٥ (٥) ضبط فى شرح : أسماء أهل بدر للبرتى المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية (تحت رقم ١٤٢٠ تاريخ) بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الذال المعجمة المفتوحة ثم راء . وذياد : بكسر الذال المعجمة وتخفيف المثناة من تحت بعدها ألف آخره دال مهملة ، ويقال فيه ذياد بفتح الذال المعجمة وتشديد المثناة .

يوم أُحد خرج المجذَّر بن ذياد مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وخرج معه الحارث بن سُوَيد بن صامت ، فوجد الحارثُ بن سُوَيد غِرَّةً[1] من المُجذَّر فقتله بأبيه . وسأذكر حديثَه فى موضعه إن شاء الله تعالى . ثم كانت بينهم حروب منعنى من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ماذكرت فى [حديث][2] حرب داحس.

شعر حكيم ابن أمية فى صد قومه عن عداوة النبى صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : 5

وقال حَكيم بن أمية بن حارثة بن الأَوْقص السُّلمى ، حليف بنى أمية ، وقد أسلم ، يورّع[3] قومَه عمّا أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان فيهم شريفاً مُطاعا :

هل قائلٌ قولاً هو[4] الحق قاعدٌ ... عليه وهل غَضْبانُ للرُّشْد سامعُ

وهل سيّد تَرجو العشيرةُ نَفْعَه ... لأقصَى المَوالى والأقارب جامعُ 10

تبرّأتُ إلا وجهَ مَنْ يملك الصَّبا ... وأَهْجُرُكم ما دام مُدْلٍ ونَازِع[5]

وأُسْلِم وَجْهى للإله ومنْطقى ... ولو راعنى مِنَ الصَّديق روائع

ذكر ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

سفهاء قريش ورميه صلى الله عليه وسلم بالسحر والجنون

قال ابن إسحاق :

ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومَنْ أَسْلم معه منهم، فأَغْرَوْا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم : سفهاءَهم ، فكذّبوه وآذَوْه ورموه بالشعر والسِّحر والكَهانة والجُنون ، ورسولُ الله صلّى الله 15

(1) غرة : غفلة .
(2) زيادة عن ا .
(3) يورع . يصرف ويرد .
(4) كذا فى ا وفى سائر الأصول : « من الحق » .
(5) المدلى : المرسل الدلو . والنازع : الجاذب لها .

عليه وسلّم مُظْهِرٌ لأمر الله لا يَسْتخفى به، مُبادٍ لهم بما يكرهون من عَيْب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إيّاهم على كفرهم .

حديث ابن العاص عن أكثر مارأى قريشا نالته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدّثنى يَحْيى بنُ عروة بن الزبير عن أبيه عُرْوة ابن الزبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

٥ قلت له : ما أكثرُ ما رأيتَ قريشاً أصابوا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما كانوا يُظْهرون من عداوته ؟ قال : حضرتُهم ، وقد اجتمع أشرافهم يومًا فى[1] الحِجْر ، فذكروا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالوا : ما رأينا مثلَ ما صَبَرْنا عليه من أمر هذا الرجل قطُّ ، سفّه أحلامَنا، وشتم آباءنا ، وعاب دِيننا ، وفرّق جماعتنا ، وسبّ آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم ، أو كما قالوا . فبيناهم

١٠ فى ذلك إذ طلع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فأقبل يمشى حتى استلم الركنَ ، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما مرّ بهم غمزوه[2] ببعض القول. قال : فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قال : ثم مضى ، فلما مرّ بهم الثانيةَ غمزوه بمثلها ، فعرفتُ ذلك فى وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ ثم مرّ بهم الثالثةَ فغمزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : أتسمعون يامعشرَ قُريش ، أما والذى

١٥ نفسى بيده ، لقد جئْتكم بالذَّبْح[3] . قال : فأخذت القومَ كلمتُه حتى مامنهم رجلٌ إلا كأنما على رأسه طائرٌ واقع ، حتى إن أشدّهم فيه وصاةً[4] قبلَ ذلك لَيرْفَؤُه[5] بأحسن مايجدُ من القول ، حتى إنه ليقول انصرِفْ يا أبا القاسم ، فوالله ما كنتَ جهولاً . قال : فانصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى إذا كان

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : يوافى الحجر ، وهو تحريف .

٢٠ (٢) غمزوه : طعنوا فيه .

(٣) كذا فى ا . والنهاية لابن الأثير (مادة رفأ) . ولعله مجاز عن الهلاك . ومنه فى حديث القضاء : من تصدى للقضاء وتولاه ، فقد تعرض للذبح فليتحذره . وفى سائر الأصول : « الذبيح » .

(٤) الوصاة : الوصية .

٢٥ (٥) يرفأه : يهدئه ويسكنه ويرفق به ويدعو له .

الغدُ اجتمعوا فى الحِجْر وأنا معهم؛ فقال بعضُهم لبعض ذكرتم مابلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه. فبينماهم فى ذلك طلع[عليهم][1] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فوثبوا إليه وثبةَ رجلٍ واحد، وأحاطوا به يقولون: أنت الذى تقول كذا وكذا، لِما كان يقول من عَيْب آلهتهم ودينهم؛ فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: نعم، أنا الذى أقول ذلك. قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه. قال: فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه، وهو يبكى ويقول: أتقتلون رجلاً أنْ يقول ربّى الله! ثم انصرفوا عنه فإنّ ذلك لأشدّ مارأيتُ قريشاً نالوا منه قطُّ.

بعض ما نال أبا بكر فى سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق وحدّثنى بعضُ آل أمّ كلثوم بنت أبى بكر، أنها قالت: [لقد][1] رجع أبو بكر يومئذٍ وقد صَدَعوا[2] فَرْق[3] رأسه، ممّا جَبذوه بلِحْيته، وكان رجلاً كثيرَ الشعر.

أشد ما أوذى به الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام: حدّثنى بعض أهلِ العلم:

إن أشد مالقىَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من قريش أنه خرج يومًا فلم يَلقه أحدٌ من الناس إلا كذّبه وآذاه، لاحُرٌّ ولا عَبْد، فرجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى منزله، فتدثّر من شدّة ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه: «يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ[4]».

---

(1) زيادة عن ا.

(2) صدعوا: شقوا.

(3) الفرق: حيث يتفرق الشعر فى مقدم الجبهة.

(4) قال السهيلى: «قال بعض أهل العلم: فى تسميته إياه بالمدثر فى هذا المقام ملاطفة وتأنيس، ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التى هو فيها، كقوله عليه السلام لحذيفة: قم يانومان. وقوله لعلى بن أبى طالب، وقد ترب جنبه: قم أبا تراب. فلوناداه سبحانه وهو فى تلك الحال من الكرب باسمه، =

إسلام حمزة رحمه الله(١)

أذاة أبي جهل للرسول صلى الله عليه وسلم ووقوف حمزة على ذلك

قال ابن إسحاق : حدّثنى رجلٌ من أسْلم ، كان واعيةً :

أن أبا جهل مرّ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند الصّفا فآذاه وشتمه ونال منه بعضَ ما يكره ، من العَيْب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلّمه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد ابن تَيْم بن مُرّة فى مَسْكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه ، فعَمَد إلى نادٍ(٢) من قريش عند الكعبة فجلس معهم . فلم يلبث حمزةُ بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقْبل متوشّحا(٣) قوسَه راجعاً من قَنَص(٤) له ، وكان

= أو بالأمر المجرد من هذه الملاطفة لما له ذلك ، ولكن لما بدئ يأيها المدثر أنس ، وعلم أن ربه راض عنه ، ألا تراه كيف قال عند مالتى من أهل الطائف من شدة البلاء والكرب مالتى : رب إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى . إلى آخر الدعاء ، فكان مطلوبه رضا ربه ، وبه كانت تهون عليه الشدائد » . ثم قال : « فإن قيل : كيف ينتظم « يأيها المدثر » مع قوله : « قم فأنذر » ؟ وما الرابط بين المعنيين حتى يلتئما فى قانون البلاغة ويتشاكلا فى حكم الفصاحة ؟ قلنا : من صفته عليه السلام ما وصف به نفسه حين قال : أنا النذير العريان . وهو مثل معروف عند العرب ، يقال لمن أنذر بقرب العدو وبالغ فى الإنذار : هو النذير العريان . وذلك أن النذير الجاد يجرد ثوبه ، وهو يشير به إذا خاف أن يسبق العدو صوته . وقد قيل : إن أصل المثل لرجل من خثعم ، سلبه العدو ثوبه ، وقطعوا يده ، فانطلق إلى قومه نذيرا على تلك الحال ، فقوله عليه السلام : أنا النذير العريان ، أى مثلى مثل ذلك . والتدثر بالثياب مضاد للتعرى ؛ فكان فى قوله : « يأيها المدثر » . مع قوله : « قم فأنذر » ، والنذير الجاد يسمى العريان ، تشاكل بين ، والتئام بديع ، وسياقة فى المعنى ، وجزالة فى اللفظ » .

(١) وأم حمزة : هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وأهيب عم آمنة بنت وهب ، تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله آمنة فى ساعة واحدة ، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة ، وولدت آمنة لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أرضعتهما ثويبة .

(٢) النادى : مجلس القوم .

(٣) متوشحا : متقلدا .

(٤) القنص (بالفتح وبالتحريك) : الصيد .

صاحب قَنَص يَرْميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصلْ إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادٍ من قُريش إلا وقف وسلّم وتحدّث معهم ، وكان أعزَّ فتى فى قريش وأشد شَكيمة . فلما مر بالمَوْلاة ، وقد رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بيته ، قالت له : ياأبا عُمارة ، لورأيتَ مالقى ابنُ أخيك محمدٌ آنفاً من أبى الحَكَم بن هشام : وَجَده هاهنا جالساً فآذاه وسبّه وبلغ منه مايكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلّمه محمدٌ صلّى الله عليه وسلّم . ٥

إيقاع حمزة بأبى لهب وإسلامه

فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يَقِفْ على أحد ، مُعِدّاً لأبى جهل إذا لَقِيه أن يُوقع به ، فلما دخل المسجدَ نظر إليه جالساً فى القوم ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوسَ فضربه بها فشجّه شجةً مُنكرة ثم قال : أتشتُمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فَرُدَّ ذلك علىّ إن استطعتَ . فقامت رجالٌ من بَنى مَخْزوم إلى حَمْزة لينصروا أبا جهل ؛ فقال أبو جهل : دَعُوا أبا عُمارة ، فإنى والله قد سَبَبْتُ ابنَ أخيه سَبًّا قبيحا ، وتَمّ حمزةُ رضى الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم من قوله . فلما أسلم حمزةُ عرفت قريشٌ أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قد عزّ وامتنع ، وأنّ حمزةَ سيمنعه ، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون[1] منه . ١٠ ١٥

---

(١) وزاد غير ابن إسحاق فى إسلام حمزة أنه قال : لما احتملنى الغضب وقلت : أنا على قوله ، أدركنى الندم على فراق دين آبائى وقومى ، وبت من الشك فى أمر عظيم لا أكتحل بنوم ، ثم أتيت الكعبة وتضرعت إلى الله سبحانه أن يشرح صدرى للحق ويذهب عنى الريب ، فما استتممت دعائى حتى زاح عنى الباطل وامتلأ قلبى يقينا ، فغدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من أمرى فدعا لى بأن يثبتنى الله . وقال حمزة حين أسلم أبياتا ، منها : ٢٠

حمدت الله حين هدى فؤادى ... إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز ... خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا ... تحدر دمع ذى اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها ... بآيات مبينة الحروف ٢٥

قول عتبة بن ربيعة فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما دار بين عتبة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: وحدّثنى يزيد بن زِياد عن محمد بن كَعْب القرظىّ قال: حُدِّثت أن عُتبة بن ربيعة، وكان سيّداً، قال يوما وهو جالس فى نادى قريش، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جالس فى المسجد وحدَه: يامعشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلِّمَه وأعْرِضَ عليه أموراً لعلّه يقبل بعضَها فنعطيه أيّها شاء، ويكفّ عنا؟ وذلك حين أسلم حمزةُ ورأوا أصحابَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم يَزيدون ويكثُرون؛ فقالوا: بلى ياأبا الوليد، قُمْ إليه فكلِّمه؛ فقام إليه عُتبةُ حتى جلس إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: يابن أخى، إنك منّا حيث قد علمتَ من السِّطة[1] فى العشيرة، والمكان فى النسب، وإنك قد أتيتَ قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعِبْت به آلهتهم ودينَهم، وكفّرت به مَنْ مضى من آبائهم، فاسمع منِّى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها[2] بعضَها. قال: فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: قُلْ يا أبا الوليد، أَسْمَع؛ قال: يابن أخى، إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنتَ تريد به شرفاً سوّدناك علينا، حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به مُلْكاً ملّكناك علينا؛ وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا[3] تراه لا تَستطيع ردَّه عن نفسك، طَلَبْنا لك الطبَّ، وبذلنا فيه أموالَنا حتى نُبرئك منه، فإنه ربما

---

(١) كذا فى ا. والسطة: الشرف. وفى سائر الأصول: «البسطة».

(٢) فى ا: «منا».

(٣) الرئى (بفتح الراء وكسرها): ما يتراءى للإنسان من الجن.

غلب التابعُ[1] على الرجل حتى يُداوَى منه ، أو كما قال له . حتى إذا فرغ عتبةُ ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يستمع منه ، قال : أقد فرغتَ يا أبا الوليد ؟ قال : نعم؛ قال فاسمعْ منّى ؛ قال : أفعل ؛ فقال : « بِسْمِ ٱللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . حٓمٓ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ » . ثم مضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبةُ أنْصت لها وألْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظهره معتمداً عليهما يسمع منه ؛ ثم انتهى رسولُ ٱلله صلّى ٱلله عليه وسلّم إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ ، فأنت وذاك .

ما أشار به عتبة على أصحابه

فقام عتبةُ إلى أصحابه ، فقال بعضُهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوَجْه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال ورائى أنّى قد سمعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثلَه قطُّ ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يامعشرَ قُريش ، أطيعونى واجعلوها بى ، وخلّوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه فاعتَزِلوه ، فوالله ليكوننّ لقوله الذى سمعتُ منه نبأٌ عظيم ، فإن تُصبْه العربُ فقد كُفيتموه بغيركم ، و إن يَظْهَرْ على العرب فمُلْكه مُلْككم ، وعزّه عزّكم ، وكنتم أسعدَ الناس به ؛ قالوا : سَحَرك والله يا أبا الوليد بلسانه ؛ قال هذا رَأْيى فيه ، فاصنعُوا ما بدا لكم .

---

(١) التابع : من يتبع من الجن .

ما دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين رؤساء قريش وتفسير لسورة الكهف

استمرار قريش على تعذيب من أسلم

قال ابن إسحاق :

ثم إن الإسلام جعل يَفشو بمكة فى قبائل قُريش فى الرجال والنّساء ، وقريش تَحْبِس مَنْ قَدَرت على حَبْسه وتَفْتِن من استطاعت فِتْنَتَه من المسلمين ثم إن أشراف قُريش من كل قَبيلة ، كما حدّثنى بعضُ أهل العلم عن سَعيد ابن جبير وعن عِكْرمة مولى ابن عبّاس عن عبدالله بن عبّاس رضى الله عنهما قال

حديث رؤساء قريش مع الرسول صلى الله عليه وسلم

اجتمع عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو سُفيان بن حَرْب ، والنَّضْر ابن الحارث [بن كَلَدة][1] ، أخو بنى عبد الدّار ، وأبو البَخْترى بن هشام ، والأسودُ ابن المطّلب بن أسَد ، وزَمَعة بن الأسود ، والوليد بن المُغيرة ، وأبو جهل بن هشام وعبدُ الله بن أبى أُمية ، والعاصُ بن وائل ، ونُبيه ومنبّه ابنا الحجّاج السَّهْميّان[2] ، وأُمية بن خلف ، أو من اجتمع منهم . قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظَهْر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعْذِروا فيه فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك ، فأْتِهم ؛ فجاءهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سريعاً ، وهو يظن أنْ قد بدا لهم فيما كلّمهم فيه بَداء ، وكان عليهم حريصاً يحبّ رشدَهم ويعزّ عليه عَنَتهم[3] ، حتى جلس إليهم ؛ فقالوا له : يا محمدُ ، إنا قد بعثنا إليك لنكلّمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدْخل على قومه مثلَ ما أدخلتَ على قومك ، لقد شتمتَ الآباء ، وعِبْت الدينَ ، وشتمتَ الآلهة ، وسفّهت الأحلامَ ، وفرّقت

(١) زيادة عن ا .
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « . . . الحجاج والسهميان » . وهو تحريف .
(٣) العنت : ماشق على الإنسان فعله .

الجماعة ، فما بقى أمرٌ قبيح إلا قد جئْتَه فيما بيننا وبينك ــ أو كما قالوا له ــ فإن كنتَ إنما جئتَ بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرَنا مالاً ، وإن كنتَ إنما تطلب به الشرَفَ فينا فنحن نسوّدك علينا ، وإن كنتَ تريد به مُلْكاً ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلب عليك ــ وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا ــ فَربما كان ذلك ، ٥
بذلنا لك أموالنا فى طَلَب الطبّ لك حتى نُبرئك منه ، أو نُعْذِر فيك ؛ فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ما بى ما تقولون ، ما جئتُ بما جئتُكم به أطلبُ أموالَكم ولا الشرفَ فيكم ، ولا المُلْكَ عليكم ، ولكنّ اللهَ بعثنى إليكم رسولاً ، وأنزل علىّ كتاباً ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا ، فبلّغتكم رسالاتِ ربّى ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا منّى ما جئتُكم به فهو حظّكم فى الدنيا والآخرة ، ١٠
وإن تردّوه علىّ أصبرْ لأمر الله ، حتى يحكم اللهُ بينى وبينكم ، أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم . قالوا : يا محمد ، فإن كنت غيرَ قابل منّا شيئاً مما عرَضْناه عليك فإنك قد علمتَ أنه ليس من الناس أحدٌ أضيقَ بلداً ، ولا أقلّ ماء ، ولا أشدّ عيشاً منّا ، فسَلْ لنا ربّك الذى بعثك بما بعثك به فليسيّر عنّا هذه الجبالَ التى قد ضيّقت علينا ، وليبسط لنا بلادَنا، وليفجّر[1] لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق ، ١٥
وليبعث لنا مَن مضى من آبائنا ، وليكن فيمن يُبعث لنا منهم قُصىّ بن كِلاب ، فإنه كان شيخَ صدْق ، فنسألهم عما تقول : أحقّ هو أم باطل ، فإن صدّقوك وصنعتَ ما سألناك صدّقناك ، وعرَفنا به منزلَتَك من الله ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول . فقال لهم صلواتُ الله وسلامُه عليه : ما بهذا بُعِثْتُ إليكم ، إنما جئتُكم من الله بما بعثنى به ، وقد بلّغتكم ما أُرْسِلت به إليكم ، فإن تقبلوه ٢٠
فهو حظّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردّوهُ علىّ أصبر لأمر الله تعالى حتى

(١) فى ا : « وليخرق » .

يحكم اللهُ بيني[1] وبينكم ؛ قالوا : فإذ لم تفعل هذا لنا فخُذْ لنفسك ، سَلْ ربَّك أن يبعث معك ملكاً يصدّقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسَلْه فليجعل لك جِناناً وقُصورًا وكنوزاً من ذهب وفضّة يُغنيك بها عما نراك تَبْتغي ، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم ، وتلتمس المعاشَ كما نلتمسه ، حتى نعرفَ فضلك ومنزلَتك من

٥ (١) قال السهيلي : « وذكر ماسأله قومه من الآيات وإزالة الجبال عنهم وإنزال الملائكة عليه وغير ذلك جهلا منهم بحكمة الله تعالى في امتحانه الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ، وأن يكون إيمانهم عن نظر وفكر في الأدلة ، فيقع الثواب على حسب ذلك ، ولو كشف الغطاء وحصل لهم العلم الضروري بطلت الحكمة التي من أجلها يكون الثواب والعقاب ، إذ لا يؤجر الإنسان على ماليس من كسبه كما لا يؤجر على ماخلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك ،

١٠ وإنما أعطاهم من الدليل مايقتضي النظر فيه العلم الكسبي ، وذلك لا يحصل إلا بفعل من أفعال القلب ، وهو النظر في الدليل وفي وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ، وإلا فقد كان قادرا سبحانه أن يأمرهم بكلام يسمعونه ويغنيهم عن إرسال الرسل إليهم ، ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين فجعل الأمر بعلم في الدنيا بنظر واستدلال وتفكر واعتبار ، لأنها دار تعبد واختبار ، وجعل الأمر بعلم في الآخرة بمعاينة واضطرار لا يستحق به ثواب ولا جزاء ،

١٥ وإنما يكون الجزاء فيها على ماسبق في الدار الأولى ، حكمة دبرها وقضية أحكمها ، وقد قال الله تعالى : « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون » ، يريد فيما قال أهل التأويل : أن التكذيب بالآيات نحو ما سألوه من إزالة الجبال عنهم ، وإنزال الملائكة يوجب في حكم الله ألا يلبث الكافرين بها ، وأن يعاجلهم بالنقمة كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون ، فلو أعطيت قريش ماسألوه من الآيات وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يلبثوا ، ولكن الله أكرم محمداً

٢٠ في الأمة التي أرسله إليهم ، إذ قد سبق في علمه أن يكذب به من يكذب ويصدق به من يصدق ، وابتعثه رحمة للعالمين بر وفاجر ، وأما البر فرحمته إياهم في الدنيا والآخرة ، وأما الفاجر فإنهم أمنوا من الخسف والغرق وإرسال حاصب عليهم من السماء ، كذلك قال بعض أهل التفسير في قوله : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . مع أنهم لم يسألوا ماسألوا من الآيات إلا تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك ، فقد رأوا من دلائل النبوة مافيه شفاء لمن

٢٥ أنصف . قال الله سبحانه : « أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب » الآية . وفي هذا المعنى قيل :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهية تنبيك بالخبر

وقد ذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية أنهم سألوه أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لهم فنزل جبريل فقال لهم : ما شئتم ،

٣٠ إن شئتم فعلت ماسألتم ، ثم لا نلبثكم إن كذبتم بعد معاينة الآية ؛ فقالوا : لا حاجة لنا بها » .

ربك إن كنت رسولاً كما تزعم ؛ فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ماأنا بفاعل ، وما أنابالذى يسأل ربَّه هذا، ومابُعِثْت إليكم بهذا، ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً ــ أو كما قال ــ فإن تقبلوا ما جئتُكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه علىّ أصبرْ لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم ؛ قالوا : فاسْقِط السماء علينا كِسَفاً كما زعمتَ أن ربّك إنْ شاء فعل ، فإنّا لانؤمن لك إلا أن تفعل قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل ؛ قالوا : يا محمد ، أفما عَلِم ربُّك أنّا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطلب منك مانطلب ، فيتقدّم إليك فيُعلمك ماتُراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانعٌ فى ذلك بنا ، إذ لم نقبل منك ما جئتنا به ! إنه قد بلغنا أنك إنما يعلّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدًا ، فقد أعْذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغتَ منّا حتى نُهْلِكك أو تُهْلِكنا .

وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة، وهى بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتِيَنا بالله والملائكة قَبيلاً .

حديث عبدالله ابن أبى أمية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما قالوا ذلك لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قام عنهم ، وقام معه عبدُ الله ابن أبى أُمَيَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ــ وهو ابن عمّته ، فهو لعاتكة بنت عبد المطلب ــ فقال له : يا محمد . عَرَض عليك قومُك ما عَرضوا فلم تقبَلْه منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلَتك من الله كما تقول ، ويصدّقوك ويَتّبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذَ لنفسك ما يَعْرِفون به فضلَك عليهم ومنزلَتك من الله فلم تفعل ، ثم سألوكَ أن تعجّل لهم بعضَ ما تخوّفهم به من العذاب فلم تفعل ــ أو كما قال له ــ فوالله لاأُومن بك أبدًا حتى تتّخذ إلى السماء سُلّماً ، ثم ترقَى فيه وأنا أنظر إليكَ حتى تأتيها ، ثم تأتىَ معك أربعةٌ من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وايمُ الله ، لو فعلتَ ذلك ما ظننتُ أَنّى أُصدقك[1] ، ثم

(١) وقد أسلم أبو أمية قبل فتح مكة .

انصرف عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . وانصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أهله حزيناً آسفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوْه ، ولما رأى من مُباعدتهم إياه .

ما توعد به أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما قام عنهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إن محمداً قد أبى إلا مَا تَرَوْن من عَيْب ديننا ، وشَتْم آبائنا ، وتَسْفيه أحلامنا ، وشتْم آلهتنا ، وإنى أُعاهد الله لأجْلسَنّ له غداً بحَجَر ما أُطيق حَمْله ــ أو كما قال ــ فإذا سجد فى صلاته فَضَخْتُ به رأسه ، فأسْلِمونى عند ذلك أو امنعوْنى ، فليصنَعْ بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ؛ قالوا والله لا نُسْلمك لشىء أبداً ، فامضِ لما تريد .

ما حدث لأبى جهل حين هم بإلقاء الحجر على الرسول صلى الله عليه وسلم

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينتظره ، وغدا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم كما كان يغدو . وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكّة وقِبْلتُه إلى الشام ، فكان إذا صلّى صلّى بين الركن اليمانى والحجر[1] والأسود ، وجعلَ الكعبةَ بينه وبين الشام ، فقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يصلّى ، وقد غدتْ قريش فجلسوا فى أنْديتهم يَنْتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سَجَد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم احتمل أبو جهل الحَجَر ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رَجَع منهزمًا منتقعاً لونه[2] مرعوبًا

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ... بين الركنين اليمانى والأسود » . وقد عرض ابن بطوطة فى رحلته فى الجزء الأول (ص ٣١٥ طبع أوربا) للكلام على الأركان فقال : «ومن عند الحجر الأسود مبتدأ الطوف ، وهو أول الأركان التى يلقاها الطائف ، فإذا استلمه تقهقر عنه قليلا ، وجعل الكعبة الشريفة عن يساره ومضى فى طوافه ، ثم يلقى بعده الركن العراقى، وهو إلى جهة الشمال ، ثم يلقى الركن الشامى وهو إلى جهة الغرب ، ثم يلقى الركن اليمانى وهو إلى جهة المغرب ، ثم يعود إلى الحجر الأسود وهو إلى جهة الشرق» .

(٢) منتقع : متغير .

قد يَبِست يداه على حَجَره ، حتى قَذَف الحَجَر من يده ، وقامت إليه رجالُ قُريش ، فقالوا له : ما لَكَ يا أبا الحكم ؟ قال : قمتُ إليه لأفعلَ به ما قلتُ لكم البارحةَ ، فلما دنوتُ منه عَرَض لى دونه فَحْلٌ من الإبل ، لا والله ما رأيت مثلَ هامَتِه ولا مثل قَصَرته[1] ولا أنيابه لِفَحْل قطُّ ، فهمَّ بى أن يأ كلَنى[2] .

قال ابن إسحاق :

فذُكِر لى أن رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم قال : ذلك جبريلُ عليه السلام ، لو دنا لأَخذه .

نصيحة النضر لقريش بالتدبر فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

فلما قال لهم ذلك أبو جَهْل ، قام النضرُ بن الحارث بن كَلَدَة بن عَلْقمة ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَىّ .

قال ابن هشام : ويقال النضر بنُ الحارث بن عَلْقمة بن كَلَدَة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق :

فقال : يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتُم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلامًا حَدَثًا أرْضاكم فيكم ، وأصدَقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم فى صُدْغيه الشَّيبَ ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحرٌ ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرةَ ونَفْثهم وعَقْدهم[3] ؛ وقلتم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكَهنة وتخالُجهم ، وسَمِعْنا سَجْعهم ؛ وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعرَ وسَمِعْنا أصنافَه كلّها : هَزَجه ورَجزه ؛ وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنونَ فما هو بخَنْقه ، ولا وَسْوسته ، ولا تَخْليطه ، يا معشر قريش ، فانظروا فى شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيمٌ .

---

(1) القصرة : أصل العنق .

(2) وروى هذا الحديث النسوى بإسناده إلى أبى هريرة قال قال أبو جهل ، وذكر الحديث « . . . قالوا : مالك ؟ فقال : إن بينى وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لودنا لاختطفته الملائكة عضوا عضوا » . (راجع الروض) .

(3) العقد : بفتح وسكون ، أو بضم ففتح على أن يكون جمع عقدة ، وهى التى يعقدها الساحر فى الخيط ينفخ فيها بشىء يقوله بلا ريق أو معه .

ما كان يؤذى به النضر ابن الحارث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان النَّضْر بن الحارث من شياطين قريش ، وممن كان يؤذِى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويَنْصِب له العداوةَ ، وكان قد قَدِم الحِيرةَ ، وتعلّم بها أحاديثَ ملوكِ الفرس وأحاديث رُسْتُمَ واسبنديار[1] ، فكان إذا جلس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مجلساً فذكّر فيه بالله ، وحذّر قومه ما أصاب مَنْ قبلَهم من الأمم من نِقْمة الله ، خَلَفه فى مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشرَ قريش ، أحسنُ حديثاً منه ، فهلمّ إلىّ ، فأنا أحدّثكم أحسنَ من حديثه ، ثم يحدّثهم عن ملوك فارس ورُستم واسبنديار[1] ثم يقول : بماذا محمدٌ أحسنُ حديثاً منّى؟

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأُنزل مثلَ ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق :

وكان ابن عبّاس رضى الله عنهما يقول ، فيما بلغنى : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قولُ الله عز وجل : « إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » . وكلّ ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

أرسلت قريش النضر وابن أبى معيط إلى أحبار يهود يسألانهم عن محمد صلى الله عليه وسلم

فلما قال لهم ذلك النضرُ بن الحارث بعثوه ، و بعثوا معه عُقْبة بن أبى مُعَيط إلى أحبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سَلاهم عن محمّد ، وصِفا لهم صِفتَه ، وأَخْبِراهم بقَوْله ، فإنهم أهلُ الكتاب الأول ، وعندهم عِلمٌ ليس عندنا من علم الأنبياء . فخرجا حتى قدما المدينةَ ، فسألا أحبارَ يهود عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ووَصَفا لهم أمْره ، وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا لهم : إنّكم أهلُ التوراة ، وقد جِئْناكم لتُخْبِرونا عن صاحبنا هذا ؛ فقالت لهما أحبار يهود : سَلوه عن ثلاثٍ نأمُركم بهنّ ، فإن أخبركم بهنّ فهو نبىّ مُرْسَل ، وإن لم يفعل فالرجلُ مُتقوِّل ، فَرَوْا فيه رأيَكم . سَلُوه عن فِتْيةٍ ذهبوا فى الدّهر الأول ما كان أمرهم ؛ فإنه قد كان لهم حديثٌ عجب ؟ وَسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها ،

(1) كذا فى ا . و فى م : « اسفنديار » . وفى سائر الأصول : « اسفنديار » .

ما كان نَبَؤه ؟ وَسَلوه عن الرّوح ما هى ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتّبعوه ، فإنه نبيّ ، و إن لم يفعل ، فهو رجلٌ متقوّلٌ ، فاصنعوا فى أمْرِه ما بدا لكم . فأقبل النضرُ بن الحارث ، وعُقْبة بن أبى مُعيط بن أبى عمرو بن أُمية بن عبدشَمْس بن عبد مناف ابن قُصَىّ حتى قدِما مكةَ على قُريش ، فقالا : يا معشر قريش ، قد جِئْناكم بفَصْل ما بينكم وبين محمّد ، قد أخبرَنا أحبارُ يهود أنْ نسأله عن أشياء أمَرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبىّ ، و إن لم يفعل فالرجلُ متقوّل ، فرَوْا فيه رأيَكم .

سؤال قريش له صلى الله عليه وسلم عن أسئلة وإجابته لهم

فجاءوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : يا محمد ، أَخْبرنا عن فِتْية ذهبوا فى الدهر الأول قد كانت لهم قصّة عجب ؛ وعن رجل كان طوّافا قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربها ؛ وأَخْبرنا عن الرّوح ما هى ؟ قال : فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أخبركم بما سألتم عنه غداً ولم يَسْتثن[1] ، فانصرفوا عنه . فمكث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ــ فيما يذكرون ــ خمسَ[2] عشرةَ ليلةً لا يُحْدِث الله إليه فى ذلك وَحْياً ، ولا يأتيه جبريلُ ، حتى أرْجف[3] أهلُ مكة وقالوا : وَعَدَنا محمدٌ غداً واليوم خمسَ عشرةَ ليلةً ، قد أصبحنا منها لا يُخْبرنا بشىء مما سألناه عنه ، وحتى أحزنَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم مُكثُ الوحي عنه ، وشقّ عليه ما يتكلّم به أهلُ مكة ؛ ثم جاءه جبريلُ من الله عزّ وجلّ بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حُزْنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الله : الفِتية ، والرجل الطّواف ، والروح .

---

(١) كذا فى ا . يريد : لم يقل : إن شاء الله . وفى سائر الأصول : « لم يستسن » .

(٢) وفى سير التيمى وموسى بن عقبة : إن الوحى إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام، ثم جاءه جبريل بسورة الكهف . (راجع الروض).

(٣) أرجف القوم : خاضوا فى الأخبار السيئة وذكر الفتن على أن يوقعوا فى الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شىء .

ما أنزل الله في قريش حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فغاب عنه الوحي مدة

قال ابن إسحاق :

فذُكر لي أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبستَ عنّي يا جبريل حتى سُؤت ظنًّا ؛ فقال له جبريل : « وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا » .

٥ فافتتح السورة تبارك وتعالى بحَمده وذِكْر نبوّة رسوله ، لِمَا أنكروه عليه من ذلك ، فقال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ » يعني محمداً صلّى الله عليه وسلّم ، إنك رسول منّي : أي تحقيقٌ لما سألوه عنه من نبوّتك . « وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّماً » أي معتدلاً لا اختلاف فيه . « لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ » أي عاجل عقوبته في الدنيا . « وَعَذَابًا أَلِيماً فِي الآخِرَةِ »

١٠ أي من عند ربك الذي بعثك رسولاً . « وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً مَا كِثِينَ فِيهِ أَبَدًا » أي دار الخلد . « لا يَمُوتُونَ فِيهاَ » الذين صدّقوك بما جئت به مما كذّبك به غيرهم وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال . « وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا » يعني قريشاً في قولهم : إنا نعبد الملائكة ، وهي بناتُ الله . « مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لِآبَائِهِمْ » الذين

١٥ أعظموا فراقهم وعَيْب دينهم . « كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ » أي لقولهم : إن الملائكة بناتُ الله . « إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ » يا محمد « عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا » أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أي لا تفعل .

قال ابن هشام : باخعٌ نفسَك ، أي مُهْلِك نفسَك ، فيما حدثني أبو عُبيدة .

٢٠ قال ذو الرّمة :

ألا أيّهذا الباخع الوَجْدُ نفسَه ... لشيء نَحتْه عن يدَيْه المَقادرُ

وجمعه : باخعون وبَخَعة . وهذا البيت في قصيدة له . وتقول العرب : قد بخعتُ

له نُصْحى ونَفْسى ، أى جَهَدْت له . « إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً » .

قال ابن إسحاق : أى أيهم أتبع لأمْرِى، وأعمل بطاعتى . « وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزاً » أى الأرض ، وإن ما عليها لفانٍ وزائل ، وإن المرجع إلىّ فأجزى كلاًّ بعمله ، فلا تأسَ ولا يَحْزنك ما تسمع وترى فيها . ٥

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجمعه : صُعُد . قال ذو الرمّة يَصِف ظَبْياً صغيراً :

كأنّه بالضُّحى تَرْمى الصعيدَ به ... دَبّابةٌ فى عِظام الرأسِ خُرْطومُ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له . والصعيد [أيضاً] : الطريق . وقد جاء فى الحديث : إياكم والقعودَ على الصُّعُدات . يريد الطرق . والجُرز : الأرض التى لاتُنبت شيئاً ، ١٠ وجمعها : أجراز . ويقال : سَنة جُرز ، وسنون أجراز ، وهى التى لا يكون فيها مطر ، وتكون فيها جُدوبة ويَبْس وشدّة . قال ذو الرمة يصف إبلاً :

طوى النحْز[2] والأجْراز ما فى بُطونها ... فما بقيتْ إلا الضلوعُ الجَراشع[3]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ١٥

ما أنزله الله تعالى فى قصة أصحاب الكهف

ثم استقبل قصّة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفِتْية فقال : « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً » أى قد كان من آياتى فيما وضعت على العباد من حُجَجى ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرّقيم : الكتاب الذى رُقِم فيه بخبرهم[4] ، وجمعه : رُقُم .

(١) كذا فى ا . والدبابة : الحمر . وفى سائر الأصول : « ذبابة » . وهو تصحيف . ٢٠ والخرطوم : الخمر أيضاً .

(٢) كذا فى ا . والنحز : النخس . وفى سائر الأصول : « النحر » . بالراء المهملة ، وهو تصحيف .

(٣) الجراشع : المنتفخة المتسعة ، واحدها : جرشع .

(٤) كما قيل بأن الرقيم هو اسم الجبل الذى كان فيه الكهف ، أو اسم القرية التى كانوا ٢٥ فيها ، كما قيل بأنه الدواة ، حكاه ابن دريد .

قال العجّاج .

* ومستقرّ المُصْحف المرقّم *

وهذا البيت فى أرجوزة له.

قال ابن إسحاق :

٥ ثم قال تعالى : « إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا » . ثم قال تعالى : « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ » أى بصدق الخبر عنهم « إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ

١٠ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا » أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم .

قال ابن هشام : والشطط : الغلوّ ومجاوزة الحق . قال أعشى بنى[1] قَيْس ابن ثعلبة .

لا يَنْتهون ولا يَنْهى ذَوِى شَطَط ... كالطَّعْن يذهبُ[2] فيه الزيتُ والفُتُلُ

١٥ وهذا البيت فى قصيدة له .

« هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ » .

قال ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

« فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا . وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللّٰهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ

٢٠ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ » .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزور . وقال امرؤ القيس بن حُجْر:

---

(١) كذا فى ا وفى سائر الأصول : « بن » .

(٢) فى ا : « يهلك » .

وإنى زَعيمٌ[1] إن رجعتُ مملَّكا بسَــيْرٍ ترى منه الفُرانِقَ أزْوَرا[2]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو الزّحف الكُليبى[3] يصف بلداً :

جَأْبُ[4] المُندَّى[5] عن هَوانا أزْوَرُ يُنْضِى المَطايا خِمْسُه العَشَنْزَرُ[6]

وهذان البيتان[7] فى أرجوزة له. و « تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمالِ » : تجاوزهم وتتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْن أقْواز مُشْرِف شمالاً وعن أيمانهن الفوارسُ[8]

وهذا البيت فى قصيدة له . والفَجْوة : السّعة ، وجمعها : الفِجاء . قال الشاعر :

أَلْبَسْت قومَك مَخْزاةً ومَنْقصةً حتى أُبيحوا وخَلَّوْا فَجْوةَ الدارِ

« ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ » أى فى الحجة على مَنْ عَرف ذلك مِنْ أُمورهم من أهل الكتاب ، مِمّن أَمَرَ هؤلاء بمسألتك عنهم فى صِدْق نبوّتك بتَحْقيق الخبر عنهم. « مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا . وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ » .

قال ابن هشام : الوصيد : الباب . قال العَبْسى ، واسمه عُبَيْد بنُ وَهْب :

بأرضٍ فلاةٍ لا يُسَدُّ وَصيدُها علىّ ومعْروفى بها غيرُ مُنْكَرِ

(1) فى لسان العرب (مادة فرنق) : « أذين » .
(2) الفرانق : الذى يسير بالكتب على رجليه ، والأزور : المائل .
(3) كذا فى ا واللسان (مادة عشنزر) ، وفى سائر الأصول : « الكلبي » .
(4) كذا فى الأصول. والجأب : الغليظ الجافى. وفى لسان العرب (مادة عشنزر): «جدب».
(5) المندى: مرعى الإبل إذا امتنعت عن شرب الماء .
(6) ينضى: يهزل . وخمسه : هو أن ترد الإبل الماء عن خمسة أيام. والعشنزر: الشديد الخلق.
(7) هذا على أنهما من مشطور الرجز .
(8) الظعن : الإبل التى عليها الهوادج . وأقواز : جمع قوز ، وهو المستدير من الرمل . ومشرف : موضع . والفوارس (هنا) : رمال بعينها . ويروى :

* إلى ظعن يقرضن أجواز . . . . الخ *

والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط .

وهذا البيت فى أبيات له والوصيد (أيضاً) : الفناء ، وجمعه : وصائد ، ووُصُد ، ووصدان ، وأُصُد ، وأصْدان .

« لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً » .

إلى قوله : « قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ » أهل السلطان والملك منهم : « لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً سَيَقُولُونَ » يعنى أحبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم : «ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ» أى لا علم لهم . « وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً » أى لا تكابرهم . « وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَداً » فإنهم لا علم لهم بهم . « وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ[1] اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا » أى ولا تقولنّ لشىء سألوك عنه كما قلت فى هذا : إنى مخبركم غداً . واستثن شيئة[2] الله واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يَهْدِيَنِ ربّى لخير مما سألتمونى عنه رشداً ، فإنك لا تدرى ما أنا صانع فى ذلك . « وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ[3] وَازْدَادُوا تِسْعاً » أى سيقولون ذلك . « قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) فى الكلام حذف وإضمار تقديره : ولا تقولن إنى فاعل ذلك غدا إلا ذاكرا إلا أن يشاء الله، أو ناطقاً بأن يشاء الله .

(٢) كذا فى ا و ر . والشيئة : مصدر شاء يشاء . وفى سائر الأصول : « مشيئة » .

(٣) كان القياس أن يقول « سنة » بدلا من : « سنين » . ولكن سنين هنا بدل مما قبله وليست مضافة . وفى العدول عن الإضافة إلى البدل حكمة عظيمة ، لأنه لو قال « سنة » لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناس . والناس فيهم طائفتان : طائفة عرفوا طول لبثهم ولم يعلموا مقدار السنين ، فعرفهم أنها ثلاث مئة ، وطائفة لم يعرفوا طول لبثهم ولا شيئاً من خبرهم ، فلما قال ثلاث مئة معرفا للأولين بالمدة التى شكوا فيها ، مبينا للآخرين أن هذه الثلاث مئة سنون وليست أياما ولا شهورا . فانتظم البيان للطائفتين من ذكر العدد ، وجمع المعدود وتبين أنه بدل ، إذ البدل يراد به تبيين ماقبله . (واجع الروض).

أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً »

أى لم يخف عليه شىء مما سألوك عنه .

ما أنزله الله تعالى فى خبر الرجل الطواف

وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطَّواف : « وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً . إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَأَتْبَعَ سَبَباً » حتى انتهى إلى آخر قصة خبره . ٥

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى مالم يُؤت أحدٌ غيره ، فمدّت له الأسبابُ حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يطأ أرضاً إلا سُلّط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شىء من الخَلْق .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه . ١٠

أنّ ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر . اسمه مَرْزُبان بن مَرْذبة اليونانى ، من ولد يونان بن يافث بن نوح .

قال ابن هشام: واسمه الأسكندر ، وهو الذى بنى الأسكندرية فنسبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدّثنى ثَوْر بن يزيد عن خالد بن مَعْدان الكَلاعىّ وكان رجلاً قد أدرك : ١٥

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم سُئِل عن ذى القَرْنين[1] فقال : مَلكٌ مَسَح الأرض من تحتها بالأسباب .

وقال خالد :

---

(١) عقد السهيلى عن ذى القرنين والخلاف فى اسمه فصلا طويلا رأينا أن نمسك عنه إذ الخلاف فيه كثير ولاطائل تحته . ٢٠

سمع عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه رجلاً يقول : يا ذا القرنين ؛ فقال عمر : اللهم غَفْراً ، أَمَا رضَيتم أن تَسمَّوْا بالأنبياء حتى تَسَميتم بالملائكة[1] .

قال ابن إسحاق :

الله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أم لا ، ٥ [فإن كان قاله][2] ، فالحق[3] ما قال .

ما أنزله الله تعالى فى أمر الروح

وقال تعالى فيما سألوه عنه من أَمْر الروح : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً » .

---

(١) قال السهيلى : « وكان مذهب عمر رحمه الله كراهية التسمى بأسماء الأنبياء ، فقد أنكر على المغيرة تكنيته بأبى عيسى ، وأنكر على صهيب تكنيته بأبى يحيى ، فأخبره كل واحد ١٠ منهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بذلك فسكت . وكان عمر إنما كره من ذلك الإكثار ، وأن يظن أن للمسلمين شرفا فى الاسم إذا سمى باسم نبى ، أو أنه ينفعه ذلك فى الآخرة ، فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرض أو نحوه . وهو أعلم بما كره من ذلك ، وإلا فقد سمى بمحمد طائفة من الصحابة منهم أبو بكر وعلى وطلحة ، وكان لطلحة عشرة من الولد كلهم يسمى باسم نبى ، منهم موسى بن طلحة ، وعيسى ، وإسحاق ، ويعقوب ، وإبراهيم ، ومحمد. ١٥ وكان للزبير عشرة كلهم يسمى باسم شهيد ، فقال له طلحة : أنا أسميهم بأسماء الأنبياء وأنت تسميهم بأسماء الشهداء ؟ فقال له الزبير : فإنى أطمع أن يكون بنى شهداء ولا تطمع أنت أن يكون بنوك أنبياء . وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه إبراهيم . والآثار فى هذا المعنى كثيرة . وفى السنن لأبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سموا بأسماء الأنبياء ، وهذا محمول على الإباحة لا على الوجوب . وأما التسمى بمحمد ، ففى مسند الحارث عن ٢٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم أحدهم بمحمد فقد جهل . وفى المعيطى عن مالك أنه سئل عمن اسمه محمد ويكنى أبا القاسم ، فلم ير به بأسا . فقيل له : أكنيت ابنك أبا القاسم واسمه محمد ؟ فقال : ما كنيته بها ، ولكن أهله يكنونه بها . ولم أسمع فى ذلك نهيا ولا أرى بذلك بأسا ، وهذا يدل على أن مالكا لم يبلغه أولم يصح عنده حديث النهى عن ذلك ، وقد رواه أهل الصحيح ، فالله أعلم . ولعله بلغه حديث عائشة ٢٥ أنه عليه السلام قال : ما الذى أحل اسمى وحرم كنيتى ؟ وهذا هو الناسخ لحديث النهى . والله أعلم . وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يتكنى بأبى القاسم ، كان اسمه محمدا أو لم يكن . وطائفة إنما يكرهونه لمن اسمه محمد . وفى المعيطى أيضا : أنه سئل عن التسمية بمهدى فكرهه وقال : وما علمه بأنه مهدى . وأباح التسمية بالهادى وقال : لأن الهادى هو الذى يهدى إلى الطريق . وقد قدمنا كراهية مالك بالتسمى بجبريل . وقد ذكر ابن إسحاق ٣٠ كراهية عمر للتسمى بأسماء الملائكة ، وكره مالك التسمى بياسين » .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) فى الأصول : « الحق » .

سؤال يهود المدينة للرسول صلى الله عليه وسلم عن المراد من قوله تعالى: «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» .

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن ابن عبّاس أنه قال :

لما قدم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ قالت أحبارُ يهود : يا محمد ، أرأيتَ قولَك : « وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً » إيانا تريد أم قومك ؟ قال : كُلاًّ ؛ قالوا : فإنَّك تتلو فيما جاءك : إنَّا قَدْ أُوتينا التَّوْراة فيها بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنها فى عِلْمِ الله قليل ، وعندكم فى ذلك ما يَكفيكم لو أقمْتمُوه . قال . فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك : « وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » أى أن التوراة فى هذا من علم الله قليل .

ما أنزله الله تعالى بشأن طلبهم تسيير الجبال

قال : وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومُه لأنفسهم من تَسْيير الجبال ، وتَقْطيع الأرض و بَعْث مَنْ مَضَى من آبائهم من الموتى : « وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً » أى لا أصنع من ذلك إلا ما شئت .

ما أنزله الله تعالى ردا على قولهم للرسول صلى الله عليه وسلم : خذ لنفسك

وأنزل عليه فى قولهم : خُذْ لنفسك ، ما سألوه أن يأخذَ لنفسه ، أن يجعل له جِناناً وقُصوراً وكُنوزاً ، ويبعَث معه ملَكاً يصدّقه بما يقول ، ويردّ عنه : « وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُورًا انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ » أى من أنْ تمشى فى الأسواق وتلتمس المَعاش « جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا »

وأنزل عليه فى ذلك من قولهم : « وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ

إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا » أى جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ، ولو شئتُ أن أجعل الدنيا مع رُسلى فلا يُخالفوا لفعلت .

ماأنزله تعالى رداً على قول ابن أبى أمية

وأنزل الله عليه فيما قال عبدُ الله بن أبى أُمَيَّة : « وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ

٥ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً » .

١٠ قال ابن هشام : اليَنبوع : مانبع من الماء من الأرض وغيرها ، وجمعه : ينابيع . قال ابن هَرْمة ، واسمه إبراهيم بن على[١] الفهرى[٢] .

وإذا هرقتَ بكلِّ دارٍ[٣] عَبرةً نُزِف الشئونُ ودَمْعُك اليَنبوعُ[٤]

وهذا البيت فى قصيدة له . والكِسَف : القِطَع من العذاب ، وواحدته . كِسْفة ، مثل سِدْرة وسدر . وهى أيضاً : واحدة الكِسْف . والقَبيل : يكون مقابلة

١٥ ومعاينة ، وهو كقوله تعالى : « أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً » أى عَيانا .

وأنشدنى أبو عُبيدة لأعشى بنى قَيْس بن ثعلبة :

أُصالحكم حــتّى تَبوءوا بِمثْلها كصَرْخةِ حُبْلى يَسَّرتها قَبيلُها

---

(١) كذا فى الروض والأغانى . وفى الأصول : « إبراهيم بن عبد الله » .

(٢) كذا فى الأصول . وابن هرمة خلجى ، قال ابن قتيبة فى الطبقات : «هو من الخلج

٢٠ من قيس عيلان ؛ ويقال إنهم من قريش » . وفى الأغانى : أن نسبه ينتهى إلى قيس ابن الحارث . وقيس هم الخلج ، وكانوا فى عدوان ، ثم انتقلوا إلى بنى نصر بن معاوية بن بكر فلما استخلف عمر أتوه ليفرض لهم فأنكر نسبهم ، فلما تولى عثمان أثبتهم فى بنى الحارث ابن فهر ، وجعل لهم ديوانا فسموا الخلج ، لأنهم اختلجوا عما كانوا عليه من عدوان ، وقيل لأنهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء ونسبوا إليه .

٢٥ (٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « واد » .

(٤) الشئون : مجارى الدمع . ونزف : ذهب .

يعنى القابلة ، لأنها تُقابلها وتَقبل ولدها . وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال : القَبيل : جمعه قُبُل ، وهى الجماعات ، وفى كتاب الله تعالى : « وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً » فقُبل : جمع قَبيل ، مثل سُبل جمع سَبيل ، وسُرُر جمع سَرير ، وقُمُص جمع قَميص . والقَبيل (أيضاً) : فى مَثَل من الأمثال ، وهو قولهم : ما يعرف قَبيلاً من دَبِير . أى لا يعرف ما أقبل ممّا أدبر قال ٥ الكُميت بن زيد :

تفرّقت الأمورُ بوَجْهَتَيْهم فما عرَفوا ٱلدَّبير من القَبيلِ

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إنما أريد بهذا [القَبيل][1] : الفَتل ، فما فُتِل إلى الذراع فهو القَبيل ، وما فُتل إلى أطراف الأصابع فهو ٱلدَّبير ، وهو من الإقبال والإدبار الذى ذكرت . ويقال : فَتْلُ ٱلْمُغْزَل . فإذا فُتل [المغزل][1] ١٠ إلى الركبة فهو القَبيل ، وإذا فُتل إلى الوَرِك فهو ٱلدَّبير . والقَبيل (أيضاً) : قومُ الرجل . والزخرف : الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب . قال العجاج :

مِنْ طَلَل أمْسى تخال المُصْحَفا رُسومَه والمُذْهَب المُزَخرَفا[2]

وهذان البيتان[3] فى أرجوزة له ، ويقال أيضاً لكل مُزَيَّن : مُزَخرف .

ما أنزله الله تعالى رداً على قولهم: إنما يعلمك رجل باليمامة

قال ابن إسحاق : ١٥

وأنزل عليه فى قولهم : إنّا قد بلَغنا أنك إنما يُعلِّمك رجل باليمامة ، يقال له الرحمن[4] ، ولن نؤمن به أبداً : « كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِى أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ » .

---

(١) زيادة عن ا . ٢٠

(٢) هذا على أنه من مشطور الرجز . وإلا فهو بيت واحد .

(٣) هذا على أنهما من مشطور الرجز .

(٤) كان مسيلمة بن حبيب الحنفى ثم أحد بنى الدول قد تسمى بالرحمن فى الجاهلية ، وكان من المعمرين . ذكر وثيمة بن موسى أن مسيلمة تسمى بالرحمن قبل أن يولد عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم . (راجع الروض الأنف) . ٢٥

ما أنزله تعالى فى أبى جهل وما هم به

وأنزل عليه فيما قال أبو جَهْل بن هشام ، وما همّ به : « أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ » .

قال ابن هشام : لنسفعاً : لنجذبنّ ولنأخذن . قال الشاعر :

قومٌ إذا سَمِعوا الصُّراخ رأيتَهم من بين مُلْجِم مُهْرِه أو سافِع[1]

والنادى . المجلس الذى يجتمع فيه القومُ ويقضون[2] فيه أمورَهم ، وفى كتاب الله تعالى : « وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ » وهو النديّ . [قال[3] عَبيد بن الأبرص:

أُذهب إليك فإنى من بنى أسد أهل النديّ وأهل الجود والنادِى][4]

وفى كتاب الله تعالى : « وَأَحْسَنُ نَدِيًّا » . وجمعه : أَنْدية . فليدع أهلَ ناديه . كما قال تعالى : « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ » يريد أهل القرية . قال سلامة بن جَنْدل ، أحدُ بنى سَعْد بن زيد مناة بن تميم :

يَوْمان يومُ مَقامات وأنديةٍ ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداء تَأْويبِ[5]

وهذا البيت فى قَصيدة له . وقال الكُميت بن زَيْد :

لا مَهاذير فى النـدىّ مَكاثيـر ولا مُصْمِتين بالإفحامِ[6]

---

(١) الصراخ : الاستغاثة . والسافع : الآخذ بالناصية .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ويقصون » بالصاد المهملة .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) ويروى :

* أهل القباب وأهل الجرد والنادى *

(٥) التأويب : سير النهار كله .

(٦) المهاذير : جمع مهذار ، وهو الكثير الكلام من غير فائدة . وأصمت: تستعمل لازمة ومتعدية . والإفحام : انقطاع الرجل عن الكلام ، إما عيا وإما غلبة .

وهذا البيت فى قصيدة له . ويقال النادى: الجلساء . والزبانية : الغلاظ الشداد ، وهم فى هذا الموضع : خَزَنة النار . والزبانية (أيضاً) فى الدنيا : أعوانُ الرجل الذين يخدمونه ويُعينونه ، والواحد : زِبْنِية . قال ابن الزِّبَعْرَى فى ذلك :

مَطاعيم فى المَقْرَى مَطاعينُ فى الوَغَى زبانيةٌ غُلْبٌ عِظامٌ حُلومُها[1]

يقول : شداد . وهذا البيت فى أبيات له . وقال صَخْر بن عَبْد الله الهُذَلىّ ، وهو صَخْر الغَىّ : ٥

* ومِنْ كَبير[2] نَفَرٌ زبانِيَه[3] *

وهذا البيت فى أبيات له .

قال ابن إسحاق :

ماأنزله تعالى فيما عرضوه عليه ، عليه الصلاة والسلام من أموالهم

وأُنزل اللهُ تعالى عليه فيما عَرَضوا [عليه][4] من أموالهم : « قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ » . ١٠

استكبار قريش عن أن يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم

فلما جاءهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بما عَرفوا من الحق ، وعَرفوا صِدْقه فيما حدّث ، ومَوْقع نُبوّته فيما جاءهم به من علم الغُيوب حين سألوه عمّا سألوا عنه، حال الحسدُ منهم له بينهم وبين اتّباعه وتَصْديقه ، فعَتَوْا على الله وتَركوا أمرَه ١٥

---

(١) المقرى : من القرى ، وهو الطعام الذى يصنع للضيف . والوغى : الحرب . الغلب : الغلاظ الشداد .

(٢) كذا فى أكثر الأصول والروض وشرح السيرة . وكبير : حى من هذيل ، وهو كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل . وفى أسد أيضاً : كبير بن غنم بن دودان بن أسد ، ومن ذريته بنو جحش بن رياب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير . ولعل الراجز أراد هؤلاء فإنهم أشهر . وبنو كبير أيضاً : بطن من بنى غامد ، وهم من الأزد . وفى ا : « كثير » . ٢٠

(٣) وبعده : لوأن أصحابى بنو معاويه ماتركونى للذئاب العاديه

* ولاالبرذون أغر الناصيه *

(٤) زيادة عن ا . ٢٥

عياناً ، ولجّوا فيما هم عليه من الكُفر ، فقال قائلهم : لا تَسْمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه لعلكم تَغْلبون ، أى اجعلوه لغوًا و باطلاً ، واتخذوه هُزوًا لعلكم تغلبونه بذلك ، فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه يومًا غَلَبكم .

تهكم أبي جهل بالرسول صلى الله عليه وسلم وتنفير الناس عنه

فقال أبو جهل يومًا وهو يهزأ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وما جاء به من الحق : يا معشر قريش ، يزعُم محمدٌ أنما جنودُ الله الذين يعذّبونكم فى النار ويَحْبسونكم فيها تسعةَ عشرَ، وأنتم أكثر الناس عددًا ، وكَثْرةً، أفَيعجِزُ[1] كلُّ مئة رجلٍ منكم عن رجل منهم ! فأنزل اللهُ تعالى عليه فى ذلك من قوله : « وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا » إلى آخر القصة فلما قال ذلك بعضُهم لبعض ، جعلوا إذا جَهر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالقرآن وهو يصلّى يتفرّقون عنه و يأبون أن يَسْتمعوا له ، فكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يَستمع من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بعضَ ما يتلو من القرآن وهو يُصلّى، استرق[2] السمعَ دونهم فَرَقًا منهم ، فإن رأى أنهم قد عَرفوا أنه يَسْتمع منه ذهب خَشْيةَ أذاهم فلم يستمع ، و إن خَفَض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم صوتَه ، فظنّ الذى يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته ، وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يَسْتمع منه .

سبب نزول آية : « ولا تجهر ... الخ »

قال ابن اسحاق حدّثنى داود بن الحُصين ، مولى عمرو بن عثمان ، أنّ عِكْرمة مولى ابن عبّاس حدّثهم أن عبد الله بن عبّاس رضى الله عنهما حدّثهم : إنما أنزلت هذه الآية : « وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً » من أجل أولئك النَّفر . يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفرّقوا عنك ، ولا تُخافت بها فلا يَسْمعها مَنْ يُحبّ أن يَسْمعها ممن يَسْترق ذلك دونهم لعلّه يَرْعَوِىَ إلى بعض ما يسمع فينتفع به .

---

(1) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فيعجز » .

(2) فى ا : « أتى سرا واستمع دونهم . . . الخ » .

أول من جهر بالقرآن

عبد الله ابن مسعود وما ناله من قريش فى سبيل جهره بالقرآن

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يحيى بن عُرْوة بن الزّبيرى عن أبيه قال :

كان أوّل مَنْ جَهر بالقرآن بعد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة عبدُ الله ابن مَسْعود رضى الله عنه، قال: اجتمع يومًا أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا : والله ما سمعتْ قريشٌ هذا القرآنَ يُجْهر لها به قطُّ ، فَمَنْ رجُل يُسْمِعهموه؟ فقال عبد الله بن مَسْعود[1] : أنا ؛ قالوا : إنا نَخشاهم عليك ، إنّما نريد رجلاً له عشيرةٌ يَمْنعونه من القوم إن أرادوه ؛ قال : دَعُونِى فإن الله سَيَمْنعنى . قال : فغدا ابنُ مَسْعود حتى أتى المَقام فى الضُّحى ، وقريشٌ فى أَنْديتها ، حتى قام عند المَقام ثم قرأ[2] : « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ » رافعًا بها صوته « الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ » قال ثم استقبلها يقرؤها . قال : فتأمّلوه فجعلوا يقولون : ما ذا قال ابنُ أمّ عبدٍ ؟ قال ثم قالوا : إنه لَيَتْلو بعضَ ما جاء به محمدٌ فقاموا إليه فجعلوا يَضْربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء اللهُ أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثّروا فى وجهه[3] ، فقالوا له : هذا الذى خَشينا عليك ؛ فقال : ما كان أعداءُ الله أهونَ علىّ منهم الآن ، ولئن شئْتم لأغادينّهمْ بمثلها غدًا ؛ قالوا : لا ، حسبُك ، قد أسمعتَهم ما يكرهون .

---

(١) هو عبد الله بن مسعود بن عمرو بن عمير ، عم جبير بن أبى جبير ، أخو أبى عبيد ابن مسعود الثقفى ، استشهد مع أخيه فى الجسر .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فقال » .

(٣) فى أ : « بوجهه » .

قصة استماع قريش إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

أبو سفيان وأبو جهل والأخنس وحديث استماعهم للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: وحدّثني محمد بن مُسْلم بن شِهاب الزّهرِيّ أنه حُدّث: أن أبا سفيان بن حَرْب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شَرِيق ابن عمرو بن وَهْب الثقفيّ، حليف بني زُهْرة، خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يصلّى من الليل في بيته، فأخذ كلُّ رجلٍ منهم مجلساً يستمع فيه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا. فجمعهم الطريقُ، فتلاوموا، وقال بعضُهم لبعض: لا تعُودوا، فلو رآكم بعضُ سُفهائكم لأوْقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كلُّ رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا، فجمعهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعض مثلَ ما قالوا أوّلَ مرّة، ثم انصرفوا. حتى إذا كانت الليلةُ الثالثة أخذ كُلُّ رجل منهم مجلسَه، فباتوا يَسْتمعون له، حتى إذا طلع الفجرُ تفرّقوا، فجمعهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعض: لا نبرحُ حتى نتعاهدَ ألاّ نعود؛ فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا.

ذهاب الأخنس إلى أبي سفيان يسأله عن معنى ماسمع

فلما أصبح الأخنسُ بن شَريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني ياأبا حَنْظلة عن رَأْيك فيما سمعتَ من محمد؟ فقال: ياأبا ثعْلبة، والله لقد سمعتُ أشياء أعْرفها وأعرف مايُراد بها، وسمعتُ أشياء ماعرفتُ معناها، ولا ما يُراد بها؛ قال الأخنسُ: وأنا والذي حلفتَ به [كذلك][1].

ذهاب الأخنس إلى أبي جهل يسأله عن معنى ماسمع

قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جَهْل فدخل عليه بيتَه فقال: يا أبا الحَكم، ما رأيُك فيما سمعتَ من محمّد؟ فقال: ماذا سمعتُ! تنازعْنا نحنُ و بنو عبد مناف الشرفَ، أطعَموا فأطْعمنا، وحَمَلوا فحَمَلْنا، وأعطَوْا فأعْطَينا، حتى

(١) زيادة عن ا.

إذا تجاذينا[1] على الرُّكَب ، وكُنَّا كفرَسَىْ رِهان ، قالوا : منَّا نبيٌّ يأتيه الوحىُ من السماء ؛ فمتى نُدْرِكُ مثلَ هذه ! والله لاَ نُؤْمن به أبدًا ولا نصدّقه .

قال : فقامَ عنه الأخنسُ وتَركه .

تعنت قريش فى عدم استماعهم للرسول صلى الله عليه وسلم وما أنزله تعالى

قال ابن إسحاق :

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إذا تلا عليهم القرآنَ ، ودعاهم إلى الله قالوا يهزءون به : قلوبُنا فى أكِنّة ، [ممـا تدعونا إليه][2] لا نفقه ما تقول ، وفى آذاننا وَقْر ، لا نسمع ما تقول ، ومن بيننا وبينك حِجابٌ ، قد حال بيننا وبينك ، فاعمل بمـا أنت عليه ، إننا عاملون بمـا نحن عليه ، إنّا لا نفقه عنك شيئاً . فأنزل الله تعالى [عليه][2] فى ذلك من قولهم : « وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُورًا[3] » إلى قوله : « وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا » أى كيف فَهِمُوا توحيدَك ربَّك إن كنتُ جعلتُ على قلوبهم أكِنَّةً وفى آذانهم وقرًا ، وبينك وبينهم حجابًا بزعْمهم ؛ أى أنى لم أفعل ذلك . « نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا » : أى ذلك ما تواصَوْا به من تَرْك ما بعثتُك به إليهم . « انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً » : أى أخطئوا المثل الذى ضَرَبوا [لك][2] ، فلا يُصيبون به هُدًى ، ولا يَعتدل لهم فيه قول « وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً » : أى قد جئتَ تُخْبرنا أنَّا سنُبعث بعد موتنا إذا كنّا عِظامًا ورُفاتاً ، وذلك مالا يكون . « قُلْ كُونُوا

---

(1) كذا فى ٢ . وتجاذى : أقعى . وربمـا جعلوا الجاذى والجاثى سواء . وفى سائر الأصول : « تحاذينا » . بالحاء المهملة وهو تصحيف .

(2) زيادة عن ا .

(3) مستورا : ساترا .

حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ » : أى الذى خلقكم مما تعرفون ، فليس خَلْقكم من تراب بأعزّ من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق حدّثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مُجاهد عن ابن عبّاس

٥ رضى الله عنهما قال :

سألته عن قول الله تعالى : « أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ » ما الذى أراد اللهُ به ؟ فقال : الموت .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين

ممن أسلم بالأذى والفتنة

قسوة قريش على من أسلم

١٠ قال ابن إسحاق :

ثم إنهم عَدَوْا على مَنْ أَسْلم، واتّبع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم من أصحابه، فوثبتْ كلُّ قبيلةٍ على مَنْ فيها من المُسْلمين، فجعلوا يَحْبِسونهم ويعذّبونهم بالضرب والجُوع والعَطَش ، وبرَمْضاء مكة إذا اشتدّ الحر، مَن استضعفوا منهم ، يَفْتنونهم عن دينِهم ، فمنهم من يُفْتَن من شدّةِ البلاء الذى يُصيبه ، ومنهم من يَصْلُب

١٥ لهم ، ويَعْصمه الله منهم .

ما كان يلقاه بلال بعد إسلامه وما فعله أبو بكر فى تخليصه

وكان بلالُ ، مَوْلى أبى بَكْر رضى الله عنهما ، لبعض بنى جُمَح ، مُوَلَّدا من مولّديهم ، وهو بلالُ بن رباح ، وكان اسْمُ أُمّه حَمامة ، وكان صادقَ الإسلام ، طاهرَ القَلْب ، وكان أُمَيّة بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح يُخرِجه إذا حميت الظَّهيرةُ ، فيطرحه على ظهره فى بَطْحاء مكّة ، ثم يأمر بالصّخرة العظيمة

فتُوضع على صَدْره ، ثم يقول له : [لا والله](1) لا تزال هكذا حتى تموتَ ، أوْ تكفر بمحمّد ، وتعبُد اللاتَ والعزّى ؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحَدٌ أحَد .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى هشام بن عروة عن أبيه قال :

كان وَرَقة بن نَوفل يمرّ به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول : أحَد أحد ؛ فيقول : أحَدٌ أحَد والله يا بلال ! ثم يُقْبل على أمَيَّة بن خَلف ، ومن يَصْنع ذلك به من بنى جُمح ، فيقول : أحلفُ بالله لئن قتلتموه على هذا لأ تخذنّه حَنانا(2) ، حتى مرّ به أبو بَكْر الصدّيق [بن أبي قُحافة](1) رضى الله عنه يومًا ، وهُمْ يَصْنعون ذلك به ، وكانت دارُ أبى بكر فى بنى جُمَح ، فقال لأمية بن خَلف: ألا تتّقى الله فى هذا المِسْكين ؟ حتى متى ! قال : أنت الذى أفسدته فأنقذْه مما ترى ؛ فقال أبو بكر: أفعلُ ، عندى غلام أسودُ أجْلَدُ منه وأقوى ، على دِينك ، أعْطِيكه به ؛ قال : قد قبلتُ ؛ فقال: هو لك . فأعطاه أبو بكر الصديقُ رضى الله عنه غلامَه ذلك ، وأخذه فأعتقه .

من أعتقهم أبو بكر مع بلال

ثم أعْتق معه على الإسلام قبلَ أن يهاجر إلى المدينة ستَّ رقاب ، بلالٌ سابعُهم : عامر بن فُهيرة ، شَهِد بدرًا وأُحُدًا ، وقُتِل يوم بئر مَعو نة شهيدًا ، وأم عُبيس(3) وزِنِّيرة(4) ، وأصيب بصرُها حين أعتقها ، فقالت قريشُ : ما أذهب بصرَها إلا اللاتُ والعزّى ؛ فقالت : كَذَبُوا و بيتِ الله ، ما تضرُّ اللاتُ والعزّى وما تَنفعان ، فردّ اللهُ بصرَها .

---

(1) زيادة عن ا .

(2) أى لأجعلن قبره موضع حنان : أى عطف ورحمة فأتمسح به متبركا ، كما يتمسح بقبور الصالحين والشهداء .

(3) قال الزرقانى : « وهى بعين مهملة مضمومة فنون ، وقيل بموحدة ، فتحتية فسين مهملة » .

(4) هى بزاى مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة . وبعضهم يقول فيها : زنبرة ، بفتح الزاى وسكون النون وباء بعدها راء . ولا تعرف زنبرة فى النساء . وأما فى الرجال فزنبرة ابن زبير بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل ، وابنه خالد بن زنبرة . (راجع الروض الأنف) .

وأعتق النَّهدية و بنتَها ، وكانتا لامرأة من بنى عَبْد الدار ، فمرّ بهما ، وقد بعثتهما سيّدتُهما بطَحين لها ، وهى تقول : والله لا أُعْتقكما أبدًا !
فقال أبو بكر رضى الله عنه : حِلٌّ[1] يا أمّ فلان ؛ فقالت : حِلٌّ، أنت أفسدتَهما فأَعْتِقهما ؛ قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا ؛ قال : قد أخذتُهما
٥ وهما حُرّتان ، أَرْجعا إليها طَحِينها ، قالتا : أوَ نفْرُغ منه يا أبا بكر ثم نردّه إليها ؟ قال : وذلك إن شِئْتما .

ومرّ بجارية بنى مُؤَمّل ، حيّ من بنى عدىّ بن كعب ، وكانت مُسلمةً ، وعمرُ بن الخطّاب يُعذّبها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشركٌ وهو يضربها ، حتى إذا ملّ قال : إنى أعتذر إليك : إنى لم أتركْك إلا ملالةً ؛ فتقول : كذلك
١٠ فَعل اللهُ بك . فابتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن عبد الله بن أبى عَتيق عن عامر[3] ابن عبد الله بن الزُّبير ، عن بعض أهله قال :

لام أبو قحافة ابنه لعتقه من أعتق فرد عليه

قال أبو قُحافة لأبى بكر : يا بنىّ ، إنى أراك تُعْتِق رِقابًا ضِعافًا ، فلو أنك إذ فعلتَ ما فعلت أعتقتَ رجالاً جُلْدًا يمنعونك ويقومون دونَك ؟
١٥ قال : فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبتِ ، إنى إنما أُريد ما أُريد[2] ، لله [عزّ وجلّ][4] . قال فيُتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآياتُ إلا فيه ، وفيما قال له أبوه : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وصَدَّقَ بِالْحُسْنَى » إلى قوله تعالى : « وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .

---

٢٠ (١) حل : يريد : تحللى من يمينك واستثنى فيها ، وأكثر ماتقوله العرب بالنصب .
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ما أريد يعنى لله » . ولا معنى لهذه الزيادة.
(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أبى عامر » . وهو تحريف : (راجع تهذيب التهذيب) .
(٤) زيادة عن ا .

تعذيب قريش لابن ياسر وتصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم له

قال ابن إسحاق :

وكانت بنو مَخْزُومٍ يَخْرجون بعمّار[1] بن ياسر وبأبيه وأمه[2] ، وكانوا أهلَ بيت إسلام ، إذا حَمِيتْ الظهيرةُ ، يعذّبونهم برَمْضاء[3] مكة ، فيمرّ بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيقول ، فيما بلغنى : صبرًا آلَ ياسر ، موعدُكم الجنّة . فأمّا أمُّه فقتلوها ، وهى تأبى إلا الإسلام .

ما كان يعذب به أبو جهل من أسلم

وكان أبو جهل الفاسق الذى يُغْرِى بهم فى رجال من قريش ، إذا سَمِع بالرجل قد أسلم ، له شَرَف ومَنَعة ، أنّبه وأخْزاه[4] وقال تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ منك ! لنُسَفهَنّ حِلْمَك ، ولنُفَيِّلَنّ[5] رَأْيَك ، ولنضعنّ شرفَك ؛ وإن كان تاجرًا قال : والله لنكسّدنّ تجارتَك ، ولنُهلكنّ مالَك ؛ وإن كان ضعيفاً ضَربه وأغرى به .

سئل ابن عباس عن عذر من متنع عن الإسلام بسبب تعذيبه فأجاز

قال ابن إسحاق : وحدّثنى حَكيم بن جُبير عن سَعيد بن جُبير ، قال : قلت لعبد الله بن عبّاس : أكان المشركون يَبْلغون منْ أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من العذاب ما يُعذَرون به فى تَرْك دينهم ؟ قال : نعم والله ،

---

(١) روى أن عمارا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ ؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : صبرا أبا اليقظان ، ثم قال : اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار . وعمار والحويرث وعبود بنو ياسر . ومن ولد عمار عبد الله بن سعد ، وهو المقتول بالأندلس ، قتله عبد الرحمن بن معاوية .

(٢) واسمها سمية : وهى بنت خياط ، كانت مولاة لأبي حذيفة بن المغيرة ، واسمه مهشم ، وهو عم أبي جهل ، وقد غلط ابن قتيبة فيها ، فزعم أن الأزرق مولى الحارث بن كلدة خلف عليها بعد ياسر ، فولدت له سلمة بن الأزرق ، والصحيح أن أم سلمة بن الأزرق سمية أخرى ، وهى أم زياد بن أبي سفيان لا أم عمار .

(٣) الرمضاء : الرمل الحارة من شدة حرارة الشمس .

(٤) فى الأصول : « خذاه » . ويروى : «أخذاه» : أى ذلله .

(٥) لنفيلن رأيك : أى لنقبحنه ونخطئنه .

إن كانوا ليَضْربون أحدَهم ويجُيعونه ويُعطّشونه حتى ما يقدر أن يستوىَ[1] جالساً من شدّة الضُّرّ الذى نزل به، حتى يُعْطيهم ماسألوه من الفِتْنة، حتى يقولوا له: أللات والعزّى إلهُك من دون الله؟ فيقول: نعم، حتى إنّ الجُعَل ليمُرّ بهم، فيقولون له: أهذا الجعل إلهُك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتداءً منهم ٥ ممّا يبلغون من جَهْده.

رفض هشام تسليم أخيه لقريش ليقتلوه على إسلامه وشعره فى ذلك

قال ابن إسحاق: وحدّثنى الزبيرُ بن عُكاشة بن عبد الله بن أبى أحمد أنه حُدِّث.

أن رجالاً من بنى مَخزوم مَشَوْا إلى هشام بن الوليد، حين أسْلم أخوه الوليدُ ابن الوليد [بن المُغيرة][2]، وكانوا قد أجْمعوا على أن يأخذوا فتيةً منهم كانوا ١٠ قد أسلَمُوا، منهم سلمةُ بن هشام، وعيّاش بن أبى رَبيعة. قال: فقالوا له: وخشُوا شرّهم، إنا قد أردنا أن نُعاتب هؤلاء الفِتْية على هذا الدين الذى أحدثوا، فإنّا نأمن بذلك فى غيرهم[3]. قال: هذا، فعليكم به، فعاتبوه وإياكم ونفسَه، وأنشأ يقول:

ألا لا يُقتلَنّ أخى عُيَيس[4] ... فيبقى بيننا أبدًا تَلاحِى

١٥ احذروا على نفسه، فأُقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلنّ أشرفَكم رجلاً. قال: فقالُوا: اللهم العنه، من يغُرّر بهذا الحديث[5]، فوالله لو أصيب فى أيدينا لقُتل أشرفنا رجلاً. [قال][1]، فتركوه ونَزَعُوا عنه. قال: وكان ذلك ممّا دفع الله به عنهم.

---

(١) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: لا «وأن يستوى» ولامعنى له.
(٢) زيادة عن ا.
٢٠ (٣) عبارة ر هكذا: فإنا لا نأمن بذلك فى غيره.
(٤) كذا فى ا. وفى سائر الأصول: «عيش».
(٥) كذا فى ا. يريد أى من يلطخ نفسه به ويؤذيها. وفى سائر الأصول: «يغرر بهذا الخبيث».

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

إشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالهجرة

قال ابن إسحاق[1] :

فلما رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما يُصيب أصحابَه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن[2] عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يَمْنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحَبَشة ، فإنّ بها مَلِكًا لا يُظلَم عنده أَحد ، وهى أرض صِدْق ، حتى يجعلَ الله لكم فرجًا مما أنتم فيه . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أرض الحبشة ، مخافةَ الفتنة ، وفرارًا إلى الله بدينهم ، فكانت أوّلَ هجرة كانت فى الإسلام .

من هاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة

وكان أولَ من خرج من المسلمين من بنى أُميّةَ بنِ عَبْد شَمْس بن عَبْد مَناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَىّ بن غالب بن فِهر : عثمانُ ابن عفّان بن أبى العاص بن أُمية ، معه امرأتُه رُقيّة بنتُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . ومن بَنى عبد شَمْس بن عبد مناف : أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبيعة ابن عَبْد شَمْس ، معه امرأتُه : سَهْلة بنت سُهَيل بن عمرو ، أحد بنى عامر ابن لُؤَىّ ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حُذَيفة . ومن بَنى أَسَد بن عبد العُزّى بن قصىّ : الزُّبير بن العوّام بن خُوَيلد بن أَسَد . ومن بَنِى عبد الدار ابن قُصَىّ : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عبدُ الرحمن بن عَوف بن عبد عَوْف بنَ عَبْد [بن][3]

---

(1) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك ابن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال . . . » .

(2) كذا فى . وفى سائر الأصول : « وابن عمه » وهو تحريف .

(3) زيادة عن ا .

الحارث بن زُهرة . ومن بنى مَخزوم بن يَقَظة بن مُرّة : أبو سَلَمَة بن عبد الأسد ابن[1] هِلال بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم ، معه امرأته أمُّ سَلَمَة بنت أبى أُمية ابن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزُوم ومن بنى جُمَح بن عمرو[2] بن هُصيص ابن كعب : عثمان بن مَظْعون بن حَبِيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ومن

٥ بنى عدىّ بن كعب : عامرُ بن رَبيعة ، حليف آل الخطّاب ، من عَنْز بن وائل ـ [قال ابن هشام ويقال: من عنزة بن أسد بن ربيعة][3] ـ معه امرأته لَيلى بنت أبى حَثْمة [بن حذافة][3] بن غانم [بن عامر][3] بن عبد الله بن عوف بن عبيد ابن عويج بن عدىّ بن كعب . ومن بنى عامر بن لؤى : أبو سَبْرة بن أبى رُهْم ابن عبد العُزّى بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛

١٠ ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عَبْد شَمْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك ابن حِسْل بن عامر [بن لؤىّ][3] ؛ ويقال هو أول من قدمها ومن بنى الحارث بن فِهْر : سُهَيل بن بَيْضَاء ، وهو سُهَيل بن وَهْب بن رَبيعة بن هِلال ابن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث . فكان هؤلاء العشرة أولَ من خَرَجَ من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغنى .

١٥ قال ابن هشام : وكان عليهم عثمانُ بن مَظْعون ، فيما ذَكر لى بعضُ أهل العلم .

قال ابن إسحاق :

ثم خرج جعفر بنُ أبى طالب رضى الله عنه ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم مَنْ خرج بأهله معه ، ومنهم مَنْ خرج بنفسه

٢٠ لا أهلَ له معه .

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وابن هلال » . وهو تحريف .
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « عمر » وهو تحريف .
(٣) زيادة عن ا .

من خرج إلى أرض الحبشة من بنى هاشم

[و][1] من بنى هاشم بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مرّة بن كعب ابن لُؤَىّ بن غالب بن فِهْر : جَعفرُ بن أبى طالب بن عَبْد المُطّلب بن هاشم ، معه امرأتُه أسماء بنت عُمَيس بن النُّعمان بن كَعْب بن مالك بن قُحافة بن خَثْعم ، ولدت له بأرض الحبشة عبدَ الله بن جَعْفر ، رجل .

من خرج إلى أرض الحبشة من بنى أمية

ومن بنى أُمَيّة بن عبد شَمْس بن عبد مناف : عثمانُ بن عفّان بن أبى العاص ٥ ابن أُمية بن عَبْد شَمْس ، معه امرأتُه رُقيّةُ ابنةُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وعمرو بن سعيد بن العاص بن أُمية ، معه امرأتُه فاطمةُ بنت صَفْوان بن أُمية ابن مُحرِّث [بن جُمْل][1] بن شقّ بن رَقَبة بن مُخْدج الكنانى ، وأخوه خالد ابن سَعيد بن العاص بن أمية : معه امرأته أُمينة بنت خلف بن أسْعد بن عامر ابن بياضة بن سبيع بن جُعْثمه[2] بن سَعد بن مُلَيح بن عَمْرو ، من خزاعة . ١٠

قال ابن هشام : ويقال هُمَينة بنت خلف

قال ابن إسحاق :

ولدت له بأرض الحبشة سَعيدَ بن خالد ، وأَمَةَ بنت خالد ، فتزوج أمةَ بعد ذلك الزبيرُ بن العوّام ، فولدت له عمرو بنَ الزبير ، وخالد بن الزبير .

من هاجر إلى الحبشة من بنى أسد

ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خزيمة : عبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب ١٥ ابن يَعْمر بن صَبِرة بن مُرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أَسَد ؛ وأخوه عُبيد الله ابن جَحْش ، معه امرأتُه أم حَبِيبة بنتُ أبى سفيان بن حَرْب بن أمية ؛ وقيسُ ابن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خُزَيمة ، معه امرأتُه بَرَكة بنت يَسار ، مولاة أبى سُفيان بن حَرْب بن أمية ؛ ومُعَيْقيب بن أبى فاطمة . وهؤلاء آلُ سَعيد بن العاص، سبعة نفر . ٢٠

قال ابن هشام : مُعيقيب من دوس

(١) زيادة عن ا .

(٢) فى الأصول : « خثعمة » . وقد تقدم الكلام على ذلك .

قال ابن إسحاق :

من رحل إلى الحبشة من بنى عبد شمس

ومن بنى عَبْد شمس بن عَبْد مناف ، أبو حُذيفة بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس ؛ وأبو موسى الأشعرىّ ، واسمُه عبدُ الله بن قَيْس ، حليف آل عتبة ابن ربيعة ، رجلان .

من رحل إلى الحبشة من بنى نوفل

ومن بنى نَوْفل بن عَبْد مناف : عتبةُ بن غَزْوان بن جابر بن وهْب ابن نَسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن مَنْصور بن عِكْرمة بن خَصَفة ابن قَيْس بن عَيْلان ، حليف لهم، رجل .

من رحل إلى الحبشة من بنى أسد

ومن بنى أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : الزبيرُ بن العوّام بن خُوَيلد ابن أسد ، والأسودُ بن نَوْفل بن خُوَيلد بن أسَد ، ويزيد بن زَمعة بن الأسود ابن المُطّلب بن أسَد . وعمرو بن أُمية بن الحارث بن أسَد ، أربعة نفر .

من رحل إلى الحبشة من بنى عبد بن قصى

ومن بنى عَبْد بن قُصَىّ طُليب بن عُمير بن وَهْب بن أبى كبير[1] بن عبد [ابن قُصَىّ][2] ، رجل .

من رحل إلى الحبشة من بنى عبد الدار بن قصى

ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف ابن عَبْد الدار ؛ وسُوَيبط[3] بن سَعْد بن حَرْملة بن مالك بن عُميلة بن السبّاق ابن عبد الدار ؛ وجَهْم بن قَيْس بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عَبْد مناف ابن عبد الدار ، معه امرأته أم حَرْملة بنت عبد الأسود بن جُذيمة بن أقيش ابن عامر بن بَياضة بن سُبيع بن جُعْثمة[4] بن سَعْد بن مُلَيح بن عمرو ، من خزاعة ؛ وأبناه عَمْرو بن جَهْم وخُزيمة[5] بن جَهْم ؛ وأبو الرّوم بن عُمير بن هاشم

(1) كذا فى ا وشرح السيرة . وفى سائر الأصول والاستيعاب : « كثير » .

(2) زيادة عن شرح السيرة لأبى ذر .

(3) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « سويط بن حرملة » .

(4) فى الأصول : « خثعمة » وهو تحريف . وقد تقدم الكلام على ذلك .

(5) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « خزيمة بنت جهه » وهو تحريف .

ابن عبد مناف بن عَبْد الدار ؛ وفِراس بن النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة ابن عبد مناف بن عبد الدار ، خمسة نفر .

من رحل إلى الحبشة من بنى زهرة

ومن بنى زهرة بن كِلاب : عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عوف بن عَبْد ابن الحارث بن زُهْرة ؛ وعامر بن أبى وقّاص ؛ وأبو وقاص ، مالك بن أُهيب ابن عَبْد مناف بن زُهْرة ؛ والمطّلب بن أزْهر بن عبد عَوْف بن عَبْد بن الحارث ٥ ابن زُهرة ، معه امرأته رَمْلة بنت أبى عَوْف بن ضُبيرة بن سُعيد بن سَعْد بن سَهْم، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطّلب .

من رحل إلى الحبشة من بنى هذيل

ومن حُلفائهم من هُذيل : عبدُ الله بن مَسْعود بن الحارث بن شَمْخ ابن مَخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل . وأخوه : عتبة بن مَسْعود . ١٠

من رحل إلى الحبشة من بهراء

ومن بهراء : المقدادُ بن عَمْرو بن ثَعْلبة بن مالك بن رَبيعة بن ثُمامة ابن مَطرود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن لؤىّ[1] بن ثعلبة بن مالك بن الشَّريد ابن أبى أهوز[2] بن أبى فائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أهود[3] بن بَهْراء بن عمرو ابن الحاف بن قُضاعة .

قال ابن هشام : ويقال هزل بن فاس[4] بن ذر ، ودَهير[5] بن ثور . ١٥

---

(١) فى الأصول : « ثور » والتصويب عن شرح السيرة .

(٢) فى الأصول : « بن هزل بن فائش » . والتصويب عن شرح السيرة . وقد عرض لهذا ابن هشام بعد أسطر .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : أهوذ بالذال المعجمة .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قاش » . ٢٠

(٥) قال أبو ذر : « وروى أيضا : دهير (بالتصغير) . وروى أيضا : دهير (بالياء الوحدة مفتوحة . والصواب فيه : دهير بفتح الدال وكسر الهاء .

قال ابن إسحاق :

وكان يقال له المِقداد بن الأسود بن عَبْد يغوث [بن وهب][1] بن عَبْد مناف بن زُهْرة ، وذلك أنه تبنّاه فى الجاهلية ، وحالفه ستة نفر .

من رحل إلى الحبشة من بنى تيم

ومن بنى تَيْم بن مُرّة : الحارث بن خالد بن صَخْر بن عامر [بن عمرو][1] ابن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، معه امرأتُه رَيْطة بنت الحارث بن جَبَلة[2] بن عامر ابن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، ولدت له بأرض الحَبشة مُوسى بن الحارث ، وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ؛ وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم ، رجلان .

من رحل إلى الحبشة من بنى مخزوم

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرّة : أبو سلمة بن عبد الأَسَد بن هِلال ابن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ، ومعه امرأتُه أمّ سَلمة بنت أبى أُمية بن المُغيرة ابن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ، ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبى سَلَمة ، واسم أبى سَلمة عبدُ الله ، واسم أمّ سلمة : هند ؛ وشمّاس [بن][1] عثمان ابن[3] الشَّريد بن سُويد بن هَرْمى بن عامر بن مَخْزوم .

اسم الشماس وشىء عنه

قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمى شماساً ، لأن شماسا من الشمامسة[4] ، قدم مكّة فى الجاهلية ، وكان جميلاً فعجب الناس من جماله ، فقال عتبةُ بنُ ربيعة ، وكان خالَ شمّاس : أنا آتيكم بشمّاس أحسنَ منه ، فجاء بابن أخته عثمانَ بن عثمان ، فسمى شمّاسا . فيما ذكر ابنُ شهاب وغيرُه .

قال ابن إسحاق :

وهبّار بن سُفيان بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ؛

---

(١) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب . وفى ا : « . . . بن عامر بن عمرو ابن كعب . . . الخ » .

(٢) كذا فى الاستيعاب . وفى أكثر الأصول : « جبيلة » . وفى ا : « حبيلة » .

(٣) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « . . . بن عبد بن الشريد » .

(٤) الشمامسة : هم الرهبان . لأنهم يشمسون أنفسهم . يريدون تعذيب النفوس بذلك .

وأخوه عبد الله بن سفيان ؛ وهشام بن أبى حُذيفة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر ابن مَخزوم ؛ وسَلَمة بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ؛ وعيّاش ابن أبى رَبيعة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم .

من هاجر إلى الحبشة من خلفاء بنى مخزوم

ومن حلفائهم : مُعتِّب بن عَوْف بن عامر بن الفَضْل بن عَفيف ابن كُليب بن حَبَشية بن سَلول بن كَعْب بن عمرو ، من خُزاعة ، وهو الذى يُقال له : عَيْهامة ، ثمانية نَفر . ٥

قال ابن هشام : ويقال حُبْشية بن سلول ، وهو الذى يقال له معتِّب بن حمراء .

من هاجر إلى الحبشة من بنى جمح

ومن بنى جُمح بن عَمْرو بن هُصَيص بن كعب : عثمانُ بن مَظْعون بن حَبيب ابن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ؛ وابنه السائب بن عثمان ؛ وأخواه قُدامة ١٠ ابن مَظْعون ، وعبدُ الله بن مَظْعون ؛ وحاطب بن الحارث بنِ مَعْمر بن حَبيب ابن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، معه امرأتُه فاطمةُ بنت المجلِّل بن عبد الله ابن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وابناه : محمد ابن حاطب ، والحارث بن حاطب، وهما لبنت المجلّل؛ وأخوه حطّاب بن الحارث، معه امرأتُه فُكيهة بنت يسار ؛ وسفيان بن مَعْمر بن حَبيب بن وهْب بن حُذافة ١٥ ابن جُمح ، معه ابناه جابر بن سُفيان ، وجُنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حَسنة ، وهى أُمهما[1] ، وأخوهما من أمهما شُرَحبيل ابن حَسنة ، أحد الغوث .

قال ابن هشام . شرحبيل بن عبد الله أحدُ الغوث بن مُرّ، أخى تميم بن مُرّ.

قال ابن إسحاق :

وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح، أحدَ عشرَ رجلا. ٢٠

من هاجر إلى الحبشة من بنى سهم

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : خُنيس بن حُذافة

(١) كذا فى . وفى سائر الأصول : « أمها » وهو تحريف .

ابن قَيْس بن عدىّ بن سعد[1] بن سَهْم ؛ وعبدُ الله بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ ابن سعد[1] بن سهم ؛ وهشام بن العاص بن وائل بن سعد[1] بن سهم

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد[1] بن سهم .

قال ابن إسحاق :

٥ وقيس بن حُذافة بن قَيْس بن عدىّ بن سعد[1] بن سهم ؛ وأبو قيس ابن الحارث بن قَيْس[2] بن عدىّ بن سعد[1] بن سهم ؛ وعبد الله بن حُذافة ابن قَيْس بن عدىّ سعد[1] بن سهم ؛ والحارث بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ ابن سعد[1] بن سهم ؛ ومَعْمر بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ بن سعد[1] ابن سهم ؛ و بِشْر بن الحارث بن قَيْس بن عدىّ بن سعد[1] بن سهم ؛ وأخ له

١٠ من أمه من بنى تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ؛ وسعيد بن الحارث بن قيس ابن عدىّ بن سعد[1] بن سهم ؛ والسائب بن الحارث بن قيس بن عدىّ ابن سعد[1] بن سهم ؛ وعُمير بن رئاب بن حُذَيفة بن مُهَشِّم بن سعد[1] بن سهم . ومَحْمِية بن الجزاء[3] ، حليف لهم ، من بنى زُبيد ، أربعة عشر رجلاً .

من هاجر إلى الحبشة من بنى عدى

ومن بنى عدىّ بن كعب : معمر بن عبد الله بن نَضْلة بن عبد العزّى

١٥ ابن حُرْثان بن عوف بن عُبيد بن عويج بن عدىّ ؛ وعروة بن عبد العزّى ابن حُرثان بن عَوْف بن عُبيد بن عويج بن عدىّ ؛ وعدىّ بن نَضْلة بن عبد العزّى بن حُرثان بن عَوْف بن عُبيد بن عويج بن عدىّ ؛ وابنه النعمانُ

---

(١) فى الأصول : « سعيد . وهو تحريف . وقد تقدم الكلام على ذلك فى هذا الجزء .

(٢) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : بن قيس بن حذافة بن قيس بن عدى

٢٠ . . . الخ » والظاهر أن فى النسب اقحاما .

(٣) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب ، وأسد الغابة : « الجزء » . وفى ا : « الجزاء » . قال أبو ذر : « ومحمية ابن الجزاء ، ويروى هنا أيضاً : ابن الجز بفتح الجيم وكسرها وبالزاى المشددة والصواب فيه الجز والله أعلم » .

ابن عدىّ ؛ وعامر بن رَبيعة ، حليف لآل الخطّاب ، من عنز بن وائل ، معه أمراتُه ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم . خمسة نفر .

من هاجر إلى الحبشة من بنى عامر

ومن بنى عامر[1] بن لؤىّ: أبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العزّى بن أبى قَيْس ابن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، معهُ امرأتُه أمُّ كُلْثوم بنت سُهيل بن عمرو بن عَبْد شمس بن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر؛ ٥ وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزّى بن أبى قَيْس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل بن عامر ؛ وعبد الله بن سُهيل بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد ودّ ابن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وسَليط بن عَمْرو بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وأخوه السكران بن عَمْرو ، معه أمرأتُه سَودة بنت زَمعة بن قَيْس بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نَصْر ١٠ ابن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ ومالك بن زَمعة[2] بن قَيْس بن عبد شَمْس ابن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ، معه امرأتُه عَمْرة بنت السعدىّ ابن وَقْدان بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نَصْر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وحاطب[3] بن عمرو بن عبد شَمْس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ؛ وسعد بن خَولة ، حليف لهم ، ثمانية نفر . ١٥

قال ابن هشام : سعد بن خولة من اليمن .

من هاجر إلى الحبشة من بنى الحارث

قال ابن إسحاق :

ومن بنى الحارث بن فهر : أبو عبيدة بن الجَرّاح ، وهو عامر بن عبد الله ابن الجرّاح بن هِلال بن أُهيب بن ضَبَّة بن الحارث بن فهر[4] ؛ وسُهيل

---

(١) ذكر المؤلف فى ص ٣٤٥ من هذا الجزء من هاجر من بنى عامر وذكر أبا سبرة هنا . ٢٠
(٢) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « ربيعة » . وهو تحريف .
(٣) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول هنا ، وفيما تقدم من جميع الأصول : « وأبو حاطب » وهما روايتان فيه . (راجع أسد الغابة) .
(٤) زيادة عن ا .

ابن بَيْضاء ، وهو سُهيل بن وَهْب بن رَبيعة بن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة ابن الحارث ، ولكن أمه غلبتْ على نَسبه ، فهو ينسب إليها ، وهى دَعْد بنت جَحْدم بن أمية بن ظَرِب بن الحارث بن فهر ، وكانت تدعى بَيضاء ؛ وعمرو ابن أبى سَرْح بن ربيعة بن هِلال بن أُهَيب بن ضَبّة بن الحارث ؛ وعِياض ابن زُهير بن أبى شدّاد بن ربيعة بن هِلال بن أُهيب بن ضَبّة بن الحارث ، ويقال : بل ربيعةُ ابنُ هلال بن مالك بن ضبة [بن الحارث][1] ؛ وعمرو ابن الحارث بن زُهير بن أبى شدّاد بن رَبيعة بن هِلال بن مالك بن ضبّة ابن الحارث ؛ وعثمان[2] بن عبد غَنْم بن زُهير بن أبى شدّاد بن رَبيعة ابن هلال بن مالك بن ضَبّة بن الحارث ؛ وسعد بن عبد قَيْس بن لَقيط بن عامر ابن أمية بن ظَرِب بن الحارث [بن فهر][1] ؛ والحارث بن عبد قيس[3] ابن لَقِيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، ثمانية نفر .

عدد المهاجرين إلى الحبشة

فكان جميعُ من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن كان عمّار بن ياسر فيهم ، وهو يُشك فيه .

شعر عبد الله ابن الحارث فى الهجرة إلى الحبشة

وكان مما قيل من الشعر فى الحبشة ، أن عبد الله بن الحارث بن قيس ابن عدىّ بن سعد[4] بن سهم ، حين أمنوا بأرض الحبشة ، وحمدوا جِوار

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « عمرو » وهو تحريف .

(٣) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « بن فهر بن لقيط » . وفى النسب إقحام .

(٤) فى الأصول : « سعيد » . (راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٧٤ من هذا الجزء) .

النجاشى ، وعَبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً ، وقد أحسن النجاشى جوارهم حين نزلوا به ، قال :

يا راكبا بلغَنْ عــنّى مغلغلةً[1] مَنْ كان يرجو بلاَغَ الله والدينِ
كلّ امرئ من عباد الله مُضْطهدٍ ببطن مكّة مَقْهورٍ وَمَفتون
أنّا وَجَــدْنا بلاد الله واسعةً تُنْجِى من الذّل والمَخْزاة والهُون
فلا تُقيموا على ذلِّ الحياة وخِزْ يٍ فى الممات وعَيْب غيرِ مأمون
إنّا تَبِعنا رسولَ الله وأطَّرَحوا قولَ النَّبى وعالُوا[2] فى المَوازين
فَاجْعل عذابكَ بالقوم[3] الذين بَغَوا وعائذا[4] بك أنْ يَعْلوا[5] فيُطْغونى

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نَفْى قريش إياهم من بلادهم ، ويعاتب بعضَ قومه فى ذلك :

أبتْ كَبِدى،لاأكْذِبَنْك،قتالَهم علىّ وتَأْباه علىّ أنامــلِى
وكيف قِتالى معشراً أدّبوكمُ على الحقّ أنْ لاَ تأْشِبوه بباطل[6]
نَفتْهم عبادُ الجنّ من حُرّ أرضهم فأَضْحَوا على أمْر شديد البَلابل[7]
فإن تك كانت فى عَدِىٍّ أمانة عدىّ بن سَعْد عن تُقًى أو تَواصل
فقد كنتُ أرجو أنّ ذلك فيكمُ بحمْد الذى لا يُطَّبَى بالجَعائل[8]
وبُدّلت شِبلاً شبلَ كلِّ خبيثة بذى فَجَر مأوى الضّعاف الأرامل[9]

(١) المغلغلة : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد .
(٢) عال فى الميزان يعول : خان .
(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فى القوم » .
(٤) كذا فى ا . ونصب «عائذا» على الفعل المتروك إظهاره. وفى سائر الأصول: «وعائذ»
(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « يغلوا » . (بالغين المعجمة) .
(٦) يأشبه : يخلطه .
(٧) حر أرضهم : أرضهم الكريمة . والبلابل : وساوس الأحزان .
(٨) لايطبى : لايستمال ولا يستدعى . والجعائل : جمع جعالة (بالفتح) وهى الرشوة .
(٩) الفجر : العطاء الكثير .

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

وتلك قريشٌ تجحد الله حقَّه كما جَحَدت عادٌ ومَدينُ والحِجْرُ[1]

فإن أنا لم أُبرِق فلا يسعَنَّنى من الأرض بَرٌّ ذو فضاء ولاَ بحر[2]

بأرض بها عَبْدُ الإلهَ محمدٌ أُبيّن ما فى النفس إذ بُلغ النَّقْرُ[3]

فسمّى عبد الله بن الحارث ـ يرحمه الله ـ لبيته الذى قال : « المُبْرِق » :

شعر عثمان ابن مظعون فى ذلك

وقال عثمان بن مَظْعون يُعاتب أمية بن خَلف بن وَهْب بن حُذافة ابن جُمَح ، وهو ابن عمّه ، وكان يُؤْذيه فى إسلامه ، وكان أمية شريفاً فى قومه فى زمانه ذلك .

أتيمَ بن عَمْرو لِلّذى جاء بِغْضَةً[4] ومِنْ دونه الشّرمان والبَرْكُ أَكْتَعُ[5]

أأخرجتَنى من بطن مكةَ آمناً وأسكنْتَنى فى صَرْحِ بيضَاءَ[6] تقذعُ[7]

---

(۱) الحجر : يريد أهل الحجر ، وهم ثمود .

(۲) أبرق : أهدد .

(۳) النقر : البحث عن الشىء ويروى : « النفر » بالفاء .

(٤) أراد عجبا للذى جاء ، والعرب تكتفى بهذه اللام فى التعجب ، كقوله عليه السلام : لهذا العبد الحبشى جاء من أرضه وسمائه إلى الأرض التى خلق منها . قاله فى عبد حبشى دفن فى المدينة . وقال فى جنازة سعد بن معاذ وهو واقف على قبره وتقهقر ، ثم قال : سبحان الله ! لهذا العبد الصالح ضم عليه القبر ، ثم فرج عنه .

(٥) قال أبو ذر : والشرمان (بالفتح) : موضع . ومن رواه الشرمان (بكسر النون) فهو تثنية شرم ، وهو لجة البحر . والبرك : جماعة الإبل الباركة ؛ وقيل هو اسم موضع هنا ، وهو أشبه . وقوله : « والبرك أكتع » هذه رواية غريبة ، لأنه أكد بأكتع دون أن يتقدمه أجمع .

(٦) صرح بيضاء : يريد مدينة الحبشة . وأصل الصرح : القصر ، يريد أنه ساكن عند قصر النجاشى ، ويروى : صرح بيطاء (بفتح الباء وكسرها) . والبيطاء : اسم سفينة .

(۷) تقذع : تكره ، كأنه من أقذعت الشىء : إذا صادفته قذعا ، ويقال أيضاً : قذعته الرجل إذ رميته بالفحش ، يريد أن أرض الحبشة مقذوعة . ويروى : « تقدع » بالدال المهملة . وتقدع : تدفع . قال السهيلى ما معناه : وأحسب أن « صرح بيضاء تقذع » محرفة عن : « صرح بيطاء تقدع » .

تَرِيش نبالاً لا يُواتيك ريشُها[1] وتَبْرى نبَالا رِيشُها لك أجمعُ

وحاربتَ أقوامًا كرامًا أعزّةً وأهلكتَ أقوامًا بهم كنتَ تَفْزَعُ[2]

ستعلم إنْ نابتك يومًا مُلمّةٌ وأَسلمك الأوباش ما كنتَ تَصْنَعُ[3]

وتيم بن عمرو، الذى يدعو عثمانُ، جمحُ، كان اسمه تيمًا[4].

إرسال قريش إلى الحبشة فى طلب المهاجرين إليها ٥

قال ابن إسحاق:

رسولا قريش إلى النجاشى لاسترداد المهاجرين

فلما رأت قريش أن أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجُلَين من قريش جَلْدين إلى النجاشى، فيردّهم عليهم، ليَفْتنوهم فى دينهم، ويُخْرجوهم من دارهم، التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها؛ فبعثوا عبدَ الله[5] ١٠

---

(١) ريشها: من رواه بفتح الراء، فهو مصدر راشه يريشه ريشا: إذا نفعه وجبره، ومن رواه بكسر الراء فهو جمع ريشة.

(٢) تفزع: تغيث وتنصر. ويروى: «تقرع»: أى تضارب.

(٣) الأوباش: الضعفاء الداخلون فى القوم وليسوا منهم.

(٤) كذا فى ا، ط. وسمى تيم بن عمرو جمح، لأن أخاه سهم بن عمرو، وكان اسمه زيدا، سابقه إلى غاية فجمح عنها تيم، فسمى جمح، ووقف عليها زيد فقيل: قد سهم زيد فسمى سهما. وفى سائر الأصول: «وتيم بن عمرو الذى كان يدعى عثمان بن جمح» وهو تحريف. ١٥

(٥) وعبد الله بن أبى ربيعة هذا كان اسمه بحيرى، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم عبد الله. وأبوه: أبو ربيعة ذو الرمحين، وفيه يقول ابن الزبعرى:

بحيرى بن ذى الرمحين قرب مجلسى وراح علينا فضله وهو عاتم ٢٠

واسم أبى ربيعة: عمرو؛ وقيل: حذيفة. وأم عبد الله بن أبى ربيعة أسماء بنت مخربة التميمية، وهى: أم أبى جهل بن هشام. وعبد الله بن أبى ربيعة هذا هو والد عمر ابن عبد الله بن أبى ربيعة الشاعر، ووالد الحارث أمير البصرة المعروف بالقباع، وكان فى أيام عمر واليا على الجند فى أيام عثمان، فلما سمع بحصر عثمان جاءه لينصره فسقط عن دابته فمات.

ابن أبى رَبيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته[1] ، ثم بعثوهما إليه[2] فيهم فقال أبو طالب ، حين رأى ذلك من رَأْيهم وما بعثوهما فيه ، أبياتاً للنجاشىّ يحضّه على حُسْن جوارهم والدَّفْع عنهم :

شعر أبى طالب للنجاشى يحضه على الدفع عن المهاجرين

ألاليت شعرى كيفَ فى النأى[3] جعفرٌ ... وعمرو وأَعْداء العــــدوّ الأقاربُ

٥ وهل[4] نالت أُفعالُ النجاشى جعفرًا ... وأصحابَه أو عاق ذلك شاغب[5]

تعلَّمْ ، أبيتَ اللعن ، أنك ماجدٌ ... كريمٌ فلا يَشْقى لديك المُجانب[6]

تعلَّمْ بأن الله زادك بَسْطةً ... وأسبابَ خَيرٍ كلّها بك لازب[7]

وأنّك فيضٌ ذو سِجال غزيرةٍ ... يَنال الأعادى نفعَها والأقارب[8]

حديث أم سلمة عن رسولى قريش مع النجاشى

قال ابن إسحاق : حدّثنى محمد بن مُسلم الزهرى عن أبى بَكْرِ بن عبد

١٠ الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى ، عن أمّ سَلَمة بنت أبى أميّة بن المُغيرة زوج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالت :

---

(١) البطارقة : جمع بطريق ، وهو القائد أو الحاذق بالحرب .

(٢) ويقال إن قريشا بعثت مع ابن أبى ربيعة وعمرو بن العاص ، عمارة بن الوليد ابن المغيرة ، الذى عرضته قريش على أبى طالب ليأخذه ، ويدفع إليهم محمدا ليقتلوه . والظاهر

١٥ أن إرسالهم إياه مع عمرو كان فى المرة الأخرى ، ويروون فيها : أن عمرا سافر بامرأته ، فلما ركبوا البحر ، وكان عمارة قد هوى امرأة عمرو وهويته ، فعزما على دفع عمرو فى البحر ، فدفعاه فسقط فيه ثم سبح ، ونادى أصحاب السفينة فأخذوه ورفعوه إلى السفينة ، وأضمرها عمرو فى نفسه ، ولم يبدها لعمارة . فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو ، فى حديث طويل ذكره أبو الفرج الأصفهانى فى كتابه الأغانى .

٢٠ (٣) النأى : البعد .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « فهل نال أفعال » .

(٥) عاق : منع . وشاغب : من الشغب . ويروى : شاعب (بالعين المهملة) . والشاعب : المفرق .

(٦) أبيت اللعن : هى تحية كانوا يحيون بها الملوك فى الجاهلية ، ومعناه : أبيت أن تأتى ما تذم

٢٥ عليه . وقيل معناه : أبيت أن تذم من يقصدك والمجانب : الداخل فى حمى الإنسان المنضوى إلى جانبه .

(٧) لازب : لاصق .

(٨) الفيض : الجواد . والسجال : العطايا ؛ واحدها : سجل ، وأصل السجل : الدلو المملوءة ، ثم يستعار للعطية .

لما نزلنا أرضَ الحبشة جاوَرْنا بها خيرَ جارٍ النجاشىّ ، أمِنّا على ديننا ، وعبدْنا الله تعالى لا نُؤْذَى ولا نَسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشىّ فينا رجلَيْن منهم جَلْدَيْن ، وأن يُهْدوا للنجاشِىّ هَدايا مما يُستطرف من مَتاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأَدَم[1] ، فجمعوا له أَدَمًا كثيراً ، ولم يتركوا من بَطارقته بِطْرِيقاً إلا أَهْدَوْا له هديّة ، ثم بعثوا بذلك عبدَ الله بن أبى رَبيعة ، وعَمْرو بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : أدفَعا إلى كل بطْرِيق هديّته قبل أن تُكلّما النجاشىَّ فيهم ، ثم قدِّما إلى النجاشىِّ هدَاياه ، ثم سَلاه أن يُسلِّمهم إليكما قبل أن يُكلّمهم قالت : فخَرجا حتى قدما على النجاشىّ ، ونحن عنده بخير دارٍ ، عند خَيْر جار ، فلم يبقَ من بطارقته بِطْرِيقٌ إلا دَفَعَا إليه هديّته قبل أن يُكلّما النجاشى ، وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضَوَى[2] إلى بَلَد الملك منّا غِلْمانٌ سُفهاء ، فارقوا دينَ قَومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مُبتدع ، لا نَعْرفه نحن ولا أنتم ، وقد بَعَثنا إلى الملك فيهم أشرافُ قومهم ليردّهم إليهم ، فإذا كلّمنا الملكَ فيهم ، فأشيرُوا عليه بأن يُسْلِمَهم إلينا ولا يكلّمهم ، فإن قومَهم أَعْلَى بهم عَيْناً[3] ، وأعلم بما عابوا عليهم ؛ فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشىّ فَقبلها منهما ، ثم كلّماه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منّا غِلْمان سُفهاء ، فارقوا دينَ قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدينٍ ابتدعوه لا نَعْرفه نحن ولا أنت ، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم إليهم ، فهم أعلى بهم عَيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . قالت : ولم يكن شىء أبغضَ إلى عبد الله بن أبى رَبيعة

(١) الأدم : الجلود ، وهو اسم جمع .
(٢) ضوى : لجأ ولصق وأتى ليلا .
(٣) أعلى بهم عينا : أبصر بهم . أى عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم .

وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامَهم النجاشي . قالت : فقالت بطارقته حوله : صَدَقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عَيْناً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسْلِمْهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاها الله ، إذًا لا أُسلمهم إليهما ، ولا يُكاد قومٌ جاورونى ، ونزلوا بلادى ، واُختارونى على مَنْ سواى ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتُهم إلى قومهم ، و إن كانوا على غير ذلك مَنعتُهم منهما ، وأحسنتُ جِوارهم ما جاورونى .

إحضار النجاشى للمهاجرين وسؤاله لهم عن دينهم وجوابهم عن ذلك

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فدعاهم ، فلما جاءهم رسولُه اُجتمعوا ، ثم قال بعضُهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما عَلِمْنا ، وما أَمَرَنا به نبيُّنا صلّى الله عليه وسلّم كائناً فى ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشى أساقفتَه[1] ، فنشروا مَصاحفَهم حولَه ، سألهم فقال لهم : ما هذا الدينُ الذى قد فارقتم فيه قومَكم ، ولم تدخلوا [به][2] فى دينى ، ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : فكان الذى كلّمه جعفرُ ابن أبى طالب [رضوان الله عليه][2] ، فقال له : أيها الملك ، كنّا قومًا أهلَ جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجِوار ، ويأكل القوىُّ منّا الضعيفَ ؛ فكنّا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا ، نعرف نسبَه وصِدْقه وأمانتَه وعفافَه ، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبدَه ، ونخلَع ما كنّا نعبُد نحنُ وآباؤنا من دونه من الحِجارة والأوثان ، وأمَرَنا بصِدْق الحَديث ، وأداء الأمانة ، وصِلة الرّحم ، وحُسْن الجِوار ، والكَفّ عن المَحارم والدِّماء ، ونهانا عن الفَواحش ، وقولِ الزّور ، وأكل

(١) الأساقفة : علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم ، واحدهم أسقف ، وقد يقال بتشديد الفاء .

(٢) زيادة عن ا .

مال اليتيم ، وقَذْف المُحْصنات ؛ وأَمَرَنا أن نعبد الله وحدَه لا نُشرك به شيئاً ، وأمرَنا بالصلاة والزكاة والصيام — قالت : فعدّد عليه أمورَ الإسلام — فصدّقناه وآمنّا به ، واُتبعناه على ماجاء به من الله ، فعبدنا الله وَحدَه فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأَحْللنا ما أحلّ لنا ، فعدا علينا قومُنا ، فعذّبونا وفَتنونا عن دِيننا ، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحلّ ٥ ما كنّا نستحلُّ من الخَبائث ، فلمّا قَهرونا وظَلمونا وضيّقوا علينا ، وحالوا بيننا و بين دِيننا ، خرجنا إلى بلادك ، واُخترناك على مَنْ سواك ؛ ورَغِبْنا فى جوارك ، ورَجوْنا أن لا نُظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شىء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ؛ فقال له النجاشى : فاقرأه علىّ ؛ قالت : فقرأ عليه صدراً من : « كهيعص » . قالت : فبكى والله ١٠ النجاشىُّ حتى اخضلّت[1] لحيتُه ، وبكت أساقفتُه حتى أَخْضلوا مَصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ؛ ثم قال [لهم][2] النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى[3] ليخرج من مِشكاةٍ[4] واحدة ، اُنطلقا ، فلا والله لا أُسْلمهم إليكما ، ولا يُكادون[5] .

مقالة المهاجرين فى عيسى عليه السلام عند النجاشى

قالت : فلما خرجَا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتينّه غداً عنهم ١٥ بما أستأصل به خَضْرَاءهم[6] . قالت : فقال له عبد الله بن أبى ربيعة ،

(١) كذا فى أكثر الأصول . واخضلت لحيته : ابتلت . وفى ا : « حتى أخضل لحيته » : أى بلها .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) فى ا : « موسى » . ٢٠

(٤) المشكاة : قال فى لسان العرب : « وفى حديث النجاشى : إنما يخرج من مشكاة واحدة . المشكاة : الكوة غير النافذة ؛ وقيل هى الحديدة التى يعلق عليها القنديل » أراد أن القرآن والانجيل كلام الله تعالى ، وأنهما من شىء واحد .

(٥) فى ا : « أكاد » .

(٦) خضراءهم : شجرتهم التى منها تفرعوا . ٢٥

وكان أتْـقَى[1] الرّجلَين فينا : لا تفعل ، فإن لهم أرْحامًا ، وإنْ كانوا قد خالفونا ؛ قال : والله لأُخبرنّه أنهم يزعمون أن عيسى بنَ مريم عَبْدٌ . قالت : ثم غدا عليه [من][2] الغد : فقال [له][2] : أيها الملك ، إنهم يقولون فى عيسى بن مَرْيم قولاً عظيمًا ، فأرسِل إليهم فسَلْهم عمّا يقولون فيه . قالت :

٥ فأرسل إليهم ليسألهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلُها قطُّ . فاجتمع القومُ ، ثم قال بعضُهم لبعض : ما ذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال اللهُ ، وما جاءنا به نبيّنا ، كائنًا فى ذلك ما هو كائن . قالت : فلمّا دخلوا عليه قال لهم : ما ذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبيُّنا صلّى الله عليه

١٠ وسلّم ،[يقول][2] : هو عبدُ الله ورسولُه ورُوحُه وكَلِمتُه ألقاها إلى مَرْيم العذراء البَتول . قالت : فضرب النجاشيُّ بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بنَ مريم ما قلتَ هذا العودَ[3] قالت : فتناخرت بطارقتُه حوله حين قال ما قال ؛ فقال : وإن نخرتم والله ، اُذهبُوا فأنتم شُيوم بأرضى – والشيوم[4] : الآمنون – من سبَّكم غَرِم ، ثم قال من سبكم غَرِم ، ثم

١٥ قال : من سبكم غَرِم[5] . ما أحبّ أن لى دَبراً من ذهب ، وأنى آذيت رجلا منكم – قال ابن هشام : ويقال دِبراً من ذهب ، ويقال : فأنتم سيوم والدبر :

---

(١) فى ا : « أبقى » .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ا . وهذا العود : منصوب على الظرفية : أى مقدار هـذا العود . يريد

٢٠ أن قولك لم يعد عيسى بن مريم بمقدار هذا العود . وفى سائر الأصول : « ماعدا عيسى ابن مريم مما قلت » .

(٤) قال السهيلى : « يحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ، ويحتمل أن يكون لها أصل فى العربية ، وأن تكون من شمت السيف ، أى أغمدته ، لأن الآمن مغمد عنه السيف ، أو لأنه مصون فى حرز كالسيف فى غمده .

٢٥ (٥) كذا فى أكثر الأصول . وقد وردت هذه العبارة فى ا مكررة مرتين فقط .

(بلسان الحبشة) : الجبل ـ ردوا عليهما هَداياهما فلا حاجةَ لى بها ، فوالله ما أخذ اللهُ منّى الرشوةَ حين ردّ علىّ مُلْكى ، فآخذَ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ فأطيعهم فيه . قالت : فخرجا من عنده مَقْبُوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دارٍ مع خير جارٍ .

خروج المهاجرين بنصرة النجاشى على عدوه

قالت : فوالله إنّا لعلَى ذلك إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه فى مُلْكه . قالت : فوالله ما علمتُنا حَزِنّا حزناً قطٌّ كان أشدَّ [علينا][1] من حُزنٍ حَزِنّاه عند ذلك ، تخوُّفاً أن يَظْهر ذلك الرجلُ على النجاشىّ ، فيأتى رجلٌ لا يعرف مِنْ حَقّنا ما كان النجاشىُّ يَعْرف منه . قالت : وسار إليه النجاشىُّ ، وبينهما عرضُ النيل . قالت : فقال أصحاب رسول الله ، صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم : مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضُر وَقيعةَ القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ قالت : فقال الزبير بن العوام : أنا ؛ قالوا : فأنت . وكان مِن أحدث القوم سنًّا . قالت : فنفخوا له قِرْبةً فجعلها فى صَدْره ، ثم سَبَح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلْتقى القوم ، ثم انطلق حتى حَضَرهم . قالت : فدعونا اللهَ تعالى للنجاشىّ بالظهور على عدوّه ، والتّمْكين له فى بلاده . قالت : فوالله إنّا لعَلى ذلك مُتوقّعون لما هو كائن ، إذ طلع الزُّبير وهو يسعى ، فلمع[2] بثَوْبه وهو يقول : ألا أبْشروا ، فقد ظفر[3] النجاشىّ ، وأهلك اللهُ عدوّه ، ومكّن له فى بلاده . قالت : فوالله ما علمتُنا فَرِحْنا فرحةً قط مثلَها . قالت : ورجع النجاشىُّ ، وقد أهلك الله عدوّه ، ومكّن له فى بلاده ، واستوسق[4] عليه أمرُ الحبشة ، فكُنّا عنده فى خير مَنْزل ، حتى قدمْنا على رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم وهو بمكة .

---

(١) زيادة عن ا .
(٢) لمع بثوبه وألمع به : إذا رفعه وحركه ليراه غيره فيجىء إليه .
(٣) فى ا : « ظهر » .
(٤) كذا فى ا د ط . واستوسق : تتابع واستقر واجتمع . وفى سائر الأصول : « استوثق » .

قصة تملك النجاشى على الحبشة

قتـل أبى النجاشى وتولية عمه

قال ابن إسحاق : قال الزهرىّ : فحدّثتُ عُروة بن الزبير حديثَ أبى بكر ابن عبد الرحمن عن أم سلمة زوج النبى صلّى الله عليه وسلّم ، فقال :

هل تدرى ما قولُه : ما أخذ الله منّى الرّشوة حين ردّ على ملكى فآخذ الرّشوةَ فيه ، وما أطاع الناس فىّ[1] فأطيع الناسَ فيه ؟ قال. قلت: لا؛ قال : فإن عائشة أم المؤمنين حدّثتنى أنّ أباه كان ملكَ قومه ، ولم يكن له ولدٌ إلا النجاشى ، وكان للنجاشى عمٌّ ، له من صلبه اثنا عشرَ رجلاً ، وكانوا أهلَ بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لو أنّا قتلنا أبا النجاشى وملّكنا أخاه فإنه لا وَلَدَ له غير هذا الغلام ، و إنّ لأخيه من صُلبه اُثنى عَشرَ رجلاً ، فتوارثوا مُلْكه من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهرًا ؛ فغَدَوا على أبى النجاشى فقتلوه وملّكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حيناً .

غلبة النجاشى عمه على أمره وسعى الأحباش لإبعاده

ونشأ النجاشىُّ مع عمّه ، وكان لبيباً حازمًا من الرجال ، فغلب على أَمْر عمّه ، ونزل منه بكلّ منزلة ، فلما رأت الحبشةُ مكانَه [منه][2] قالت بينها : والله لقد غَلَب هذا الفتى على أمر عمّه ، و إنّا لنتخوّف أن يملّكه علينا ، و إن ملّكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عَرَف أنّا نحن قتلنا أباه . فمَشَوْا إلى عمّه فقالوا : إمّا أنْ تقتل هذا الفتى و إما أن تُخرجه من بين أظهرنا ، فإنا قد خِفْناه على أنفسنا ؛ قال : ويلكم ! قتلتُ أباه بالأمس ، وأقتله اليومَ ! بل أُخرجه من بلادكم . قالت: فخرجوا به إلى السوق، فباعوه من رجل من التجّار بست مئة درهم : فقذفه فى سفينة فانطلق به ، حتى إذا كان العشىّ من ذلك اليوم ، هاجت سَحابةٌ من

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول هنا : «فيه» .

(٢) زيادة عن ا .

سحائب الخريف ، فخرج عمُّه يَسْتمطر تحتها ، فأصابته صاعقةٌ فقتلته . قالت : ففزعت الحبشةُ إلى وَلَده ، فإذا هو محمّق ليس فى ولده خيرٌ ، فمرج[1] على الحبشة أمرُهم[2] .

تولية الملك برضا الحبشة

فلما ضاق عليهم ما هُمْ فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تعلَموا والله أن مَلِككم الذى لا يُقيم أمرَكم غيرُه لَلّذى بِعتم غدوةً ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه [الآن][3] . قالت : فخرجوا فى طلبه ، وطَلَبِ الرجل الذى باعوه منه حتى أدركوه فأخذوه منه ، ثم جاءوا به ، فعقدوا عليه التاجَ ، وأقعدوه على سرير المُلْك ، فملّكوه .

حديث التاجر الذى ابتاع النجاشى

فجاءهم التاجرُ الذى كانوا باعوه منه فقال : إمّا أن تُعطونى مالِى ، وإمّا أن أكلّمه فى ذلك ؟ قالوا : لا نُعْطيك شيئاً ؛ قال : إذاً والله أكلّمه ؛ قالوا : فدونك وإياه . قالت : فجاءه فجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك ، ابتعتُ غلامًا من قوم بالسوق بست مئة درهم ، فأسْلَموا إلىّ غلامى وأخذوا دَراهمى ، حتى إذا سِرْت بغُلامى أدْرَكونى، فأخذوا غلامى ، ومنعونى دَراهمى . قالت ؛ فقال لهم النجاشى: لتُعْطُنّه دراهمَه، أوليضعنّ غلامُه يده فى يده، فليذهبن به حيث شاء ؛ قالوا : بل نُعطيه دراهمَه . قالت : فلذلك يقول : ما أخذ الله منّى رشوةً حين ردّ علىّ مُلْكى ، فآخذ الرّشوة فيه ، وما أطاع الناس فىّ فأُطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أول ما خُبر من صَلابته فى دينه ، وعَدْله فى حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يزيد بن رُومان عن عُروة بن الزّبير عن عائشة ، قالت :

لما مات النجاشىّ كان يُتحدّث أنه لا يزال يُرى على قبره نورٌ .

---

(1) مرج : قلق واختلط .

(2) هذا يدل على طول المدة فى مغيب النجاشى عنهم . (راجع الروض الأنف) .

(3) زيادة عن ا .

خروج الحبشة على النجاشى

قال ابن إسحاق : وحدّثنى جَعْفر بن محمد عن أبيه قال :

اجتمعت الحبشة ، فقالوا للنجاشى : إنك قد فارقتَ دينَنا ، وخرجوا عليه . فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهيّأ لهم سُفناً ، وقال : اركبوا فيها وكُونُوا كما أنتم ، فإن هزمتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، و إن ظفرتُ فاثبتُوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه ، و يشهد أن عيسى بن مريم عبدُه ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ؛ ثم جعله فى قَبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة، وصفّوا له، فقال : يا معشر الحبشة ، ألستُ أحقَّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال : فكيف رأيتم سيرتى فيكم ؟ قالوا: خير سيرة؛ قال: فما بالكم[1]؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمتَ أنّ عيسَى عبدٌ ؛ قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابنُ الله ؛ فقال النجاشى ، ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى بنَ مريم ، لم يَزِد على هذا شيئاً ، و إنما يعنى[2] ما كَتب ، فرضُوا وانصرفوا . [عنه][3] . فبلغ ذلك النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلما مات النجاشيُّ صلى عليه ، واستغفر له[4] .

---

(١) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « فما لكم » .

(٢) قال السهيلى فى التعليق على هذا الكتاب : « وفيه من الفقه أنه لا ينبغى للمؤمن أن يكذب كذبا صراحا ولا أن يعطى بلسانه الكفر وإن أكره ، ما أمكنته الحيلة ، وفى المعاريض مندوحة عن الكذب ، وكذلك قال أهل العلم فى قول النبي عليه السلام : ليس بالكاذب من أصلح بين اثنين فقال خيرا . روته أم كلثوم بنت عقبة ، قالوا : معناه أن يعرض ولا يفصح بالكذب ، مثل أن يقول : سمعته يستغفر لك ويدعو لك ، وهو يعنى أنه سمعه يستغفر للمسلمين ويدعولهم ، لأن الآخر من جملة المسلمين ، ويحتال فى التعريض ما استطاع ، ولا يختلق الكذب اختلاقا ، وكذلك فى خدعة الحرب ، يورى ويكنى ولا يختلق الكذب يستحله بما جاء من اباحة الكذب فى خدع الحرب . هذا كله ماوجد إلى الكناية سبيلا .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) وكان موت النجاشى فى رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم

إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

اعتزاز المسلمين بإسلام عمر

قال ابن إسحاق :

ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على قريش ، ولم يُدركوا ما طلبوا من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وردّهما النجاشيُّ بما يكرهون ، وأسلم عمرُ بن الخطّاب ، وكان رجلاً ذا شَكيمة لا يُرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وبحَمْزة حتى عازُّوا[1] قريشاً ، وكان عبدُ الله بن مسعود يقول : ما كنّا نقدر على أن نصلّى عند الكعبة ، حتى أسلم عمر [بن الخطاب][2] ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة ، وصلّينا معه ، وكان إسلام عمر بعد خروج مَنْ خَرج من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الحبشة .

قال البكائى[3] قال حدّثنى مسعر بن كِدَام ، عن سَعْد بن إبراهيم قال قال عبد الله بن مسعود :

= إلى الناس فى اليوم الذى مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع ، رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة فصلى عليه ، وتكلم المنافقون ، فقالوا : أيصلى على هذا العلج ؟ فأنزل الله تعالى : « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم » .

ويقال إن أبا نيزر ، مولى على بن أبى طالب ، كان ابنا للنجاشى نفسه ، وإن عليا وجده عند تاجر بمكة فاشتراه منه وأعتقه ، مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين . ويقال إن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشى ، وإنهم أرسلوا وفدا منهم إلى أبى نيزر وهو مع على ليملكوه ويتوجوه ، ولم يختلفوا عليه ، فأبى وقال : ما كنت لأطلب الملك بعد أن منّ الله علىّ بالاسلام ، وكان أبو نيزر من أطول الناس قامة وأحسنهم وجها ، ولم يكن لونه كألوان الحبشة ، ولكن إذا رأيته قلت : هذا رجل من العرب . (راجع الروض الأنف) .

(١) عازوا قريشا : غلبوهم .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال ابن هشام . . . الخ » .

إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإنّ هجرته كانت نصرًا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنّا ما نصلّى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة وصلّينا معه .

حديث أم عبد الله عن إسلام عمر

قال ابن إسحاق : حدّثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عيّاش ابن أبى رَبيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أُمه أم عبد الله بنت أبى حَثْمة، قالت :

والله إنّا لنترحّل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامرٌ فى بعض حاجاتنا ، إذا أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علىّ وهو على شركه ـ قالت : وكنّا نلقى منه البلاء أذًى لنا وشدّة علينا ـ قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أمّ عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجنّ فى أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله مخرجًا[1] . قالت ؛ فقال : صَحِبكم الله ، ورأيت له رِقّة لم أكن أراها ، ثم انصرف ، وقد أَحْزنه ـ فيما أرى ـ خروجُنا قالت : فجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمرَ آنفاً ورقّته وحُزْنه علينا . قال : أطمعتِ فى إسلامه ؟ قالت قلت : نعم ؛ قال : فلا يُسلم الذى رأيتِ حتى يُسلم حمار الخطّاب ؛ قالت : يأساً منه ، لما كان يُرى من غِلْظته وقَسْوته عن الإسلام .

حديث آخر عن إسلام عمر

قال ابن إسحاق :

وكان إسلامُ عمرَ فيما بلغنى أنّ أُختَه فاطمَة بنت الخطّاب ، وكانت عند سَعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفيل ، وكانت قد أسلمتْ وأسلم بعلُها سعيدُ بن زيد ، وهما مُستخفيان بإسلامهما من عُمر ، وكان نُعيم بن عبد الله النحّام[2] ، رجل من قومه ، من بنى عدىّ بن كَعْب قد أسلم ، وكان أيضاً يستخفى بإسلامه فَرَقاً

(1) فى ا : « فرجا » .
(2) كذا فى ا . وفى أكثر الأصول : « . . . النحام من مكة . . . الخ » .

من قومه ، وكان خبّاب بن الأرتّ[1] يختلف إلى فاطمة بنت الخطّاب يُقرئها القرآن، فخرج عمرُ يومًا متوشّحا سيفَه يريد رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ورهطًا من أصحابه قد ذُكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيتٍ عند الصّفا ، وهم قريبٌ من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عمُّه حمزةُ ابن عبد المطّلب ، وأبو بكر بن أبى قُحافة الصّديق ، وعلىّ بن أبى طالب ، فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم ، ممن كان أقام مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقيه نُعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمرُ ؟ فقال : أريد محمدًا هذا الصابئ ، الذى فرّق أمرَ قُرَيش، وسفّه أحلامَها ، وعاب دِينَها ، وسبّ آلهتها ، فأقتُله ؛ فقال له نعيم : والله لقد غرّتك نفسُك مِنْ نفسك يا عمر . أترى بَنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض ، وقد قتلت محمدًا ! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتُقيم أمرَهم ؟ قال : وأىّ أهل بيتى ؟ قال : خَتَنُك وابن عمّك سَعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمةُ بنت الخطّاب ، فقد والله أسلَما وتابعا محمدًا على دينه ، فعليك بهما ؛ قال : فرجع عمرُ عامدًا إلى أخته وخَتنه ، وعندهما خبّاب بن الأرت معه صحيفةٌ ، فيها : « طه » يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حسّ عمر، تغيّب خبّاب فى مخدع[2] لهم، أو فى

---

(١) وكان خباب تميميا بالنسب كما كان خزاعيا بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعى ، وكان قد وقع عليه سباء ، فاشترته وأعتقته ، فولاؤه لها . وكان أبوها حليفا لعوف ابن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، فهو زهرى بالحلف . وهو ابن الأرت ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، كان قينا يعمل السيوف فى الجاهلية ، وقد قيل إن أمه كانت أم سباع الخزاعية ، ولم يلحقه سباء ، ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه بنى زهرة ؛ ويكنى أبا عبد الله ، وقيل أبا يحيى ، وقيل أبا محمد . مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ما شهد صفين مع على والنهروان . وقيل مات سنة سبع وثلاثين . ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقى فى ذات الله فكشف ظهره . فقال عمر : ما رأيت كاليوم! فقال : يا أمير المؤمنين، لقد أوقدت لى نار فما أطفأها إلا شحمى .

(٢) المخدع ، البيت الصغير الذى يكون داخل البيت الكبير ، وتضم ميمه وتفتح . (راجع النهاية لابن الأثير) .

بعض البيت ، وأخذت فاطمةُ بنت الخطّاب الصحيفةَ فجعلتها تحت فخذها ، وقد سَمِع عمرُ حين دنا إلى البيت قراءة خبّاب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهَيْنمة[1] التي سمعتُ ؟ قالا له : ما سمعتَ شيئاً ؛ قال: بلى والله ، لقد أُخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه ، وبطش بخَتنه سعيد بن زيد ؛ فقامت إليه أختُه فاطمة بنت الخطّاب لتكفّه عن زوجها ، فضربها فشجّها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وخَتنه : نعم ، قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم نَدِم على ما صنع ، فارعوى[2] ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سَمِعْتُكم تقرءون آنفاً أنظر ماهذا الذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته إنّا نَخْشاك عليها ؛ قال : لاتخافي ، وحلف لها بآلهته ليردّنّها إذا قرأها إليها ؛ فلما قال ذلك طمعتْ في إسلامه ، فقالت له : يا أخي ، إنك نَجِس ، على شِرْكك ، وإنه لا يمسّها إلا الطاهر[3] ،

---

(١) الهينمة : صوت كلام لايفهم .

(٢) ارعوى : رجع .

(٣) قال السهيلي عند الكلام على تطهير عمر ليمس القرآن : « وقول أخته له لا يمسه إلا المطهرون » : والمطهرون في هذه الآية هم الملائكة ، وهو قول مالك في الموطأ ، واحتج بالآية الأخرى التي في سورة عبس ، ولكنهم وإن كانوا الملائكة ففي وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس ما يقتضي ألا يمسه إلا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين ، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير ، ولكنه حكم مندوب إليه ، وليس محمولا على الفرض ، وإن كان الفرض فيه أبين منه في الآية ، لأنه جاء بلفظ النهي عن مسه على غير طهارة ، ولكن في كتابه إلى هرقل بهذه الآية : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة » دليل على ماقلناه . وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة ممن سلف ، منهم : الحكم بن عتيبة وحماد بن أبي سليمان ، إلى إباحة مس المصحف على غير طهارة ، واحتجوا بما ذكرنا من كتابه إلى هرقل ، وقالوا : حديث عمرو بن حزم مرسل ، فلم يروه حجة ، والدارقطني قد أسنده من طرق حسان ، أقواها رواية أبي داود الطيالسي عن الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده . ومما يقوى أن المطهرين في الآية هم الملائكة ، أنه لم يقل : «المتطهرون» وإنما قال : « المطهرون » . وفرق ما بين المتطهر والمطهر ، أن المتطهر من فعل الطهور ، وأدخل نفسه فيه ، كالمتفقه من يدخل نفسه في الفقه ، وكذلك (المتفعل) في أكثر الكلام . وأنشد سيبويه :

* وقيس عيلان ومن تقيسا *

فقام عمرُ فاغتسل ، فأعطته الصحيفةَ ، وفيها : « طه »[1] . فقرأها ؛ فلما قرأ منها صدرًا قال : ما أحسن هـذا الكلامَ وأكرمَه ! فلما سمع ذلك خبّاب خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدَعْوة نبيّه ، فإنى سَمِعته أمس وهو يقول : اللهم أيّد الإسلام بأبى الحَكَم بن هشام ، أو بعُمر بن الخطّاب، فاللهَ اللهَيا عمر . فقال له عند ذلك عمر : فدلّنى يا خبّاب على محمد حتى آتيه فأُسْلم ؛ فقال له خبّاب : هو فى بيت عند الصَّفا ، معه فيه نَفَر من أصحابه. فأخذ عمرُسيفَه فتوشّحه ، ثم عمد إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابِه فضرب عليهم البابَ ؛ فلما سمعوا صوتَه ، قام رجلٌ من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فنظر من خَلل الباب ، فرآه متوشّحاً السيفَ ، فرجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فَزِع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمرُ بنُ الخطّاب متوشّحاً السيفَ ؛ فقال حمزةُ بن عبد المطّلب : فَأْذن له ، فإنْ كان جاء يريد خَيْراً بذَلْناه له ، و إن كان [جاء][2] يريد شرًّا قتلناه بسيفه ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أئذن له . فأذِن له الرجلُ ، ونهض إليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى لَقِيه فى الحجرة ، فأخذ حُجْزته[2] ، أو بمَجمع ردائه ، ثم جَبَذه [به][3] جبذةً شديدةً ، وقال : ما جاء بك يا بن الخطّاب ؟ فوالله ما أرى أن

= فالآدميون متطهرون إذا تطهروا ، والملائكة مطهرون خلقة ، والآدميات إذا تطهرن متطهرات . وفى التنزيل : « فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله » . والحور العين : مطهرات . وفى التنزيل : « لهم فيها أزواج مطهرة » . وهذا فرق بين ، وقوة لتأويل مالك رحمه الله ، والقول عندى فى الرسول عليه السلام أنه متطهر ومطهر ، أما متطهر ، فلأنه بشر آدمى يغتسل من الجنابة ويتوضأ من الحدث ؛ وأما مطهر فلأنه قد غسل باطنه وشق عن قلبه وملئ حكمة وإيمانا ، فهو مطهر ومتطهر » .

(1) وفى رواية : أن عمر حين قرأ فى الصحيفة سورة « طه » انتهى منها إلى قوله : « لتجزى كل نفس بما تسعى » . فقال : ما أطيب هذا الكلام وأحسنه ! وقيل إن الصحيفة كان فيها مع سورة طه : « إذا الشمس كورت » . وإن عمر انتهى فى قراءتها إلى قوله : « علمت نفس ما أحضرت » .

(2) الحجزة : موضع شد الإزار .

(3) زيادة عن ا .

تنتهى حتى يُنزل الله بك قارعةً[1] ؛ فقال عمرُ : يا رسولَ الله ، جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله ؛ قال . فكبّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تكبيرةً عرَف أهلُ البيت من أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم أن عمرَ قد أسلم .

٥ فتفرّق أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من مكانهم وقد عَزّوا[2] فى أنفسهم حين أسلم عمرُ مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما[3] سيَمْنعان رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم ، ويَنْتصفون بهما من عدوّهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمرَ بن الخطّاب حين أسلم .

رواية عطاء ومجاهد عن إسلام عمر

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى نَجيح المكىّ عن أصحابه :
١٠ عَطاء ، ومجاهد ، أو عمّن روى ذلك .

أنّ إسلام عمر فيما تحدّثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإسلام مُباعدًا : وكنت صاحبَ خَمْر فى الجاهلية ، أحبّها وأُسرّ بها ، وكان لنا مجلسٌ يَجتمع فيه رجال من قُريش بالحَزْوَرة[4] ، عند دُور آل عمرَ بن عَبْد بن عِمْران المخزومى . قال : فخرجت ليلةً أريد جُلسائى أولئك فى مَجْلسهم ذلك ، قال : فجئتهم فلم أجدْ
١٥ فيه منهم أحدًا[5] . قال ؛ فقلت : لو أنى جئتُ فلانًا الخمّار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلّى أجدُ عنده خمرًا فأشرب منها . قال : فخرجتُ فجئته فلم أجدْه . قال :

---

(١) القارعة : الداهية .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « وقد عز مافى أنفسهم » .

(٣) كذا فى ا وفى سائر الأصول : « أنهم » ولا يستقيم بها الكلام .

٢٠ (٤) الحزورة (بالفتح ثم السكون وفتح الواو وراء وهاء ، والمحدثون يفتحون الراء ويشددون الواو ، وهو تصحيف) : كانت سوق مكة ، وقد دخلت فى المسجد لما زيد فيه . وفى الحديث : وقف النبي صلى الله عليه وسلم بالحزورة فقال : يا بطحاء مكة ، ما أطيبك من بلدة وأحبك إلى ! ولولا أن قوى أخرجونى منك ماسكنت غيرك .

(٥) كذا فى ا ، ط : وفى سائر الأصول : « أحد » وهو تحريف .

فقلت : فلو أنى جئتُ الكعبةَ فطفْتُ بها سبعاً أو سبعين . قال : فجئتُ المسجدَ أريد أن أطوفَ بالكعبة ، فإذا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قائمٌ يصلّى ، وكان إذا صلّى استقبل الشامَ ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مُصلاّه بين الرُّكنين : الركن الأسود ، والركن اليمانى . قال ؛ فقلت : حين رأيتُه ، والله لو أنى استمعتُ لمحمدٍ الليلةَ حتى أسمعَ ما يقول ! [قال][1] فقلت : لئن دنوتُ منه ٥
أستمع منه لأروّعنّه ؛ فجئت من قِبَل الحِجْر ، فدخلت تحت ثيابها ، فجعلتُ أمشى رويداً ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قائمٌ يصلّى يقرأ القرآن ، حتى قمتُ فى قبلته مُسْتقبلَه ، مابينى وبينه إلا ثيابُ الكعبة . قال : فلما سمعتُ القرآنَ رقّ له قلبى ، فبكيتُ ودخلنى الإسلامُ ، فلم أزلْ قائماً فى مكانى ذلك ، حتى قضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم صلاتَه ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على ١٠
دار ابن أبى حُسَين ، وكانت طريقَه ، حتى يَجْزع[2] المَسْعى ، ثم يَسْلُكُ بين دار عبّاس بن المطّلب ، وبين دار ابن أزْهر بن عبد عَوْف الزهرى ، ثم على دار الأخْنس بن شَرِيق ، حتى يدخل بيتَه . وكان مسكنُه صلّى الله عليه وسلّم فى الدار الرَّقْطاء[3] ، التى كانت بيدَىْ مُعاويةَ بنِ أبى سفيان . قال عمر رضى الله عنه : فتبعتُه حتى إذا دخل بين دار عبّاس ، ودار ابن أزْهر ، أدركتُه ، فلما سمع ١٥
رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حسّى عرَفنى ، فظنّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أنّى إنما تَبِعتُه لأُوذيه فنَهمنى[4] ، ثم قال : ماجاء بك يابن الخطّاب هذه الساعةَ ؟ قال : قلت : [جئت][1] لأُومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ؛ قال : فحَمِد اللهَ

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى ا . ويجزع المسعى : يقطعه ، يقال جزعت الوادى : إذا قطعته . وفى سائر الأصول : « حتى يجيز على المسعى » . ٢٠

(٣) الرقطاء : التى فيها ألوان .

(٤) نهمنى : زجرنى .

رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم ، ثم قال : قد هَداكَ اللهُ يا عمر ، ثم مَسح صَدْرى ، ودعا لى بالثّبات ، ثم انصرفتُ عن رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم ، ودخل رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم بيتَه .

قال ابن إسحاق : واللهُ أعلم أى ذلك كان .

ذكر قوة عمر فى الإسلام وجلده

٥ قال ابن إسحاق : وحدّثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال : لما أسلم أبى عمرُ قال : أىّ قريش أنْقلُ للحديث ؟ فقيل[2] له : جَميل ابنَ معْمر[3] الجُمحى . قال : فغدا عليه . قال عبد الله بن عُمر : فغدوت أتبع

---

(١) وذكر ابن سنجر زيادة فى إسلام عمر قال : حدثنا أبو المغيرة قال : حدثنا صفوان ابن عمرو قال : حدثنى شريح بن عبيد قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله ١٠ صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة « الحاقة » فجعلت أتعجب من تأليف القرآن . قال : قلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش ، فقرأ : « انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون » . قال : قلت : كاهن علم مافى نفسى . فقال : « ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون » . إلى آخر السورة . قال : فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع ، ويذكرون أن عمر قال حين أسلم :

١٥ الحمد لله ذى المن ا . ى وجبت ... له علينا أياد مالها غـير
وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا ... صدق الحديث نبى عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى ... ربى عشية قالوا قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زلل ... بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة ... والدمع من عينها عجلان يبتدر
٢٠ أيقنت أن الذى تدعوه خالقها ... فكاد تسبقنى من عبرة درر
فقلت أشهد أن الله خالقنا ... وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبى صدق أتى بالحق من ثقة ... وافى الأمانة ما فى عوده خور

(راجع الروض الأنف) .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قال قيل » .

٢٥ (٣) وجميل هذا هو الذى كان يقال له : ذو القلبين ، وفيه نزلت ، فى أحد الأقوال : « ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » . وفيه قيل :

وكيف ثوائى بالمدينة بعد ما ... قضى وطرا منها جميل بن معمر

وهو البيت الذى تغنى به عبد الرحمن بن عوف فى منزله ، واستأذن عمر فسمعه وهو يتغنى وينشد بالركبانية : (وهو غناء يحدى به الركاب) . فلما دخل عمر قال له عبد الرحمن : ٣٠ إنا إذا خلونا قلنا مايقول الناس فى بيوتهم ، وقد قلب المبرد هذا الحديث ، وجعل المنشد عمر ، والمستأذن عبد الرحمن ، وفيما ذهب اليه المبرد بعد عن الصواب . (راجع الروض الأنف) .

أثره ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلامٌ أعقِل كلَّ ما رأيتُ ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمتَ يا جميلُ أنّى قد أسلمتُ ودخلت فى دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجرّ رداءه واُتّبعه عمر ، واُتبعتُ أبى ، حتى إذا قام على باب المسجد صَرَخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، وهم فى أنديتهم حول الكعبة[1] ، ألاَ إنّ عمر ابن الخطاب قد صَبا . قال : [و][2] يقول عمرُ من خلفه: كَذَب ، ولكنّى قد أسلمتُ ، وشهدتُ أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُه ورسوله . وثاروا إليه فما برح يُقاتلهم ويُقاتلونه ، حتى قامت الشمس على رءوسهم . قال : وطَلِح[3] ، فقَعد وقامُوا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنّا ثلاثمئة رجلٍ[لقد][2] تركناها لكم ، أوتركتموها لنا؛قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخٌ من قريش ، عليه حُلّة حِبْرة[4] ، وقميصُ مُوَشًّى ، حتى وقف عليهم فقال : ما شأنُكم ؟ قالوا : صَبَأ عمر ؛ فقال : فمَه ، رجلٌ اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدىّ بن كعب يُسلمون لكم صاحبَهم هكذا ! خلُّوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبًا كُشِط عنه . قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجلُ : الذى زجر القومَ عنك بمكة يوم أسلمت ، وهم يُقاتلونك ؟ فقال : ذاك ، أى بُنىّ ، العاصُ بن وائل السهمى .

قال ابن هشام : وحدّثنى بعضُ أهل العلم أنه قال :

يا أبتِ ، من الرجلُ الذى زجر القومَ عنك [بمكة][2] يوم أسلمتَ ، وهم يقاتلونك، جزاه الله خيراً . قال يابنى ، ذاك العاصُ بن وائل، لاجزاه الله خيراً .

---

(1) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « حول باب الكعبة » .

(2) زيادة عن ا .

(3) طلح : أعيا .

(4) الحبرة : ضرب من برود اليمن .

قال ابن إسحاق : وحدّثني عبدُ الرحمن بن الحارث عن بعض آلِ عُمر ، أو بعض أهله ، قال :

قال عمر لما أسلمتُ تلك الليلةَ تذكّرت أيّ أهلِ مكة أشد لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عداوةً حتى آتيَه فأُخبره أني قد أسلمتُ ؛ قال . قلت : أبو جهل ـ وكان عُمر لحَنْتَمة بنت هشام بن المُغيرة ـ قال : فأقبلت حين أصبحتُ حتى ضربتُ عليه بابَه . قال : فخرج إليّ أبو جهل ، فقال : مرحباً وأهلاً بابن أختي ، ماجاء بك ؟ قال[1] : جئتُ لأخبرك أني قد آمنتُ بالله و برسوله محمد ، وصدّقت بما جاء به ؛ قال : فضرب البابَ في وَجهي وقال : قبّحك الله ، وقبّح ما جئتَ به .

خـــبر الصحيفة

تحالف الكفار ضد الرسول

قال ابن إسحاق :

فلما رأت قريشٌ أنّ أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقرارًا ، وأنّ النجاشيّ قد منع مَنْ لجأ إليه منهم ، وأنّ عمر قد أسلم ، فكان هو وحَمْزة بن عبد المطّلب مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، وجعل الإسلامُ يَفْشو في القبائل ، اجتمعوا وائتمروا [بينهم][2] أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم ، وبني المطّلب ، على أن لا يُنْكحوا إليهم ولا يُنكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه[3] في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتَواثقوا على ذلك ، ثم علّقوا الصحيفةَ في

---

(1) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « قال قلت . . . الخ » .

(2) زيادة عن ا .

(3) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « كتبوا » .

جَوْف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، وكان كاتبَ الصحيفة منصورُ بن عِكرمة ابن عامر بن هاشم بن عَبْد مناف بن عَبْد الدار بن قُصَىّ - قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث - فدعا عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فشُلّ بعضُ أصابعه .

قال ابن إسحاق : ٥

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطّلب إلى أبى طالب ابن عبد المطّلب فدخلوا معه فى شِعْبه واُجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لَهَب ، عبد العزّى بن عبد المطّلب ، إلى قريش فظاهرهم .

تهكم أبى لهب بالرسول صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله فيه

قال ابن إسحاق وحدّثنى حُسين بن عبد الله :

أنّ أبا لهب لقى هِنْد بنت عُتْبة بن رَبيعة ، حين فارق قومَه ، وظاهر عليهم ١٠ قريشاً ، فقال : يا بنت عتبة ؛ هل نصرتِ اللاتَ والعزّى ، وفارقتِ مَنْ فارقهما وظاهر عليهما[1] ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيرًا يا أبا عُتْبة .

قال ابن إسحاق : وحُدّثت أنه كان يقول فى بعض ما يقول :

يَعدنى محمدٌ أشياء لا أراها ، يزعم أنها كائنةٌ بعد الموت ، فماذا وضع فى يدىّ بعد ذلك ، ثم ينفخ فى يدَيْه ويقول : تبالكما ، ما أرى فيكما شيئاً مما ١٥ يقول محمد . فأنزل الله تعالى فيه : « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ[2] » .

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «عليها» وهو تحريف .

(٢) قال السهيلى : «هذا الذى ذكره ابن إسحاق يشبه أن يكون سبباً لذكر الله سبحانه «يديه» حيث يقول : تبت يدا أبى لهب » . وأما قوله: « وتب » . فتفسيره ماجاء فى الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما أنزل الله تعالى : « وأنذر عشيرتك ٢٠ الأقربين » . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الصفا ، فصعد عليه فهتف: ياصباحاه . فلما اجتمعوا إليه قال : أرأيتم : لوأخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقى ؟ قالوا : ماجربنا عليك كذبا ؛ قال : « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » . فقال أبو لهب : تبا لك ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله تعالى : « تبت يدا أبى لهب » . وقدتب ، هكذا قرأ مجاهد والأعمش وهى - والله أعلم - قراءة مأخوذة عن ابن مسعود ، ٢٥

قال ابن هشام: تبت: خسرت. والتباب: الخسران. قال حَبيب ابن خُدْرة[1] الخارجي: أحدُ بنى هِلال بن عامر بن صَعْصعة:

يا طيب إنّا فى مَعْشرٍ ذهبتْ ... مَسْعاتُهم فى التَّبارِ والتَّبَبِ[2]

وهذا البيت فى قصيدة له.

شعر أبى طالب فى قريش حين تظاهروا على الرسول صلى الله عليه وسلم

٥ قال ابن إسحاق:

فلما اُجتمعت على ذلك قريش، وصنعوا فيه الذى صنعوا قال أبو طالب:

ألا أبلغَا عنّى على ذَاتِ[3] بَيْننا[4] ... لُؤَيًّا وخُصَّا من لؤىٍّ بنى كَعْبِ

ألم تَعْلموا أنّا وجَــدنا محمداً ... نبيًّا كموسى خُطّ فى أول الــكُتْبِ

= لأن فى قراءة ابن مسعود ألفاظا كثيرة تعين على التفسير. قال مجاهد: لو كنت قرأت قراءة

١٠ ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته، وكذلك زيادة «قد» فى هذه الآية فسرت أنه خبر من الله تعالى، وأن الكلام ليس على جهة الدعاء كما قال تعالى: «قاتلهم الله أنى يؤفكون». أى أنهم أهل أن يقال لهم هذا. فتبت يدا أبى لهب: ليس من باب «قاتلهم الله»، ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وماله، واليدان آلة الكسب وأهله وماله مما كسب، فقوله: «تبت يدا أبى لهب». يفسره قوله: «ما أغنى عنه ماله

١٥ وما كسب». وولد الرجل من كسبه كما جاء فى الحديث: أى خسرت يداه هذا الذى كسبت. وقوله: «وتب». تفسير: «سيصلى نارا ذات لهب». أى قد خسر نفسه بدخوله النار. وقول أبى لهب: تبا لكما، ما أرى فيكما شيئاً، يعنى يديه، سبب لنزول «تبت يدا» كما تقدم.

(١) كذا فى أكثر الأصول، بخاء معجمه مضمومة ودال ساكنة. وفى ا: «جدرة»

٢٠ بالجيم والدال المفتوحتين. ويروى أيضاً: «جدره». بجيم مكسورة ودال ساكنة. وهذه كلها روايات فيه.

(٢) التبار: الهلاك. والتبب كالتباب والتتبيب، وهى الهلاك.

(٣) كذا فى أكثر الأصول، وفى م: «ذات وبيننا» وهو تحريف.

(٤) ذات بيننا، وذات يده، وما كان نحوه: صفة لمحذوف مؤنث، كأنه يريد الحال

٢٥ التى هى ذات بينهم، كما قال الله سبحانه: «وأصلحوا ذات بينكم». فكذلك إذا قلت ذات يده، تريد أمواله أو مكتسباته. وكذلك إذا قلت: لقيته ذات يوم: أى لقاءة، أو مرة ذات يوم. فلما حذف الموصوف وبقيت الصفة صارت كالحال.

وأنّ عليـــه فى العِباد مَحبةً ولا خيرَ ممن خصّه الله بالحُبّ[١]

وأن الذى ألصقتمُ من كِتابكم لَــكُم كائن نحساً كَراغية السَّقْب[٢]

أفيقُوا أفيقوا قبل أن يُحفر الثّرى ويُصبح مَنْ لم يَجْنِ ذنباً كذى الذَّنْب

ولا تَتْبعوا أمرَ الوُشاة وتَقْطَعوا أَواصرَنا بعد المودّة والقُرْب[٣]

وتَسْتجلبوا حَرْبًا عَواناً وربّما[٤] أمرّ على من ذاقه جَلبُ الحَرْب ٥

فلسنا وربِّ البيت نُسْــلم أحمداً لعزّاء[٥] من عض الزّمان ولا كَرْب[٦]

ولما تَبِنْ منّا ومنكم سَوالف[٧] وأيدٍ أُترّت بالقُساسيَّة الشُّهْب[٨]

---

(١) قال السهيلى فى التعليق على الشطر الأخـير من هذا البيت : « وهو مشكل جداً ، لأن : «لا» . فى باب التبرئة لاتنصب مثل هذا إلا منونا ، تقول : لاخيراً من زيد فى الدار، ولا شراً من فلان ، وإنمـا تنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير موصول بمـابعده ، كقوله ١٠ تعالى : « لا تثريب عليكم اليوم » . لأن « عليكم » ليس من صـلة التثريب ، لأنه فى موضع الخـبر . وأشبه ما يقال فى بيت أبى طالب أن « خـيراً » مخفف من خير (كهين وميت) . وفى التنزيل : « خيرات حسان » . وهو مخفف من خيرات . وقوله : « ممن » . من متعلقه بمحذوف ، كأنه قال : لاخير أخير ممن خصه الله . وخير وأخير : لفظان من جنس واحد ، فحسن الحذف استثقالا لتكرار اللفظ . وفيه وجه آخر ، وهو أن يكون حذف التنوين ١٥ مراعاة لأصل الكلمة : لأن « خيراً من زيد ، إنمـا معناه أخير من زيد » . وكذلك : « شر من : فلان» . إنمـا أصله أشر، على وزن أفعل ، وحذفت الهمزة تخفيفاً . وأفعل لاينصرف ، فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونون ، فإذا توهمتها غير ساقطة التفاتا إلى أصل الكلمة لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع مايقويه من ضرورة الشعر » .

(٢) كراغية السقب : هو من الرغاء ، وهو أصوات الإبل . والسقب : ولد الناقة ، ٢٠ وأراد به هنا ولد ناقة صالح عليه السلام .

(٣) الأواصر: أسباب القرابة والمودة .

(٤) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرارا .

(٥) العزاء : الشدة .

(٦) كذا فى أ كثر الأصول . وعض الزمان : شدته . وفى ا : « عظ الزمان » . ٢٥ والعظ : الشدة .

(٧) السوالف : صفحات الأعناق .

(٨) أترت : قطعت . والقساسية سيوف تنسب إلى قساس ، وهو جبل لبنى أسد فيه معدن الحديد .

بِمُعْتَرِك ضَيْق ترى كِسَر القَنا ... بهِ والنسورَ الطُّخم يَعْكُفن كالشَّرْبِ[1]

كأنّ مُجال[2] الخيل في حَجَرَاته[3] ... ومَعْمَعة الأبطال مَعْركة الحَرْب

أليس أبونا هاشمٌ شَـــدَّ أَزْرَه ... وأوصَى بَنيه بالطِّعان وبالضَّرْب

ولسنا نَمَلّ الحربَ حـــتى تَمَلَّنا ... ولا نَشْتكى ماقد يَنوب من النَّكْب

٥ ولــكنّنا أهلُ الحَفائظ والنُّهى ... إذا طار أرواحُ الـكُماة من الرُّعْب[4]

فأقاموا على ذلك سَنَتين أو ثلاثا ، حتى جُهِدوا لا يصل إليهم شيء إلا سرًّا مستخفياً [به][5] مَنْ أراد صِلَتهم من قريش .

تعرض أبي جهل لحكيم ابن حزام وتوسط أبي البختري

وقد كان أبو جهل بن هشام ـ فيما يذكرون ـ لقي حَكيم بن حِزام ابن خُويلد بن أَسَد ، معه غلام يَحْمل قمحاً يُريد به عمّته خَديجة بنت خُويلد ، ١٠ وهي عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومعه في الشِّعب ، فتعلّق به وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ والله لاتبرح أنت وطعامُك حتى أَفْضحك بمكّة . فجاءه أبو البَخْتِرى بن هاشم[6] بن الحارث بن أَسَد فقال : مالك وله ؟ فقال : يحمل الطعامَ إلى بنى هاشم ؛ فقال [له][5] أبو البخترى : طعامٌ كان لعمّته عنده بعثت إليه [فيه][5] ، أفتمنعه أن يأتيها بطَعامها ! خلِّ سبيلَ الرجل ؛ فأبى ١٥ أبو جهل حتى نال أحدُهما من صاحبه ، فأخذ [له][5] أبو البَختري لَحْى بَعير فضربه به فشجّه ، ووطئه وطْأً شديداً ، وحمزةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابَه ،

---

(١) الطخم : السود الرءوس . ويعكفن : يقمن ويلازمن . والشرب : الجماعة من القوم يشربون .

٢٠ (٢) كذا في ا . وفي سائر الأصول : «مجال» ولا معنى لها .

(٣) الحجرات : النواحي .

(٤) الرعب (بالفتح) : الوعيد .

(٥) زيادة عن ا .

(٦) كذا في ا . وفي سائر الأصول : هشام .

فيشمتوا بهم ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على ذلك يدعو قومَه ليلاً ونهاراً ، وسرًّا وجِهاراً ، مباديًا[1] بأَمْرِ الله لا يتّقى فيه أحداً من الناس .

ذكر ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه من الأذى

ما أنزله الله تعالى فى أبى لهب

فجعلت قريش حين منعه الله منها ، وقام عمّه وقومُه من بنى هاشم ، وبنى المطّلب دونه ، وحالوا بينهم[2] وبين ما أرادوا من البَطْش به ، يَهْمِزونه ويستهزئون به ويُخاصمونه ، وجعل القرآن ينزل فى قُريش بأحداثهم ، وفيمن نصب لعداوته منهم ، فمنهم من سمّى لنا ، ومنهم من نزل فيه القرآن فى عامّة مَنْ ذكر الله من الكفّار ، فكان ممن سُمِّى لنا من قُريش ممن نزل فيه القرآن : عمه أبو لهب بن عبد المطّلب ، وامرأته أم جَميل[3] بنت حَرْب بن أمية ، حمّالة الحطب ، وإنما سمّاها الله تعالى حمّالة الحطب ، لأنها كانت ــ فيما بلغنى ــ تحمل الشوكَ فتطرحه على طريق رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حيث يمرّ ، فأنزل الله تعالى فيهما : « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ[4] »

قال ابن هشام : الجيد : العنق . قال أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة :

---

(١) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « مناديا » .

(٢) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « بينه » .

(٣) وهى عمة معاوية .

(٤) لما كنى الله تعالى عن ذلك الشوك بالحطب ، والحطب لا يكون إلا فى حبل ، من ثم جعل الحبل فى عنقها ليقابل الجزاء الفعل .

يوم تبدى لنا قُتَيْلة عن جِيـد أسِـيل[1] تَزِينُه الأطواقُ[2]

وهذا البيتُ فى قصيدة له . وجمعه : أجياد . والمَسد : شجرٌ يدقّ كما يدق الكتّان فتفتل منه حِبال . قال النابغة الذبيانى ، واسمه زِياد بن عَمْرو بن معاوية :

مقذوفةٍ بدَخيس النَّحض بازِلُها له صَريف صَريفَ القَعْو بالمَسَدِ[3]

٥ وهذا البيت فى قصيدة له . وواحدته : مسدة .

أم جميل ورد الله كيدها عن الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فذُكر لى :

أنّ أم جميل : حمّالة الحطب ، حين سمعت ما نزل فيها ، وفى زوجها من القرآن ، أتت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو جالس فى المَسْجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصدّيق ، وفى يدها فِهْرٌ[4] من حِجارة ، فلما وقفتْ عليهما أخذَ

١٠ الله ببصَرها عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر : أين صاحبُك ، فقد بلغنى أنه يهجونى ، والله لو وجدته لضربْتُ بهذا الفهر فاه ، أما والله إنى لشاعرة ، ثم قالت[5] :

---

(١) جيد أسيل : فيه طول . والأطواق : جمع طوق ، وهى القلادة .

(٢) قال السهيلى فى التعليق على هذا البيت : « وقوله : تزينه : أى تزينه حسنا ، وهذا

١٥ من القصد فى الكلام ، وقد أبى المولدون إلا الغلو فى هذا المعنى وأن يقلبوه . فقال فى الحماسة حسين بن مطير :

مبتلة الأطراف زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها

وقال خالد القسرى لعمر بن عبد العزيز : ومن تكن الخلافة زينته فأنت زينتها ، ومن تكن شرفته فأنت شرفتها ، وأنت كما قال :

٢٠ وتزيدين أطيب الطيب طيبا أن تمسيه أين مثلك أين

وإذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر : إن صاحبكم أعطى مقولا ، ولم يعط معقولا » . ثم ساق السهيلى أبياتا كثيرة فى هذا المعنى اجتزأنا منها بذلك .

(٣) الدخيس : اللحم الكثير. والنحض : اللحم . وبازلها : نابها .والصريف : الصوت .

٢٥ والقعو : الذى تدور فيه البكرة ، إذا كان من خشب ، فإن كان من حديد فهو الخطاف .

(٤) الفهر : حجر على مقدار ملء الكف . والمعروف فى الفهر التأنيث إلا أنه وقع هنا مذكرا .

(٥) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « فقالت » .

مُـــــذَمَّمًا عَصَينَا وأَمْرَه أَبَيْـــــنَا

* ودينـــــه قَلَيْنا[1] *

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تُراها رأتك ؟ فقال ما رأتنى ، لقد أخذ الله ببصرها عنّى .

قال ابن هشام : قولها « ودينه قلينا » عن غير ابن إسحاق

قال ابن إسحاق :

وكانت قريش إنما تسمّى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم مُذَمَّمًا ، ثم يسبّونه ، فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : ألا تعجبون لما يصرف[2] الله عنّى من أذى قريش ، يسبّون ويهجون مذمّمًا ، وأنا محمد .

ذكر ما كان يؤذى به أمية ابن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأميَّة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، كان إذا رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هَمَزه ولَمزه ، فأنزل الله تعالى فيه « وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ » .

قال ابن هشام : الهمزة . الذى يشتم الرجلَ عَلانية ، ويَكْسِر عينيه عليه ، ويَغْمز به . قال حسّان بن ثابت :

هَمَزْتُكَ فاخْتَضَعْتَ لذلّ نفسٍ بقافيـــــةٍ تَأَجَّجُ كالشُّواظِ[3]

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : همزات واللمزة ، الذى يَعيب الناسَ سرًّا ويُؤذيهم . قال رؤبة بن الحجاج :

* فى ظل عَصْرى باطلى ولمزى *

(١) قلينا : أبغضنا .

(٢) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « صرف » .

(٣) اختضعت : تذللت . وتأجج : تتوقد . والشواظ : لهب النار .

وهذا البيت فى أُرجوزة له ، وجمعه : لمزة .

قال ابن إسحاق :

ما كان يؤذى به العاص رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل فيه

والعاص بن وائل السهمى ، كان خبّاب بن الأرت ، صاحبُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قَيْناً بمكة يعمل السيوفَ ، وكان قد باع من العاص ابن وائل سيوفاً عملها له ، حتى كان له عليه مالٌ ، فجاءه يتقاضاه ، فقال له : يا خبّاب ، أليس يزعُم محمد صاحبُكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتُغى أهلُها من ذهب ، أو فضة ، أو ثياب ، أو خدم ! قال خبّاب : بلى . قال : فأنظرنى إلى يوم القيامة يا خبّاب حتى أرْجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقّك ، فوالله لاتكون أنت وصاحبك[1] ياخبّاب آثرَ عند الله منّى ، ولا أعظم حظًّا فى ذلك . فأنزل الله تعالى فيه : « أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ » . إلى قوله تعالى : « وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا » .

ما كان يؤذى به أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل فيه

ولقى أبو جهل بن هشام رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ـ فيما بلغنى ـ فقال له : والله يا محمد ، لتتركنّ سبّ آلهتنا ، أو لنسبنّ إلٰهك الذى تعبد . فأنزل الله تعالى فيه : « وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ » . فذُكر لى أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كفّ عن سبّ آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله .

ما كان يؤذى به النضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل فيه

والنضر بن الحارث بن عَلْقمة[2] بن كلدة بن عَبْد مناف بن عَبْد الدار ابن قصى ، كان إذا جلس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآنَ وحذّر [فيه][3] قريشاً ما أصاب الأممَ الخاليةَ ،

(١) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « وأصحابك » .

(٢) فى الأصول : « ابن كلدة ابن علقمة » وهو تحريف .

(٣) زيادة عن ا .

خَلفه فى مجلسه إذا قام ، فحدّثهم عن رُسْتم السنديد[1] ، وعن اسفنديار ، وملوك فارس ، ثم يقول : والله ما محمد بأحسن حديثاً منّى ، وما حديثه إلا أساطير ، الأولين ، اُكتتبها كما اُكتتبتها . فأنزل الله فيه : « وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اُكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيمًا » ونزل فيه : « إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » . ونزل فيه : « وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللّٰهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » .

قال ابن هشام : الأفاك : الكذاب . وفى كتاب الله تعالى : « أَلاَ إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللّٰهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » وقال رؤبة [بن العجاج][2] :

* ما لِامرئٍ أَفَّكَ قولاً أَفْكَا *

وهذا البيت فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق :

وجلس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يومًا ــ فيما بلغنى ــ مع الوليد بن المُغيرة فى المسجد ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم فى المجلس ، وفى المجلس غيرُ واحدٍ من رجال قريش ، فتكلّم رسولُ صلّى الله عليه وسلّم فعرض له النضر ابن الحارث ، فكلمه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعليهم : « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لاَ يَسْمَعُونَ » .

---

(١) كذا فى شرح السيرة لأبى ذر . والسنديد (بلغة فارس) : طلوع الشمس . وهم ينسبون إليه كل جميل . وفى الأصول : « الشديد » .

(٢) زيادة عن ا .

قال ابن هشام : حصب جهنم : كل ما أوقدت به . قال أبو ذُؤيب الهذلى ، واسمهُ خُويلد بن خالد :

فأطْفِئْ ولا تُوقد ولا تَكُ مُحصباً   لنار[1] العُداة أن تَطير شَكاتُها[2]

وهذا البيت فى أبيات له . و يروَى « ولا تك مِحْضَأً[3] » . قال الشاعر :

٥ حَضأتُ له نارى فأبصَرَ[4] ضوءها   وما كان لولا حَضْأةُ النار يَهْتدِى

مقالة ابن الزبعرى وما أنزل الله فيه

قال ابن إسحاق :

ثم قام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأقبل عبد الله بن الزِّبَعْرى السَّهْمى حتى جلس ، فقال الوليد بن المُغيرة لعبد الله بن الزِّبعرى : والله ما قام النضرُ ابن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنّا وما نعبد من
١٠ آلهتنا هذه حَصَب جهنم؛ فقال عبد الله بن الزِّبعرى : أما والله لو وجدته لخَصَمْته، فسلوا محمداً: أ كلّ ما يُعبد من دون الله فى جهنم مع مَنْ عبده ؟ فنحن نعبُد الملائكة ، واليهودُ تعبد عُزيرا ، والنصارى تعبد عيسى بن مريم [عليهما السلام][5] ؛ فعجب الوليد ، ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزِّبعرى ، ورأوا أنه قد احتجّ وخاصم . فذُكر ذلك لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من قول
١٥ ابن الزبعرى ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم [إنّ][5] كلّ من أحبّ أن يُعبد من دون الله فهو مع مَنْ عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ، ومن أمرتْهم بعبادته . فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك : « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ » أى عيسى بن مريم ، وعُزَيرا ، ومن عبدوا من الأحبار والرهبان

٢٠ (١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : «لنا العداة» ، وهو تحريف .
(٢) الشكاة : الشدة .
(٣) المحضأ : العود الذى تحرك به النار وتلتهب .
(٤) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « فأبصرت » ولا يستقيم بها الكلام .
(٥) زيادة عن ا ، ط .

الذين مضوا على طاعة الله ، فاتّخذهم من يعبدُهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله .

ونزّل فيما يذكرون ، أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله : « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » إلى قوله : « وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ » . ٥

ونزّل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم أنه يُعبد من دون الله ، وعَجَب الوليد ومن حَضَره من حُجّته وخصومته : « وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ » أى يصدون عن أمرك بذلك من قولهم[1] .

ثم ذكر عيسى بنَ مريم فقال : « إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِى إِسْرَائِيلَ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِى الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ » . أى ما وَضَعْتُ على يديه من الآيات من إحياء الموتى ، و إبراء الأسقام ، فكفى به دليلاً على علم الساعة ، يقول : « فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ » . ١٠

الأخنس بن شريق وما أنزل الله فيه

[قال ابن إسحاق][2] : ١٥

والأخنسُ بن شَريق بن عمرو بن وَهْب الثقفى ، حليف بنى زُهرة ، وكان من أشراف القوم وممن يُستمع منه ، فكان يُصيب من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم و يردّ عليه ، فأنزل الله تعالى فيه : « وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ » إلى قوله تعالى : « زَنِيمٍ » ولم يقل : « زَنِيمٍ » لعيبٍ فى نسبه ، لأنّ الله لا يَعيب أحداً بنسب ، ولكنه حقّق بذلك نعتَه ليُعرف . ٢٠ والزنيم : العَديد[3] للقوم . وقد قال الخَطِيم التميمىّ فى الجاهلية :

---

(١) كذا فى ا وفى سائر الأصول : « قوله » .
(٢) زيادة عن ا .
(٣) العديد : من يعد فى القوم ، وهو الدعىّ .

زَنيمٌ تَداعاه الرجالُ زِيادةً كما زِيد فى عَرْض الأديم الأكارِعُ[1]

الوليد بن المغيرة وما أنزل الله تعالى فيه

والوليد بن المغيرة ، قال : أَيُنزَّل على محمد وأُترك وأنا كبير قريش وسيدها ! ويترك أبو مسعود عمرو بن عُمير الثقفى سيِّد ثقيف ، ونحن عظيما القريتين ! فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى « وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هٰذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ » إلى قوله تعالى : « مِمَّا يَجْمَعُونَ » .

أبىّ بن خلف وعقبة بن أبى معيط وما أنزل الله فيهما

وأُبَىّ بن خَلف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ، وعُقْبة بن أبى مُعيط ، وكانا مُتصافيين ، حَسَناً ما بينهما . فكان عُقْبة قد جلس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسمع منه ، فبلغ ذلك أبيًّا فأتى عُقبة فقال [له][2] : أَلَمْ يبْلغنى أنك جالستَ محمداً وسمعتَ منه ! [3] وَجْهى من وجهك حَرام أن أُكلّمك ـ واستغلظ من اليمين ـ إن أنتَ جلستَ إليه أو سمعتَ منه ، أو لم تأته فتَتْفل فى وجهه . ففعل ذلك عدو الله عُقبة بن أبى مُعَيط لعنه الله . فأنزل الله تعالى فيهما :
« وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً » .
إلى قوله تعالى : « لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً » .

ومشى أُبىّ بن خلف إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعَظْمٍ بالٍ قد أُرْفتَ[4] فقال : يا محمد ، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرمّ[5] ، ثم فتّه فى يده[6] ، ثم نفخه فى الريح نحوَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ، ثم يُدخلك الله النّار . فأنزل الله تعالى فيه : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً

---

(1) الأكارع : جمع كراع . والكراع من الإنسان : مادون الركبة إلى الكعب ، ومن الدواب : مادون الكعب .
(2) زيادة عن ا .
(3) فى الأصول : « . . . قال : وجهى . . . الخ » .
(4) ارفت : تحطم وتكسر .
(5) أرم : بلى .
(6) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « بيده » .

وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ » .

سبب نزول سورة « قل يأيها الكافرون »

واعترض رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو يطوف بالكعبة فيما بلغنى ، الأسودُ بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّى ، والوليدُ بن المُغيرة ، وأُميةُ بن خَلَف ، والعاصُ بن وائل السهمى ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هَلُمّ فلنعبدْ ما تعبد ، وتعبدُ ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فإن كان الذى تعبد خيراً مما نعبد ، كنّا قد أخذنا بحظّنا منه ، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظّك منه . فأنزل الله تعالى فيهم : « قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » . أى إن كنتم لاتعبدون الله إلا أن أعبد ماتعبدون ، فلا حاجة لى بذلك منكم ، لكم دينكم جميعاً ، ولى دينى .

أبوجهل وما أنزل الله فيه

وأبوجهل بن هشام ، لمّا ذكر الله عز وجل شجرةَ الزقوم تخويفاً بها لهم ، قال: يا معشر قريش ، هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوّفكم بها محمد ؟ قالوا : لا ؛ قال : عجوة[1] يثرب بالزّبد ، والله لئن استمكنّا منها لنتزقّمنّها[2] تزقّماً . فأنزل الله تعالى فيه : « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ » أى ليس كما يقول .

قال ابن هشام : المهل : كل شىء أذبته من نحاس أو رصاص أو ما أشبه ذلك ، فيما أخبرنى أبو عُبيدة .

كيف فسر ابن مسعود المهل

و بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن [البَصْرى][3] أنه قال :

(١) العجوة : ضرب من التمر .
(٢) ترقم : ابتلع .
(٣) زيادة عن ا ، ط .

كان عبد الله بن مَسْعود والياً لعمرَ بن الخطّاب على بيت مال الكوفة ، وأنه أمر يومًا بفضّة فأُذيبت فجعلتْ تلوّنُ ألوانا ، فقال : هل بالباب من أحد ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فأدخلوهم ، فأُدخلوا ؛ فقال : إن أدنى ما أنتم راءون شبهاً بالمهل ، لَهَذا[1] . وقال الشاعر :

٥ يَسْقيه ربّى حميمَ المُهْل يجْرعُه ... يَشْوِى الوجوهَ فهُوَ فى بَطْنه صَهِرُ[2]

ويقال إن المهل : صديد الجسد .

استشهاد فى تفسير المهل بكلام لأبى بكر

بلغنا أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما حُضِر أمَرَ بثَوْبين لَبِيسين يُغْسلان فيكفّن فيهما ، فقالت له عائشة : قد أَغْناكَ الله يا أبتِ عنهما ، فاشترِ كفناً ؛ فقال : إنما هى ساعة حتى يَصير إلى المُهل . قال الشاعر :

١٠ شاب بالماء منه مُهلاً كَرِيهاً ... ثم علّ المُتون بعــــد النّهال[3]

قال ابن إسحاق :

فأنزل الله تعالى فيه : « وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً » .

ابن أم مكتوم ونزول سورة «عبس»

ووقف الوليد بن المُغيرة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ورسولُ الله صلّى

١٥ الله عليه وسلّم يكلّمه ، وقد طمع فى إسلامه ، فبينا هو فى ذلك إذ مرّ به ابنُ أم مَكْتوم الأعمى ، فكلّم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وجعل يَسْتقرئه القرآن ، فشقّ ذلك منه على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى أَضْجره ، وذلك أنه

---

(١) كذا فى أ كثر الأصول . وفى ا : « إن أدنى مارأيتم رأون شبها بالمهل لهذا » .

(٢) صهر : ذائب . وقد زادت « م » بعد هذا البيت :

٢٠ وقال عبد الله بن الزبيرى الأسدى :

فمن عاش منهم عاش عبـداً وإن يمت ... ففى النار يسـقى مهلها وصديدها

وهذا البيت فى قصيدة .

(٣) العلل : الشرب بعد الشرب . والمتون : الظهور . والنهال : جمع نهل ، وهو الشرب الأول .

شغله عمّا كان فيه من أمر الوليد ، وما طَمع فيه من إسلامه . فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه . فأنزل الله تعالى فيه : « عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمٰى » إلى قوله تعالى : « فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ » . أى إنما بعثتك بشيراً ونذيراً ، لم أخصّ بك أحداً دون أحد ، فلا تمنعه ممن ابتغاه ، ولا تتصدّينّ به لمن لا يريده . ٥

قال ابن هشام : ابن أم مكتوم ، أحد بنى عامر بن لؤىّ ، واسمه عبد الله ، ويقال : عمرو

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى

وأوله

ذكر من عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة

فهرس

الجزء الأول

من

السيرة النبوية

لابن هشام



فهـــرس رجال السند

(١) كذا ورد هذا الاسم فى الأصول . ويفهم من سياق الحديث أن المحدث هو « عبد الله بن عامر » .

فهــــرس الأعلام

(ا)

(ح)

(خ)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ى)

فهـــرس الشعراء

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ص)

(ض)

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهـــرس أسماء الأماكن

(ا)

(ب)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(ى)

فهـــــرس الغزوات والوقائع والأيام

(ا)

(ب)

(ح)

(ع)

(غ)

(ف)

(ن)

(و)

(ى)

فهـــرس أسماء الكتب

فهـــرس القوافى

(ر)

(س)

(ش)

(م)

(ن)

فهـــرس أنصاف الأبيات

(ا)

(ت)

(ح)

(س)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

(ى)

فهـــرس الموضوعات

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

قصة ملك الحضر

ذكر ولد نزار بن معد

قصة عمرو بن لحى وذكر أصنام العرب

أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

عدنا إلى سياقة النسب

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله صلّى الله عليه وسلّم

ولادة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ورضاعته

إخوته صلّى الله عليه وسلّم من الرضاعة

وفاة آمنة وحال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع جده عبد المطلب بعدها

وفاة عبد المطلب وما رثى به من الشعر

كفالة أبى طالب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم

قصة بحيرى

حرب الفجار

حديث تزويج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجة رضى الله عنها

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش فى وضع الحجر

حديث الحمس

أخبار الكهان من العرب والأحبار من يهود والرهبان من النصارى

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

حديث إسلام سلمان رضى الله عنه

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعبيد الله بن جحش وعثمان ابن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

ذكر مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

إسلام حمزة رحمه الله

قول عتبة بن ربيعة فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين رؤساء قريش وتفسير لسورة الكهف

استدراكات خاصة بهذا الجزء

ورد فى بعض صفحات هذا الجزء : « إلياس بن مضر » بقطع الهمزة الأولى ، وهو خطأ . راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٧ من هذا الجزء .

ورد فى بعض صفحات هذا الجزء : « الكُلَاع » بضم الكاف . والصواب بالفتح .

وردت هذه العبارة فى ص ٥٢ س ١ مرقمة هكذا : «بعث إليه ، حُناطةَ يعمرَ بنُ نفاثة . . . . الخ » . والصواب فى ترقيمها : « بعث إليه حُناطةَ ، يعمرُ ابنُ نفاثة . الخ » .

ورد فى ص ١١٠ س ٩ : « أسعد وسعيد ابنى سهم » كما فى جميع أصول السيرة ، وهو خطأ . والصواب : « سعد وسعيد ابنى سهم » . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٤ من هذا الجزء

ورد فى ص ٢٦٥ س ١٨ : « يعنى بيزيد : كعباً » وهو خطأ . والصواب : « يعنى بيزيد : يزيد بن كعب » .

ورد فى ص ٣٤٧ س ١١ : « طليب بن عمير بن وهب بن أبى كبير بن عبد ابن قصى » . وهو خطأ . والصواب : « طليب بن عمير بن وهب بن عبد ابن قصى » إذ ليس وهب هذا ابناً لأبى كبير ، بل هو أخوه ، وهما ويحيى أخوهما بنو عبد بن قصى . (راجع شرح السيرة لأبى ذر وأسد الغابة) .

ورد فى ص ٣٥١ س ١٣ : « ومحمية بن الجزاء » والصواب : « ومحمية ابن الجزء ». وقد ذكر فى التعليق عليه س ٢١ : « . . . . والاستيعاب ، وأسد الغابة : « الجزء » . وفى ا . . . الخ » والصواب : « . . . . والاستيعاب وأسد الغابة . وفى ا . . . . الخ » .

إصـــلاح خطأ

وقع أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية نذكرها هنا ليستدركها القراء :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩	٣	أُدّد	أُدَد
٤٢	٢٠	الأسود والعنسى	الأسود العنسى
٤٩	٣	للتبيت	للنبيت
٦٧	١	بالملـكينَ	بالملـكينِ
٧٢	هامش	سلام	إسلام
٧٤	٢٥	أزدشير	أردشير
١٣٣	١٠	كوِرْدَ	كوِرْدِ
١٥٣	١٧و٢٣	جافل	حافل
١٥٨	١٧	م	ثم
٢٥١	١٨	عبيد الله بن عمر	عبد الله بن عمر
٢٥٥	١٨	فاطمة بنت الحسن	فاطمة بنت الحسين
٢٦٧	١٢	قتلة بنت عبد العزى	قيلة بنت عبد العزى
٢٧١	١٠	عاتكة بنت بن عمرو	عاتكة بنت زيدبن عمرو
٢٧١	٢٢	أم أغار	أم أعار
٢٧٣	٧	بكر بن عبد مناف	بكر بن عبد مناة
٢٧٧	٨	جعْثِمة	جُعْثمة
٣٠١	٩	الأخنس ابن شريق	الأخنس بن شريق
٣٠٦	١٠	فزازة	فزارة
٣١٩	١٣	والحجر والأسود	والحجر الأسود
٣٤٧	١٨	وأبناه	وابناه
٥٣٦	٢١	أسماء بنت محربة	أسماء بنت مَخربة



حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها

مصطفى السقا
مدرس بكلية الآداب
بالجامعة المصرية

ابراهيم الأبياري
المحرر بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية

عبد الحفيظ شلبي
المحرر بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية

الجزء الثاني

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر
١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م / ٦٨٦

ذكر من عاد من أرض الحبشة لما بلغهم إسلام أهل مكة

قال ابن إسحاق :

سبب رجوع مهاجرة الحبشة

وبلغ أصحابَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، الذين خرجوا إلى أرض

٥ الحبشة ، إسلامُ أهل مكة ، فأقبلوا لمّا بلغهم من ذلك ، حتى إذا دَنَوْا من مكة بلغهم أنّ ما كانوا تحدّثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوارٍ أو مُستخفياً[1] .

من عاد من بنى عبد شمس وحلفائهم

فكان ممن[2] قَدِم عليه مكةَ منهم ، فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد معه بدراً [وأُحُداً][3] ، ومَنْ حُبس عنه حتى فاته بدرٌ وغيرُه ، ومن مات بمكة .

١٠ منهم من بنى عبد شمس بن عبد مناف بن قُصىّ : عثمان بن عفّان بن أبى العاص

---

(١) قال السهيلى : «وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فألقى الشيطان فى أمنيته ، أى فى تلاوته ، عند ذكر اللات والعزى ، وأنهم لهم الغرانقة العلا ، وأن شفاعتهم لترتجى . فطار ذلك بمكة ، فسر المشركون وقالوا : قد ذكر آلهتنا بخير . فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخرها ، وسجد المشركون والمسلمون ، وأنزل الله

١٥ تعالى : « فينسخ الله ما يلقى الشيطان » . الآية . فمن هاهنا اتصل بهم فى أرض الحبشة أن قريشاً قد أسلموا . ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق من غير رواية البكائى ؛ وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ، ومن صححه قال فيه أقوالا ، منها : أن الشيطان قال ذلك وأذاعه ، والرسول عليه السلام لم ينطق به . وهذا جيد لولا أن فى حديثهم أن جبريل قال لمحمد : ما أتيتك بهذا ! ومنها : أن النبى صلى الله عليه وسلم قالها من قبل نفسه ، وعنى

٢٠ بها الملائكة أن شفاعتهم لترتجى . ومنها : أن النبى عليه الصلاة والسلام قاله حاكيا عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك ، فقالها متعجبا من كفرهم . والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته ، والله أعلم » .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « من » .

(٣) زيادة عن ا .

ابن أميّة بن عبد شَمْس ، [و][1] معه امرأته رُقَيّة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وأبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شمس ، [و][1] معه امرأته سَهْلة بنت سُهَيل [بن عمرو][1] .

ومن حلفائهم : عبدُ الله بن جَحْش بن رِئاب .

من عاد من بنى نوفل

ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف : عُتْبة بن غَزْوان ، حليفٌ لهم ، من قَيْس [بن][1] عيلان . ٥

من عاد من بنى أسد

ومن بنى أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : الزُّبير بن العوّام بن خُويلد ابن أسَد .

من عاد من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدار بن قُصَى : مُصْعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف ؛ [بن عبد الدار][1] . وسُوَيبط بن سعد بن حَرْملة[2] . ١٠

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى ا ، ط ، والاستيعاب ، وأسد الغابة ، والإصابة . وهو سويبط بن سعد بن حرملة ابن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار بن قصى بن كلاب القرشى ، وأمه امرأة من خزاعة تسمى هنيدة . ولقد شهد سويبط رضى الله عنه بدرا ، وكان مزاحا يفرط فى الدعابة ، وله قصة ظريفة مع نعيمان وأبى بكر الصديق رضى الله عنهم ، وهى : أن أبا بكر رضى الله عنه ١٥ خرج فى تجارة إلى بصرى قبل موت النبى صلى الله عليه وسلم بعام ، ومعه نعيمان وسويبط ، وكانا قد شهدا بدرا ، وكان نعيمان على الزاد ، فقال له سويبط : أطعمنى ؛ فقال : لا ، حتى يجىء أبو بكر ؛ فقال : أما والله لأغيظنك . فروا بقوم فقال لهم سويبط : تشترون منى عبداً ؟ فقالوا نعم ؛ قال : إنه عبد له كلام ، وهو قائل لكم إنى حر ، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه ، فلا تفسدوا على عبدى ؛ قالوا : بل نشتريه منك ؛ قال : فاشتروه ٢٠ منه بعشر قلائص . قال : فجاءوا فوضعوا فى عنقه عباءة أو حبلا ؛ فقال نعيمان : إن هذا يستهزئ بكم ، وإنى حر لست بعبد ؛ قالوا : قد أخبرنا خبرك ، فانطلقوا به فجاء أبو بكر رضى الله عنه فأخبره سويبط ، فأتبعهم فرد عليهم القلائص وأخذه . وفى سائر الأصول : «سويبط بن سعد بن حريملة» وهو تحريف .

من عاد من بنى عبد ابن قصىّ

ومن بنى عَبْد بن قُصَىّ : طُلَيب بن عُمَير بن وَهْب[1] بن عَبْد .

ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عَوْف بن عبد [بن][2] الحارث بن زُهْرة ؛ والمِقْدادُ بن عمرو ، حليف لهم ؛ وعبدُ الله ابن مسعود ، حليف لهم .

من عاد من بنى مخزوم وحلفائهم

٥ ومن بنى مخزوم بن يَقَظَة : أبو سَلَمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عَمرو بن مخزوم ، معه امرأته أم سَلَمَة بنت أبى أُمَيّة بن المُغيرة ؛ وشمّاس[3]

---

(١) فى ا : « طليب بن وهب بن أبى كبير بن عبد » . وفى سائر الأصول والاستيعاب : « طليب بن وهب بن أبى كثير بن عبد » . والظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه . قال السهيلى : « وذكر فيهم طليبا ، وقال فى نسبه : ابن أبى كبير بن عبد بن قصى . وزيادة ١٠ « أبى كبير » فى هذا الموضع لايوافق عليه ، وكذلك وجدت فى حاشية كتاب الشيخ التنبيه على هذا . وذكره أبو عمر ، ونسبه كما نسبه ابن إسحاق بزيادة أبى كبير » . وقال أبو ذر : « فى نسب طليب: ابن وهب بن أبى كبير بن عبد. كذا وقع، وإنما هو ابن عبد بن قصى » .

ولقد شهد طليب بدرا وقتل بأجنادين شهيدا ليس له عقب ؛ وقيل : قتل باليرموك . ويقال إن طليبا لما أسلم فى دار الأرقم خرج فدخل على أمه أروى بنت عبد المطلب فقال : ١٥ اتبعت محمدا وأسلمت لله عز وجل ؛ فقالت أمه : إن أحق من وازرت وعضدت ابن خالك ، والله لو كنا نقدر على مايقدر عليه الرجال لمنعناه وذببنا عنه » .

(٢) زيادة عن ا ، ط . والاستيعاب ، والإصابة ، وأسد الغابة .

(٣) واسم شماس : عامر ، وشماس لقب غلب عليه . وأمه صفية بنت ربيعة بن عبد شمس ؛ ولقد شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا ، وكان يوم قتل ابن أربع وثلاثين سنة . وكان ٢٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما وجدت لشماس شبها إلا الجنة . يعنى مما يقاتل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايرمى ببصره يمينا وشمالا إلا رأى شماسا فى ذلك الوجه يذب بسيفه، حتى غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترس بنفسه دونه حتى قتل ، فحمل إلى المدينة وبه رمق ، فأدخل على عائشة رضى الله عنها ، فقالت أم سلمة : ابن عمى يدخل على غيرى ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: احملوه إلى ٢٥ أم سلمة ؛ فحمل إليها فمات عندها . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد إلى أحد فيدفن هنالك كما هو فى ثيابه التى مات فيها بعد أن مكث يوما وليلة . وفى رثائه يقول حسان بن ثابت :

اقنى حياءك فى ستر وفى كرم ... فإنما كان شماس من الناس
قد ذاق حمزة سيف الله فاصطبرى ... كأساً رواء ككأس المرء شماس

ابن عثمان بن الشّريد بن سُوَيد بن هَرْمِيّ بن عامر بن مخزوم . وسَلَمة[1] ابن هشام بن المُغيرة ، حبسه عَمُّه بمكة ، فلم يَقْدَم إلا بعد بدر وأُحُد والخندق ، وعيّاش بن أبي ربيعة بن المُغيرة ، هاجر معه إلى المدينة ولحق به أخواه لأمه : أبو جهل بن هشام ، والحارث بن هشام ، فرجعا به إلى مكة فحبَساه[2] بها حتى مضى بدرٌ وأُحُد والخندق . ٥

ومن حلفائهم : عمّار بن ياسر ، يُشك فيه، أكان خرج إلى الحبشة أم لا ؛ ومُعتّب بن عَوْف بن عامر من خزاعة .

من عاد من بني جمح

ومن بني جُمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عثمان بنُ مَظْعون ابن حَبيب بن وَهب بن حُذافة بن جُمح . وابنه السائب بن عثمان ؛ وقُدامة ابن مظعون ؛ وعبد الله بن مظعون . ١٠

من عاد من بني سهم

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : خُنَيس[3] بن حُذافة ابن قَيس بن عديّ ؛ وهشام بن العاص بن وائل ، حُبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة حتى قدم بعدَ بدْرٍ وأُحد والخَنْدق .

---

(١) كان سلمة من خيار الصحابة وفضلائهم ، وكان أحد إخوة خمسة : أبي جهل والحارث وسلمة والعاص وخالد ؛ فأما أبو جهل والعاص فقتلا ببدر كافرين ، وأسر خالد يومئذ ثم فدى ومات كافرا ، وأسلم الحارث وسلمة ، وكانا من خيار المسلمين رضى الله عنهما . وكان سلمة قديم الإسلام واحتبس بمكة وعذب في الله عز وجل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو له في صلاته ، وقتل يوم خرج في خلافة عمر ، وقيل بل قتل بأجنادين قبل موت أبي بكر رضى الله عنه بأربع وعشرين ساعة سنة ١٣ هـ . ١٥

(٢) يذكر في ذلك أنهما قالا له حتى خدعاه : إن أمه حلفت ألا يدخل رأسها دهن ولا تغتسل حتى تراه ، فرجع معهما فأوثقاه رباطا وحبساه بمكة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوله . ٢٠

(٣) كان خنيس بن حذافة على حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد بدرا ، ثم شهد أحدا ، ونالته ثمة جراحة مات منها بالمدينة .

من عاد من بنى عدى

ومن بنى عَدِىّ بن كَعْب : عامر[1] بن رَبيعة ، حليف لهم ، معه امرأتُه ليلى[2] بنت أبى حَثْمة [بن حُذافة][3] بن غانم .

من عاد من بنى عامر وحلفائهم

ومن بنى عامر بن لؤى : عبدُ الله[4] بن مَخْرمة بن عبد العزّى بن أبى قَيْس ؛ وعبد الله[5] بن سُهَيل بن عمرو ، وكان حُبس عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين هاجر إلى المدينة ، حتى كان يوم بَدْر ، فانحاز من المشركين إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فشهد معه بدراً ؛ وأبو سَبْرة بن أبى رُهْم ابن عبد العزّى ، معه امرأته أم كلثوم بنت سُهَيل بن عمرو ؛ والسكران بن عمرو ابن عبد شمس ، معه امرأتُه سَوْدة بنت زَمْعة بن قيس ، مات بمكة قبل هجرة

(١) فى نسب عامر هـذا خلاف ، فنهم من ينسبه إلى عنز بن وائل ، كما ينسبه بعضهم إلى مذحج فى اليمن ، إلا أنه لاخلاف فى أنه حليف للخطاب بن نفيل . ولقد شهد بدرا وسائر المشاهد ، وتوفى سنة ثلاث وثلاثين ، وقيل سنة ثنتين وثلاثين ، كما قيل سنة خمس وثلاثين ، بعد قتل عثمان بأيام .

(٢) يقال إنها أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة ، وقيل بل تلك أم سلمى .

(٣) زيادة عن الاستيعاب .

(٤) يكنى عبد الله : أبا محمد ، وأمه أم نهيك بنت صفوان من بنى مالك بن كنانة ، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين فروة بن عمرو، ولقد شهد بدرا وسائر المشاهد ، واستشهد يوم اليمامة سنة اثنتى عشرة ، وهو ابن إحدى وأربعين سنة ، ومن ولده: نوفل ابن مساحق بن عبد الله بن مخرمة .

(٥) يكنى عبد الله : أبا سهيل، وكان الذى حبسه، هو أبوه، أخذه عند مارجع من الحبشة إلى مكة، فأوثقه عنده ، وفتنه فى دينه. ولقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير بدر المشاهد كلها ، وكان من فضلاء الصحابة ، وهو أحد الشهود فى صلح الحديبية ، وهو الذى أخذ الأمان لأبيه يوم الفتح، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله، أبى تؤمنه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم هو آمن بأمان الإله ، فليظهر ؛ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله : من رأى سهيل بن عمرو فلا يشد إليه النظر ، فلعمرى إن سهيلا له عقل وشرف . ولقد استشهد عبد الله يوم اليمامة سنة اثنتى عشرة ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة .

رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، فخلف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على امرأته سَوْدة بنت زَمعة[1] .

ومن حلفائهم : سعد بن خَوْلة[2] .

من عاد من بني الحارث

ومن بني الحارث بن فِهْر : أبو عُبَيدة بن الجرّاح ، وهو عامر بن عبد الله ابن الجرّاح ؛ وعمرو[3] بن الحارث بن زُهَير بن أبي شدّاد ؛ وسُهيل[4] بن بَيْضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هِلال[5] ؛ وعمرو[6] بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هِلال .

عدد العائدين من الحبشة ومن دخل منهم في جوار

فجميع مَنْ قَدِم عليه مكةَ من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثةٌ وثلاثون رجلاً .

فكان مَنْ دخل منهم بجِوار ، فيمن سُمِّى لنا : عثمانُ بن مَظْعون ابن حَبيب الجُمحي ، دخل بجوارٍ من الوليد بن المُغيرة ، وأبو سَلَمة بن عبد الأسَد ابن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم[7] ، دخل بجوار من أبي طالب ابن عبد المطّلب ، وكان خالَه . وأم أبي سَلمة : بَرّة بنت عبد المُطّلب .

---

(1) هذا قول ابن إسحاق والواقدى . وأما موسى بن عقبة وأبو معشر فيقولان إن السكران مات بالحبشة .

(2) كذا فى الأصول . وفى الاستيعاب : « سعد بن خولى » . قال ابن عبد البر : « سعد بن خولى من المهاجرين الأولين ذكر إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق قال : وممن شهد بدرا من بنى عامر بن لؤى سعد بن خولى ، حليف لهم من أهل اليمن » .

(3) ويقال فيه : عامر بن الحارث ، ولم يذكره ابن عقبة ولا أبو معشر فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، وذكره ابن عقبة فى البدريين .

(4) يكنى سهيل : أبا أمية ، فيما زعم بعضهم . والبيضاء أمه ، التى كان ينسب إليها ، اسمها : دعد بنت الجحدم ، ولقد قدم سهيل على النبى صلى الله عليه وسلم فأقام معه حتى هاجر ، ومات بالمدينة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع من الهجرة .

(5) وقيل هو : سهيل بن عمرو بن وهب بن ربيعة بن هلال .

(6) ويكنى عمرو : أبا سعيد . وشهد مع أخيه وهب بن أبى سرح بدرا ، ومات بالمدينة سنة ثلاثين فى خلافة عثمان .

(7) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « أبو سلمة بن عبد الأسد ابن هلال المخزومى » .

قصة عثمان بن مظعون فى رد جوار الوليد

تاله لما يصيب إخوانه فى الله وما حدث له فى مجلس لبيد

قال ابن إسحاق :

فأما عثمان بن مَظْعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف حدّثنى عمّن حدّثه عن عثمان قال :

٥ لما رأى عثمان بن مَظْعون ما فيه أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من البلاء ، وهو يغدو ويروح فى أمان من الوليد بن المُغيرة ، قال : والله إن غُدوّى ورَواحى آمناً بجوار رجلٍ من أهل الشّرك ، وأصحابى وأهلُ دينى يَلْقَون من البلاء والأذى فى الله ما لا يُصيبنى ، لنقصٌ كبير فى نفسى . فمشى إلى الوليد ابن المُغيرة فقال له : يا أبا عبد شَمْس ، وفتْ ذمّتك ، قد رددتُ إليك جوارك ؛

١٠ فقال له: [لِمَ][1] يا ابن أخى؟ لعله آذاك أحدٌ من قومى؛ قال : لا ، ولكنى أرْضَى بجوار الله ولا أُريد أن أستجيرَ بغيره ؟ قال : فانطلقْ إلى المسجد فارددْ علىّ جوارى علانيةً كما أجرتُك علانيةً . قال : فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجدَ ، فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يردّ علىّ جوارى ؛ قال : صَدَق ، قد وجدتُه وفيًّا كريمَ الجوار ، ولكنّى قد أحببتُ أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددتُ

١٥ عليه جوارَه ؛ ثم انصرف عثمان ، ولَبيد بن رَبيعة بن مالك بن جَعْفر بن كِلاب فى مجلس من قُرَيش يُنشدهم ، فجلس معهم عُثمان ، فقال لَبيد :

* ألا كلّ شىء ما خلا الله باطل *

قال عثمان : صدقتَ . قال [لبيد][1] :

* وكلّ نعيم لا محالة زائلُ *

٢٠ قال عثمان : كذبت ، نعيمُ الجنة لا يزول . قال لَبيد بن رَبيعة : يا معشر

---

(١) زيادة عن ا .

قريش ، والله ما كان يؤذَى جليسُكم ، فمتى حَدَث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سَفيه فى سُفهاء معه ، قد فارقوا دينَنا فلا تَجدنّ فى نفسك مِنْ قوله ؛ فردّ عليه عثمان حتى شَرِى[1] أمرُهما ، فقام إليه ذلك الرجلُ فلَطَم عينَه فَخَضَّرها[2] ، والوليدُ بن المغيرة قريبٌ يرى مابلغ من عثمان ، فقال : أما والله يا بن أخى إن كانت عينُك عمّا أصابها لغنيّة ، لقد كنتَ فى ذمة مَنيعة . قال : يقول ٥ عثمان : بل والله إنّ عينى الصحيحة لفقيرةٌ إلى مثل ما أصاب أختَها فى الله ، وإنى لفِى جوار مَنْ هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس ؛ فقال له الوليد : هلم يابن أخى ، إن شئت فعُدْ إلى جوارك ؛ فقال : لا

قصة أبى سلمة رضى الله عنه فى جواره

ضجر المشركين بأبى طالب لإجارته ودفاع أبى لهب ، وشعر أبى طالب فى ذلك

قال ابن إسحاق : ١٠

وأما أبو سلمة بن عَبْد الأسد ، فحدّثنى أبى إسحاق بنُ يسار عن سلمة بن عبد الله بن عُمر بن أبى سَلَمة أنه حدّثه :

أن أبا سلمة لما استجار بأبى طالب ، مشى إليه رجالٌ من بنى مَخْزوم ، فقالوا [له][3] : يا أبا طالب ، لقد[4] منعتَ منّا ابنَ أخيك محمداً ، فمالكَ ولصاحبنا تمنعُه منّا ؟ قال : إنه استجار بى ، وهو ابنُ أختى ، وإنْ أنا لم أمنع ابنَ أختى لم ١٥ أمنع ابن أخى ؛ فقام أبو لهب فقال : يا معشر قُريش ، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ، ماتزالون تَوَثّبُون[5] عليه فى جِواره من بين قومه ، والله لتنتهنّ عنه أو لنقومنّ معه فى كل ما قام فِيه ، حتى يبلغَ ما أراد . قال : فقالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عُتْبة ، وكان لهم وليًّا وناصراً على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ،

٢٠
(١) شرى : زاد وعظم .
(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « نخصرها » . وهو تصحيف .
(٣) زيادة عن ا .
(٤) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « هذا منعت . . . الخ » .
(٥) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « تتواثبون » .

فأبقَوا على ذلك . فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ، ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال أبو طالب يحرّض أبا لهبٍ على نُصْرته ونُصْرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :

وإنّ امرأً أبو عُتَيبة عمُّه لفى رَوْضة ما إن يُسامُ المَظالما[1]

٥ أقول له ، وأين منه نَصيحتى ، أبا مُعْتب ثبِّتْ سوادَك قائما[2]

ولا تقبلنّ الدهرَ ما عشتَ خُطةً تُسَبّ بها إما هَبطت المَواسما

ووَلِّ سبيل العَجْز غيرَك منهمُ فإنك لم تُخلَق على العَجْز لازما

وحاربْ فإنّ الحربَ نِصْفٌ ولن ترى[3] أخا الحرب يُعطَى الخَسْفَ حتى يُسالما

وكيف ولم يَجْنُوا عليك عَظيمةً ولم يَخْذلوك غانمًا أو مُغارما

١٠ جزَى الله عنّا عبدَ شمس ونوفلاً وتَيْماً ومَخْزومًا عُقوقا ومأثما

بتَفْريقهم منْ بعد وُدٍّ وأُلفةٍ جماعَتنا كيما ينالوا المَحارما[4]

كذبتم وبيتِ الله نبزَى محمدًا ولمّا ترَوْا يومًا لدى الشِّعب قائما

قال ابن هشام : نبزَى : نسلب[5] . قال ابن هشام : وبقى منها بيت تركناه .

دخول أبى بكر فى جوار ابن الدغنة ورد جواره عليه

سبب جوار ابن الدغنة لأبى بكر

١٥ قال ابن إسحاق :

وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، كما حدّثنى محمد بن مُسلم

(١) يسام : يكلف .

(٢) السواد (هنا) : الشخص .

(٣) كذا فى ا ، ط . والنصف : الإنصاف . وفى سائر الأصول : « نصف ما ترى » .

٢٠ (٤) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « ينال » .

(٥) هذه العبارة ساقطه فى ا .

[ابن شهاب][1] الزُّهْرى عن عُرْوة عن عائشة رضى الله عنهما ، حين ضاقت عليه مكةُ وأصابه فيها الأذى ، ورأى مِنْ تَظاهر قُريش على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ما رأى ، استأذن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الهجرة فأَذِن له ، فخرج أبو بكر مهاجراً[2] ، حتى إذا سار من مكة يومًا أو يومين ، لَقِيه ابنُ الدُّغُنّة[3] ، أخو بنى الحارث بن عَبْد مناة بن كِنانة ، وهو يومئذ سيّد الأحابيش .

الأحابيش

قال ابن إسحاق : والأحابيش: بنوالحارث بن عَبْد مناة بن كِنانة ، والهُون ابن خُزيمة بن مُدْركة ، و بنو المُصْطلق من خزاعة .

قال ابن هشام : تَحالفوا جميعاً ، فسموا الأحابيش [لأنهم تحالفوا بوادٍ يقال له الأحبش بأسفل مكة][1] للحِلْف[4] .

و يقال : ابن الدُّغينة .

قال ابن إسحاق : حدثنى الزهرى عن عروة [بن الزبير][1] عن عائشة رضى الله عنها قالت :

فقال ابن الدغنّة : أينَ يا أبا بكر ؟ قال : أخْرجَنى قومى وآذوْنى ، وضيّقوا علىّ ؛ قال : ولِمَ ؟ فوالله إنك لتَزِين العشيرةَ ، وتُعين على النوائب ، وتفعل المعروفَ ، وتُكْسِب المَعْدوم[5] ، ارجع فأنت فى جوارى . فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة قام[6] ابنُ الدغنّة فقال : يا معشر قريش ،

---

(1) زيادة عن ا .

(2) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « مهاجرا معه » . ولا يستقيم الكلام بهذه الزيادة.

(3) واسم ابن الدغنة : مالك ، وقد ضبطه القسطلانى بفتح الدال وكسر الغين وفتح النون مخففة ، وبضم الدال والغين وفتح النون مشددة .

(4) ويقال إنهم تحالفوا عند جبيل يقال له : حبشى ، فاشتق لهم منه هذا الاسم .

(5) كذا فى أكثر الأصول : أى تكسب غيرك ماهو معدوم عنده . وفى سائر الأصول : « وتكسب المعدم » .

(6) فى ا : « قال » وهو تحريف .

إنى قد أجرتُ ابنَ أبى قُحافة ، فلا يعرضنّ له أحدٌ إلا بخير . قالت : فكفّوا عنه .

سبب خروج أبى بكر من جوار ابن الدغنة

قالت : وكان لأبى بكر مَسْجد عند باب داره فى بنى جُمح ، فكان يصلّى فيه ، وكان رجلاً رقيقاً ، إذا قرأ القرآن استبكى . قالت : فيقف عليه الصبيان والعَبيد والنّساء يعجبون لما يَرَوْن من هَيْئته . قالت : فمشى رجالٌ من قريش إلى ابن الدغنّة ، فقالوا [له][1] : يا بن الدغنّة ، إنك لم تُجِرْ هذا الرجلَ ليُؤذينا ! إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمدٌ يرقّ ويبكى[2] ، وكانت له هيئة ونَحْو ، فنحن نتخوّف على صبياننا ونِسائنا وضَعَفَتنا أن يَفْتِنهم ، فأْتِه فمُرْه أن يدخل بَيته فلْيَصْنع فيه ماشاء . قالت : فمشى ابنُ الدغنّة إليه فقال له : يا أبا بكر ، إنى لم أُجرك لتؤذى قومَك ، إنهم قد كرِهوا مكانك الذى أنت فيه ، وتأذّوْا بذلك منك ، فادخُل بيتَك، فاصنع فيه ما أحببتَ ؛ قال : أوَ أَرُدّ عليك جوارك وأرْضى بجوار الله ؟ قال : فاردد علىّ جوارى؛ قال : قد رددتُه عليك. قالت[3] : فقام ابنُ الدغنّة فقال : يا معشر قريش ، إنّ ابنَ أبى قُحافة قد ردّ علىّ جوارى ، فشأنكم بصاحبكم .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبدُ الرحمن بن القاسِم عن أبيه القاسم ابن محمد قال :

لقيه سَفيه من سفهاء قُريش، وهو عامدٌ إلى الكعبة، فحَثا على رأسه ترابًا . قال : فمرّ بأبى بكر الوليدُ بن المُغيرة ، أو العاصُ[4] بن وائل . قال : فقال أبو بكر : ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيهُ ؟ قال : أنت فعلتَ ذلك بنفسك . قال[5] : وهو يقول: أى ربّ، ماأحلَمَك! أى رب، ماأحلمك! أى رب، ما أحلَمك!

---

(1) زيادة عن ا .
(2) هذه الكلمة ساقطه فى ا .
(3) فى الأصول : « قال » . ويلاحظ أن راوى الخبر هو عائشة .
(4) فى ا : « والعاص بن وائل » . ولا يستقيم بها الكلام .
(5) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

حديث نقض الصحيفة

بلاء هشام ابن عمرو فى نقض الصحيفة

قال ابن إسحاق :

وبنو هاشم وبنو المطّلب فى منزلهم الذى تعاقدت فيه قريش عليهم فى الصحيفة التى كتبوها ، ثم إنه قام فى نقض تلك الصحيفة التى تكاتبت فيها قريشٌ على بنى هاشم وبنى المطّلب نفرٌ من قريش ، ولم يُبْلِ فيها أحد أحسنَ ٥ من بلاء هشام[1] بن عمرو بن رَبيعة بن الحارث بن حُبيب[2] بن نَصْر ابن [جذيمة][3] بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لُؤى ، وذلك أنه كان ابن أخى نَضْلة بن هاشم بن عَبْد مناف لأُمه ، فكان هشام لبنى هاشم[4] واصلاً ، وكان ذا شرف فى قومه ، فكان ، فيما بلغنى ، يأتى بالبعير ، وبنو هاشم وبنو المطّلب فى الشّعب ليلاً ، قد أَوْقره طَعاما ، حتى إذا أقبل به فَمَ الشعب خلع خِطامه من ١٠ رأسه ، ثم ضرب على جَنْبه ، فيدخل الشّعبَ عليهم ثم يأتى به قد أوقره بزًّا[5] ، فيفعل به مثلَ ذلك .

سعى هشام فى ضم زهير بن أبى أمية له

قال ابن إسحاق :

ثم إنه مشى إلى زُهير بن أبى أُمية بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ، وكانت أمه عاتكةَ بنت عبد المطلب ، فقال : يا زهير ، أقد رَضِيتَ أن تأكلَ ١٥ الطعامَ ، وتلبس الثيابَ ، وتنكِح النساء ، وأخوالُك حيثُ قد علمتَ ، لا يُباعون ولا يُبْتاع منهم ، ولا يَنكِحون ولا يُنكَح إليهم . أما إنى أَحْلف بالله أن لو كانوا

---

(١) كذا فى ا ، ط ، والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « هاشم » وهو تحريف .
(٢) كذا فى ا ، ط ، والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « خبيب » بالخاء المعجمة .
٢٠ (٣) زيادة عن ا .
(٤) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « وكان هاشم لبنى هشام » وهو تحريف .
(٥) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول برا . قال السهيلى : « بزا (بالزاى المعجمة) ، وفى غير نسخة الشيخ أبى بحر : « برا » وفى رواية يونس : « بزا أو برا » على الشك من الراوى » .

أخوالَ أبى الحكم بن هشام ثم دعوتَه إلى [مثل][1] ما دعاك إليه منهم، ما أجابك إليه[2] أبدا؛ قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله أن لو كان معى رجلٌ آخر لقُمْت فى نَقْضها حتى أنقضها؛ قال: قد وجدت رجلاً؛ قال فمن هو؟ قال: أنا؛ قال له زهير: أَبْغِنا رجلاً ثالثاً.

سعى هشام فى ضم المطعم ابن عدى له

٥ فذهب إلى المُطْعِم بن عدىّ [بن نوفل بن عبد مناف][1] فقال له: يا مُطعِم، أقد رضيتَ أن يَهْلِكَ بَطْنان من بنى عَبْد مناف، وأنت شاهدٌ على ذلك، موافق لقريش فيه! أما والله لئن أَمْكنتموهم من هذه، لتجدُنَّهم[3] إليها منكم سراعا؛ قال[4]: ويحك! فماذا أصنَع؟ إنما أنا رجلٌ واحد؛ قال: قد وجدت ثانيا؛ قال: مَنْ هو؟ قال: أنا؛ قال: أَبْغِنا ثالثاً؛ قال: قد فعلتُ؛

١٠ قال: من هو؟ قال: زهير بن أبى أُمية، قال: أبغنا رابعاً.

سعى هشام فى ضم أبى البخترى إليه

فذهب إلى أبى البَخترِىّ بن هشام، فقال له نحواً ممّا قال للمُطْعِم بن عدىّ، فقال: وهل من أحد يُعين على هذا؟ قال: نعم؛ قال: من هو؟ قال: زهير ابن أبى أُمية، والمُطْعِم بن عدىّ، وأنا معك؛ قال: أَبغنا خامساً.

سعى هشام فى ضم زمعة له

فذهب إلى زَمعَة بن الأسود بن المطّلب بن أَسَد، فكلّمه، وذكر له

١٥ قرابتَهم وحقَّهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذى تَدْعونى إليه مِنْ أحد؟ قال: نعم، ثم سمّى له القومَ.

ما حدث بين هشام وزملائه وبين أبى جهل حين اعتزموا تمزيق الصحيفة

فاتّعدوا خَطْم الحَجون[5] ليلاً بأعلَى مكة، فاجتمعوا هنالك. فأجمعوا أمرَهم، وتعاقدوا[6] على القِيام فى[7] الصّحيفة حتى يَنْقُضوها، وقال زهير: أنا أبدؤكم، فأكون أولَ مَنْ يتكلّم. فلما أصبحوا غَدَوْا إلى أنْديتهم، وغدا زُهير

٢٠ (1) زيادة عن ا.
(2) كذا فى ا، ط. وفى سائر الأصول: «إليك».
(3) كذا فى ا، ط. وفى سائر الأصول: «لتجدنها».
(4) كذا فى ا، وفى سائر الأصول: «وقال» وهو تحريف.
(5) الحجون: موضع بأعلى مكة. وخطمه: مقدمه.
٢٥ (6) فى ا: «وتعاهدوا».
(7) فى ا: «فى أمر الصحيفة».

ابن أبي أُمية عليه حُلّة فطاف بالبيت سَبْعاً ؛ ثم أقبل على الناس فقال : يأهلَ مكة ، أنأ كلُ الطعام ونَلبس الثيابَ ، وبنو هاشم هَلْـكى لا يُباع ولا يُبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشق هذه الصحيفةُ القَاطعة الظالمة .

قال أبو جهل ، وكان فى ناحية المسجد : كذبتَ والله لا تُشقّ ؛ قال زمعة ابن الأسود : أنت والله أ كذبُ ، ما رَضينا كتابها حيثُ كُتِبت ؛ قال أبو البخترِيّ : صَدَق زمعةُ ، لا نرضى ما كُتب فيها ، ولا نُقرّ به ؛ قال المطعم ابن عدى : صدقتُما وكذب مَنْ قال غيرَ ذلك ، نَبْرأ إلى الله منها ، ومما كُتِب فيها ؛ قال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قُضِى بليلٍ ، تُشُووِرَ فيه بغير هذا المكان . [قال] [1] : وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد ، فقام المُطعم إلى الصحيفة ليشقّها فوجد الأَرَضة قد أ كلتْها إلا « باسمك اللهم » .

كاتب الصحيفة وشل يده

وكان كاتبَ الصحيفة مَنْصور [2] بن عِكْرمة . فشُلت يدهُ فيما يزعمون .

إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكل الأرضة الصحيفة وما كان من القوم بعد ذلك

قال ابن هشام : وذكر بعضُ أهل العلم :

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لأبى طالب : يا عم ، إنّ ربى الله قد سلّط الأرضة على صَحيفة قريش ، فلم تَدَعْ فيها اسماً هو لله إلا أثبتته فيها ، ونفتْ منها الظلم والقَطيعة والبُهتان ؛ فقال . أربُّك أَخْبرك بهذا ؟ قال : نعم ؛ قال : فوالله ما يدخل عليك أحدٌ ، ثم خرج إلى قريش فقال : يا معشر قريش ، إن ابن أخى أخبرنى بكذا وكذا ، فهلّم صحيفتَكم ، فإن كان كما قال ابنُ أخى فانتهوا عن قَطيعتنا ، وانزلوا عمّا فيها ، وإن كان كاذبًا دفعتُ إليكم ابنَ أخى ، فقال

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) قال السهيلى : « وللنساب من قريش فى كاتب الصحيفة قولان ، أحدهما : أن كاتب الصحيفة هو بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد الدار ؛ والقول الثانى : أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم من بنى عبد الدار أيضاً ، وهو خلاف قول ابن إسحاق ، ولم يذكر الزبير فى كاتب الصحيفه غير هذين القولين ، والزبيريون أعلم بأنساب قومهم » .

القوم : رَضينا ، فتعاقدُوا على ذلك ، ثم نظروا ، فإذا هى كما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فزادهم ذلك شرًّا . فعند ذلك صنع الرهطُ من قُريش فى نَقْض الصحيفة ما صنعوا[1] .

شعر أبى طالب فى مدح النفر الذين نقضوا الصحيفة

قال ابن إسحاق :

٥ فلما مُزّقت الصحيفةُ وبَطَل ما فيها ، قال أبو طالب ، فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا فى نَقْضها يمدحهم :

ألا هل أتى بَحْرِيَّنا صنعُ ربِّنا ... على نَأْيِهم والله بالناس أَرْوَدُ[2]

فيُخْبِرَهُمُ أنّ الصحيفةَ مُزِّقت ... وأنْ كلُّ ما لم يَرْضه اللهُ مُفْسَد

تراوحها إفكٌ وسِحْرٌ مجمَّع ... ولم يُلْفَ سِحْرٌ آخرَ الدهرِ يَصْعَد

١٠ تَداعى لها من ليس فيها بقَرْقَرٍ[3] ... فطائرُها فى رأسها يتردّد[4]

وكانت كِفاءً وَقْعَةٌ بأثيمةٍ ... ليُقطَعَ منها ساعدٌ ومقلَّد[5]

ويَظْعن أهلُ المكّتين فيهرُبُوا ... فرائصُهم من خَشْية الشّر تُرْعَد[6]

---

(١) يحكى أن المؤمنين جهدوا من ضيق الحصار ، حتى أنهم كانوا يأكلون الخبط ، وورق السمر ، حتى إن أحدهم ليصنع كما تصنع الشاة . وكان فيهم سعد بن أبى وقاص ، روى أنه قال: ١٥ لقد جعت حتى إنى وطئت ذات ليلة على شىء رطب ، فوضعته فى فمى وبلعته ، وما أدرى ماهو إلى الآن . وكانوا إذا قدمت العير مكة ، وأتى أحدهم السوق ليشترى شيئا من الطعام لعياله ، يقوم أبو لهب عدو الله فيقول : يا معشر التجار ، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا ، فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى ، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم . فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا ، حتى يرجع إلى أطفاله ، وهم يتضاغون من الجوع ، وليس فى يديه شىء يطعمهم به ، ٢٠ ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس ، حتى جهد المسلمون ، ومن معهم جوعا وعريا .

(٢) البحرى (هنا) : من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة فى البحر . وأرود : أرفق .

(٣) القرقر : اللين السهل . يريد : من ليس فيها بذليل . ويجوز أنه يريد به : ليس بذى هزل ، لأن القرقرة الضحك .

٢٥ (٤) يريد حظها من الشؤم والشر . وفى التنزيل : « ألزمناه طائره فى عنقه » .

(٥) المقلد : العنق .

(٦) الفرائص : جمع فريصة ، وهى بضعة فى الجنب ترعد إذا فزع الإنسان .

وَيُتْرَكُ حَرّاثٌ يقلِّبُ أمرَهُ أَيُتْهِم فيهم[1] عند ذاك ويُنجِدُ[2]
وتصعد بين الأَخْشَبين كتيبةٌ[3] لها حُدُجٌ[4] سَهْمٌ وقوس ومِرْهد[5]
فمن يَنْشَ[6] من حُضّارِ مكة عزُّهُ فعزّتنا فى بطن مكة أَتْلَد
نشأنا بها والناسُ فيها قلائل فلم نَنْفكك نزدادُ خيراً ونحْمَدَ[7]
ونُطعم حتى يترك الناسُ فضلَهم إذا جعلت أيدى المُفيضين تُرْعَد[8]
جزى الله رهطًا بالحَجون تَبايعوا[9] على ملأ يَهدى لحَزْم ويُرْشِد
قُعوداً لدى خَطْم الحَجون كأنهم مَقاوِلة بل هم أعزّ وأمجد[10]
أعان عليها كلُّ صَقْر كأنه إذا ما مشى فى رَفْرَف الدِّرع أَحْرد[11]
جرىٌّ على جُلَّى[12] الخطوب كأنه شهاب بكفَّىْ قابسٍ يتوقّد

(١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « فيها » .

(٢) الحراث : المكتسب . وأتهم : أتى تهامة ، وهى ما انخفض من أرض الحجاز . وأنجد : أتى نجدا ، وهى ما ارتفع من أرض الحجاز .

(٣) الأخشبان : جبلان بمكة . والكتيبة : الجيش .

(٤) حدج (بضمتين) : جمع حدج (بالكسر) ، وهو الحمل (بالكسر) ، أى أن يقوم مقام الحمل سهم وقوس ومرهد . وقيل : هو من الحدج بمعنى الحسك ، فجعل السهم وغيره كالحسك .

(٥) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا ، ط : « مزهد » . قال السهيلى : « ... ومرهد هكذا فى الأصل بالراء وكسر الميم ، فيحتمل أن يكون من : رهد الثوب : إذا مزقه ، ويعنى به رمحا أو سيفا ، ويحتمل أن يكون من الرهيد ، وهو الناعم ، أى ينعم صاحبه بالظفر ، أو ينعم هو بالرى من الدم . وفى بعض النسخ (مزهد) بفتح الميم ، والزاى ؛ فإن صحت الرواية به فمعناه : مزهد فى الحياة وحرص على الممات » .

وقال أبو ذر : «ومرهد : رمح لين . ومن رواه : فرهد ، فمعناه : الرمح الذى إذا طعن به وسع الخرق ، ومن رواه : مزهد ، بالزاء ، فهو ضعيف لا معنى له ، إلا أن يراد به الشدة على معنى الاشتقاق» .

(٦) كذا فى ا ، ط . أراد : ينشأ ، فحذف الهمزة . وفى سائر الأصول : « ينس » . بالسين المهملة .

(٧) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : « فلم تنفكك تزداد خيراً وتحمد » .

(٨) المفيضون : الضاربون بقداح الميسر . وكان لا يفيض معهم فى الميسر إلا السخىّ ، ويسمون من لا يدخل معهم فى ذلك : البرم . وقالت امرأة لبعلها ، وكان برما بخيلا ، ورأته يقرن بضعتين فى الأكل : أبرما قرونا !

(٩) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : « تتابعوا » . (١٠) المقاولة : الملوك .

(١١) كذا فى ط . ورفرف الدرع : ما فضل منه . وأحرد : بطىء المشى لثقل الدرع الذى عليه . وفى سائر الأصول : « . . . أجرد » (بالجيم) وهو تصحيف .

(١٢) كذا فى ط ، والجلى : الأمر العظيم . وفى سائر الأصول : « جل » . وجل الخطوب : معظمها » .

من الأكرمين من لؤىّ بن غالب إذا سيم خسفاً وجهُه يتربّدُ(1)

طويل النِّجاد خارج نصفُ ساقهِ على وَجْهه يُسْقى الغَمام ويُسعد

عظيم الرماد سيّد وابن سيّد يحُضّ على مَقْرَى الضيوف ويَحْشِدُ(2)

ويبنى لأبناء العشيرة صالحاً إذا نحن طُفْنا فى البلاد ويَمْهَد

5 أَلظَّ(3) بهذا الصّلح كلُّ مُبّرأ عظيم اللواء أمره ثَمّ يُحمد

قَضَوْا ما قضَوْا فى ليلهم ثم أصبحوا على مهل وسائرُ الناس رُقَّد

هُمُ رَجعوا سهلَ بنَ بيضاء(4) راضياً وسُرّ أبو بَكْر بها ومحمّدُ

متى شُرِّكَ الأقوامُ فى جلّ أمرنا وكنّا قديماً قَبْلها نتودّد

وكنّا قديماً لا نُقرّ ظُلامةً وندركُ ما شئنا ولا نتشـدّد

10 فيالقُصى هل لـكم فى نُفوسكم وهل لكمُ فيما يجىء به غد

فإنى وإياكم كما قال قائلٌ لَديك البَيانُ لوتكلمت أسود(5)

شعر حسان فى رثاء المطعم وذكر نقضه الصحيفة

وقال حسان بن ثابت: يبكى المُطعِم بن عدىّ حين مات، ويذكر قيامَه فى نَقض الصحيفة:

أياعين(6) فابكى سيّدالقوم(7) واسفَحى(8) بدَمع وإن أنزفته فاسكبى الدمَا(9)

15 وبكِّى عظيمَ المشعرَين كليهما على الناس معروفاً له ما تَكلَّما

---

(1) سيم: كلف. والخسف: الذل. ويتربد: يتغير إلى السواد.

(2) مقرى الضيوف: طعامهم. والقرى: ما يصنع للضيف من الطعام.

(3) ألظ: لزم وألح.

(4) سهل هذا هو ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة بن الحارث بن فهر، فهو يعرف

20 بابن البيضاء، وهى أمه، واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ضرب بن الحارث بن فهر، ولسهل أخوان: سهيل وصفوان، وهم جميعا بنو البيضاء.

(5) أسود: اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلا.

(6) فى ا، ط: «أعينى ألا ابكى ... الخ».

25 (7) فى ا: «الناس».

(8) اسفحى: أسيلى.

(9) أنزفته: أنفدته.

فلو كان مجدٌ يُخلِد الدهرَ واحداً   من الناس، أبقى مجدُه اليومَ مُطْعِما[1]

أجرتَ رسولَ اللهِ منهم فأصبحوا   عبيدَك ما لبّى مُهِلٌّ وأحْرَما

فلو سُئلت عنــــه مَعدٌّ بأسْرِها   وقَحطانُ أو باقى بَقية جُرْهما

لقالوا هو المُوفى بخُفْرة[2] جارِه   وذمّتـــه يومًا إذا ما تَذَمّما[3]

فما تطلُع الشمسُ المُنيرة فوقَهم   على مثله فيهم أعزَّ وأعْظَما   ٥

وآبَى إذا يأبى وألْيَنَ[4] شيمةً   وأنومَ عن جار إذا الليلُ أظلما

قال ابن هشام: قوله «كليهما» عن غير ابن إسحاق.

كيف أجار المطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام: وأما قوله: «أجرت رسول الله منهم»، فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمـا انصرف عن أهل الطائف، ولم يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه، من تَصْديقه ونُصرته، صار إلى حِراء، ثم بعث إلى الأخنس بن شريق ١٠ ليُجيره، فقال: أنا حليفٌ والحَليف لا يُجير. فبعث إلى سُهيل بن عمرو، فقال: إن بنى عامر لا تُجير على بَنى كَعْب. فبعث إلى المُطعِم بن عدىّ، فأجابه إلى ذلك، ثم تسلح المُطعم وأهل بيته، وخرجوا حتى أتوا المسجد، ثم بعث إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أن ادخل، فدخل رسول الله

---

(١) قال السهيلى فى التعليق على هذا البيت: «وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة، ١٥ لأنه قدم الفاعل، وهو مضاف إلى ضمير المفعول، فصار فى الضرورة مثل قوله:

* جزى ربه عنى عدى بن حاتم *

غير أنه فى هذا البيت أشبه قليلا، لتقدم ذكر (مطعم) فكأنه قال: أبقى مجد هذا المذكور المتقدم ذكره مطعما، ووضع الظاهر موضع المضمر كما لو قلت: إن زيداً ضربت جاريته زيداً، أى ضربت جاريته إياه. ولا بأس بمثل هذا، ولا سيا إذا قصدت قصد التعظيم وتفخيم ذكر ٢٠ الممدوح كما قال الشاعر:

وما لى أن أكون أعيب يحيى   ويحيى طاهر الأثواب بر

(٢) كذا فى أكثر الأصول. والخفرة: العهد. وفى ا: «حفرة». بالحاء المهملة.

(٣) تذمم: طلب الذمة، وهى العهد.

(٤) كذا فى ا، ط. وفى سائر الأصول: «وأعظم». ٢٥

صلّى الله عليه وسلّم فطاف بالبيت وصلّى عنده ، ثم انصرف إلى منزله . فذلك الذى يعنى حسانُ بن ثابت .

مدح حسان لهشام بن عمرو لقيامه فى الصحيفة

قال ابن إسحاق :

وقال حسان بن ثابت [الأنصارى][1] أيضاً : يمدح هِشامَ بن عمرو[2] لقيامه

٥ فى الصحيفة :

هل يُوفينّ بنو أمية ذمةً عَقْداً كما أَوْفى جُِوارُ هشامِ

من مَعشر لايغدِرون بجارهم للحارث بن حُبَيِّب[3] بن سُخَامِ

و إذا بنو حِسْل أجاروا ذِمّةً أوفَوْا وأدَّوْا جارَهم بسلام

وكان هشام أحد[4] سُحَام[5] [بالضم][1] .

١٠ قال ابن هشام : و يقال : سخام[6] .

قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى

تحذير قريش له من الاستماع للنبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) وقد أسلم هشام بن عمرو هذا ، وهو معدود فى المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أربعين رجلا

١٥ فيما ذكروا .

(٣) هو حبيب بالتخفيف ، تصغير (حب) . وجعله حسان تصغير (حبيب) فشدده ، وليس هذا من باب الضرورة، إذ لايسوغ أن يقال فى فليس: فليس ، ولا فى كليب : كليب ، فى شعر ولا فى غيره ، ولكن لما كان الحب والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر ، وهو حسن فى الشعر وسائغ فى الكلام . (راجع الروض الأنف) .

٢٠ (٤) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « أخا » .

(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول ، : « سخام » . قال السهيلى : « وقوله (ابن سخام) هو اسم أمه ، وأكثر أهل النسب يقولون فيه (شخام) بشين معجمة . وألفيت فى حاشية كتاب الشيخ أن أباعبيدة النسابة وعوانة يقولان فيه (سحام) بسين وحاء مهملتين. والذى فى الأصل من قول ابن هشام (سخام) بسين مهملة وخاء معجمة . ولفظ (شخام) من

٢٥ شخم الطعام : إذا تغيرت رائحته . قاله أبو حنيفة » .

(٦) فى ط : « شخام » .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، على ما يَرَى من قومه ، يبذل لهم النَّصيحة ، ويدعوهم إلى النجاة ممّا هم فيه . وجعلت قريشٌ ، حين منعه اللهُ منهم ، يحذّرونه النَّاس ومن قدم عليهم من العرب .

وكان الطفيل بن[1] عمرو الدوسى يحدّث : أنه قدم مكةَ ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم بها ، فمشى إليه رجالٌ من قُرَيش ، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعرًا لَبيباً ، فقالوا له : يا طُفيل ، إنك قدمتَ بلادنا ، وهذا الرجلُ الذى بين أَظهرنا قد أَعْضل[2] بنا ، وقد فرّق جماعَتنا ، وشتّت أمرنا ، وإنما قولُه كالسِّحر يفرّق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل وبين زوجته ، وإنا نَخْشى عليك وعلى قومك ماقد دَخل علينا ، فلا تُكلّمنّه ولا تسمعنّ منه شيئاً .

استماعه لقول قريش ثم عدوله وسماعه من الرسول

قال : فوالله مازالوا بى حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئاً ولا أُكلّمه ، حتى حشوتُ فى أذنى حين غدوتُ إلى المسجد كُرْسُفاً[3] فَرَقًا من أن يبلغنى شىءٌ من قوله ، وأنا لا أُريد أن أَسْمَعه . قال : فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قائمٌ يصلّى عند الكعبة . قال : فَقُمت منه قريباً ، فأبى اللهُ إلا أن يُسمعنى بعضَ قوله . قال : فسمعتُ كلامًا حسناً . قال : فقلت فى نفسى : واثُكْل أمى ، والله إنى لرجل لَبيب شاعرٌ مايخفى علىَّ الحسنُ من القبيح ، فما يَمنعنى أن أَسْمَع من هذا الرجل مايقول ! فإن كان الذى يأتى به حسناً قَبلتُهُ ، وإن كان قبيحاً تركتُهُ .

التقاؤه بالرسول وقبوله الدعوة

قال : فمكثت حتى انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بيته فاتّبعتُهُ ، حتى إذا دخل بيته دَخلتُ عليه ، فقلت : يا محمد ، إنّ قومك قد قالوا لى كذا وكذا ، للذى قالوا ، فوالله مابَرِحوا يُخَوّفوننى أمرَك حتى سددتُ أذنى

---

(1) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « أبو عمرو » . وعلى هذه الرواية ، فهو مكنى بابنه عمرو .

(2) أعضل : اشتد أمره .

(3) الكرسف : القطن .

بكرسُف لئلا أسمع قولَك ، ثم أبى اللهُ إلا أنّ يُسمعنى قولَك ، فسمعتُه قولاً حسناً ، فاعرض علىّ أمرَك . قال : فعرض علىّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الإسلام ، وتلا علىّ القرآن ، فلا والله ماسمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه ، ولا أمراً أعدل منه . قال : فأسلمت وشهدت شهادةَ الحق ، وقلت : يانبى الله ، إنى امرُؤٌ

٥ مُطاع فى قومى ، وأنا راجعٌ إليهم، وداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ اللهَ أن يجعل لى آيةً تكون لى عونًا عليهم فيما أدعوهم إليه ؛ فقال : اللهم اجعل له آية .

الآية التى جعلت له

قال : فخرجت إلى قومى ، حتى إذا كنت بثَنيةٍ[1] تُطلعنى على الحاضر[2] وَقع نورٌ بين عينىّ مِثْلُ المصباح ؛ فقلت : اللهم فى غير وَجْهى ، إنى أخشى ، أن يظنُّوا أنها مُثْلة وَقعت فى وجهى لِفراق دينهم . قال : فتحوّل فوقع فى رأس

١٠ سَوْطى . قال : فجعل الحاضرُ يتراءوْن ذلك النور فى سَوْطى كالقنديل المعلّق ، وأنا أهبط إليهم من الثنيّة ، قال : حتى جئتُهم فأصبحتُ فيهم .

دعوته أباه إلى الإسلام

قال : فلما نزلت أتانى أبى ، وكان شيخاً كبيراً ، قال : فقلت : إليك عنّى يا أبت ، فلستُ منك ولستَ منّى ؛ قال : ولم يابنىّ ؟ ! قال : قلت : أسلمتُ وتابعت دينَ محمد صلّى الله عليه وسلّم ؛ قال : أى بنىّ ، فدينى دينُك ؛ قال :

١٥ فقلت: فاذهب فاغتسل وطَهِّر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك ماعُلِّمت . قال : فذهب فاغتسل ، وطهر ثيابَه . قال : ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام فأسْلَمَ .

دعوته زوجه إلى الإسلام

[قال]:[3] ثم أتتنى صاحبتى ، فقلت :إليك عنى ، فلستُ منك ولست منّى؛ قالت : لِمَ ؟ بأبى أنت وأمى ؛ قال : [قلت : قد][4] فرق بينى و بينك الإسلام ، وتابعتُ دين محمد صلّى الله عليه وسلّم ؛ قالت : فدينى دينُك ؛ قال :

٢٠ (١) الثنية : الفرجة بين الجبلين .
(٢) الحاضر : القوم النازلون على الماء .
(٣) زيادة عن ا .
(٤) زيادة عن ا ، ط .

قلت : فاذهبي إلى حِناَ ذى الشَّرَى ـ قال ابن هشام: ويقال: حِمَى[1] ذى الشرى ـ فتطَهَّرِى منه .

[قال][2] : وكان ذو الشرى صنماً لِدَوْس ، وكان الحمى حِمًى حَمَوْه له ، [و][2] به وَشَل[3] من ماء يَهْبِط من جبل .

قال : فقلت بأبي أنت وأمي ، أتخشى على الصبيّة من ذى الشَّرَى شيئاً ؟ ٥ قال : قلت : لا ، أنا ضامنٌ لذلك ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام ، فأسلمت .

دعوته قومه إلى الإسلام وما كان منهم ولحاقهم بالرسول

ثم دعوتُ دَوْساً إلى الإسلام فأبطئوا عليّ ، ثم جئتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكةَ فقلت له : يا نبيّ الله ، إنه قد غلبني على دَوْس الزنا[4] ، فادعُ الله عليهم ؛ فقال : اللهم اهد دَوساً ، ارجع إلى قومك فادعهم وارفُق بهم . ١٠ قال : فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، ومضى بدرٌ وأحدٌ والخندقُ ، ثم قدمتُ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمن أسْلَمَ معى مِنْ قومى ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بخيبر ، حتى نزلتُ المدينةَ بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوس، ثم لَحِقْنا برسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بخيبر ، فأسْهم لنا مع المسلمين . ١٥

ذهابه إلى ذى الكفين ليحرقه وشعره في ذلك

ثم لم أَزَل مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى إذا فتح اللهُ عليه مكةَ ، قال: قلت : يا رسول الله، ابعثنى إلى ذى الكفّين، صنم عمرو بن حُمَمَة حتى أُحْرِقه.

قال ابن إسحاق :

فخرج إليه ، فجعل طُفيل يوقد عليه النار ويقول :

---

(١) قال السهيلى : « فإن صحت رواية ابن إسحاق فالنون قد تبدل من الميم كما قالوا : حلان وحلام، للجدى ، ويجوز أن يكون من حنوت العود، ومن محنية الوادى ، وهو ما انحنى منه . ٢٠

(٢) زيادة عن ا ، ط .

(٣) الوشل : الماء القليل .

(٤) الزنا : لهو مع شغل قلب وبصر .

ياذا الكَفَيْن لستُ مِنْ عُبّادِكا[1] ميلادُنا أقدمُ مِنْ ميلادِكا

* إنى حشوتُ النار فى فُؤَادِكا *

جهاده مع المسلمين بعد قبض الرسول ثم رؤياه ومقتله

قال : ثم رجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكان معه بالمدينة حتى قَبض اللهُ رسولَهُ صلّى الله عليه وسلّم . فلما ارتدت العربُ خرج مع المسلمين ، فسار معهم حتى فرغوا من طُليحة ، ومن أرضِ نَجْد كلّها . ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ، ومعه ابنهُ عَمْرو بن الطُّفيل ، فرأى رؤيا وهو متوجّه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إنى قد رأيتُ رؤيا فاعبُرُوها لى ، رأيتُ أن رأسى حُلِق ، وأنه خرج من فَمِى طائرٌ ، وأنه لقيتْنى امرأةٌ فأدخلتنى فى فَرْجها ، وأرى ابنى يَطلبنى حَثيثا ، ثم رأيتهُ حُبِس عنى ؛ قالوا : خيرا ؛ قال : أمّا أنا والله فقد أوّلتُها ؛ قالوا : ماذا ؟ قال : أمّا حَلْق رأسى فوَضْعه ، وأما الطائر الذى خرج من فَمِى فرُوحِي ، وأما المرأة التى أدخلتنى فرجها فالأرض تُحْفَرُ لى ، فأُغَيَّب فيها ، وأما طَلبُ ابنى إياى ثم حَبْسه عنى ، فإنى أراه سيَجْهد أنْ يصيبه ما أصابنى . فقُتل رحمه الله شهيداً باليمامة ، وجُرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استَبَلّ[2] منها ، ثم قُتل عام اليَرْموك فى زمن عمر رضى الله عنه شهيداً .

أمر أعشى بنى قيس بن ثعلبة

شعره فى مدح الرسول عند مقدمه عليه

قال ابن هشام : حدثنى خلاد بن قرّة بن خالد السدوسىّ وغَيْرُه من مشايخ بَكْر بن وائل مِنْ أهل العلم :

(١) قال السهيلى : قوله : « ياذا الكفين لست من عبادكا » أراد : الكفين (بالتشديد) نخفف للضرورة .

(٢) استبل : أفاق وشفى .

أن أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة بنِ عُكابة بن صَعْب بن علىّ بن بَكْر ابن وائل ، خرج إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يريد الإسلام ، فقال يمدح رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم :

ألم تغتمض عيناك ليلةَ أرمدَا ... وبتَّ كما باتَ السليمُ مُسهَّدَا[1]

وما ذاك مِنْ عشقِ النساء وإنما ... تناسيتَ قبلَ اليوم صُحْبة[2] مَهْددا[3]

ولكنْ أرى الدهرَ الذى هو خائنٌ ... إذا أصلحتْ كفّاى عاد فأفسدا

كُهولاً وشبّاناً فقدتُ وثَرْوةً ... فلله هذا الدهرُ كيف تردّدا

وما زلتُ أبغى المالَ مُذْ أنا يافعٌ ... وليداً وكهلاً حين شِبْت وأمْردا[4]

وأبْتذل العِيس المَراقيل تَعْتلى ... مسافةَ ما بين النُّجَيْر فصَرْخدا[5]

ألا أيّهذا السائلِى أين يَمّمتْ ... فإنّ لها فى أهل يثربَ موعدا[6]

فإنْ تسألى عنّى فيارُبّ سائلٍ ... حَفِيٍّ عن الأعشى به حيثُ أصْعدا[7]

أجدّت برجلَيْها النّجاءَ وراجعتْ ... يدَاها خِنافا ليّنا غيرَ أحْردا[8]

وفيها إذا ما هجّرت عَجْرفيّةٌ ... إذا خِلْت حِرْباء الظهيرة أصْيدا[9]

---

(١) الأرمد : الذى يشتكى عينيه من الرمد . والسليم : الملدوغ . والمسهد : الذى منع من النوم .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول ، وشرح قصيدة الأعشى (المخطوط والمحفوظ بدار الكتب المصرية برقم ١٧٣٦ أدب) : « خلة » .

(٣) مهدد : اسم امرأة ، وهو بفتح الميم ، ووزنه فعلل .

(٤) اليافع : الذى قارب الاحتلام .

(٥) العيس : الإبل البيض تخالطها حمرة . والمراقيل : من الإرقال ، وهو السرعة فى السير . وتعتلى : يزيد بعضها على بعض فى السير والنجير : موضع فى حضرموت من اليمن . وصرخد : موضع بالجزيرة .

(٦) يممت : قصدت .

(٧) أصعد : ذهب .

(٨) النجاء : السرعة . والخناف : أن تلوى يديها فى السير من النشاط . والأحرد : الذى لا ينبعث فى المشى ويعتقل .

(٩) هجرت : مشت فى الهاجرة ، وهى القائلة . والحرباء : دويبة أكبر من العظاءة يدور بوجهه مع الشمس حيث دارت . والأصيد : المائل العنق تكبرا أو من داء أصابه . =

وآليت لا آوى[1] لهـا من كَلالة ... ولا من حَفًى[2] حتى تلاقى محمَّدَا

متى ما تُناخى عند باب ابن هاشم ... تُراحِي وتَلْقَىْ من فَوَاضله نَدَى[3]

نبيًّا يرى ما لا ترون وذكرُه ... أغار لعمرى فى البلاد وأَنْجَدَا[4]

له صَـدَقات ما تُغِبّ ونائل ... وليس عطاء اليوم مانعُه غدا[5]

٥ أجدكَ لم تسمع وَصاةَ محمد ... نبىّ الإله حيث أَوْصى وأشهَدَا

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى ... ولاقيت بعد الموت مَنْ قد تَزَوّدا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... فترصِد للأمر[6] الذى كان أَرْصدا[7]

فإياكَ والميتاتِ لا تقربنَّها ... ولا تأخذاً سهماً حديداً لتُفصدا

وذا النُّصُبَ[8] المنصوبَ لاتنسُكنَّه ... ولا تعبد الأوثان والله فاعبُدا[9]

---

١٠ = ولما كان الحرباء يدور بوجهه مع الشمس كيف دارت كان فى وسط السماء فى أول الزوال كالأصيد ، وذلك أحر ما تكون الرمضاء . يصف ناقته بالنشاط وقوة المشى فى ذلك الوقت .

(١) لا آوى : لا أشفق ولا أرحم . ويروى : لا أرثى ، وهو بمعناه .

(٢) ويروى : « وجى » . وهو بمعنى الحفى .

١٥ (٣) كذا فى الأصول . والندى : الجود . ويروى : « يدا » . واليد : النعمة .

(٤) أغار : بلغ الغور ، وهو ما انخفض من الأرض . وأنجد : بلغ النجد ، وهو ما ارتفع من الأرض .

(٥) أى ليس العطاء الذى يعطيه اليوم مانعا له غداً من أن يعطيه ، فالهاء عائدة على الممدوح ، فلوكانت عائدة على العطاء لقال : وليس عطاء اليوم مانعه هو ، بإبراز الضمير الفاعل ، لأن

٢٠ الصفة إذا جرت على غير من هى له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل . ولو « نصب العطاء » لجاز على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، لأنه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، ويكون اسم ليس على هذا مضمرا فيها عائداً على النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول « للموت » .

(٧) أرصد : أعد .

٢٥ (٨) كذا فى ا ، ط ، وشرح قصيدة الأعشى . وفى سائر الأصول : « ولا النصب » .

(٩) وقف على النون الخفيفة بالألف هنا ، وفى غير هذا من الأفعال الآتية ، وقد قيل إنه لم يرد النون الخفيفة ، وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين .

ولا تقربَنَّ حُرّة[1] كان سِرُّها عليك حراماً فانكحنْ أو تأبّدا[2]

وذا الرَّحم القُربى فلا تقطعنّه لعاقبة ولا الأسير المقيَّدا

وسبّح على حين العشيّات والضحى ولا تحمد الشيطانَ والله فاحمَدا

ولا تسخراً من بائس ذى ضَرارة[3] ولا تحسبنّ المال للمرء مُخْلِدا

رجوعه لما علم بتحريم الرسول للخمر وموته

فلما كان بمكة أو قريبا منها، اعترضه بعضُ المشركين من قريش فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ليُسلم؛ فقال له: يا أبا بصير، إنه يُحرّم الزنا؛ فقال الأعشى: والله إن ذلك لأمرٌ مالى فيه من أرَب؛ فقال له: يا أبا بصير، فإنه يحرم الخمْر؛ فقال الأعشى: أمّا هذه فوالله إنّ فى النفس منها لعُلالات، ولكنّى منصرفٌ فأتروّى منها عامى هذا ثم آتيه فأُسْلم. فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يَعُد إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[4].

ذلّ أبى جهل للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق:

وقد كان عدو الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وبُغضه إياه، وشدته عليه، يُذلّه الله له إذا رآه.

(١) فى ط: «جارة».

(٢) السر: النكاح. وتأبد: تعزب وبعد عن النساء.

(٣) ذو ضرارة: مضطر. ويروى: ذو ضرورة. كما يروى: ذو ضراعة.

(٤) قال السهيلى: «وهذه غفلة من ابن هشام ومن قال بقوله، فإن الناس مجمعون على أن الخمر لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد، وحرمت فى سورة المائدة، وهى من آخر ما نزل. وفى الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها وغنته القينتان. فإن صح خبر الأعشى، وما ذكر له فى الخمر، فلم يكن هذا بمكة، وإنما كان بالمدينة، ويكون القائل له: «أما علمت أنه يحرم الخمر» من المنافقين أو من اليهود. وفى القصيدة ما يدل على هذا، قوله:

* فإن لها فى أهل يثرب موعدا *

وقد ألفيت للقالى رواية عن أبى حاتم عن أبى عبيدة، قال: لقى الأعشى عامر بن الطفيل فى بلاد قيس، وهو مقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر له أنه يحرم الخمر فرجع. فهذا أولى بالصواب».

أمر الإراشى الذى باع أبا جهل إبله

مماطلة أبي جهل له واستنجاده بقريش واستخفافهم بالرسول

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن أبى سفيان الثقفى ، وكان واعيَة ، قال :

قدم رجلٌ من إراش[1] ـ قال ابن هشام : ويقال : إراشة[2] ـ بإبل له مكةَ ، فابتاعها منه أبو جهل، فمَطَله بأثمانها . فأقبل الإراشى حتى وقف على نادٍ من قريش ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى ناحية المسجد جالسٌ ، فقال : يا معشر قريش ، مَنْ رجلٌ يؤدّينى[3] على أبى[4] الحَكم بن هِشام ، فإنى رجلٌ غريب ، ابنُ سَبيل ، وقد غَلبنى على حق ؟ قال : فقال له أهلُ ذلك المجلس : أترى ذلك الرجلَ الجالس ـ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهم يهزءون به لما يعلمون بينه وبين أبى جهل من العداوة ـ اذْهَبْ إليه فإنه يُؤَدّيك عليه .

إنصاف الرسول له من أبى جهل

فأقبل الإراشى حتى وقف على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا عبد الله ، إنّ أبا الحَكم بنَ هشام قد غَلَبنى على حقّ لى قِبَله ، وأنا [رجل][5] غريب ابن سَبيل ، وقد سألت هؤلاء القومَ عن رجل يؤدّينى عليه ، يأخذ لى حقّى منه ، فأشاروا لى إليك فخُذْ لى حقّى منه ، يرحمك الله ؛ قال : انطلق إليه ، وقام معه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلما رأَوْه قام معه . قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه ، فانظر ماذا يصنع .

---

(١) هو ابن الغوث ، أو ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ ، وهو والد أنمار الذى ولد بجيلة وخثعم .

(٢) قال السهيلى : « وإراشة ، الذى ذكر ابن هشام : بطن من خثعم ، وإراشة مذكورة فى العماليق فى نسب فرعون صاحب مصر ، وفى بلىّ أيضا بنو إراشة » .

(٣) يؤدينى : يعيننى على أخذ حقى .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أبا » وهو تحريف .

(٥) زيادة عن ا ، ط .

قال : وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى جاءه فضرب عليه بابَه .
فقال : من هذا ؟ قال : محمد ، فاخرج إلىّ ، فخرج إليه ، وما فى وجهه من رائحة[1] ، قد انتقع[2] لونُه ، فقال : أعطِ هذا الرجل حقَّه ؛ قال : نعم ، لا تبرحْ حتى أُعطيه الذى له . قال : فدخل ، فخرج إليه بحقّه ، فدفعه إليه . [قال][3] :
ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال للإراشى : الحق بشأنك ، ٥
فأقبل الإراشى حتّى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيرًا ، فقد والله أخذ لى حقّى .

ما رواه أبو جهل عن سبب خوفه من الرسول

قال : وجاء الرجل الذى بعثوا معه ، فقالوا : ويحك ! ماذا رأيت ؟ قال : عجباً من العجب ، والله ماهو إلا أن ضَرب عليه بابَه ، فخرج إليه وما معه روحُه ، فقال له : أعطِ هذا حقَّه ، فقال : نعم ، لا تبرحْ حتى أُخرج إليه حقَّه ، فدخل ١٠
فخرج إليه بحقه ، فأعطاه إياه . قال : ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء ، فقالوا [له][3] ويلك ! مالك ؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قطُّ ! قال : ويْحَكم ! والله ما هو إلا أن ضربَ علىّ بابى ، وسمعت صوتَه ، فمُلِئت رعباً ، ثم خرجتُ إليه ، وإنّ فوق رأسه لفحلاً من الإبل ، ما رأيت مثلَ هامته ، ولا قَصَرته[4] ، ولا أنيابه لفَحْلٍ قطُّ ، والله لو أبيتُ لأَكلنى . ١٥

---

(١) أى بقية روح ، فكأن معناه : روح باقية ، فلذلك جاء به على وزن فاعلة . والدليل على أنه أراد معنى الروح ، وإن جاء به على بناء فاعلة ، ما جاء فى آخر الحديث : خرج إلى وما عنده روحه . وقيل يريد : ما فى وجهه قطرة من دم .
(٢) انتقع لونه : تغير . ويروى : امتقع ، وهو بمعناه .
(٣) زيادة عن ا . ٢٠
(٤) القصرة : أصل العنق .

أمر ركانة المطلبي ومصارعته للنبي صلى الله عليه وسلم

غلبة النبي له وآية الشجرة

قال ابن إسحاقَ : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار قال :

كان رُكانة[1] بنُ عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشدَّ قريش ، فخلا يومًا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى بعض شِعاب مكة ، فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا رُكانة ، ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليه ؟ قال : إنى لو أعلم أن الذى تقول حقّ لاتبعتك ؛ فقال [له][2] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أفرأيت إن صرعتُك ، أتعلم أنّ ما أقول حق ؟ قال : نعم ؛ قال : فقم حتى أصارعك . قال : فقام إليه رُكانة يصارعه ، فلما بطش به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أضجعه ، وهو لا يملك من نفسه شيئًا ، ثم قال : عُدْ يا محمد ، فعاد فصرعه ، فقال ـ يا محمد ، والله إن هذا للعجب ، أتصرعنى ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : وأعجبُ من ذلك إن شئت أن أُريكه ، إن اتقيتَ الله واتبعت أمرى ؛ قال : ماهو ؟ قال : أدعو لك هذه الشجرةَ التى ترى فتأتينى ؛ قال : أُدعها . فدعاها فأقبلت، حتى وقفت بين يدَىْ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . قال : فقال لها ارجعى إلى مكانك . قال : فرجعت إلى مكانها .

قال : فذهب رُكانة إلى قومه فقال : يا بنى عبد مناف ، ساحِرُوا بصاحبكم أهلَ الأرض ، فوالله مارأيت أسحرَ منه قطُّ ، ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع .

---

(١) توفى ركانة فى خلافة معاوية ، وهو الذى طلق امرأته ألبتة ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نيته . فقال : إنما أردت واحدة ، فردها عليه . ومن حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء . ولا بنه يزيد بن ركانة صحبة أيضا .

(٢) زيادة عن ا ، ط .

أمر وفد النصارى الذين أسلموا

محاولة أبي جهل ردهم عن الإسلام وإخفاقه

قال ابن إسحاق :

ثم قدم على رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم ، وهو بمكةَ ، عشرون رجلاً أو قريبٌ من ذلك من النصارى ، حين بلغهم خبرهُ من الحبشة ، فوجدوه فى المَسْجد ، فجلسوا إليه وكلّموه وسألوه ، ورجالٌ من قريش فى أنديتهم حولَ الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عما أرادوا ، دعاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن . فلما سمعوا القرآن فاضت أعينُهم من الدمع، ثم استجابوا لله[1] ، وآمنوا به وصدّقوه ، وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم فى كتابهم من أَمْره . فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جَهْل بن هشام فى نَفَر من قريش ، فقالوا لهم : خيّبكم الله مِنْ رَكْب ! بعثكم من وراءكم مِنْ أهل دينكم تَرْتادون لهم لتأتوهم بخَبَر الرجل ، فلم تطمئن مجالسُكم عنده حتى فارقتم دينَكم . وصدقتموه بما قال ! ما نعلم ركباً أحمقَ منكم . أو كما قالوا . فقالوا لهم : سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نألُ أنفسَنا خيراً[2] .

مواطنهم وما نزل فيهم من القرآن

ويقال : إن النَّفر من النصارى من أهل نَجْران ، فالله أعلم أى ذلك كان . فيقال ـ والله أعلم ـ فيهم نزلت هؤلاء الآيات « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا به إِنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ » . إلى قوله : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِى الْجَاهِلِينَ » .

---

(١) فى ا : « ثم استجابوا له » .

(٢) أى نقصرها عن بلوغ الخير . يقال : ما ألوت أن أفعله كذا وكذا : أى ماقصرت .

قال ابن إسحاق :

وقد سألتُ ابنَ شهاب الزهريّ عن هؤلاء الآيات فيمن أُنزلن ؟ فقال لى : مازلتُ أسمع من علمائنا أنهنّ أُنزلن فى النجاشى وأصحابه . والآيات من سورة المائدة من قوله : « ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » .

٥ إلى قوله : « فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » .

تهكم المشركين بمن من الله عليهم ونزول آيات فى ذلك

قال ابن إسحاق :

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إذا جلس فى المسجد ، فجلس إليه المستضعَفُون من أصحابه : خبّاب ، وعمّار ، وأبو فُكَيهة يسار ، مولى صَفْوان ابن أمية بن محرِّث ، وصُهَيب ، وأشباههم من المسلمين ، هَزِئت بهم قريش ،

١٠ وقال بعضُهم لبعض : هؤلاء أصحابُه كما ترون ، أهؤلاء مَنَّ اللهُ عليهم من بَيْننا بالهدى والحق ! لو كان ما جاء به محمدٌ خيرًا ما سَبَقَنا هؤلاء إليه ، وما خصّهم اللهُ به دُوننا . فأنزل اللهُ تعالى فيهم : « وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا

١٥ أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ . وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

ادعاء المشركين على النبى بتعليم جبرله وما أنزل الله فى ذلك

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ـ فيما بلغنى ـ كثيرًا مايجلس عند المَرْوة إلى مَبْيعة غلامٍ نَصْرانِىّ ، يقال له : جَبْرٌ ، عَبْدٌ لبنى الحَضْرمى ، فكانوا يقولون :

٢٠ والله ما يعلِّم محمدًا كثيرًا مما يأتى به إلا جَبْرٌ النصرانى ، غلامُ بنى الحضرمى . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » .

قال ابن هشام : يُلْحدون إليه : يميلون إليه . والإلحاد : الميل عن الحق .
قال رؤبة بن العَجّاج :

* إذ تَبِـع الضّحاكَ كلُّ مُلْحِد *

قال ابن هشام : يعنى الضّحّاكَ الخارجيّ ، وهذا البيت فى أرجوزة له .

نزول سورة الكوثر

٥

مقالة العاص فى الرسول ونزول سورة الكوثر

قال ابن إسحاق :

وكان العاص بنُ وائل السّهمِيّ – فيما بلغنى – إذا ذُكر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : دعوه ، فإنما هو رجلٌ أبْتر لا عَقِبَ له ، لو مات لانقطع ذِكْره واسترحتم منه . فأنزل الله فى ذلك : « إنا أعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » ما هو خير لك من الدنيا وما فيها والكوثر : العظيم . قال ابن إسحاق : قال لَبيد بن ربيعة الكِلابىّ :

١٠

صاحبا ملحوب والرداع

وصاحبُ مَلْحُوبٍ[1] فُجِعنا بيَوْمِه[2] وعنـــد الرِّداع[3] بيتُ آخرَ كَوْثر

يقول : عظيم .

قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له . وصاحب مَلْحوب : عَوْف ابن الأحوص بن جعفر بن كِلاب ، مات بِملحوب . وقوله : « وعند الرِّداع بيت آخر كَوْثر » : يعنى شُريح بن الأحوص بن جعفر بن كِلاب[4] ، مات بالرِّداع. وكَوْثر : أراد : الكثير . ولفظه مشتق من لفظ الكثير . قال الكميت بن زَيْد يمدح هِشام بن عبد الملك بن مروان :

١٥

وأنت كَثيرٌ يا بن مَرْوان طَيّب وكان أبوكَ ابنُ العقائل كَوْثَرَا

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أُميّة بن أبى عائذ الهُذَلىّ يَصِف حمار وحش :

٢٠

---

(١) ملحوب : اسم ماء لبنى أسد بن خزيمة ؛ وقيل : قرية لبنى عبد الله بن الدول ابن حنيفة باليمامة .

(٢) فى معجم البلدان عند الكلام على «ملحوب» و «رداع» : «بموته» . وكذلك فى اللسان

(٣) الرداع : ماء لبنى الأعرج بن كعب .

(٤) ذهب ياقوت فى معجمه عند الكلام على «الرداع» إلى أن الذى مات بالرداع هو عوف .

٢٥

يُحَامِى الحَقِيقَ إذا ما احْتَدمْنَ   وحَمْحَمْنَ فى كَوْثَر كالجِلالْ[1]

يعنى بالكوثر : الغبار الكثير ، شبّهه لكثرته عليه بالجِلال . وهذا البيت فى قصيدة له .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر ماهو فأجاب

قال ابن إسحاق : حدّثنى جعفر بن عمرو ـ قال ابن هشام : هو جعفر ابن عمرو[2] بن أُمَيّة الضَّمْرِىّ ـ عن عبد الله بن مُسْلِم أخى محمد [بن مسلم][3] ابن شهاب الزهرى عن أنس بن مالك ، قال :

سمعت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقيل له : يا رسول الله ، ما الكوثر الذى أعطاك الله ؟ قال : نَهْر كما بين صنعاء إلى أَيْلة[4] ، آنيتُه كعدد نجُوم السماء ، تَرِده طيورٌ لها أعناق كأعناقِ الإبل . قال : يقول عمر بن الخطاب: إنها يارسول الله لناعمة ؛ قال : آكلها أَنْعم منها .

قال ابن إسحاق :

وقدسمعت فى هذا الحديث أو غيره أنه قال صلّى الله عليه وسلّم : مَنْ شَرِب منه لا يظمأ أبداً .

نزول «وقالوا لولا نزل عليه ملك»

مقالة زمعة وصحبه ونزول هذه الآية

قال ابن إسحاق :

ودعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قومَه إلى الإسلام ، وكلّمهم فأبلغ إليهم ، فقال

---

(1) كذا ورد هذا البيت فى لسان العرب (مادة كوثر) . والحقيق : حرمة الإنسان وما يحميه ، ويريد به هنا أتانه . والجلال : جمع جل (بالضم والفتح) ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به . ورواية هذا البيت فى الأصل :

يحمى ... ... * حمحم ... ... الخ

(2) فى الأصول : « جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى . والمعروف أن جعفر بن عمرو الذى يروى عنه ابن إسحاق هوهذا الذى أثبتناه والذى كانت وفاته سنة ٩٦ هـ . وبعيد أن يكون ماذهبت إليه الأصول صحيحا ، إذ لو صح هذا لكانت وفاة جعفر الذى ذهبت إليه الأصول فى حدود سنة ٢٠٠ . أى بعد وفاة ابن إسحاق . ويظهر أن ما زاد فى النسب جاء مقحما من النساخ . (راجع الأنساب للسمعانى والطبرى وتهذيب التهذيب وتراجم رجال) .

(3) زيادة عن ا ، ط .

(4) أيلة : هى العقبة الآن .

[له][1] زَمَعَة بن الأسود، والنَّضر بن الحارث ، والأسود بن عَبْد يَغوث، وأُبَىّ
ابن خَلف ، والعاص بن وائل: لو جُعل معك يا محمد مَلَك يحدّث عنك الناسَ
ويُرَى[2] معك ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِىَ الْأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا
لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ » . ٥

نزول « ولقد استهزئ برسل من قبلك »

مقالة الوليد وصحبه ونزول هـذه الآية

قال ابن إسحاق :

ومرّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ـ فيما بلغنى ـ بالوليد بن المُغيرة ، وأُميّة
ابن خَلف ، وبأَبِى جَهْل بن هشام ، فهَمَزوه[3] واستهزءوا به ، فغاظه ذلك .
فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك من أمرهم : « وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ١٠
فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » .

ذكر الإسراء والمعراج

قال ابن هشام : حدّثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق
المطّلبى قال :

ثم أُسرى[4] برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من المسجد الحرام إلى المسجد ١٥

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « ويروى » .

(٣) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « فتمزوه وهمزوه ... الخ » .

(٤) قال السهيلى : « اتفقت الرواة على تسميته إسراء ، ولم يسمه أحد منهم « سرى » ،
وإن كان أهل اللغة قد قالوا : سرى وأسرى ، بمعنى واحد ، فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا ٢٠
العبارة ، وذلك أن القراء لم يختلفوا فى التلاوة من قوله : « سبحان الذى أسرى بعبده » .
ولم يقل : سرى ، وقال : « الليل إذا يسرى » . ولم يقل : « يسرى » فدل على أن=

الأقصى ، وهو بيتُ المقدس من إيلياء[1] ، وقد فشا الإسلام بمكة فى قريش ، وفى القبائل كلّها .

قال ابن إسحاق :

كان من الحديث فيما بلغنى عن مَسْرَاه صلّى الله عليه وسلّم عن عبد الله ابن مَسْعود ، وأبى سَعيد الخُدْرى ، وعائشة زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، ومعاوية بن أبى سفيان ، والحسن بن أبى الحسن [البصرى] ، وابن شهاب الزّهرى ، وقَتادة ، وغيرهم من أهل العلم ، وأم هانئ بنت أبى طالب ، ما اجتمع فى هذا الحديث ، كلٌّ يحدث عنه بعضَ ماذُكر من أمره حين أُسرى به صلّى الله عليه وسلّم ، وكان فى مَسْراه ، وما ذُكر عنه بلاء وتَمْحيص ، وأمر مِنْ أَمر الله [عز وجل][1] فى قدرته وسلطانه ، فيه عبرةٌ لأولى الألباب ، وهدًى ورحمةٌ وثبات لمن آمن وصدق ، وكان من أَمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأَسْرى به سبحانه وتعالى كيف شاء ، ليُريه من آياته ما أراد ، حتى عاينَ ما عاين مِنْ أمره وسُلْطانه العظيم ، وقُدْرته التى يَصْنع بها مايُريد .

رواية عبد الله ابن مسعود عن مسراه صلى الله عليه وسلم

فكان عبدُ الله بن مسعود ــ فيما بلغنى عنه ــ يقول :

= « السرى » من « سريت » إذا سرت ليلا ، وهى مؤنثة ، تقول : طالت سراك الليلة . والإسراء متعد فى المعنى ، ولكن حذف مفعوله كثيراً حتى ظن أهل اللغة أنهما بمعنى واحد لما رأوهما غير متعديين إلى مفعول فى اللفظ ، وإنما « أسرى بعبده » : أى جعل البراق يسرى، كما تقول : أمضيته ، أى جعلته يمضى . لكن كثر حذف المفعول لقوة الدلالة عليه أو للاستغناء عن ذكره ، إذ المقصود بالخبر ذكر محمد لا ذكر الدابة التى سارت به ، وجاز فى قصة لوط عليه السلام أن يقال له : « فأسر بأهلك » أى سر بهم ، وأن يقرأ : فأسر بأهلك بالقطع ، أى فأسر بهم ما يتحملون عليه من دابة أو نحوها ، ولم يتصور ذلك فى السرى بالنبى صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يجوز أن يقال : « سرى بعبده » بوجه من الوجوه ، فلذلك لم تأت التلاوة إلا بوجه واحد فى هذه القصة » .

(1) إيلياء (بكسر أول له واللام وياء وألف ممدودة) : مدينة بيت المقدس .

أُتِى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالبُراق ـ وهى الدّابّة التى كانت تُحمل عليها الأنبياء قبلَه ، تضع حافرَها فى منتهى طرفها ـ فحُمل عليها ، ثم خرج به صاحبُه ، يرى الآياتِ فيما بين السماء والأرض ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ الخليلَ وموسى وعيسى فى نَفَر من الأنبياء قد جُمعوا له ، فصلّى بهم . ثم أُتِى بثلاثة آنية ، إناء فيه لبن ، وإناء فيه خمر ، وإناء فيه ماء . ٥
[قال][1] : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فسمعتُ قائلاً يقول حين عُرِضتْ علىّ : إنْ أخذ الماء غرق وغَرِقتْ أمته ، وإن أخذ الخمرَ غوى وغَوتْ أمته ، وإن أخذ اللبن هُدى وهديت أُمته . قال : فأخذتُ إناءَ اللبن ، فشربت منه ، فقال لى جبريل عليه السلام : هُدِيت وهُديت أمتك يا محمد .

حديث الحسن عن مسراه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن الحسن أنه قال : ١٠
قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : بينا أنا نائمٌ فى الحِجْر إذ جاءنى جبريلُ فهَمزنى بقدمه ، فجلست فلم أَرَ شيئاً ، فعُدت إلى مَضْجعى ، فجاءنى الثانيةَ فهمزنى بقدمه ، فجلستُ فلم أر شيئاً ، فعدت إلى مَضْجعى ، فجاءنى الثالثةَ فهمزنى بقدمه ، فجلستُ ، فأخذ بعَضُدى ، فقمت معه ، فخرج [بى][1] إلى بابِ المسجد ، فإذا دابّة أبيض ، بين البغل والحمار ، فى فَخِذيه جَناحان يحفِز[2] بهما رجليْه ، يضع ١٥ يده فى منتهى طرفه ، فحملنى عليه ، ثم خرج معى لا يفوتنى ولا أفوته .

حديث قتادة عن مسراه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحُدّثت عن قَتادة أنه قال :
حُدثت أن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : لما دنوتُ منه لأَركبه شَمَس[3] ، فوضع جبريلُ يدَهُ على مَعرفته[4] ، ثم قال : ألا تَستحى يا براق[5] مما

(١) زيادة عن ا . ٢٠
(٢) يحفز : يدفع .
(٣) يقال : شمس الفرس : إذا لم يمكن أحداً من ظهره ولا من الإسراج والإلجام ، ولا يكاد يستقر .
(٤) المعرفة : اللحم الذى ينبت عليه شعر العرف .
(٥) قال السهيلى فى التعليق على شماس البراق وقول جبريل له : أما تستحى . . . الخ = ٢٥

تَصْنع ، فوالله ما رَكِبك عبدٌ لله قبلَ محمد أكرمُ عليه[1] منه . قال : فاسْتحيا حتى ارفضّ[2] عرقًا ، ثم قرّ حتى رَكِبته .

عود إلى حديث الحسن

قال الحسنُ فى حديثه :

مسراه صلى الله عليه وسلم

فمضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ومضى جبريلُ عليه السلام معه ، حتى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيمَ ومُوسى وعيسى فى نَفَر من الأنبياء ، فأمّهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فصلّى بهم ؛ ثم أُتى بإناءين ، فى أحدهما خمر ، وفى الآخر لَبَن . قال : فأخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إناء اللبن ، فشَرِب منه ، وترك إناء الخمر . قال : فقال له جبريلُ : هُديت للفِطْرة ، وهُديتْ أمتك يا محمد ، وحُرّمت عليكم الخمر . ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى مكة ، فلما أصبح غَدا على قريش فأخبرهم الخبرَ . فقال أكثر الناس : هذا والله الإمْر[3] البيّن ، والله إن العِير لتُطْرد ، شهراً من مكة إلى الشام مُدبرة ، وشهراً مقبلة ، أفيذهب ذلك محمدٌ فى ليلة واحدة ويَرجع إلى مكة ! قال : فارتدّ كثيرٌ ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبى بَكْر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر فى صاحبك ، يزعم أنه قد جاء هذه الليلةَ بيتَ المقدس وصلّى فيه ورجع إلى مكة . قال : فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ؛ فقالوا : بلى ، هاهو ذاك فى المسجد يحدّث به الناس ؛ فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد

= « فقد قيل فى نفرته ما قال ابن بطال فى شرح الجامع الصحيح ، قال : كان ذلك لبعد عهد البراق بالأنبياء وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام . وروى غيره فى ذلك سبباً آخر ، قال فى روايته فى حديث الإسراء : قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شمس به البراق : لعلك يا محمد مسست الصفراء اليوم ، فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم أنه ما مسها إلا أنه مربها ، فقال : تبا لمن يعبدك من دون الله ، وما مسها إلا لذلك » .

والصفراء : صنم بعضه من ذهب ، كسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح .

(1) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « على الله » .

(2) ارفض : سال وترشش .

(3) الإمر (بكسر الهمزة) : العجيب المنكر .

صَدق ، فما يُعجبكم من ذلك ! فوالله إنه ليُخبرنى أنّ الخبر ليأتيه [من الله][1] من السماء إلى الأرض فى ساعةٍ من ليل أو نهار فأصدّقه ، فهذا أبعدُ[2] مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يانبىَّ الله . أحدّثتَ هولاء القومَ أنك جئتَ بيتَ[3] المَقْدس هذه الليلةَ ؟ قال : نعم ؛ قال: يانبىّ الله ، فصِفْه لى، فإنى قدْ جِئْته ــقال الحسن : فقال رسولُ اللهصلّى ٥ الله عليه وسلّم: فرُفع لى حتى نظرتُ إليه ــ فجعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّمَ يَصِفه لأبى بكر ويقول أبو بكر : صدقتَ ، أشهد أنك رسولُ الله ، كلما وصف له منه شيئاً ، قال : صدقْت ، أشهد أنك رسولُ الله ، حتى [إذا][1] انتهى ، قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لأبى بكر : وأنت يا أبا بكر الصدّيق ؛ فيومئذ سمّاه الصّديق . ١٠

سبب تسمية أبى بكر الصديق

قال الحسن :

وأنزل الله تعالى فيمن ارتدّ عن إسْلامه لذلك : « وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً » .

فهذا حديث الحسن عن مَسْرَى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . وما دخل فيه من حَديث قتادة . ١٥

حديث عائشة عن مسراه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بعضُ آل أبى بكر : أن عائشة زوجَ النبى صلّى الله عليه وسلّم كانت تقول :

ما فُقِد جَسد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولكن الله أسْرى بروحه .

حديث معاوية عن مسراه صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأخْنس : ٢٠

---

(١) زيادة عن ا ، ط .

(٢) فى ط : « أعجب » .

(٣) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « أتيت المقدس » .

أن معاوية بن أبى سفيان كان إذا سُئل عن مَسْرى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم قال: كانت رُؤيا من الله تعالى صادقةً .

جواز أن يكون الاسراء رؤيا

فلم يُنْكَر ذلك من قولهما ، لقول الحَسن : إن هذه الآية نزلت فى ذلك ، قول الله تبارك وتعالى : « وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ » ، ولقول الله تعالى فى الخبر عن إبراهيم عليه السلام إذ قال لابنه : « يَا بُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ » ثم مَضى على ذلك . فعرفتُ أن الوحى من الله يأتى الأنبياء أيقاظاً ونِياما .

قال ابن إسحاق :

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ــ فيما بلغنى ــ يقول : تنام عيناى وقلبى يقظان . والله أعلم أىّ ذلك كان قد جاءه ، وعاين فيه ما عاين، من أمر الله ، على أى حاليه كان : نائماً أو يقظان ، كل ذلك حق وصدق .

وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم لابراهيم وموسى وعيسى

قال ابن إسحاق :

وزعم الزهرى عن سعيد بن المُسيّب أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وصف لأصحابه إبراهيمَ ومُوسى وعيسى حين رآهم فى تلك الليلة ، فقال : أما إبراهيم ، فلم أَرَ رجلاً أشبهَ [قط][1] بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ؛ وأما موسى فرجل آدَمُ طويلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ أقنى[2] ، كأنه من رجال شَنوءة[3] ؛ وأمّا عيسى ابن مريم ، فرجل أحمر ، بَيْن القصير والطويل ، سَبْط الشعر ، كَثير خِيلان[4] الوجه ، كأنه خرج من دِيماس[5] ، تخال رأسه يقطر ماء ، وليس به ماء ، أشبهُ رجالكم به عُروة بن مَسعود الثقفى .

---

(١) زيادة عن ط .

(٢) الضرب من الرجال : الخفيف اللحم . والجعد : المتكسر الشعر ، والأقنى : المرتفع قصبة الأنف .

(٣) شنوءه : قبيلة من الأزد .

(٤) الخيلان : جمع خال ، وهو الشامة السوداء .

(٥) الديماس (بالفتح ويكسر) :الحمام .

وصف علىّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام :

وكانت صِفة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فيما ـ ذكر عُمر مولى غُفْرة عن إبراهيم بن محمّد بن علىّ بن أبى طالب قال :

كان علىّ بن أبى طالب عليه السلام إذا نعتَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لم يكن بالطَّويل المُمغَّط[1]، ولا القصير المتردّد . وكان رَبْعة من القوم، ولم يكن بالجَعْد القَطَط[2] ولا السَّبْط ، كان جَعْدًا رجْلا[3] ، ولم يكن بالمُطهَّم[4] ولا المُكَلْثَم[5] ، وكان أبيضَ مُشربا ، أدعْج[6] العينين ، أهدب[7] الأشفار ، جليل المُشاش[8] والكتِد[9]، دقيق المَسْرُبة[10] ، أجرد[11] شَثْن[12] الكفّين والقدمين ، إذا مشى تقلّع[13]، كأنما يمشى فى صَبَب[14]، وإذا التفت التفت معاً . بين كتفيه خاتَم النبوة ، وهو [صلّى الله عليه وسلّم][15] خاتَم النبيين ، أجودُ الناس

---

(١) كذا فى الأصول، ويروى : « المعط » بالعين المهملة ، والمغط والمعط : الممتد . وقيل : المعط (بالعين المهملة) : المضطرب الخلق .

(٢) القطط : الشديد جعودة الشعر .

(٣) رجلا : مسرح الشعر .

(٤) المطهم : العظيم الجسم .

(٥) المكلثم : المستدير الوجه فى صغر .

(٦) الأدعج : الأسود العينين .

(٧) أهدب الأشفار : طويلها .

(٨) المشاش : عظام رءوس المفاصل .

(٩) الكتد (بفتحتين وبفتح فكسر) : مابين الكتفين .

(١٠) المسربة : الشعر الذى يمتد من الصدر إلى السرة .

(١١) الأجرد : القليل شعر الجسم .

(١٢) الشثن : الغليظ .

(١٣) تقلع : لم يثبت قدميه .

(١٤) الصبب : ما انحدر من الأرض .

(١٥) زيادة عن ا ، ط .

كفًا ، وأجرأ الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة[١] ، وأوفى الناس ذِمة[٢] ، وألينهم عريكة[٣] ، وأكرمهم عِشْرة ، من رآه بديهة[٤] هابه ، ومن خالطه أحبّه ، يقول ناعتُه : لم أر قبله ولا بعده مثله ، صلّى الله عليه وسلّم .

حديث أم هانئ عن مسراه صلى الله عليه وسلم

قال محمد بن إسحاق :

٥ وكان فيما بلغنى عن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها ، واسمها هند ، فى مسرى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنها كانت تقول :

ما أُسرى برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إلا وهو فى بيتى، نام[٥] عندى تلك الليلة فى بيتى، فصلّى العشاء الآخرة ، ثم نام ونِمْنا ، فلما كان قُبيل الفجرأَهَبَّنا[٦] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلما صلّى الصبح وصلّينا معه قال : يا أم هانئ ،

١٠ لقد صلّيتُ معكم العشاء الآخرة كما رأيتِ بهذا الوادى ، ثم جئتُ بيتَ المقدس فصلّيت فيه ، ثم قد صلّيت صلاة الغَداة معكم الآن كما ترين ، ثم قام ليخرج ، فأخذْتُ بطَرَف ردائه ، فتكشّف عن بَطْنه كأنه قِبْطِيّة[٧] مَطْوية، فقلت له يا نبيّ الله ، لا تحدِّث بهذا الناسَ فيكذّبوك ويُؤذوك ؛ قال : والله لأحدثنهموه . قالت : فقلت لجارية لى حَبَشيّة : ويحك ! اتبعى رسولَ الله صلّى الله

١٥ عليه وسلّم حتى تَسْمعى مايقولُ للناس، وما يقولون له . فلما خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الناس أخبرهم ، فَعجبوا وقالوا : ما آيةُ ذلك يا محمد ؟ فإنّا لم نسمع بمثل هذا قطُّ ؛ قال : آية ذلك أنى مَرَرْت بعِير بَنى فلان بوادى كذا وكذا ،

---

(١) أصل اللهجة : طرف اللسان ، ويكنى بصدق اللهجة عن الصدق .

(٢) الذمة : العهد .

٢٠ (٣) العريكة (فى الأصل) : لحم ظهر البعير ، فإذا لانت سهل ركوبه . يريد أنه أحسنهم معاشرة .

(٤) بديهة : ابتداء .

(٥) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « نائم » .

(٦) أهبنا : أيقظنا .

٢٥ (٧) القبطية (بالضم وتكسر) : ثياب من كتان تنسج بمصر منسوبة إلى القبط على غير قياس .

فأنفرهم حِسُّ الدابّة ، فندّ لهم بعيرٌ، فدَلَلْتهم عليه ، وأنا مُوجَّه إلى الشام . ثم أقبلتُ حتى إذا كنتُ بضَجَنان[1] مررتُ بعِير بَنى فلان ، فوجدتُ القومَ نياما، ولهم إناء فيه ماء قد غطّوا عليه بشيء ، فكشفتُ غطاءه وشربتُ ما فيه ، ثم غطيتُ عليه كما كان؛ وآية ذلك أن عِيرَهم الآن تَصوب[2] من البيضاء[3]، ثنيّة التّنعيم[4]، يقدُمها جمل أَوْرق[5]، عليه غِرارتان، إحداهما سوْداء، والأخرى بَرْقاء.[6] ٥

قالت: فابتدر القومُ الثنيّة فلم يَلْقهم أولُ مِنَ[7] الجمل كما وصف لهم، وسألوهم عن الإناء ، فأخبروهم أنهم وَضَعوه مملوءا ماء ثم غطّوه ، وأنهم هبّوا فوجدوه مغطًّى كما غطّوه ، ولم يجدوا فيه ماء . وسألوا الآخرين ، وهم بمكة ، فقالوا : صدق والله ، لقد أُنْفِرنا فى الوادى الذى ذَكر، وندّ لنا بعيرٌ، فسَمِعنا صوتَ رجل يدعونا إليه، حتى أَخذناه . ١٠

قصـــة المعراج

حديث الخدرى عن المعراج

قال ابن إسحاق : وحدّثنى من لا أَتهم عن أبى سَعيد الخُدرىّ رضى الله عنه أنه قال :

سمعت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : لما فرغتُ مما كان فى بيت

---

(١) ضجنان (بالتحريك) : جبل بناحية تهامة ، ويقال هو على بريد من مكة . وقال الواقدى : بين ضجنان ومكة خمسة وعشرون ميلا . ١٥

(٢) يصوب : ينزل من عل .

(٣) البيضاء : عقبة قرب مكة تهبطك إلى فخ ، وأنت مقبل من المدينة تريد مكة ، أسفل مكة من قبل ذى طوى .

(٤) التنعيم : موضع بمكة فى الحل ، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة . (راجع معجم البلدان) . ٢٠

(٥) الأورق : الذى لونه بين الغبرة والسواد .

(٦) البرقاء : التى فيها ألوان مختلفة .

(٧) يريد أن الجمل كان أول ما لقيهم .

المَقْدس ، أُتى بالمعراج ، ولم أر شيئاً قطُّ أحسنَ منه ، وهو الذى يَمُدّ إليه ميتُكم عَيْنَيه إذا حُضر ، فأصْعدنى صاحبى فيه ، حتى انتهى بى إلى بابٍ من أبواب السماء ، يقال له: باب الحَفَظة ، عليه مَلَك من الملائكة ، يقال له : إسماعيل ، تحت يديه أثنا عَشَر ألفَ ملكٍ ، تحت يدى كلّ مَلَك منهم أثنا عشر ألفَ مَلَكٍ ـ قال:

٥ يقول رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم حين حدّث بهذا الحديث : وما يعلم جنود ربك إلا هو ـ فلما دخل بى قال : مَنْ هذا ياجبريل ؟ قال : [هذا][1] محمد. قال : أو قد بُعث ؟ قال : نعم . قال : فدعا لى بخيرٍ وقالَه .

عدم ضحك خازن النار للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بعضُ أهل العلم عمّن حدّثه عن رسول اللهُ صلّى اللهُ عليه وسلّم أنه قال :

١٠ تلقّتنى الملائكةُ حين دخلتُ السماء الدنيا ، فلم يلقنى مَلَكٌ إلاّ ضاحكاً مستبشراً ، يقول خيراً ويدعو به ، حتى لَقِينى مَلَكٌ من الملائكة ، فقال مثلَ ما قالوا ، ودعا بمثل ما دَعَوْا به ، إلا أنه لم يَضْحك ، ولم أَرَمنه من البشْر مثلَ ما رأيتُ من غيره ، فقلت لجبريل : ياجبريلُ ، من هذا المَلَك الذى قال لى كما قالت الملائكةُ ولم يضحك [إلىّ][1] ، ولم أَرَ منه من البِشْر مثل الذى رأيتُ

١٥ منهم[2] ؟ قال : فقال لى جبريلُ : أمَا إنه لو ضَحك إلى أحدٍ كان قبلك ، أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك ، لَضَحِك إليك ، ولكنه لا يضحك ، هذا مالكٌ خازن[3] النار[4] . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : فقلت لجبريل ،

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى ا ، ط. وفى سائر الأصول : « من غيره » .

٢٠ (٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « صاحب » .

(٤) قال السهيلى بعد ذكر هذا الخبر وعدم ضحك مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وذلك أنه لم يضحك لأحد قبله ، ولا هو ضاحك لأحد ، ومصداق هذا فى كتاب الله تعالى : قال الله سبحانه : « عليها ملائكة غلاظ شداد » . وهم موكلون بغضب الله تعالى ، فالغضب لا يزايلهم أبدا . وفى هذا الحديث معارضة للحديث الذى فى صفة ميكائيل ، أنه

٢٥ ماضحك منذ خلق الله جهنم ، وكذلك يعارضه ما خرج الدارقطى أن رسول الله صلى الله =

وهو من الله تعالى بالمكان الذى وصف لكم « مُطَاعٍ ثَمّ أَمِينٍ » : ألا تأمره أن يُرينى النار ؟ فقال : بلى ، يا مالك ، أَرِ محمداً النّار . قال : فكشف عنها غِطاءها ففارت وارتفعت ، حتى ظننت لتأخذنّ ماأرى . قال : فقلت لجبريل : ياجبريل، مُرْه فَلْيردّها إلى مكانها . قال فأمره ، فقال لها : أُخبِي[1] ، فرجعتْ إلى مكانها الذى خَرجتْ منه . فما شبّهتُ رُجوعَها إلا وقوع الظلّ . حتى إذا دخلت من حيثُ خَرجت رَدّ عليها غطاءها . ٥

[و][2] قال أبو سَعيد الخُدْرىّ فى حديثه :

عود إلى حديث الخدرى عن المعراج

إنّ[3] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال :

لما دخلتُ السماءَ الدنيا رأيت بها رجلاً جالساً تُعرض عليه أرواح بَنى آدم، فيقول لبعضها إذا عُرضت عليه خيراً ويُسرّ به ، ويقول : روح طيّبة خَرجت من جَسد طيب ؛ ويقول لبعضها إذا عُرِضت عليه : أُفّ ، ويَعْبِس بوجهه ويقول : روح خَبيثة خرجت من جَسد خبيث . قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم ، تُعرَض عليه أرواحُ ذرّيته ، فإذا مَرّت به رُوح المُؤمن مِنْهم سُرّ بها ، وقال : روح طَيّبة خرجت من جَسد طيب . وإذا مرّت به روح الكافر منهم أفّف[4] منها وكَرِهها، وساءه ذلك، وقال: روحٌ خبيثةٌ خرجت من جَسد خبيث . ١٠ ١٥

= عليه وسلم تبسم فى الصلاة ، فلما انصرف سئل عن ذلك ، فقال : رأيت ميكائيل راجعاً من طلب القوم وعلى جناحيه الغبار ، فضحك إلى ، فتبسمت إليه .

وإذا صح الحديثان فوجه الجمع بينهما أن يكون:لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التى ضحك فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون الحديث عاما يراد به الخصوص ، أو يكون الحديث الأول حدّث به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هذا الحديث الأخير ، ثم حدث بما حدث به من ضحكه إليه » . ٢٠

(١) خبت النار : سكن لهيبها .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : « عن » . ٢٥

(٤) كذا فى ا ، ط : وأنف : قال أف . وفى سائر الأصول : « أنف » .

قال : ثم رأيت رجالاً لهم مَشافر كَشافر[1] الإبل ، فى أيديهم قِطَع من نار كالأفهار[2] ، يقذفونها فى أفواهِهم ، فتخرج من أدْبارهم . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أَكَلة أموال اليتامى ظُلْماً .

صفة أكلة أموال اليتامى.

قال: ثم رأيت رجالاً لهم بُطون لم أرَ مثلَها قطُّ . بسَبيل آل[3] فرعون ، يَمُرّون عليهم كالإبل المَهْيُومة[4] حين يُعْرَضون على النار ، يطئونهم لا يَقْدِرون على أن يتحوّلوا من مكانهم ذلك . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أَكَلة الرّبا .

صفة أكلة الربا

قال: ثم رأيتُ رجالاً بين أيديهم لحم سَمِين طيب، إلى جنبه لحم غثٌّ منتن، يأكلون من الغث[5] المنتن، و يتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء الذين يَتركون ما أحلّ اللّه لهم من النّساء ، ويَذْهبون إلى ما حرّم اللّه عليهم منهنّ .

صفة الزناة.

قال ثم رأيت نساءً معلّقات بثُدِيّهنّ ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاءِ اللاتى أدخلن على الرّجال مَنْ ليس من أولادهم .

صفة النساء اللاتى يدخلن على الأزواج ماليس منهم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى جَعفر بن عَمْرو[6] ، عن القاسم بن محمد أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم قال :

---

(1) المشافر : جمع مشفر . ومشفر الإبل : شفته .

(2) الأفهار : جمع فهر ، وهو حجر على مقدار ملء الكف .

(3) خص آل فرعون ، لأنهم أشد الناس عذابا يوم القيامة . قال تعالى : « أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » .

(4) المهيومة : العطاش . وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه (مهيومة) كما لايقال معطوشه ، إنما يقال : هائم وهيمان ، وقد يقال : هيوم ، ويجمع على هيم .
ولكن جاء فى الحديث (مهيومة) كأنه شيء فعل به ، كالمجمومة والمحتونة .

(5) الغث : الضعيف المهزول .

(6) هو جعفر بن عمرو بن أمية الضمرى المدنى ، وهو أخو عبد الملك بن مروان من الرضاعة ، روى عن أبيه ووحش بن حرب وأنس . وعنه أبو سلمة وأبو قلابة وسليمان =

أشتدّ غضبُ الله على امرأة أدخلت على قوم مَنْ ليس منهم ، فأكل حَرائبهم[1] ، واُطلع على عوراتهم .

عود إلى حديث الخدرى عن المعراج

ثم رَجع إلى حديث أبى سَعيد الخدرىّ قال :

ثم أصعدنى إلى السماء الثانية ؛ فإذا فيها ابنا[2] الخالة : عيسى بن مَرْيم ، ويحيى بن زكريّا قال : ثم أصْعدنى إلى السماء الثالثة ، فإذا فيها رجل صورته ٥ كصورة القمر ليلةِ البَدْر ؛ قال : قلت : من هذا[3] يا جبريل ؟ قال : هذا أخوك يوسف بن يعقوب . قال : ثم أصْعدنى إلى السماء الرابعة ، فإذا فيها رجل ، فسألته : من هو؟ قال : هذا إدريس - قال : يقولُ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: ورفعناه مكاناً عليًا - قال : ثم أصْعدنى إلى السماء الخامسة ، فإذا فيها كَهْل أبيضُ الرأس واللّحية عظيم العُثْنون[4] ، لم أر كَهْلا أجملَ منه ؛ قال : قلت : من هذا ١٠ يا جبريل ؟ قال : هذا المُحبَّب فى قومه هارون بن عِمران . قال : ثم أصْعدنى إلى السماء السادسة ، فإذا فيها رجل آدمُ[5] طويلٌ أقْنى[6] ، كأنه من رجال شنوءة ؛ فقلت له : من هذا ياجبريل ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عِمْران . ثم أصْعدنى إلى السماء السابعة ، فإذا فيها كَهْل جالس على كرسىّ إلى باب البيت

---

١٥ =ابن يسار وأخوه الزبرقان وغيرهم ، ومات جعفر فى خلافة الوليد . (راجع تهذيب التهذيب وتراجم رجال) .

(١) الحرائب : جمع حريبة ، وهى المال . يريد أن الولد إذا كان لغير رشدة نسب إلى الذى ولد على فراشه فيأكل من ماله صغيراً ، وينظر إلى بناته من غير أمه ، وإلى أخواته ولسن بعمات له ، وإلى أمه ، وليست بجدة له ، وهذا فساد كبير .

٢٠ (٢) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « ابن » . وهو تحريف .

(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « هو » .

(٤) العثنون : اللحية .

(٥) الآدم : الأسود .

(٦) الأقنى : ما ارتفع أعلى أنفه واحدودب وسطه وسبغ طرفه .

المَعمور ، يدخله كلّ يوم سَبعون ألفَ ملَك ، لايرجعون فيه إلى يوم القيامة . لم أَرَ رجلاً أشبَه بصاحبكم ، ولا صاحبكم أشبه به منه ؛ قال : قلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم . قال : ثم دخل بى الجنة ، فرأيتُ فيها جاريةً لعساء[1] ، فسألتها : لمن أنت ؟ وقد أعجبتنى حين رأيتُها ؛ فقالت : لزيد ابن حارثة . فبشّر بها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيدَ بن حارثة .

قال ابن إسحاق : ومن حديث [عبد الله][2] بن مسعود رضى الله عنه عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فيما بلغنى :

أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن فى دخولها : من هذا يا جبريل ؟ فيقول : محمد ؛ فيقولون : أو قد بُعث[3] ؟ فيقول : نعم ؛ فيقولون : حيّاه الله من أخ وصاحب ! حتى انتهى به إلى السماء السابعة ، ثم انتهى به إلى ربه ، ففرض عليه خمسين صلاة فى كل يوم :

مشورة موسى على الرسول عليهما السلام فى شأن تخفيف الصلاة

[قال] :[2] قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فأقبلت راجعاً ، فلما مررت بموسى [بن][2] عِمران ، ونعمَ الصاحبُ كان لكم، سألنى : كم فُرض عليك من الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة كلّ يوم ؛ فقال إن الصلاة ثقيلة ، وإن أمتك ضعيفة ، فارجع إلى ربك ، فاسأله أن يخفّف عنك وعن أمتك . فرجعتُ فسألت ربّى أن يخفّف عنى وعن أمتى ، فوضع عنّى عشراً . ثم انصرفت فمررت على موسى، فقال لى مثلَ ذلك ؛ فرجعت فسألت ربى[4] ، فوضع عنّى عشراً . ثم انصرفت[5] فمررت على موسى ، فقال لى مثلَ ذلك ؛ فرجعت فسألته[6]

(١) اللعس فى الشفاه : حمرة تضرب إلى السواد .
(٢) زيادة عن ا .
(٣) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أوقد بعث إليه ... الخ » .
(٤) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول: « فسألت ربى أن يخفف عنى، وعن أمتى... الخ » .
(٥) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « رجعت » .
(٦) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « فسألت ربى ... الخ» .

فوضع عنّى عشراً . ثم لم يزل يقول لى مثلَ ذلك ، كلما رجعت إليه قال : فارجع[1] فاسأل ، حتى انتهيتُ إلى أن وضع ذلك عنّى ، إلا خمس صلوات فى كلّ يوم وليلة . ثم رجعت إلى موسى، فقال لى مثلَ ذلك ،فقلت : قد راجعتُ ربى وسألتُه ، حتى استحييتُ منه ، فما أنا بفاعل .

فمن أدّاهنّ منكم إيمانا بهنّ واحتسابا لهن، كان له أجرُ خمسين صلاة [مكتوبة][2] . ٥

كفاية الله أمر المستهزئين

قال ابن إسحاق :

فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على أمر الله تعالى صابراً محتسباً ، مؤدّيا إلى قومه النصيحة على ما يلقَى منهم من التكذيب والأذى [والاستهزاء][2] .

وكان عظماء المستهزئين ، كما حدّثنى يزيد بن رُومان[3] عن عُروة[4] بن الزبير ، ١٠ خمسة نفَر من قومهم ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم .

المستهزئون بالرسول من بنى أسد

من بنى أَسَد بن عبد العزّى بن قُصَىّ بن كِلاب : الأسودُ بن المطّلب بن أسد أبو زَمعة ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما بلغنى — قد دعا عليه لِما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به ، فقال: اللهم أَعْمِ بصرَه، وأثْكِلْه ولَده .

المستهزئون بالرسول من بنى زهرة

ومن بنى زُهرة بن كلاب : الأسودُ بن عبد يَغوث بن وَهْب بن عبد مناف ابن زُهرة . ١٥

---

(١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : فارجع « إليه فسل ربك . . الخ » وهو تحريف .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) هو يزيد بن رومان الأسدى أبو روح المدنى مولى آل الزبير . روى عن ابن الزبير ، وأنس ، وعبيد الله وسالم ابنى عبد الله بن عمر وغيرهم . وعنه هشام بن عروة ، وعبيد الله ابن عمر ، وأبو حازم سلمة بن دينار وغيرهم ، وتوفى يزيد سنة ١٠٣ هـ ، وكان عالما كثير الحديث ثقة . (راجع تهذيب التهذيب) . ٢٠

(٤) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد . روى عن أبيه وأخيه عبد الله وأمه أسماء وغيرهم ، وعنه أولاده : عبد الله وعثمان وهشام ومحمد ويحيى وابن ابنه عمر بن عبد الله بن عروة وغيرهم. مات سنة ٩٩ وقيل سنة ١٠١هـ وكان عمره إذ ذاك ٦٧ سنة .

المستهزئون بالرسول من مخزوم

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مُرّة : الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم .

المستهزئون بالرسول من سهم

ومنْ بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : العاصُ بن وائل بن هشام .

قال ابن هشام : العاصُ بن وائل بن هاشم بن سُعَيد بن سَهْم .

المستهزئون بالرسول من خزاعة

٥ ومن بنى خُزاعة : الحارث بن الطُّلاطِلة[١] بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن [لُؤَىّ بن][٢] مَلَكان[٣] .

فلما تمادوا فى الشرّ وأكثروا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم الاستهزاء أنزل الله تعالى عليه : « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ » .

ما أصاب المستهزئين

١٠ قال ابن إسحاق : فحدّثنى يزيد بن رُومان، عن عُرْوة بن الزبير، أو غيره من العلماء :

أن جبريل أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهم يطوفون بالبيت ، فقام وقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى جَنْبه، فمرّ به الأسودُ بن المطّلب، فرمى فى وجهه بورقة خَضْراء ، فعَمِىَ . ومرّ به الأسودُ بن عبد يغوث ، فأشار إلى بطنه

١٥ فاستسقى [بطنه][٢] فمات منه حَبَنا[٤] . ومرّ به الوليدُ بن المغيرة فأشار إلى أثر جُرح بأسفل كعب رجله ، كان أصابه قبل ذلك بسنين[٥] ، وهو يجر سَبَله[٦] ،

---

(١) الطلاطلة (لغة) : الداهية ، وهى اسم أمه ، قال ذلك أبو الوليد الوقشى ونقله عنه ابن إسحاق ، وخالفهما ابن الكلبي فى اسمه فقال : هو الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم . والذى فى السيرة الشامية : أن اسمه مالك ، وأن الطلاطلة أبوه .

٢٠ (٢) زيادة عن ا .

(٣) ملكان : هو بفتح الميم واللام ، أو بكسر الميم وسكون اللام . وقيل : إنه ليس فى الناس ملكان (بفتح الميم واللام) إلا ملكان بن جرم بن زبان ، وملكان بن عباد ابن عياض ، وغيرهما ملكان بكسر الميم وسكون اللام ، وزاد بعضهم ملكان (بفتح الميم) فى خزاعة (راجع الروض الأنف) .

٢٥ (٤) كذا فى أكثر الأصول . والحبن (محركة) : انتفاخ البطن من داء . وفى ا : « حنبا » .

(٥) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٦) السبل : فضول الثياب .

وذلك أنه مرّ برجل من خُزاعة وهو يَريش نَبلاً له ، فتعلّق سهم من نبله بإزاره، فخدش فى رجله ذلك الخدشَ ، وليس بشىء ، فانتقض[1] به فقتله. ومرّ به العاصُ بن وائل، فأشار إلى أَخْمَص[2] رجله ، فخرج على حمار له يريد الطائف، فرَبض به على شُبارقة[3] فدخلت فى أخمص رجله شوكةٌ فقتلته. ومرّ به الحارث ابن الطُّلاَطِلَة ، فأشار إلى رأسه ، فامتخض[4] قَيْحًا ، فقتله. ٥

قصة أبى أزيهر الدوسى

وصاته لبنيه

قال ابن إسحاق :

فلما حضرت الوليدَ الوفاةُ دعا بَنيه ، وكانوا ثلاثة : هشام بن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، فقال لهم : أى بَنِىّ ، أُوصيكم بثلاث ، فلا تُضيّعوا فيهن : دَمى فى خُزاعة فلا تَطلُنّهُ[5] ، والله إنى لأعلم أنهم منه بُرآء ، ١٠ ولكنّى أَخْشى أن تُسَبّوا به بعد اليوم ؛ ورِبَاى فى ثَقيف ، فلا تدعوه حتى تأخذوه ؛ وعُقْرى[6] عند أبى أُزَيْهر الدَّوْسى ، فلا يفوتنّكم به . وكان أبو أُزَيْهر قد زوّجه بنْتاً ، ثم أمسكها عنه ، فلم يُدْخلها عليه حتى مات.

مطالبة بنى مخزوم خزاعة بدم أبى أزيهر

فلما هلَك الوليدُ بن المُغيرة وثبتْ بنو مخزوم على خُزاعة يطلبون منهم عَقْل[7] الوليد ، وقالوا : إنما قتله سَهْمُ صاحبكم ــ وكان لبنى كعب حِلْف من بنى ١٥ عبد المطلب بن هاشم ــ فأبت عليهم خُزاعة ذلك ، حتى تقاولوا أشعاراً ، وغَلُظ بينهم الأمر ــ وكان الذى أصاب الوليدَ سهمُه رجلاً من بنى كعب بن عمرو ، من خزاعة ــ فقال عبدُ الله بن أبى أمية بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم :

---

(١) انتقض الجرح : إذا تجدّد بعد ما برئ .
(٢) الأخمص من باطن القدم : ما لم يصب الأرض . ٢٠
(٣) الشبارقة . شجرة عالية ، ويقلد الخيل وغيره بعودها للعين .
(٤) كذا فى ا ، ط . أى أن القيح تحرك فى رأسه وانتشر . وفى سائر الأصول : «فامتحض» بالحاء المهملة ، وهو تصحيف . (٥) طل الدم وأطله : هدره : فلم يثأر به .
(٦) العقر (بالضم) : دية الفرج المغصوب .
(٧) كذا فى ا . والعقل : الدية . وفى سائر الأصول : « العفل » بالفاء وهو تصحيف . ٢٥

إنى زعيم أن تسيروا فتهربوا   وأنّ تتركوا الظّهْرانَ تعْوِى ثعالبُهْ[1]

وأن تتركوا ماءً بجزْعة أطرِقَا   وأن تسألوا : أىُّ الأراكِ أطايبه؟[2]

فإنّا أناسٌ لا تُطَلّ[3] دِماؤُنا   ولا يتعالَى[4] صاعداً مَنْ نُحاربه

وكانت الظّهْران والأراكُ منازلَ بنى كَعْب ، من خُزاعة . فأجابه الجَوْنُ بن

٥ أبى الجَوْنِ ، أخو بنى كعب بن عَمْرو الخُزاعى ، فقال :

والله لا نُؤْتِى الوليدَ ظُلامةً   ولما تَرَوْا يوماً تزول كواكبُهْ

ويُصْرَع منكم مُسْمِنٌ بعد مُسْمِنٍ   وتُفتح بعد الموْت قَسْراً مَشاربه[5]

إذا ما أكلتم خُبزَكم وخَزِيرَكم[6]   فكلّكم باكِى الوليدِ ونادبه

ثم إن الناسَ ترادّوا وعرَفوا أنما يَخْشَى القومُ السُّبة ، فأعطتهم خُزاعةُ بعضَ

١٠ العَقْل، وانصرفوا عن بعض . فلمّا اصطلح القومُ قال الجَوْن بن أبى الجَوْن :

وقائلةٍ لمّا اصطلحنا تعجُّباً   لِما قد حَمَلْنا للوليد وقائلِ

ألم تُقسموا تُؤْتوا[7] الوليدَ ظُلامةً   ولمّا تَرَوْا يومًا كثيرَ البَلابل[8]

فنحن خَلطنا الحربَ بالسِّلْمِ فاستوتْ   فأمَّ هواه آمناً كلُّ راحل

ثم لَمْ ينْته الجونُ بن أبى الجَوْن حتى افتخر بقَتْل الوليد ، وذَكَر أنهم أصابوه ،

---

١٥ (١) الزعيم (هنا) : الضامن ، والظهران : واد قرب مكة .

(٢) الجزعة والجزع : معظم الوادى ، وقيل : ما انثنى منه . وأطرقا : اسم علم لموضع ، سمى بفعل الأمر للاثنين ، فهو محكي لا يعرب .

(٣) طل دمه (بالبناء للمجهول) : هدر ولم يثأر به .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « يتعاطى » .

٢٠ (٥) كذا ورد هذا البيت فى ا . والمسمن : السمين ، وأراد به هنا الظاهر فى الناس . والمشارب : جمع مشربة ، وهى الغرفة . وفى سائر الأصول :

ويسرع منكم مسمن عند مسمن   ويفتح بعد الموت قسرا مشاربه

وهو ظاهر التحريف .

(٦) الخزير : شبه عصيدة بلحم ، وبلالحم ، وقيل : هى حساء يتخذ بشحم ، أو هى مرقة

٢٥ من بلالة النخالة.

(٧) يريد : أن تؤتوا ، ومعناه : أن لاتؤتوا . كما جاء فى التنزيل : « يبين الله لكم أن تضلوا » .

(٨) البلابل : وساوس الأحزان .

وكان ذلك باطلاً . فلحق بالوليد[1] [و][2] بوَلده وقَوْمه من ذلك ما حَذره[3]،

فقال الجَوْن بن أبي الجَوْن :

ألا زَعَم المُغيرة أنّ كعباً ... بمكة منهمُ قَدْرٌ كَثيرُ[4]

فلا تَفْخر مُغيرةُ أنْ تراها ... بها يَمْشى المُلَهْج والمَهيرُ[5]

بها آباؤنا وبها وُلِدْنا ... كما أرْسَى بمَثْبَته ثَبيرُ[6]

وما قالَ المُغـــيرة ذاكَ إلاّ ... ليَعلم شأنَنا أو يَسْـتثير

فإن دَم الوَليد يُطَلّ إنا ... نَطُلّ دِماءَ أنت بها خبيرُ

كساه الفاتكُ المَيْمون سَهْماً ... ذُعافا وهو مُمْتلئٌ بَهيرُ[7]

فخرّ ببطن مَكةَ مُسْلَحِبًّا ... كأنّهُ عند وجْبَته بَعيرُ[8]

سَيَكْفيني مِطالَ أبي هشام ... صغارٌ جَعْدةُ الأوْبارِ خُورُ[9]

قال ابن هشام : تركنا منها بيتاً واحداً أُقذع فيه[10].

مقتل أبي أزيهر وثورة بني عبد مناف لذلك

قال ابن إسحاق :

ثم عدا هشامُ بن الوليد على أبي أُزَيْهر ، وهو بسُوق ذي المَجاز ــ وكانت عند أبي سُفيان بن حَرْب [عاتكة][11] بنت أبي أُزَيهر ، وكان أبو أُزَيْهر رجلاً شَريفاً في قومه ــ فقتله بعُقْر الوليد الذي كان عنده ، لوصيّة أبيه إيّاه ،

---

(1) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « الوليد » .
(2) زيادة عن ا .
(3) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « ماحذر » .
(4) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « كبير » .
(5) الملهج : المطعون في نسبه ، كأنه منحوت من أصلين ، من « العلج » لأن الأمة علجة ؛ ومن « اللهج » كأن واطئ الأمة قد لهج بها . والمهير : الصحيح النسب .
(6) ثبير : جبل بمكة .
(7) الذعاف : السم ، أو سم الساعة . والبهير : المنقطع النفس .
(8) المسلحب : الممتد . والوجبة : السقطة .
(9) الخور : الغزار اللبن .
(10) أقذع : أفحش في المقال .
(11) زيادة عن ا .

وذلك بعد ان هاجر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، ومضى بدرٌ ، وأُصيب به مَنْ أُصِيب من أشراف قريش من المشركين ؛ فخرج يَزيد بنُ أبى سُفيان، فجمع بَنى عبد مناف ، وأبو سفيان بذى المَجاز ، فقال الناس : أُخْفِر[1] أبو سفيان فى صِهْره، فهو ثائر به فلمَّا سمع أبوسفيان بالذى صَنع ابنُه يزيد ـ وكان أبوسفيان رجلاً حليما مُنْكَراً[2] ، يحبّ قومَه حبًّا شديداً ـ انحطّ سريعاً إلى مكة، وخشى أن يكون بين قريش حَدَثٌ فى أبى أُزَيهر ، فأتى ابنَه وهو فى الحديد ، فى قَوْمه من بنى عَبْدِ مناف والمطيِّبين ، فأخذ الرمحَ من يده ثم ضرب به على رأسه ضربةً هدَّه منها ، ثم قال له : قبَّحك الله ! أتريد أن تضرب قريشاً بعضَهم ببعض فى رجل من دَوْس . سَنُؤْتيهم العَقْل إن قَبلوه ، وَأَطْفأ ذلك الأمرَ .

فانبعث حسَّان بن ثابت يُحَرِّض فى دَم أبى أُزيهر ، وَيُعيِّر أبا سفيان خُفْرَتَه وَيُجْبِنه ، فقال :

غدا أهلُ ضَوْجَىْ ذى المجاز كِليهما ... وَجارُ ابن حَرْب بالمُغَمَّس مَا يَغْدُو[3]

وَلم يمنع العَيْرُ الضَّروطُ ذِمارَه ... وما منعت مَخزاةَ وَالِدِها هِنْدُ[4]

كساكَ هشامُ بنُ الوليد ثيابَه ... فأَبلِ وَأَخْلِفْ مثلَها جُدداً بعدُ

قَضَى وَطَراً منه فأصبح ماجداً ... وأصبحتَ رِخواً ماتَخُبُّ وما تَعْدُو[5]

فلو أنَّ أشياخاً ببدرٍ تَشاهَدوا ... لَبَلَّ نعالَ القوم مُعتبط وَرْدُ[6]

فلما بلغ أبا سُفيان قولُ حسَّان قال : يريد حَسَّان أن يَضْرِب بعضَنا ببعض فى رجل من دَوس ! بئس والله ما ظَنّ !

---

(١) الخفر : الغدر .

(٢) رجل منكر : أى داهية فطن .

(٣) الضوج : جانب الوادى وما انعطف منه . والمغمس : موضع بطريق الطائف ، فيه قبر أبى رغال دليل أبرهة .

(٤) العير : الحمار . والذمار : ماتحق حمايته . وهند : هى هند بنت أبى سفيان . وقد ورد هذا البيت فى ا ، ط . بعد البيت الأول . وورد فى سائر الأصول فى آخر الأبيات .

(٥) تخب : من الخبب : وهو ضرب من السير .

(٦) يعنى بالمعتبط الورد : الدم العبيط ، وهو الطرى .

مطالبة خالد بربا أبيه وما نزل فى ذلك

ولما أسلم أهلُ الطائف كلَّم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم خالدُ بن الوليد فى ربا الوليد ، الذى كان فى ثقيف ، لما كان أبوه أوصاه به .

قال ابن إسحاق :

فذكر لى بعضُ أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بَقِى مِن الربا بأيدى الناس نزلن فى ذلك ، من طلب خالد الرّبا « يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللّٰهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » إلى آخر القصة فيها . ٥

ثورة دوس للأخذ بثأر أبى أزيهر وحديث أم غيلان

ولم يكن فى أبى أُزيهر ثأرٌ نعلمه ، حتى حَجَز الإسلامُ بين الناس ؛ إلا أن ضِرار بن الخطّاب بن مِرْداس الفِهْرىّ خَرج فى نَفَر من قريش إلى أرض دَوْس ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غَيْلان ، مولاة لدَوْس ، وكانت تَمْشُط النساء ، وتجهّز العرائس ، فأرادت دَوْس قتلَهم بأبى أُزَيهر ، فقامت دونهم أمُّ غيلان ونسوةٌ معها ، حتى منعتهم ، فقال ضِرار بن الخطاب فى ذلك : ١٠

جَزَى اللهُ عنا أمَّ غَيْلان صالحاً ... ونسوتَها إذ هُنَّ شُعْثٌ عَواطِلُ[1]

فهنّ دَفَعن الموتَ بعد اقترابه ... وقد بَرَزَتْ للثائرين المَقاتِل

دعتْ دعوةً دوساً فسالت شعابُها[2] ... بعزٍّ وأدّتها الشّراجُ[3] القَوابل[4]

وعَمْراً جَزاه الله خيراً فما وَنَى ... وما بردتْ منه لدىَّ المَفاصِل ١٥

فجرّدت سَيْفى ثم قمتُ بنَصْله ... وعن أىّ نَفْس بعد نفسى أقاتل

قال ابن هشام حدّثنى أبو عُبيدة : أن التى قامت دُون ضِرار أمُّ جَميل ، ويقال أم غَيلان ؛ قال : ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أمِّ جَميل فيمن قام دونه .

أم جميل وعمر ابن الخطاب

فلما قام عمرُ بن الخطاب أتته أمُّ جَميل ، وهى تُرى أنه أخوه ، فلما انتسبت له عَرَف القصّة ، فقال : إنى لستُ بأخيه إلا فى الإسلام ، وهو غازٍ ، وقد عرفتُ مِنّتَك عليه ، فأعطاها على أنها ابنةُ سَبِيل. ٢٠

---

(١) الشعث : المتغبرات الشعور . والعواطل : اللاتى لاحلى عليهن .

(٢) الشعاب : جمع شعبة ، وهى ما عظم من سواقى الأودية .

(٣) كذا فى أكثر الأصول . والشراج : جمع شرج ، وهو مسيل ماء من الحرة إلى السهل وفى ا : «السراج» بالسين المهملة ، وهو تصحيف . ٢٥

(٤) القوابل : التى تقابل بعضها بعضا .

ضرار وعمر ابن الخطاب

قال الراوى : قال ابن هشام : وكان ضِرار لحق عمرَ بن الخطاب يوم أحد ، فجعل يَضرِبه بعَرض الرمح ويقول : انجُ يابن الخطاب لا أقتلك : فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه[1] .

وفاة أبى طالب وخديجة

صبر الرسول على إيذاء المشركين

٥ قال ابن إسحاق :

وكان النَّفر الذين يُؤْذون رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى بيته : أبا[2] لَهَب ، والحَكَمَ بن العاص بن أمية ، وَعُقْبَة بن أبى مُعَيط ، وعَدىّ بن حَمْراء الثَّقفى ، وابنَ الأَصْداء الهُذلىّ ؛ وكانوا جيرانَه ، لم يُسْلم منهم أحد إلا الحَكَم بن أبى العاص ، فكان أحدهم ـ فيما ذكر لى ـ يطرح عليه صلّى الله عليه وسلّم رَحِمَ

١٠ الشاة وهو يُصَلّى ، وكان أحدهم يطرحها فى بُرْمته[3] إذا نُصبت له ، حتى اتخذ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حِجْراً[4] يستتر به منهم إذا صلّى ، فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى ، كما حدّثنى عمرُ بن عبد الله ابن عُروة بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، يخرج به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على العود ، فيقف به على بابه ، ثم يقول : يا بَنى عبد مناف ، أىّ جوارٍ هذا ! ثم

١٥ يُلقيه فى الطريق .

طمع المشركين فى الرسول بعد وفاة أبى طالب وخديجة

قال ابن إسحاق :

ثم إنّ خديجة بنت خُويلد وأبا طالب هَلَكا فى عام واحد ، فتتابعت على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المصائبُ بهُلْك خَديجة ، وكانت له وَزيرَ صِدْق على الإسلام ، يشكو إليها ؛ وبهُلْك عمّه أبى طالب ، وكان له عضداً وَحِرْزاً

٢٠ فى أمره ، وَمَنَعةً وناصراً على قومه ، وذلك قبل مُهاجره إلى المدينة بثلاث سنين.

فلما هلك أبو طالب نالت قريشٌ من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الأذى

---

(١) هذه العبارة من قوله : « قال ابن هشام » إلى قوله : « بعد إسلامه » ساقطة فى ا .

(٢) كذا فى ط ، وفى سائر الأصول «أبو» .

(٣) البرمة : القدر من الحجر .

٢٥ (٤) الحجر : كل ما حجرته من حائط .

ما لم تكن تَطْمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سَفِيهٌ من سُفهاء قريش ، فنثر على رأسه تراباً .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى هشام بن عُروة، عن أبيه عُروة بن الزبير، قال :

لما نثر ذلك السفيهُ على رأس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذلك الترابَ ، دخَل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بيتَه والترابُ على رأسه ، فقامت إليه إحدى بَناته ، فجعلت تغسل عنه الترابَ وهى تبكى ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول لها : لا تبكى يا بُنيّة ، فإنّ الله مانعٌ أباكِ . قال : ويقول بين ذلك : ما نالت منّى قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب .

قال ابن إسحاق :

المشركون عند أبى طالب لما ثقل به المرض يطلبون عهدا بينهم وبين الرسول.

ولما اشتكى أبو طالب، وبلغ قريشاً(١) ثِقَلُه ، قالت قريش بعضُها لبعض : إن حَمْزة وعُمر قد أسلما ، وقد فشا أمرُ محمد فى قبائل قُريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب ، فليأخذ لنا على ابن أخيه ، وليُعْطِه منّا ، والله ما نأمن أن يَبْتَزّونا(٢) أمرنا .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى العبّاس بن عبد الله بن مَعْبد [بن عباس](٣) عن بعض أهله ، عن ابن عبّاس ، قال :

مَشَوْا إلى أبى طالب فكلّموه ؛ وهم أشراف قومه : عُتبة بن ربيعة ، وشَيبة ابن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خَلف ، وأبو سفيان بن حَرْب ، فى رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منّا حيث قد علمتَ ، وقد حَضَرَك ما ترى، وتَخوّفنا عليك، وقد علمتَ الذى بيننا وبين ابن أخيك، فادعُه، فخُذْ له منّا ، وخُذْ لنا منه ، ليكفّ عنا ، ونكفّ عنه ، وليدَعنا ودينَنا ، وندعه ودينه ؛ فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه ، فقال : يا بن أخى : هؤلاء أشرافُ

(١) فى م : «قريش» وهو تحريف .
(٢) ابتزّه أمره : سلبه إياه وغلبه عليه .
(٣) زيادة عن ا .

قومك، قد اجتمعوا لك، ليُعطوك ،وليأخذوا منك . قال: فقال: رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نعم[1] ، كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب، وتَدِين لكم بها العجم . قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعَشْر كلمات ؛ قال : تقولون : لا إله إلا الله ، وتَخْلعون ما تعبدون من دونه . قال : فصفّقوا بأيديهم ، ثم قالوا :

٥ أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهًا واحداً ، إن أمرك لعجب ! [قال] :[2] ثم قال بعضُهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمُعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلِقُوا وامضُوا على دين آبائكم ، حتى يَحكم الله بينكم و بينه . قال : ثم تفرّقوا .

طمع الرسول في إسلام أبي طالب وحديث ذلك

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا بن أخي ، ما رأيتُك سألتَهم شَططا ؛ قال : فلما قالها أبو طالب طَمِع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم في

١٠ إسلامه ، فجعل يقول له : أى عم ، فأنتَ فقُلها استحلّ لك بها الشفاعة يوم القيامة . قال : فلما رأى حرصَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليه قال : يا بن أخي ، والله لولا مخافة السّبّة عليك وعلى بَني أبيك من بَعدى ، وأن تظنّ قريش أني إنما قلتها جَزَعاً من الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرّك بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموتُ قال : نظر العباسُ إليه يحرّك شفتيه ، قال :

١٥ فأصغى إليه بأذنه ، قال : فقال : يابن أخي ، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرتَه أن يقولها ، قال : فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لم أسمع[3] .

---

(١) في م ، ر : « يا عم » .
(٢) زيادة عن ا ، ط .
(٣) شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعد ما أسلم لكانت مقبولة ، ولم يرد بقوله

٢٠ « لم أسمع » لأن الشاهد العدل إذا قال : سمعت ؛ وقال من هو أعدل منه : لم أسمع ، أخذ بقول من أثبت السماع ؛ لأن عدم السماع يحتمل أسباباً منعت الشاهد من السمع ، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم . مع أن الصحيح من الأثر قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك ، وأثبت نزول هذه الآية فيه : « ما كان للنبيّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » . وثبت في الصحيح أيضاً أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن

٢٥ أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال : نعم ، وجدته في غمرات من النار ، فأخرجته إلى ضحضاح .

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أبي طالب عند موته وعنده =

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب

قال: وأنزل الله تعالى فى الرّهط الذين كانوا اجتمعوا إليه، وقال لهم ما قال، وردّوا عليه ما ردّوا: «صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ» إلى قوله تعالى: «أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ. وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ» ــ يعنون النصارى، لقولهم: «إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ» ــ «إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ» ثم هلك أبو طالب.

سعي الرسول إلى ثقيف يطلب النصرة

قال ابن إسحاق:

ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الأذى ما لم تكن تنال منه فى حياة عمّه أبي طالب، فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، يلتمس النّصرة من ثقيف، والمَنعة بهم من قومه، ورجاءَ أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحدَه.

نزول الرسول بثلاثة من أشرافهم وتحريضهم عليه

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظي، قال: لما انتهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الطائف، عَمَد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادةُ ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عَبْد يالَيْل بن عمرو ابن عُمير، ومسعود بن عَمرو بن عُمير، وحَبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقْدة بن غِيَرة بن عَوْف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جُمح، فجلس إليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فدعاهم إلى الله، وكلّمهم بما جاءهم له من

= أبو جهل وعبدالله بن أمية، فقال: يا عمّ، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله؛ فقال أبو جهل وابن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال: أنا على ملة عبد المطلب. وظاهر الحديث يقتضى أن عبد المطلب مات على الشرك. (راجع الروض الأنف).

نُصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ؛ فقال له أحدهم : هو يَمرُط[1] ثيابَ الكعبة إن كان الله أرسلك ؛ وقال الآخر : أمَا وجد الله أحداً يُرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلّمك أبداً . لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أَرُدّ عليك الكلام ، ولئن كنت تكذِب على الله ، ما ينبغى لى أن أكلّمك . فقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقد قال لهم — فيما ذُكر لى — : إذا فعلتم ما فعلتم فاكتُموا عنّى ، وكَرِه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يبلغ قومَه عنه ، فيُذْئِرهم[2] ذلك عليه . قال ابن هشام : قال عَبِيد بن الأبرص :

ولقد أتانى عن تميم أنهم ذَئِروا لِقَتْلَى عامرٍ وتعصّبوا[3]

فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعَبيدَهم ، يسبّونه ويَصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه الى حائط[4] لعُتبة بن ربيعة وَشَيْبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثَقيف من كان يتبعه ، فعَمَد إلى ظلّ حَبَلة[5] من عنب ، فجلس فيه . وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويَرَيان ما لقى من سُفهاء أهل الطائف ، وقد لقى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما ذُكر لى — المرأةَ التى من بنى جُمَح[6] فقال لها : ماذا لَقِينا من أحمائك ؟

توجهه صلى الله عليه وسلم إلى ربه بالشكوى

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم قال — فيما ذُكر لى — : اللهم إليك أشكو ضَعْف قُوّتى ، وَقِلّة حيلتى ، وهَوانِى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربّى ، إلى مَنْ تَكِلُنى ؟ إلى بعيد يتجهّمنى[7] ؟ أم إلى عدوّ مَلَّكْته أمْرى ؟ إن لم يكن بك علىّ غَضَب فلا أُبالى ،

(1) يمرطه : أى ينزعه ويرمى به .
(2) يذئرهم عليه : يثيرهم عليه ويجرئهم .
(3) فى ط : « وتغضبوا » .
(4) الحائط : البستان .
(5) الحبلة : شجرة العنب ، أو قضبانها .
(6) هى المرأة التى ذكر أنها عند واحد من النفر الثلاثة الثقفيين ، الذين نزل بهم الرسول .
(7) تجهمه : استقبله بوجه كريه .

ولـكن عافيتَك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وَجْهك الذى أشرقتْ له الظلمات،[1] وَصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة، من أنْ تُنزل بى غضبَك، أو يحلّ علىّ سُخْطك ، لك العُتْبى حتى تَرْضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

قصة عداس النصرانى معه صلى الله عليه وسلم

قال : فلما رآه ابنا رَبيعة ، عُتْبة وَشَيْبة ، وما لَقِى ، تحرّكت له رَحِمُهما[2] ، فَدَعَوَا غلامًا لهما نَصرانيا ، يقال له عَدّاس ، فقالا له : خذ قِطْفاً [من هذا][3] العنب، فضَعْه فى هذا الطّبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه . ففعل عَدّاس ، ثم أقبل به حتى وَضعه بين يدى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال له : كُل ، فلمّا وضع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيه يَده قال : باسم الله ، ثم أكل ، فنظر عَدّاسُ فى وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ومِنْ أهل أىّ البلاد أنت يا عَدّاس ، وما دينك ؟ قال : نَصْرانى ، وأنا رجل من أهل نِينوى[3]؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يُونُس بن مَتّى ؛ فقال له عَدّاس : وَما يُدْريك مايونسُ بن مَتى ؟ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ذاك أخى ، كان نبيًّا وأنا نبىّ ، فأكبّ عَدّاس على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقبّل رأسَه و يَدَيْه وقدميه[4] .

(١) الوجه ، إذا جاء ذكره فى الكتاب والسنة ، فهو ينقسم فى الذكر إلى موطنين : موطن تقرب واسترضاء بعمل ، كقوله تعالى : « يريدون وجهه » وكقوله : « إلا ابتغاء وجه ربه » ، فالمطلوب فى هذا الموطن رضاه وقبوله للعمل ، وإقباله على العبد العامل ، وأصله أن من رضى عنك أقبل عليك ، ومن غضب عليك أعرض عنك ، ولم يرك وجهه .

والموطن الثانى من مواطن ذكر الوجه يراد به ما ظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده ، كقوله تعالى : « ويبقى وجه ربك » . والوجه لغة : ما ظهر من الشىء معقولا كان أو محسوساً .

أما النور فعبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الإلهية . وبه أشرقت الظلمات ، أى أشرقت محالها ، وهى القلوب التى كانت فيها ظلمات الجهالة والشكوك. (راجع الروض الأنف).

(٢) الرحم : الصلة والقرابة .

(٣) زيادة عن ١ ، ط .

(٤) قال السهيلى : «وزاد التيمى فيها : أن عداساً حين سمعه يذكر ابن متى، قال: والله =

قال : يقول ابنا ربيعة أحدُهما لصاحبه : أمّا غلامُك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عَدّاس قالا له : ويلك يا عدّاس ! مالك تقبّل رأسَ هذا الرجل وَيديه وقدميه ؟ قال : ياسيدى : ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى بأمر ما يَعلمه إلا نبىّ ؛ قالا له : ويحك يا عدّاس ، لا يَصْرِفنّك عن دينك ، فإنّ ٥ دينَك خير من دينه .

أمر الجن الذين استمعوا له وآمنوا به

قال : ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة ، حين يَئِس من خَيْر ثقيف ، حتى إذا كان بنَخلة[1] قام من جَوْفِ الليل يصلّى ، فمر به النّفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم ـ فيما ذكر لى ـ . سبعة نفر من جنّ أهل نَصِيبين[2] ، فاستمعوا له ، فلما فرَغ من صلاته ١٠ ولّوْا إلى قومهم مُنذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا . فقصّ الله خبرَهم عليه صلّى الله عليه وسلّم ، قال الله عزّ وجلّ : « وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ » إلى قوله تعالى « وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ » . وقال تبارك وتعالى : « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ » إلى آخر القصة من خبرهم فى هذه السورة .

---

١٥ عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل

عرض الرسول نفسه على العرب فى مواسمهم

قال ابن إسحاق :

ثم قَدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مكة ، وقومُه أشدُّ ما كانوا عليه من خِلافه وفراق دينه، إلا قليلاً مُسْتضعَفين، ممن آمن به . فكان رسولُ الله صلّى الله

= لقد خرجت منها ـ يعنى نينوى ـ وما فيها عشرة يعرفون ما متى، فمن أين عرفت أنت متى، ٢٠ وأنت أمى وفى أمة أمية ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو أخى ، إلى آخر القصة .

(١) نخلة : أحد واديين على ليلة من مكة ، يقال لأحدهما نخلة الشامية وللآخر نخلة اليمانية.

(٢) نصيبين : قاعدة ديار ربيعة .

عليه وسلّم يَعْرِض نفسَه فى المَواسم ، إذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويُخبرهم أنه نبىّ مُرْسَل ، ويسألهم أن يصدّقوه ويَمْنعوه حتى يبيّن لهم [(1)] الله ما بعثه به (2) .

قال ابن إسحاق: فحدثنى من أصحابنا ، من لا أتّهم، عن زَيد (3) بن أسلَمَ عن ربيعة بن عِبَاد الدِّيلى (4) أو من (5) حدّثه أبو الزناد عنه ــ قال ابن هشام : ربيعة بن عَبّاد . ٥

قال ابن إسحاق : وحدّثنى حُسَين بن (6) عبد الله بن عُبيد الله بن عبّاس ، قال سمعت ربيعة بن عبّاد يحدّثه أبى قال :

إنى لغلام شاب مع أبى بمِنى ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يابنى فلان ، إنّى رسولُ الله إليكم ، يأمركم أن تَعْبُدُوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تَخْلَعُوا ماتعبدون من دونه من هذه الأنْدَاد ، وأن تؤمنوا بى ، وتصدّقوا بى ، وتمنعونى ، حتى أبيّن عن الله مابعثنى به . قال: وخلفه ١٠

---

(1) زيادة عن ا .

(2) فى ا : « له » .

(3) هو زيد بن أسلم العدوى أبو أسامة . ويقال أبو عبد الله المدنى الفقير ، مولى عمر . روى عن أبيه وابن عمر وأبى هريرة وعائشة وجابر وربيعة هذا وغيرهم . وعنه أولاده الثلاثة أسامة وعبد الله وعبد الرحمن أو مالك وابن عجلان وغيرهم . (راجع تهذيب التهذيب) . ١٥

(4) كذا فى تهذيب التهذيب فى ترجمة زيد بن أسلم ، و تراجم رجال ص ٦٥ . وفى الأصول «الدؤلى» وهى رواية فيه.

وفى كنانة بن خزيمة الديل (بكسر الدال وسكون الياء) ابن بكر بن عبد مناة ، رهط أبى الأسود الديلى ، واسمه ظالم بن عمرو ؛ وقيل : هم ثلاثة : الدول بن حنيفة (ساكن الواو) والديل فى عبد القيس (ساكن الياء) ، والدؤل فى كنانة رهط أبى الأسود ، (الواو مهموزة) وقيل : فى عبد القيس أيضاً: الديل بن عمرو بن وديعة بن أفصى ، وفى الأزد : الديل بن هداد ابن زيد مناة بن حجر ، وفى تغلب وفى ربيعة أيضاً . ٢٠

(5) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : «ومن» . ٢٥

(6) هو الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو عبد الله الهاشمى المدنى . روى عن ربيعة هذا وعكرمة وروى عنه، غير ابن إسحاق، ابن عجلان وابن جريج وابن المبارك وغيرهم . وتوفى الحسين سنة إحدى وأربعين ومئة . (راجع تراجم رجال) .

رجل أحْول وَضِىء ، له غَدِيرتان[1] ، عليه حُلّة عَدَنيّة . فإذا فرغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بَنِى فلان ، إنّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلُخوا اللاتَ والعزّى من أعناقكم، وحلفاءَكم من الجن من بَنى مالك بن أُقَيْش[2] ، إلى ما جاء به من البدْعة والضلالة ، فلا تُطيعوه ولا تسمعوا منه .

قال فقلت لأبى : يا أبت ، مَنْ هذا الذى يتبعه ويردّ عليه مايقول ؟ قال : هذا عمّه عبد العزّى بن عبد المطّلب ، أبو لهب .

قال ابن هشام : قال النابغة :

كأنك من جِمال بَنِى أُقَيش ... يُقَعْقعُ خلفَ[3] رجْلَيه بِشَنٍّ[4]

قال ابن إسحاق : حدّثنا ابنُ شهاب الزهرى :

أنه أتى كِنْدة فى منازلهم ، وفيهم سيّد لهم يقال له : مُلَيح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرَض عليهم نفسَه ، فأبَوْا عليه .

عرض الرسول نفسه على بنى كلب

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين : أنه أتى كَلْباً فى منازلهم ، إلى بَطْن منهم يقال لهم : بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نَفسه ، حتى إنه ليقول لهم : يابَنِى عبد الله ، إن الله عزّ وجلّ قد أحسن اسم أبيكم ؛ فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .

عرض الرسول نفسه على بنى حنيفة

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعضُ أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتى بَنِى حَنيفة[5] فى منازلهم ، فدعاهم إلى الله

---

(١) الغديرة : الذؤابة من الشعر .

(٢) الى هـذا الحى من الجن « بنى أقيش » تنسب الإبل الأقيشية ، وهى غير عتاق تنفر من كل شىء .

(٣) ويروى : « بين » .

(٤) الشن : القربة الخلق . والجمع : شنان . ويشير الى أنه يحرك هذا الجلد اليابس للإبل لتفزع . ومنه المثل : « فلان لايقعقع له بالشنان » أى لايخدع ولا يروع .

(٥) واسم حنيفة: أثال بن لجيم (على التصغير) ابن صعب بن علىّ بن بكر بن وائل ، وسمى: حنيفة ، لحنف كان فى رجليه (أى اعوجاج)؛ وقيل : بل حنيفة أمهم، وهى بنت كاهل بن أسد ، عرفوا بها ، وهم أهل اليمامة وأصحاب مسيلمة الكذاب .

وعَرَض عليهم نفسه ، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ عليه ردًّا منهم .

عرض الرسول نفســه على بنى عامر

قال ابن إسحاق : وحدّثنى الزهرى :

أنه أتى بَنِي عامر بن صَعْصعة ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعَرَض عليهم نفسَه ، فقال له رجل منهم ـ يقال له : بَيْحَرة بن فِرَاس . قال ابن هشام : فِراس ابنُ عبد الله بن سَلمة [الخير[1]] بن قُشَير بن كعب بن رَبيعة بن عامر بن صعصعة ـ : والله ، لو أنى أخذتُ هذا الفتى من قُرَيش لأكلتُ به العربَ ، ثم قال له : أرأيتَ إن نحن بايعناك[2] على أمرك ، ثم أظهرك اللهُ على من خَالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمرُ إلى الله يَضعه حيث يشاء ؛ قال: فقال له: أفَتُهْدَف[3] نحورُنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمرُ لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك ؛ فأبَوْا عليه .

فلما صدَر الناسُ رجعتْ بنو عامر إلى شيخ لهم ، قد كانت أدركْته السنُّ ، حتى لا يقدر أن يُوافِيَ معهم المواسمَ ، فكانوا إذا رجَعوا إليه حدّثوه بما يكون فى ذلك المَوْسم ، فلما قَدِموا عليه ذلك العامَ سألهم عمّا كان فى مَوْسمهم ، فقالوا : جاءنا فتًى من قُرَيش ، ثم أحَدُ بَنى عَبْد المطّلب ، يزعُم أنه نَبِيّ ، يدعونا إلى أن نَمنعه ونقومَ معه ونخرج به إلى بلادنا قال : فوضع الشيخ يَدَيْه على رأسه ثم قال : يا بَنى عامر ، هل لها من تَلافٍ ، هل لذُناباها من مَطْلب[4] ، والذى نفسُ فلان بيده ، ما تَقوّلها إسماعيلىّ[5] قطّ ، و إنها لحق ، فأين رأيُكم كان عنكم ؟

عرض الرسول نفسه على العرب فى المواسم

قال ابن إسحاق :

---

(1) زيادة عن ا ، ط .

(2) كذا فى ا : وفى سائر الأصول : «تابعناك» .

(3) تهدف ، أى تصير هدفاً يرمى .

(4) هذا مثل يضرب لما فات ، وأصله من « ذنابى الطائر » إذا أفلت من الحبالة فطلبت الأخذ به .

(5) أى ما ادعى النبوّة كاذبا أحد من بنى إسماعيل .

فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناسُ بالْمَوْسم أتاهم يدعو القبائلَ إلى الله وإلى الإسلام ، ويَعْرِض عليهم نفسَه، وما جاء به من الله من الهُدى والرحمة ، وهو لا يسمع بقادم يقدَم مكةَ من العرب ، له أُسمٌ وشرف ، إلاّ تصدّى له، فدعاه إلى الله، وعَرَض عليه ماعنده .

سويد ابن صامت ورسول الله صلى الله عليه وسلم

٥ قال ابن إسحاق : وحدّثني عاصم بن عُمر بن قَتادة الأنصاريّ ، ثم الظَّفَريّ عن أشياخ من قومه ، قالوا :

قَدِم سُويد بن[١] صامت ، أخو بني عمرو بن عَوْف، مكةَ حاجًّا أو مُعتمراً ، وكان سُوَيد إنما يسمّيه قومُه فيهم : الكاملَ ، لجَلَده وشعره وشَرفه ونَسبه ، وهو الذى يقول :

١٠ ألا ربَّ مَن تدعو صديقاً ولو تَرى ... مقالَته بالغَيْب ساءك مَا يَفْرِي[٢]

مقالتُه كالشَّهْد ما كان شاهداً ... وبالغَيْب مأثورٌ على ثُغْرة النحر[٣]

يَسُرّك باديه وتحت أديمه ... نميمةُ غِشٍّ تَبْتَرِي عَقَب الظَّهْر[٤]

تُبِين لك العينان ما هو كاتِمٌ ... من الغِلّ والبَغْضاءِ بالنظر الشَّزْر

فَرِشْني بخيرٍ طالما قد بَرَيْتني[٥] ... فخير[٦] الموالى من يَرِيش ولا يَبْرِي

١٥ وهو الذى يقول : ونافر رجلا من بنى سُلَيم ، ثم أحد بنى زِعْب[٧] بن مالك

---

(١) هو سويد بن الصامت بن حوط بن حبيب بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس؛ وأمه ليلى بنت عمرو النجارية، أخت سلمى بنت عمرو، أم عبد المطلب بن هاشم . فهو على هذا ابن خالة عبد المطلب . وبنت سويد ، هى أم عاتكة ، أخت سعيد بن زيد ، امرأة عمر بن الخطاب ، فهو جدها لأمها ، واسم أمها زينب، وقيل: جليسة بنت سويد : (راجع الروض) .

٢٠ (٢) يفرى : يختلق .

(٣) المأثور : السيف الموشى .

(٤) تبترى : تقطع . وعقب الظهر (بالتحريك) : عصبه .

(٥) راشه ، أى قواه . وبراه ، أى أضعفه .

(٦) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : «وخير» .

٢٥ (٧) قال أبوذر فى الكلام على «زعب» : «وقع هنا بالروايات الثلاث، بفتح الزاى وضمها =

مئة ناقة، إلى كاهنة من كُهّان العرب ، فقضتْ له . فانصرف عنها هو والسُّلمىّ، ليس معهما غيرها ، فلمّا فرّقت بينهما الطريقُ ، قال : مالِى ، يا أخا بنى سُلَيم ؛ قال : أبعثُ إليك به ؛ قال : فمن لى بذلك إذا فُتَّنِى به ؟ قال : أنا ؛ قال : كلاّ ، والذى نفس سُوَيدٍ بيده ، لاتفارقنّى حتى أوتَى بمالى . فاتّخذا[1] ، فضرب به الأرضَ ، ثم أوثقه رباطًا ثم انطلق به إلى دار بَنى عمرو بن عوف ، فلم يزل عنده حتى بعثتْ إليه سُلَيم بالذى له ، فقال فى ذلك :

لا تحسبنّى يا بن زُعبَ بنِ مالكٍ ... كَمَنْ كنتَ تُرْدِى بالغيوب وَتَخْتِلُ[2]

تحوّلتَ قِرْنًا إذ صُرِعتَ بعزّة[3] ... كذلك إنّ الحازِمَ المتحوّل

ضربتُ به إبطَ الشِّمال فلم يَزل ... على كلّ حالٍ خدُّه هو أسفل

– فى أشعار كثيرة كان يقولها .

فتصدّى له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال له سُوَيد : فلعلّ الذى معك مثلُ الذى معى ؛ فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : وما الذى معك ؟ قال : مجلّة[4] لقمان[5] – يعنى حكمة لقمان – فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: اعرضها علىّ ، فعرَضها عليه ؛ فقال له : إن هذا لكلامٌ حَسَن ، والذى معى أفضلُ من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى علىّ ، هو هدًى ونور . فتلا عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم

= وكسرها ، والعين مهملة ؛ وزغب ، بالزاى المكسورة والغين المعجمة ، قيده الدارقطنى ، وذكر أن الطبرى حكاه كذلك » .

(1) اتخذا : أخذ كل واحد منهما صاحبه فى قتال أو نحوه .

(2) يردى : يهلك . ويختل : يخدع .

(3) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « بغرة » .

(4) المجلة : الصحيفة :

(5) قال السهيلى : « ولقمان كان نوبيا من أهل أيلة ، وهو لقمان بن عنقاء بن سرور ، فيما ذكروا ، وابنه الذى ذكر فى القرآن هو ثاران ، فيما ذكر الزجاج وغيره ، وقد قيل فى اسمه غير ذلك ، وليس بلقمان بن عاد الحميرى » .

القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يَبْعُد منه، وقال: إن هذا لقولٌ حَسن. ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتلته الخَزْرجُ، فإن كان رجالٌ من قومه ليقولون: إنّا لنراه قد قُتل وهو مُسْلم. وكان قَتْله قبل يوم بُعاث[1].

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

٥ قال ابن إسحاق: وحدّثني الحُصَين بن عبد الرحمن بن عَمرو بن سعد بن مُعاذ، عن محمود بن لَبيد قال:

لما قدم أبو الحَيْسر، أنسُ بن رافع، مكةَ ومعه فِتْية من بني عَبْد الأَشْهل، فيهم إياس بن مُعاذ، يلتمسون الحِلْفَ من قريش على قومهم من الخزرج، سَمِع بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فأتاهم فجلس إليهم، فقال لهم: هل لكم في ١٠ خيرٍ مما جئتم له؟ فقالوا له: وما ذاك؟ قال: أنا رسولُ الله بعثني إلى العباد، أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ الكتاب. قال: ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن. قال: فقال إياس بن مُعاذ، وكان غلاماً حَدثاً: أي قوم، هذا والله خيرٌ مما جئتم له. قال: فيأخذ أبو الحَيْسر، أنسُ ابن رافع، حَفْنة من تراب البَطْحاء، فضرب بها وجهَ إياس بن مُعاذ، وقال: دَعْنا منك، ١٥ فلعَمْري لقد جئنا لغير هذا. قال: فصمت إياس، وقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عنهم، وانصرفوا إلى المدينة، وكانت وقعة بُعاث بين الأوس والخزرج.

قال: ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني مَنْ حَضَره من قومه عند موته: أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلّل الله تعالى ويكبّره

(١) بعاث (بالعين المهملة ويروى بالغين المعجمة أيضا): موضع كانت فيه حرب بين ٢٠ الأوس والخزرج.

ويحمده ويسبّحه حتى مات ، فما كانوا يشكّون أنْ قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام فى ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما سمع .

بدء إســـلام الأنصار

رسول الله ورهط من الخزرج عند العقبة

قال ابن إسحاق :

فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهارَ دينه، وإعزازَ نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، وإنجاز موعده له ، خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى المَوْسم الذى لقيه فيه النفرُ من الأنصار ، فعرض نفسَه على قبائل العرب ، كما كان يصنع فى كلّ مَوْسم . فبينما هو عند العقبة لَقِيَ رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة عن أشياخ من قومه قالوا: ١٠ لما لَقيهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نَفَر من الخزرج ، قال : أَمِنْ موالى يهود ؟ قالوا : نعم ؛ قال : أفلا تجلسون أكلّمكم ؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وعَرَض عليهم الإسلامَ، وتلا عليهم القرآن . قال : وكان مما صنع الله بهم[1] فى الإسلام ، أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهلَ كتاب وعِلْم ، وكانوا هم أهلَ شرك وأصحابَ أوثان ، ١٥ وكانوا قد غزَوْهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إن نبيًّا مبعوثٌ الآن ، قد أظلّ زمانُه ، نتّبعه فنقتلكم معه قتلَ عاد وإرَم . فلما كلّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضُهم لبعض : يا قوم ، تعلموا والله إنه للنبىّ الذى توعّدكم به يهود ، فلا تسبقَنّكم إليه . فأجابوه

---

(١) كذا فى ط . وفى ا : « مما صنع الله به فى الإسلام » . وفى سائر الأصول : « مما صنع الله لهم به فى الإسلام » .

فيما دعاهم إليه، بأن صدّقوه وقَبِلوا منه ماعرَض عليهم من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومَنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ ما بينهم، فعسى أن يجمعَهم الله بك، فسنقدَم عليهم، فَندْعوهم إلى أمرك، ونَعْرِض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدّين، فإنْ يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزّ منك.

٥ ثم انصرفوا عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدّقوا.

أسماء الرهط الخزرجيين الذين التقوا بالرسول عند العقبة

قال ابن إسحاق:

وهم ــ فيما ذُكر لى ــ: ستة نفر من الخزرج، منهم من بنى النجّار ــ وهو تَيْم الله ــ ثم من بنى مالك بن النجّار بن ثعلبة بن عَمْرو بن الخزرج بن حارثة

١٠ ابن عمرو بن عامر: أسعدُ بن[1] زُرارةَ بن عُدَس بن عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهو أبو أمامة؛ وعوف[2] بن الحارث بن رفاعة بن سَوَاد ابن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجار، وهو ابن عَفْراء.

قال ابن هشام: وعَفْراء بنتُ عُبَيد بن ثَعْلبة بن عُبَيد بن ثعلبة[3] بن غَنْم بن مالك بن النجّار.

قال ابن إسحاق:

١٥ ومن بنى زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشَم بن الخزرج: رافع[4] بن مالك بن العَجْلان بن عَمْرو بن عامر ابن زُرَيق.

---

(١) كان أسعد نقيبا، شهد العقبة الأولى والثانية، وبايع فيهما. ويقال إنه أول من بايع النبى صلى الله عليه وسلم يوم العقبة. ومات قبل بدر، أخذته الذبحة والمسجد يبنى، فكواه النبى
٢٠ صلى الله عليه وسلم، ومات فى تلك الأيام. (راجع الاستيعاب).

(٢) شهد عوف بدرا مع أخويه معاذ ومعوذ: وقتل هو ومعوذ شهيدين يوم بدر. (راجع الاستيعاب).

(٣) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب. وفى ا: «وعفراء ابنة عبيد بن ثعلبة ابن غنم».

٢٥ (٤) يكنى رافع: أبا مالك، وقيل: أبو رفاعة. وهو نقيب بدرىّ، شهد العقبة ــ

قال[1] ابن هشام: ويقال: عامر بنُ الأزْرق.

قال ابن إسحاق:

ومن بني سَلِمة[2] بن سَعْد بن عليّ بن أَسَد بن سارِدَة بن تَزِيد[3] بن جُشَم ابن الخزرج، ثم من بني سَوَاد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلمة: قُطْبةُ[4] بن عامر بن حَدِيدة بن عمرو بن غَنْم بن سَوَاد.

قال ابن هشام: عمرو بنُ سواد، وليس لسَوَاد ابنٌ يقال له: غَنْم[5].

قال ابن إسحاق:

ومن بني حَرَام بن كَعْب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلَمَة: عُقْبةُ بن عامر[6] بن نَابِي بن زَيْد بن حَرَام.

ومن بني عُبَيد بن عَدِيّ بن غَنْم بن كَعْب بن سلَمة: جابر[7] بن عبد الله ابن رِئاب بن النّعمان بن سنان بن عُبَيد.

فلما قَدِمُوا المدينةَ إلى قومهم ذَكَروا لهم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم

= الأولى والثانية، وشهد بدرا. ولم يذكره ابن إسحاق في البدريين. وذكر فيهم ولديه رفاعة وخلادا. (راجع الاستيعاب).

(١) مكان هذه العبارة في ا، ط: بعد كلمة «الخزرج» وقبل كلمة «رافع».

(٢) سلمة: بكسر اللام، كما ذكر السهيلي. والنسبة إليهم: سلمي (بالفتح).

(٣) كذا في ا والروض الأنف، وفي جميع الأصول فيما سيأتي (ص ٧٤). ولا يعرف في العرب تزيد (بالتاء) إلا هذا. وتزيد بن الحاف بن قضاعة، وهم الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية. وفي سائر الأصول: «يزيد» بالمثناة التحتية، وهو تصحيف.

(٤) ويقال: قطبة بن عمرو. ويكنى أبا زيد. شهد العقبة الأولى والثانية وبدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت معه راية بني سلمة يوم الفتح. وجرح يوم أحد تسع جراحات. وتوفي زمن عثمان رضي الله عنه. (راجع الاستيعاب).

(٥) تقدم عن ابن إسحاق في سياق قبيل «قطبة» ما يؤيد ما ذهب إليه ابن هشام.

(٦) شهد «عقبة» بدرا بعد شهوده العقبة الأولى، ثم شهد أحدا فأعلم بعصابة خضراء في مغفره. ولقد شهد الخندق وسائر المشاهد. وقتل يوم اليمامة شهيدا. (راجع الاستيعاب).

(٧) شهد جابر بدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو أول من أسلم من الأنصار قبل العقبة الأولى بعام. (راجع الاستيعاب).

وَدَعوْهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم ، فلم تبقَ دارٌ من دُور الأنصار إلا وفيها ذِكْرٌ من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

العقبة الأولى ومصعب بن عمير

حتى إذا كان العامُ المُقْبِل وافَى المَوْسم من الأنصار اُثنا عشَر رجلا ، فلقُوه بالعقبة . [قال] (١) : وهى العقبة الأولى ، فبايعوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم على بَيْعة النساء (٢) ، وذلك قبل أن تُفترض عليهم الحرب .

رجال العقبة الأولى من بنى النجار

منهم من بَنِي النجّار، ثم من بَنِي مالك بن النجّار: أسعدُ بن زرارة بن عُدَس ابن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمامة ؛ وعَوْف، ومعاذ، ابنا الحارث بن رِفاعة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وهما أبناء عفراء.

رجال العقبة الأولى من بنى زريق

ومن بنى زُرَيق (٣) بن عامر : رافعُ بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر ابن زُرَيق ؛ وذَكْوان بن عبد قَيْس بن خَلَدة بن مُخْلِد بن عامر بن زُرَيق .

قال ابن هشام : ذَكْوان ، مهاجرىّ أنصارىّ .

رجال العقبة الأولى من بنى عوف

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ، ثم من بنى غَنْم بن عوف (٤) بن عمرو بن عَوْف ابن الخزرج ، وهم القواقل (٥) : عُبادة بن (٦) الصامت بن قَيْس بن أَصْرم (٧) بن فِهْر

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) قد ذكر الله تعالى بيعة النساء فى القرآن ، فقال : « يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً » فأراد ببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على القتال . وكانت مبايعته للنساء أنه يأخذ عليهن العهد والميثاق . فإذا أقررن بألسنتهن ، قال : قد بايعتكن . (راجع الروض الأنف) .

(٣) فى ا هنا : « ومن بنى عامر بن زريق » .

(٤) فى ا : « ثم من بنى غنم بن عوف بن الخزرج » .

(٥) سيعرض ابن هشام لتفسير كلمة « القواقل » بعد قليل .

(٦) يكنى عبادة : أبا الوليد . وأمه : قرة العين بنت عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان . وكان عبادة نقيبا ، شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة ، وشهد بدرا والمشاهد كلها . ثم وجهه عمر إلى الشام قاضيا ومعلما ، فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها ، ودفن ببيت المقدس، وقبره معروف بها إلى اليوم . وفى وفاته أقوال أخرى . (راجع الاستيعاب) .

(٧) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب ، وفى ا : « أحرم » .

ابن ثعلبة بن غَنْم ؛ وأبو عبد الرحمن ، وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة[1] بن أصْرم بن عمرو بن عَمَّارة[2] ، من بنى غُصَينة ، من بَلِيّ ، حليف لهم .

مقالة ابن هشام فى اسم القواقل

قال ابن هشام : وإنما قيل لهم القواقل ، لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً وقالوا له : قوقل به بيثرب حيث شئت .

قال ابن هشام : القوقلة . ضرب من المشى .

قال ابن إسحاق :

رجال العقبة من بنى سالم

ومن بَنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من بَنى العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم : العباس بن عُبادة[3] بن نَضَلة بن مالك بن العَجْلان .

رجال العقبة من بنى سلمة

ومن بنى سَلِمة بن سَعْد بن علىّ بن أسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ، ثم من بَنِي حَرام بن كعب بن غَنْم بن كَعْب بن سَلمة : عُقْبة بن[4] عامر ابن نابِى بن زَيْد بن حَرام .

رجال العقبة من بنى سواد

ومن بنى سَواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلمة : قُطْبة بن[5] عامر بن حَديدة ابن عمرو بن غَنْم بن سَواد .

رجال العقبة من الأوس

وشَهِدها من الأوس بن حارثة بن ثَعْلَبة بن عَمْرو بن عامر ، ثم من بَنِي

---

(1) قال الطبرى : خزمة (بفتح الزاى) فيما ذكر الدارقطنى . وقال ابن إسحاق وابن الكلبى : خزمة (بسكون الزاى) وهو الصواب . قال أبو عمر : ليس فى الأنصار خزمة ، بالتحريك عن الاستيعاب .

(2) عمارة : هو بفتح العين وتشديد الميم . (راجع الاستيعاب) .

(3) شهد العباس بيعة العقبتين ، وأقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حتى هاجر إلى المدينة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى ، قتل يوم أحد شهيدا ولم يشهد بدرا (عن الاستيعاب)

(4) راجع التعريف به فى الحاشية (رقم ٦ ص ٧٢ من هذا الجزء) .

(5) راجع التعريف به فى الحاشية (رقم ٤ ص ٧٢ من هذا الجزء) .

عَبدْ الأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخَزْرج بن عَمرو بن مالك بن الأوس : أبو الهيثم بن التَّيهان ، واسمه مالك[1] .

قال ابن هشام: التيهان ، يخفف و يثقل ، كقوله ميّت وميْت .

رجال العقبة الأولى من بنى عمرو

ومن بنى عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس : عُوَيم بن ساعدة[2] .

٥ قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حَبيب عن [أبى][3] مَرْثد بن عبد الله اليَزنى عن عبد الرحمن بن عُسَيلة الصُّنابحى عن عُبادة بن الصامت قال :

عهد الرسول على مبايعى العقبة

كنت فيمن حَضَر العقبةَ الأولى ، وكُنَّا اثْنَىْ عَشَر رجلاً ، فبايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على بَيْعة النساء ، وذلك قبل أن تُفترض الحرْب ، على أن لا نُشرك بالله شيئاً ، ولا نَسرِق ، ولاَ نزْنى ، ولا نقتل أولادنا ، ١٠ ولا نأتىَ ببهتان نَفْتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولاَ نعْصيه فى معروف . فإن وَفَّيتم فلكم الجنة ، وإن غَشِيتم من ذلك شيئاً فأمرُكم إلى الله عزّ وجلّ ، إن شاء عذّب ، وإن شاء غَفر .

---

(١) هو مالك بن التيهان بن مالك بن عبيد بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر ، أبو الهيثم البلوى ، من بلى بن الحاف بن قضاعة حليف بنى عبدالأشهل ، شهد بيعة العقبة الأولى والثانية ، ١٥ وكان أحد الستة الذين لقوا قبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة . قيل إنه هو أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها . وتوفى فى خلافة عمر سنة عشرين أو إحدى وعشرين ، وقيل: بل قتل يوم صفين مع على سنة سبع وثلاثين . وقيل : بل بقى حتى مات بعدها بيسير . (راجع الروض الأنف ، والاستيعاب) .

(٢) هو عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك ٢٠ ابن عوف بن عمرو بن عوف ، ويكنى : أبا عبد الرحمن . وكان ابن إسحاق يقول فى نسبه : عويم بن ساعدة بن صلجعة ، وأنه من بلىّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . حليف لبنى أمية ابن زيد ، ولم يذكر ذلك غيره .

شهد عويم — على قول الواقدى — العقبتين جميعا ، وشهد بدراً وأحداً والخندق . ومات فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : بل مات فى خلافة عمر بالمدينة ، وهو ٢٥ ابن خمس أو ست وستين سنة . (عن الاستيعاب) .

(٣) زيادة عن ا .

قال ابن إسحاق : وذكر ابنُ شهاب الزهرىّ عن عائذ الله بن عَبْدالله الخَوْلانى أبى إدريس أنّ عُبادة بن الصامت حدّثه أنه قال :

بايعنا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ليلةَ العقبة الأولى على أن لا نُشْرِكَ بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نَفْتريه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولاَ نَعْصيه فى معروف ؛ فإن وَفيتم فلكم الجَنَّة ، وإن غَشِيتم من ذلك [شيئاً][1] فأُخِذتم بحَدّه فى الدنيا ، فهو كفّارة له ، وإن سُتِرْتم عليه إلى يوم القيامة فأمْرُكم إلى الله عَزّ وجلّ ، إن شاء عذّب وإن شاء غَفر .

ارسال الرسول مصعبا مع وفد العقبة

قال ابن إسحاق :

فلما انصرف عنه القوْم بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم معهم مُصعبَ[2] ابن عُمير بن هاشم[3] بن عبد مَناف بن عَبْد الدار بن قُصَىّ ، وأمره أن يُقْرِئهم القرآن ، ويُعلّمهم الإسلام ، ويفقّههم فى الدّين ، فكان يُسَمَّى المُقْرئَ بالمدينة : مُصْعَبُ . وكان منزلُه[4] على أَسْعد بن زُرارة بن عُدَس ، أبى أُمامة .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عاصم بن عُمر بن قتادة :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) يكنى مصعب : أبا عبدالله ، وكان من جلة الصحابة وفضلائهم ، هاجر إلى الحبشة فى أول من هاجر إليها . ثم شهد بدرا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إلى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية يقرئهم القرآن ويفقههم فى الدين ، وكان مصعب بن عمير فتى مكة شبابا وجمالا وتيها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره ويقول : مارأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير . وقتل مصعب يوم أحد شهيدا ، قتله ابن قمية الليثى ، ولم يختلف أهل السير فى أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مع مصعب يوم بدر وأحد ، ثم إنه لما قتل يوم أحد أخذها على بن أبى طالب . (راجع الاستيعاب والروض الأنف) .

(٣) فى ا : « هشام » . وهو تحريف .

(٤) قال السهيلى عند الكلام على : « وكان منزله ... الخ » . منزل : (بفتح الزاى) ، وكذلك كل ما وقع فى هذا الباب من منزل فلان على فلان ، فهو بالفتح ، لأنه أراد المصدر ولم يرد المكان ، وكذلك قيده الشيخ أبو بحر (بفتح الزاى) .

أنه كان يصلّى بهم ، وذلك أن الأوسَ والخزْرَج كَرِهَ بعضُهم أن يؤمَّه بعضٌ .

أول جمعة أقيمت بالمدينة

أسعد بن زرارة وإقامة أول جمعة بالمدينة

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن أبى أُمامة بن سَهْل بن حُنيف عن أبيه أبى أمامة عن عبد الرحمن بن كَعْب بن مالك قال :

كنت قائدَ أبى، كَعبِ بن مالك، حين ذهبَ بَصره ، فكنتُ إذا خرجتُ به إلى الجُمعة فسمع الأذان بها صلّى على أبى أمامة ،أسعدِ بن زرارة . قال : فمكث حيناً على ذلك : لا يَسْمع الأذان للجُمعةِ إلا صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت فى نفسى : والله إن هذا بى لَعَجْز ، ألا أسأله ماله إذا سَمِع الأذان للجمعة صلّى على أبى أمامة أسعد بن زرارة ؟ قال : فخرجت به فى يوم جُمعة كما كنت أخرج ، فلما سَمِع الأذان للجمعة صلّى عليه واستغفر له . قال : فقلت له : يا أبتِ ، مالك إذا سمعتَ الأذان للجمعة صلّيت على أبى أمامة ؟ قال . فقال : أى بُنىّ ، كان أول من جَمّع بنا بالمدينة فى هَزْم النبيت[1] ، من حَرّة بنى بَياضَة ، يقال له : نَقِيع الخَضِمات ، قال . قلت : وكم أنتم يومئذ : قال أربعون رجلا .

قال ابن إسحاق وحدثنى عبيد الله بن المُغيرة بنُ مُعَيقب ، وعبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم :

أسعد بن زرارة ، ومصعب بن عمير وإسلام سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير

أن أسعد بن زُرارة خرج بمُصْعب بن عُمير يريد به دارَ بنى عَبْد الأشهل ، ودارَ بنى ظَفَر ، وكان سعد بن مُعاذ بن النعمان بن أُمرىء القيس بن زَيْد بن عبد الأشهل بن خالة أسعد بن زُرارة ، فدخلَ به حائطاً من حَوائط بنى ظَفَر .

---

(١) قال السهيلى : هزم النبيت : جبل على بريد من المدينة ، وأنكر ياقوت أن يكون « هزم النبيت » جبلا ، لأن « الهزم » لغة ، المطمئن من الأرض ، واستحسن نصاً ذكر عن بعض أهل المغاربة وقال : إن صح فهو المعول عليه ، وهو : « جمع بنا فى هزم بنى النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له : نقيع الخضمات » .

ـ قال ابن هشام: واسم ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ـ قالا: على بئر يقال لها: بئر مَرَق[1]، فجلسا فى الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أَسْلم، وسعد بن معاذ، وأُسَيْد بن حُضَير، يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل، وكلاهما مُشْرِك على دين قومه، فلمّا سمعا به، قال سعدُ بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارَيْنا ليسفّها ضُعفاءنا، فازجُرها وانْهَهُما عن أن يَأْتيا دارَيْنا، فإنه لولا أن أسعدَ بن زرارة منّى حيث قد علمتَ كفيتُك ذلك، هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدماً

قال: فأخذ أسيد بن حُضَيْر حَرْبته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعدُ بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيّد قومه قد جاءك فاصدُق الله فيه؛ قال مصعب: إن يجلسْ أُكلّمه. قال: فوقف عليهما مُتشتّماً، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة؛ فقال له مصعب: أوَ تجلسُ فتسمعَ، فإن رضيتَ أمراً قبلتَه، وإن كرهتَه كُفَّ عنك ما تكره؟ قال: أنصفتَ، ثم رَكَز حَرْبتَه وجلس إليهما، فكلّمه مُصْعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن؛ فقالا، فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا فى وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلّم، فى إشراقه وتسهّله، ثم قال: ما أحسنَ هذا الكلامَ وأجملَه! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهّر وتطهّر ثوبيك، ثم تَشهد شهادة الحق، ثم تصلّى. فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهّد شهادة الحقّ، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إنّ ورائى رجلا إن اتبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حَرْبته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم، فلما نظر إليه سَعْد بن معاذ مُقْبلا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادى قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلّمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً،

(١) قال ياقوت فى معجم البلدان: «بئر مرق: بالمدينة، ذكر فى الهجرة، ويروى بسكون الراء».

وقد نهيتُهما ، فقالا : نفعل ما أحببتَ ، وقد حُدِّثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليُخْفِروك[1].

قال : فقام سعد مُغضَباً مبادراً ، تخوّفاً للذى ذُكر له من بنى حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً ، ثم خرج إليهما ؛ فلما رآهما سعدٌ مطمئنين ، عرف سعدٌ أن أُسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتّما ، ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمامة ، [أما والله][2] ، لولا ما بينى وبينك من القَرابة ما رُمْت هذا منى ، أتَغْشانا فى دارينا بما نكره - وقد قال أسعدُ بن زرارة لمصعب بن عُمير : أى مُصْعب ، جاءك والله سيِّدُ مَنْ وراءه من قومه ، إن يتبعك لا يتخلَّف عنك منهم اثنان - قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتَسمع ، فإن رضيتَ أمراً ورَغبتَ فيه قَبِلْتَه ، وإن كرهته عَزَلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفْت . ثم رِكز الحربةَ وجلس ، فعرض عليه الإسلامَ ، وقرأ عليه القرآن . قالا : فعرفنا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم ، لإشراقه وتسهُّله ؛ ثم قال لهما : كيف تَصْنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين ؟ قالا : تغتسل فتطهَّر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلِّى ركعتين ، قال : فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه ، وتشهَّد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أُسَيد بن حضير .

قال : فلما رآه قومه مقبلا قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الأشهل ، كيفَ تعلمون أمرى فيكم . قالوا : سيدنا [وأوصلنا][1] وأفضلُنا رأيًا ، وأيمننا نقيبةً ؛ قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرامٌ حتى تؤمنوا بالله وبرسوله[3] .

---

(1) كذا فى ا . والاخفار : نقض العهد والغدر . وفى سائر الأصول : « ليحقروك » .

(2) زيادة عن ا ، ط .

(3) كذا فى ا : « قال » وفى م ، ر . وفى ط : « ورسوله فوالله » .

قالا: فوالله ماأمْسى فى دار بنى عبدالأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة ، ورجع أسْعد ومُصْعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية ابن زيد ، وخطْمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم من الأوس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ، وهو صيفى ، وكان شاعرًا لهم قائداً يستمعون منه ويُطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجَر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، ومضى بدرٌ وأُحد والخندق ، وقال فيما رأى من الإسلام ، وما اختلف الناس فيه من أمره :

أربَّ الناس أشياءُ أَلَمَّتْ ... يُلَفّ الصعبُ منها بالذَّلولِ

أربَّ الناس أمّا إذْ ضَلِلنا ... فيسِّرنا لمعروف السَّبيل

فلولا ربُّنا كنّا يهوداً ... وما دين اليهود بذى شُكول (1)

ولولا ربّنا كنّا نصارى ... مع الرهبان فى جبل الجليل (2)

ولكنّا خُلقنا إذ خُلِقنا ... حنيفاً دينُنا عن كلّ جيل

نسوق الهَدْى ترسُف مُذْعنات ... مكشفَةَ المَناكب فى الجُلُول (3)

قال ابن هشام أنشدنى قوله : فلولا ربنا ، وقوله : لولا ربنا ، وقوله : مكشفة المناكب فى الجلول ، رجل من الأنصار ، أو من خزاعة .

---

(1) الشكول: جمع شكل، وشكل الشىء (بالفتح) : مثله . فكأنه أراد أن دين اليهود بدع فليس له شكول ، أى ليس له نظير فى الحقائق ، ولا مثيل بعضده من الأمر المعروف المقبول ، وقد قال الطائى :

وقلت أخى قالوا أخ من قرابة ... فقلت لهم أن الشكول أقارب

قريبى فى رأيى ودينى ومذهبى ... وإن باعدتنا فى الخطوب المناسب

(2) كذا فى ا ، ط . والجليل : جبل بالشام معروف ، وفى سائر الأصول : «الحليل» . بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

(3) ترسف : تمشى مشى المقيد . ومذعنات : منقادات . والجلول جمع جل (بالضم وبالفتح) ، وهو ماتلبسه الدابة لتصان به .

أمر العقبة الثانية

مصعب بن عمير والعقبة الثانية

قال ابن إسحاق :

ثم إن مُصْعب بن عُمير رجَع إلى مكة ، وخرج مَنْ خرج من الأنصار من[1] المسلمين إلى المَوسم مع حُجّاج قومهم من أهل الشّرك ، حتى قَدِموا مكة ، فواعدوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم العقبةَ ، من أوسط أيام التشريق ، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لنبيّه ، وإعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله .

البراء بن معرور وصلاته إلى الكعبة

قال ابن إسحاق حدثني مَعْبد بن كَعْب بن مالك بن أبي كعب ابن القَيْن ، أخو بني سلمة ، أن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعلم الأنصار ، حدّثه أن أباه كعباً حدّثه ، وكان كعبٌ ممن شَهِد العقبة وبايع رسولَ الله صلّى الله عليه سلّم بها ، قال :

خرجنا في حُجّاج قومنا من المُشْركين ، وقد صلّينا وَفَقِهْنا ، ومعنا البرَاء بن مَعْرور[2] ، سيّدنا وكبيرنا ، فلما وجّهنا[3] لسفرنا ، وَخَرَجْنا من المدينة ، قال البرَاء لنا : يا هؤلاء ، إني قد رأيت رأياً ، فوالله ما أدْرى أتوافقونني عليه أم لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيت أنْ لا أدع هذه البَنِيّة منّى بظَهْر ،

---

(١) كذا في ا ، ط . وفي سائر الأصول : « إلى » وهو تحريف .

(٢) يكنى البراء بن معرور : أبا بشر ، بابنه بشر . وهو الذي أكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة المسمومة فمات . ومعرور : اسم أبيه . ومعناه : مقصود ؛ يقال : عره واعتره : إذا قصده . والبراء هذا ، ممن صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره بعد موته .

(٣) وجهنا : اتجهنا .

يعنى الكعبة ، وأن أصلّى إليها . قال : فقلنا : والله ما بلَغنا أن نبيَّنا صلّى الله عليه وسلّم يصلّى إلا إلى الشام[1] ، وما نريد أن نخالفه . قال : فقال : إنى لمصلٍّ إليها . قال : فقلنا له : لكنّا لا نفعل . قال : فكنّا إذا حضرت الصلاةُ صلّينا إلى الشام وصلّى إلى الكعبة ، حتى قَدِمْنا مكة . قال : وقد كنا عِبْنا عليه ما صَنَع ، وأَبَى إلا الإقامةَ على ذلك . فلما قَدِمنا مكة قال لى : يا بن أخى ، ٥ انطلقْ بنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى نسأله عما صنعتُ فى سَفرى هذا ، فإنه والله لقد وقَع فى نفسى منه شىء ، لِما رأيتُ من خِلافكم إيّاى فيه . قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكنّا لا نعرفه ، ولم نَرَه قبل ذلك فلقينا رجلاً من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ؛ قال : فهل تعرفان العبّاس ١٠ ابن عبد المطلب عَمّه ؟ قال : قلنا : نعم — قال : وقد كنّا نعرف العبّاس ، كان لا يزال يقدَم علينا تاجراً — قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجلُ الجالسُ مع العبّاس . قال: فدخلنا المسجد فإذا العبّاس جالسٌ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جالسٌ معه ، فسلّمنا ثم جلسنا إليه . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للعبّاس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفَضْل ؟ قال : نعم ، هذا البَراء بن ١٥ مَعْرور ، سيّد قومه ؛ وهذا كعب [بن[2]] مالك . قال : فوالله ما أنسى قولَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: الشاعر؟ قال: نعم. [قال]:[2] فقال [له][2] البَراء بن مَعْرور: يا نبىّ الله ، إنى خرجتُ فى سَفرى هذا ، وقد هدانى الله للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البَنيّة منّى بظَهْر ، فصلّيت إليها ، وقد خالفنى أصحابى فى ذلك ، حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال: [قد][2] كنتَ على قِبْلة لو ٢٠ صبرتَ[3] عليها . قال : فرجع البَراء إلى قِبْلة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وصلّى

(١) يعنى بيت المقدس .

(٢) زيادة عن ا ، ط .

(٣) قال السهيلى فى التعليق على هذا الحديث « قوله : لو صبرت عليها ، إنه لم يأمره بإعادة =

معنا إلى الشام . قال : وأهلُه يزعمون أنه صلّى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك[1] كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال ابن هشام : وقال عَوْن بن أيّوب الأنصارى :

ومنّا المُصَلِّى أولَ الناسِ مُقْبِلاً على كَعْبَة الرّحْمن بين المَشَاعِر

٥ يعنى البرَاء بن مَعْرور . وهذا البيت فى قصيدة له .

إسلام عبد الله ابن عمرو

قال ابن إسحاق حدثنى مَعْبد بن كعب أن أخاه عبد الله بن كعب حدّثه أن أباه كعب بن مالك حدّثه ، قال كعب :

ثم خرجنا إلى الحجّ ، وواعدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم العقبة من أوسط أيام التشريق . قال : فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله

١٠ صلّى الله عليه وسلّم لها ، ومعنا عبدُ الله بن عمرو بن حَرام أبو جابر ، سيّد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا[2] ، أخذناه معنا ، وكنّا نكتم مَنْ معنا من قومنا من المشركين أمرَنا ، فكلّمناه وقُلْنا له : يا أبا جابر ، إنك سيّد من ساداتنا ، وشَريف من أشرافنا ، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حَطباً للنار غداً ؛ ثم دَعَوْناه إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إيانا العقبة .

١٥ قال : فأسْلم وشَهِد معنا العَقبة ، وكان نَقِيباً .

= ما قدصلى لأنه كان متأولا ، وفى الحديث دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة إلى بيت المقدس ، وهو قول ابن عباس . وقالت طائفة : ما صلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا ، فعلى هذا يكون فى القبلة نسخان: نسخ سنة بسنة ، ونسخ سنة بقرآن . وقد بين حديث ابن عباس منشأ الخلاف فى هذه المسألة،

٢٠ فروى عنه من طرق صحاح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى بمكة استقبل بيت المقدس ، وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس ، فلما كان عليه السلام يتحرى القبلتين جميعاً لم يبن توجهه إلى بيت المقدس للناس حتى خرج من مكة » .

(١) فى ا : «وليس كذلك نحن ... الخ» .

(٢) العبارة « وشريف من أشرافنا » ساقطة فى ا .

قال : فنِمْنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا ، حتى إذا مضَى ثلثُ الليل خَرَجْنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، نتسلّل تسلّلَ القَطا مُسْتخفِين ، حتى اجتمعنا فى الشِّعْب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا : نُسَيبة[1] بنت كعب ، أمّ عمارة ، إحدى نساء بنى مازن بن النجّار ؛ وأسماء بنت عمرو بن عدىّ بن نابى ، إحدى نساء بنى سلمة ، وهى أم مَنيع. ٥

العباس يتوثق للنبي عليه السلام

قال : فاجتمعنا فى الشِّعب ننتظر رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى جاءنا ومعه [عمه][2] العبّاس بن عبدالمطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحَبّ أن يحضُر أمرَ ابن أخيه و يتوثّق له . فلما جلَس كان أول[3] متكلّم العبّاس ابن عبد المطلب ، فقال: يا معشر الخزرج ـ قال : وكانت العرب إنما يسمّون هذا الحىَّ من الأنصار: الخزرج ، خزرجها وأَوْسها ـ : إن محمداً منّا حيث قدعلمتم ، ١٠ وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عزّ من قومه وَمَنَعة فى بلده ، و إنه قد أبَى إلا الانحيازَ إليكم ، واللحوقَ بكم ، فإن كنتم ترَوْن أنكم وافُون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحمّلتم من ذلك ؛ و إن كنتم ترَوْن أنكم مُسْلموه وخاذِلوه بعد الخروج به إليكم ، فمِنَ الآن فَدَعُوه ، فإنه فى عزّ وَمَنَعة من قومه و بلده . قال : فقلنا له : قد سَمِعنا ما قلت ، فتكلّمْ ١٥ يا رسول الله ، فخذْ لنفسك ولربّك ما أحببتَ .

عهد الرسول عليه السلام على الأنصار

قال : فتكلّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغّب فى الإسلام ، ثم قال : أُبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. قال : فأخذ البَراء بن مَعْرور بيده ثم قال : نعم ، والذى بعثك بالحقّ [نبيًّا][2] ،

---

٢٠ (١) هى امرأة زيد بن عاصم ، وقد شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، كما شهدت يوم اليمامة وباشرت القتال بنفسها ، وشاركت ابنها عبد الله فى قتل مسيلمة ، فقطعت يدها . وجرحت اثنى عشر جرحا ، ثم عاشت بعد ذلك دهرا . ويروى أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أرى كل شىء إلا للرجال ، وما أرى للنساء شيئا ! فأنزل الله تعالى : « إن المسلمين والمسلمات » الآية .

٢٥ (٢) زيادة عن ا ، ط .

(٣) فى ا : « أول من تكلم » .

لنمنعنَّك مما نَمْنع منه أُزُرَنا[1] ، فبايعْنا يا رسولَ الله ، فنحن والله أبناء[2] الحروب ، وأهل الحَلْقة[3] ، وَرِثناها كابِراً [عن كابر][4] . قال : فاعترض القولَ، والبراءُ يكلّم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، أبو الهيثم بن التَّيهان[5] ، فقال : يا رسول الله ، إنّ بيننا وبين الرجال حِبالاً ، وإنّا قاطعوها ـ يَعنى اليهود ـ فهل عسيتَ إن نحن فَعَلْنا ذلك ثم أظْهرك اللهُ أن ترجع إلى قومك وتَدَعنا ؟ قال : فتبسّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : بل الدم الدم ، والهَدْم الهَدْم[6] ، أنا منكم وأنتم منّى ، أُحارب مَنْ حاربتم ، وأُسالم من سالمتم .

قال ابن هشام : ويقال : الهَدَم[7] الهَدَم : [يعنى الحرمة][4] . أى ذمّتى ذمتكم[8] ، وحُرْمتى حرمتكم[9] .

قال كعب [بن مالك][4] :

وقد [كان][4] قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرَجوا منهم اثنى عشر نقيباً، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .

---

(1) أزرنا ، أى نساءنا . والمرأة قد يكنى عنها بالإزار ، كما يكنى أيضاً بالإزار عن النفس، ويجعل الثوب عبارة عن لابسه . قال الشاعر :

رموها بأثواب خفاف فلا ترى لها شبها إلا النعام المنفرا

وعلى هذا يصح أن يحمل قول البراء على إرادة المعنيين جميعا .

(2) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أهل » .

(3) الحلقة ، أى السلاح .

(4) زيادة عن ا ، ط .

(5) التيهان : يروى بتشديد الياء وتخفيفها .

(6) قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمى دمك ، وهدمى هدمك ، أى ماهدمت من الدماء هدمته أنا .

ويروى أيضا : بل اللدم اللدم ، والهدم الهدم . وأنشد :

* ثم الحقى بهدمى ولدمى *

فاللدم: جمع لادم ، وهم أهله الذين يلتدمون عليه إذا مات ، وهو من لدمت صدرها، إذا ضربته.

(7) الهدم (بالفتح) : المصدر : (وبالتحريك) كل ماتهدم .

(8) فى ا : « يقول : حرمتى حرمتكم ودمى دمكم » .

(9) قال السهيلى: « وإنما كنى ابن هشام عن حرمة الرجل وأهله « بالهدم » لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحال، ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم، فكلما ظعنوا هدموها. والهدم: بمعنى المهدوم. ثم جعلوا الهدم ، وهو البيت المهدوم ، عبارة عما حوى .

أسماء النقباء الاثنى عشر وتمام خبر العقبة

نقباء الخزرج

قال ابن هشام :

من الخزرج ـ فيما حدّثنا زيادُ بن عبد الله البكّائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ـ : أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك ابن النجّار ، وهو تَيْم الله بن[1] ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ؛ وسَعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زُهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ؛ وعبد الله بن رواحة[2] بن ثعلبة بن امرئ القيس ابن عمرو بن امرئ القيس [الأكبر][3] بن مالك [الأغر][3] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ؛ ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق[4] بن عَبْد حارثة بن مالك بن غَضب بن جُشَم بن الخزرج ؛ والبَرَاء بن مَعْرور بن صخر بن خَنْساء بن سِنان بن عُبيد بن عدىّ بن غَنْم بن كعب بن سَلمة بن سَعْد بن علىّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ؛ وعبد الله بن عمرو بن حَرام بن ثَعلبة بن حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلَمة بن سعد بن علىّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ؛ وعُبادة ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

قال ابن هشام : هو غنم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول والطبرى . وفى ا « تيم الله بن عمرو ... الخ » .

(٢) كذا فى الاستيعاب . وفى ا . « وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك ... الخ » ، وقد سقطت « ابن ثعلبة » الأولى ، من سائر الأصول .

(٣) زيادة عن الاستيعاب .

(٤) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ... ابن عامر بن زريق بن عامر بن زريق ... الخ » .

قال ابن إسحاق :

وسعد بن عُبادة بن دُليم بن حارثة بن أبى حَزِيمة[1] بن ثعلبة بن طَرِيف ابن الخَزْرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ؛ والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخَزْرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج ــ قال[2] ابن هشام : ويقال : ابن خنيس[3] .

نقباء الأوس

ومن الأوس : أُسَيد بن حُضَير بن سِماك بن عَتيك بن رَافع بن امرئ القيس ابن زيد بن عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس ؛ وسعد بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كَعْب بن النحّاط بن كَعْب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ؛ ورفاعة بن عبد المنذر بن زبير[4] بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

شعر كعب فى حصر النقباء

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التّيهان ، ولا يعدّون رفاعة . وقال كعب بن مالك يذكرهم ، فيما أنشدنى أبو زيد الأنصارى :

أبلــــغ أُبيًّا أنه فال رأيُه ... وحان غداة الشّعب والحينُ واقع[5]

أبى الله ما منّتك نفسُك إنه ... بمِرْصاد أمرِ الناس راءٍ وسامع

وأبلغ أبا سُفيان أنْ قد بدا لنا ... بأحمد نورٌ من هُدَى الله ساطع

فلا ترغبنْ[6] فى حَشْد أمرٍ تُريده ... وألِّب وجَمّع كلّ ما أنت جامع

ودونك فاعلم أنّ نقضَ عُهودنا ... أباه عليك الرهطُ حين تتابعوا[7]

---

(1) فى الأصول والاستيعاب : « خزيمة » بخاء معجمة مضمومة وزاى مفتوحة ، والتصويب عن أبى ذر ، فقد ضبطه بالعبارة بالحاء المهملة المفتوحة والزاى المكسورة . وزاد ابن عبد البر فيه رواية ، فقال : « ويقال : ابن أبى حليمة » .

(2) هذه العبارة : « قال ابن هشام ... خنيس » ساقطة فى ا .

(3) فى م : « خنيش » .

(4) كذا فى ا ، ط ، والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « زنبر » .

(5) فال : بطل .

(6) كذا فى أكثر الأصول . وفى ط : « فلا ترعين » أى فلا تبقين ، يقال ما أرعى عليه ، أى ما أبقى عليه .

(7) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « تبايعوا » .

أباه البرَاء وابن عَمْرو كلاهما وأسعدُ يأباه عليك ورَافِعُ
وسَعْد أباه الساعدىُّ ومُنذِر لأنفك إن حاولت ذلك جادِع[1]
وما ابنُ رَبيع إن تناولت عهدَه بمُسْلِمه لا يطمعنْ ثَمَّ طامعُ
وأيضاً فلا يُعطيكه ابْنُ رَواحة وإخفاره مِنْ دونه السمُّ ناقع[2]
وفاءٌ به والقوقلىّ بن صامت بمَنْدوحة عما تُحاول يافع[3]
أبو هَيْثم أيضاً وفِىٌّ بمثلها وفاءٌ بما أعطَى من العهد خانِع[4]
وما ابنُ حُضَير إن أردت بمَطْمع فهل أنت عن أُحموقة الغىّ نازع
وسَعْد أخو عَمْرو بن عَوْف فإنه ضَروح لما حاولتَ مِلْأمر مانع[5]
أُولاك نُجوم لا يُغبُّك منهمُ عليك بنَحْس فى دُجَى الليل طالِع

فذكر كَعْب فيهم «أبا الهيثم بن التّيهان» ولم يذكر «رفاعة» .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عبد الله بن أبى بكر :

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال للنّقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كُفَلاء ، كَكَفالة الحواريّين لعيسى بن مَرْيم ، وأنا كَفيل على قَوْمى – يعنى المسلمين[6] – قالوا : نعم .

قال ابن إسحاق وحدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة :

ابن عبادة فى الخزرج قبل المبايعة

أن القوم لمّا اجتمعوا لبَيْعة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال العبّاس بن عُبادة بن نَضْلة الأنصارى ، أخو بنى سالم بن عَوْف : يامعشر الخزرج، هل تدرُون علامَ تُبايعون هذا الرجلَ ؟ قالوا : نعم ؛ قال : إنكم تُبايعونه على حَرْب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم تَرَوْن أنكم إذا نُهِكت أموالُكم مُصيبة ، وأشرافُكم قتلاً أسْلَمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خِزْى الدنيا والآخرة ،

(١) جادع : قاطع .
(٢) الإخفار: نقض العهد .
(٣) اليافع : الموضع المرتفع . ويروى : « باقع » ، أى بعيد .
(٤) كذا فى أكثر الأصول. والخانع: المقر المتذلل . وفى ط : «خالع» .
(٥) ضروح : أى مانع ودافع عن نفسه .
(٦) هذه الجملة : « يعنى المسلمين » ساقطة فى ا .

وإن كنتم تَرَوْنَ أنكم وافُون له بما دَعَوتموه إليه على نَهْكَة[1] الأموال، وقَتْل الأَشْراف، فخُذوه، فهو والله خيرُ الدنيا والآخرة؛ قالوا: فإنّا نأخُذه على مُصيبة الأموال، وقَتْل الأشراف؛ فما لنا بذلك يا رسولَ الله إن نحن وفينا [بذلك][2]؟ قال: الجنّة. قالوا: ابسُط يدَك؛ فبَسط يدَه فبايعوه.

وأما عاصم بن عُمر بن قَتادة فقال:

والله ما قال ذلك العبّاس إلا ليَشُد العقدَ[3] لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أعْناقهم.

وأما عبدُ الله بن أبي بَكر فقال:

ما قال ذلك العبّاس إلا ليؤخّر القوم تلك الليلَة، رجاءَ أن يحضُرها عبد الله ابن أبيّ بن سَلول، فيكون أقوى لأمر القوم. فالله أعلم أيّ ذلك كان.

نسب سلول

قال ابن هشام:

سَلول: امرأة من خُزاعة، وهي أم أبيّ بن مالك بن الحارث بن عُبيد ابن مالك بن سالم بن غَنْم بن عَوف بن الخَزْرج.

أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية

قال ابن إسحاق:

فبنُو النجار يزعُمون أن أبا أمامة، أسعد بن زُرارة، كان أولَ من ضرب على يَدِه؛ وبنو عبد الأشهل يقولون: بل أبو الهَيْثم بن التّيهان.

قال ابن إسحاق:

فأما معبد[4] بن كعب بن مالك فحدّثني في حديثه، عن أخيه عبد الله بن كَعْب، عن أبيه كَعْب بن مالك، قال:

كان أوّل من ضَربَ على يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم البَرَاءُ بنُ مَعْرور، ثم بايع بعدُ[5] القومُ.

(1) نهكة الأموال: نقصها.
(2) زيادة عن ا.
(3) كذا في ا، ط. وفي سائر الأصول: «العقل» وهو تحريف.
(4) كذا في ط. وفي ا «قال ابن إسحاق: فحدثني معبد بن كعب في حديثه... الخ». وفي سائر الأصول: «قال ابن إسحاق: قال الزهري: حدثني معبد بن كعب بن مالك، فحدثني في حديثه... الخ»
(5) هذه الكلمة ساقطة في ا، ط.

تنفير الشيطان آن بايع فى العقبة الثانية

فلما بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صرخ الشيطان من رأس العَقَبَة بأنفذ صوت سمعتُهُ قطُّ : يا أهل الجَباجب ـ والجباجب : المنازل[1] ـ هل لكم فى مُذَمَّم[2] والصُّباة[3] معه ، قد اجتمعوا على حَرْبكم . قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : هذا أزبّ[4] العقبة ، هذا ابن أزْيب ـ قال ابن هشام : و يقال ابن أَزَيب[5] ـ أتسمع[6] أى عدوّ الله ، أمَا والله لأفرغنّ لك . ٥

استعجال المبايعين للإذن بالحرب

قال : ثم قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ارفضوا[7] إلى رِحالِكم. قال: فقال له العبّاس بن عُبادة بن نَضْلة : والله الذى بعثك بالحَقّ : إن شئتَ لنميلنّ[8] على أَهْل مِنَى غداً بأَسْيافنا ؟ قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لم نُؤْمَر بذلك ، ولكن ارجعُوا إلى رِحَالِكم . قال : فرَجعنا إلى مَضاجعنا، فنِمْنا عليها حتى أَصْبحنا . ١٠

غدو قريش على الأنصار فى شأن البيعة

[قال][9] : فلما أَصْبحنا غدت علينا جِلَّة قُرَيش ، حتى جاءونا فى مَنازلنا، فقالوا : يا معشر الخَزْرج ، إنه قد بَلَغنا أنكم قد جِئْتم إلى صاحبنا هذا تَسْتخرِجونه من بين أَظْهرنا ، وتُبايعونه على حَرْبنا ، و إنه والله ما مِن حيّ من العرب أَبْغضُ إلينا ، أن تَنشَب الحربُ بيننا و بينهم ، منكم . قال : فانبعث مَنْ هناكَ مِن مُشْركى قَوْمنا يَحْلفون بالله ما كان مِن هذا شئ ، وما عَلِمْناه . ١٥

---

(١) المنازل : منازل منى . وأصل إطلاق «الجباجب» على المنازل ، مأخوذ من أن الأوعية من الأدم ، كالزنبيل ونحوه ، تسمى : جبجبة ، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأوعية .

(٢) المذمم : المذموم جداً .

(٣) الصباة : جمع صابى ، وهو الصابئ (بالهمز). وكان يقال للرجل إذا أسلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم : « صابئ » . وقد وردت هذه الكلمة فى الأصول محرفة . ٢٠

(٤) أزب العقبة: اسم شيطان، ويروى بكسر الهمزة وسكون الزاى. والأزب: القصير أيضا.

(٥) فى هامش الأصل : أزيب (الأولى) : بفتح الهمزة وسكون الزاى وفتح الياء . (والثانية) بضم الهمزة وفتح الزاى وسكون الياء ، كما ضبط كذلك فى بعض النسخ » . إلا أن هذه الصيغة الثانية لم ينص عليها فى كتب اللغة . ٢٥

(٦) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول « استمع » .

(٧) ارفضوا : تفرقوا .

(٨) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « لتميلن » بالتاء المثناة الفوقية.

(٩) زيادة عن ا .

قال : وقد صدَقوا ، لمَ يَعْلَموه . قال : و بعضُنا ينظرُ إلى بعض . قال : ثم قام القومُ، وفيهم الحارث بنُ هشام بن المُغيرة المَخْزوميّ ، وعليه نَعْلان له جَديدان[1] .
قال : فقلتُ له كلمةً ـ كأنى أريد أن أُشْرِكَ القومَ بها فيما قالوا ـ : يَا أبا جابر ، أَمَا تَسْتَطِيع أنْ تَتّخذ ، وأنت سيِّد من ساداتِنا ، مثلَ نَعْلَيْ هذا الفتى من
٥ قُريش ؟ قال : فسَمِعها الحارث ، فخَلَعهما من رجْلَيه ثم رمى بهما إلىّ ، وقال : والله لتَنْتَعِلَنّهما . قال: يقول: أبو جابر: مَه ، أحْفَظتَ[2] والله الفتى ، فاردُد إليه نَعْلَيه. قال:قلت: والله لا أردّها[3] ، فألٌ والله صالح، لئن صدق الفألُ لأَسْلُبَنّه .

قال ابن إسحاق وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر :

أنهم أتَوَا عبدَ الله بن أبىّ بن سَلول ، فقالوا له مثل ماقال كَعْب من القول؛
١٠ فقال لهم: [والله][4] إنّ هذا الأمر جَسِيم ، ما كان قومى ليتفوّتوا[5] علىّ بمثل هذا ، وما علِمْته كان . قال : فانصرفوا عنه .

خروج قريش فى طلب الأنصار

قال : ونفَرَ الناسُ من مِنى ، فتَنَطَّس[6] القومُ الخبر ، فوجدوه قد كان ، وخَرجوا فى طَلَب القوم ، فأدركوا سَعْد بن عُبادة بأذَاخر[7] ، والمُنْذِر بنَ عمرو ، أخا بنى ساعدة بن كَعْب بنالخزْرج، وكلاهما كان نقيباً. فأما المُنْذر فأعجز القومَ ؛

---

١٥ (١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : «جديدتان» قال السهيلى : « ... والنعل مؤنثة، ولكن لا يقال : جديدة ، فى الفصيح من الكلام ، وإنما يقال : ملحفة جديد، لأنها فى معنى مجدودة ، أى مقطوعة ، فهى من باب : كف خضيب ، وامرأة قتيل . قال سيبويه : ومن قال : جديدة ، فإنما أراد معنى حديثة . أراد سيبويه أن حديثة بمعنى حادثة ، وكل فعيل بمعنى فاعل يدخله التاء فى المؤنث » .
٢٠ (٢) أحفظت : أغضبت .
(٣) فى ا : « قال » . وهو تصحيف .
(٤) زيادة عن ا .
(٥) تفوت عليه بكذا : فاته به .
(٦) تنطس القوم الخبر : أى أكثروا البحث عنه . والتنطس : تدقيق النظر . قال الراجز:
٢٥ وقد أكون عندها نقريسا طبا بأدواء النسا نطيسا
(٧) قال ياقوت: «أذاخر (بالفتح والخاء المعجمة مكسورة) قال ابن إسحاق: لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام الفتح دخل من أذاخر، حتى نزل بأعلى مكة، وضربت هناك قبته» .

وأما سَعد فأَخَذوه ، فربَطوا يَدَيْه إلى عُنقه بِنِسْع[1] رَحْله ، ثم أَقْبَلوا به حتى أَدْخلوه مكّة يَضْربونه ، ويَجْذِبونه بجُمَّته[2] ، وكان ذا شَعر كَثِير .

خلاص ابن عبادة من أسر قريش وما قيل فى ذلك من شعر

قال سعد : فوالله إنّى لفى أَيْديهم إذ طَلع علىّ نَفر من قُرَيش ، فيهم رجلٌ وَضِيء أبيضُ ، شَعْشاع ، حلو من الرجال[3] .

قال : فقلت فى نفسى : إنْ يكُ عند أحدٍ من القوم خَير فعند هذا ؛ ٥ قال : فلما دنا منّى رفع يدَه فَلَكَمنى[4] لَكمةً شديدة . قال : فقلت فى نفسى ، لا والله ما عندهم بعد هذا من خَيْر . قال : فوالله إنى لفى أيديهم يَسْحَبوننى إذ أوَى[5] لى رجلٌ مِمَّنْ كان معهم ، فقال : وَيْحك ! أمابينك و بين أحد من قُرَيش جوار ولا عَهْد ؟ قال : قلت : بلى . والله ، لقد كنت أُجير لجُبَير ابن مُطْعِم بن عدىّ بن نَوْفل بن عَبد مناف تِجاره[6] ، وأمنعهم ممن أراد ظُلْمَهُمْ ١٠ ببلادى ، وللحارث بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ؛ قال : ويحك ! فاهتِف باُسم الرّجلين ، واذكر مابينك و بينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجلُ إليهما ، فوجدَهما فى المَسْجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من

---

(١) النسع : الشراك الذى يشد به الرحل .

(٢) الجمة : مجتمع شعر الرأس ، وهى أكثر من الوفرة ، والجمع : جمم . ١٥

(٣) كذا فى ا . وقد زادت سائر الأصول بين كلمتى « الرجال » و « قال » العبارة الآتية : « قال ابن هشام : الشعشاع الطويل الحسن . قال رؤبة :

* يمطوه من شعشاع غير مودن *

يعنى : عنق البعير غير قصير، يقول : مودن اليد ، أى ناقص اليد . يمطوه من السير شعشاع حلو من الرجال » . ٢٠

(٤) كذا فى أكثر الأصول . واللكم : الضرب بجمع الكف . وفى ا : « لطمنى » .

(٥) أوى له : رحمه ورق له . قال الشاعر :

* لو أننى استأويته ما أوى ليا *

(٦) كذا فى ا ، ط . والتجار (بكسر ففتح ، وبضم التاء مع تشديد الجيم وفتحها) : جمع تاجر . وفى سائر الأصول : « تجارة » وهو تحريف . ٢٥

الخَزْرج الآن يُضْرَب بالأبطح ويَهْتِف[1] بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما جواراً ؛ قالا : ومَنْ هو ؟ قال : سعد بن عُبادة ؛ قالا : صدق والله ، إن كان ليُجير لنا تجارَنا ، ويَمْنعهم أن يُظْلَموا ببلده . قال : فجاءا فخلّصا سعداً من أيديهم ، فانطلق . وكان الذى لَكم[2] سعداً، سُهَيلُ بن عمرو ، أخو[3] بنى عامر بن لُؤَىّ.

5 قال ابن هشام : وكان الرجلُ الذى أَوَى إليه ، أبا البَختَرى بن هشام[4] .

قال ابن إسحاق :

وكان أولُ شِعْرٍ قيل فى الهجرة بيتَيْن ، قالهما ضِرار[5] بن الخطّاب بن مِرْداس ، أخو بَنى مُحارب بن فِهر [فقال] :

تداركتَ سَعْدًا[6] عَنْوَةً فأخذتَه ... وكان شِفاءً لو تداركتَ مُنْذِرَا[7]

10 ولو نِلْتَه طُلَّت هناك جِراحُه[8] ... وكانت حَرِيًّا أن يُهان ويُهْدَرا[9]

قال ابن هشام : ويروى :

وكان حقيقاً أن يُهان ويهدرا

---

(1) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ليهتف » .

(2) فى ا : « لطم » .

15 (3) فى ا : « أحد » .

(4) فى ا : « هاشم » .

(5) كان ضرار شاعر قريش وفارسها ، ولم يكن فى قريش أشعر منه ، ثم ابن الزبعرى . وكان جد ضرار، وهو مرداس، رئيس بنى محارب بن فهر فى الجاهلية، يسير فيهم بالرباع، وهو ربع الغنيمة ، وكان أبوه أيام الفجار رئيس بنى محارب بن فهر . وأسلم ضرار عام الفتح .

20 (6) فى الروض الأنف : « عمرو » وقال السهيلى فى التعليق عليه : يعنى « بعمر » : عمرو ابن خنيس والد المنذر » يقول : لست إليه ولا إلى ابنه المنذر ، أى أنت أقل من ذلك .

(7) عنوة: قسرا وقهرا . ويريد « بالمنذر » :المنذر بن عمرو الذى تقدم ذكره مع سعد بن عبادة ، والذى أعجز القوم فلم يلحقوه . يلومهما لتخليصهما سعدا ، ويتمنى أن لو كان سعيهما لطلب المنذر واللحاق به ، لا إلى تخليص سعد .

25 (8) يقال : طل دمه (بالبناء للمجهول وبالبناء للمعلوم ، والأول أكثر) : إذا هدر ولم يثأر به .

(9) فى ا :

* وكان جراحا أن تهان وتهدرا *

قال ابن إسحاق :

فأجابه حسّان بن ثابت فيهما[1] فقال :

لستَ إلى سَعْدٍ ولا المرءِ مُنْذِرٍ إذا ما مَطايا القوْم أَصْبَحْن ضُمَّرَا

فلولا أبو وَهْبٍ لمرَّت قصائدٌ على شَرَف البَرْقَاء يَهْوِينَ حُسَّرا[2]

أَتَفْخَرُ بالكَتّان لمّا لَبِسْتَه وقدَ تلبَس الأنباطُ رَيْطا مُقَصَّرا[3] ٥

فلا تَكُ كالوَسْنان يحلُم أنه بقَرْية كِسْرى أو بقَرية قَيْصرا[4]

ولا تك كالثَّكْلَى وكانت بمَعزلٍ عن الثُّكْل لو كان الفُؤاد تَفَكَّرا[5]

ولا تَكُ كالشَّاةِ التى كانَ حَتْفُها بحَفْر ذِرَاعَيْها فلم تَرْضَ مَحْفَرا[6]

وَلا تَكُ كالعاوِى فأقبل نَحْرَه ولم يخْشَه ، سَهْماً من النَّبْل مُضْمَرَا[7]

فإنّا وَمَنْ يُهْدِى القَصائد نَحْوَنا كمُسْتَبْضِع تمراً إلى أرض[8] خَيْبرا[9] ١٠

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

(٢) قال ياقوت : « البرقاء فى البادية . قال الراجز :

* يترك بالبرقاء شيخا قد ثاب *

أى ساء جسمه وهزل . وحسرا : أضناها الإعياء .

(٣) الأنباط : قوم من العجم . والريط : الملاحف البيض ، الواحدة : ريطة . ١٥

(٤) الوسنان: النائم . وكسرى : لقب ملك الفرس . وقيصر : لقب ملك الروم .

(٥) الثكلى : التى فقدت ولدها .

(٦) يشير بهذا البيت إلى المثل القديم فيمن أثار على نفسه شرا : كالباحث عن المدية .

وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر :

وكان يجير الناس من سيف مالك فأصبح يبغى نفسه من يجيرها ٢٠

وكان كعنز السوء قامت بظلفها إلى مدية تحت التراب تثيرها

(٧) فى ديوان حسان طبع أوربا :

فلا تك كالغاوى ... الخ

(٨) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « أهل » .

(٩) يشير بالشطر الثانى إلى المثل المعروف : كمستبضع التمر إلى خيبر . وخيبر: موطن التمر. ٢٥

وفى معنى هذا البيت يقول النابغة الجعدى :

وإن امرأ أهدى إليك قصيدة كمستبضع تمرا إلى أرض خيبرا

قصة صنم عمرو بن الجموح

فلما قَدِموا المَدِينةَ أظهروا الإسلامَ بها، وفى قومهم بقايا من شُيوخ لهم على دينهم من الشِّرك، منهم عَمْرو بن الجَمُوح بن زَيْد بن حَرام بن كعب بن غَنْم ابن كعب بن سلمة، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو شَهِدَ العقبة، وبايع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بها، وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بنى سَلِمة، وشريفاً من أشْرافهم، وكان قد اتخذ فى داره صنماً من خَشَب، يقال له: مناة[1]، كما كانت الأشراف يصنعون، تتخذه إلهاً تعظّمه وتُطَهِّره، فلمّا أسلم فِتْيان بَنِى سَلِمَة: مُعاذ بن جَبَل، وابنه مُعاذ بن عمرو [بن الجموح][2]، فى فِتْيان منهم مِمّن أسلم وشَهِد العقبة، كانوا يُدْلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فَيحْمِلونه فَيطْرحونه فى بعض حُفَر بنى سَلِمَة، وفيها عِذَر[3] الناس، مُنَكَّساً على رأسه؛ فإذا أصبح عمرو قال: وَيْلكم! مَنْ عَدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يَلْتمسه، حتى إذا وجدَه غَسلَه وطَهَّره وطَيَّبه، ثم قال: أما والله لو أعلم مَنْ فعل هذا بِكَ لأُخْزِيَنَّه. فإذا أمسى ونام عمرو، عَدَوْا[4] عليه، ففعلوا به مثل ذلك؛ فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى، فيَغْسله ويطَهِّره ويُطَيِّبه؛ ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثلَ ذلك. فلما أكثروا عليه، استخرجه من حيث أَلْقَوْه يوماً، فغَسله وطهّره وطيّبه، ثم جاء بسيفه فعلّقه عليه، ثم قال: إنى والله ما أعلم مَنْ يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خيرٌ فامتنِع، فهذا السيفُ

عدوان قوم عمرو على صنمه

(١) مناة: مأخوذ من قولك: منيت الدم وغيره، إذا صببته، لأن الدماء كانت تمنى عنده، تقربا إليه؛ ومنه سميت الأصنام الدمى.

(٢) زيادة عن ا.

(٣) العذر: جمع عذرة، وهى فضلات الناس.

(٤) كذا فى ا، ط. وفى سائر الأصول: «غدوا» بالغين المعجمة.

معك . فلما أمسى ونام عمرو ، عدوْا عليه ، فأخذوا السيفَ من عنقه ، ثم أخذوا كَلْباً ميتاً فقرَنُوه به بحبل ، ثم ألْقَوْه فى بئر من آبار بنى سلمة ، فيها عِذَر من عِذَر الناس ، ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يَجِدْه فى مكانه الذى كان به .

إسلام عمرو وشعره فى ذلك

فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكّساً مقرونا بكلب ميت، فلما رآه وأبصر شأنه ، وكلّمه مَنْ أسْلم من [رجال][1] قومه ، فأسلم برَحْمة الله ، وَحَسُن إسلامه . ٥

فقال حين أسلم وعرَف من الله ما عرف ، وهو يذكر صَنَمه ذلك وما أبصر من أمره ، ويشكُر اللهَ تعالى الذى أنقذه ممَّا كان فيه من العَمَى والضلالة :

والله لو كنتَ إلهاً لم تَكُنْ ... أنت وكَلْبٌ وَسْط بئر فى قَرَنْ[2]

أُفٍّ لمَلْقاك إلهاً مُسْتَدَنْ[3] ... الآنَ فَتَّشْناك عن سُوء الغَبَنْ[4]

الحمدُ لله العلىِّ ذى المِنَنْ ... الواهبِ الرزَّاق ديّان الدِّيَنْ[5] ١٠

هو الذى أنْقذنى من قبل أنْ ... أكونَ فى ظُلْمَة قبرٍ مُرْتَهَن

* بأحمدَ المهدى النبىِّ المُرْتَهن[6] *

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) القرن : الحبل .

(٣) قال أبو ذر : «مستدن : ذليل مستعبد» . وقال السهيلى : «مستدن ، من السدانة ، وهى خدمة البيت وتعظيمه» . ١٥

(٤) الغبن : السفه .

(٥) قال السهيلى فى الكلام على هذا البيت : وقوله «ديان الدين» ، الدين : جمع دينة ، وهى العادة ، ويقال لها : دين (أيضا) . وقال ابن الطثرية ، واسمه يزيد:

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم ... له عند ليلى دينة يستدينها ٢٠

فألقيت سهمى بينهم حين أوخشوا ... فما صار لى فى القسم إلا ثمينها

ويجوز أن يكون أراد «بالدين» : الأديان، أى هو ديان أهل الأديان، ولكن جمعها على الدين، لأنها ملل ونحل ، كما قالوا فى جمع «الحرة» حرائر ، لأنهنّ فى معنى الكرائم والعقائل ، وكذلك مرائر الشجر ، وإن كانت الواحدة مرة ، ولكنها فى معنى فعيلة ، لأنها عسيرة فى الذوق ، وشديدة على الأكل ، وكريهة إليه» . ٢٥

(٦) هذا الشطر ساقط فى ا ، ط .

شروط البيعة فى العقبة الأخيرة

قال ابن إسحاق :

وكانت[1] بيعة الحرب ، حين أذن الله لرسوله [صلّى الله عليه وسلّم][2] فى القتال شروطاً سوى شرطه عليهم فى العقبة الأولى ، كانت الأولى على بيعة النّساء، وذلك أن الله تعالى لم يكن أذن لرسوله صلّى الله عليه وسلّم فى الحرب، فلما أذن الله له فيها ، وبايعهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى العقبة الأخيرة على حربِ الأحمر والأسود ، أخذ لنفسه، واشترط على القوم لربّه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنّةَ.

قال ابن إسحاق : فحدثنى عُبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصامت عن أبيه الوليد ، عن جدّه عبادة بن الصامت، وكان أحدَ النقباء، قال:

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعةَ الحرب ــ وكان عُبادة من الاثنى عشر الذين بايعوه فى العقبة الأولى على بَيْعَة النساء ــ على السّمْع والطاعة ، فى عُسْرنا ويُسْرِنا ، ومَنْشَطنا ومَكرهنا ، وأَثْرَةٍ علينا ، وأن لا ننزع الأمرَ أهلَه ، وأن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف فى الله لومةَ لائم .

أسماء من شهد العقبة

قال ابن إسحاق :   عددهم

وهذا تسمية من شَهد العقبة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بها من الأوس والخزرج ، وكانوا ثلاثةً وسبعين رجلاً وامرأتين .

(١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : «وكان » .
(٢) زيادة عن ا ، ط .

من شهدها من الأوس ابن حارثة وبنى عبد الأشهل

شهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بنى عَبْدالأشهل بنجُشَم بن الحارث بنالخزرج بن عمرو بن[1] مالك بن الأوس: أُسيدُ[2] بن حُضير بن سِماك بن عَتِيك بن رافع بن أُمرئ القيس بن زَيد بن عَبْد الأشهل ، نقيب لم يشهد بدراً . وأبو الهيثم بن التَّيهان ، واسمه[3] مالك ، شهد بدراً. وسَلمة بنسلامة بنوَقْش بنزُغْبة[4] بن زعُوراء[5] بنعبد الأشهل،[6] ٥ شهد بدراً ، ثلاثة نفر . قال ابن هشام : ويقال : ابن زعَوراء (بفتح العين) .

من شهدها من بنىحارثة ابن الحارث

قال ابن إسحاق :

ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : ظُهير[7] بن رافع بن عدىّ بن زيد بن جُشَم بن حارثة . وأبو بُرْدة بن نِيَار[8] ، واسمه هانئ بن نِيَار بن عمرو بن عبيد[9] بن كِلاب بن دُهْمان بن غَنْم بن ذُبْيان بن ١٠ هُمَيم بن كامل[10] بن ذُهْل بن هنىّ[11] بن بَلِىّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة ،

---

(١) فى ا هنا : «عمرو بن عامر ... الخ» . وهو تحريف .

(٢) يكنى أسيد : أبا عيسى ، وقيل غيرذلك. أسلم قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير، وجرح يوم أحد سبع جراحات،وثبت مع رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم حين انكشف الناس، ١٥ وكانت وفاته فى شعبان سنة ٢٠ هـ ، وقيل : إحدى وعشرين .

(٣) هو مالك بن التيهان بن مالك بن عبيد بن عمر بن عبد الأعلم ، أبو الهيثم البلوى ، من بلى بن الحاف بن قضاعة . ثم الأنصارى ، حليف بنى عبد الأشهل، شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها ، وتوفى فى خلافة عمر بالمدينة سنة ٢٠ هـ ، وقيل : غير ذلك .

(٤) كذا فى ا ، والاستيعاب والقاموس (مادة وقش) . وفى سائر الأصول : «زعبة» ٢٠ بالعين المهملة ، وهو تصحيف .

(٥) كذا فى أكثر الأصول ، والاستيعاب . وفى ا : «زعوار» .

(٦) وأم سلمة : سلمى بنت سلمة بن خالد بن عدى ، أنصارية حارثية . ويكنى سلمة : أبا عوف ، شهد بدرا والمشاهد كلها ، واستعمله عمر رضى الله عنه على اليمامة ، وتوفى سنة خمس وأربعين .

٢٥ (٧) هو عم رافع بن خديج، ووالد أسيد بن ظهير. لم يشهد بدرا ، وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد هو وأخوه مظهر بن رافع .

(٨) كذا فى أكثر الأصول ، والاستيعاب . والقاموس (مادة نير) . وفى م : «دينار» وهو تحريف .

(٩) فى ا : « عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذهل بن هميم بن كامل بن ذهل » .

٣٠ (١٠) كذا فى الاستيعاب ، وفى الأصول : « كاهل » .

(١١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « ذهنى » .

حليف لهم ، شهد بدراً[1] . ونُهير بن الهيثم ، من بنى نابى بن مَجْدعة بن حارثة ، [بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس][2] ؛ [ثم من آل السوّاف ابن قيس بن عامر بن نابى بن مَجْدعة بن حارثة] .[3] ثلاثة نفر .

من شهدها من بنى عمرو ابن عوف

ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : سعدُ بن خَيْثمة بن الحارث ابن مالك بن كعب بن النحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلْم بن أمرئ القيس بن مالك بن الأوس ، نقيب ، شهد بدراً ، فقُتل به مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شهيداً .

قال ابن هشام :

ونسبه ابنُ إسحاق فى بنى عمرو بن عوف ؛ وهو من بنى غَنْم بن السَّلْم ، لأنه ربما كانت دعوة الرجل فى القوم ، ويكون فيهم فيُنسب إليهم .

قال ابن إسحاق :

ورفاعة بن عبد المُنْذر بن زَنْبر[4] بن زيد بن أُميَّة[5] بن زَيْد بن مالك بن عوف بن عمرو ، نقيب ، شهد بدراً . وعبدُ الله بن جُبير بن النعمان بن أمية بن البُرَك ــ واسم البرك : أمرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو [بن عوف بن مالك بن الأوس][2] ــ شهد بدراً ، وقُتِل يوم أحد شهيداً أميراً لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الرُّماة ؛ ويقال : أمية بن البَرْك[6] ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق :

ومعنُ بن عدىّ بن الجد[7] بن العَجْلان بن [حارثة][2] بن ضُبيعة ، حليف لهم من بلِىّ ، شهد بدراً وأحداً والخندق ، ومشاهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلها ، قُتِل يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وعُويم بن ساعدة ، شهد بدر وأحداً والخندق . خمسة نفر .

(1) وشهد هانىء أيضا سائر المشاهد ، ومات سنة خمس وأربعين ، وقيل سنة : اثنتين وأربعين .
(2) زيادة عن ا .
(3) زيادة عن ا ، ط .
(4) كذا فى ا ، ط . وفى م : « زنبر » . وفى الاستيعاب : « زبير » .
(5) فى م : « ابن أبى أمية » .
(6) فى هامش م : « البرك (الأولى) بضم الباء وفتح الراء ، (والثانية) بفتح الباء وسكون الراء » .
(7) فى ا : « الحل » وهو تحريف .

فجميع من شهد العقبة من الأوس أحدَ عشرَ رجلاً .

من شهدها من الخزرج ابن حارثة

وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بنى النجّار ، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : أبو أيوب ، وهو خالد ابن زيد بن كُليب بن ثعلبة بن عَبْد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النجّار ، شهد بدراً وأحداً والخندق . والمشاهد كلها ؛ مات بأرض الروم غازيًا فى زمن معاوية بن أبى سفيان . ومعاذ بن الحارث بن رفاعة بن سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك ابن النجّار ، شهد بدراً وأحداً والخندق ، والمشاهد كلها ، وهو ابن عفراء . وأخوه عوف[1] بن الحارث ، شهد بدراً وقُتل به شهيداً ، [وهو لعفراء . وأخوه معوّذ بن الحارث ، شهد بدرا وقتل به شهيداً][2] ، وهو الذى قتل أبا جهل بن هشام ابن المغيرة، وهو لعفراء ــ ويقال: رفاعة بن الحارث بن سواد ، فيما قال ابن هشام ــ وعُمارة بن حزم بن زيد بن لَوْذان بن عمرو بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النجّار ، شهد بدراً وأحداً والخندق ، والمشاهد كلها ، قتل يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وأسعدُ بن زرارة بن عُدَس بن عبيد ابن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار ، نقيب ، مات قبل بدر ومسجدُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يُبنى ، وهو أبو أمامة ستة نفر .

من شهدها من بنى عمرو ابن مبذول

ومن بنى عمرو بن مَبْذول ــ ومبذول : عامر بن مالك بن النجار ــ : سهلُ ابن عتيك بن نعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو ، شهد بدراً . رجل .

من شهدها من بنى عمرو ابن مالك

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجّار ، وهم بنو حُديلة ــ قال ابن هشام : حديلة: بنت مالك بن زيد مناة[3] بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج ــ أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ بن عمرو بن مالك [بن النجّار][2] ، شهد بدراً[4] . وأبو طلحة ، وهو زيد[5] بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو ابن مالك [بن النجّار][2] ، شهد بدراً . رجلان .

---

(1) ويقال فيه: عوذ (بالذال المعجمة) .
(2) زيادة عن ا . (3) فى م : « زيد الله » .
(4) وقتل أوس يوم أحد شهيدا ، وهو أخو حسان بن ثابت الشاعر .
(5) وهو ربيب أنس بن مالك ، وكانت وفاته سنة إحدى وخمسين .

من شهدها من بنى مازن ابن النجار

ومن بنى مازن بن النجّار ، قيسُ بن أبى صَعْصعة ، واسم أبى صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن ، شهد بدراً ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جعله على الساقة يومئذ . وعمرو بن غزيّة ابن عمرو بن ثعلبة بن[1] خَنْساء بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن . رجلان .

٥ فجميع من شهد العقبة من بنى النجار أحد عَشر رجلا .

تصويب نسب عمرو بن غزية

قال ابن هشام : عمرو بن غزيّة بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء ، هذا الذى ذكره ابنُ إسحاق ، إنما هو غزيّة بن عمرو بن عطيّة بن خنساء .

من شهدها من بلحارث ابن الخزرج

قال ابن إسحاق :

ومن بَلْحارث بن الخزرج : سعدُ بن الربيع بن عمرو بن أبى زُهير بن مالك

١٠ ابن امرئ القيس بن مالك [الأغرّ][2] بن ثعلبة بن كَعْب بن الخزرج ابن الحارث ، نقيب ، شهد بدراً وقتل يوم أحد شهيداً . وخارجةُ بن زيد ابن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك [الأغر][2] بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج بن الحارث ، شهد بدراً وقتل يوم أحد شهيداً . وعبدُ الله ابن رواحة [بن ثعلبة][2] بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس

١٥ [الأكبر][2] بن مالك [الأغر][2] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدراً وأحداً والخندق ومشاهدَ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كلها ، إلا الفتحَ وما بعده ، وقُتِل يوم مَوْته شهيداً أميراً لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . و بشيرُ بن سعد بن ثعلبة بن خلاس[3] بن زيد بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج بن الحارث ، أبو النعمان بن بشير ، شهد بدراً[4] .

٢٠ (١) فى ا « بن ثعلبة بن عطية ... الخ » .

(٢) زيادة عن الاستيعاب .

(٣) كذا فى الاستيعاب ، وفى أكثر الأصول : « جلاس » بالجيم . وقد سقط فى ا معظم هذا السند .

(٤) وشهد بشير أحدا والمشاهد بعدها ، ويقال : إنه هو أول من بايع أبا بكر الصديق يوم

٢٥ السقيفة من الأنصار ، وقتل وهو مع خالد بن الوليد بعين التمر فى خلافة أبى بكر .

وعبدُ الله بن زَيْد بن ثعلبة بن عبد الله[1] بن زيد [مناة][2] بن الحارث بن الخزرج[3]، شهد بدرًا، وهو الذى أُرِى النداء للصلاة، فجاء به إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأمر به[4]. وخلاّدُ بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة ابن أمرئ القيس بن مالك [الأغر][5] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج[3]، شهد بدراً وأحداً والخندق، وقُتل يوم بنى قُريظة شهيداً، طُرحت عليه رحًى من أُطم من آطامها فشدخَتْه شدخا شديداً، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[6] — فيما يذكرون —: إنّ له لأَجْرَ شهيدَيْن. وعقبةُ بن عمرو بن ثعلبة بن أُسَيرة بن عُسَيرة بن جَدارة[6] بن عوف بن الحارث [بن الخزرج][2]، وهو أبو مسعود، وكان أحدثَ من شهد العقبة سنّا، [مات فى أيام معاوية][7] لم يشهد بدراً. سبعة نفر.

من شهدها من بنى بياضة ابن عامر

ومن بنى بَيَاضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة [بن مالك بن غَضْب ابن جُشَم بن الخزرج][7]: زيادُ بن لَبيد بن ثعلبة بن سِنان بن عامر بن عدىّ ابن أمية بن بَيَاضة، شهد بدراً[8]. وفروةُ بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر ابن بَياضة، شهد بدراً. قال ابن هشام: ويقال: وَدْفة[9].

(1) كذا فى الاستيعاب، وفى الأصول «عبد ربه».
(2) زيادة عن ا.
(3) فى م: «بن الخزرج بن الحارث».
(4) وتوفى عبد الله بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين.
(5) زيادة عن الاستيعاب.
(6) جدارة، هو بفتح الجيم وكسرها، وقيده الدارقطنى بكسر الجيم ويروى «خدارة» بخاء معجمة مضمومة، وهو أخو خدرة الذى ينسب إليه أبو سعيد الخدرى.
(7) زيادة عن م.
(8) وشهد زياد أيضا أحدا، والخندق والمشاهد كلها، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على حضرموت. ومات زياد فى خلافة معاوية.
(9) كذا فى الأصول. وفى الاستيعاب: «ودفة» قال السهيلى فى الكلام على «وذفة»: «وذكر فى بنى بياضة: عمرو بن وذفة، بذال معجمة. وقال ابن هشام: ودفة: بدال مهملة وهو الأصح . . . . وعمرو بن ودفة هذا هو البياضى الذى روى عنه مالك فى كتاب الصلاة ولم يسمعه». وقال أبو ذر: «ذكره ابن إسحاق»: وذفة، أعنى بذال معجمة. قال ابن هشام: ويقال: ودفة، يعنى بدال مهملة. ومن رواه بالذال المعجمة، فهو من: توذف فى مشيته، إذا تبختر، ويقال: إذا أسرع، ومن رواه بالدال المهملة، فهو من ودفت الشحمة=

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان[1] بن عامر ابن بَيَاضة ، شهد بدراً . ثلاثة نفر .

من شهدها من بني زريق

ومن بني زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشَم بن الخزرج : رافع[2] بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق، نقيب . وذَكْوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلّد بن عامر بن زُريق ، وكان خرج إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المدينة ، فكان يقال له : مهاجريّ أنصاريّ ؛ شهد بدراً وقُتل يومَ أُحد شهيداً . وعباد بن[3] قيس بن عامر بن خلدة[4] بن مخلّد بن عامر ابن زريق ، شهد بدراً . والحارث بن قيس بن خالد[5] بن مخلد[6] بن عامر ابن زريق ، وهو أبو خالد[6] ، شهد بدراً . أربعة نفر.

من شهدها من بني سلمة ابن سعد

ومن بني سَلِمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج ؛ ثم من بني عبيد بن عدىّ بن غَنْم بن كعب بن سلمة : البراء بن معرور ابن صخر بن خنساء بن سِنان بن عبيد بن عدىّ بن غَنْم ، نقيب ، وهو الذى تزعُم بنو سلمة أنه كان أول من ضَرب على يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وشَرَط له ، واشترط عليه ، ثم تُوفى قبل مَقْدَم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، المدينةَ . وابنه بِشرُ بن البَرَاء بن مَعْرور ، شهد بدراً وأحداً والخندق ، ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، من الشاة التى سُمّ

= إذا قطرت ، واستودفتها أنا . وبالدال المهملة ذكره صاحب كتاب العين، قال: ودفة : اسم رجل . وقال ابن الظريف : ودف المطر ، وغيره ودفا. قطر ؛ وقد قالوا أيضا: وذف (بالذال المعجمة) بذلك المعنى » .

(1) فى الاستيعاب : «الجلان» .

(2) يكنى رافع : أبا مالك ، وقد قتل يوم أحد شهيدا .

(3) فى ا : « عبادة » وهو تحريف .

(4) كذا فى ا ، ط ، وفى سائر الأصول : « خالد » .

(5) كذا ا ، ط ، والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « خلدة» .

(6) هذه الكلمة ساقطة فى ا .

فيها ــ وهو الذى قال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حين سأل بنى سلمة : من سيِّدكم يابنى سلمة ؟ فقالوا الجدُّ بن قَيْس، على بُخْله؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : وأىّ داء أكبرمن البُخل! سيدُبنى سَلمةالأبيضُ الجَعْد ، بِشْرُ بن البَرَاء ابن مَعْرور(١) ــ . وسِنان بن صَيْفِى بن صَخْر بن خنساء بن سنان بن عُبيد ، شهد بدراً ، [وقتل يوم الخندق شهيداً] (٢) . والطُّفَيل(٢) بن النعمان بن خنساء بن ٥ سِنان بن عُبيد ، شهد بدراً ، وقُتل يوم الخندق شهيداً . ومَعْقل بن المُنْذر بن سَرْح ابن خُناس بن سِنان بن عُبيد،(٣) شهد بدراً . و[أخوه] (٢) يزيد بن المنذر، شهد بدراً . ومسعودُ بن يزيد بن سُبيع بن خنساء بن سِنان بن عبيد . والضحّاك ابن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد ، شهد بدراً ، ويزيد بن حرام(٤) بن سُبيع ابن خنساء بن سنان بن عبيد . وجُبَار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان ١٠ ابن عبيد ، شهد بدراً .

قال ابن هشام : ويقال : جَبّار(٥) بن صخر بن أمية بن خناس(٦) .

قال ابن إسحاق :

---

(١) وروى عن الزهرى وعامر الشعبى أنهما قالا فى هذا الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « بل سيدكم عمرو بن الجموح » . وقال شاعر الأنصار فى ذلك : ١٥

وقال رسول الله والحق قوله لمن قال منا : من تعدون سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التى نبخله فينا وما كان أسودا
فسوّد عمرو بن الجموح لجوده وحق لعمرو عندنا أن يسودا

(٢) زيادة عن ا .
(٣) ويقال : هوالطفيل بن مالك بن النعمان ... الخ . ٢٠
(٣) فى الأصول هنا : « عبد » (راجع الاستيعاب) .
(٤) كذا فى الاستيعاب . وفى الأصول : « خذام » .
(٥) فى هامش م : « جبار (هنا) : بفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة ، وضبط الأول بضمّ الجيم وتخفيف الموحدة» .
(٦) لعله « خنيس » . (راجع الاستيعاب) . ٢٥

والطفيل[1] بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد ، شهد بدراً . أحد[2] عشر رجلا .

من شهدها من بنى سواد ابن غنم

ومن بنى سَواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة ، ثم من بنى كعب بن سواد : كعب[3] بن مالك بن أبى كعب بن القَيْن بن كعب . رجل .

من شهدها من بنى غنم ابن سواد

ومن بنى غَنْم بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة : سليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غنم ، شهد بدراً وقُطْبة بن عامر[4] بن حديدة بن عمرو ابن غنم[5] ، شهد بدراً . و [أخوه][6] يزيد بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غَنْم ، وهو أبو المنذر ، شهد بدراً — وأبو اليَسَر ، واسمه كعب[7] بن عمرو بن عباد ابن عمرو بن غَنْم ، شهد بدراً[8] . وصَيْفِىّ بن سَواد بن عبّاد[9] بن عمرو ابن غَنْم . خمسة نفر .

تصويب اسم صيفى

قال ابن هشام :

صَيْفى ابنُ أسود بن عباد بن عمرو بن غَنْم بن سواد ، وليس لسواد ابن يقال له : غنم .

---

(1) تقدم فى الكلام على بنى سلمة اسم الطفيل بن النعمان ، وذكر هنا باسم الطفيل بن مالك ابن النعمان . وقد ذكر ابن عبد البر أنهما شخص واحد .

(2) فى م : « إحدى » وهو تحريف .

(3) ولم يشهد كعب بدرا وشهد أحدا والمشاهد كلها حاشا تبوك ، وتوفى فى زمن معاوية سنة ٥٠ هـ .

(4) ويقال : « عمرو » .

(5) ساق ابن عبد البر نسب قطبة هذا نقلا عن ابن إسحاق فقال : هو قطبة بن عامر بن حديدة بن عمر بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجى .

(6) زيادة عن ا .

(7) فى الاستيعاب : « كعب بن عمر بن عباد بن عمر بن سواد .

(8) ومات كعب بالمدينة سنة ٥٥ هـ .

(9) فى م : « عباس » ، وهو تحريف .

من شهدها من بنى نابى ابن عمرو

قال ابن إسحاق :

ومن بنى نابى بن عمرو بن سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلمة : ثعلبة بن غَنَمة بن عدىّ بن نابى[1] ، شهد بدراً ، وقُتل بالخندق شهيداً . وعمرو بن غنمة ابن عدىّ بن نابى ، وعَبْس بن عامر بن عدىّ بن نَابِى ، شهد بدراً . وعبدُ الله ابن أُنيس ، حليف لهم من قُضاعة . وخالد بن عمرو بن عدىّ بن نابى . ٥ خمسة نفر .

من شهدها من بنى حرام ابن كعب

قال ابن إسحاق :

ومن بنى حَرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سَلمة : عبدُ الله بن عمرو ابن حرام بن ثعلبة بن حرام ، نقيب ، شهد بدراً ، وقتل يوم أحد شهيداً وابنه جابر بن عبد الله . ومعاذُ بن عمرو بن الجَموح بن يزيد[2] بن حرام ، شهد ١٠ بدراً[3] . وثابت بن الجِذْع ــ والجذع: ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام ــ شهد بدراً ، وقُتل بالطائف شهيداً . وعُمير بن الحارث بن ثعلبة[4] بن الحارث بن حرام ، شهد بدراً .

تصويب نسب عمير

قال ابن هشام :

عمير ابنُ الحارث بن لَبْدة بن ثعلبة . ١٥

قال ابن إسحاق : وخَدِيج[5] بن سَلامة بن أَوْس بن عمرو بن الفُرافِر[6] ، حليف لهم من بلىّ . ومعاذُ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ[7] بن كعب بن

(١) كذا فى الأصول وأسد الغابة . وفى الاستيعاب : «هانىء» .
(٢) كذا فى الاستيعاب . وفى الأصول : « زيد » .
(٣) ومات معاذ فى خلافة عثمان رضى الله عنه . ٢٠
(٤) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « ثعلبة بن زيد بن الحارث » .
(٥) خديج ، بخاء منقوطة مفتوحة ، ودال مكسورة ، كذا ذكره الدارقطنى وغيره . وذكر الطبرى وقال : شهد العقبة ولم يشهد بدرا . وقال : يكنى أبا رشيد . (راجع الروض الأنف) .
(٦) الفرافر، يروى بالفاء والقاف ، قيده الدارقطنى لاغير (راجع شرح السيرة لأبى ذر) . ٢٥
(٧) كذا فى الاستيعاب . وفى الأصول : « عائذ بن عدىّ بن كعب » .

عمرو بن أدى[1] بن سعد بن علىّ بن أسد؛ ويقال . أسد بن ساردة بن تزيد[2] ابن جشم بن الخزرج ؛ وكان فى بنى سلمة ، شهد بدراً والمشاهد كلها ، ومات بعمواس[5] ، عام الطاعون بالشام، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وإنما أُدعته بنو سلمة أنه كان أخا سهل بن محمد بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء ٥ ابن سنان بن عبيد بن عدىّ بن غنم بن كعب بن سلمة لأمه سبعة نفر .

تصويب نسب خديج بن سلامة

قال ابن هشام :

أوس : ابن عباد بن عدىّ بن كعب بن عمرو بن أُذَن[3] بن سعد .

قال ابن إسحاق :

من شهدها من بنى عوف ابن الخزرج

ومن بنى عوف بن الخزرج ؛ ثم من بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ١٠ ابن الخزرج : عُبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم ابن سالم بن عوف ، نقيب ، شهد بدرا والمشاهد كلها .

قال ابن هشام :

هو غنم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

قال ابن إسحاق :

١٥ والعباس بن عُبادة بن نَضْلة بن مالك بن العجلان ابن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بمكة ، فأقام معه بها ، فكان يقال له[4] مهاجرى أنصارى ، وقُتل يوم أحد شهيداً .

---

(١) كذا فى الروض الأنف ، وفى ا : « أذن » . وفى سائر الأصول : « أد » وهو تحريف . قال السهيلى : « وذكر معاذ بن جبل ونسبه إلى أدى بن سعد بن على ، أخى ٢٠ سلمة . وقد انقرض عقب أدى ، وآخر من مات منهم عبد الرحمن بن معاذ بن جبل . وقد يقال فى أدى (أيضا) أذن ، فى غير رواية ابن اسحاق وابن هشام » .

(٢) فى الاستيعاب : «يزيد» .

(٣) عمواس (بكسر أوله وسكون الثانى ، أوبفتح أوله وثانيه) : كورة بفلسطين بالقرب من بيت المقدس . (راجع معجم البلدان) .

٢٥ (٤) فى الأصول : هنا « أدى » وما أثبتناه أصوب ، تمشيا مع ماسقناه عن السهيلى فى الحاشية الأولى من هذه الصفحة .

(٥) فى م : « لها » وهو تحريف .

وأبو عبد الرحمن[1] يزيد بن ثعلبة بن خَزَمة[2] بن أَصْرم بن عمرو بن عَمّارة[3]، حليف لهم من بنى غُصَينة[4] من بلىّ. وعمرو بن الحارث بن لَبْدة بن عمرو بن ثعلبة. أربعة نفر، وهم القواقل[5].

من شهدها من بنى سالم ابن غنم

ومن بنى سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، وهم بنو الحبلى ـ قال ابن هشام: الحُبُلىّ[6]: سالم بن غَنْم بن عوف وإنما سمى «الحبلى» لعظم بطنه ـ: ٥
رفاعةُ بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم، شهد بدراً، وهو أبو الوليد.

تصويب نسب رفاعة

قال ابن هشام:

ويقال: رفاعة: أبن مالك، ومالك: ابن الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جُشم بن مالك بن سالم. ١٠

قال ابن إسحاق:

وعُقبة بن وهب بن كَلَدة بن الجَعد بن هلال بن الحارث بن عمرو ابن عدىّ بن جشم بن عوف بن بُهْثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد

---

(١) فى م: «وأبو عبد الرحمن بن يزيد» وهو تحريف.

(٢) خزمة، هو بسكون الزاى عند ابن إسحاق وابن الكلبى، وبتحريكها عند الطبرى، ١٥ وهو الصواب. (راجع الروض الأنف والاستيعاب).

(٣) عمارة، هى بفتح العين وتشديد الميم، ولا يعرف «عمارة» فى العرب إلا هذا، كما لا يعرف «عمارة» بكسر العين إلا أبى بن عمارة الذى يروى حديثاً فى المسح على الخفين، وقد قيل فيه: عمارة، بضم العين. وأما ما سوى هذين فعمارة بالضم. (راجع الروض، ٢٠ ومختلف القبائل ومختلفها والمشتبه للذهبى).

(٤) فى ا: «عصينة» بالعين المهملة.

(٥) قد تقدم الكلام على القواقل فى هذا الجزء.

(٦) قال السهيلى: «وذكر بنى الحبلى، والنسب إليهم: حبلى، بضم الحاء والباء، قاله: سيبويه على غير قياس النسب، وتوهم بعض من ألف فى العربية أن سيبويه قال فيه: حبلى، ٢٥ بفتح الباء لما ذكره مع جذمى فى النسب إلى: «جذيمة». ولم يذكره سيبويه معه لأنه على وزنه، ولكن لأنه شاذ مثله فى القياس الذى ذكرناه عن سيبويه من تقيده بالضم، ذكره أبو على القالى فى البارع. وقال: هكذا تقيد فى النسخ الصحيحة من سيبويه فدل هذا كله على غلط من نسب إلى سيبويه أنه فتح الباء».

ابن قيس بن عيلان ، حليف لهم شهد بدراً ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مهاجراً من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

قال ابن هشام : رجلان .

٥ قال ابن إسحاق :

من شهدها من بنى ساعدة ابن كعب

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة ابن أبى خزيمة[١] بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب[٢] . والمنذر ابن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن جُشَم[٣] ابن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، شهد بدرا وأحداً ، وقتل يوم بئر معونة أميراً ١٠ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو الذى كان يقال له : أعنق ليموت[٤] . رجلان.

[قال ابن هشام :

ويقال : المنذر : ابنُ عمرو بن خنش][٥] .

قال ابن إسحاق :

فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ١٥ منهم ، يزعمون أنهما قد بايعتا ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا يصافح النساء ، إنما كان يأخذ عليهن ، فإذا أقررن قال: اذهبن فقد بايعتكنّ.

من شهدها من بنى مازن ابن النجار

ومن بنى مازن بن النجّار : نُسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن ، وهى أم عُمارة ، كانت شهدت الحرب مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وشهدت معها أختها . وزوجُها زيد بن عاصم بن كعب . ٢٠ وابناها : حبيب[٦] بن زيد ، وعبدالله بن زيد ـ وابنها حبيب[٦] الذى أخذه مُسيلمة

---

(١) ويقال : ابن أبى حليمة .

(٢) مات سعد بحوران من أرض الشام سنتين ونصف مضتا من خلافة عمر ، وقيل بل مات فى خلافة أبى بكر سنة إحدى عشرة .

(٣) فى الاستيعاب : «ابن ثعلبة بن الخزرج» .

٢٥ (٤) وقيل : « المعنق للموت » . راجع الاستيعاب .

(٥) زيادة عن ا .

(٦) فى م : « خبيب » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

الكذّاب الحنفىّ، صاحب اليمامة، فجعل يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟
فيقول : نعم ؛ فيقول : أفتشهد أنى رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ، فجعل يقطعه
عضوًا عضوًا حتى مات فى يده ، لا يزيده على ذلك ، إذا ذُكر له رسولُ الله
صلّى الله عليه وسلّم آمن به وصلّى عليه ، و إذا ذُكر له مُسيلمة قال : لا أسمع ـ
فخرجت إلى اليمامة مع المسلمين فباشرت الحربَ بنفسها . حتى قَتل الله مسيلمة ، ٥
ورجعت و بها اثنا عشر جرحا ، من بين طعنة وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثنى هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبّان عن
عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصعة .

من شهدها من بنى سلمة

ومن بنى سلمة : أم مَنيع ؛ واسمها : أسماء بنت عمرو بن عدىّ بن نابى بن عمرو
ابن سواد بن غَنْم بن كعب بن سَلمة . ١٠

نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال

قال محمد بن إسحاق المطلبى :

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قبل بيعة العقبة لم يُؤذن له فى الحرب ولم
تُحلل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن
الجاهل ، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم ١٥
عن دينهم، ونفَوْهم من بلادهم ، فهم من بين مَفتون فى دينه ، ومن بين معذّب فى
أيديهم ، و بين هارب فى البلاد فراراً منهم، منهم من بأرض الحبشة، ومنهم من
بالمدينة، وفى كل وجه ؛ فلما عَتَتْ قريش على الله عز وجل، وردّوا عليه ما أرادهم
به من الكرامة ، وكذبوا نبيَّه صلّى الله عليه وسلّم، وعذّبوا ونفَوْا من عَبَده ووحّده
وصدّق نبيّه واعتصم بدينه ، أذن الله عزّ وجلّ لرسوله صلّى الله عليه وسلّم فى ٢٠
القتال والانتصار ممن ظلمهم و بغى عليهم ، فكانت أوّل آية أنزلت فى إذنه
له فى الحرب و إحلاله له الدماء والقتال ، لمن بغى عليهم ، فيما بلغنى عن

عُروة بن الزبير وغيره من العلماء ، قولُ الله تبارك وتعالى : «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» ، أى أنّى إنما أحْللت لهم القتالَ لأنهم ظُلِموا ، ولم يَكُن لهم ذَنْب فيما بينهم وبين الناس ، إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر[1] ، يعنى النبى صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين ، ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه : «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ» ، أى حتى لا يُفْتَن مؤمن عن دينه «وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» ، أى حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره .

إذنه صلى الله عليه وسلم لمسلمى مكة بالهجرة

قال ابن إسحاق :

فلما أذن الله تعالى له صلّى الله عليه وسلّم فى الحرب ، وبايعه هذا الحىُّ من الأنصار على الإسلام والنُّصْرة له ولمن اتبعه ، وأوَى إليهم من المُسلمين ، أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أصحابَه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، واللحوق بإخوانهم من الأنصار ، وقال: إن الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها . فخرجوا أرْسالا[2] ، وأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة ينتظر أن يأذن له ربُّه فى الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة .

---

(1) العبارة من قوله « أى أنى » إلى هنا ساقطه فى ا .

(2) أرسالا : جماعة فى إثر جماعة .

ذكر المهاجرين إلى المدينة

هجرة أبي سلمة وزوجه وحديثها عما لقيا

فكان أوّل من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المهاجرين من قريش ، من بنى مَخْزوم : أبو سَلَمَة بن عبد الأسد بن هلال ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واُسمه : عبد الله ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكة من أرض ٥ الحبشة ، فلما آذتْه قريشٌ و بلغه إسلامُ من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى أبى إسحاقُ بن يسار عن سلمة بن عبد الله ابن عمر بن أبى سلمة ، عن جدّته أم سلمة ، زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، قالت :

لما أجمع أبو سلمة الخروجَ إلى المدينة رحَل لى بعيَره ثم حَملنى عليه ، وحمل ١٠ معى ابنى سلمةَ بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج بى يقودُ بى بعيرَه ، فلما رأته رجالُ بنى المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟ علامَ نتركك تسير بها فى البلاد ؟ قالت : فنزعوا خطام البعير من يده فأخذونى منه . قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهْط أبى سلمة ، فقالوا : لا والله ، لا نترك ابننا عندها إذ ١٥ نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا بُنَىَّ سلمةَ بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففرّق بينى و بين زوجى و بين ابنى . قالت : فكنت أخرج كلّ غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكى ، حتى أمسى سنةً أو قريباً منها ، حتى مرّ بى رجلُ من بنى عمّى ، أحدُ بنى المغيرة ، فرأى ما بى فرحمنى ، فقال ٢٠

لبنى المغيرة : ألاَ تُخْرِجون[1] هذه المسكينة ! فرّقتم بينها وبين زوجها وبين وَلدها ! قالت : فقالوا لى : الْحَقِى بزوجك إن شئتِ . قالت : وردّ بنوعبد الأسد إلىّ عند ذلك ابنى . قالت : فارتحلت بَعيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعته فى حِجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة . قالت : وما معى أحد من خَلْق الله . قالت : فقلت : أتبلّغ بمن لقيتُ حتى أَقْدَم على زوجى ؛ حتى إذا كنت بالتّنْعيم[2] لَقِيتُ عثمانَ بن طَلْحة بن أبى طلحة ، أخا بنى عبد الدار ؛ فقال لى : إلى أين يا بنت أبى أمية ؟ قالت : فقلت : أريد زوجى بالمدينة . قال : أوَ ما معك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله ، إلا الله وبُنَىّ هذا . قال : والله مالكِ من مَتْرَك ، فأخذ بخِطام البعير ، فانطلق معى يَهْوِى بى ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قطّ ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيرى ، فحطّ عنه ، ثم قيّده فى الشجرة ، ثم تنحّى [عنى][3] إلى شجرة ، فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرّواح قام إلى بعيرى فقدّمه فرَحله ، ثم استأخر عنى ، وقال : اركبى . فإذا ركبت واستويتُ على بعيرى أتى فأخذ بخطامه ، فقاده ، حتى ينزل بى . فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقْدمنى المدينة ، فلما نظر إلى قرية بنى عمرو بن عوف بقُباء ، قال : زوجك فى هذه القرية — وكان أبو سلمة بها نازلاً — فادخُليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة .

قال : فكانت تقول[4] : والله ما أعلم أهلَ بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آلَ أبى سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة[5] .

---

(١) فى الأصول : « ألا تخرجون من هذه ... الخ » .
(٢) التنعيم : موضع بين مكة وسرف ، على فرسخين من مكة .
(٣) زيادة عن ط .
(٤) هذه الكلمة ساقطة فى ا ، ط .
(٥) قد كان عثمان يوم هجرته بأم سلمة على الكفر ، وإنما أسلم فى هدنة الحديبية وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد ، وقتل يوم أحد إخوته مسافع وكلاب والحارث وأبوهم ، وقتل عمه عثمان بن أبى طلحة ، قتل أيضاً يوم أحد كافراً ، وبيده كانت مفاتيح الكعبة . ودفعها=

هجرة عامر وزوجه

قال ابن إسحاق :

ثم كان أوّل من قَدِمها من المهاجرين بعد أبي سَلَمة : عامر بن ربيعة ، حليف بني عديّ بن كعب ، معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم بن عبد الله ابن عَوْف بن عُبيد بن عُويج بن عديّ بن كعب . ثم عبدُ الله بن جحش

هجرة بني جحش

ابن رئاب بن يَعْمر بن صَبِرة بن مرّة بن كَثير[1] بن غَنْم بن دُودان بن أسد ٥ ابن خُزيمة ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد ابن جَحْش ، وهو أبو أحمد ـ وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر ، وكان يطوف مكة ، أعلاها وأسفلها، بغير قائد، وكان شاعراً، وكانت عنده الفَرْعة بنة أبي سفيان ابن حرب ، وكانت أمه أميمةَ بنت عبد المطلب بن هاشم ـ فغُلِّقت دارُ بني جحش[2] هجرةً ، فمرّ بها عُتبة بن ربيعة ، والعبّاس بن عبد المطلب ، وأبو جهل ١٠

= رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وإلى عمه شيبة ابن عثمان بن أبي طلحة ، وهو جد بني شيبة ، حجبة الكعبة . واسم أبي طلحة ، جدهم : عبد الله بن عبد العزى . وقتل عثمان رحمه الله شهيداً بأجنادين في أول خلافة عمر .

(١) كذا في ط ، والاستيعاب . وفي سائر الأصول : « كبير » .

١٥ (٢) قال السهيلي في ذكر بني جحش غير من ذكر ابن إسحاق : « وزينب بنت جحش أم المؤمنين ، التي كانت عند زيد بن حارثة ، ونزلت فيها : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها » . وأم حبيب بنت جحش التي كانت تستحاض ، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف ؛ وحمنة بنت جحش ، التي كانت تحت مصعب بن عمير ، وكانت تستحاض أيضاً . وقد روى أن زينب استحيضت أيضاً . ووقع في الموطأ : أن زينب بنت جحش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف، ٢٠ وكانت تستحاض ، ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن بن عوف ، ولا قاله أحد ، والغلط لا يسلم منه بشر . وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ، ويقال فيها : أم حبيبة ، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح أخبرني أن أم حبيب كان اسمها : زينب ، فهما زينبان ، غلبت على إحداهما الكنية ، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطأ وهم ولا غلط ، والله أعلم .

٢٥ وكان اسم زينب بنت جحش : برة ، سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم : زينب ، وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيبته عليه السلام ، كان اسمها : برة ، فسماها : « زينب » . كأنه كره أن تزكي المرأة نفسها بهذا الاسم .

وكان اسم « جحش بن رئاب » : « بُرة » . (بضم الباء) ، فقالت زينب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، لاغيرت اسم أبي ، فإن البرة صغيرة ؟ فقيل إن رسول الله =

ابن هشام بن المغيرة ، وهى دار أبان بن عثمان اليوم التى بالرّدْم[1] ، وهم مُصعِدون إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبةُ بن ربيعة تخفِق أبوابها يَبابًا[2] ، ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفّس الصُّعَداء ، ثم قال :

وكلّ دار وإن طالت سلامتُها ... يوماً ستدُركها النّكْباء والحُوبُ

٥ قال ابن هشام : وهذا البيت لأبى دُواد الإيادى فى قصيدة له . والحوب : التوجع ، [وهو فى موضع آخر : الحاجة ؛ ويقال : الحوب : الإثم][3] .

قال ابن إسحاق :

ثم قال عتبةُ [بن ربيعة][3] : أصبحت دار بَنِى جحش خلاءً من أهلها! فقال أبو جهل : وما تبكى عليه من قُلِّ بنِ قُلّ .

قال ابن هشام : القُل : الواحد . قال لَبيد بن ربيعة :

١٠ كلّ بنى حرّةٍ مصيرُهم ... قُلٌّ وإن أكثرتْ من العَدد

قال ابن إسحاق :

ثم قال : هذا عمل ابن أخى هذا ، فرّق جماعتنا ، وشتّت أمرنا ، وقطّع بيننا . فكان منزل أبى سلمة بن عبد الأسد ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله ابن جحش ، وأخيه أبى أحمد بن جحش ، على مبشّر بن عبد المنذر بن زنبر بقُباء ، ١٥ فى بنى عمرو بن عوف ، ثم قدم المهاجرون أرْسالا[4] ، وكان بنو غَنْم بن دُودان أهلَ إسلام ، قد أوْعبوا[5] إلى المدينة مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم هجرةً ، رجالهم ونساءهم : عبد الله بن جحش ، وأخوه أبو أحمد بن جحش ، وعُكّاشة ابن مِحْصن ، وشجاع ، وعقبة ، أبنا وهب ، وأربد بن حُمَيِّرة .

قال ابن هشام : ويقال ابن حُمْيَرة[6] .

---

٢٠ = صلى الله عليه وسلم قال لها : لو أبوك مسلما لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت ، ولكنى قد سميته : جحشا ، والجحش أكبر من البرة » . وقد فات السهيلى فيما استدركه أن ابن اسحاق ذكر هؤلاء بعد قليل .

(١) الردم : موضع بمكة .
(٢) اليباب : القفر .
٢٥ (٣) زيادة عن ا .
(٤) أرسالا : جماعة إثر جماعة .
(٥) يقال : جاءوا موعبين ؛ إذا جمعوا ما استطاعوا من جمع .
(٦) كذا فى الأصول ، وقد ضبط بالشكل فى (ا) فى المرة الأولى بضم الحاء وتشديد الياء مكسورة ، وفى الثانية بضم الحاء وإسكان الياء وفتح ثانيهما ، وهو فى الاستيعاب : « أربد ٣٠ ابن حمير » .

هجرة قوم شتى

قال ابن إسحاق :

ومُنْقِذ بن نُباتة ، وَسعيدُ بن رُقَيش ، ومُحْرِز بن نَضْلة ، ويزيد بن رُقَيش، وقيس بن جابر ، وعمرو بن مِحْصن ، ومالك بن عمرو ، وصَفْوان بن عمرو ، وثَقْف[1] بن عمرو ، وربيعة بن أكثم ، والزبير بن عبيد ، وتمّام بن عُبيدة ، وسَخْبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش . ٥

هجرة نسائهم

ومن نسائهم : زينب بنت جحش ، وأمّ حَبيب بنت جحش ، وجُذامة بنت جَنْدل ، وأمّ قيس بنت مِحْصن ، وأمّ حبيب بنت ثُمامة ، وآمنة[2] بنت رُقَيش ، وسَخْبرة بنت تميم ، وحَمْنة بنت جحش .

شعر أبي أحمد ابن جحش في هجرة بني أسد

وقال أبو أحمد بن جحش بن رئاب ، وهو يذكر هجرة بني أسد بن خزيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وإيعابهم في ذلك ، حين دُعوا إلى الهجرة : ١٠

ولو حلفتْ بين الصفا أمّ أحمد ... ومَرْوتهــا بالله برّت يمينُها
لنحن الألى كنّا بها ثم لم نزل ... بمكة حــتى عاد غثًّا سَمينها
بها خيّمت غَنْم بن دودان وابتنتْ ... وما[3] إن غدت غنم وخفّ قَطِينها[4]
إلى الله تغدو بين مَثْنى وواحد ... ودينُ رسول الله بالحقّ دينُها ١٥

وقال أبو أحمد بن جحش أيضاً :

لما رأتنى أمّ أحمد غاديًا ... بذمة من أخشى بغَيْب وأرهب[5]
تقول : فإما كنتَ لا بدّ فاعلاً ... فَيمِّم بنا البلدان ولتَنْأ يثرب[6]
فقلت لها : بل يثرب اليوم وجهنا[7] ... وما يشإِ الرحمنُ فالعبدُ يركب
إلى الله وَجهي والرسول ومن يقِم ... إلى الله يوماً وجهَه لا يُخيَّب ٢٠

---

(١) كذا في ا والاستيعاب . وفي سائر الأصول : « ثقيف » .
(٢) قال أبو ذر : « قال الأشى : صوابه : أميمة » .
(٣) في ا : « ومنها غدت » .
(٤) القطين : القوم المقيمون .
(٥) الذمة : العهد . ٢٥
(٦) يمم : قصد . وتنأى : تبعد .
(٧) في ا ، ط : * فقلت لها يثرب منا مظنة * .

فكم قد تركنا من حميم مُناصِح ... وناصحة تَبْكى بدَمْع وتندُب
ترى أن وتراً[1] نأْيُنا عن بلادنا[2] ... ونحن نرى أن الرغائب نطلب
دعوت بَنى غَنْم لِحَقْن دمائهم ... والحقّ لمّا لاح للناس مَلْحب[3]
أجابوا بحمد الله لما دعاهم ... إلى الحقّ داعٍ والنجاح[4] فأَوْعبوا[5]
٥ وكنا وأصحابًا لنا فارقوا الهدى ... أعانوا علينا بالسلاح وأَجْلبوا[6]
كفَوْجَيْن: أمّا منهما فموفّق ... على الحقّ مهدى، وفوج معذّب[7]
طغَوْا وتمنّوا كذبة وأزلّهم ... عن الحقّ إبليس فخابوا وخُيِّبوا
وَرِعْنا إلى قول النبيّ محمــد ... فطاب ولاة الحقّ منا وطُيِّبوا[8]
نَمُتّ بأرحام إليهم قريبـة ... ولا قرب بالأرحام إذ لا تُقَرِّب[9]
١٠ فأىُّ ابن أخت بعدنا يأمننّكم ... وأية صِهْر بعد صهرىَ تُرْقب
سـتعلم يومًا أينا إذ تزايلوا ... وزُيِّل أمر الناس للحقّ أصوب[10]

قال ابن هشام: قوله، ولتنأ يثرب، وقوله. «إذ لا تقرب»، عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: يريد بقوله: «إذ» إذا، كقول الله عزّ وجلّ: «إذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ». قال أبو النجم العجلى:

١٥ ثم جزاه الله عنا إذ جزى ... جنات عدن فى العلالى والعلا

(١) الوتر: طلب الثأر.
(٢) فى ا: «بلادها».
(٣) ملحب: طريق بين واضح.
(٤) فى ا: «النجاة».
٢٠ (٥) أوعبوا: اجتمعوا وكثروا.
(٦) كذا فى أكثر الأصول، وفى ا: «فأحلبوا». ومن رواه بالجيم، فمعناه: صاحوا. ومن رواه بالحاء المهملة، فمعناه: أعانوا.
(٧) الفوج: الجماعة من الناس.
(٨) ورعنا، أى رجعنا.
٢٥ (٩) نمت: نتقرب.
(١٠) تزايلوا: تفرقوا.

هجرة عمر وقصة عياش معه

قال ابن إسحاق :

ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي ، حتى قدما المدينة . فحدّثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : اتَّعدتُ ، لما أردنا الهجرةَ إلى المدينة ، أنا وعيّاش ابن أبي رَبيعة ، وهشام بن العاصي بن وائل السهميّ التَّناضِبَ[1] من أضاة[2] بنى غِفَار ، فوق سَرِف[3] وقلنا : أيّنا لم يُصْبِح عندها فقد حُبِس ، فَلْيَمْضِ صاحباه . قال : فأصبحتُ أنا وعيّاش بن أبي ربيعة عند التَّناضِب ، وحُبس عنا هشام ، وفُتن فافتتن .

تغرير أبي جهل والحارث بعياش

فلما قدمنا المدينةَ نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارثُ بن هشام إلى عيّاش بن أبي ربيعة ، وكان ابنَ عمهما وأخاهما لأمهما ، حتى قَدِما علينا المدينةَ ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة ، فكلّماه وقالا إن أُمّك قد نذرت أن لا يمسّ رأسَها مشطٌ حتى تراك ، ولا تستظلّ من شمس حتى تراك ، فرقّ لها ، فقلت له : يا عيّاش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرْهم ، فوالله لو قد آذى أمك القملُ لامتشطت ، ولو قد اشتدّ عليها حرُّ مكة لاستظلّت قال : فقال : أَبرّ قسَمَ أُمّي ، ولي هنالك مالٌ فآخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً ، فلك

---

(١) قال أبو ذر : «التناضب» ، يقال : هو اسم موضع ؛ ومن رواه بالكسر فهو جمع تنضب ، وهو شجر ، واحدته تنضبة ؛ وقيده الوقشي : «التناضِب» ، بكسر الضاد ، كما ذكرنا » .

(٢) أضاة بني غفار : على عشرة أميال من مكة .

(٣) سرف : موضع على ستة أميال من مكة . (راجع شرح السيرة لأبي ذر ، ومعجم البلدان ، ومعجم ما استعجم) .

نصفُ مالى ولا تذهبْ معهما . قال : فأبى علىّ إلا أن يخرج معهما ، فلما أبى إلا ذلك ؛ قال: قلت له. أمّا إذ قد فعلتَ مافعلت ، فخُذْ ناقتى هذه ، فإنها ناقةٌ نجيبة ذَلول ، فالزَمْ ظهرها ، فإن رابك من القوم ريبٌ ، فانجُ عليها .

فخرج عليها معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال له أبو جهل : يا بن ٥ أخى، والله لقد استغلظتُ بعيرى هذا ، أفلا تُعْقِبنى على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . قال: فأناخ ، وأناخاليتحوّل عليها، فلما استوَوْا بالأرض عدَوَا عليه ؛ فأوثقاه وربطاه، ثم دخلا به مكة ، وفتناه فافتتن .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى به بعض آل عيّاش بن أبى ربيعة :

أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهاراً موثقاً ، ثم قالا : يأهل مكة ، هكذا ١٠ فافعلوا بسُفهائكم ، كما فعلنا بسفيهنا هذا .

كتاب عمر إلى هشام ابن العاصى

قال ابن إسحاق : وحدّثنى نافع، عن عبدالله بن عمر، عن عمر فى حديثه، قال : فكنّا نقول : ما الله بقابلٍ ممن افتتن صَرْفاً ولاَ عدْلاً ولا توبة ، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم ! قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما قدم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ ، أنزل الله تعالى فيهم ، وفى قولنا ١٥ وقولهم لأنفسهم : «قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ . وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ » .

٢٠ قال عمر بن الخطاب : فكتبتها بيدى فى صحيفة ، وبعث بها إلى هشام ابن العاصى. قال : فقال هشام بن العاصى : فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طُوًى[1] ،

---

(١) ذو طوى (مقصوراً) : موضع بأسفل مكة .

أُصَعِّد بها فيه وأُصوّب ولا أفهمها ، حتى قلت : اللهم فهِّمنيها قال : فألقى الله تعالى في قلبي أنها إنما أُنزلت فينا، وفيما كنّا نقول في أنفسنا ، و يقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيرى ، فجلست عليه ، فلحقتُ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بالمدينة .

خروج الوليد ابن الوليد إلى مكة فى أمر عياش وهشام

قال ابن هشام : فحدّثنى من أثق به :

أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال ، وهو بالمدينة : مَنْ لى بعيّاش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاصى ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المُغيرة : أنا لك يارسول الله بهما ، فخرج إلى مكة، فقدِمها مستخفياً ، فلقى امرأة تحمل طعاما ، فقال لهـا : أين تريدين يا أمةَ الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين – تَعْنيهما – فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين فى بيت لاسَقْف له، فلما أمسى تسوّر عليهما، ثم أخذ مَرْوة[1] فوضعها تحت قَيْدَيْهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، فكان يقال لسيفه : «ذو المَرْوة» ، لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فعثر فَدَميت أصبعُه ، فقال :

هل أنتِ إلا أصبعٌ دميتِ وفى سبيل الله ما لقيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة .

منازل المهاجرين بالمدينة

منزل عمر وأخيه وابنا سراقة وبنو البكير وغيرهم

قال ابن إسحاق :

ونزل عمر بن الخطّاب حين قدم المدينةَ ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطّاب ؛ وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر ؛ وخُنَيس بن حُذافة السهمىّ – وكان صهرَه على ابنته حفصة بنت عمر ، فخلف عليها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعده – وسعيدُ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ؛ وواقد بن عبدالله التّميمىّ، حليف لهم ؛ وَخَوْلىّ بن أبى خَوْلى ؛ ومالك بن أبى خولى ، حليفان لهم .

(١) المروة : الحجر .

قال ابن هشام : أبو خولى . من بنى عجل بن لُجيم بن صَعْب بن علىّ بن بكر ابن وائل .

قال ابن إسحاق :

وبنو البُكير أربعتهم : إياس بن البكير ، وعاقل بن البكير ، وعامر ابن البكير ، وخالد بن البكير ، وحلفاؤهم من بنى سعد بن ليث ، على رفاعة ابن عبد المنذر بن زَنْبَر ، فى بنى عمرو بن عوف بقباء ، وقد كان منزل عيّاش ابن أبى ربيعة معه عليه حين قدما المدينة .

منزل طلحة وصهيب

ثم تتابع المهاجرون ، فنزل طلحةُ بن عبيد الله بن عثمان ، وصُهيب بن سنان على خُبيب[1] بن إساف[2] ، أخى بَلْحارث بن الخزرج بالسُّنْح[3] . ويقال[4] : بل نزل طلحة بن عُبيد الله على أسعد بن زُرارة ، أخى بنى النجّار .

قال ابن هشام : وذُكر لى عن أبى عثمان النّهدى ، أنه قال :

بلغنى أن صُهيباً حين أراد الهجرة قال له كفّار قريش ، أتيتنا صُعلوكا حقيراً ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ! فقال لهم صُهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلّون سبيلى ؟ قالوا : نعم . قال : فإنى جعلت لكم مالى . قال : فبلغ ذلك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم . فقال : رَبِح صهيب ! رَبِح صهيب !

منزل حمزة وزيد وأبى مرثد وابنه وأنسة وأبى كبشة

قال ابن إسحاق :

ونزل حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مَرْثد كنّاز بن حِصْن .

---

(١) ويقال فيه : يساف ، بياء مفتوحة فى رواية الكتاب . وهو ابن عتبة ، ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلما ، بل أخر إسلامه حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر . (عن الاستيعاب) .

(٢) خبيب هذا هو الذى خلف على بنت خارجة بعد أبى بكر الصديق ، واسمها حبيبة . ومات خبيب فى خلافة عثمان ، وهو جد خبيب بن عبد الرحمن الذى يروى عنه مالك فى موطئه .

(٣) هى بعوالى المدينة ، وبينها وبين منزل النبى صلى الله عليه وسلم ميل . (راجع معجم البلدان)

(٤) وزادت (م) قبل هذه الكلمة . « قال ابن هشام : ويقال : يساف ، فيما أخبرنى عنه ابن إسحاق » .

ـ قال ابن هشام : ويقال ، ابن حُصَين ـ وابنه مرثد الغنويان ، حليفا حمزة بن عبد المطلب ، وأَنَسة ،[1] وأبو كَبْشة[2] ، موليا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، على كلثوم بن هِدْم ، أخى بنى عمرو بن عوف بقُباء[3] ؛ ويقال : بل نزلوا على سعد بن خَيْثمة ؛ ويقال . بل نزل حمزةُ بن عبد المطلب على أسعد بن زُرارة ، أخى بنى النجّار . كلّ ذلك يقال .

منزل عبيدة وأخوا الطفيل وغيرهم

ونزل عُبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخوه الطُّفيل بن الحارث ، والحُصين ابن الحارث ، ومِسْطَح بن أُثَاثة بن عبّاد بن المطلب ، وسُويبط بن سعد بن حُريملة ، أخو بنى عبد الدار ، وطُليب بن عُمير ، أخو بنى عبد بن قصىّ ، وخبّاب[4] ، مولى عُتبة بن غَزْوان ، على عبدالله بن سلمة ، أخى بَلعجلان بقُباء .

منزل عبد الرحمن بن عوف

ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخى بَلْحارث بن الخزرج ، فى دار بَلْحارث بن الخزرج .

منزل الزبير وأبو سبرة

ونزل الزبير بن العوّام ، وأبو سَبْرة بن أبى رُهْم بن عبد العزّى ، على منذر بن محمد بن عُقْبة بن أُحَيحة بن الجُلاح بالعُصْبة ، دار بنى جَحْجَبى ،

---

(١) كان أنسة من مولدى السراة ، ويكنى أبا مسروح ، وقيل : أبا مشروح ، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات فى خلافة أبى بكر .

(٢) أصل أبى كبشة من فارس ، ويقال . بل هو مولد من مولدى أرض دوس ، واسم أبى كبشة : سليم ، وقد شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات فى خلافة عمر فى اليوم الذى ولد فيه عروة بن الزبير .

وأما الذى كانت كفار قريش تذكره ، وتنسب النبى صلى الله عليه وسلم إليه وتقول : قال ابن أبى كبشة . وفعل ابن أبى كبشة ، فقيل فيه أقوال ؛ قيل إنها كنية أبيه لأمه ، وهب ابن عبد مناف ؛ وقيل : كنية أبيه من ارضاعة الحارث بن عبد العزى ؛ وقيل : إن سلمى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها : أبا كبشة ، وهو عمرو بن لبيد . وأشهر من هذه الأقوال كلها عند الناس ، أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشعرى وحده دون العرب ، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه .

(٣) قباء : على فرسخ من المدينة .

(٤) قال أبو ذر : « وخباب ، مولى عتبة ، كذا وقع هنا بفتح الخاء المعجمة وتشديد الباء ، وروى أيضا : حباب ، بحاء مهملة مضمومة وباء مخففه . وخباب ، بالخاء المعجمة المفتوحة والباء المشددة ، قيده الدارقطنى » .

منزل مصعب

ونزل مُصْعب بن عُمير بن هاشم ، أخو بنى عبد الدار على سعد بن مُعاذ ابن النعمان ، أخى بنى عبد الأشهل ، فى دار بَنى عبد الأشهل

منزل أبى حذيفة وعتبة

ونزل أبو حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبى حذيفة ـ

قال ابن هشام : سالم مولى أبى حُذَيفة سائبة[1] ، لثُبَيْتة[2] بنت يَعَار[3] ابن زيد بن عُبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الأوس، سَيَّبته فانقطع إلى أبى حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة فتبنّاه ، فقيل: سالم مولى أبى حذيفة ، ويقال : كانت ثُبَيتة بنت يَعَار تحت أبى حُذيفة بن عُتبة ، فأعتقت سالماً سائبةً . فقيل : سالم مولى أبى حذيفة ـ

قال ابن إسحاق :

ونزل عُتْبة بن غَزْوان بن جابر على عبّاد بن بشر بن وَقْش ، أخى بنى عبد الأشهل ، فى دار عبد الأشهل .

منزل عثمان

ونزل عثمان بن عفّان على أوس بن ثابت بن المُنْذِر ، أخى حسّان بن ثابت فى دار بنى النجّار ، فلذلك كان حسّان يحب عثمان ويبكيه حين قتل .

وكان يقال : نزل الأعزاب[4] من المهاجرين على سعد بن خَيْثمة ، وذلك أنه كان عَزَبا ، فالله أعلم أىّ ذلك كان .

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

تأخر على وأبى بكر فى الهجرة

وأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذن له فى الهجرة ، ولم يتخلّف معه بمكة أحدٌ من المهاجرين إلا من حُبس أو فُتن ، إلا علىّ بن أبى طالب، وأبو بكر بن أبى قُحافة الصديق رضى الله عنهما،

---

(١) سائبة . أى لا ولاء عليه لأحد .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول « نبيتة » وهى رواية أخرى فيها . (راجع القاموس وشرحه مادتى ثبت ونبت) . كما قيل فيها ، عمرة ، وسلمى .

(٣) ويقال فيها أيضا : « بنت تعار » .

(٤) فى الأصول : « العزاب » . والتصويب عن شرح السيرة لأبى ذر .

وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تعجل لعلّ الله يجعل لك صاحباً ، فيطمع أبو بكر أن يكونه .

اجتماع الملأ من قريش وتشاورهم فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

ولما رأت قريش أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد صارت له شيعةٌ وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم مَنَعة ، فحَذِرُوا خروجَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحَرْبهم . فاجتمعوا له فى دار النَّدوة ــ وهى دار قصيّ بن كلاب التى كانت قريش لا تَقْضى أمراً إلا فيها ــ يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبدالله بن أبى نَجيح، عن مجاهد بن جُبير[1] أبى الحجّاج، وغيره ممن لا أتهم ، عن عبد الله بن عبّاس رضى الله عنهما قال :

لما أجمعوا لذلك واتعدُوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، غدَوْا فى اليوم الذى اتّعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمّى يومَ الزَّحْمة ، فاعترضهم إبليس فى هيئة شيخ[2] جليل ، عليه بتلة[3] ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد[4] سَمع بالذى اتعدتم له ، فحضر معكم ليسمع ماتقولون،

---

(١) كذا فى ا ، وشرح السيرة لأبى ذر . وفى سائر الأصول : « جبر » وهو تحريف.

(٢) جليل ، أى حسن ؛ يقال : جل الرجل ، وجلت المرأة ، إذا أسنت . قال الشاعر :

* وما حظها إن قيل عزت وجلت *

(٣) فى ا « بت » . والبتلة والبت : الكساء الغليظ .

(٤) قال السهيلى ... وإنما قال لهم، إنى من أهل نجد ، فيما ذكر بعض أهل السيرة ، لأنهم قالوا : لايدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة ، لأن هواهم مع محمد ؛ فلذلك تمثل لهم فى صورة شيخ نجدى.

وعسى أن لا يُعْدِمكم منه رأيًا ونُصحاً ، قالوا : أجل ، فادخل فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشرافُ قريش ؛ من بَنى عبد شمس : عُتبة بن رَبيعة ، وَشَيْبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف : طُعيمة بن عدىّ ، وجُبير بن مُطْعِم ، والحارث بن عامر بن نوفل . ومن بنى

٥ عبدالدار بن قصىّ : النضرُ بن الحارث بن كَلَدة . ومن بنى أسد بن عبدالعزّى : أبو البَخترى بن هشام ، وزَمْعة بن الأسود بن المطلب ، وحَكِيم بن حِزَام . ومن بنى مخزوم : أبو جهل بن هشام . ومن بنى سَهْم : نُبيه ومنبّه ابنا الحجّاج ، ومن بنى جُمَح : أُمية بن خلف ، ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعدّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ،

١٠ فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اُتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيًا . قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم : أحبِسوه فى الحديد، وأغلقوا عليه بابًا ، ثم تربّصوا به ما أصاب أشباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والنابغة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يُصيبه ما أصابهم [1] ، فقال الشيخ النجدىّ : لا والله ، ما هذا لكم برأى . والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنّ أمره من وراء الباب

---

١٥ = وقد ذكر فى خبر بنيان الكعبة أنه تمثل فى صورة شيخ نجدى أيضا ، حين حكموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر الركن من يرفعه ، فصاح الشيخ النجدى : يامعشر قريش ، أقد رضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوى أسنانكم ؟ فإن صح هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجديا ، وذلك أن نجدا منها يطلع قرن الشيطان ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قيل له : وفى نجدنا يارسول الله ؟ قال: هناك الزلازل والفتن، ومنها يطلع قرن

٢٠ الشيطان. فلم يبارك عليها كما بارك على اليمن والشام وغيرها .

وحديثه الآخر : أنه نظر إلى المشرق ، فقال : إن الفتنة هاهنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان.

وفى حديث ابن عمر : أنه حين قال هذا الكلام وقف عند باب عائشة ونظر إلى المشرق فقاله . وفى وقوفه عند باب عائشة ناظرا إلى المشرق يحذر من الفتن وفكر فى خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الاشارة ، واضمم إلى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول

٢٥ الفتن : أيقظوا صواحب الحجر » .

(١) كان صاحب هذا الرأى والمشير به أبا البخترى بن هشام .

الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يُكاثروكم به، حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأى، فانظروا فى غيره، فتشاوروا. ثم قال قائل منهم: نُخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أُخرج عنّا فوالله ما نُبالى أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنّا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وأُلفتنا كما كانت[1]. فقال الشيخ النجدىّ: لا والله، ما هذا لكم ٥
برأى، ألم تروا حُسْنَ حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حىّ من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فى بلادكم، فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبّروا[2] فيه رأيا غير
هذا. قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه ١٠
بعد؛ قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة فتى شابّا جليداً نَسيباً وسيطاً[3] فينا، ثم نعطى كل فتى منهم سيفاً صارما، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربةَ رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه فى القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا،
فرضوا منا بالعقل، فعقلناه لهم. قال: فقال الشيخ النجدى: القول ماقال الرجل، ١٥
هذا الرأى الذى لا رأى غيره، فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

خروج النبي صلى الله عليه وسلم واستخلافه عليا على فراشه

فأتى جبريلُ عليه السلام رسول الله صلّى الله عليه وسلم فقال: لا تَبِتْ هذه الليلةَ على فراشك الذى كنت تبيت عليه. قال: فلمّا كانت عَتْمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام، فيثبون عليه، فلما رأى رسولُ الله صلّى
الله عليه وسلّم مكانهم قال لعلىّ بن أبى طالب: نَمْ على فراشى وتَسجّ[4] ببُرْدى ٢٠

---

(١) صاحب هذا الرأى أبو الأسود ربيعة بن عامر، أحد بنى عامر بن لؤى.
(٢) فى ا: «أديروا».
(٣) الوسيط: الشريف فى قومه.
(٤) تسجى بالثوب: غطى به جسده ووجهه.

هذا الحَضْرمى الأخضر ، فنَمْ فيه ، فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم ،
وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينام فى بُرْده ذلك إذا نام .

قال ابن إسحاق: فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرظى .

قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم : أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن
٥ محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد
موتكم ، فجُعلت لكم جِنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم
بُعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تُحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، فأخذ حَفْنة من تراب
فى يده ، ثم قال : أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم
١٠ عنه ، فلا يَرَوْنه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رءوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات
من يس : « يٰس وَالْقُرْآنِ الحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ » إلى قوله : « فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ » حتى فرغ
رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد
وضع على رأسه ترابًا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آتٍ ممن
١٥ لم يكن معهم فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا . محمداً ؛ قال : خيّبكم الله ! قد
والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابًا ،
وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كلّ رجل منهم يده على
رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلّعون فيَرَوْن عليًا على الفراش متسجيًا
بِبُرْد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمدٌ نائما ،
٢٠ عليه بردُه . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا[1] . فقام علىّ رضى الله عنه عن
الفراش ، فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى حدثنا .

(١) قال السهيلى : « وذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحم عليه فى الدار
مع قصر الجدار وأنهم إنما جاءوا لقتله، فذكر فى الخبر أنهم هموا بالولوج عليه، فصاحت امرأة
من الدار ، فقال بعضهم لبعض : والله إنها للسبة فى العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان
٢٥ على بنات العم، وهتكنا ستر حرمتنا ، فهذا هو الذى أقامهم بالباب،أصبحوا ينتظرون خروجه،
ثم طمست أبصارهم على من خرج » .

ما نزل من القرآن فى تربص المشركين بالنبى

قال ابن إسحاق :

وكان مما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن فى ذلك اليوم ، وما كانوا أجمعوا له : « وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » ، وقول الله عزّ وجلّ : « أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ » . ٥

قال ابن هشام : المنون : الموت . وريب المنون : ما يريب ويعرض منها . قال أبو ذؤيب الهذلى :

أمِنَ المَنون ورَيْبها تتوجّع والدهر ليس بمُعْتِب من يجزعُ

وهذا البيت فى قصيدة له . ١٠

قال ابن إسحاق :

وأذن الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم عند ذلك فى الهجرة .

طمع أبى بكر فى أن يكون صاحب النبى فى الهجرة وما أعد لذلك

قال ابن إسحاق :

وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلاً ذا مال ، فكان حين استأذن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الهجرة ، فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا تعجل ، ١٥ لعلّ الله يجعل لك صاحباً ، قد طمع بأن يكون رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إنما يعنى نفسه، حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين ، فاحتبسهما فى داره ، يعلفهما إعداداً لذلك .

حديث هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فحدثنى من لا أتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أمّ المؤمنين أنها قالت : ٢٠

كان لا يخطئ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهرى

قومه ، أتانا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالهاجرة ، فى ساعة كان لا يأتى فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر ، قال : ما جاء رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم هذه الساعةَ إلا لأمر حدَث . قالت : فلما دخل تأخّر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أَخْرج عنى مَنْ عندك ؛ فقال : يارسول الله ، إنما هما ابنتاى[1] ، وماذاك ؟ فداك أبى وأمى ! فقال : إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة . قالت : فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ؛ قال : الصحبة . قالت : فوالله ماشعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ ، ثم قال : يا نبىّ الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا . فاستأجَرَا عبدَ الله بن أرقط ـ رجلا من بنى الدّئل ابن بكر ، وكانت أمه امرأة من بنى سَهْم بن عمرو ، وكان مشركًا ـ يدلهما على الطريق ، فدفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .

من كان يعلم بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

ولم يَعلم، فيما بلغنى ، بخروج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحد، حين خرج، إلا علىّ بن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبى بكر . أما علىّ ، فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ـ فيما بلغنى ـ أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلّف بعده بمكة ، حتى يؤدّى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الودائع ، التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليس بمكة أحدٌ عنده شىء يُخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته صلّى الله عليه وسلّم .

---

(١) فى جامع البخارى : «إنما هم أهلك» . وقد كان أبو بكر أنكح عائشة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك .

قصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر فى الغار

قال ابن إسحاق :

فلما أجمع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبى قُحافة، فخرجا من خَوْخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار بِثَوْرٍ - جبل بأسفل مكة - فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنَه عبد الله بن أبى بكر أن يتسمّع لهما ما يقول الناس فيهما نهارَه ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر؛ ٥ وأمر عامرَ بن فُهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما ، يأتيهما إذا أمسى فى الغار . وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يُصلحهما .

قال ابن هشام : وحدّثنى بعض أهل العلم ، أن الحسن بن أبى الحسن البصرى قال : ١٠

انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلَمس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حيّة ، يَقِى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بنفسه .

ابنا أبى بكر وابن فهيرة يقومون بشئون الرسول وصاحبه وهما فى الغار

قال ابن إسحاق :

فأقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ، وجعلت ١٥ قريش فيه ، حين فقدوه ، مائةَ ناقة ، لمن يردّه عليهم . وكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأتمرون به ، وما يقولون فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر ابن فُهيرة ، مولى أبى بكر رضى الله عنه ، يرعى فى رُعْيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبى بكر غدا من ٢٠ عندهما إلى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفّى عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذى استأجراه ببعيرَيْهما و بعير له ،

وأتتهما أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما بسُفْرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عِصامًا[1] . فلما ارتحلا ذهبت لتعلّق السفرة فإذا ليس لها عصام ؛ فتحلّ نِطاقها فتجعله عصاما ، ثم علّقتها به .

سبب تسمية أسماء بذات النطاق

فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر : ذات النطاق ، لذلك .

٥ قال ابن هشام :

وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين . وتفسيره : أنها لما أرادت أن تعلّق السفرة شقّت نطاقها باُثنين ، فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر .

أبو بكر يقدم راحلة للرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

١٠ فلما قرّب أبو بكر ، رضى الله عنه ، الراحلتين إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قدّم له أفضلهما ثم قال : اركب ، فداك أبى وأمى ؛ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنى لا أركب بعيراً ليس لى ؛ قال : فهى لك يارسول الله، بأبى أنت وأُمى ؛ قال : لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ؛ قال : قد أخذتها به ؛ قال : هى لك يا رسول[2] الله . فركبا وانطلقا ، وأَرْدف ١٥ أبو بكر الصديق رضى الله عنه عامرَ بن فُهيرة مولاه خلفه، ليخدُمهما فى الطريق .

ضرب أبى جهل لأسماء

قال ابن إسحاق : فحُدثت عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت :

لما خرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبو بكر رضى الله عنه أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجتُ إليهم؛ فقالوا : أين أبوك يا بنتَ أبى بكر ؟ قالت : قلت : لا أدرى والله أين

---

٢٠ (١) العصام : ماتعلق به السفرة وغيرها .

(٢) إنما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحلة منه إلابثمنها رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة ، وأن تكون الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما .

أبى ؟ قالت : فرفع أبو جهل يدَه ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلطم خدّى لطمة طرح منها قُرطى .

خبر الهاتف من الجن عن طريق الرسول صلى الله عليه وسلم فى هجرته

قالت : ثم انصرفوا . فمكثنا ثلاث ليال ، وما ندرى أين وجهُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى أقبل رجلٌ من الجنّ من أسفل مكة ، يتغنّى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته وما يَرَوْنه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزَى اللهُ ربُّ الناس خيرَ جَزائه ... رفيقَيْن حلاَّ خَيْمَتَىْ أمِّ مَعْبَدِ

هما نزلا بالبرِّ ثم تروّحا ... فأفلح من أمسى رفيقَ محمدِ

ليهنِ بنى كعب مكانُ فتاتِهم ... ومقعدُها للمؤمنين بمرصد[1]

نسب أم معبد

قال ابن هشام :

أمّ معبد[2] بنت كعب ، امرأة من بَنى كَعْب ، من خُزاعة . وقوله :

---

(١) ويروى أن حسان بن ثابت لما بلغه شعر الجنى وماهتف به فى مكة قال أبياتا ، مطلعها :

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم ... وقدسر من يسرى إليهم ويغتدى

(٢) واسم أم معبد : عاتكة بنت خالد . ويحكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على خيمتها هو وأبو بكر ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة ودليلهما ، وكانت أم معبد برزة جلدة تحتبى بفناء القبة ، ثم تسقى وتطعم ، فسألوها لحما وتمرا يشترونه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئاً ، وكان القوم مرملين مسنتين ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة بكسر الخيمة ، فقال : ماهذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ؛ فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك ؛ قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : بأبى أنت وأمى ! إن رأيت بها حلبا فاحلبها . فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها ، فسمى الله تعالى ، ودعا لها فى شأنها ، فتفاجت عليه ، ودرت واجترت ، ودعا بإناء يربض الرهط ، فحلب فيه ثجا ، حتى علاه لبنها ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم ، ثم أراضوا ، ثم صب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ، ثم بايعها على الإسلام ، ثم ارتحلوا عنها . فما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال : من أين لك هذا يا أم معبد ؟ والشاة عازب حيال ، ولا حلوب فى البيت ؟ قالت : لا والله ، إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك ، من حاله كذا وكذا ؛ قال : صفيه يا أم معبد ؛ فوصفته له فى كلام طويل ، كله الحق . قال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ماذكر بمكة ، لقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا .

« حلا خيمتى » ، و « هما نزلا بالبر ثم تروحا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق :

قالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما : فلما سمعنا قوله، عرفنا حيث وَجْه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأن وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وعامر بن فُهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله بن أرقط دليلهما .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن أُريقط .

أبو قحافة وأسماء بعد هجرة أبى بكر

قال ابن إسحاق : فحدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عبّادا حدّثه عن جدته أسماء بنت أبى بكر قالت :

لما خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر مالَه كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت ، فدخل علينا جدّى أبو قحافة ، وقد ذهب بصره فقال : والله إنى لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبتِ ! إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : فأخذت أحجاراً فوضعتها فى كوّة فى البيت، الذى كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده، فقلت: يا أبت، ضَعْ يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان تَرَكَ لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم . ولا والله ماترك لنا شيئاً ، ولكنى أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

سراقة وركوبه فى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: وحدثنى الزهرى أن عبد الرحمن بن مالك بن جُعْشُم حدثه عن أبيه عن عمه سراقة بن مالك بن جُعشم[1] قال :

---

(١) ويذهى نسب سراقة إلى بنى مدلج ، وهم بنو مدلج بن مرة بن تميم بن عبد مناف ابن كنانة . (راجع المقتضب ، والمعارف ، والاستيعاب ، والروض) .

لما خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من مكة مهاجرا إلى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن ردّه عليهم . قال : فبينا أنا جالس فى نادى قومى إذ أقبل رجلٌ منّا ، حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت رَكَبة ثلاثة مرّوا علىّ آنفاً ، إنى لأراهم محمداً وأصحابه . قال : فأومأت إليه بعينى : أن اُسكت ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم ؛ قال : لعله ، ثم سكت . قال : ثم مكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت بيتى ، ثم أمرت بفرسى ، فقيد لى إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحى ، فأُخرج لى من دُبُر حجرتى ، ثم أخذت قِداحى التى أستقسم بها ، ثم انطلقت ، فلبستُ لأْمتى[1] ، ثم أخرجت قِداحى ، فاستقسمت بها ؛ فخرج السهم الذى أكره «لايضره»[2] . قال: وكنت أرجو أن أردّه على قريش فآخذ المائة الناقة . قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسى يشتدّ بى عثر بى فسقطت عنه . قال : فقلت: ما هذا ؟ قال : ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها، فخرج السهم الذى أكره «لايضره» . قال : فأبيت إلا أن أتبعه . قال : فركبت فى أثره ، فبينا فرسى يشتدّ بى عثر بى فسقطت عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ قال : ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذى أكره «لايضره». قال : فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت فى أثره . فلما بدا لى القوم ورأيتهم ، عثر بى فرسى، فذهبت يداه فى الأرض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض، وتبعهما دخان كالإعصار[3] . قال : فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنع منى ، وأنه ظاهر . قال : فناديت القوم فقلت : أنا سُراقة بن جُعْشُم : انظرونى أكلّمكم ، فوالله لا أُريبكم ، ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه . قال : فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لأبى بكر : قل له : وما تبتغى منا ؟ قال : فقال

(١) اللأمة : الدرع والسلاح .

(٢) لايضره ، أى السهم المكتوب فيه هذه الكلمة .

(٣) الإعصار : ريح معها غبار .

ذلك أبو بكر قال: قلت: تكتب لى كتابا يكون آية بينى و بينك. قال: اكتبْ له يا أبا بكر.

إسلام سراقة

[قال][1] فكتب لى كتابا فى عَظْم، أو فى رقعة، أو فى خَزَفة، ثم ألقاه إلىّ، فأخذته، فجعلته فى كِنانتى ثم رجعت[2]، فسكتّ فلم أذكر شيئاً مما كان، حتى إذا كان فتحُ مكة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وفرغ من حُنين والطائف، خرجت ومعى الكتاب لألقاه، فلقيته بالجِعْرانة[3]. قال: فدخلت فى كَتِيبة من خيل الأنصار. قال: فجعلوا يقرعوننى بالرماح و يقولون: إليك [إليك] [1]، ماذا تريد؟ قال: فدنوتُ من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو على ناقته، والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غَرْزه[4] كأنها جُمّارة. قال: فرفعت يدى بالكتاب، ثم قلت: يارسول الله، هذا كتابك [لى] [1]، أنا سُراقة بن جُعْشم؛ قال: فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: يوم وفاء و برّ، ادْنُهْ. قال: فدنوت منه فأسلمت. ثم تذكرت شيئاً أسأل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عنه فما أذكره، إلا أنى قلت: يا رسول الله، الضالة من الإبل تَغْشى حياضى، وقد ملأتها لإبلى، هل لى من أجر فى أن أسقيها؟ قال: نعم، فى كلّ ذات كبد حرّى أجر. قال: ثم رجعت إلى قومى، فسقتُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صَدَقتى.

تصويب نسب عبد الرحمن الجعشمى

قال ابن هشام:

عبد الرحمن ابنُ الحارث بن مالك بن جُعْشم.

---

(1) زيادة عن ا.

(2) ويحكى أن أبا جهل لام سراقة حين رجع بلا شىء، فقال سراقة:

أبا حكم والله لو كنت شاهدا ... لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإننى ... أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم ... بأن جميع الناس طرا يسالمه

(راجع الروض الأنف).

(3) الجعرانة (بكسر أوله، وقيل: بكسر عينه، وتشديد رائه): ماء بين الطائف ومكة، وهى إلى مكة أقرب. (راجع معجم البلدان).

(4) الغرز للرحل: بمنزلة الركاب للسرج.

طريقه صلى الله عليه وسلم فى هجرته

قال ابن إسحاق :

فلما خرج بهما دليلُهما عبدُ الله بن أَرْقط، سلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفان ، ثم سلك بهما على أسفل أَمَج ، ثم استجاز بهما، حتى عارض بهما الطريق ، بعد أن أجاز قُدَيدا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك، فسلك بهما الخَرَّار ، ثم سلك بهما ثَنيّة المَرَة ، ثم سلك بهما لِقْفاً .

قال ابن هشام : ويقال : لِفْتا . قال مَعْقِل بن خُويلد الهُذلى :

نزيعاً مُحْلِبا من أهل لِفْت لحيٍّ بين أَثْلة والنِّحام

قال ابن إسحاق :

ثم أجاز بهما مَدْلجَةَ لِقْف ، ثم استبطن بهما مَدْلجة مَحَاج — ويقال : مِجَاج[1] ، فيما قال ابن هشام — ثم سلك بهما مَرْجِح محَاج ، ثم تبطّن بهما مَرْجِح من ذى الغَضوين — قال ابن هشام : ويقال : العَضَوين — ثم بطن ذى كَشْر[2] ، ثم أخذ بهما على الجَدَاجِد ، ثم على الأَجْرد ، ثم سلك بهما ذا سَلَم ، من بطن أَعْداء مَدْلَجَة تِعْهِن[3] ، ثم على العَبابِيد . قال ابن هشام : ويقال : العَبابيب ؛ ويقال : العِثْيانة . يريد « العبابيب » .

قال ابن إسحاق :

ثم أجاز بهما الفاجّة ؛ ويقال : القاحة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن هشام : ثم هبط بهما العَرْج ، وقد أبطأ عليهما بعضُ ظهرهم ، فحمل رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم رجلٌ من أسلم ، يقال له : أوس بن حُجْر ، على جمل له — يقال له : ابن الرِّداء — إلى المدينة ، وبعث معه غلاما له ، يقال له : مسعود ابن هُنيدة ثم خرج بهما دليلهما من العرج ، فسلك بهما ثَنيّة العائر ، عن يمين رَكُوبة — ويقال : ثنيه الغائر ، فيما قال ابن هشام — حتى هبط بهما بطن رِئْم ،

(١) قال ياقوت ، وقد ذكر هاتين الروايتين : «والصحيح عندنا فيه غير ما روياه ، جاء فى شعر ذكره الزبير بن بكار ، وهو مجاح ، بفتح الميم ثم جيم وآخره حاء . والشعر هو :

لعن الله بطن لقف مسيلا ومجاحا وما أحب مجاحا
لقيت ناقتى به وبلقف بلدا مجدبا وأرضا شحاحا

(٢) فى الأصول : «كشد» . وهو تحريف . (راجع معجم البلدان) .

(٣) تعهن : اسم عين ماء على ثلاثة أميال من السقياء، بين مكة والمدينة.

ثم قدم بهما قُباء ، على بنى عمرو بن عوف ، لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتدّ الضَّحَاء ، وكادت الشمس تعتدل .

قدومه صلى الله عليه وسلم قباء

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عُوَيم بن ساعدة ، قال : حدّثنى رجال من قومى من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قالوا :

لما سمعنا بمَخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من مكة ، وتوكّفنا[1] قدومه ، كنا نخرج إذا صلينا الصبح ، إلى ظاهر حَرّتنا ننتظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمسُ على الظّلال ، فإذا لم نجد ظلا دخلنا ، وذلك فى أيام حارة . حتى إذا كان اليوم الذى قدم فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، جلسنا كما كنا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظلّ دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع ، وأنّا ننتظر قدوم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قَيْلة[2] ، هذا جَدُّكم قد جاء . قال : فخرجنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو فى ظلّ نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه فى مثل سنّه ، وأكثرُنا لم يكن رأى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل ذلك ، وركِبه[3] الناس ومايعرفونه من أبى بكر ، حتى زال الظل عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقام أبو بكر فأظلّه بردائه ، فعرفناه عند ذلك[4] .

---

(١) توكفنا قدومه : استشعرناه وانتظرناه .

(٢) بنو قيلة ، هم الأنصار ، وقيله : اسم جدة كانت لهم .

(٣) ركبه الناس ، أى ازدحموا عليه .

(٤) كان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة من ربيع الأول ، وقيل : قدمها لثمان خلون من ربيع الأول . كما قيل : إن خروجه عليه الصلاة والسلام من الغار كان يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول .

منازله صلى الله عليه وسلم بقباء

قال ابن إسحاق :

فنزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم - فيما يذكرون - على كُلْثوم[1] ابن هِدْم ، أخي بنى عمرو بن عوف ، ثم أحد بنى عُبيد ؛ ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثمة . ويقول من يذكر أنه نزل على كُلثوم بن هِدْم : إنما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا خرج من منزل كلثوم بن هدْم جلس للناس فى بيت سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عَزَبًا لا أهل له ، وكان منزل الأعزاب[2] من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المهاجرين ، فمن هنالك يقال : نزل على سعد بن خيثمة . وكان يقال لبيت سعد بن خيثمة : بيت الأعزاب . فالله أعلم أىّ ذلك كان ، كلاًّ قد سمعنا .

منزل أبي بكر بقباء

ونزل أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه على خُبَيْب بن إساف ، أحد بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنْح . ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد بن أبى زُهير ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

منزل على بن أبي طالب بقباء

وأقام علىّ بن أبى طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها ، حتى أدّى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الودائع التى كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فنزل معه على كُلثوم بن هِدْم .

ابن حنيف وتكسيره الأصنام

فكان علىّ بن أبى طالب ، وإنما كانت إقامته بقُباء ليلة أو ليلتين ، يقول:

(1) هو كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس ، وكان شيخا كبيرا، مات بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بيسير ، وهو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم مات بعده أسعد بن زرارة بأيام . وكان كلثوم يكنى أبا قيس . (راجع الاستيعاب ، والروض) .

(2) فى الأصول : « العزاب » وهو تحريف .

كانت بقُباء امرأة لا زوج لها ، مسلمة . قال فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيها شيئاً معه فتأخذه . قال : فاستربتُ بشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كلّ ليلة ، فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدرى ما هو ، وأنت امرأة ٥ مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حُنَيف بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لا أحد لى ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم جاءنى بها ، فقال : احتطبى بهذا ، فكان علىّ رضى الله عنه يأثر[1] ذلك من أمر سهل بن حُنيف ، حتى هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى هذا ، من حديث علىّ رضى الله عنه ، هندُ بن ١٠ سعد بن سهل بن حنيف ، رضى الله عنه .

بناء مسجد قباء

قال ابن إسحاق :

فأقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بقُباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسّس مسجدَه[2] .

خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء وسفره إلى المدينة

ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه ١٥ مكث فيهم أكثر من ذلك ، فالله أعلم أى ذلك كان . فأدركت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الجمعة فى بنى سالم بن عوف ، فصلاّها فى المسجد الذى فى بطن الوادى ، وادى رانُوناء[3] ، فكانت أولَ جمعة صلاّها بالمدينة .

اعتراض القبائل له صلى الله عليه وسلم تبغى نزوله عندها

فأتاه عِتْبان بن مالك ، وعبّاس بن عُبادة بن نَضلة فى رجال من بنى سالم ابن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ، أقم عندنا فى العدد والعدّة والمَنَعة ؛ قال :

---

٢٠ (١) يأثر ذلك : يحدث به .

(٢) ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول من وضع حجرا فى قبلته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه إلى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أخذ الناس فى البنيان . وكان مسجد قباء أول مسجد بنى فى الإسلام .

(٣) فى غير سيرة ابن إسحاق : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم فى بطن الوادى ٢٥ فى بنى سالم . (راجع معجم البلدان عند الكلام على رانوناء) .

خلّوا سبيلَها ، فإنها مأمورة ، لناقته ؛ فخلّوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بنى بَيَاضة ، تلقّاه زياد بن لَبيد ، وفَرْوة بن عمرو ، فى رجال من بنى بَيَاضة، فقالوا : يا رسول الله : هلمّ إلينا ، إلى العدد والعدّة والمَنَعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرّت بدار بنى ساعدة اعترضه سعدُ بن عُبادة، والمنذر بن عمرو ، فى رجال من بنى ساعدة ، فقالوا : يارسول الله، ٥
هلمّ إلينا إلى العدد والعدّة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلّوا سبيلَها فانطلقت . حتى إذا وازنت دارَ بنى الحارث بن الخزرج، اعترضه سعدُ بن الربيع، وخارجةُ بن زيد ، وعبد الله بن رَوَاحة ، فى رجال من بنى الحارث بن الخزرج ، فقالوا : يا رسول الله ، هلمّ إلينا ، إلى العدد والعدّة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلُّوا سبيلها . فانطلقت . حتى إذا مرّت بدار بنى عدىّ بن النجّار، ١٠
وهم أخواله دِنْيا ـ أم عبد المطلب ، سَلْمى بنت عمرو ، إحدى نسائهم ـ اعترضه سَليط بن قيس ، وأبو سَليط ، أُسَيرة بن أبى خارجة ، فى رجال من بنى عدىّ ابن النجّار ، فقالوا : يارسول الله ، هلمّ إلى أخوالك ، إلى العدد والعدّة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت .

مبرك ناقته صلى الله عليه وسلم بدار بنى مالك بن النجار

حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجّار ، بركت على باب مسجده ١٥
صلّى الله عليه وسلّم ، وهو يومئذ مِرْبد[1] لغلامين يتيمَيْن من بنى النجّار ، ثم من بنى مالك بن النجّار ، وهما فى حِجْر مُعاذ بن عفراء ، سَهْل وسُهيل ابنى عمرو . فلما بركت ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عليها لم ينزل ، وثبت فسارت غيرَ بعيد ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم واضع لها زِمامها لاَيَثْنيها به ، ثم التفتت إلى خلفها ، فرجعت إلى مبركها أوّل مرّة ، فبركت فيه ، ٢٠

---

(١) المربد : الموضع الذى يجفف فيه التمر .

ثم تَحَلْحلتْ[1] وَرَزَمتْ[2] ووضعتْ جِرانها[3]، فنزل عنها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[4] ، فاحتمل أبو أيوب خالدُ بن زيد رحلَه فوضعه فى بيته ، ونزل عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وسأل عن المِرْبد لمن هو ؟ فقال له معاذ ابن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسُهيل ابنى عمرو[5] ، وهما يتيمان لى ،

٥ وسأُرضيهما منه ، فاتخذْه مسجداً .

بناء مسجد المدينة ومساكنه صلى الله عليه وسلم

قال : فأمر به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُبنى مسجداً ، ونزل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أبى أيّوب حتى بنى مسجده ومساكنه، فعمل فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليرغّب المسلمين فى العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار . ودأبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

١٠ لئِنْ قعدنا والنبيُّ يَعْمَلُ لذاك منّا العملُ المضلَّلُ

---

(١) قال السهيلى عند الكلام على معنى (تحلحلت) : . وفسره ابن قتيبة على « تلحلح » أى لزم مكانه ولم يبرح ، وأنشد :

أناس إذا قيل انفروا قد أتيتم أقاموا على أثقالهم وتلحلحوا

قال : وأما تحلحل (بتقديم الحاء على اللام) فمعناه : زال عن موضعه . وهذا الذى قاله

١٥ قوى من جهة الاشتقاق ، فإن (التلحلح) يشبه أن يكون من: لحت عينه، إذا التصقت ، وهو ابن عمى لحا . وأما (التحلحل) فاشتقاقه من الحل ، والانحلال بين، لأنه انفكاك شىء من شىء . ولكن الرواية فى سيرة ابن إسحاق (تحلحلت) بتقديم الحاء على اللام ، وهو خلاف المعنى ، إلا أن يكون مقلوبا من (تلحلحت) فيكون معناه : لصقت بموضعها وأقامت ، على المعنى الذى فسره به ابن قتيبة فى (تلحلحت) . وقال أبو ذر : « تحلحلت : معناه : تحركت وانزجرت » .

٢٠ (٢) يقال : رزمت الناقة رزوما ، وذلك إذا أقامت من الكلال .

(٣) الجران : مايصيب الأرض من صدر الناقة وباطن حلقها .

(٤) ويقال : إن الناقة لما ألقت بجرانها فى دار بنى النجار جعل رجل من بنى سلمة ، وهو جبار بن صخر ، ينخسها رجاء أن تقوم فتبرك فى دار بنى سلمة ، فلم تفعل.

(٥) سهل وسهيل، هما ابنا رافع بن عمرو بن أبى عمرو بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك

٢٥ ابن النجار . وقد شهد سهيل بدرا والمشاهد كلها ومات فى خلافة عمر ؛ ولم يشهد سهل بدرا وشهد غيرها ومات قبل أخيه سهيل .

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون :

لا عيش إلا عيش الآخره اللهم ارحم الأنصار والمهاجره

قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز .

قال ابن إسحاق :

فيقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين والأنصار .

إخبار الرسول لعمار بقتل الفئة الباغية له

قال: فدخل عمّار بن ياسر ، وقد أثقلوه باللَّبِن فقال: يا رسول الله ، قتلونى ، يحملون علىّ ما لا يحملون . قالت أم سلمة زوج النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم : فرأيت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ينفض وَفْرته بيده ، وكان رجلا جعداً وهو يقول : ويح ابن سُميّة ! ليسوا بالذين يقتلونك . إنما تقتلك الفئة الباغية .

ارتجاز على ابن أبى طالب فى بناء المسجد

وارتجز علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يومئذ :

لا يستوى من يعمُر المساجدا يدأب فيه قائما وقاعدا

* ومن يرى عن الغبار حائدا[1] *

قال ابن هشام : سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز ، فقالوا : بلغنا أن علىّ بن أبى طالب ارتجز به ، فلا يُدرى : أهو قائله أم غيره .

ما كان بين عمار وأحد الصحابة من مشادة

قال ابن إسحاق :

فأخذها عمّار بن ياسر فجعل يرتجز بها .

قال ابن هشام : فلما أكثر ، ظنّ رجل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه إنما يعرّض به ، فيما حدّثنا زياد بن عبد الله البكائى عن ابن إسحاق . وقد سمّى ابن إسحاق الرجل[2]

(١) حائدا : مائلا .

(٢) قال السهيلى : «وقد سمى ابن إسحاق الرجل وكره ابن هشام أن يسميه كى لا يذكر أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكروه، فلا ينبغى أبدا البحث عن اسمه . »
وقال أبو ذر : « وقد سمى ابن إسحاق الرجل فقال : إن هذا الرجل هو عثمان بن عفان رضى الله عنه» . وفى المواهب اللدنية : أنه عثمان بن مظعون .

وصاة الرسول صلى الله عليه وسلم بعمار

قال ابن إسحاق :

فقال: قد سمعت ماتقول منذ اليوم يابن سُميَّة، والله إنى لأرانى سأعرض هذه العصا لأنفك . قال : وفى يده عصا . قال : فغضب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم قال : مالهم ولعمّار ! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، إن عمّاراً جِلْدة ما بين عينىّ وأنفى ، فإذا بُلغ ذلك من الرجل فلم يُسْتبق فاجتنبوه .

من بنى أول مسجد

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عُيينة عن زكريا عن الشّعبى ، قال : إن أول من بنى مسجداً عمّار بن ياسر[1] .

منزله صلى الله عليه وسلم من بيت أبى أيوب وشىء من أدبه فى ذلك

قال ابن إسحاق :

فأقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى بيت أبى أيوب حتى بُنى له مسجدُه ومساكنه[2] ، ثم انتقل إلى مساكنه من بيت أبى أيوب[3] ، رحمة الله عليه ورضوانه .

---

(١) يعنى بهذا الحديث مسجد قباء ، لأن عمارا هو الذى أشار على النبى صلى الله عليه وسلم ببنيانه ، وهو جمع الحجارة له ، فلما أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم استتم بنيانه عمار . (راجع الروض) .

(٢) كانت بيوته عليه السلام تسعة ، بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد ، وبعضها من حجارة مرصوصة بعضها فوق بعض مسقفة بالجريد أيضا .

وقال الحسن ابن أبى الحسن : كنت أدخل بيوت النبى عليه السلام وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدى .

وكانت حجره عليه السلام أكسية من شعر مربوطة فى خشب عرعر. وفى تاريخ البخارى : أن بابه عليه السلام كان يقرع بالأظافر ، أى لا حلق له .

ولما توفيت أزواجه عليه السلام خلطت البيوت والحجر بالمسجد ، وذلك فى زمن عبد الملك ، فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء كيوم وفاته عليه السلام .

وكان سريره خشبات مشدودة بالليف بيعت زمن بنى أمية فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم.

(٣) وقد صار منزل أبى أيوب هذا بعده إلى أفلح، مولى أبى أيوب، فاشتراه منه، بعد ما خرب وتثلمت حيطانه ، المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار ، ثم أصلحه المغيرة وتصدق به على أهل بيت من فقراء المدينة .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حَبيب عن مَرْثد بن عبد الله اليَزَني عن أبي رُهْم السَّمَاعي قال حدثني أبو أيوب قال :

لما نزل عليّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم في بيتي نزل في السُّفل ، وأنا وأم أيوب في العُلو ، فقلت له : يا نبيّ الله ، بأبي أنت وأمي ، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فاظهَرْ أنت فكن في العُلْو ، وننزل نحن فنكون في السفل ؛ فقال : يا أبا أيوب ، إنّ أرفق بنا وبمن يَغشانا أن نكون في سُفل البيت .

قال : فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سفله ، وكنا فوقه في المسكن ؛ فلقد انكسر حُبّ[1] لنا فيه ماء ، فقُمت أنا وأم أيوب بقَطيفة لنا ، مالنا لحاف غيرها ، نَنْشَف بها الماء ، تخوفاً أن يقطُر على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم منه شيء فيؤذيه .

قال : وكنّا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه ، فإذا ردّ علينا فضلَه تيمّمت أنا وأم أيوب موضعَ يده ، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه ، وقد جعلنا له بصلا أو ثُوماً ، فردّه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولم أَرَ ليده فيه أثراً . قال : فجئتُه فزِعاً ، فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، رددتَ عِشاءك ولم أر فيه موضع يدك ، وكنتَ إذ رددْته علينا تيمّمت أنا وأم أيوب موضعَ يدك ، نبتغي بذلك البركة ؛ قال : إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أُناجَى ، فأما أنتم فكُلوه . قال : فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة[2] بعد .

تلاحق المهاجرين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة

قال ابن إسحاق :

وتلاحق المهاجرون إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مَفْتون أو محبوس ، ولم يُوعِب أهلَ هجرة من مكة بأهليهم وأموالهم إلى الله تبارك وتعالى ، وإلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلا أهلَ دور مُسمّون :

(١) الحب : الجرة ، أو الضخمة منها .

(٢) وفي هذا يروى : إن الملائكة تتأذى مما يتأذى به الإنس .

بنو مظعون من بنى جُمح ؛ وبنو جَحْش بن رِئاب ، حلفاء بنى أُمية ؛ وبنو البُكَير، من بنى سعد بن ليث، حلفاء بنى عدىّ بن كعب، فإن دُورهم غلّقت بمكة هجرةً، ليس فيها ساكن .

عدوان أبى سفيان على دار بنى جحش والقصة فى ذلك

ولما خرج بنو جحش بن رئاب من دارهم، عدا عليها أبو سفيان بن حرب، فباعها من عمرو بن عَلْقمة، أخى بنى عامر بن لؤى، فلما بلغ بنى جَحْش ما صنع أبو سفيان بدارهم، ذكر ذلك عبدُ الله بن جحش لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها داراً خيراً منها فى الجنة ؟ قال : بلى ؛ قال : فذلك لك . فلما افتتح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكة كلّمه أبو أحمد[1] فى دارهم، فأبطأ عليه رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقال الناس لأبى أحمد : يا أبا أحمد، إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكره أن ترجعوا فى شىء من أموالكم أُصيب منكم فى الله عزّ وجلّ، فأمسك عن كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقال لأبى سفيان :

أبلغ أبا سفيان عن ... أمرٍ عواقبُه ندامَهْ

دارَ ابن عمك بِعتَها ... تَقضى بها عنك الغَرامه

وحليفكم بالله ربّ الناس مجتهد القَسامه

اِذهب بها، اِذهب بها ... طُوّقتها طوقَ الحَمامه[2]

قال ابن إسحاق :

---

(١) اسم أبى أحمد هذا : عبد ؛ وقيل : ثمامة، والأول أصح . وكانت عنده الفارعة بنت أبى سفيان، وبهذا السبب تطرق أبو سفيان إلى بيع دار بنى جحش، إذ كانت بنته فيهم . وقد مات أبو أحمد بعد أخته زينب أم المؤمنين فى خلافة عمر .

(٢) جعله كطوق الحمامة : لأن طوقها لا يفارقها، ولا تلقيه عن نفسها أبدا .

انتشار الإسلام ومن بقي على شركه

فأقام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة إذ قدمها شهرَ ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بُنى له فيها مسجدُه ومساكنه ، واستجمع له إسلام هذا الحيّ من الأنصار ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من خَطْمة ووَاقف ووائل وأُميّة ، وتلك أوس الله ، وهم حيّ من الأوس ، فإنهم أقاموا على شركهم . ٥

أول خطبه عليه الصلاة والسلام

وكانت أوّل خُطْبة خطبها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم – فيما بلغنى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما لم يقل – أنه قام فيهم ، فحمِد الله وأثنى عليه بما هو أهلهُ ، ثم قال :

أما بعد، أيها الناس، فقدّموا لأنفسكم، تَعَلَمُنّ والله ليُصعقنّ أحدكم ، ثم ليَدَعنّ غَنَمه ليس لها راع ، ثم ليقولنّ له ربّه ، وليس له تَرجمان ولا حاجبٌ يحجُبه ١٠ دونه : ألم يأتك رسولى فبلّغك ، وآتيتك مالاً وأفضلت[1] عليك ؟ فما قدّمتَ لنفسك ؟ فلَينظُرنّ يميناً وشمالا فلا يرى شيئاً ، ثم لَينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشِقّ من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيّبة ، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ١٥

خطبته الثانية صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

ثم خطب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناس مرة أخرى ، فقال :

إنّ الحمدَ لله، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلامضلّ له ، ومن يُضلل فلاهادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إنّ أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى ، قد أفلح من زَيّنه ٢٠ الله فى قلبه ، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث

(١) ويروى : ألم أوتك مالا ، وجعلتك تربع وتدسع : أى تأخذ المرباع ، وتعطى من تشاء .

الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلغه . أحبّوا ما أحبّ الله ، أحبّوا الله من كلّ قلوبكم ، ولا تملّوا كلام الله وذكرَه ، ولا تَقْسُ عنه قلوبكم ، فإنه من كلّ مايخلق الله يختار ويصطفى ، قد سمّاه الله خِيرتَه من الأعمال ، ومُصطفاه من العباد ، والصالحَ من الحديث ؛ ومن كلّ ما أوتى الناس [(١)] الحلالُ والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، واتقوه حقّ تقاته ، واصدُقوا الله صالح ماتقولون بأفواهكم ، وتحابّوا بروح الله بينكم ، إن الله يغضب أن يُنكَث عهدُه ، والسلام عليكم .

كتابه صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار وموادعة يهود

قال ابن إسحاق :

وكتب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم كتابًا بين المهاجرين والأنصار ، وادعَ فيه يهود وعاهدهم ، وأقرّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويَثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رِبْعَتهم [(٢)] يتعاقلون ، بينهم ، وهم يَفْدون عانيَهم [(٣)] بالمعروف والقِسْط بين المؤمنين ؛ وبنو عَوْف على رِبْعتهم يتعاقلون مَعاقلهم [(٤)] الأولى ، كلّ طائفة تَفْدى عانيها [(٣)] بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو ساعدة على رِبَعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو جُشَم على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو النجّار على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛

---

(١) فى م ، ر : « من الحلال » .

(٢) الربعة : الحال التى جاء الإسلام وهم عليها .

(٣) العانى : الأسير .

(٤) المعاقل : الديات ؛ الواحدة : معقلة .

وبنو عمرو بن عَوف على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو النّبيت على رِبْعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وبنو الأوس على رِبعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛ وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحا[1] بينهم أن يُعطوه بالمعروف فى فِداء أو عَقْل . ٥

قال ابن هشام : المُفرَح : المُثقل بالدّين والكثير العيال . قال الشاعر :

إذا أنت لم تبرح تؤدّى أمانةً وتحملُ أخرى أَفرَحتْك الودائعُ[2]

وأن لا يحالف مؤمنٌ مولى مؤمن دونه ؛ وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دَسِيعة[3] ظُلم ، أو إثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين ؛ وإن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان وَلدَ أحدهم ؛ ولا يَقْتل مؤمنٌ مؤمناً فى كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ؛ وإن ذمة الله واحدة ، يُجير عليهم أدناهم ؛ وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ؛ وإنه من تَبِعنا من يهود فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ؛ وإن سِلْم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم ؛ وإن كلّ غازية غزتْ معنا يُعقب بعضها بعضاً ؛ وإن المؤمنين يُبِيء بعضُهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله ؛ وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ؛ وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ؛ وإنه من اعتبط[4] مؤمناً قتلاً عن بَيّنة فإنه قَوَدٌ به إلا أن يرضى ولىّ المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحلّ لهم إلا قيامٌ عليه ؛ وإنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما فى هذه ١٠ ١٥ ٢٠

---

(١) ويروى : « مفرجا » وهو بمعنى المفرح بالحاء المهملة .

(٢) هذا البيت من شعر لبيهس العذرى .

(٣) الدسيعة : العظيمة ، وهى فى الأصل : مايخرج من حلق البعير إذا رغا . وأراد بهاهنا : ما ينال عنهم من ظلم . (٤) اعتبطه ، أى قتله بلا جناية منه توجب قتله .

الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر مُحْدِثا ولا يُؤْويه؛ وأنه مَن نصره أو أواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صَرف ولا عدل ؛ وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإنّ مردّه إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى محمد صلّى الله عليه وسلّم ؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ؛ وإن يهود بني عوف أُمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظَلم وأَثِم ، فإنه لا يُوتغ[1] إلا نفسَه ، وأهلَ بيته وإن ليهود بني النّجار مثل ما ليهود بني عَوْف ؛ وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ؛ وإن ليهود بَني ساعدة مثل ما ليهود بني عَوْف ؛ وإن ليهود بني جُشَم مثل ما ليهود بني عَوْف ؛ وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف ؛ وإن ليهود بني ثَعْلبة مثل ما ليهود بني عوف ؛ إلا من ظلم وأَثِم ، فإنه لا يُوتغ إلا نفسَه وأهلَ بيته ؛ وإن جَفْنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن لبني الشُّطَيبة مثل ما ليهود بني عوف ؛ وإن البرّ دون الإثم ؛ وإن موالي ثَعْلبة كأنفسهم ؛ وإن بطانة[2] يهود كأنفسهم ؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلّى الله عليه وسلّم ؛ وإنه لا ينحجز على ثار جُرْح ؛ وإنه من فَتك فبنفسه فتك ، وأهلِ بيته ، إلا من ظَلم ؛ وإن الله على أبرّ هذا[3] ؛ وإن على اليهود نفقتَهم وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وإن بينهم النصرَ على من حارب أهل هذه الصّحيفة ؛ وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم ؛ وإنه لم يأثم امرؤ بحَليفه ؛ وإن النصر للمظلوم ؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ؛ وإن يَثْرب حرام جَوْفها لأهل هذه الصحيفة ؛ وإن الجار كالنفس غير مُضارّ ولا آثم ؛ وإنه لا تُجار حُرْمة إلا بإذن أهلها ؛ وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة مِن حَدَث أو اشتجار يُخاف فسادُه

(١) يوتغ : يهلك .
(٢) بطانة الرجل : خاصته وأهل بيته .
(٣) على أبر هذا ، أى على الرضا به .

فإنّ مردّه إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى محمد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وإن الله على أتْقى مافى هذه الصحيفة وأبرّه[1] ؛ وإنه لا تُجار قريش ولا من نصرها ؛ وإن بينهم النصر على من دَهم يثرب ، وإذا دُعوا إلى صلح يصالحونه ويَلْبسونه ، فإنهم يصالحونه ويلبسونه ؛ وإنهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا مَنْ حارب فى الدين ، على كلّ أناس حصّتهم من جانبهم الذى قِبَلهم ؛ وإن يهود الأوس ، مواليَهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البرّ المَحْض[2] من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن هشام : ويقال : مع البرّ المُحسن من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن إسحاق :

وإن البرّ دون الإثم ، لا يكسب كاسبٌ إلا على نفسه ؛ وإن الله على أصدق مافى هذه الصحيفة وأبرّه ؛ وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمِنٌ ، ومن قعد آمِن بالمدينة ، إلا من ظَلم أو أَثِم ؛ وإن الله جار لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[3] .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

من آخى بينهم صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

وآخى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال ـ فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يَقُل ـ :

تآخَوْا فى الله أخَوَيْن أخوين ؛ ثم أخذ بيد علىّ بن أبى طالب ، فقال : هذا أخى[4] . فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سيّدَ المرسلين ، وإمام

(١) أى أن الله وحزبه المؤمنين على الرضا به .

(٢) فى م ، ر : « الحسن » .

(٣) يقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية وإذ كان الإسلام ضعيفا ، وكان لليهود إذا ذاك نصيب فى المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحروب . (راجع الروض الأنف) .

(٤) قال السهيلى : « آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا بالمدينة ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض . فلما =

المتقين ، ورسولَ ربِّ العالمين ، الذى ليس له خطير[1] ولا نَظِير من العباد ، وعلىُّ بن أبى طالب رضى‌الله عنه، أَخَوَيْن؛ وكان حمزةُ بن‌عبد المطلب، أسدُ الله وأسدُ رسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وعمُّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وزيدُ ابن حارثة ، مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أَخوَيْن ، وإليه أوصى حمزةُ يوم أُحُد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت ؛ وجعفرُ بن أبى طالب ذو الجناحين ، الطّيّار فى الجنة ، ومعاذُ بن جبل ، أخو بنى سلمة ، أخَوين .

قال ابن هشام :

وكان جعفر بن أبى طالب يومئذ غائباً بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق :

وكان أبو بكر الصدّيق ، رضى الله عنه ، بن أبى قُحافة ، وخارجة بنُ زُهير ، أخو بَلْحارث بن الخزرج، أخوين ؛ وعمرُ بن الخطّاب رضى‌الله عنه ، وعِتْبان بن مالك ، أخو بنى سالم بن عَوف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج ، أخوين .

وأبو عُبيدة بن عبد الله بن الجرّاح ، واسمه عامر بن عبد الله ، وسعد بن معاذ ابن النعمان ، أخُو بنى عبد الأشهل ، أخوين ؛ وعبد الرحمن بن عَوْف ، وسعدُ ابن الربيع ، أخو بَلْحارث بن الخزرج ، أخوين ؛ والزبيرُ بن العوّام ، وسلمة ابن سلامة بن وَقْش ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوَيْن ؛ ويقال : بل الزبير وعبدُ الله بن مسعود ، حليف بنى زهرة ، أخوَيْن ؛ وعثمان بن عفّان ، وأوس ابن ثابت بن المنذر ، أخو بنى النجّار ، أخوين ؛ وطلحة بن عُبيد الله ، وكعب ابن مالك ، أخو بنى سلمة ، أخوَيْن ؛ وسعد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وأُبىّ

= عن الاسلام ، واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة ، أنزل الله سبحانه : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » أعنى فى الميراث . ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال : « إنما المؤمنون إخوة » : يعنى فى التوادد ، وشمول الدعوة .

(1) الخطير : النظير والمثل .

ابن كَعْب ، أخو بنى النجّار أخوين ؛ ومُصعب بن عُمير بن هاشم ، وأبو أيّوب خالد بن زيد ، أخو بنى النجّار ، أخوين ؛ وأبو حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة ، وعبّاد بن بشر بن وَقْش ، أخو بنى عبد الأشهل ، أخوين ؛ وعمّار بن ياسر ، حليف بنى مَخْزوم ، وحذيفةُ بن اليَمان ، أخو بنى عبد عَبْس ، حليف بنى عبد الأشهل ، أخوين ؛ ويقال : ثابت بن قيس بن الشمّاس ، أخو بلحارث ابن الخزرج ، خطيب رسول الله صلّى عليه وسلّم ، وعمّار بن ياسر ، أخوين ؛ وأبو ذرّ ، وهو بُرير بن جُنادة الغِفاريّ ، والمُنْذِر بن عمرو ، المُعْنِق[1] ليَموت ، أخو بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ، أخوين .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذَرّ : جُنْدب[2] ابن جُنادة .

قال ابن إسحاق :

وكان حاطب بن أبى بَلتعة[3] ، حليف بنى أسد[4] بن عبد العزّى ، وعُوَيم بن ساعدة ، أخو بنى عمرو بن عوف ، أخوين ؛ وسَلْمان الفارسى ، وأبو الدَّرْداء ، عُوَيمر بن ثعلبة ، أخو بَلْحارث بن الخَزْرج ، أخوين .

قال ابن هشام : عُويمر بنُ عامر ؛ ويقال : عُويمر بنُ زيد[5] .

قال ابن إسحاق :

---

(١) أى أن المنية أسرعت به وساقته للموت .

(٢) هذا هو الأكثر والأصح . وفى اسمه خلاف كثير .

(٣) اسم أبى بلتعة : عمرو بن أشد بن معاذ . والبلتعة ، من قولهم : تبلتع الرجل ، إذا تظرف .

(٤) ويقال : انه لم يكن حليفا لبنى أسد ، بل كان عبداً لعبيد الله بن حميد بن زهير بن أسد ابن عبد العزى ، كما قيل إنه كان من مذحج ، والأشهر أنه من لخم بن عدى . (راجع الروض) .

(٥) وقيل : هو عويمر بن مالك بن ثعلبة بن عمرو بن قيس بن أمية ، من بلحارث بن الخزرج ، وأمه محبة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة ، وامرأته أم الدرداء ، اسمها خيرة بنت أبى حدرد . وقد مات أبو الدرداء بدمشق سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين .

وبلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، مؤذّن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأبو رُوَيْحة[1] ، عبد الله بن عبد الرحمن الخَثْعمى ، ثم أحدُ الفَزَع[2] ، أخوين . فهؤلاء من سُمّى لنا ، ممّن كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم آخَى بينهم من أصحابه .

بلال يوصى بديوانه لأبى رويحة

٥ فلما دَوّن عمرُ بن الخطّاب الدواوين بالشام ، وكان بلالٌ قد خرج إلى الشام فأقام بها مُجاهداً ، فقال عمرُ لبلال : إلى من تجعل ديوانَك يابلال ؟ قال : مع أبى رُويحة ، لا أفارقه أبداً ، للأُخُوة التى كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عقد بينه و بينى ، فضمّ إليه ، وضُمّ ديوان الحَبشة إلى خَثْعم ، لمكان بلال منهم ، فهو فى خَثْعم إلى هذا اليوم بالشام .

١٠ أبو أمامة

قال ابن إسحاق :

وهَلك فى تلك الأشهر أبو أمامة ، أسعدُ بنُ زرارة ، والمسجد يبنى ، أخذته الذبحةُ أو الشّهقة .

موته وما قاله اليهود فى ذلك

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عَمْرو بن حزم ، ١٥ عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة :

أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : بئس الميتُ أبو أمامة ! ليهود ومُنافقى العرب يقولون : لو كان نبيًّا لم يمت صاحبه ! ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئاً .

بموته كان النبي صلى الله عليه وسلم نقيبا لبنى النجار

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى :

---

٢٠ (١) ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لأبى رويحة هذا لواء عام الفتح وأمره أن ينادى : من دخل تحت لواء أبى رويحة فهو آمن .

(٢) الفزع (هذا) : بفتح الزاى ، وينتهى نسبه إلى خثعم ؛ وأما الفزع (بسكونها) فهو الفزع بن عبد الله بن ربيعة ، وكذلك الفزع فى خزاعة وفى كلب . (راجع مؤتلف القبائل ومختلفها لابن حبيب ، والروض الأنف) .

إنه لما مات أبو أمامة ، أسعدُ بن زرارة ، اجتمعت بنو النجّار إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان أبو أمامة نَقِيبَهم ، فقالوا له : يا رسول الله ، إن هذا قد كان منّا حيثُ قد علمتَ ، فاجعلْ منّا رجلاً مكانه يُقيم من أمْرِنا ما كان يُقيم ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لهم : أنتم أخْوالى ، وأنا بما فيكم ، وأنا نَقِيبكم ؛ وكره رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يخصّ بها بعضَهم ٥
دون بعض . فكان من فضل بنى النجّار الذى يَعُدّون على قومهم ، أن كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم نقيبَهم .

خبر الأذان

التفكير فى اتخاذ بوق أو ناقوس

قال ابن إسحاق :

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانُه من ١٠
المُهاجرين ، واجتمع أمرُ الأنصار ، استحكم أمرُ الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفُرضت الزكاةُ والصيام ، وقامت الحدُود ، وفُرِض الحلالُ والحرام ، وتبوّأ الإسلام بين أظْهرهم ، وكان هذا الحىّ من الأنصار هم الذين تبوّءوا الدار والإيمان . وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين قَدِمها إنما يجتمع الناسُ
إليه للصلاة لحين مَواقيتها ، بغير دَعْوة ، فهمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين ١٥
قَدِمها أن يجعل بُوقا كبُوق يهود الذين يدعون به لصَلاتهم ، ثم كرهه ؛ ثم أمر بالنّاقوس ، فنُحِت ليُضرب به للمسلمين للصلاة .

رؤيا عبد الله ابن زيد فى الأذان

فبينما هم على ذلك ، إذ رأى عبدُ الله بن زيد بن ثَعْلبة بن عبد ربه ، أخو بَلْحارث بن الخَزْرج ، النداء ، فأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له :
يا رسول الله ، إنه طاف بى هذه الليلة طائف : مرّ بى رجلٌ عليه ثَوْبان ٢٠

أخضران ، يحمل ناقوساً فى يده ، فقلت له : ياعبد الله ، أتَبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو به إلى الصلاة ؟ قال : أفلا أدلّك على خير من ذلك ؟ قال : قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لاإله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حىّ على الصلاة ، حىّ على الصلاة ، حىّ على الفلاح ، حىّ على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لاإله إلا الله .

تعليم بلال الأذان

فلما أخبَرَبها رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : إنها لرؤيا حقّ ، إن شاء الله ، فقُم مع بلال فألْقِها عليه ، فليؤذّن بها ، فإنه أنْدَى[1] صوتاً منك. فلما أذّن بها بلالٌ سَمِعها عمرُ بن الخطاب ، وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو يجرّ رداءه ، وهو يقول : يا نبىّ الله ، والذى بعثك بالحقّ ، لقد رأيت مثل الذى رأى ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فلله الحمد على ذلك .

رؤيا عمر فى الأذان وسبق الوحى به

قال ابن إسحاق :

حدّثنى بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن محمد بن عبد الله ابن زيد بن ثعلبة بن عبد ربّه ، عن أبيه .

قال ابن هشام : وذكر ابن جُرَيج قال قال لى عطاء : سمعت عُبيد ابن عُمير اللّيثى يقول :

ائتمر النبىّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابُه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمرُ ابن الخطّاب يُريد أن يَشْتَرِىَ خَشَبتين للنّاقوس ، إذ رأى عمر بن الخطاب فى المنام : لا تجعلوا الناقوس ، بل أذّنوا للصلاة . فذهب عمرُ إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ليُخبِرَه بالذى رأى ، وقد جاء النبىّ صلّى الله عليه وسلّم الوحىُ بذلك ،

---

(١) أندى : أنفذ وأبعد .

فما راع عُمر إلا بلالٌ يؤذّن ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أخبره بذلك : قد سَبقك بذلك الوحى .

ما كان يقوله بلال قبل الأذان

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد جعفر بن الزُّبير ، عن عُرْوة بن الزبير ، عن امرأة من بنى النجّار قالت :

كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلالٌ يؤذن عليه للفجر كلّ غداة ، فيأتى بسَحَر ، فيَجْلس على البيت ينتظر الفَجر ، فإذا رآه تمطّى ، ثم قال : اللهم إنى أحمدك وأستعينك على قريش أن يُقيموا على دينك . قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلةً واحدةً .

أبو قيس بن أبى أنس

قال ابن إسحاق :

فلما اطمأنت برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم دارُه ، وأظهر الله بها دينَه ، وسرّه بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ، قال أبو قَيْس صِرْمة بن أبى أنس ، أخو بنى عدىّ بن النجّار :

نسبه

ــ قال ابن هشام : أبو قيس ، صِرْمة بن أبى أنس بن صِرْمة بن مالك ابن عدىّ بن عامر بن غَنْم بن عدىّ بن النجّار .

إسلامه وشىء من شعره

قال ابن إسحاق :

وكان رجلا قد ترهّب فى الجاهلية ، ولبس المُسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهّر من الحائض من النساء ، وهمّ بالنصرانية ثم أمسك عنها ، ودخل بيتاً له ، فاتخذه مسجداً لا تدخله عليه فيه طامث ولا جُنب ، وقال : أعبد ربّ إبراهيم ، حين فارق الأوثان وكرهها ، حتى قدم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، فأسلم وحَسُن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قوّالا بالحق ، معظّماً لله عزّ وجلّ فى جاهليته ، يقول أشعاراً فى ذلك حِسَاناً ــ وهو الذى يقول :

يقول أبو قَيْس وأَصْبح غادِياً : ألا ما استطعتم من وَصاتى َ فافعلُوا
فأُوصيكمُ بالله والبرّ والتّـــقى وأَعْراضكم ، والـــبِرُّ بالله أوّل
وإنْ قومُكم سادُوا فلا تَحْسُدُنَّهم وإن كنتُم أهلَ الرياسة فاعدِلوا
وإن نزلتْ إحدى الدّواهى بِقَومكم فأَنْفَسكم دونُ العَشـــيرة فاجعلوا
٥ وإن ناب غُرْم فادح فارفقُوهم وما حَمّلوكم فى المُلمّات فاحملوا[1]
وإن أنتمُ أمعـــرتم[2] فتعفّفوا وإن كان فضلُ الخير فيكم فأَفضِلوا

قال ابن هشام : ويروى :

* وإن ناب أمرٌ فادح فارفدوهُمُ *

قال ابن إسحاق :

١٠ وقال أبو قيس صِرْمة أيضاً :

سَبّحوا الله شَرْقَ كلّ صباحٍ طلعت شمسُـــه وكلَّ هِلالِ[3]
عالِم السِّرّ والبَيان لدينا ليس ما قال ربُّنا بضَـــلالِ
وله الطيرُ تَسْـــتريد وتَأْوى فى وُكور من آمِنات الجبال[4]
وله الوحشُ بالفَـــلاة تراها فى حِقاف وفى ظلال الرّمال[5]
١٥ وله هَوّدتْ يهودُ ودانت كلَّ دين إذا ذَكرتَ عُضال[6]
ولَه شَمّسَ النّصارى وقامُوا كلَّ عيـــد لربّهم واحتفال[7]
وله الراهبُ الحبيسُ تراه رهْنَ بؤس وكان ناعمَ بال[8]

(١) الفادح : المثقل ؛ يقال . فدحه الأمر ، إذا أثقله . والملمات . النوازل .
(٢) أمعرتم : افتقرتم . ويروى : « أمعزتم » بالزاى . وأمعزتم ، أى أصابتكم شدة .
٢٠ (٣) الشرق هنا : طلوع الشمس ، أو الضوء .
(٤) تستريد : تذهب وترجع . والوكور : جمع وكر ، وهو عش الطائر .
(٥) الحقاف : جمع حقف ، وهو الكدس المستدير من الرمل .
(٦) هودت : أى تابت ورجعت .
(٧) شمس : تعبد
٢٥ (٨) الحبيس : الذى حبس نفسه عن اللذات .

يا بَنِىّ الأَرْحامَ لاَ تقْطعــــوها وصلُوها قَصــــيرة من طِوالِ[1]

واتقوا الله فى ضِعاف اليتامى ربمَا يســــتحلُّ غير الحلال

واعلموا أنــّ لليتيم وليًّا عالمـا يَهْتدى بغــــير السؤال

ثم مالَ اليتيم لا تأكلوه إن مال اليتيم يرعاه والِى

يا بَنِىّ ، التُّخــــوم لاتَخْزلوها إنّ خَزْلَ التُّخوم ذو عُقَّال[2] ٥

يا بَنِىّ الأيامَ لا تأمنــــوها واحْذَروا مكْرَها ومرَّ الليالى

واعلموا أن مَرّها لنفَاد الْـــخَلق ما كان من جَديد وبالى

واجمعوا أمركم على البرّ والتقــــوى وترك الخَنا وأخذ الحلال

وقال أبو قَيْس صِرْمة أيضاً ، يذكر ما أكرمهم اللهُ تبارك وتعالى به من الإسلام ، وما خصّهم الله به من نُزول رسوله صلّى الله عليه وسلّم عليهم : ١٠

ثَوى فى قُريش بضْع عَشْرة حِجّةً يذكّر لو يَلْقى صَديقاً مُواتياً[3]

ويَعْرِض فى أَهْل المَواسم نفسَه فلم يَرَ من يُؤْوِى ولم يَرَ داعيا

فلمّا أتانا أَظْهر اللهُ دِينَه فأصبح مَسْروراً بِطيبةَ راضِيا

وألفى صديقاً واطمأنّت به النوَى وكان له عَوْناً من الله باديا

يَقُصّ لنا ما قال نُوحٌ لقومــــه وما قال مُوسى إذ أجاب المُناديا ١٥

---

(١) صلوها قصيرة من طوال أى صلوا قصرها من طولكم ، أى كونوا أنتم طوالا بالصلة والبر إن قصرت هى. وفى الحديث: « أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا » أراد الطول بالصدقة والبر . أو يريد بها مدح قومه بأن أرحامهم قصيرة النسب ولكنها من قوم طوال، كما قال :

أحب من النسوان كل طويلة لها نسب فى الصالحين قصير

والنسب القصير ، أن تقول : أنا ابن فلان ، فيعرف ، وتلك صفة الأشراف ؛ ومن ليس بشريف لايعرف حتى تأتى بنسبة طويلة يبلغ بها رأس القبيلة . ٢٠

(٢) التخوم : الحدود بين الأرضين . وتخزلوها : تقطعوها . والعقال : مايمنع الرجل من المشى ويعقلها ، يريد أن الظلم يخلف صاحبه ويعقله عن السباق .

(٣) ثوى : أقام . ومواتيا : موافقا .

فأصبح لا يَخْشى من الناس واحداً قريباً ولا يخشى من الناس نائياً[1]

بَذَلْنا له الأموال من حلّ[2] مالنا وأنفسَنا عند الوَغَى والتآسيا[3]

ونَعْلم أنّ الله لا شيء غَــيْرُه ونَعْلم أنّ الله أفضــلُ هاديا

نُعادِي الذى عادَى من الناس كلِّهم جميعاً وإن كان الحبيبَ المُصَافيا

٥ أقول إذا أدعوكَ فى كلّ بيعة: تباركتَ قد أكثرتُ لأسمك داعيا[4]

أقُولُ إذا جاوزتُ أرضاً مَخُوفةً: حَنَانَيْكَ لا تُظْهِر علىّ الأعاديا[5]

فَطأْ مُعْرِضاً إن الحُتُوف كثيرةٌ وإنّك لا تُبْقِى لنَفسِك[6] باقيا[7]

فوالله ما يدْرِى الفتى كيفَ يَتّقى إذا هو لم يَجْعل له الله واقيا

ولا تَحْفِلُ النخلُ المُعيمة ربَّها إذا أصبحت ريّا وأصْبح ثاويا[8]

١٠ قال ابن هشام: البيت الذى أوله:

* فطأ معرضاً إن الحتوفَ كثيرة *

والبيت الذى يليه:

* فوالله ما يدرى الفتى كيف يتقى *

لأفنون[9] التَّغْلبى، وهو صُرَيم بن مَعْشَر، فى أبيات له.

---

١٥ (١) نائيا: بعيدا.

(٢) فى ا: «جل».

(٣) الوغى: الحرب. والتآسى: التعاون.

(٤) يريد «بالبيعة» المسجد. وهى فى الأصل: متعبد النصارى.

(٥) حنانيك: أى تحننا بعد تحنن، والتحنن: الرأفة والرحمة.

٢٠ (٦) فى ا: «بنفسك».

(٧) فطأ معرضا، أى متسعا. والحتوف: أسباب الموت وأنواعه.

(٨) كذا فى أكثر الأصول. والمعيمة: العاطشة. وفى ا: «المقيمة» وريا: مروية وثاويا: مقيما. ويروى: «تاويا»، أى هالكا.

(٩) وسبب قول أفنون لهذين البيتين أنه خرج فى ركب فروا بربوة تعرف بالإلهة، وكان
٢٥ الكاهن قبل ذلك قد حدثه أنه يموت بها، فمرّ بها فى ذلك الركب، فلما أشرفوا عليها وأعلم باسمها كره المرور بها، وأبى أصحابه إلا أن يمروا بها، وقالوا له: لا تنزل عندها، ولكن تجوزها سعيا، فلما دنا منها بركت ناقته على حية فنزل لينظر، فنهشته الحية فمات، فقبره هنالك. وعند ما أحس الموت، قال هذين البيتين، وبعدهما.

كفى حزنا أن يرحل الركب غدوة وأترك فى جنب الإلهة ثاويا

الأعـــداء من يهود

سبب عداوتهم للمسلمين

قال ابن إسحاق :

ونصبت عند ذلك أحبارُ يهود لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم العداوةَ ، بغياً وَحَسَدًا وضغْنا ، لما خصّ الله تعالى به العرَب من أخْذه رسولَه منهم ، وانضاف إليهم رجالٌ من الأوس والخَزْرج، ممن كان عسى[1] على جاهليّته، فكانوا أهل نِفاق على دين آبائهم من الشّرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قَهرهم بظُهوره واُجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام واتخذوه جُنَّة من القتْل ، ونافقُوا فى السرّ، وكان هَواهم مع يَهُود ، لتكذيبهم النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، وجُحودهم الإسلام . وكانت أحبار يهود هم الذين يَسْألون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويتعنّتونه[2]، ويأتونه باللّبس، ليَلْبِسوا الحقّ بالباطل ، فكان القرآن يَنزل فيهم فيما يسألون عنه، إلا قليلاً من المسائل فى الحَلال والحرام كان المُسْلِمون يَسْألون عنها.

الأعداء من بنى النضير

منهم: حُيَىّ بن أَخْطب، وأخواه أبو ياسِر بن أخطب، وجُدَىّ بن أخطب ، وسلاّم بن مِشْكم ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، وسـلاّم بن أبى الحُقَيق[3]، أبو رافع الأعور ، وهو الذى قتله أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بخَيْبر – والربيعُ بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، وعمرو بن جَحّاش ، وكعب ابن الأشرف ، وهو من طيىء ، ثم أحد بنى نَبْهان ، وأمّه من بنى النضير ، والحجّاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، وكَرْدَم بن قيس ، حليف كعب ابن الأشرف ، فهؤلاء من بنى النّضير .

---

(١) عسى ، أى بقى .

(٢) يتعنتونه : يشقون عليه .

(٣) وزادت ا بعد هذه الكلمة وقبل قوله : « أبو رافع » : « وأخوه سلام من الربيع . قال ابن إسحاق : وهو » .

من بنى ثعلبة

ومن بنى ثعلبة بن الفِطْيَوْن[1] : عبد الله بن صُورِيا[2] الأعور ، ولم يكن بالحجاز فى زمانه أحد أعلم بالتوراة منه؛ وابن صَلُوبا ؛ ومُخَيْرِيق، وكان حَبْرَهم، أَسْلم.

من بنى قينقاع

ومن بنى قَيْنُقَاع : زيد بن اللَّصِيت ـ ويقال : ابن اللُّصَيت[3] ـ فيما قال ابن هشام ـ وسَعد بن حُنيف ، ومحمود بن سَيْحان ، وعُزير بن أبى عُزير ، وعبد الله بن صَيْف . قال ابن هشام : ويقال : ابن ضَيْف .

قال ابن إسحاق :

وسُويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفِنْحاص ، وأَشْيع ، ونُعمان ابن أَضا ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وشَأس بن عدىّ ، وشَأْس بن قيس ، وزيد ابن الحارث ، ونعمان بن عمرو ، وسُكين بن أبى سُكين ، وعدىّ بن زيد ، ونعمان بن أبى أَوْفى ، أبو أنس ، ومحمود بن دَحْية ، ومالك بن صيف . قال ابن هشام : ويقال : ابن ضَيف .

قال ابن إسحاق :

وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبى رافع ، وخالد ، وأزار بن أبى أزار . قال ابن هشام : ويقال : آزر بن آزر .

قال ابن إسحاق :

ورافع بن حارثة، ورافع بن حُرَيملة ، ورافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وعبد الله بن سَلَام بن الحارث ، وكانَ حَبْرَهم

(١) قال السهيلى : « الفطيون : كلمة عبرانيــة ، وهى تطلق على كل من ولى أمر اليهود وملكهم» .

(٢) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا « صورى » . وهو تحريف . (راجع القاموس مادة صور) .

(٣) فى ا هنا : « اللصيب » فى الموضعين ، وقد ضبطا بالقلم فيهما على صيغة التصغير .

وأعلمهم ، وكان اسمه الحُصين ، فلما أسلم سمّاه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عبْدَ الله . فهؤلاء من بنى قَيْنُقاع .

من بنى قريظة

ومن بنى قُريظة : الزبير بن بَاطا بن وَهْب ، وعَزّال بن شَمْويل[1] ، وكعب ابن أسد ، وهو صاحب عَقد بنى قُريظة الذى نُقض عام الأحزاب ، وشمويل ابن زيد ، وجَبَل بن عمرو بن سُكينة ، والنَّحّام بن زيد ، وقَرْدم بن كعب ، ٥ ووهب بن زيد ، ونافع بن أبى نافع ، وأبو نافع ، وعدىّ بن زَيد ، والحارث ابن عَوْف ، وكَرْدَم بن زيد ، وأُسامة بن حَبيب ، ورافع بن رُمَيلة ، وجَبل ابن أبى قُشير ، ووهب بن يَهوذا فهؤلاء من بنى قريظة .

من بنى زريق

ومن يهود بنى زُرَيق : لَبيد بن أعْصم ، وهو الذى أَخَّذَ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عن نسائه[2] . ١٠

من بنى حارثة

ومن يهود بنى حارثة : كِنانة بن صُوريا .

من بنى عمرو

ومن يهود بنى عمرو بن عَوْف : قَرْدم بن عمرو .

من بنى النجار

ومن يهود بنى النجّار : سِلْسِلة بن بَرْهام .

---

(١) كذا فى ا ، والطبرى . وفى سائر الأصول « سموال » .

(٢) أخذ ، من الأخذة ، وهى ضرب من السحر . قال السهيلى : «وهذا الحديث مشهور ١٥ عند الناس ثابت عند أهل الحديث ، غير أنى لم أجد فى الكتب المشهورة كم لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك السحر حتى شفى منه . ثم وقعت على البيان فى جامع معمر ابن راشد . روى معمر عن الزهرى قال : سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ، يخيل إليه أنه يفعل الفعل وهو لا يفعله . وقد طعنت المعتزلة فى هذا الحديث وطوائف من أهل البدع، وقالوا : لا يجوز على الأنبياء أن يسحروا، ولو جازأن يسحروا لجاز أن يجنوا . ونزع ٢٠ بعضهم بقوله عز وجل : « والله يعصمك من الناس » .

والحديث ثابت خرجه أهل الصحيح ، ولامطعن فيه من جهة النقل ، ولا من جهة العقل ، لأن العصمة إنما وجبت لهم فى عقولهم وأديانهم ، وأما أبدانهم فإنهم يبتلون فيها ، ويخلص إليهم بالجراحة والضرب والسموم والقتل . والأخذة التى أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفن ، إنما كانت فى بعض جوارحه دون بعض» . ٢٥

فهؤلاء أحبار اليهود، وأهل الشرور والعداوة لرسول الله صلّى الله عليه وسلم وأصحابه، وأصحاب المسألة، والنصْب لأمْر الإسلام الشرورَ ليطفئوه، إلا ما كان من عبد الله بن سَلاَم[1] ومُخَيْريق.

إســـلام عبد الله بن سلام

كيف أسلم

٥ قال ابن إسحاق:

وكان من حديث عبدالله بن سلاَم، كما حدّثنى بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم، وكان حبرًا عالمًا، قال: لما سمعتُ برسول الله صلّى الله عليه وسلّم عرفتُ صِفته واسمه وزمانه الذى كنّا نتوكّف[2] له، فكنت مُسِرًّا لذلك، صامتًا عليه، حتى قَدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ، فلما نَزل بقُباء، فى

١٠ بنى عمرو بن عوف، أقبل رجلٌ حتى أخبر بقُدومه، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها، وعمّتى خالدةُ بنة الحارث تحتى جالسة، فلما سمعتُ الخبَر بقُدوم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كبّرتُ؛ فقالت لى عمّتى، حين سمعت تكبيرى: خيّبك الله! والله لو كنتَ سمعتَ بموسى بن عِمران قادمًا ما زِدْت! قال: فقلت لها: أىْ عمّة، هو والله أخو موسى بن عِمْران، وعلى دينه، بُعث بما

١٥ بُعث به. قال: فقالت، أىْ ابنَ أخى، أهو النبىّ الذى كُنّا نُخْبر أنه يبعث مع نَفَس الساعة[3]؟ قال: فقلت لها: نعم. قال: فقالت: فذاك إذًا. قال: ثم

---

(١) قال السهيلى: «سلام، هو بتخفيف اللام، ولا يوجد من اسمه سلام بالتخفيف فى المسلمين، لأن السلام من أسماء الله، فيقال: عبد السلام. ويقال: سلاّم (بالتشديد)، وهو كثير، وإنما سلام (بالتخفيف) فى اليهود، وهو والد عبد الله بن سلام.

٢٠ (٢) نتوكف: نترقب ونتوقع.

(٣) قال السهيلى: هذا الكلام فى معنى قوله عليه السلام: إنى لأجد نفس الساعة بين كتفى. وفى معنى قوله: نذير لكم بين يدى عذاب شديد. ومن كان بين يدى طالبه فنفس الطالب بين=

خرجتُ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأسلمتُ ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتى، فأمرتُهم فأسلَموا .

قومه يكذبونه ولا يتبعونه

قال : وكتمتُ إسلامى من يهود ، ثم جئتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلتُ له : يا رسـول الله ، إن يهود قومُ بُهْت[1] ، وإنى أحبّ أنْ تدْخلنى فى بعض بيُوتك ، وتغيّبنى عنهم ، ثم تسألهم عنّى، حتى يُخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يَعْلَموا بإسلامى، فإنهم إن عَلموا به بَهتونى وعابونى . قال: فأدخلنى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى بعض بُيوته ، ودخلوا عليه ، فكلّموه وساءلوه ، ثم قال لهم : أىّ رجلٍ الحُصين بن سلاَم فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وابن سيّدنا ، وحَبْرنا وعالمنا . قال : فلما فرغوا من قولهم خرجتُ عليهم ، فقلت لهم : يا معشر يهود ، اتقوا اللهَ واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله ، تجدونه مكتوبًا عندكم فى التوراة باسمه وصِفَته ، فإنى أشهدُ أنه رسولُ الله ، وأُومِن به ، وأُصدّقه وأَعرفه ؛ فقالوا : كذبتَ ، ثم وقعوا بى . قال : فقلتُ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ألم أُخْبِرك يا رسول الله أنهم قوم بُهت ، أهل غَدْر وكَذب وفُجور ! قال : فأظهرت إسلامى و إسلام أهل بيتى ، وأسلمت عمّتى خالدة بنت الحارث ، فحسُن إسلامها .

حـــديث مُخَيريق

إسلامه وموته ووصاته

قال ابن إسحاق :

وكان من حديث مُخَيْريق ، وكان حبرًا عالمًا ، وكان رجلا غنيًّا كثير

= كتفيه. وكأن النفس فى هذا الحديث عبارة عن الفتن المؤذنة بقيام الساعة ، وكان بدؤها حين ولى أمته ظهره خارجا من بين ظهرانيهم إلى الله تعالى؛ ألا تراه يقول فى حديث آخر: أنا أمان لأمتى، فإذا ذهبت أتى أمتى مايوعدون . فكانت بعده الفتنة ثم الهرج المتصل بيوم القيامة. ونحو من هذا قوله عليه السلام : بعثت أنا والساعة كهاتين ؛ يعنى السبابة والوسطى .

(١) البهت : الباطل .

الأموال من النخل ، وكان يَعْرف رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بصِفَته ، وما يجد فى علْمه ، وغلب عليه إلْفُ دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أُحُد ، وكان يومُ أُحد يومَ السبت ، قال : يا معشر يهود ، والله إنكم لَتَعلمون أن نَصْرَ محمد عليكم لحقّ . قالوا : إن اليوم يومُ السبت ؛ قال : لا سبتَ
٥ لكم . ثم أخذ سِلاحه ، فخَرج حتى أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بأُحُد ، وعَهِد إلى مَنْ ورَاءه من قومه : إنْ قُتِلتُ هذا اليومَ ، فأَمْوالى لمحمّد (صلّى الله عليه وسلّم) يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناسُ قاتل حتى قُتل . فكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — فيما بلغنى — يَقول : مخيريق خيرُ[1] يهود . وقَبض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أموالَه ، فعامّة صَدَقات رسول الله صلّى الله
١٠ عليه وسلّم بالمدينة منها .

شهادة عن صفية

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : حُدِّثت عن صفيّة بنت حُيَيّ بن أَخْطب أنها قالت :

كنت أَحبَّ وَلدِ أبى إليه وإلى عمّى أبى ياسر ، لم أَلقهما قطُّ مع ولد
١٥ لهُما إلا أخذانى دونه . قالت : فلما قَدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، ونزل قُباء ، فى بنى عمرو بن عوف ، غدَا عليه أبى ، حُيَيُّ بن أخطب ، وعمّى

(١) قال السهيلى : « ومخيريق مسلم ، ولا يجوز أن يقال فى مسلم : هو خير النصارى ولا خير اليهود ، لأن أفعل من كذا ، إذا أضيف فهو بعض ما أضيف إليه . فإن قيل : وكيف جاز هذا ؟ قلنا : لأنه قال : خير يهود ، ولم يقل : خير اليهود . ويهود اسم علم كثمود ،
٢٠ يقال إنهم نسبوا إلى يهوذ بن يعقوب ، ثم عربت الذال دالا . فإذا قلت اليهود بالألف واللام ، احتمل وجهين : النسب والدين ، الذى هو اليهودية ؛ أما النسب فعلى حد قولهم التيم فى التيمين ؛ وأما الدين ، فعلى حد قولك : النصارى والمجوس ، أعنى أنها صفة لأنها نسب إلى أب . وفى القرآن لفظ ثالث لا يتصور فيه إلا معنى واحد ، وهو الدين دون النسب ، وهو قوله سبحانه : « وقالوا كونوا هودا أو نصارى » بحذف الياء ، ولم يقل : « كونوا يهود » لأنه أراد التهود ،
٢٥ وهو التدين بدينهم .

أبو ياسر بن أخطب ، مُغَلِّسَيْن . قالت : فلم يرْجِعا حتى كانا مع غُروب الشمس . قالت : فأتَيا كالَّيْن كَسْلانين ساقِطين يمشيانِ الهُوَيْنى . قالت : فهشِشْتُ إليهما كما كنتُ أصْنع ، فوالله ما التفت إلىّ واحدٌ منهما ، مع ما بهما من الغمّ . قالت : وسمعت عمّى ، أبا ياسر ، وهو يقول لأبى حُيَىّ بن أَخْطب : أهو هو ؟ قال : نعم والله ؛ قال : أتعرفه وتُثْبته ؟ قال : نعم ؛ قال : فما فى ٥ نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بَقِيتُ .

من اجتمع إلى يهود من منافقى الأنصار

قال ابن إسحاق :

وكان مِمّن انضاف إلى يهود، ممن سمّى لنا من المنافقين من الأوس والخزرج، والله أعلم . من الأوس ، ثم من بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم ١٠ من بنى لَوذان بن عمرو بن عوف : زُوَىّ بن الحارث .

من بنى عمرو

ومن بنى حُبيب بن عمرو بن عوف : جُلاَس بن سُويد بن الصامت ، وأخوه الحارث ابن سويد .

من بنى حبيب

وجُلاَس الذى قال ــ وكان ممن تخلّف عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى غزوة تَبوك ــ لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شرٌّ من الحُمُر . فرفع ١٥ ذلك من قوله إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عُميرُ بن سعد ، أحدهم ، وكان فى حِجْر جُلاس ، خَلَف جُلاَسُ على أمه بعد أبيه ، فقال له عُمير بن سعد : والله يا جلاس ، إنك لأحبّ الناس إلىّ ، وأحسنهم عندى يداً ، وأعزّهم علىّ أن يُصيبه شىء يكْرهه ، ولقد قلتَ مقالةً لئن رفعتُها عليك لأفضحنّك ، ولئن صمتُّ عليها ليهلكنّ دينى ، ولإحداها أيسرُ علىّ من الأخرى . ثم مشى إلى رسول الله ٢٠ صلّى الله عليه وسلّم ، فذكر له ما قال جُلاس ، فحلف جلاس بالله لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لقد كذب علىّ عُمير ، وما قلتُ ما قال عُمير بن سعد . فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : « يَحلِفُونَ بِاللهِ ما قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ

شىء عن جلاس

وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ».

قال ابن هشام : الأليم : الموجع . قال ذو الرّمة يصف إبلاً :

٥ وتَرْفع من صدور شَمَرْدَلَات يَصُكّ وجوهَها وهجٌ[1] أليم[2]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق :

فزعموا أنه تاب فحسنت توبتُه ، حتى عُرف منه الخير والإسلام .

شئ عن الحارث بن سويد

وأخوه الحارث بن سُويد، الذى قتل المجذَّر بن ذِيَاد البَلَوِىّ، وقيسَ بن زيد، ١٠ أحدَ بنى ضُبيعة ، يوم أُحد . خرج مع المسلمين ، وكان منافقاً ، فلما التقى الناسُ عدَا عليهما فقتلهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذَّر بن ذِيَاد قتل سُويدَ بن صامت فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، فلما كان يوم أُحد طلب الحارث ابن سُويد غِرّةَ المجذَّر بن ذِيَاد ، ليقتله بأبيه ، فقتله وحدَه . وسمعت غيرَ واحد ١٥ من أهل العلم يقول : والدليل على أنه لم يقتل قيْس بن زيد ، أنّ ابن إسحاق لم يذكره فى قَتْلى أُحُد .

قال ابن إسحاق :

قتل سُويدَ بن صامت مُعاذُ بن عفراء غِيلةً ، فى غير حرب ، رماه بسَهْم فقتله قبل يوم بُعاث .

٢٠ قال ابن إسحاق :

(١) الشمردلات (هنا) : الإبل الطوال . والوهج : شدة الحر .
(٢) فى لسان العرب (مادة ألم) : « خدودها » .

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ـ فيما يذكرون ـ قد أمر عُمرَ بنَ الخطّاب بقَتْله إن هو ظفر به ، ففاته، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه جُلاس يطلب التّوبة، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه ـ فيما بلغني عن ابن عبّاس ـ : « كَيْفَ يَهْدِي ٱللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » . إلى آخر القصة . ٥

من بني ضبيعة

ومن بني ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف : بجَاد بن عثمان بن عامر .

من بني لوذان

ومن بني لَوْذان بن عمرو بن عوف: نَبْتل بن الحارث ، وهو الذى قال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ـ فيما بلغني ـ : من أحبّ أن ينظر إلى الشيطان ، فلينظر إلى نَبْتل ابن الحارث وكان رجلا جَسيماً أَذْلم[1] ثائرَ[2] شعر الرأس ، ١٠ أحمر العينين ، أسفع[3] الخدّين . وكان يأتي رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، يتحدّث إليه ، فيسمع منه ، ثم ينقل حديثَه إلى المُنافقين ؛ وهو الذى قال: إنما محمد أُذُن ، مَن حدّثه شيئاً صدّقه. فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : « وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » . ١٥

قال ابن إسحاق : وحدّثني بعض رجال بَلْعجلان أنه حُدّث :

أن جبريلَ عليه السلام أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له : إنه يجلس إليك رجلٌ أدلم ، ثائر شعر الرأس ، أسفع الخدّين ، أحمر العينين ، كأنهما قِدْران من صُفْر ، كبده أغلظُ من كبد الحمار ، ينقل حديثَك إلى المنافقين ، فاحذرْه . وكانت تلك صفة نَبْتل بن الحارث ، فيما يذكرون . ٢٠

---

(١) الأدلم : الأسود الطويل ، ويقال : هو المسترخى الشفتين .

(٢) ثائر شعر الرأس ، أى مرتفعة منتثرة .

(٣) السفعة : حمرة تضرب إلى السواد .

من بنى ضبيعة

ومن بنى ضُبيعة[1] : أبو حَبيبة بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضِّرار ؛ وثعلبةُ بن حاطب ، ومُعتِّب بن قُشير ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقنّ ولنكونن من الصالحين ، إلى آخر القصة . ومُعتّب ، الذى قال يوم أُحد : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : « وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا » إلى آخر القصة . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يعدنا أن نأكل كُنوز كِسرى وَقيْصَر ، وأحدُنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . فأنزل الله عزّ وجلّ فيه : « وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا » .

١٠ والحارثُ بن حاطب .

معتب وابنا حاطب بدريون وليسوا منافقين

قال ابن هشام : مُعتِّب بن قُشير ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم من بنى أمية بن زيد ، من أهل بدر وليسوا من المنافقين ، فيما ذَكر لى من أثق به من أهل العلم ، وقد نسب ابنُ إسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد فى أسماء أهل بَدْر .

١٥ قال ابن إسحاق :

وعَبّاد بن حُنيف ، أخو سهل بن حُنيف ؛ وبَحْزَج ، وهم ممن كان بَنى مسجد الضّرار ، وعمرو بنُ خِذام ، وعبد الله بن نَبْتل .

من بنى ثعلبة

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : جاريةُ بن عامر بن العَطّاف ، وابناه : زيد ومُجمِّع ، ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار . وكان مجمّع غلامًا حَدَثًا قد جمع من القرآن أكثره ، وكان يصلّى بهم فيه ، ثم إنه لما أُخرب المسجد ، وذهب رجالٌ من بنى عمرو بن عوف ، كانوا يصلّون ببنى عمرو بن عوف فى مسجدهم ، وكان زمانُ عمر بن الخطّاب ، كُلِّم فى مجمّع ليصلى بهم ؛ فقال : لا ، أوَ ليس بإمام المُنافقين فى مَسْجد الضّرار ؟ فقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، والله

(١) لعلهم غير ضبيعة بن زيد ، الذى تقدم .

الذى لا إله إلا هو ، ما علمت بشىء من أمرهم ، ولكنى كنت غلاما قارئاً للقرآن ، وكانوا لا قرآن معهم ، فقدّمونى أصلّى بهم ، وما أرى أمرَهم ، إلا على أحسن ماذكروا . فزعموا أن عُمر تركه فصلّى بقومه .

من بنى أمية — ومن بنى أُميّة بنَ زَيْد بن مالك : وَدِيعة بن ثابت ، وهو ممّن بَنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنّا نخُوض وَنَلْعب . فأنزل الله تبارك وتعالى : «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ » إلى آخر القصة . ٥

من بنى عبيد — ومن بنى عُبيد بن زيد بن مالك : خِذَام بن خالد ، وهو الذى أُخرج مسجد الضّرار من داره ؛ و بشر ورافع ، ابنا زيد [1] .

من بنى النبيت — ومن بنى النَّبيت ـ قال ابن هشام : النَّبِيت : عَمرو بنُ مالك بن الأوس ـ ١٠ قال ابن إسحاق : ثم من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مِرْبع بن قَيْظىّ ، وهو الذى قال لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أجاز فى حائطه [2] ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم عامدٌ إلى أُحُد : لاأُحِلّ لك يامحمدّ ، إنْ كنتَ نبيًّا، أن تمرّ فى حائِطى ، وأخذ فى يده حَفْنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أُصيب بهذا التراب غَيرك لرميتُك به . ١٥ فابتدره القومُ ليقتُلوه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : دعُوه ، فهذا الأعمى ، أعمى القلب ، أعمى البصيرة . فضربه سَعْد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل بالقوس فشجّه ؛ وأخوه أَوْس بن قَيْظى ، وهو الذى قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الخندق : يا رسولَ الله ، إن بيوتنا عورة ، فأْذَنْ لنا فلنرجع إليها . فأنزل الله تعالى فيه : « يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا ٢٠ هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا » .

قال ابن هشام :

عورة ، أى مُعْورة للعدوّ وضائعة ؛ وجمعها : عورات. قال النّابغة الذّبيانى :

---

(١) فى م ، ر : « قال ابن هشام : وبشر ورافع ... الخ .
(٢) الحائط : البستان .

٢٥

مَتَى تَلْقَهم لاَ تَلْقَ للبيت عَوْرَةً   ولاَالجارَ مَحْرومًا ولاالأمرَ ضائِعاَ

وهذا البيت فى أبيات له . والعورة (أيضاً) : عورة الرجل ، وهى حرمته . والعورة (أيضاً) السَّوءة .

قال ابن إسحاق :

من بنى ظفر

ومن بنى ظَفَر ، واسم ظَفر : كعب بن الحارث بن الخزرج : حاطبُ ابن أميّة بن رافع ، وكان شيخاً جسيماً قد عسا[1] فى جاهليته ، وكان له أبنٌ من خيار المُسْلمين . يقال له : يزيد بن حاطب ، أُصيب يوم أُحد حتى أثبتتْه الجراحات ، فحُمل إلى دار بنى ظَفر .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عاصم بنُ عمر بنُ قتادة :

أنه اجتمع إليه مَنْ بها من رِجال المُسْلمين ونسائهم ، وهو بالموت ، فجعلوا يقولون : أبشر ياُبن حاطِب بالجنة . قال : فنَجم[2] نِفاقُه حينئذ ، فجعل يقول أبوه : أجل ، جنّةٌ والله من حَرْمل ، غَرَرتُم والله هذا المسكين من نفسه .

قال ابن إسحاق :

و بُشير[3] بن أُبَيْرق ، وهو أبو طُعمَة ، سارق الدِّرعين ، الذى أنزل الله تعالى فيه : «وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا[4]» ؛ وقُزْمان : حليف لهم .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة :

أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقول : إنه لمن أهل النار . فلما

---

(١) عسا : أسن وولى .

(٢) نجم : ظهر .

(٣) قال أبو ذر : كذا وقع هنا (بشير) بفتح الباء . وقال الدارقطنى : إنما هو (بشير) بضم الباء .

(٤) وقصة ذلك: أن بنىأبيرق ، وكانوا ثلاثة : بشير ومبشر وبشر ، نقبوا مشربة أو نقبها بشر وحده ، وكانت المشربة لرفاعة بن زيد ، وسرقوا أدراعا له وطعاما ، فعثر على ذلك ، فجاء ابن أخيه قتادة بن النعمان يشكوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء أسيدبن عروة=

كان يوم أُحد قاتل قتالا شديداً حتى قَتل بضعة[1] نفر من المشركين ، فأثبتته الجراحات ، فَحُمل إلى دار بنى ظَفر ، فقال له رجال من المسلمين : أبشر ياقُزْمان، فقد أبليتَ اليومَ ، وقد أصابك ما ترى فى الله . قال : بماذا أُبشر ، فوالله ما قاتلت إلا حمِيَّة عن قومى ؛ فلما اشتدّت به جراحاتُه وآذتْه أخذ سهماً من كِنانته ، فقطع به رواهشَ[2] يده ، فقَتل نفسه . ٥

قال ابن إسحاق :

من بنى عبد الأشهل

ولم يكن فى بَنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يُعلم ، إلا أن الضحّاك ابن ثابت ، أحد بنى كَعب ، رهطِ سعد بن زيد، قدكان يُتّهم بالنفاق وحُبّ يهود.

قال حسّان بن ثابت :

من مُبلغُ الضحّاك أن عُروقه ... أعْيتْ على الإسلام أن تَتَمجّدَا ١٠
أتحبّ يُهْدانَ الحجاز ودِينهم ... كبِدَ الحمار ، ولا تحبّ محمدا
ديناً لعمرى لا يوافق دِينَنا ... ما اُستَنَّ آلٌ فى الفضاء وخَوّدا

وكان جُلاس بنُ سويد بن صامت قَبْل توبته – فيما بلغنى – ومعتّب ابن قُشير، ورافع بن زيد ، و بِشر ، وكانوا يُدْعون بالإسلام ، فدعاهم رجال من

ابن أبيرق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله، إن هؤلاء عمدوا إلى أهل بيت ، هم أهل صلاح ودين فأبنوهم بالسرقة ، ورموهم بها من غير بينة ، وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتادة ورفاعة ، فأنزل الله تعالى : « ولا تجادل » الآية ؛ وأنزل الله تعالى : « ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا »؛ وكان البرىء الذى رموه بالسرقة لبيد بن سهل ، قالوا : ماسرقناه وإنما سرقه لبيد بن سهل ، فبرأه الله . فلما أنزل الله تعالى ما أنزل هرب ابن أبيرق السارق إلى مكة، ونزل على سلافة بنت سعد بن شهيب، فقال فيها حسان بن ثابت : ١٥ ٢٠

وما سارق الدرعين إذ كنت ذاكرا ... بذى كرم بين الرجال أوادعه
وقد أنزلته بنت سعد فأصبحت ... ينازعها جار استها وتنازعه
ظننتم بأن يخفى الذى قد صنعتم ... وفيكم نبى عنده الوحى واضعه

فقالت : إنما أهديت لى شعر حسان، وأخذت رحله وطرحته خارج المنزل ، فهرب إلى خيبر ثم إنه نقب بيتا ذات ليلة فسقط الحائط عليه فمات . ٢٥

(١) فى ا : « تسعة » .

(٢) الرواهش : عصب ظاهر اليد .

المسلمين فى خصومة كانت بينهم إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدعوهم إلى الكُهَّان ، حكّام أهل الجاهلية ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ

٥ ضَلَالاً بَعِيداً » . إلى آخر القصة .

من الخزرج — ومن الخزرج ، ثم من بني النجّار : رافعُ بن وَدِيعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سَهْل .

من بنى جشم — ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلِمة : الجدّ بن قَيْس ، وهو الذى يقول : يا محمد ، أئذن لى ولا تفتنى . فأنزل الله تعالى فيه : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ

١٠ ائْذَنْ لِي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ » . إلى آخر القصة .

من بنى عوف — ومن بنى عوف بن الخزرج : عبدُ الله بن أبىّ بن سَلُول ، وكان رأسَ المُنافقين ، وإليه يجتمعون ، وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ ، فى غَزْوة بنى المُصْطلق . وفى قوله ذلك ، نزلت سورةُ

١٥ المُنافقين بأسرها . وفيه وفى وَديعة — رجل من بنى عوف — ومالك ابن أبى قَوْقل ، وسُوَيد ، وداعس ، وهم من رهط عبد الله بن أبىّ بن سلول ؛ وعبدُ الله بن أبىّ بن سلول . فهؤلاء النفر من قومه الذين كانوا يدسّون إلى بنى النّضير حين حاصَرهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أن اثبتوا ، فوالله لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم . فأنزل الله

٢٠ تعالى فيهم : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا

وَإِنْ قوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ واللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » ، ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله : « كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ » .

من أسلم من أحبار يهود نفاقاً

قال ابن إسحاق[1] :

وكان ممن تعوّذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق ، من أحبار يهود

من بني قينقاع

من بني قَيْنُقَاع : سعدُ بنُ حُنيف ، وزَيْد بن اللُّصَيت ، ونُعمان ابن أوفى بن عمرو ، وعثمان بن أوفى . وزيد بن اللصَيْت ، الذى قاتل عمر بن الخطّاب رضى الله عنه بسُوق بنى قَيْنقاع ، وهو الذى قال ، حين ضلّت ناقةُ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يزعم محمدٌ أنه يأتيه خبرُ السماء وهو لا يدرى أين ناقتُه ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وجاءه الخبر بما قال عدوُّ الله فى رَحْله ، ودلّ الله تبارك وتعالى رسولَه صلّى الله عليه وسلّم على ناقته : إن قائلا قال : يزعُم محمدٌ أنه يأتيه خبرُ السماء ولا يدرى أين ناقته ؟ وإنى والله ما أعلم إلا ما علّمنى الله ، وقد دلّنى الله عليها ، فهى فى هذا الشِّعْب ، قد حبَسَتْها شجرةٌ بزمامها ، فذهب رجالٌ من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسولُ الله صلّى الله عليه سلّم ، وكما وصف . ورافعُ بن حُرَيملة ، وهو الذى قال له الرسولُ صلّى الله عليه وسلّم — فيما بلغنا — حين مات : قد مات اليوم عظيمٌ من عظماء المنافقين ؛ ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى قال له رسول الله صلّى الله

(١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « بسم الله الرحمن الرحيم . قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى قال حدثنا محمد بن اسحاق المطلبى قال »

عليه وسلّم حين هبّت عليه الريح ، وهو قافلٌ من غزوة بَنى المُصْطَلق ، فاشتدّت عليه حتى أشفق المسلمون منها ؛ فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا تخافوا ، فإنما هبّت لموت عَظيم من عُظماء الكفار . فلما قَدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ وجد رفاعةَ بن زَيْد بن التابوت مات ذلك اليومَ الذى

٥ هبّت فيه الرّيحُ . وسِلْسلة بن بَرْهام . وكِنانة بن صُوريا .

طرد المنافقين من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هؤلاء المنافقون يحضُرون المسجدَ فيستمعون أحاديثَ المُسْلمين ، ويَسْخَرون ويَسْتهزئون بدِينهم ، فاجتمع يومًا فى المَسْجد منهم ناسٌ ، فرآهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يتحدّثون بينهم خافِضى أصواتهم ، قد لَصِق بعضُهم ببعض ، فأمر بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فأُخْرِجوا من المسجد

١٠ إخراجاً عَنيفاً ، فقام أبو أيّوب ، خالد بن زيد بن كُلَيب ، إلى عَمْرو بن قَيْس ، أحدِ بنى غَنْم بن مالك بن النجّار ـ كان صاحبَ آلهتهم فى الجاهليّة ـ فأخذ برِجْله فسَحبه ، حتى أخرجه من المسجد ، وهو يقول : أتُخْرِجنى يا أبا أيوب من مِرْبد بنى ثَعْلبة ! ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع بن وَديعة ، أحد بنى النجّار ، فلبّبه برِدائه ثم نَتَره[1] نترًا شديداً ، ولطم وجهه ، ثم أخرجه من المسجد ،

١٥ وأبو أيّوب يقول له : أُفّ لك منافقاً خبيثاً ! أدراجَك يا منافق من مَسْجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن هشام : أى ارجع من الطريق التى جئت منها . قال الشاعر :

فولّى وأَدْبر أدراجَه ... وقد باء بالظُّلْم من كان ثَمّ[2]

وقام عمارة بن حَزْم إلى زَيد بن عَمْرو ، وكان رجلاً طويلَ اللّحْية ، فأخذ

٢٠ بلِحْيته فقاده بها قَوْدًا عَنيفاً حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عُمارة يَدَيْه فلَدَمه بهما فى صدره لَدْمة خَرّ منها قال : يقول : خدَشْتنى يا عمارة ؛ قال :

(١) نتره : جذبه .

(٢) هذه العبارة من قوله . قال ابن هشام إلى آخر البيت ، ساقطة فى ١ .

أبعدك الله يا منافق ، فما أعدّ الله لك من العذاب أشدّ من ذلك ، فلا تقربنّ مسجدَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم

قال ابن هشام : اللدم : الضرب ببَطْن الكفّ . قال تميم بن أُبيّ ابن مُقْبل :

وَللفؤاد وَجيبٌ تحت أبْهره   لدمَ الوَليد وراء الغَيْب بالحَجرِ   ٥

قال ابن هشام : الغيب : ما انخفض من الأرض . والأبهر : عِرْق القلب .

قال ابن إسحاق :

وقام أبو محمد ، رجل من بنى النجّار ، كان بدريًّا ، وأبو محمد مَسْعود بن أَوْس ابن زَيْد بن أَصْرم بن زَيْد بن ثَعْلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار ، إلى قَيْس ابن عَمْرو بن سَهْل ، وكان قَيْس غلامًا شابًّا ، وكان لا يعلم في المُنافقين شابٌ   ١٠ غيره ، فجعل يدفع فى قَفاه حتى أخْرجه من المسجد .

وقام رجل من بَلْخُدْرة[1] بن الخَزْرج ، رهط أبي سعد الخُدْرِى ، يقال له : عبد الله بن الحارث ، حين أمَر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بإخراج المنافقين من المَسْجد إلى رجل يُقال له : الحارث بن عمرو ، وكان ذا جُمّه ، فأخذ بجُمّته فسَحبه بها سحباً عنيفاً ، على ما مرّ به من الأرض ، حتى أخرجه من   ١٥ المَسْجد . قال : يقول المنافق : لقد أغْلظت يا بن الحارث ؛ فقال له : إنك أهلٌ لذلك ، أى عدوّ الله ، لما أنزل الله فيك ، فلا تقربنّ مسجد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فإنك نَجَس .

وقام رجل من بنى عَمرو بن عوف إلى أخيه زُوَىّ بن الحارث ، فأَخْرجه

---

(١) بلخدرة ، يريد بنى الخدرة : وقد ذكر أبو ذر فيه رواية أخرى على أنها فى الأصل ،   ٢٠ فقال : « وقام رجل من بلبجرة ، صوابه : من بلأبجر ، يريد بنى الأبجر ، فخذف، كما يقال فى بنى الحارث : بلحارث . وقد يخرج ماذكر على نقل الحركة . ورواه بعضهم بلخدرة ، يريد بنى الخدرة » .

من المسجد إخراجاً عنيفاً ، وأَفّف[1] منه ، وقال : غلب عليك الشيطانُ وأَمْره .

فهؤلاء من حضر المسجدَ يومئذٍ من المنافقين ، وأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بإخراجهم .

ما نزل من البقرة فى المنافقين ويهود

ما نزل فى الأحبار

٥ فنى هؤلاء من أَحْبار يهود ، والمُنافقين من الأوس والخَزْرج ، نزل صَدرُ سورة البقرة إلى المئة منها – فيما بلغنى – والله أعلم .

يقول الله سبحانه وبحمده : « الٓمٓ ذٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ » ، أى لاشكّ فيه .

قال ابن هشام : قال ساعدة بن جُؤَيَّة[2] الهُذَلى :

١٠ فقالوا عَهِدنا القومَ قد حَصَرُوا به فلاَ رَيْبَ أَنْ قد كان ثَمّ لَحِيمُ[3]

وهذا البيت فى قصيدة له ، والرّيب [أيضاً] : الرِّيبة . قال خالد بن زُهير الهُذَلىّ :

* كأننى أَرِيبُه برَيْب *

قال ابن هشام : ومنهم من يرويه :

١٥ * كأننى أَرَبْتُه برَيْب *

وهذا البيت فى أبيات[4] له . وهو ابن أخى أبى ذُؤَيب الهُذَلى .

« هُدًى لِلْمُتَّقِينَ » ، أى الذين يحذرون من الله عقوبتَه فى تَرْكِ مَا يعْرِفون من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصديق بما جاءهم منه . « ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

---

(١) أفف منه ، أى قال له : أف .

٢٠ (٢) فى م ، « جؤبة » ، بالباء الموحدة، وهو تصحيف .

(٣) حصروا به : أحدقوا . ولحيم : أى قتيل .

(٤) وقد قالها خالد حين اتهمه أبو ذؤيب بامرأته ، والأبيات هى :

ياقوم مالى وأبا ذؤيب كنت إذا أتيته من غيب
يشم عطفى ويبز ثوبى كأننى أربته بريب

بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ » ، أى يقيمون الصلاة بفرضها ، ويؤتون الزكاة احتسابًا لها . « وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ » ، أى يصدّقونك بما جئتَ به من الله عزّ وجلّ، وما جاء به مَنْ قبلك من المُرسلين ، لا يفرّقون بينهم، ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربّهم . «وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ» ، أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان ، ٥
أى هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك ، وبما جاءك من ربك « أُولٰئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ » ، أى على نور من ربهم واستقامة على ما جاءهم « وأُولٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ » ، أى الذين أدركوا ما طلبوا ونجَوْا من شرّ ما منه هربوا . «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» ، أى بما أُنزل إليك ، وإن قالوا إنا قد آمنّا بما جاءنا قبلك « سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» ، ١٠
أى أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحدوا ما أُخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم ، ممّا جاءهم به غيرُك ، فكيف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً ، وقد كفروا بما عندهم من علمك . « خَتَمَ اللّٰهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ» ، أى عن الهدى أن يُصيبوه أبداً، يعنى بما كذّبوك به من الحقّ الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا ١٥
بكلّ ما كان قبلك ، ولهم بما هم عليه من خلافك عذابٌ عظيم .

فهذا فى الأحبار من يهود ، فيما كذّبوا به من الحقّ بعد معرفته .

ما نزل فى منافقى الأوس والخزرج

« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ »، يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم . « يُخَادِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » ، أى شكّ ٢٠
«فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا» ، أى شكًّا «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ » ، أى إنما نريد

الإصـــــلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الـكتاب . يقول الله تعالى :
« أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَـٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ . وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ » من يهود ، الذين ٥ يأمرونهم بالتكذيب بالحقّ وخلافِ ما جاء به الرسول « قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ » ، أى إنا على مثل ما أنتم عليه « إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ » ، أى إنما نستهزئ بالقوم ، ونلعب بهم . يقول الله عزّ وجلّ : « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يعمهون : يحارون . تقول العرب : رجل عَمِهٌ ، وعامِهٌ : أى ١٠ حَيْران . قال رُؤْبة بن العَجّاج يصف بلداً :

* أعمى الهُدى بالجاهلين العُمَّه *

وهذا البيت فى أرجوزة له . فالعُمَّه : جمع عامه ؛ وأما عَمِه ، فجمعه : عَمِهون . والمرأة : عَمِهة وعَمْهاء .

« أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى » ، أى الـكفر بالإيمان « فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ » .

١٥ قال ابن إسحاق :

ثم ضرب لهم مثلا ، فقال تعالى : « كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ » ، أى لا يبصرون الحقّ ويقولون به ، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الـكفر أطفئوه بـكفرهم به ، ونفاقهم فيه ، فتركهم الله فى ظلمات الـكفر فهم لا يبصرون هــــدى ، ٢٠ ولا يســـتقيمون على حقّ . « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ » ، أى لا يرجعون إلى الهدى ، صمّ بكمٌ عُمْى عن الخير ، لا يرجعون إلى خير ولا يصيبون نجاة ، ما كانوا على ما هم عليه . « أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الصيِّب : المطر ، وهو من صاب يصُوب ، مثل قولهم : السيِّد ، من ساد يسود ، والميِّت : من مات يموت ؛ وجمعه : صَيائب . قال عَلْقمة بن عَبَدة ، أحدُ بنى رَبيعة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم :

كأنَّهمُ صابتْ عليهمْ سَحابةٌ صواعقُها لطَيْرهنَّ دَبيبُ

وفيها :

فلا تَعْدِلى بينى وبين مُغَمَّر سَقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حَيْثُ تَصُوبُ[1]

وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق :

أى هم من ظلمة ماهم فيه من الكفر والحذر من القتل ، مِنَ الذى هم عليه من الخلاف والتخوّف لكم ، على مثل ما وُصف ، من الذى هو [فى][2] ظلمة الصيِّب ، يجعل أصابعَه فى أذنيه من الصواعق حَذَر الموت . يقول[3] : والله منزل ذلك بهم من النقمة ، أى هو محيط بالكافرين « يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ » ، أى لشدّة ضوء الحق « كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا» ، أى يعرفون الحقّ و يتكلّمون به، فهم من قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه فى الكفر قاموا متحيّرين ، « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ » ، أى لِما تركوا من الحقّ بعد معرفته « إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

ثم قال : « يٰأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم » ، للفريقين جميعاً ، من الكفار والمنافقين ، أى وحّدوا ربكم « الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ».

(١) المغمر : الذى لم يجرب الأمور .
(٢) زيادة عن ا ، ط .
(٣) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : «يقول الله والله .. الخ».

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأنداد : الأمثال ، واحدهم : ندّ . قال لَبِيد بن ربيعة :

أَحْمَدُ اللهَ فلا نِدَّ له بِيَدَيْهِ الخيرُ ما شاء فَعَلْ

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق :

٥ أى لا تُشركوا بالله غيرَه من الأنداد التى لا تنفع ولا تضرّ ، وأنتم تعلمون أنه لا ربّ لكم يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذى يدعوكم إليه الرسولُ من توحيده هو الحقّ لاشكّ فيه . « وَإِنْ كُنْتُمْ فى رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا » ، أى فى شكّ مما جاءكم به ، « فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ » ، أى من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه « إِنْ كُنْتُمْ

١٠ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا » قد تبيّن لكم الحق « فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ » ، أى لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر .

ثم رغّبهم وحذّرهم نقضَ الميثاق الذى أخذ عليهم لنَبِيّه صلّى الله عليه وسلّم إذا جاءهم ، وذكر لهم بَدْء خَلْقهم حين خلقهم ، وشأنَ أبيهم آدم عليه السلام

١٥ وأَمْرَه ، وكيف صُنِع به حين خالف عن طاعته ، ثم قال : « يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ » للأحبار من يهود « اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ » ، أى بلائى عندكم وعند آبائكم ، لمّا كان نجّاهم به من فرعون وقومه « وَأَوْفُوا بِعَهْدِي » الذى أخذت فى أعناقكم لنبيِّى أحمد إذا جاءكم « أُوفِ بِعَهْدِكُمْ » أُنجز لكم ما وعدتكم على تَصْديقه واتباعه بِوَضْع ما كان عليكم من الآصار والأغلال

٢٠ التى كانت فى أعناقكم ، بذنوبكم التى كانت من أحداثكم « وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ » ، أى أن أُنْزل بكم مَا أَنْزلت بمَنْ كان قبلكم من آبائكم من النَّقِمات التى قد عرفتم ، من المَسْخ وغيره . « وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا

أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ » وعندكم من العِلْم فيه ما ليس عند غيركم. « وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ. وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » ، أى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم. « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ » ، أى أتنهون الناس عن الكفر بما عندكم ٥ من النبوّة والعهد من التوراة، وتتركون أنفسكم، أى وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تَصْدِيق رسولى، وتَنقُضون ميثاقِى، وتَجْحدون ما تَعْلمون من كتابى.

ثم عدّد عليهم أحداثَهم، فذكر لهم العِجلَ وما صَنعوا فيه، وتوْبتَه عليهم، وإقالتَه إياهم، ثم قولَهم : « أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ».

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : جهرة ، أى ظاهراً لنا لا شىء يستره عنّا. قال أبو الأَخْزر ١٠ الْحُمَانى ، واسمُه قُتيبة :

* يَجْهر أجوافَ المِياه السُّدُم[1] *

وهذا البيت فى أرجوزة له.

يجهر : يقول : يُظهر المَاء ويَكْشف عنه ما يستره من الرمل وغيره.

قال ابن إسحاق : ١٥

وأخذَ الصاعقة إياهم عند ذلك لِغرّتهم، ثم إحياءَه إياهم بعد موتهم، وتظليلَه عليهم الغمام، وإنزالَه عليهم المنّ السّلوى، وقوله لهم : « ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ » ، أى قولوا ما آمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم ؛ وتبديلَهم ذلك من قوله استهزاءً بأمره ، وإقالتَه إياهم ذلك بعد هُزْئهم.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام ، المنّ : شىء كان يسقط فى السَّحَر على شجرهم ، فيَجْتنونه ٢٠ حُلواً مِثل العسل، فيَشْربونه ويأكلونه. قال أعشى بنى قَيْس بن ثعلبة :

---

(١) المياه السدم : القديمة العهد بالواردة ، حتى كادت تندفن.

لو أُطْعِموا المَنَّ والسَّلْوى مكانَهمُ ما أبصر الناسُ طُعْماً فيهمُ نَجَعَا[1]

وهـــذا البيت فى قصيدة له . والسلوى : طير ؛ واحدتها : سَلْواة ؛ ويقال : إنها السُّمَانَى ؛ ويقال للعسل (أيضاً) : السلوى. وقال : خالد بن زُهير الهُذَلىّ :

وقاسمها بالله حقًّا لأنتمُ ألذُّ من السَّلْوى إذا ما نَشُورها

٥ وهذا البيت فى قصيدة له[2] . وحِطّة : أى حُطَّ عنا ذُنوبَنا .

قال ابن إسحاق : وكان من تَبْديلهم ذلك ، كما حدّثنى صالح بن كَيْسان عن صالح مولى التَّوْءمة بنت أُميّـــة بن خلف ، عن أبى هُريرة ومن لا أتّهم ، عن ابن عبّاس ، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال :

دَخَلُوا الباب الذى أُمروا أن يدخلوا منه سُجّدًا يزحفون ، وهم يقولون ١٠ حِنْط فى شعير .

قال ابن هشام : ويروى : حنطة فى شعيرة .

قال ابن إسحاق :

واستسقاءُ موسى لقومه ، وأمره [إياه][3] أن يضرب بعصاه الْحَجَرَ ، فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عيناً ، لكلّ[4] سِـــبْط عَيْن يَشْربون منها ، ١٥ قد عَلِم كُلُّ سِـــبْط عينَه التى منها يشرب ؛ وقولهم لموسى عليه السلام : «لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا » .

قال ابن هشام : الفُوم : الحنطة . قال أُمية بن أبى الصّلت الثّقفى :

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

فوقَ شِيزَى مثلِ الجَوابِى عَليها قِطَعٌ كالوذِيل فى نِقْى فُومِ[5]

٢٠ قال ابن هشام : الوذيل : قطع الفضّة [والفوم : القمح][6] ؛ واحدته :

---

(١) نجع : نفع .

(٢) العبارة من قوله «والسلوى» إلى قوله « فى قصيدة له » ساقطة فى ا .

(٣) زيادة عن ا ، ط .

(٤) الأسباط فى بنى إسحاق ، كالقبائل فى بنى إسماعيل .

٢٥ (٥) الشيزى : جفان تصنع من خشب يقال له الشيز ، وهو خشب أسود . والجوابى : جمع جابية ، وهى الحياض يجبى فيها الماء ، أى يجمع .

(٦) زيادة عن ط .

فُومة . وهذا البيت فى قصيدة له .

« وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا . قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ . اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ » .

قال ابن إسحاق :

فلم يفعلوا. ورَفْعَه الطّور فوقهم ليأخذوا ماأُوتوا ؛ والمسخ الذى كان فيهم ، ٥ إذ جعلهم قِردةً بأَحْداثهم ، والبقرةَ التى أراهم الله عزّ وجلّ بها العِبْرةَ فى القتيلِ الذى اختلفُوا فيه، حتى بَيّن الله لهم أمرَه ،بعد التردّد على موسى عليه السّلام فى صِفَة البقرة ؛ وقسوةَ قلوبهم بعد ذلك حتى كانت كالحجارة أو أشدّ قسوة . ثم قال تعالى : « وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ » ، أى وإن من ١٠ الحجارة لألْينُ من قُلُوبكم عمّا تُدْعون إليه من الحقّ « وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » .

ثم قال لمحمد عليه السلام ، ولمن معه المؤمنين يُؤيسهم منهم : « أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » ، وليس قوله « يَسْمَعُونَ التَّوْرَاةَ » ، أن كلّهم قد ١٥ سَمِعها ، ولكنه فريق منهم ، أى خاصة .

قال ابن إسحاق[1] ، فيما بلغنى عن بعض أهل العلم :

قالوا لموسى : يا موسى ، قد حيل بيننا وبين رؤية الله فأَسْمعنا كلامَه حين يكلّمك، فطلب ذلك موسى عليه السلام من ربّه ، فقال له: نعم ، مُرْهُمْ فَلْيَتَطَهَّرُوا أو ليطهروا ثيابَهم ، وليصُوموا ؛ ففعلوا . ثم خرج بهم حتى أتى بهم الطورَ ، فلما ٢٠ غشيهمُ الغمام أمرهم موسى فوقعوا سُجّدًا ، وكلّمه ربه ، فسمعوا كلامه تبارك

(١) هذه العبارة ساقطة فى ا .

وتعالى ، يأمرُهم ويَنْهاهم ، حتى عَقَلوا عنه ما سمعوا ، ثم انصرف بهم إلى بنى إسرائيل ، فلما جاءهم حرّف فريقٌ منهم ما أمرهم به ، وقالوا ، حين قال موسى لبَنى إسرائيل : إن الله قد أمركم بكذا وكذا ، قال ذلك الفريق الذى ذكر الله عزّ وجلّ : إنما قال كذا وكذا ، خلافاً لما قال الله لهم ، فهم الذين عنى الله

٥ عزّ وجلّ لرسوله الله صلّى الله عليه وسلّم .

ثم قال تعالى : « وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا » ، أى بصاحبكم[1] رسول الله ، ولكنه إليكم خاصة . « وإذا خلا بعضُهم إلى بعض قالوا لا تحدِّثوا العربَ بهذا ، فإنكم قد كنتم تَسْتفتحون به عليهم ، فكان فيهم . فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : « وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا

١٠ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » ، أى تُقِرّون بأنه نبىّ ، وقد عرفتم أنه قد أُخذ له الميثاق عليكم باتباعه ، وهو يُخبركم أنه النبىّ الذى كنّا ننتظر ونجد فى كتابنا ؛ أُجحدُوه ولا تُقِرُّوا لهم به . يقول الله عزّ وجلّ : « أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

١٥ قال ابن هشام عن أبى عُبيدة :

إلا أمانىّ : إلا قراءة ، لأن الأُمّى : الذى يقرأ ولا يكتب . يقول : لا يعلمون الكتاب إلا [أنهم][2] يقرءونه .

قال ابن هشام[3] : عن أبى عُبيدة ويونس أنهما تأوّلا ذلك عن العرب فى قول الله عزّ وجلّ ، حدثنى أبو عبيدة بذلك .

٢٠ قال ابن هشام : وحدّثنى يونس بن حَبيب النحوى وأبو عُبيدة :

أنّ العرب تقول : تمنّى ، فى معنى قرأ . وفى كتاب الله تبارك وتعالى :

---

(١) فى م ، ر : « أى أن صاحبكم . . . الخ » .

(٢) زيادة عن ا ، ط .

(٣) كذا فى ا . وقد وردت هذه العبارة مضطربة فى سائر الأصول .

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ » . قال : وأنشدنى أبو عُبيدة النحوىّ :

تمنّى كِتابَ الله أوّلَ ليله وآخرَهُ وافَى حِمامُ القادِرِ

وأنشدنى أيضاً :

تَمنّى كتابَ الله فى الليل خالياً تَمنّيَ داودَ الزّبورَ على رِسْلِ ٥

وواحدة الأمانىّ : أُمنيّة . والأمانىّ (أيضاً) : أن يتمنى الرجلُ المالَ أو غيره .

قال ابن إسحاق : « وإنْ هُمْ إلاَّ يَظنُّونَ » : أى لا يعلمون الكتابَ ولا يَدْرون ما فيه ، وهم يَجْحدون نبوّتَك بالظن . « وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ » . ١٠

دعوى اليهود قلة العذاب فى الآخرة ورد الله عليهم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى مولًى لزَيْد بن ثابت عن عِكْرمة ، أو عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس ، قال :

قَدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ ، واليهود تقول : إنما مدّةُ الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يُعذّب الله[1] الناسَ فى النار بكلّ ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحداً فى النار من أيام الآخرة ، وإنما هى سبعةُ أيام ثم ينقطع العذاب . فأنزل الله فى ذلك من قولهم : « وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَةً . قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ . بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ » . ١٥

أى من عمل بمثل أعمالكم ، وكفَر بمثل ما كفرتم به ، يُحيط كفره بما له عند الله من حسنة ، « فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » ٢٠

---

(١) فى ط : « وإنما يعذب الناس . . . الخ » .

أى خُلد أبداً . « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون » ، أى من آمن بما كفرتم به ، وعمل بما تركتم من دينه ، فلهم الجنة خالدين فيها . يُخبرهم أن الثواب بالخير والشرّ مقيمٌ على أهله أبداً ، لا انقطاع له .

٥ قال ابن إسحاق :

ثم قال [الله عزّ وجلّ][١] يؤنبهم : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ » ، أى ميثاقكم « لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى والمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ » ، أى تركتم ذلك كله ليس

١٠ بالتنقّص . « وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

تسفكون : تصبّون . تقول العرب : سَفَك دمَه ، أى صبّه ؛ وسفك الزقّ ، أى هَراقه . قال الشاعر :

وكنّا إذا ما الضيفُ حلّ بأرضنا   سفكنا دِماء البُدْن فى تُرْبة الحالِ

١٥ قال ابن هشام : يعنى « بالحال » : الطين الذى يخالطه الرمل ، وهو الذى تقول له العرب : السّهلة . وقد جاء فى الحديث[٢] : أن جبريل لما قال فرعون : « آمَنْتُ أَنَّه لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيل ، أخذ من حال البحر[٣] [وحَمأته][٤] ، فضرب به وجهَ فرعون . [والحال : مثل الحمأة][٥]

(١) زيادة عن ط .

٢٠ (٢) فى ا ، ط : « وفى الحديث » .

(٣) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « الأرض » .

(٤) زيادة عن ا ، ط .

(٥) هذه العبارة ساقطه فى ا .

قال ابن إسحاق :[1]

« وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ » . على أن هذا حقّ من ميثاق عليكم ، « ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » ، أى أهل الشرك ، حتى يسفكوا دماءهم معهم ، ويخرجوهم من ديارهم معهم . « وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ » وقد عرفتم أن ذلك عليكم فى دينكم « وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ » فى كتابكم « إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » ، [أى][1] أتفادونهم مؤمنين بذلك ، وتخرجونهم كفاراً بذلك . « فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ . أُولٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ » . فأنّبهم الله عزّ وجلّ بذلك من فِعْلهم ، وقد حرّم عليهم فى التوراة سفكَ دمائهم ، وافترضَ عليهم فيها فِداء أسراهم .

فكانوا فريقين ، منهم بنو قَيْنُقاع ولِفُّهم[2] ، حلفاء الخزرج ؛ والنَّضيرُ وقُرَيظة ولِفّهم ، حلفاء الأوس . فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حربٌ . خرجت بنو قَيْنُقاع مع الخزرج ، وخرجت النضيرُ وقُرَيظة مع الأوس ، يُظاهر كلٌّ واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه ، حتى يَتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيْديهم التوراةُ يَعْرفون فيها ما عليهم وما لهم ، والأوس والخزرج أهلُ شِرْك يَعبدون الأوثان : لا يعرفون جنّةً ولا ناراً ، ولا بعثاً ولا قيامة ، ولا كتاباً ، ولا حلالا ولا حراما ، فإذا

(1) زيادة عن ط .

(2) لفهم : أى من عد فيهم .

وضعت الحربُ أوزارها[١] افتدوا أُسَاراهم[٢] تصديقاً لما فى التوراة ، وأخذ به بعضُهم من بعض ، يَفتدى بنوقَيْنُقاع مَن[٣] كان من أَسْراهم فى أيدى الأوس ، وتَفْتدى النَّضِير وقُريظة ما فى أيدى الخَزْرج منهم . وَيُطِلّون[٤] ما أصابوا من الدماء وقَتْلى من قُتِلوا منهم فيما بينهم ، مُظاهرةً لأهل الشرك عليهم . يقول الله

٥ تعالى لهم حين أنَّبهم[٥] بذلك : « أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » ، أى تُفادِيه بحُكم التوراة وتقتُله ، وفى حكم التوراة أن لا تفعل ، تقتله وتُخْرِجه من داره وتُظاهِر عليه من يُشْرِك بالله ، ويَعْبد الأوثان من دونه ، إبتغاء عرض الدنيا . ففى ذلك من فعلهم مع الأوس والخزرج — فيما بلغنى — نزلت هذه القصة .

١٠ ثم قال تعالى : « ولقد آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ » ، أى الآيات التى وضعت[٦] على يديه ، من إحياء الموتى ، وخَلْقه من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وإبراء الأسقام ، والخَبَر بكثير من الغيوب مما يَدَّخرون فى بيوتهم ، وما ردّ عليهم من[٧] التوراة مع الإنجيل ، الذى أحدث الله إليه . ثم ذَكَر

١٥ كُفْرهم بذلك كله ، فقال : « أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ » ، ثم قال تعالى : « وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ » : فى أكنة . يقول الله عزّ وجلّ : « بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا ، ط .
(٢) فى م : « أسارهم » . وهو تحريف .
(٣) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : « ما » .
(٤) يطلون : يبطلون .
(٥) كذا فى ا ، ط . فى سائر الأصول : « أنبأهم » ولا يستقيم بها الكلام
(٦) كذا فى ط . وفى سائر الأصول : « وضع » .
(٧) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « مع التوراة والأنجيل » .

مَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ».

قال ابن إسحاق : حدّثنى عاصم بن عُمر بن قَتادة عن أشياخ من قومه قال قالوا: فينا والله وفيهم نزلت هذه القصة ، كنّا قد عَلَوْناهم ظَهْرًا فى الجاهلية ، ونحن أهل شِرْك ، وهم أهل كتاب ، فكانوا يقولون لنا : إن نبيًّا يُبْعث الآن نتبعه ، قد أظلّ زمانُهُ ، نقتلكم معه قتلَ عاد وإرم . فلما بَعث الله رسولَه صلّى الله عليه وسلّم من قُرَيش فاتبعناه كفروا به . يقول الله : « فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » ، أى أنْ جَعله فى غيرهم « فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

فباءوا بغضب أى اعترفوا به واحتملوه . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها   كصرخة حُبْلَى يَسّرتها قَبيلُها[1]

[قال ابن هشام : يسّرتها : أجلستها للولادة][2] . وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق :

فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيّعوا من التوراة ، وهى معهم ، وغضبٌ بكُفْرهم بهذا النبى صلّى الله عليه وسلّم الذى أحدث الله إليهم .

ثم أنّبهم برَفْع الطّور عليهم ، واتخاذهم العِجْل إلهًا دون ربهم ؛ يقول الله تعالى لمحمد صلّى الله عليه وسلّم : « قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ

(1) القبيل : القابلة .

(2) زيادة عن ط .

اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » ؛ أى ادعوا بالموت على أىّ الفريقين أكْذَبُ عند الله ، فأبَوْا ذلك على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . يقول الله جلّ ثناؤه لنبيّه عليه الصلاة والسلام : « وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ » ، أى بعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك[1] ؛ فيقال : لو تمنّوه يومَ قال ذلك لهم ما بقى على وجه الأرض يهودىّ إلا مات . ثم ذكر رغبتهم فى الحياة الدنيا وطول العُمْر ، فقال تعالى : « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ » اليهود « وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ » ، أى ما هو بمُنْجيه من العذاب ، وذلك أنّ المشرك لايرجو بعثاً بعد الموت ، فهو يحبّ طول الحياة ، وأن اليهودىّ قد عرف ماله فى الآخرة من الخزى بما ضيّع ممّا عنده من العلم . ثم قال الله تعالى : « قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ » .

سؤال اليهود للرسول وإجابته لهم عليه السلام

قال ابن إسحاق : حدّثنى عبدُ الله بن [عبد][2] الرحمن بن أبى حُسين المكّىّ عن شَهْر بن حَوْشب الأشعرىّ :

أن نفراً من أحبار يهود جاءوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالوا : يا محمد ، أخبرنا عن أربع نسألك عنهنّ ، فإن فعلتَ ذلك اتبعناك وصدّقناك ، وآمنّا بك . قال : فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه لئن أنا أخبرتُكم بذلك لتصدقُنّنى ؛ قالوا : نعم ؛ قال : فاسئلوا عمّا بدا لكم ؛ قالوا : فأَخْبِرْنا كيف يشبه الولدُ أمّه ، وإنما النُّطفة من الرجل ؟ قال : فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أُنْشِدكم بالله وبأيّامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نُطْفَةَ الرجل بيضاء غليظة ، ونطفةَ المرأة صفراء

(١) كذا فى ا . وفى ط : « بك » . وفى سائر الأصول : « فذلك » .

(٢) زيادة عن ط .

رقيقة ، فأيّتهما علَتْ صاحبتَها كان لها الشبهُ ؟ قالوا : اللهم نعم ؛ قالوا فأخْبرنا كيف نومك ؟ فقال أنشدكم بالله و بأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنّى لستُ به تنام عينهُ وقلبُه يقظان ؟ فقالوا : اللهم نعم ؛ قال : فكذلك نومى ، تنام عينى وقلبى يقظان ؛ قالوا : فأخبرنا عمّا حرّم إسرائيلُ على نفسه ؟ قال : أنشدكم بالله و بأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان ٥ أحبّ الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحُومها ، وأنه اشتكى شكوى، فعافاه الله منها ، فحرّم على نفسه أحبَّ الطعام والشرابِ إليه شكراً لله ، فحرّم على نفسه لحوم الإبل وألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم ؛ قالوا : فأخْبرنا عن الروح ؟ قال : أنشدكم بالله و بأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلمونه جبريل ، وهو الذى يأتينى ؟ قالوا : اللهم نعم ، ولكنه يامحمد لنا عدوّ ، وهو مَلَك إنما يأتى بالشدّة و بسفك الدماء ، ١٠ ولولا ذلك لأتبعناك ؛ قال : فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : « قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ » إلى قوله تعالى : « أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ ١٥ لاَ يَعْلَمُونَ . وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ » ، أى السحر « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ » .

إنكار اليهود نبوة داود عليه السلام وردّ الله عليهم.

قال ابن إسحاق :

وذلك أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ــ فيما بلغنى ــ لما ذكر سليمان بن داود فى المرسلين ، قال بعضُ أحبارهم : ألا تعجبون من محمد ، يزعم أن سليمان بن داود ٢٠ كان نبيًّا ، والله ما كان إلا ساحراً . فأنزل تعالى فى ذلك من قولهم : « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا » ، أى باتباعهم السحر، وعملهم

به . « وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ».

قال ابن إسحاق : وحدّثنى بعضُ من لا أتهم عن عِكْرمة عن ابن عبّاس ، أنه كان يقول :

الذى حرّم إسرائيل على نفسه زائدتا الكَبد والكُلْيتان والشحم ، إلا ما كان على الظّهْر ، فإن ذلك كان يقرَّب للقُربان ، فتأكله النار . ٥

قال ابن إسحاق :

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر

وكتب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى يهود خَيْبر ، فيما حدّثنى مولًى لآل زيد بن ثابت ، عن عِكْرمة أو عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، صاحبِ مُوسى وأخيه ، والمصدّق لما جاء به موسى : ألا إن الله قد قال لكم يا معشر ١٠ أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك فى كتابكم : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ . ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ ١٥ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » .

وإنى أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أُنزل عليكم ، وأنشدكم بالذى أطْعم مَنْ كان قبلكم من أَسْباطكم المنّ والسّلوى ، وأنشدكم بالذى أيْبس البحرَ لآبائكم حتى أَنْجاهم من فِرْعون وعَمله، إلا أخبرتمونى: هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك فى كتابكم فلا كُرْه عليكم . « قَدْ ٢٠ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ » فأدعوكم إلى الله وإلى نبيّه .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : شطؤه : فراخه ؛ وواحدته : شطأة . تقول العرب : قد أشطأ الزرع ، إذا أخرج فِراخَه . وآزره : عاونه ، فصار الذى قبله مثلَ الأمهات . قال امرؤ القيس بن حُجْر الكندىّ :

بمَحْنِيةٍ قد آزر الضَّالَ نَبْتُها مَجَرَّ جُيوش غانمين وخُيَّبِ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال حُميد بن مالك الأرْقطُ ، أحد بنى رَبيعة ابن مالك بن زيد مَناة :

* زَرْعا وقَضْبا مُؤْزَرَ النَّبات[2] *

وهذا البيت فى أرجوزة له ، وسوقه (غير مهموز) : جمع ساق ، لساق[3] الشجرة .

ما نزل فى أبى ياسر وأخيه

قال ابن إسحاق :

وكان ممن نزل فيه القرآن ، بخاصة من الأحبار وكُفّار يهود ، الذى كانوا يسألونه ويتعنّتونه ليلبسوا الحقّ بالباطل — فيما ذُكِر لى عن عبد الله بن عبّاس وجابر بن عبد الله بن رئاب — أن أبا ياسر بن أَخْطب مرّ برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو يتلو فاتحة البقرة : « الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ » ، فأتى أخاهُ حُيَى بن أَخْطب فى رجال من يهود ، فقال : تعلَّموا والله ، لقد سمعت محمداً يتلو فيما أُنزل عليه : « الٓمٓ ذلك الكتاب » ؛ فقالوا : أنت سمعتَه ؟ فقال : نعم . فمشى حُيىّ بن أَخْطب فى أولئك النفَر من يهود إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالوا له: يا محمد ، ألم يُذْكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك: «الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ»؟ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : بلى؛ قالوا : أجاءك بها جبريل من عند الله ؟ فقال : نعم ؛ قالوا : لقد بَعث الله قبلك أنبياء ، ما نعلمه بيّن لنبيّ منهم ما مدّة

---

(١) المحنية : ما انحنى من الوادى وانعطف . والضال : شجر يشبه السدر تعمل منه القسى.
(٢) القضب : القصقصة الرطبة .
(٣) فى ا : « كساق »

ملكه ، وما أُكُل[1] أمّته غيرك ؛ فقال حُيَيُّ بن أخطب ، وأقبل على من معه ، فقال لهم: الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ؛ أفتدخلون فى دين إنما مُدة ملْكه وأُكُل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ ثم أقبل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره ؟ قال :
٥ نعم ؛ قال : ماذا ؟ قال : « المص » . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون[2] ، فهذه إحدى وستّون[3] ومئة سنة ، هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم « الر » . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مئتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومئتان ، هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : نعم « المر » . قال : هذه والله أثقل
١٠ وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مئتان ، فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة ، ثم قال : لقد لُبِّس علينا أمْرك يا محمد ، حتّى ما نَدْرى أقليلاً أُعطيت أم كثيرا ؟ ثم قاموا عنه ؛ فقال أبو ياسر لأخيه حُيَيّ بن أخْطب ولمن معه من الأحبار : ما يُدْريكم لعلّه قد جُمع هذا كله لمحمد ، إحدى وسبعون ، وإحدى وستّون ومئة ، و إحدى وثلاثون ومئتان ، و إحدى وسبعون
١٥ ومئتان ، فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة[4] ؛ فقالوا : لقد تشابه علينا أمرُه .
فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : « مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ » .

قال ابن إسحاق :

وقد سمعت من لا أتّهم من أهل العِلْم يذكر : أن هؤلاء الآيات إنما أُنزلن
٢٠ فى أهل نَجْران ، حين قَدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسألونه عن عيسى بن مَرْيم عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وقد حدّثنى محمد بن أبى أُمامة بن سَهْل بن حُنيف ،

---

(١) الأكل (بالضم) : الرزق والطعام . ويريد « بأكل أمته » : طول مدتهم .
(٢) فى ا : « ستون » وهو خطأ .
٢٥ (٣) فى ا : «إحدى وثلاثون» وهو خطأ مبنى على التقدير السابق للصاد .
(٤) فى ا : « وأربع سنين » وهو خطأ أيضا .

أنه قد سمع :

أن هؤلاء الآيات إنمـا أُنزلن فى نَفر من يهود ، ولم : يُفَسِّرذلك لى . فالله أعلم أى ذلك كان .

كفر اليهود به صلى الله عليه وسلم بعد استفتاحهم به وما نزل فى ذلك

قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغنى عن عِكْرمة مولى ابن عَبّاس ، أو عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عَباس : ٥

أن يهود كانوا يَسْتفتحون على الأوس والخَزْرج برسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل مَبْعثه ، فلما بَعثه الله من العَرب كفروا به ، وجَحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم مُعاذ بن جَبل ، و بشْر بن البَراء بن مَعْرور ، أخو بنى سَلمة : يا مَعْشر يَهود ، اتقوا الله وأَسْلموا ، فقد كنتم تَسْتفتحون علينا بمحمّد ونحن أهلُ شِرْكٍ ، وتُخْبِرونَنا أنه مبعوث ، وتَصِفونه لنا بصِفته ؛ فقال سَلاَم ١٠ ابن مِشْكم ، أحد بنى النّضير : ما جاءنا بشىء نعرفه ، وما هو بالذى كنّا نذكره لكم . فأَنزل الله فى ذلك من قولهم : « وَلَمّا جاءَهُمْ كِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكافِرِينَ » .

ما نزل فى نكران مالك ابن الصيف العهد إليهم بالنبى

قال ابن إسحاق : ١٥

وقال مالك بن الصَّيف[1] ، حين بُعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ـ وذكر لهم ما أُخذ عليهم له من الميثاق ، وما عَهِد الله إليهم فيه : والله ما عُهِد إلينا فى محمد عهد ، وما أُخِذ له علينا من ميثاق . فأنزل الله فيه : « أَوَكُلَّما عاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ » .

ما نزل فى قول أبى صلوبا « ما جئتنا بشىء نعرفه »

وقال أبو[2] صَلُوبا الفِطْيونى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يامحمد ، ما جِئْتَنا بشىء نَعْرفه ، وما أَنْزل الله عليك من آية فنتّبعك لها . فأنزل اللهُ تعالى فى ذلك من قوله: « وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آياتٍ بَيِّناتٍ وَما يَكْفُرُ بِها إِلَّا الْفاسِقُونَ». ٢٠

---

(١) فى ا : «الضيف» بالضاد المعجمة ، وهما روايتان فيه.
(٢) فى م ، ر : « ابن » .

ما نزل فى قول ابن حريملة ووهب

وقال رافع بن حُرَيملة ، ووَهْب بن زيد لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا محمد ، ائتنا بكتاب تُنَزّله علينا من السماء نقرؤه ، وفجّر لنا أنهاراً نتبعك ونصدّقك . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : « أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ
٥ سَوَاءَ السَّبِيلِ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

سواء السبيل : وسط السبيل . قال حسّان بن ثابت :

يا وَيْحَ أنْصار النبىّ ورَهْطه   بعد المُغيَّب فى سَواء المُلْحَد(١)

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى :

ما نزل فى صد حيى وأخيه الناس عن الاسلام

١٠ قال ابن إسحاق :

وكان حُيَىّ بن أَخْطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، من أشدّ يهود للعَرب حسداً ، إذ خصّهم الله تعالى برسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وكانا جاهدَيْن فى ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا . فأنزل الله تعالى فيهما : « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ
١٥ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

تنازع اليهود والنصارى عند الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

ولما قَدِم أهلُ نَجْران من النصارى على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتتهم أحبارُ يهود ، فتَنازعوا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال رافع
٢٠ ابن حُرَيملة : ما أنتم على شىء ، وكَفَر بعيسى وبالإنجيل ؛ فقال رجلٌ من أهل نَجْران من النصارى لليهود: ما أنتم على شىء، وجحد نبوة مُوسى وكفر بالتوراة . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى

(١) الملحد : القبر .

شَىءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَىءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » ، أى كلّ يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به ، أى يكفر اليهودُ بعيسى ، وعندهم التوراة فيها ما أخذ اللهُ عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفى الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكلّ يكفر بما فى يد صاحبه .

مانزل فى طلب ابن حريملة أن يكلمه الله

قال ابن إسحاق :

وقال رافعُ بن حُريملة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يا محمد ، إن كنت رسولا من الله كما تقول ، فقل لله فلْيُكلّمنا حتى نسمع كلامه . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قوله : « وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » .

مانزل فى سؤال ابن صوريا للنبى عليه السلام بأن يتهود

وقال عبد الله بن صُورِيا الأعور الفِطْيونى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ما الهدَى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهتد ؛ وقالت النصارى مثل ذلك . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول عبد الله بن صُوريا وما قالت النصارى : « وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » . ثم القصة إلى قول الله تعالى : « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

مقالة اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق :

ولما صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصُرفت فى رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مَقْدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، أتى رسولَ الله

صلّى الله عليه وسلّم رفاعة بنُ قيس ، وقَرْدَم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، ورافع بن أبي رافع ، والحجّاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق ، فقالوا : يا محمد ، ما ولّاك عن قبْلتك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟

٥ ارجع إلى قِبْلتك التي كنتَ عليها نتَّبعك ونصدّقك ، وإنما يريدون بذلك فتنتَه عن دينه . فأنزل الله تعالى فيهم : « سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ

١٠ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ » ، أي ابتلاء واختباراً « وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ » ، أي من الفتن . أي الذين ثبّت الله « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ » ، أي إيمانكم بالقبلة الأولى ، وتصديقكم نبيكم ، واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة ، وطاعتكم نبيّكم فيها ؛ أي ليُعطينكم أجرهما جميعاً « إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

١٥ ثم قال تعالى : « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام: شطره: نحوه وقصده . قال عمرو بن أحمر الباهلي – وباهلة : ابن يَعْصر بن سعد بن قيس بن عيلان – يصف ناقة له :

٢٠ تعدو بنا شَطْرَ جَمْع وهي عاقدةٌ قد كاربَ العَقْدُ من إيفادها الحَقَبا[1]

وهذا البيت في قصيدة له .

---

(١) عاقدة : يصف ناقته بأنها عقدت ذنبها بين فخذيها ، وذلك أول ما تحمل . والإيفاد : الإشراف . والحقب : حبل يشد به الرحل إلى بطن البعير .

وقال قيس بن خُويلد الهذلى يصف ناقته :

إن النَّعوسَ[1] بها داءٌ مُخامِرها   فَشطْرَها نَظَرُ العَيْنين مَحْسُور[2]

وهذا البيت فى أبيات له[3] .

قال ابن هشام : والنعوس : ناقته ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ، من قوله : وهو حسير .

« وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ . وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَاتَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ » .

قال ابن إسحاق :

إلى قوله تعالى : « وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ » .

كتمانهم ما فى التوراة من الحق

وسأل معاذ بن جَبل ، أخو بنى سَلِمة ، وسعدُ بن معاذ ، أخو بنى عبد الأشهل ، وخارجةُ بن زيد ، أخو بَلْحارث بن الخزرج ، نفراً من أحبار يهود عن بعض ما فى التوراة ، فكتموهم إياه ، وأبَوْا أن يُخبروهم عنه . فأنزل الله تعالى فيهم : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ » .

جوابهم للنبى عليه السلام حين دعاهم إلى الإسلام

قال : ودعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغّبهم فيه ، وحذّرهم عذابَ الله ونقمتَه ؛ فقال له رافعُ بن خارجة ، ومالك ابن عوف : بل نتبع يا محمد ما وجَدْنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلَم وخيراً منّا . فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك من قولهما : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ

(١) النعوس : الكثيرة النعاس . ويروى : « العسير » ، وهى الناقة التى تركب قبل أن تراض وتلين .

(٢) مخامرها : مخالطها . ومحسور ، أى معجز .

(٣) هذه العبارة ساقطة فى ا .

نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا . أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ » .

جمعهم فى سوق بنى قينقاع

ولما أصاب الله عزّ وجل قُريشاً يوم بَدر جمع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يهودَ فى سوق بنى قَيْنقاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يا معشر يهود ، أَسْلموا قبل أن يُصيبكم الله بمثل ماأصاب به قريشاً ؛ فقالوا له : يا محمد . لا يغرنّك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش ، كانوا أغماراً[1] لايعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلَنا . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم: « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِى الْأَبْصَارِ » .

دخوله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس

قال ودخل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بيتَ المِدْراس[2] على جماعةٍ من يَهود ، فدعاهم إلى الله ؛ فقال له النّعمان بن عمرو ، والحارثُ بن زَيد : على أىّ دين أنتَ يامحمد ؟ قال : على ملّةِ إبراهيم ودينِه ؛ قالا : فإن إبراهيم كان يهوديّا ؛ فقال لهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فهلمّ إلى التوراة فهى بيننا و بينكم ، فأَبيَا عليه . فأنزل الله تعالى فيهما : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ . ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ » .

اختلاف اليهود والنصارى فى إبراهيم عليه السلام

وقال أحبارُ يهود ونَصارى نَجْران ، حين اجتمعوا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فتَنازعوا ، فقالت الأحبار : ما كان إبراهيمُ إلاّ يهوديّا ، وقالت

(١) الأغمار : جمع غمر ، وهو الذى لم يجرب الأمور .

(٢) كذا فى ا . وبيت المدراس : هو بيت لليهود حيث يتدارسون فيه كتابهم. وفى سائر الأصول : « بيت المدارس » .

النصارى من أهل نجْران : ما كان إبراهيم إلا نصْرانيًا . فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : « يٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . ما كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللّٰهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ». ٥

ما نزل فيما هم به بعضهم من الايمان غدوة والكفر عشية

وقال عبدُ الله بن صَيف[1] ، وعديّ بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضُهم لبعض : تعالَوْا نؤمن بما أُنزل على محمد وأصحابه غُدوةً ، ونكفر به عشيّة ، حتى نَلبسَ عليهم دينهم لعلّهم يصنعون كما نصنع ، ويرجعون عن دينه . فأنزل الله تعالى فيهم : « يٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ . قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللّٰهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » . ١٠

ما نزل في قول أبي رافع والنجراني « أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى »

وقال أبو رافع القُرظيّ ، حين اجتمعت الأحبارُ من يهود ، والنّصارى من أهل نَجْران ، عند رسولِ الله صلّى الله عليه سلّم ، ودعاهم إلى الإسلام : أتُريد منّا يا محمد أن نَعْبدك كما تَعبد النّصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجلٌ من أهل نَجْران نَصْرانيّ ، يقال له : الرِّبِّيس ، [ويروى : الريس ، والرئيس[2]] : أو ذاك تُريد منّا يا محمد وإليه تدعونا ؟ أو كما قال . فقال رسـولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : معاذَ الله أن أعْبد غيرَ الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثنى الله ، ولا أمرنى ؛ أو كما قال . فأنزل اللهُ تعالى فى ذلك من قولهما : « مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللّٰهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ ١٥ ٢٠

(١) فى ا : « ضيف » بالضاد المعجمة ، وهما روايتان فيه .
(٢) هذه العبارة ساقطة فى ا

لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ» إلى قوله تعالى : «بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» .

قال ابن هشام : الربانيّون : العلماء الفقهاء السادة ؛ واحدهم : رَبّانيّ[1] .

قال الشاعر :

٥ لو كنتُ مُرْتَهِناً[2] فى القوس أفْتَنَنى ··· منها الكلامُ وربّانى أحْبارِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

القوس : صومعة الراهب . وأفتننى ، لغة تميم . وفتننى ، لغة قيس[3]

قال جرير :

لا وَصْل إذ صَرمتْ هندٌ ولو وقفت ··· لاستنزلتنى وذا المِسْحَيْن فى القَوْسِ

١٠ أى صومعة الراهب . والرّبانى : مشتقّ من الربّ ، وهو السيد . وفى كتاب الله : « فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا » ، أى سيده .

قال ابن إسحاق : « وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » .

ما نزل فى أخذ الميثاق عليهم

قال ابن إسحاق :

١٥ ثم ذكر ما أخذ اللهُ عليهم ، وعلى أنبيائهم من المِيثاق بتَصْديقه ، إذ هو جاءهم ، وإقرارَهم على أنفسهم ، فقال : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » . إلى آخر القصة .

---

٢٠ (١) وقيل الربانيون : الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره ؛ وقيل : نسبوا إلى علم الرب والفقه فيما أنزل ، وزيدت فيه الألف والنون لتضخيم الاسم (عن السهيلى) .

(٢) مرتهنا ، أى مقيما . ويروى : « مرتهبا » بالباء بدل النون ، وهو من الرهبانية ، وهى عبادة النصارى .

(٣) قال السهيلى : ومآل هـذا الفرق إلى أن « فتنته » صرفته ، فجاء على وزنه ، لأن ٢٥ المفتون مصروف عن حق ، و « أفتنتـه » أضللته وأغويته ، فجاء على وزن ماهو فى معناه . وأما « فتنت » الحديدة فى النار ، على وزن فعلت لاغـير ، لأنها فى معنى خبرتها وبلوتها ونحو ذلك .

سعيهم في الوقيعة بين الأنصار

قال ابن إسحاق :

ومرّ شاس بن قَيْس، وكان شيخاً قد عَسا[1]، عظيم الكُفْر شديد الضِّغْن على المُسلمين ، شديد الحَسد لهم ، على نَفَر من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الأوسِ والخَزْرج . في مجلس قد جَمعهم ، يتحدَّثون فيه ، فغاظَه ما رأى من أُلْفَتهم وجماعتهم ، وصَلاح ذاتَ بَيْنهم على الإسْلام ، بعد الذى كان بينهم من العَداوة في الجاهلية . فقال : قد اجتمع مَلأُ[2] بني قَيْلة بهذه البِلاد ، لا والله ما لنا مَعهم إذا اجتمع مَلَؤهم بها من قَرار . فأمر فتًى شابًّا من يَهُودَ كان معهم ، فقال : اعمِدْ إليهم ، فاجلسْ معهم ، ثم اذكُر يومَ بُعاث[3] وما كان قَبلَه ، وأَنْشِدهم بعضَ ما كانوا تَقاولوا فيه مِن الأشْعار .

شئ عن يوم بعاث

وكان يوم بُعاث يوماً اقتتلت فيه الأوْس والخزرجُ ، وكان الظفر فيه يومئذٍ للأوْس على الْخَزْرج ، وكان على الأوس يومئذٍ حُضَير بن سِماك الأشْهلى ، أبو أُسَيد بن حُضَير؛ وعلى الْخَزْرج عمرو بن النّعمان البَيَاضِيّ ، فقُتِلا جميعاً .

قال ابن هشام : قال أبو قيس بن الأسْلت :

على أن قَد فُجعتُ بذِى حِفاظٍ ... فعاوَدَنى له حُزْنٌ رَصِينُ[4]

فإمّا تقْتُلُوه فإنّ عَمْرًا ... أَعضّ برأسه عَضْبٌ سَنِين[5]

وهذان البيتان في قصيدة له . وحديث يوم بُعاث أطولُ ممّا ذكرتُ ، وإنما منعنى من استقصائه ما ذكرت من القَطْع .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام[6] :

---

(١) عسا : أسن وولى.

(٢) ملأ القوم : أشرافهم ، وقيل : جماعتهم .

(٣) بعاث : يروى بالعين المهملة وبالغين المعجمة .

(٤) الحفاظ : الغضب . ورصين : ثابت دائم .

(٥) العضب : السيف القاطع .

(٦) هذه العبارة من قوله « قال » إلى قوله « شحذه » ساقطة في ا .

سنين : مسنون ، من سنّه ، إذا شحذه .

قال ابن إسحاق :

فَفَعل . فتكلّم القومُ عند ذلك وتنازعُوا وتفاخروا حتى تَواثب رجلان من الحَيّين على الرُّكب ، أوس بن قَيْظى ، أحد بَنِى حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجبّار بن صخر ، أحد بَنِى سَلمة من الخزرج ، فَتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رَدَدْناها الآنَ جذَعة[1] ، فغضب الفريقان جميعاً وقالوا : قد فَعَلْنا ، موعدكم الظَّاهرة — والظاهرة : الحرّة — السّلاحَ السّلاح . فخرجوا إليها . فبلغ ذلك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المُهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبِدَعوى الجاهليّة وأنا بَيْن أظْهركم بعد أن هَداكم الله للإسلام ، وأَكْرَمَكم به ، وقَطع به عنكم أمْرَ الجاهلية ، واستَنقذكم به من الكُفر ، وألّف به بين قلوبكم ؛ فعرف القومُ أنها نَزْغة[2] من الشيطان ، وكَيدٌ من عدوّهم ، فبَكوا وعانَق الرجالُ من الأوس والخَزْرج بعضُهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سامِعين مُطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كَيْد عَدوّ الله شَأس بن قيس . فأنزل الله تعالى فى شَأس بن قَيسٍ وما صَنع : « قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » .

وأنزل الله فى أَوْسِ بن قَيْظى وجَبّار بنَ صخْر ومن كان معهما من قومهما ، الذين صَنعوا ما صَنعوا عمّا أدخل عليهم شأسُ من أمر الجاهلية : « يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ

(١) رددناها الآن جذعة ، أى رددنا الآخر إلى أوله .

(٢) النزغة : الإفساد بين الناس .

وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » ، إلى قوله تعالى : « وَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » .

ما نزل فى قولهم «ما آمن إلا شرارنا»

قال ابن إسحاق :

ولما أسلم عبد الله بن سَلَام ، وثعلبة بن سَعْيَة ، وأُسَيد بن سَعية ، وأسد ابن عُبيد ، ومن أسلم من يَهود معهم ، فآمنوا وصدّقوا ورغبوا فى الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أحبارُ يهود ، أهلِ الكُفْر منهم : ما آمن بمحمّد ولا اتبعه إلا شِرارنا ، ولو كانوا من أَخيارنا ما تَركوا دين آبائهم وذَهبوا إلى غيره . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

آناء الليل : ساعات الليل ؛ وواحدها : إِنْىٌ . قال المُتَنخِّل الهُذَلى ، واسمه مالك بن عُوَيمر ، يرثى أُثَيلة ابنَه :

حُلْو ومُرّ كعَطْف القِدْح شيمتهُ ... فى كلّ إِنْىٍ قضَاه الليلُ يَنْتعلُ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال لَبيد بن ربيعة ، يصف حمار وَحْش :

يُطَرِّبُ آنَاء النهار كأنه ... غوِىّ[2] سَقاه فى التِّجار[3] نَديمُ

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : إِنًى (مقصور)[4] ، فيما أخبرنى يونس[5] .

«يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَأُولٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ » .

---

(١) القدح : السهم .
(٢) الغوى : المفسد .
(٣) كذا فى أكثر الأصول . والتجار : جمع تاجر ، وهو بائع الخمر ، وفى ا : «النجار» بالنون
(٤) هذه الكلمة ساقطة فى ا .
(٥) قال السهيلى : وهذه لغة القرآن . قال تعالى : «غير ناظرين إناه » .

ما نزل في نهي المسلمين عن مباطنة اليهود.

قال ابن إسحاق :

وكان رجال من المسلمين يُواصلون رجالاً من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحِلْف ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مُباطنتهم : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . هَا أَنْتُمْ أُولاَءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ » ، أى تؤمنون بكتابكم وبما مَضى من الكُتب قبل ذلك وهم يَكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحقَّ بالبغضاء لهم منهم لكم « وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ » إلى آخر القصة .

ما كان بين أبي بكر وفنحاص

ودخل أبو بكر الصدّيق بيت المدراس[1] على يهود، فوَجد منهم ناساً كثيراً قد اجتمعوا إلى رجُل منهم، يقال له فِنحْاص، وكان من عُلمائهم وأحبارهم، ومعه حَبْر من أحبارهم ، يقال له : أَشْيع ؛ فقال أبو بكر ، لفِنْحاص : ويحك يا فنحاص ! اتّق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً لرسول الله ، قد جاءكم بالحقّ من عنده ، تَجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل ؛ فقال فنحاص لأبي بَكر : والله يا أبا بكر ، ما بِنا إلى الله من فَقْر، وإنه إلينا لفَقِير، وما نتضرّع إليه كما يتضرع إلينا . وإنّا عنه لأغنياء ، وما هو عنّا بغَنيّ ، ولو كان عنّا غنيًّا ما استقْرضنا أموالَنا ، كما يزعمُ صاحبُكم ، يَنْهاكم عن الرِّبا ويُعْطيناه ، ولو كان عنّا غنيًّا ما أعطانا الرّبا . قال : فغضب أبو بكر ، فضَرب وَجْه فِنْحاص ضرباً شديداً ، وقال : والذى نَفسى بيده ، لولا العهدُ الذى بَيْننا وبينكم ، لضَربتُ رأسَك ، أى عدوّ الله . قال : فذهب فِنْحَاص إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا محمد ، انظر ماصَنع بى صاحبُك ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لأبى بكر :

---

(١) كذا في ا . وبيت المدراس : هو البيت الذى يتدارس فيه اليهود كتابهم . وفي سائر الأصول : «المدارس»

ما حَمَلك على ما صنَعت ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن عدوّ الله قال قولاً عَظيما ، إنه زَعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبتُ لله ممّا قال ، وضَربتُ وجهَه . فَجَحد ذلك فنحاص ، وقال : ما قلتُ ذلك . فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردًّا عليه ، وتَصْديقاً لأبى بكر : « لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ » .

ونزل فى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وما بلغه فى ذلك من الغَضب : « وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » .

ثم قال فيما قال فنحاص والأحبارُ معه من يهود : « وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ ما يَشْتَرُونَ . لاَتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ العَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » يعنى فنحاص ، وأشيع وأشباههما من الأحبار ، الذى يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زيّنوا للناس من الضلالة ، وَيُحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا ؛ أن يقول الناس : علماء ، وليسُوا بأَهْل عِلْم ، لم يَحْملوهم على هُدَى ولا حقّ ، ويُحبون أن يقول الناس : قد فعلوا .

أمرهم المؤمنين بالبخل

قال ابن إسحاق :

وكان كَرْدَم بن قيس ، حليفُ كَعْب بن الأشرف ، وأُسامة بن حبيب ، ونافع بن أبى نافع ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وحُيَىّ بن أَخْطب ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، يأتون رجالاً من الأنصار كانوا يُخالطونهم ، يَنْتصحون[1] لهم ، من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فيقولون لهم : لا تُنْفقوا أموالكم فإنا نَخشى عليكم الفقرَ فى ذَهابها ، ولاتُسارعوا فى النَّفقة فإنكم لاَ تدْرونَ علامَ يكون . فأنزل الله

(1) وفى ا : « يتنصحون »

فيهم : « الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ ما آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ » ، أى من التوراة ، التى فيها تَصْديق ما جاء به محمدٌ صلّى الله عليه وسلّم « وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِيناً . وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » ، إلى قوله : « وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً » .

٥ قال ابن إسحاق : جحدهم الحق

وكان رِفاعة بن زَيْد بن التابوت من عُظماء يهود ، إذا كلّم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم لَوَى لسانَه ، وقال : أَرعنا سَمْعك يا محمد ، حتى نُفْهِمك ، ثم طعن فى الإسلام وعابَه . فأنزل الله فيه : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ

١٠ وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيراً . مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا » ، [أى راعنا سمعك][1] « لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً » .

وكلّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم رؤساءَ من أحبار يهود ، منهم :

١٥ عبد الله بن صُورِيَا[2] الأعور ، وكَعْب بن أسد ، فقال لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسْلموا ، فوالله إنكم لتعلمونَ أنّ الذى جِئْتُكم به لحقّ ؛ قالوا : ما نعرف ذلك يا محمّد ؛ فجَحدوا ما عرَفوا ، وأصَرُّوا على الكفر . فأنزل الله تعالى فيهم : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ

٢٠ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً » .

قال ابن هشام : تفسير ابن هشام لبعض الغريب

---

(١) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(٢) فى بعض الأصول هنا وفيما سيأتى : «صورى» وهى رواية فيه (راجع القاموس وشرحه مادة صور) .

نَطْمس : نمسحها فنسوّيها ، فلا يُرى فيها عينٌ ولا أَنْف ولا فَم ولا شيء مما يُرى فى الوجه ؛ وكذلك « فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ » ، المطموس العين : الذى ليس بين جَفْنيه شقّ . ويقال : طَمَست الكِتابَ والأثر ، فلا يُرى منه شيء .
قال الأخطل ، واسمه الغَوْث[1] بن هُبيرة بن الصَّلت التغلبى ، يصف إبلاً كلَّفها ما ذكر :

وتَكْليفُناها كلّ طامِسة الصُّوى شَطونٍ تَرى حِرْباءَها يَتَملمَلُ[2]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : واحدة الصُّوى : صُوّة . والصُّوى : الأعلام التى يُستدلّ بها على الطرق والمياه .

قال ابن هشام : يقول: مُسِحَت فاستوت بالأرض ، فليس فيها شيء ناتىء .

النفر الذين حزبوا الأحزاب

قال ابن إسحاق :

وكان الذين حزّبوا الأحزاب من قُريش وغَطفان و بنى قُريظةَ : حُيَيّ بن أخْطب ، وسلاّم بن أبى الحُقيق ، أبو رافع[3] ، والرّبيع بن الربيع بن أبى الحُقيق ، وأبو عمّار ، ووَحْوح بن عامر ، وهَوْذة بن قيس . فأما وَحْوح ، وأبو عمّار ، وَهَوذة ، فمن بنى وائل ، وكان سائرهم من بنى النَّضير . فلما قدموا على قُريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود ، وأهل العلم بالكتاب الأوّل ، فَسلوهم : أدِينُكم خَيْر ، أم دينُ محمد ؟ فسألوهم ؛ فقالوا : بل دينُكم خير من دينه ، وأنتم أهْدَى منه وممن اتبعه . فأنزل الله تعالى فيهم : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

(1) المشهور أن اسم الأخطل : غياث بن غوث بن الصلت .
(2) شطون : بعيد . والحرباء : دويبة أكبر من العظاءة ، يستقبل الشمس ويدور معها أينما دارت . ويتململ : يتقلب من شدة الحر .
(3) فى م ، ر : « وأبو رافع » .

الجبْت (عند العرب) : ماعُبد من دون الله تبارك وتعالى . والطاغوت : كلّ ما أضلّ عن الحقّ . وجمع الجبت : جُبوت ؛ وجمع الطاغوت : طواغيت.

قال ابن هشام : و بلغنا عن ابن أبى نَجيح أنه قال : الجبت : السحر ؛ والطاغوت : الشيطان .

٥ « وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً » .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى: « أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ٱلْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ».

إنكارهم التنزيل

قال ابن إسحاق :

١٠ وقال سُكَين وعدىّ بن زيد : يا محمد ، ما نعلم أنّ الله أنزل على بَشر من شيء بعد موسى . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسٰى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهٰرُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا . وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ

١٥ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً . رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً » .

ودخلتْ على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم جماعةٌ منهم ، فقال لهم: أما والله إنكم لتَعْلمون أنّى رسولٌ من الله إليكم ؛ قالوا : ما نعلمه وما نَشْهد عليه . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم : « لٰكِنِ ٱللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ

٢٠ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا » .

اجتماعهم على طرح الصخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بنى النَّضير يَسْتعينُهم فى دِيَة العامريَّيْن اللّذين قتل عمرو بنُ أمية الضَّمْرى . فلما خلا بعضُهم ببعض قالوا : لن تَجِدُوا محمّداً أقرب منه الآن ، فَمَنْ رجلٌ يَظْهر على هذا البيت ، فَيطْرح عليه

صَخْرة فيُريحنا منه ؟ فقال عمرو بن جِحَاش بن كعب : أنا ؛ فأتى رسـول الله صلّى الله عليه وسلّم الخبرُ ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه وفيما أراد هو وقومُه : « يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » . ٥

ادعاؤهم أنهم أحباء الله

وأتى رسـولَ الله صلّى الله عليه وسلّم نعمانُ بن أَضَاء ، وبَحْرِيّ بن عمرو ، وشَأس بن عديّ ، فكلّموه وكلّمهم رسـولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ودعاهم إلى الله ، وحذّرهم نِقْمته ؛ فقالوا : ماتُخوّفنا يا محمد ، نحن والله أبناء الله وأحبّاؤه ، كقول النصارى . فأنزل الله تعالى فيهم : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ١٠ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ » .

إنكارهم نزول كتاب بعد موسى عليه السلام

قال ابن إسحاق :

ودعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يهود إلى الإسـلام ، ورغّبهم فيه ، وحذّرهم غِيَرَ الله وعقوبتَه ، فأبَوْا عليه ، وكفروا بما جاءهم به فقال لهم مُعاذ ١٥ ابن جَبل ، وسعدُ بن عُبادة ، وعُقبة بن وَهْب : يامعشرَ يهود ، اتّقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسـول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبلَ مَبْعثه ، وتَصِفونه لنا بصفته ؛ فقال رافع بن حُرَيملة ، ووَهْب بن يهوذا : ماقلنا لكم هذا قطُّ ، وما أنزل الله من كتابٍ بعد موسى ، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده . فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهما : « يَـٰأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ ٢٠ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

ثم قصّ عليهم خبَر موسى وما لقى منهم ، وانتقاضَهم[1] عليه ، وما ردّوا عليه من أمر الله حتى تاهُوا فى الأرض أربعين سنة عُقوبةً .

رجوعهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى حكم الرجم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى ابنُ شهاب الزّهرىّ أنه سَمِعَ رجلاً من مُزينة ، من أهلِ العلم ، يحدّث سَعيد بن المسيّب ، أن أبا هُريرة حدّثهم :

٥ أن أحبار يهود اجتمعوا فى بيت المِدْراس[2] ، حين قَدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ ، وقد زَنَى رجلٌ منهم بعد إحصانه بامرأة من يهود قد أُحْصِنَت ، فقالوا : ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، فَسَلُوه كيف الحكم فيهما ، وولُّوه الحكمَ عليهما ، فإن عمل فيهما بعَملكم من التَّجْبيه — والتجبيه: الجلدُ بحبل من ليف مطلىّ بقار ، ثم تُسوّدُ وجوههما ، ثم يُحملان على حمارين ، ١٠ وتُجعل وجوهُهما من قبل أدبار الحمارين — فاتَّبِعوه ، فإنما هو مَلِك ، وصدّقوه ؛ وإن هو حَكَم فيهما بالرَّجْم فإنه نبىّ ، فاحذَروه على ما فى أيْديكم أن يَسْلُبَكموه . فأَتَوْه ، فقالوا: يامحمد ، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أُحصنت ، فاحكم فيهما ، فقد ولّيناك الحكم فيهما . فمشى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى أتى أحبَارهم فى بيت المِدْراس ، فقال : يا معشر يهود ، أخرجوا إلىّ علماءكم . ١٥ فأخرَجوا له عَبد الله بن صُورِيا .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعضُ بنى قُريظة :

أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ، مع ابن صُورِيا، أبا ياسر بن أخْطب ، ووهبَ ابن يهوذا ، فقالوا: هؤلاء علماؤنا . فَسَألهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى[3] حصّل أمرَهم ، إلى أن قالوا لعبد الله بن صُورِيا : هذا[4] أعلم مَنْ بقى بالتوراة .

٢٠ قال ابن هشام : من قوله : « وحدّثنى بعض بنى قريظة » إلى « أعلم من بقى بالتوراة » من قول ابن إسحاق ، وما بعده من الحديث الذى قبله.

---

(١) انتقاضهم : افتراقهم .

(٢) فى م ، ر . « المدارس » .

(٣) كذا فى ط . وفى سائر الأصول « ثم » .

٢٥ (٤) فى م ، ر : « هذا من أعلم من . . . الخ » .

فخلا به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان غلاماً شابًّا من أحْدثهم سنًّا ، فألظّ به[1] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المسألة ، يقول له : يا بن صُوريا ، أنْشُدك الله وأذكّرك بأيامه عند بنى إسرائيل ، هل تعلَم أن الله حكَم فيمن زنى بعد إحصانه بالرَّجْم فى التوراة ؟ قال : اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك لنبىٌّ مُرْسل ولكنّهم يحْسُدونك . قال : فخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأمر بهما فرُجما عند باب مسجده فى بنى غَنْم بن مالك بن النجّار . ٥

ثم كفر بعد ذلك ابنُ صوريا ، وجَحد نبوّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن إسحاق :

فأنزل الله تعالى فيهم : « يَٰأَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ » ، أى الذين بَعثوا منهم من بَعثوا وتخلّفوا ، وأمروهم بما أمَروهم به من تحريف الحُكم عن مَواضعه . ثم قال : « يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ » ، أى الرجم « فَاحْذَرُوا » إلى آخر القصة . ١٠

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة عن إسماعيل ابن إبراهيم عن ابن عبّاس ، قال : ١٥

أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم برَجْمهما ، فرُجما بباب مَسْجده ، فلما وجد اليهودىّ مسّ الحجارة قام إلى صاحبته فجنأ[2] عليها ، يقيها مسّ الحجارة ، حتى قُتلا جميعاً .

قال : وكان ذلك ممّا صنع الله لرسوله صلّى الله عليه وسلّم فى تحقيق الزنا منهما . ٢٠

---

(١) ألظ به : ألح عليه .

(٢) جنأ عليها ، أى انحنى عليها .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى صالح بن كَيْسان عن نافع مَوْلى عبد الله ابن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، قال :

لما حكّموا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيهما ، دعاهم بالتوراة ، وَجَلس حَبْر مِنْهم يتلوها ، وقد وضع يدَه على آية الرجم ، قال : فضرب عبد الله بن سلاَم يدَ الحبر ، ثم قال : هذه يانبىّ الله آية الرجم يَأْبى أن يَتْلُوها عليك ؛ فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : ويحكم يا معشر يهود ! ما دعاكم إلى ترك حُكم الله وهو بأيديكم ؟ قال : فقالوا: أمَاوالله إنه قد كان فينا يُعْمل به، حتى زَنَى رجل منّا بعد إحْصانه، من بُيوت الملوك وأهْل الشّرف، فمنعه الملك من الرّجْم ، ثم زَنَى رجلُ بَعْده ، فأراد أن يَرْجُمه ، فقالوا : لا والله ، حتى تَرْجم فلانًا ، فلمّا قالوا له ذلك اجتمعوا فأصْلحوا أمْرهم على التَّجْبيه ، وأماتوا ذِكْر الرّجم والعمل به .

قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فأنا أوّلُ من أحْيا أَمْر الله وكتابَه وعَمِل به ، ثم أمَر بهما فرُجما عند باب مَسْجده . قال عبد الله بن عمر : فكنتُ فيمن رَجمهما .

ظلمهم فى الدية

قال ابن إسحاق : وحدّثنى داود بن الحُصين عن عِكْرمة عن ابن عبّاس:

أن الآيات من المائدة التى قال الله فيها : «فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً . وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» إنما أنزلت فى الدّية بين بَنى النَّضير و بين بنى قُرَيظة ، وذلك أن قتْلَى بنى النَّضير ، وكان لهم شرف ، يُؤدّون الدية كاملة ، وأن بنى قُريظة [كانوا][1] يؤدّون نِصْف الدّية ، فتحاكموا فى ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على الحقّ فى ذلك ، فجعل الديةَ سَواء .

---

(١) زيادة عن ا ، ط .

قال ابن إسحاق : فالله أعلم أىّ ذلك كان .

قال ابن إسحاق :

قصدهم الفتنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال كعب بن أسد ، وابن صَلُوبا ، وعبدالله بن صُورِيا ، وشَأْس بن قيس ، بعضُهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، لعلنا نَفْتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأَتَوْه فقالوا له : يا محمد ، إنك قد عرَفْت أنَّا أحبارُ يهود وأشرافهُم وسادتُهم ، ٥ وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهود ، ولم يخالفونا ، وأنّ بيننا وبين بعض قومنا خُصومة، أفنحاكمهم إليك فتقضىَ لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدّقك ؟ فأبَى ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عليهم . فأنزل الله فيهم : « وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ ١٠ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ . أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » .

جحودهم نبوة عيسى عليه السلام

قال ابن إسحاق :

وأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم نفرٌ منهم : أبو ياسر بن أخْطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر ، وخالد ، وزيد ، وإزار بن أبي إزار ، ١٥ وأشْيع، فسألوه عمّن يؤمن به من الرسل ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » . فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نُبوّته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به . فأنزل الله تعالى ٢٠ فيهم : « قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ »

ادعاؤهم أنهم على الحق

وأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم رافعُ بن حارثة ، وسلاّم بن مِشْكم[1] ، ومالك بن الصّيف[2] ، ورافع بن حُريملة ، فقالوا : يامحمد ، ألستَ تزعُم أنَّك على ملّة إبراهيم ودينه ، وتؤْمن بما عِندنا من التّوراة ، وتَشْهد أنها من الله حقّ ؟ قال : بلى ، ولـكنّكم أحدثتم وجَحدتم ما فيها ممّا أخذ اللهُ عليكم من الميثاق فيها ، وكتمتُم منها ما أُمرتم أن تُبَيِّنوه للنّاس ، فَبرئتُ من إحداثكم ؛ قالوا : فإنّا نأخذ بما فى أيدينا ، فإنّا على الهدى والحقّ ، ولا نُؤْمن بك ، ولانتّبعك فأنزل الله تعالى فيهم : « قُلْ يٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَىْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » .

إشراكهم بالله

قال ابن إسحاق :

وأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم النحّامُ بن زيد ، وقَرْدَم بن كعب ، وبَحْرى بن عمرو ، فقالوا له : يامحمد ، أما تَعلم مع الله إلهًا غيره ؟ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: الله لاإله إلا هو ، بذلك بُعثت ، و إلى ذلك أدْعو . فأنزل الله فيهم وفى قولهم : « قُلْ أَيُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » .

نهيه تعالى المؤمنين عن موادتهم

وكان رفاعةُ بن زيد بن التابوت ، وسُوَيد بن الحارث قد أظْهرا الإسلامَ ونافقا ، فكان رجالٌ من المسلمين يوادّونهما . فأنزلَ الله تعالى فيهما : « يٰأَيُّهَا

(1) يروى « سلام » بتشديد اللام كما يروى بتخفيفها . ومن يرويه بالتخفيف يستشهد بقول الشاعر :

سقانى فأروانى كميتا مدامة على عجل منى سلامُ بن مشكم

(2) فى ا : « الضيف » بالضاد المعجمة ، وهما روايتان فيه .

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » ، إلى قوله : « وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ » .

سؤالهم عن قيام الساعة

وقال جَبَل بن أبى قُشَير ، وشَمْويل بن زيد، لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ٥ يا محمد ، أَخْبِرنا ، متى تقوم الساعة إن كنتَ نبيًّا كما تقول ؟ فأنزل الله تعالى فيهما : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً . يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أيّان مُرْساها : متى مُرْساها . قال قَيْس بن الحُدَادية[1] ١٠ الخُزاعىّ :

فجئتُ ومُخْفَى السِّر بينى وبينها لأسألها أيّان[2] مَنْ سار راجعُ ؟

وهذا البيت فى قصيدة له . ومرساها : منتهاها ، وجمعه : مَراسٍ . قال الكُمَيت ابن زيد الأسدىّ :

والمُصيبين بابَ ما أخطأ النّا سُ ومُرْسَى قواعد الإسلامِ ١٥

وهذا البيت فى قصيدة له . ومُرْسَى السفينة : حيث تنتهى . وحَفِىٌّ عنها (على التقديم والتأخير) . يقول : يسألونك عنها كأنّك حَفِىٌّ بهم ، فتُخبرهم بما لاتخبر به[3] غيرَهم . والحفىّ : البَرّ المتعهد . وفى كتاب الله : « إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا » . وجمعه : أحفياء . وقال أعشى بَنى قَيْسِ بن ثعلبة :

فإنْ تسألى عنّى فيارُبّ سائلٍ حَفِىٍّ عن الأعشى به حيثُ أصْعدا[4] ٢٠

(١) فى ر : « الحداد » .
(٢) فى م ، ر : « أين » .
(٣) فى م ، ر : « لاتخبرهم غيرهم » .
(٤) أصعد فى البلاد : سار فيها ومضى وذهب .

وهـــذا البيت فى قصيدة له . والحفىّ (أيضاً) : المُستحفى عن عِلْم الشىء ، المبالغ فى طلبه .

ادعاؤهم أن عزيرا ابن الله

قال ابن إسحاق :

وأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ســلاّم بن مِشْكم ، ونعمانُ بن أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دَحْية ،وشأس بن قيس ، ومالك بن الصيف[1] فقالوا له : كيفَ نتبعك وقد تركت قِبْلَتنا ، وأنت لا تَزْعم أن عُزيراً ابنُ الله ؟ . فأنزل الله عزّ وجلّ فى ذلك من قولهم : « وَقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ » ، إلى آخر القصة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

يضاهون : أى يشا كل قولهُم قولَ الذين كفروا ، نحو أن تُحدّث بحديث ، فيحدّث آخر بمثله ، فهو يضاهيك .

طلبهم كتابا من السماء

قال ابن إسحاق :

وأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم محمودُ بن سَيْحان ، ونُعمان بن أَضاء ، وبَحْرِىّ بن عمرو ، وعُزير بن أبى عُزير ، وسلاّم بن مِشْكم ، فقالوا : أحقٌّ يا محمد أَن هذا الذى جِئْتَ به لحقّ من عند الله ، فإنّا لا نراه متسقاً كما تتسق التوراة ؟ فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أما والله إنكم لتَعْرفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة ، ولو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثــله ما جاءوا به ؛ فقالوا عند ذلك، وهم جميع : فِنْحاص ، وعبد الله ابن صُورِيا ، وابن صَلُوبا ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقيق ، وأَشْيع ، وكعب ابن أسد ، وشَمْويل بن زيد ، وجَبل بن عمرو بن سُكينة : يامحمد، أمايعلّمك هذا إنس ولاجنّ؟ قال : فقال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: أمَا والله إنكم لتعلمون

(1) فى ا : « الضيف » بالضاد المعجمة ، وهما روايتان فيه .

أنه من عند الله وأنى لرســـولُ الله ؛ تجدون ذلك مكتوباً عندكم فى التوراة ؛ فقالوا : يا محمد ، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ، ويَقْدر منه على ما أراد ، فَأَنْزِل علينا كتاباً من السماء نقرؤه ونَعْرفه ، وإلا جئناك بمثل ماتأتى به . فأنزل الله تعالى فيهم وفيما قالوا : «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً » .   ٥

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

الظهير : العون . ومنه قول العرب : تظاهروا عليه ، أى تعاونوا عليه .

قال الشاعر :

يا سَمِىَّ النبىِّ أصبحتَ للدِّيــــن قِوامًا وللإمام ظَهِـــيرًا

أى عونا ؛ وجمعه : ظهراء .   ١٠

سؤالهم له صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين

قال ابن إسحاق :

وقال حُيَىّ بن أخطب ، وكعبُ بن أسد ، وأبو رافع ، وأشيع ، وشَمْويل ابن زيد ، لِعبدِ الله بن سلاَم حين أسلم ما تكون النبوّة فى العرب ، ولكنّ صاحبك مَلِك . ثم جاءوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فسألوه عن ذى القَرْنين . فقصّ عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه ، ممّا كان قصّ على قُرَيش ، وهم كانوا ممن أمَرَ قُرَيشاً أن يسألوا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عنه ، حين بَعَثوا إليهم النَّضْر بن الحارث ، وعُقبة بن أبى مُعَيط .   ١٥

تهجمهم على ذات الله وغضب الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك

قال ابن إسحاق(١) : وحُدِّثت عن سعيد بن جُبير أنه قال :

أَتى رهطٌ من يهود إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالوا : يا محمد ، هذا الله خَلَقَ الخلقَ ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى انْتُقِع(٢) لونُه ، ثم ساوَرَهم(٣) غَضباً لِربّه . قال : فجاءه جبريلُ عليه السلام   ٢٠

---

(١) فى ا : « قال ابن هشام » .

(٢) انتقع لونه : تغير .

(٣) ساورهم : واثبهم وباطشهم .

فسكّنه ، فقال : خفّض عليك يا محمد ، وجاءه من الله بجَواب ما سألوه عنه : «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » .

قال : فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصِفْ لنا يا محمد كيف خَلْقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عَضده ؟ فغَضب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أشدّ من غضبه الأوّل ، وساورهم . فأتاه جبريلُ عليه السلام ، فقال له مثلَ ما قال له أوّل مرّة ، وجاءه من الله تعالى بجَواب ما سألوه . يقول الله تعالى : « وَمَاقَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّموَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عُتبة بن مُسلم ، مولى بنى تَيْم [1] عن أبى سَلَمة ابن عبد الرحمن ، عن أبى هُريرة ، قال :

سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : يُوشِك النّاس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلُهم : هذا الله خَلق الخلْق ، فمن خَلق الله ؟ فإذا قالوا ذلك فقُولوا : « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » . ثم ليتفُل الرجل عن يساره ثلاثا ، وليَستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام:

الصمد: الذى يُصمَد إليه ويُفزَع إليه ، قالت هِنْد بنت مَعْبد بن نَضلة تَبْكى عمرو بنَ مَسْعود ، وخالد بن نَضْلة ، عَمَّيْها الأسديَّيْن ، وهما اللّذان قَتل النّعمانُ ابن المُنذر اللّخمى ، وبَنى الْغَرِيَّيْنِ [2] اللّذين بالكوفة عليهما :

ألا بَكَر النّاعِى بخَيْرَىْ بنى أسدْ ... بعَمْرو بن مَسْعود وبالسّيِّد الصَّمَدْ [3]

---

(1) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « تيم » .

(2) الغريان : بناءان طويلان : يقال هما قبر مالك وعقيل نديمى جذيمة الأبرش ، وسميا الغريين لأن النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله فى يوم بؤسه . (عن لسان العرب)

(3) الناعى : الذى يأتى بخبر الميت .

أمر السيد والعاقب وذكر المباهلة

معنى العاقب والسيد والأسقف

قال ابن إسحاق :

وقَدِم على رسـول الله صلّى الله عليه وسلم وفْدُ نَصارى نَجْرَانَ ، ستّون راكباً ، فيهم أربعةَ عشرَ رجلاً من أشرافهم ، فى الأربعةَ عشرَ منهم ثلاثةُ نفر إليهم يؤول أمْرُهم : العاقب، أميرُ القوم وذو رَأيهم ، وصاحب مَشُورتهم ، والذى لا يُصْدرون إلا عن رأيه ، واسمُه عبد المسيح ؛ والسّيد ، ثِمالُهم[1] ، وصاحبُ رَحْلهم ومُجْتَمعهم ، واسمُه الأيهم ؛ وأبو حارثة بن عَلْقمة ، أَحدُ بنى بَكْر ابن وائل ، أُسْقفّهم[2] وحَبْرهم وإمامهم ، وصاحب مِدْرَاسِهِمْ .

منزلة أبى حارثة عند ملوك الروم

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم، ودَرس كتبهم، حتى حَسُن علمه فى دينهم ، فكانت مُلوكُ الروم من النَّصرانية قد شرّفوه وموّلوه وأخْدموه ، وبَنَوْا له الكنائس، وبَسطوا عليه الكرامات، لِمَا يَبْلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم.

سبب إسلام كوز بن علقمة

فلما رجعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من نَجْران ، جَلس أبو حارثة على بَغْلة له موجّهاً [إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم][3] ، وإلى جَنْبه أخٌ له ، يقال له : كُوز بن عَلقمة ــ قال ابن هشام : ويقال : كُرْز[4] ــ فعثرت بغلة أبى حارثة ، فقال كُوز : تَعَس الأبْعد ! يريد رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛

(١) ثِمال القوم : هو أصلهم الذى يقصدون إليه ، ويقوم بأمورهم وشئونهم .
(٢) الأسقف (بتشديد الفاء وتخفيفها) : عظيم النصارى .
(٣) زيادة عن ا .
(٤) فى الأصول : « كور » ، وهو تحريف ، وما أثبتناه هما الروايتان المعروفتان فى اسم ابن علقمة ، (راجع القاموس مادتى كوز وكرز) .

فقال له أبو حارثة : بل أنت تَعَسْت ! فقال : ولِمَ يا أخى ؟ قال: والله إنه لَلنبيّ الذى كنّا ننتظر؛ فقال له كوز : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرّفونا وموّلونا وأكرمونا ، وقد أبَوْا إلا خِلافَه ، فلو فعلتُ نَزَعوا منّا كلّ ما ترى . فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة ، حتى أسلم ٥ بعد ذلك . فهو كان يُحدّث عنه هذا الحديث فيما بلغنى .

رؤساء نجران وإسلام أحدهم

قال ابن هشام :

و بلغنى أنّ رؤساء نَجْران كانوا يتوارثون كتباً عندهم . فكلّما مات رئيسٌ منهم فأفْضت الرياسة إلى غيره ، خَتم على تلك الكُتب خاتَماً مع الخواتم التى كانت قبله ولم يَكْسِرها ، فخرج الرئيسُ الذى كان على عهد النبىّ صلّى الله ١٠ عليه وسلّم يَمْشى فعثَر، فقال له ابنُــه : تَعَس الأبعدُ ! يريد النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقال له أبوه : لا تفعل ، فإنه نبىّ ، واُسمُه فى الوضائع ، يعنى الكتب . فلما مات لم تكن لأبنه هِمّة إلا أن شدَّ فكَسر الخواتم ، فوَجد فيها ذِكرَ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، فأسلم فحَسُن إسلامُه وحجّ ، وهو الذى يقول :

إليك تَعْدو قَلِقاً وَضينُها مُعْتَرِضاً فى بَطْنها جَنِينُها

١٥ * مُخالفاً دينَ النَّصارى دينُها *

قال ابن هشام : الوضين : الحزام ، حزام الناقة . وقال هشامُ بن عُروة[1] :

وزاد فيه أهلُ العراق :

* مُعْتَرِضاً فى بطْنها جَنِينُها *

فأما أبو عُبيدة فأنشدناه فيه .

صلاتهم إلى المشرق

٢٠ قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن جَعْفر بن الزبير قال :

لمـا قَدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة فدَخلوا عليه مَسْجده

(١) فى م ، ر : « قال ابن هشام »

حين صلّى العصر، عليهم ثيابُ الحِبَرات[1]، جُبَب وأَرْدية، فى جَمال رجال بنى الحارث بن كعب. قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب النبىّ صلّى الله عليه وسلّم يومئذ: ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتُهم، فقاموا فى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يصلّون، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: دعُوهم؛ فصلّوا إلى المشرق.

أسماء الوفد ومعتقدهم ومناقشتهم الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق:

فكانت[2] تَسْمية الأربعةَ عَشَرَ، الذين يؤول إليهم أمرُهم: العاقب، وهو عبد المسيح؛ والسيد، وهو الأيهم، وأبو حارثة بن عَلْقمة أخو بنى بَكْر بن وائل، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونُبيه، وخُويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويُحَنّس، فى ستّين راكبا. فكلّم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم منهم[3] أبو حارثة بن عَلْقمة، والعاقب عبد المسيح، والأيهم السّيد — وهم من النّصرانية على دين المَلِك، مع اختلاف من أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة. وكذلك قولُ النصرانية.

فهم يحتجّون فى قولهم: «هوَ اللهُ» بأنه كان يُحْيِي الموتى، ويُبْرِئُ الأسقام، ويُخبر بالغيوب، ويَخْلُق من الطين كهيئة الطّير، ثم يَنْفُخ فيه فيكون طائراً، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى: «ولنجعله آية للناس».

ويحتجّون فى قولهم «إنه ولد [الله][4]» بأنهم يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلّم فى المهد، وهذا لم يصنعه أحدٌ من ولد آدم قبله.

ويحتجّون فى قولهم: «إنه ثالث ثلاثة» بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا،

(1) الحبرات: برود من برود اليمن؛ الواحدة: حبرة.
(2) كذا فى ا، ط. وفى سائر الأصول: «وكان»
(3) هذه الكلمة ساقطة فى ا.
(4) زيادة عن ا.

وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلتُ ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ؛ ولكنه هو وعيسى ومَرْيَم . ففى كلّ ذلك من قولهم قد نزل القرآن ـ فلما كلّمه الحَبْران ، قال لهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أَسْلِما ؛ قالا : قد أسلمنا ؛ قال : إنكما لم تُسْلِما [فأَسْلِما] [1] ؛ قالا : بلى ، قد أَسْلمنا قبلك ؛ قال : كذبتُما ، يَمْنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتُكما الصليب ، وأَكلُكما الخِنزير ؛ قالا : فمن أبوه يا محمد؟ فصَمت عنهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يُجِبْهما.

ما نزل من آل عمران فيهم

فأنزل الله تعالى فى ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كُله ، صَدْرَ سورة آل عِمْران إلى بِضْع وثمانين آية منها ، فقال جلّ وعَزّ : «الٓمٓ اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » . فافتتح السورة بتَنْزيه نفسه عمّا قالوا ، وتَوْحيده إياها بالخَلْق والأمر ، لا شريك له فيه ، ردًّا عليهم ما ابتدعوا من الكُفر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجًا بقولهم عليهم فى صاحبهم ، ليعرفهم بذلك ضلالَتهم ؛ فقال : « الٓمٓ اللهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ » ليس معه غيره شريك فى أمره « الحيُّ القيومُ » الحيّ الذى لا يموت ، وقد مات عيسى وصُلب فى قولهم . والقيّوم : القائم على مكانه من سلطانه فى خَلْقه لا يزول ، وقد زال عيسى فى قولهم عن مكانه الذى كان به ، وذهب عنه إلى غيره . « نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ » ، أى بالصدق فيما اختلفوا فيه « وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ » : التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله « وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ » ، أى الفصل بين الحقّ والباطل ، فيما اختلف فيه الأحزابُ من أمر عيسى وغيره . « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ » ، أى أن الله منتقم ممّن كفر بآياته ، بعد عِلْمه بها ، ومَعْرفته

---

(1) زيادة عن ا ، ط .

بما جاء منه فيها . «إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ» ،
أى قد علم ما يُريدون وما يَكيدون وما يُضاهون بقولهم فى عيسى ، إذ جعلوه
إلهًا وربًّا ، وعنـــدهم من علمه غيرُ ذلك ، غِرةً بالله وكفراً به . «هُوَ الَّذِى
يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحامِ كَيْفَ يَشَاءُ» ، أى قد كان عيسى ممن صُوِّر فى الأرحام،
لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه ، كما صُور غيره من ولد آدم ، فكيف يكون ٥
إلهًا وقد كان بذلك المنزل . ثم قال تعالى إنزاهاً لنفسه ، وتوحيدًا لها مما جعلوا
معه : «لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» العزيز فى انتصاره ممن كفر به ،
إذا شاء ، الحكيمُ فى حجّته وعُذْره إلى عباده . «هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ» فيهن حجة الربّ، وعصمة العباد،
ودَفْع الخُصوم والباطل ، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وُضعن عليه «وَأُخَرُ ١٠
مُتَشَابِهَاتٌ» لهنّ تصريف وتأويل ، ابتلى الله فيهنّ العباد ، كما ابتلاهم فى
الحلال والحرام، ألاّ[1] يُصْرفْن إلى الباطل، ولا يُحرَّفن عن الحقّ . يقول عزّ وجلّ :
«فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ» ، أى مَيْل عن الهدى «فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
مِنْهُ» ، أى ما تصرّف منه ، ليصدّقوا به ما ابتدعوا وأَحْدثوا، لتكون لهم حجة ،
ولهم على ما قالوا شُبهة «ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ» ، أى اللبس «وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» . ١٥
ذلك على ما رَكِبوا من الضلالة فى قولهم : خلقنا وقضينا . يقول : «وَمَا يَعْلَمُ
تَأْوِيلَهُ» ، أى الذى به أرادوا ما أرادوا «إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ
آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» فكيف يختلف وهو قولٌ واحـــد ، من ربّ
واحد . ثم ردّوا تأويل المُتشابه على ما عرفوا من تأويل المُحكمة التى لا تأويل
لأحد فيها إلا تأويل واحد ، واتّسق بقولهم الكتاب ، وصدّق بعضُه بعضاً ، ٢٠
فنفذت به الحُجّة ، وظهر به العذر ، وزاح به الباطل ، ودُمغ به الكفر . يقول الله
تعالى فى مثل هذا: «وَمَا يَذَّكَّرُ» فى مثل هذا «إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ . رَبَّنَا لاَ تُزِغْ
قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا» ، أى لا تُمِل قلوبَنا و إن مِلْنا بأحداثنا «وَهَبْ لَنَا

(١) فى ط : «لا يصرفنّ» .

مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » . ثم قال : « شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ » بخلاف ما قالوا « قَائِماً بِالْقِسْطِ » ، أى بالعدل [فيما يريد][1] « لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلاَمُ » ، أى ما أنت عليه يا محمد : التوحيدُ للربّ والتصديق للرسل .

٥ « وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ » أى الذى جاءك ، أى أنّ الله الواحد الذى ليس له شريك « بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . فَإِنْ حَاجُّوكَ » ، أى بما يأتون به من الباطل من قولهم : خلقنا وفعلنا وأمرنا ، فإنما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحقّ « فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ » ، أى وحده « وَمَنِ

١٠ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ » الذين لا كتاب لهم « ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ » .

ما نزل من القرآن فيما أحدث اليهود والنصارى

ثم جمع أهل الكتابَيْن جميعاً ، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعُوا ، من اليهود والنصارى ، فقال : « إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ

١٥ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ » ، إلى قوله : « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ » ، أى ربّ العباد ، والملك الذى لا يقضى فيهم غيرُه « تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ » ، أى لا إله غيرك « إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ، أى لا يقدر على هذا غيرك بسُلطانك وقُدْرتك . « تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ

٢٠ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ » بتلك القدرة « وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » لا يقدر على ذلك غيرك ولا يصنعه إلا أنت ، أى[2] فإن كنتُ سلّطت عيسى على الأشياء التى بها

(١) هذه العبارة ساقطة فى ا ، ط .
(٢) هذه الكلمة ساقطة فى ط .

يزعمون أنه إله ، من إحياء الموتى ، و إبراء الأسقام ، والخَلْق للطير من الطين ، والإخبار عن الغيوب ، لأجعله به آيةً للناس ؛ وتصديقاً له فى نبوّته التى بعثته بها إلى قومه ، فإن من سُلْطانى وقُدْرتى مالم أُعْطه تمليكَ الملوك بأمر النبوّة ، ووَضْعها حيث شئت ، و إيلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل ، و إخراج الحىّ من الميت ,وإخراج الميت من الحىّ ، ورزق من شئت من بَرّ أو فاجر بغير ٥
حساب ؛ فكلّ ذلك لم أسلّط عيسى عليه ، ولم أُملّكه إياه ، أفلم[1] تكن لهم فى ذلك عِبرة و بيّنة ! أن لو كان إلهًا كان ذلك كلّه إليه ، وهو فى علمهم يهرُب من الملوك ، ويَنْتقل منهم فى البلاد ، من بلد إلى بلد .

مانزل من القرآن فى وعظ المؤمنين

ثم وعظ المؤمنين وحذّرهم ، ثم قال : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللهَ » ، أى إن كان هذا من قولكم حقًّا ، حبًّا لله وتعظيماً له « فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ١٠
ٱللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » ، أى ما مضَى من كفركم « وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا ٱللهَ وَٱلرَّسُولَ » فأنتم تعرفونه وتجدونه فى كتابكم « فَإِنْ تَوَلَّوْا » ، أى على كفرهم « فَإِنَّ ٱللهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ » .

مانزل من القرآن عن خلق عيسى

ثم استقبل لهم أمرَ عيسى [عليه السلام][2] ، وكيف كان بدء ماأراد الله به ، فقال: « إِنَّ ٱللهَ ٱصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ . ذُرِّيَّةً ١٥
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَٱللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » . ثم ذكر أمر امرأة عِمْران وقولها : «رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا» ، أى نذرته فجعلته[3] عتيقاً ، تعبُّده لله، لا ينتفع به لشىء من الدنيا « فَتَقَبَّلْ مِنِّى إِنَّكَ أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَٱللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ
كَٱلْأُنْثَى» ، أى ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محررًا[4] لك[5] نذيرة « وَإِنِّى ٢٠
سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ » . يقول الله

---

(١) فى ا : « فلم تكن » .
(٢) زيادة عن ط .
(٣) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : «فحملته» .
(٤) فى م : « محرّرة » . وعبارة كتب اللغة تفيد أن المحرر يطلق على النذير والنذيرة . ٢٥
(٥) فى ا : « له » .

تبارك وتعالى : « فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَـنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا » بعد أبيها وأمها .

قال ابن هشام : كفلها : ضمّها .

قال ابن إسحاق :

خبر زكريا ومريم

فذكّرها باليُتْم ثم قصّ خبرَها وخبر زكرّيا ، وما دعا به ، وما أعطاه ، إذ وهب له يحيى . ثم ذكر مريم ، وقولَ الملائكة لها : « يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ . يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ » . يقول الله عزّ وجلّ : « ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ » ، أى ما كنت معهم « إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

أقلامهم : سهامهم ، يعنى قِدَاحهم التى استهموا بها عليها ، فخرج قِدْح زكريا فضمّها ، فيما قال الحسن بن أبى الحسن البَصْرىّ .

كفالة جريج الراهب لمريم

قال ابن إسحاق :

كفلها هاهنا جُرَيج[1] الراهب ، رجل من بنى إسرائيل نجّار ، خرج السهمُ عليه بِحَمْلها فحَملها ، وكان زكرّيا قد كَفَلها قبل ذلك ، فأصابت بنى إسرائيلَ أزمةٌ شديدة ، فعجز زكرّيا عن حَمْلها ، فاستهموا عليها أيّهم يكْفُلُها ، فخرَج السهمُ على جُرَيج الراهب بكُفولها فكَفلها . « وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ » ، أى ما كنت معهم إذ يختصمون فيها . يُخْبِره بخَفِىّ ما كتموا منه من العِلْم عندهم ، لتَحْقيق نُبوّته والحجّة عليهم بما يأتيهم به ممّا أخفوا منه .

ثم قال : « إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ

(١) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : «جريح» بالحاء المهملة .

الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ » ، أى هكذا كان أمره لا كما تقولون فيه « وَجِيهاً فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ » ، أى عند الله « وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ » يخبرهم بحالاته التى يتقلّب فيها فى عُمره ، كتقلّب بنى آدم فى أعمارهم ، صغاراً وكباراً ، إلا أن الله خصّه بالكلام فى مَهْده آية لنبوّته، وتعْريفاً للعباد بمواقع قُدْرته . « قالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالَ كَذٰلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ » ، أى يصنع ما أراد ، ويخلق مايشاء من بشر أو غير بشر « إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ » مما يشاء وكيف شاء ، « فَيَكُونُ » كما أراد .

ماتزل من القرآن فى بيان آيات عيسى عليه السلام

ثم أخبرها بما يريد به ، فقال: « وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ » التى كانت فيهم من عَهْد موسى قبله « وَالْإِنْجِيلَ » ، كتاباً آخر أحدثه الله عزّ وجل إليه لم يكن عندهم إلا ذِكْره . أنه كائن من الأنبياء بعده « وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ » أى يحقق بها نبوّتى ، أنّى رسول منه إليكم « أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ » الذى بعثنى إليكم ، وهو ربّى وربّكم « وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأكمه : الذى يولد أعمى . قال رؤبة بن العجّاج :

* هرّجتُ[1] فارتدّ ارتدادَ الأكمه *

[وجمعه : كُمْه][2] . قال ابن هشام : هرّجت : صحت بالأسد ، وجابتُ عليه . وهذا البيت فى أرجوزة[3] له .

« وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى

---

(١) ويروى : «هزجت» بالزاى المعجمة ، أى زجرت .

(٢) زيادة عن ا .

(٣) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « فى قصيدة » .

بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ » أى رسول من الله إليكم « إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ » ، أى لما سبقنى منها « وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ » ، أى أخبركم به أنه كان عليكم حراماً فتركتموه، ثم أُحله لكم تخفيفاً عنكم ، فتصيبون يُسْره وتخرجون من تباعاته[1]

٥ «وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ. إِنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ » ، أى تبريًّا من الذى يقولون فيه ، واحتجاجاً لربّه عليهم « فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ » ، أى هذا الذى قد حملتُكم عليه ، وجِئْتُكم به . « فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ » والعدوان عليه « قَالَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ » هذا قولهم الذى أصابوا به الفضل

١٠ من ربهم « وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجّونك فيه « رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ » ، أى هكذا كان قولهم وإيمانهم .

رفع عيسى عليه السلام

ثم ذكر [سبحانه وتعالى][2] رَفْعه عيسى إليه حين اجتمعُوا لقتْله ، فقال : «وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» . ثم أخبرهم وردّ عليهم فيما أقرّوا لليهود

١٥ بصَلْبه ، كيف رفعه وطهّره منهم ، فقال: «إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا » ، إذ همّوا منك بما همّوا « وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ، ثم القصة ، حتى انتهى إلى قوله : « ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ » يا محمد « مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ » القاطع الفاصل الحقّ ، الذى لا يُخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى وعمّا

٢٠ اختلفوا فيه من أمره ، فلا تقبلنّ خبراً غيره . « إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ » فاستمع « كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ » ، أى ما جاءك من الخبر عن عيسى « فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ » .

(١) التباعات : جمع تباعة (بالكسر) وهى التبعة والظلامة .
(٢) زيادة عن ط .

أى قد جاءك الحقّ من ربك فلا تَمْترين فيه ، وإن قالوا : خُلق عيسى من غير ذَكَر فقد خلقتُ آدم من تراب ، بتلك القدرة من غير أُنثى ولا ذَكَر ، فكان كما كان عيسى لحماً ودمًا ، وشَعْراً وبشراً ، فليس خَلْق عيسى من غير ذَكَر بأَعْجب من هذا . « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ » ، أى من بعد ما قصصتُ عليك من خبره ، وكيف كان أمره ، « فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

قال أبو عُبيدة : نَبْتهل : ندعُو باللعنة ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

لاَ تقعُدنَّ وقد أَكَّلْتَهَا حَطَباً ... نَعُوذ من شرّها يومًا ونبْتهل

وهذا البيت فى قصيدة له[1] . يقول : ندعو باللعنة . وتقول العرب : بَهل الله فلانًا ، أى لعنه ، وعليه بَهْلة الله . [قال ابن هشام][2] : ويقال : بُهلة الله[2] ، أى لعنة الله ؛ ونبتهل أيضاً : نجتهد ، فى الدعاء .

قال ابن إسحاق :

« إِنَّ هٰذَا » الذى جِئْتُ به من الخبر عن عيسى « لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ » من أمره « وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » . فدعاهم إلى النَّصَف ، وقَطَع عنهم الحجّة .

(١) وزادت (ا) بعد هذه الكلمة : «تبتهل : تتضرّع» .
(٢) هذه العبارة ساقطة فى ا .

إباؤهم الملاعنة

فلمّا أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم الخبرُ من الله عنه ، والفَصْلُ من القضاء بينه و بينهم ، وأُمر بمـا أُمر به من مُلاَعنتهم إنْ ردّوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ؛ فقالوا له : ياأبا القاسم ، دَعْنا نَنْظر فى أمرنا ، ثم نَأْتيك بمـا نريد أن نفعل فيما دعوتَنا إليه . فانصرفوا عنه ، ثم خَلَوْا بالعاقِب ، وكان ذا رَأْيهم ، فقالوا : يا عبدَ المسيح ، ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عَرَفتم أن محمداً لنبىٌّ مُرْسل ، ولقد جاءكم بالفَصْل من خَبَر صاحبكم ، ولقد عَلِمتم ما لاعَن قومٌ نبيًّا قطُّ فبَقى كبيرُهم ، ولا نَبَت صغيرُهم ، و إنه للاستئصالُ منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إِلْف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليـــــه من القول فى صاحبكم ، فوادِعوا الرجلَ ، ثم انصرفوا إلى بلادكم . فأَتَوْا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقالوا : ياأبا القاسم ، قد رأينا ألاّ نُلاَعِنك ، وأن نَتْركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولـكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك تَرْضاه لنا ، يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رِضًا .

تولية أبى عبيدة أمورهم

قال محمدُ بن جعفر: فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أْئتونى العشيّةَ أبعثْ معكم القوىَّ الأمين . قال : فكان عمرُ بن الخطّاب يقول : ماأحببت الإمارةَ قطُّ حبِّى إياها يومئذ ، رجاءَ أن أكون صاحبَها ، فرُحْتُ إلى الظُّهر مهجِّراً ، فلما صلّى بنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الظهرَ سلّم ، ثم نَظَر عن يمينه وعن يَساره ، فجعلت أتَطاول له ليَرانى ، فلم يزَلْ يلتمس ببَصره حتى رأى أبا عُبيدة بن الجرّاح ، فدعاه فقال : اُخرُج معهم ، فاقْض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه . قال عمر : فذهب بها أبو عُبيدة .

نبذ من ذكر المنافقين

ابن أبىّ وابن صيفى

قال ابن إسحاق :

وقَدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينَة ـ كما حدّثنى عاصمُ بن عمر ابن قَتَادة ـ وسَيِّدُ أهلها عبدُ الله بن أُبَىّ [ابن][1] سَلول العَوْفى . ثم أحدُ بنى الحُبْلَى ، لا يختلف عليه فى شَرَفه [من قومه][1] اثنان ، لم تجتمع الأوس والخزرج ٥ قَبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين ، حتى جاء الإسلام ، غيرِه ، ومعه فى الأَوْس رجلٌ ، هو فى قومه من الأوس شريفٌ مُطاع ، أبو عامر عبد عَمْرو بن صَيْفِيّ بن النُّعمان ، أحدُ بنى ضُبَيعة بن زيد ، وهو أبو حَنْظَلة ، الغسيل يوم أُحُد ، وكان قد ترهّب فى الجاهليّة ولَبِس المُسوح ، وكان يُقال له : الراهب . فشَقِيا بشَرفهما وضَرّهما . ١٠

إسلام ابن أبىّ

فأما عبد الله بنُ أُبَىّ فكان قومُه قد نَظَموا له الخَرَز ليتوّجوه ثم يملكوه عليهم[2] ، فجاءهم الله تعالى برسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وهم على ذلك . فلما انصرف قومُه عنه إلى الإسلام ضَغِن[3] ، ورأى أنّ رسول الله

---

(١) زيادة عن ا ، ط .

(٢) قال السهيلى : « ..وذلك أن الأنصار يمن ، وقد كان الملوك المتوجون من اليمن فى آل ١٥ قحطان ، وكان أول من تتوج منهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ولم يتوج من العرب إلا قحطانى كذلك . قال أبو عبيدة : فقيل له : قد تتوج هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة ، وقال فيه الأعشى :

من يلق هوذة يسجد غير متئب إذا تعمم فوق التاج أو وضعا

وفى الخرزات التى بمعنى التاج يقول الشاعر : ٢٠

رعى خرزات الملك عشرين حجة وعشرين حتى فاد والشيب شامل

وقال أبو عبيدة : لم يكن تاجا وإنما كانت خرزات تنظم . وكان سبب تتوج هوذة أنه أجار لطيمة لكسرى فلما وفد عليه توجه لذلك وملكه » .

(٣) ضغن : اعتقد العداوة .

صلّى الله عليه وسلّم قد استلبه مُلْكاً . فلما رأى قومَه قد أَبَوْا إلا الإســلام دخلَ فيه كارهاً مُصِرًّا على نفاق وضِغْن .

إصرار ابن صيفى على كفره

وأما أبو عامر فأَبى إلا الـكُفْرَ والفراقَ لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببِضْعة عشَر رجلا مفارقاً للإسلام ولرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ـ كما حدّثنى محمدُ بن أبى أمامة عن بعض آل حَنْظلة بن أبى عامر ـ : لاتقولوا : الرّاهب ، ولـكن قولوا : الفاسق .

ما نال ابن صيفى جزاء تعريضــه بالرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى جعفرُ بن عبد الله بن أبى الحَـكم ، وكان قد أدْرك وسَمِـع ، وكان راوِيةً :

أن أبا عامر أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين قَدِم المدينة ، قبل أن يخرج إلى مكة ، فقال : ما هذا الدّين الذى جِئْتَ به ؟ فقال : جئتُ بالحنِيفية دينِ إبراهيم ، قال : فأَنَا عليها ؛ فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنك لستَ عليها ؛ قال : بلى ؛ قال : إنك أدخلتَ يا محمد فى الحَنيفية ماليس منها ؛ قال : ما فعلتُ ، ولـكنى جئت بها بيضاءَ نقيّة ؛ قال : الكاذبُ أماته اللهُ طريداً غَرِيباً وحيداً ـ يعرِّض برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ـ أى أنك[1] جئتَ بها كذلك . قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أجل ، فمن كَذب فَفَعل الله تعالى ذلك به . فكان هو ذلك عدوّ الله ، خرج إلى مكة ، فلما افتتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مكةَ خَرج إلى الطائف . فلما أسلم أهلُ الطائف لَحِق بالشام . فمـات بها طريداً غريباً وحيداً .

الاحتكام إلى قيصــر فى ميراثه

وكان قد خرج معه عَلْقمة بن عُلاثة بن عَوف بن الأَحْوص بن جعفر بن كِلاب ، وكِـنانة بن عبد ياليِل بن عمرو بن عُمير الثَّقفى ، فلما مات اختَصما فى ميراثه إلى قيصر ، صاحب الرُّوم . فقال قيصر : يرث أهلُ المَدَر[2] أهلَ المدر ،

(١) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « ماجئت » .
(٢) أهل المدر : يريد بهم من لايسكنون الخيام فى البادية وإنمـا يسكنون بيوتا مبنية .

ويرث أهلُ الوَبَر أهلَ الوبر ، فورِثه كنانةُ بن عبد ياليل بالمَدر دون علْقمة .

هجاء كعب لابن صيفى

فقال كعبُ بن مالك لأبى عامر فيما صنع :

مَعاذَ الله من عَمَل خَبيث كَسعْيك فى العَشيرة عبدَ عَمْرو

فإمّا قلتَ لى شرفٌ وَنَخْلٌ فقِدْمًا بِعتَ إيمانًا بكُفْر

قال ابن هشام : ويروى : 5

* فإما قلت لى شرفٌ ومالٌ *

قال[1] ابن إسحاق :

وأما عبدُ الله بن أبىّ فأقام على شَرفه فى قومه متردّداً ، حتى غَلبه الإسلامُ فدخل فيه كارهاً .

خروج قوم ابن أبى عليه وشعره فى ذلك

قال ابن إسحاق : فحدّثنى محمد بن مُسْلم الزُّهرىّ عن عُرْوة بن الزبير ، 10 عن أُسامة بن زَيد بن حارثة ، حِبِّ[2] رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال : ركب رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى سَعْد بن عُبادة يعوده من شَكْوٍ أصابَه ، على حمار عليه إكاف[3] ، فوقه قَطِيفة فَدَكيّة[4] مُختَطِمه[5] بحبل من ليف ، وأرْدَفنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خَلْفَه . قال : فمرّ بعبد الله بن أُبىّ ، وهو [فى][6] ظِلّ مُزَاحِمٍ أُطُمِه[7] . 15

قال ابن هشام : مزاحم : اسم الأُطُم .

قال ابن إسحاق :

---

(1) يلاحظ أن هذا الخبر جاء مكررا فقد سبقت الإشارة إليه .
(2) الحب : المحبوب .
(3) الإكاف : البرذعة بأداتها . 20
(4) فدكية : منسوبة إلى فدك ، وهى قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان .
(5) الاختطام: أن يجعل على رأس الدابة وأنفها حبل تمسك به .
(6) زيادة عن ا ، ط .
(7) الأطم : الحصن . قال السهيلى : « آطام المدينة : سطوح ، ولها أسماء ، فمنها : مزاحم ؛ ومنها : الزوراء ، أطم بنى الجلاح ؛ ومنها : ممرض : أطم بنى ساعدة . . . وعد كثيرا غير هذه » . 25

وحوله رجالٌ من قومه . فلما رآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تَذَمَّم[1] من أن يُجاوِزَه حتى ينزل ، فنزل فسلَّم ثم جلس قليلا ، فتلا القرآن ودعا إلى الله عزّ وجل ، وذَكّر بالله وحذّر ، وبشّر وأَنْذر ، قال : وهو زامٌّ[2] لا يتكلم ، حتى إذا فرغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من مَقالته ، قال : ياهذا ، إنه لاأحْسَن من حديثك هذا إن كان حقا ؛ فاجلس فى بَيْتك فمن جاءك له فحدِّثه إياه ، [و][3] من لم يأتك فلا تَغُتَّه[4] به ، ولا تَأْته فى مجلسه بما يَكره منه . قال : فقال عبدُ الله بن رَواحة فى رجال كانوا عنده من المسلمين : بلَى ، فاغشَنا به وأْتِنا فى مجالسنا ودُورنا وبُيوتنا ، فهو والله مما نحبّ ، ومما أَكْرمنا الله به ، وهدانا له . فقال عبدُ الله بن أُبىّ ، حين رأى من خلاف قومه ما رأى :

متى ما يَكُنْ مَوْلاكَ خَصْمُك لاَ تزل ... تَذِلّ وَيَصْرَعْك الذين تُصارعُ[5]
وهل يَنْهض البازى بغــــير جَناحه ... وإن جُذّ يومًا ريشُه فهو واقع

قال ابن هشام : البيت الثانى عن غير ابن إسحاق .

غضب الرسول صلى الله عليه وسلم من كلام ابن أبىّ

قال ابن إسحاق : وحدّثنى الزُّهرى عن عُرْوة بن الزّبير عن أسامة قال : وقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فدخل على سَعْد بن عُبادة ، وفى وجهه ما قال عدّو الله ابن أُبىّ ، فقال : والله يا رسول الله إنى لأرى فى وَجْهك شيئاً ، لكأنّك سَمِعْتَ شيئاً تكرهه ؛ قال : أجل . ثم أَخْبره بما قال ابنُ أُبىّ ؛

(١) تذمم : استنكف واستحيا .
(٢) زام : ساكت .
(٣) زيادة عن ا ، ط .
(٤) لاتغته : أى لاتثقل عليه ولا تكده ، يقال : غته بالأمر : إذا كده . قال أبو ذر : « وقد يكون معناه : لاتعذبه ؛ يقال : غتهم الله بعذاب ، أى غطاهم به . ويروى : « فلا تغشه به » ، أى لاتأته به .
(٥) يقال إن هذين البيتين لخفاف بن ندبة .

فقال سعدُ : يا رسولَ الله ، ارفقْ به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإنا لَنَنْظِمُ له الخَرز لنتوّجه ، فوالله إنه ليرى أن قد سلبته مُلْكا .

ذكر من اعتلّ من أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

مرض أبي بكر وعامر وبلال وحديث عائشة عنهم

قال ابن إسحاق : وحدّثنى هشام بن عروة، وعُمَر[1] بن عبد الله بن عُروة، ٥ عن عُروة بن الزبير ، عن عائِشة رضى الله عنها ، قالت :

لما قَدِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، قدِمها وهى أَوْبأ أرضِ الله من الحُمّى ، فأصاب أصحابَه منها بلاء وسُقْم ، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيّه صلّى الله عليه وسلّم . قالت : فكان أبو بكر ، وعامر بن فُهيرة ، و بلال، مَوْليا ١٠ أبى بكر،مع أبى بكر فى بيت واحد ، فأصابتهم الحمّى ، فدخلتُ عليهم أَعُودهم ، وذلك قبل أن يُضْرب علينا الحِجاب ، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدّة الوَعْك[2] ، فدنوتُ من أبى بكر ، فقلتُ له : كيف تَجِدُك يا أبت ؟ فقال :

كلّ أمرئٍ مُصبَّحٌ فى أَهْله ... والموتُ أَدْنى من شِراك نَعْلِه[3]

قالت : فقلت : والله ما يدرى أبى ما يقول . قالت : ثم دنوتُ إلى عامر ١٥ ابن فُهَيْرَةَ ، فقلت له : كيف تجدُك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدتُ الموتَ قبل ذَوْقه ... إن الجَبان حتفهُ من فَوْقه

---

(١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « عمرو » وهو تحريف . (راجع شرح السيرة وتراجم رجال) .

(٢) الوعك : شدة ألم المرض .

٢٠ (٣) هذا البيت والذى بعده لعمرو بن مامة .

كل أمرئ مجاهد بطَوْقه كالثور يَحْمى جِلْده بِرَوْقه[1]

[بطوقه][2] يريد: بطاقته، فيما قال ابن هشام[3]: قالت: فقلت، والله مايدرى عامر ما يقول! قالت: وكان بِلال إذا تركتْه الحمى أضطجع بفناء البيت، ثم رفع عَقيرته[4] فقال:

٥ ألا ليتَ شِعْرى هل أبيتَنّ ليلةً بفَخٍّ وحَوْلى إذْخِرٌ وجَليل[5]

وهل أرِدَنْ يومًا مياه مَجَنَّةٍ[6] وهل يَبْدُوَنْ لى شامةٌ وطَفِيل

قال ابن هشام: شامة وطَفِيل: جبلان بمكة.

دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بنقل وباء المدينة إلى مهيعة

قالت عائشة رضى الله عنها: فذكرتُ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما سمعتُ منهم، فقلت: إنهم لَيَهذُون وما يَعْقِلُون من شـــدّة الحمّى. قالت: فقال ١٠ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: اللهم حبِّب إلينا المدينة كما حبّبتَ إلينا مكة، أو أشـــدّ، وبارك لنا فى مُدِّها وَصاعها[7]، وانقُل وباءها إلى مَهْيَعة. ومَهْيَعة: الجُحْفة[8].

ما جهد المسلمين من الوباء

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزُّهرى عن عبد الله بن عَمْرو ابن العاصى:

١٥ أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لما قَدِم المدينة هو وأصحابُه أصابتهم حمّى المدينة، حتى جَهدوا مرضاً، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، حتى كانوا ما يصلّون إلا وهُم قعود، قال: فخرج عليهم رسولُ الله صلّى الله

---

(١) الروق: القرن.

(٢) زيادة عن ا.

٢٠ (٣) فى ط: «الطوق: الكلفة، والروق: القرن. قال رؤبة بن العجاج يصف الثور والكلاب» ثم ساق شاهدا من شعره لم نستطع تصويبه فأهملناه.

(٤) رفع عقيرته، أى رفع صوته.

(٥) فخ (بالخاء المعجمة وبالجيم. وقال أبو حنيفة الدينورى: فخ، بالخاء المعجمة): موضع خارج مكة. والإذخر: نبات طيب الرائحة. والجليل: الثمام.

٢٥ (٦) مجنة: اسم سـوق للعرب فى الجاهلية، وهى بأسفل مكة، على قدر بريد منها. (راجع معجم البلدان).

(٧) يعنى الطعام الذى يكال بالمد وبالصاع. والمد: رطلان عند أهل العراق، ورطل وثلث عند أهل الحجاز. والصاع: أربعة أمداد عند الحجازيين.

(٨) وقيل: مهيعة: قريب من الجحفة. وهى ميقات أهل الشام.

عليه وسلّم وهم يصلّون كذلك ، فقال لهم : اعلموا أن صلاةَ القاعد على النِّصْف من صلاة القائم . قال : فتجشّم[1] المُسْلمون القيامَ على ما بهم من الضُّعْف والسُّقْم التماسَ الفضل .

بدء قتال المشركين

قال ابن إسحاق :

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تهيّأ لحربه ، قام فيما أَمَره اللهُ به من جهاد عدّوه ، وقِتال مَنْ أَمَره الله به ممّن يَليه من المُشْركين ، مُشْرِكى العَرب ، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة . ٥

تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدّم عن عبد الملك بن هشام ، قال حدّثنا زيادُ بن عبد الله البكّائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ١٠

قَدِم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة يوم الأثنين ، حين اشتدّ الضحاء ، وكادت الشمسُ تَعتَدل ، لِثنْتى عشرة ليلةً مضتْ من شهر ربيع الأول ، وهو التاريخ ، [فيما][2] قال ابن هشام :

قال ابن إسحاق :

ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ ابنُ ثلاث وخَمْسين سنة ، وذلك بعد أن بَعثه الله عزّ وجلّ بثلاثَ عشْرة سنةً ، فأقام بها بقيّة شهر ربيع الأوّل ، وشهرَ ربيع الآخر ، وجمادَيَيْن ، ورجبا ، وشعبان ، وشهرَ رمضان ، وشوّالاً ، وذا القعدة ، وذا الحجة ـ وولى تلك الحَجّةَ المشركون ـ والمحرّمَ ، ثم خرج غازياً فى صفر على رأس أثنى عشر شهرًا من مَقْدمه المدينة . ١٥

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سعدَ بن عُبادة . ٢٠

(١) تجشم : تكلف .

(٢) زيادة عن ا ، ط .

غزوة ودان

وهى أوّل غزواته عليه السلام

قال ابن إسحاق :

موادعة بنى ضمرة والرجوع من غير حرب

حتى بلغ وَدَّانَ[1] ، وهى غزوة الأَبْواء[2] ، يريد قريشاً وبنى ضَمْرة بن بَكْر بن عبد مَناة بن كِنانة ، فوادَعَته فيها بنو ضَمْرة ، وكان الذى وادَعه[3] منهم عليهم مَخْشِىُّ بن عمرو الضَّمْرى ، وكان سيِّدهم فى زمانه ذلك . ثم رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقيةَ صفر وصدرا من شهر ربيع الأوّل .

قال ابن هشام : وهى أوّل غَزْوة غزاها .

سرية عبيدة بن الحارث

وهى أوّل راية عقدها عليه السلام

قال ابن إسحاق :

ما وقع بين الكفار وإصابة سعد

وبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فى مُقامه ذلك بالمدينة ، عُبَيْدةَ ابن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف بن قُصَىّ فى ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز، بأسفل ثنيّة المُرّة ، فلقى بها جَمْعاً عظيما من قُريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلاّ أن سعد ابن أبى وقّاص قد رُمى يومئذ بسَهم ؛ فكان أوّلَ سهم رُمى به فى الإسلام .

---

(1) ودان (بفتح الواو وشد المهملة فألف فنون) : قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع ؛ وقيل : واد على الطريق يقطعه المصعدون من حجاج المدينة .

(2) الأبواء : قرية من عمل الفرع بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلا .

(3) وادعه : سالمه وعاهده أن لا يحاربه .

من فر من المشركين الى المسلمين

ثم انصرف القومُ عن القوم، وللمسلمين حامية . وفرّ من المُشْركين [إلى][1] المسلمين المِقْدادُ بن عمرو البَهْرانى، حليفُ بنى زُهْرة، وعُتْبة بن غَزْوان بن جابر المازنى، حليف بنى نَوْفل بن عبد مناف، وكانا مُسْلِمين، ولكنّهما خَرجا ليتوصّلا بالكفّار[2]. وكان على القوم عِكْرِمةُ بن أبى جَهْل .

٥ قال ابن هشام : حدّثنى ابن أبِى عَمْرو بن العَلاء عن أبى عمرو المدنىّ : أنه كان عليهم مِكْرَز[3] بن حَفْص بن الأخْيف، أحد بنى مَعِيص بن عامر بن لُؤىّ ابن غالب بن فِهْر .

شعر أبى بكر فيها

قال ابن إسحاق :

فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه، فى غَزْوة عُبيدة بن الحارث ـ

١٠ قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبى بكر[4] رضى الله عنه ـ :

أمِنْ طَيفِ سلْمى بالبِطاح الدّمائثِ ... أرِقْتَ وأمرٍ فى العَشِيرة حادثِ[5]

ترى من لُؤىٍّ فرقةً لا يصدّها ... عن الكُفر تذكيرٌ ولا بَعْثُ باعث

رسولٌ أتاهم صادقٌ فتكذّبوا ... عليه وقالوا : لستَ فينا بماكث

١٥ إذا ما دَعَوناهم إلى الحقّ أدْبَرُوا ... وهرُّوا هَريرَ المُجْحَرَات اللّواهث[6]

---

(١) زيادة عن ا، ط .

(٢) ليتوصلا بالكفار: أى أنهما جعلا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين.

(٣) روى « مكرز » بكسر الميم وفتحها مع سكون الكاف وفتح الراء وزاى، كما يروى بضم الميم وكسر الراء . والمعتمد فيه كسر الميم . (راجع الروض الأنف والمؤتلف ٢٠ والمختلف وشرح المواهب اللدنية) .

(٤) ومما يقوى قول ابن هشام فى نفى هذا الشعر عن أبى بكر، ماروى من حديث الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : كذب من أخبركم أن أبا بكر قال بيت شعر فى الإسلام .

(٥) الدمائث : الرمال اللينة .

٢٥ (٦) هروا : وثبوا كما تثب الكلاب . والمجحرات : الكلاب التى أجحرت، أى ألجئت إلى مواضعها .

فكم قد مَتَتْنَا[1] فيهمُ بقَرابةٍ ... وتَرْكُ التُّقى شيء لهمْ غيرُ كارثِ[2]

فإن يَرْجعوا عن كُفْرهم وعُقوقهم ... فما طَيِّبات الحِلّ مثلُ الخبائث

وإنْ يَرْكبوا طُغْيانهم وضلالَهم ... فليس عذابُ الله عنهم بلابثِ[3]

ونحن أناسٌ من ذُؤابة غالبٍ ... لنا العزُّ منها فى الفروع الأثائث[4]

٥ فأُولِى[5] بربِّ الرّاقصات عشيّةً ... حَراجيجَ تُحْدَى[6] فى السَّريح الرثائث[7]

كأُدْم ظِباء حولَ مكّةَ عُكَّفٍ ... يَرِدْن حياضَ البئر ذات النَّبائث[8]

لئن لم يُفِيقوا عاجلاً من ضَلالهم ... وَلَسْتُ إذا آليتُ قولاً بحانث

لَتَبْتَدِرَنْهم غارةٌ ذاتُ مَصْدَقٍ ... تُحرِّم أطهارَ النساء الطَّوامث[9]

تُغادر قتلى تَعْصِب الطيرُ حولَهم ... ولاتَرأفُ الكفّارَ رأْفَ ابن حارث[10]

١٠ فأَبْلِغ بنى سَهْمٍ لَدَيْك رسالةً ... وكلُّ كَفور يبتغى الشرّ باحث

فإنْ تَشْعَثوا عِرْضى على سُوء رأيكم ... فإنىَ من أَعْراضكم غيرُ شاعث[11]

شعر ابن الزبعرى فى الرد على أبى بكر

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمى، فقال:

أمِنْ رَسْم دار أقفرتْ بالعَثاعِث ... بكيتَ بعينٍ دمعُها غيرُ لابثِ[12]

ومِن عجبِ الأيام والدهرُ كلُّه ... له عجبٌ من سابقاتٍ وحادث

١٥ (1) كذا فى ا، ط. ومتتنا: اتصلنا. وفى سائر الأصول: «منينا».

(2) غير كارث، أى غير محزن.

(3) بلابث، أى بمبطئ.

(4) الأثائث: الكثيرة المجتمعة.

(5) أولى، أى أحلف وأقسم. ويريد بـ «الراقصات»: الإبل. والرقص: ضرب من

٢٠ المشى. وحراجيج: طوال؛ الواحد: حرجوج. ويروى: «عناجيج»، أى حسان.

(6) كذا فى ا، ط. وتحدى: تساق ويغنى لها. وفى سائر الأصول: «تخدى» بالخاء المعجمة، وخدى البعير يخدى (من باب ضرب) أسرع وزج بقوائمه.

(7) السريح: قطع جلد تربط فى أخفاف الإبل مخافة أن تصيبها الحجارة. والرثائث: البالية الخلقة.

٢٥ (8) الأدم من الظباء: السمر الظهور البيض البطون. وعكف: مقيمة. والنبائث جمع نبيثة، وهى تراب يخرج من البئر إذا نقيت.

(9) الطوامث: جمع طامث، وهى الحائض.

(10) تعصب: تجتمع وتحيط. وابن حارث: عبيدة بن الحارث.

(11) تشعثوا: تغيروا وتفرقوا.

٣٠ (12) العثاعث: أكداس الرمل التى لاتنبت شيئاً؛ واحدها: عثعث. وغير لابث: غير متوقف

لجيشٍ أتانا ذى عُرامٍ يقُوده ... عُبيدةُ يُدْعى فى الهِياج ابنَ حارث(١)
لِنَتْرُكَ أصنامًا بمكةَ عُكَّفًا ... مَواريثَ موروثٍ كريمٍ لِوَارث
فَلما لَقِيناهم بسُمْرٍ رُدَيْنةٍ ... وجُرْدٍ عِتاقٍ فى العَجاج لَوَاهث(٢)
و بيضٍ(٣) كأنّ المِلْحَ فوق مُتُونها ... بأيدى كُماة كاللُّيوث العوائث(٤)
نُقِيم بها إصْعار مَنْ كان مائِلاً ... ونَشْفى الذُّحُولَ عاجلاً غيرَ لابث(٥) ٥
فكَفُّوا على خَوْف شديدٍ وَهَيْبة ... وأعجبهم أمرٌ لهم أمرُ(٦) رائث(٧)
ولو أنّهم لم يَفْعلوا ناحَ نِسوةٌ ... أيامَى لهم، من بين نَسْءٍ وطامث(٨)
وقد غُودرتْ قَتْلَى يُخَبِّرعنهمُ ... حَفِىٌّ بهم أو غافلٌ غيرُ باحث(٩)
فأبْلغ أبا بَكْر لديك رسالةً ... فما أنت عن أعْراضِ فِهْرٍ بماكث
ولَمّا تجبْ منّى يمينٌ غليظة ... تُجدّد حربًا حَلْفَةً غيرَ حانث ١٠

قال ابن هشام: تركنا منها بيتاً واحداً، وأكثرُ أهل العِلم بالشعر يُنكر هذه القصيدة لابن الزِّبَعْرَى.

شعر ابن أبى وقاص فى رميته

قال ابن إسحاق:

وقال سعدُ بن أبى وقّاص فى رَمْيته تلك فيما يذكرون:

ألا هَلْ أتى رسولَ الله أنّى ... حَمَيْتُ صحابَتى بصُدور نَبْلى ١٥

---

(١) العرام: الكثرة والشدة. والهياج: الحرب.
(٢) السمر: الرماح. وردينة: امرأة تنسب الرماح إليها. والجرد: الخيل القصيرات الشعر، ويقال: السريعة. والعجاج: الغبار، ويريد به هنا الحرب لكثرة مايثار فيها من الغبار.
(٣) البيض: السيوف.
(٤) كذا فى ا. و«العوائث»: المفسدات. وفى سائر الأصول: «العوابث». ٢٠
(٥) الإصعار: الميل. والذحول: جمع ذحل، وهو طلب الثأر.
(٦) فى ط: «غير».
(٧) رائث: متمهل فى الأمر مقدر لعواقبه.
(٨) النسء بتثليث النون: المتأخرة الحيض المظنون بها الحمل. والطامث: الحائض.
(٩) حفى بهم، أى كثير السؤال عنهم. ٢٥

أَذُودُ بهــا أوائلَهم ذِياداً   بكلِّ حُـزُونة وبكلِّ سَهْلِ[1]
فما يَعْتَدُّ رامٍ فى عــدوٍّ   بِسَهْم يا رســول الله قَبْلى
وذلك أن دِينك دِينُ صِدْقٍ   وذو حقّ أتيتَ به وعَــدْلِ
ينَجَّى المؤمنون به ، ويُجزى   به الكفّار عنــد مقام مَهْلِ[2]
٥ فَمَهْلاً قد غَوِيتَ فلا تَعِبْنِي   غَوِىَّ الحىّ ويحك يا بن جَهْلِ[3]

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكِرها لِسَعْد .

قال ابن إسحاق :

أول راية فى الإسلام كانت لعبيدة

فكانت رايةُ عُبيدة بن الحارث ـ فيما بلغنى ـ أولَ راية عقدها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى الإسلام ، لأحد من المسلمين . وبعضُ العلماء يزعُم أنّ رسولَ ١٠ الله صلّى الله عليه وسلّم بعَثه حين أقبل من غزوة الأبْواء ، قبل أن يَصِل إلى المدينة

سرية حمزة إلى سيف البحر

ماجرى بين المسلمين والكفار

وبعث فى مَقامه ذلك ، حمزةَ بن عبد المطلب بن هاشم ، إلى سِيف البَحْرِ ، من ناحية العِيص ، فى ثلاثين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد . فلقى أبا جَهل بن هِشام بذلك الساحل فى ثلاث مئة راكب من أهل مكة . ١٥ فحجز بينهم مَجْدىّ بن عَمرو الجُهنىّ . وكان مُوادِعا للفريقين جميعاً ، فانصرف بعضُ القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتالٌ .

كانت راية حمزة أول راية فى الإسلام وشعر حمزة فى ذلك

وبعضُ الناس يقول : كانت رايةُ حمزة أولَ راية عَقدها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لأحد من المسلمين[4] . وذلك أنّ بعْثه وبَعْث عُبيدة كانا معاً ، فشُبِّه ذلك

(١) الحزونة : الوعر من الأرض .
٢٠ (٢) كذا فى ا ، ط . ومقام مهل : أى إمهال وتثبت . وفى سائر الأصول : « سهل » .
(٣) يريد بـ « ابن جهل » : عكرمة بن أبى جهل ، وكان على الكفار كما تقدم .
(٤) وإلى ذلك ذهب ابن عبد البر .

على الناس . وقد زعموا أنّ حمزة قد قال فى ذلك شعراً يَذْكر فيه أنّ رايته أولُ رايةٍ عقدها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فإنْ كان حمزة قد قال ذلك ، فقد صَدق إن شاء الله ، لم يكن يقولُ إلا حقًّا ، فالله أعلم أى ذلك كان . فأمّا ما سَمِعنا من أهل العلم عندنا . فعُبيدة بن الحارث أولُ من عُقد له . فقال حمزة فى ذلك ، فيما يزعمون ـ قال ابن هشام : وأكثرُ أهل العلم بالشِّعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضى الله عنه ـ :

ألا ياقَوْمى للتحلُّم والجَهْل ... وللنَّقْص من رأى الرِّجال وللعَقْلِ
وللراكبينا بالمظالم لم نَطَأْ ... لهم حُرُماتٍ من سَوَامٍ ولا أهْلِ[1]
كأنّا تبَلْناهم ولاَ تَبْلَ عندنا[2] ... لهم غيرُ أمرٍ بالعَفاف[3] وبالعَدْلِ
وأمرٍ بإسلام فلا يقبلونه ... ويَنْزِل منهم مِثلَ مَنْزلة الهَزْلِ
فما بَرِحوا حتى انْتَدَبْتُ[4] لغارة ... لهم حيث حلّوا أبتَغى راحة الفَضْلِ
بأمرِ رسولِ الله ، أوّلَ خافق ... عليه لواءٌ لم يكن لاحَ من قَبْلى
لواءٌ لَدَيْه النصرُ من ذى كرامة ... إلهٍ عزيزٍ فعلُه أفضلُ الفِعْلِ
عشيّةَ ساروا حاشدِين وكلُّنا ... مَراجله من غَيْظِ أصحابهِ تَغْلى[5]
فلما تَرَاءيْنا أناخُوا فعقَّلوا ... مَطايا وعقّلنا مدَى غَرَضِ[6] النَّبْلِ[7]
فقلنا لهم : حبلُ الإله نَصِيرنا ... وما لكم إلا الضَّلالةُ من حَبْلِ
فثار أبو جهل هنالك باغياً ... فخَاب وردَّ اللهُ كَيْدَ أبِى جهل

---

(١) السوام : الإبل المرسلة فى المرعى .
(٢) كذا فى ا ، ط . وتبلناهم ، أى عاديناهم . والتبل : العداوة . وفى سائر الأصول . « نبلناهم ولا نبل » بالنون فيهما .
(٣) فى ا : « بالعقاب » .
(٤) كذا فى أكثر الأصول . يقال : انتدبته للأمر فانتدب هوله ، أى دعوته له فأجاب، لازم متعد . وفى ا : « ابتدرت بغارة » .
(٥) المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر . وقيل : هو قدر النحاس لا غير .
(٦) فى ا : « عرض » وهو تصحيف .
(٧) مدى غرض النبل ، أى أنهم أناخوا قريبين بعضهم من بعض ، فكان المسافة بينهم مرمى النبل .

وما نحن إلا فى ثلاثين راكباً ... وهُم مئتان بعد واحدةٍ فَضْلِ
فَيا لَلُؤَىٍّ لا تُطيعُوا غُواتَكم ... وفيئُوا إلى الإسلامِ والمَنْهجِ السَّهل[1]
فإنى أخافُ أن يُصَبَّ عليكمُ ... عذابٌ فتَدعوا بالنَّدامة والثُّكل[2]

فأجابه أبو جهل بن هشام ، فقال :

شعر أبى جهل فى الرد على حمزة

٥ عجبْتُ لأسبابِ الحَفيظة والجَهلِ ... وللشَّاغِبينَ بالخِلاف وبالبُطْل[3]
ولِلتَّارِكينَ ما وَجَدْنَا جُدودَنَا ... عليه ذوى الأَحْساب والسُّودَدِ الجَزْل[4]
أتَوْنَا بإفك كى يُضِلوا عُقولنا ... وليس مُضلاً إفْكهُم عقلَ ذى عَقْل[5]
فقُلنا لَهم : يا قومنا لا تُخالِفوا ... على قومكم إنَّ الخلافَ مدى الجَهْل
فإنكمُ إن تَفْعلوا تَدْعُ نسوةٌ ... لهن بَوالٍ بالرَّزيةِ والثُّكل
١٠ وإن تَرجِعوا عمّا فعلتم فإننا ... بنو عمّكم أهلُ الحَفائظ والفَضْل
فقالوا لنا : إنّا وَجَدْنا محمدًا ... رضاً لذوى الأحلام منا وذى العَقْل
فلما أبَوْا إلا الخلافَ وزيّنوا ... جِماعَ الأمور بالقَبيح من الفعل
تَيَمّمتُهم بالساحَلَيْن بغارةٍ ... لأتْرُكهم كالعَصْفِ ليس بذى أَصْل[6]
فوَرَّعنى[7] مَجْدِىٌّ[8] عنهم وصُحْبتى ... وقد وَازَرُونى بالسُّيوف وبالنَّبْل
١٥ لِإلٍّ علينا واجبٍ لا نضيعه ... أمينٌ قواه غير مُنْتَكِث الحَبْل[9]
فَلولا ابنُ عمرو كنتُ غادرتُ منهم ... مَلاحم للطَّير العُكوف بلا تَبْل[10]
ولكنّه آلى بإلٍّ فقلَّصت ... بأيْمانِنا حدُّ السُّيوف عن القتل[11]

---

(١) فيئوا : ارجعوا . والمنهج : الطريق الواضح .
(٢) الثكل : الفقد والحزن .
٢٠ (٣) الحفيظة : الغضب .
(٤) الجزل : العظيم .
(٥) الإفك : الكذب .
(٦) العصف : ورق الزرع الذى يصفر على ساقه . ويقال : هو دقاق التبن .
(٧) كذا فى ا . وورعنى ، أى كفنى ؛ وهو من الورع عن المحارم أى الكف عنها .
٢٥ وفى ط : « فروغنى » . وفى سائر الأصول : « فوزعنى » .
(٨) مجدّى ، هو مجدى بن عمرو الجهنى . وقد سبقت الإشارة إلى أنه حجز بين القوم .
(٩) الإل : العهد . وغير منتكث : غير منتقض .
(١٠) العكوف : المقيمة اللازمة .
(١١) قلصت : تقلصت ولم تمض .

فإنْ تُبقِنِى الأيامُ إرْجِعْ عليهم ... ببِيضٍ رِقاقِ الحدِّ مُحْدَثَةِ الصَّقْلِ
بأيدِى حُماةٍ من لؤىِّ بن غالب ... كرامِ المَساعى فى الجُدوبة والمَحْلِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لأبى جهل .

غزوة بواط

يومها

قال ابن إسحاق : ٥

ثم غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى شهر ربيع الأول يريد قريشاً .

ابن مظعون على المدينة

قال ابن هشام :

واستعمل على المدينة السائبَ بن عُثْمان بن مَظْعون .

العودة إلى المدينة

قال ابن إسحاق :

حتى بلغ بُواط[1] ، من ناحية رَضْوى ، ثم رجعَ إلى المدينة ولم يَلْق ١٠ كيدًا ، فلبث بها بقيةَ شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى .

غزوة العشيرة

أبو سلمة على المدينة

ثم غزا قريشاً ، فاستعمل على المدينة أبا سَلَمة بن عبد الأسد ، فيما قال ابن هشام .

الطريق إلى العشيرة

قال ابن إسحاق : ١٥

فسلك على نَقْب بنى دِينار ، ثم على فَيْفاء الخَبار ، فنزل تحت شجرة ببَطْحاء ابن أَزْهر ، يقال لها : ذات الساق ، فصلّى عندها . فثَمّ مسجدُه صلّى الله

(١) بواط (بفتح الموحدة وضمها) : جبل من جبال جهينة، بقرب ينبع، على أربعة برد من المدينة . وقال السهيلى « وبواط : جبلان فرعان لأصل واحد ، أحدهما : جلسى والآخر غورى ، وفى الجلسى بنو دينار ، ينسبون إلى دينار مولى عبد الملك بن مروان » . ٢٠

عليه وسلّم ، وصُنع له عندها طعام ، فأكل منه ، وأكل الناسُ معه ، فمَوْضع أثافِيّ البُرْمة مَعْلوم هنالك ، واستُقِى له من ماء به ، يقال له : المُشْتَرِب ، ثم ارتحل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فترك الخَلائِق[1] بيسار ، وسلك شُعْبة يقال لها . شُعْبة عبد الله ، وذلك أسمُها اليوم ، ثم صَبَّ لليسار[2] حتى هَبطَ يَلْيَل[3] ، فنزل بمُجْتمعه ومُجْتمع الضَّبُوعة ، واستقى من بِئْرِالضَّبُوعة ، ثم سلك الفَرْش : فَرْشَ مَلَل ، حتى لَقِى الطريقَ بصُخَيْرات اليَمام ، ثم اعتدل به الطريقُ ، حتى نزل الْعُشَيْرة من بطن يَنبُع . فأقام بها جُمادى الأولى ولَيالى من جُمادى الآخرة ، ووَادع فيها بنى مُدْلِج وحُلفاءهم من بنى ضَمْرة ، ثم رَجَع إلى المدينة ، ولم يَلْق كيداً .

تكنية الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى بأبى تراب

وفى تلك الغَزْوة قال لعلىّ بن أبى طالب عليه السلام ما قال .

قال ابن إسحاق : فحدّثنى يزيد بن محمد بن خُثَيْم المُحاربى ، عن محمد بن كعب القُرَظىّ ، عن محمد بنِ خيثم أبى يزيد ، عن عمّار بن ياسر ، قال :

كنت أنا وعلىّ بن أبى طالب رفيقين فى غَزْوة الْعُشَيرة ؛ فلما نَزلها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وأقام بها ؛ رأينا أُناساً من بنى مُدْلج يَعْملون فى عين لهم وفى نَخْل ؛ فقال لى علىّ بن أبى طالب : يا أبا اليقظان ، هل لك فى أن تَأْتى هؤلاء القوم ، فننظر كيف يعملون ؟ قال : قلت : إن شئتَ ؛ قال : فجئْناهم ، فنَظَرْنا إلى عملهم ساعةً ، ثم غَشِيَنا النومُ . فانطلقتُ أنا وعلىّ حتى

---

(١) قال ياقوت . « . . . وكان لعبد الله بن أحمد بن جحش أرض يقال لها الخلائق بنواحى المدينة » .

(٢) فى ا : « للساد » . وهو تحريف . راجع شرح السيرة .

(٣) يليل (بتكرير الياء مفتوحتين ولامين) : قرية قرب وادى الصفراء من أعمال المدينة، وفيه عين كبيرة تسمى : البحيرة .

اضطجعنا فى صُور[1] من النخل ، وفى دَقْعاء[2] من التراب فنمنا ، فوالله ما أَهَبَّنا[3] إلاّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يُحرّكنا برِجْله . وقد تَترّبْنا من تلك الدّقْعاء التى نِمْنا فيها ، فيومئذ قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لعلىّ بن أبى طالب: مالَكَ يا أبا تُراب[4]، لما يَرَى عليه من التراب، ثم قال: ألاأُحدِّثكما بأشْقى الناس رَجُلَيْن ؟ قلنا : بلى يا رسولَ الله ؛ قال : أُحَيْمر ثمود[5] الذى عَقَرَ الناقة ، والذى يَضْربك يا علىّ على هذه ــ ووضع يدَه على قَرْنه ــ حتى يَبُلَّ منها هذه . وأخذ بلِحْيته .

قال ابن إسحاق :

وقد حدّثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم إنما سَمّى عليًّا أبا تراب أنهُ كان إذا عتَب على فاطمة فى شىء لم يكلّمها ، ولم يَقُل لها شيئاً تكرهه ، إلا أنه يأخذ ترابًا فَيضعه على رأسه . قال : فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إذا رأى عليه التراب عَرَف أنه عاتِبٌ على فاطمة ، فيقول : مالك يا أبا تراب ؟ فالله أعلم أى ذلك كان .

---

(1) صور النخل : صغاره .

(2) الدقعاء : التراب اللين .

(3) أهبنا : أيقظنا .

(4) قال السهيلى . « وأصح من ذلك ماروا ه البخارى فى جامعه ، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده فى المسجد نائما وقد ترب جنبه ؛ فجعل يحت التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب . وكان قد خرج إلى المسجد مغاضبا لفاطمة . وهذا معنى الحديث . وما ذكره ابن إسحاق من حديث عمار مخالف له إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين : مرة فى المسجد ، ومرة فى هذه الغزوة » .

وقد ذكر ابن إسحاق بعد قليل سببا آخر لهذه التكنية قريبا مما ذكره السهيلى .

(5) أحيمر ثمود : هو الذى عقر ناقة صالح ، واسمه قدار بن سالف ، فيما يروى .

سرية سعد بن أبى وقاص

ذهابه إلى الخرار ورجوعه من غير حرب

قال ابن إسحاق :

وقد كان بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما بين ذلك من غزوة سَعْد ابن أبى وقّاص ، فى ثمانية رَهْط من المُهاجرين، فخَرج حتى بلغ الخَرّار من أرض الحجاز ، ثم رجع ولم يلق كيدًا .

قال ابن هشام :

ذكر بعضُ أهل العلم أن بَعْثَ سعْد هذا كان بعد حَمْزة .

غزوة سفوان

وهى غزوة بدر الأولى

إغارة كرز والخروج فى طلبه

قال ابن إسحاق :

ولم يُقِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة حين قَدِم من غَزْوة العُشَيْرة إلا ليالى قلائل ، لا تبلغُ العشر ، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفهْرى على سَرْح[1] المدينة ، فخَرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى طلبه ، واستعْمل على المدينة زيدَ ابن حارثة ، فيما قال ابن هشام .

فوات كرز والرجوع من غير حرب

قال ابن إسحاق :

حتى بلغ واديًا ، يقال له : سَفْوان، من ناحيةِ بدْر ، وفاته كُرْزُ بن جابر فلم يُدْركه ، وهى غزوةُ بدر الأولى . ثم رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، فأقام بها بقيةَ جمادى الآخرة ورجبا وشعبان .

(١) السرح : الإبل والمواشى التى تسرح للرعى بالغداة .

سرية عبد الله بن جحش

ونزول : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ »

بعثه والكتاب الذى حمله

وبَعَث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عبدَ الله بن جَحْشِ بن رئاب الأسدى فى رجب ، مَقْفَلَه من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رَهْط من المُهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتاباً ، وأمره أن لا ينظر فيه ٥ حتى يسيرَ يومين ثم ينظر فيه ، فيَمْضى لما أمره به ، ولا يَسْتكره من أصحابه أحداً.

أصحاب ابن جحش فى سريته

وكان أصحابُ عبد الله بن جَحْش من المهاجرين . ثم من بَنِى عَبْد شمس ابن عبد مناف : أبو حُذَيفة بن عُتْبة بن رَبيعة بن عبد شَمْس ؛ ومن حلفائهم : عبد الله بن جَحْش ، وهو أمير القوم ، وعُكَّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثان ، أحد بنى أَسد بن خُزَيمة ، حليف لهم . ومن بنى نَوْفَل بن عبد مناف : عُتْبة ١٠ ابن غَزْوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بنى زُهْرة بن كلاب : سعدُ بن أبى وقّاص. ومن بنى عَدِىّ بن كعب عامر بن ربيعة، حليف لهم من عَنْز بن وائل، وواقدُ بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرِين بن ثَعْلبة بن يربوع ، أحد بنى تميم ، حليف لهم ، وخالد بن البُكَير ، أحد بنى سَعْد بن لَيْث ، حليف لهم . ومن بنى الحارث بن فِهْر : سُهَيْل بن بيضاء . ١٥

فض ابن جحش كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ومضيه لطيته

فلما سار عبدُ الله بن جَحْش يومين فتح الكتاب ، فنظر فيه، فإذا فيه: إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نَخْلَة، بين مكة والطائف ، فترصَّدْ بها قريشاً وتعلّم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبد الله بن جَحْش فى الكتاب ، قال : سمعاً وطاعة ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرنى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن أمضى إلى نَخْلة، أرصُد بها قريشاً، حتى آتيَه منهم بخبر ؛ وقد نهانى أن أستكره أحداً منكم . ٢٠

فمن كان منكم يريد الشهادةَ ويرغب فيها فَلْينْطلق ، ومن كرِه ذلك فليَرْجع ؛ فأمّا أنا فماضٍ لأمر رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . فمضى ومضى معه أصحابُه ، لم يتخلّف عنه منهم أحد .

تخلف القوم بمعدن

وسَلك على الحجاز ، حتى إذا كان بمَعْدِن ، فوق الفُرُع ، يقال له : بحران ، أضلّ سعدُ بن أبي وقّاص ، وعُتْبة بن غَزْوان بعيرًا لهما ، كانا يَعتقبانه . فتخلّفا عليه في طلبه . ومَضى عبدُ الله بن جحش وبقيةُ أصحابه حتى نزلَ بنخْلة ، فمرّت به عيرٌ لقريش تَحْمِل زبيباً وأَدَمًا[1] ، وتجارة من تجارة قريش ، فيها عمرو ابن الحَضْرمى .

اسم الحضرمى ونسبه

ــ قال ابن هشام :

واسم الحَضْرمى : عبد الله بن عبّاد ، [ويقال : مالك بن عبّاد] أحد الصَّدِف ، واسم الصَّدف : عمرو بن مالك ، أحد السَّكُون[2] بن أشْرس ابن كِنْدة ، ويقال : كِنْدىّ ــ .

قال ابن إسحاق :

وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة ، وأخوه نَوْفَل بن عبد الله ، المَخزُوميّان ، والحكم بن كَيْسان ، مولى هشام بن المُغيرة .

ماجرى بين الفريقين وما خلص به ابن جحش

فلما رآهم القوم هابُوهم وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عُكّاشة بن مِحْصَن ، وكان قد حلق رأسه ، فلما رأوه أَمِنوا ، وقالوا : عُمَّار ، لا بأس عليكم منهم . وتشاور القوم فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب ؛ فقال القومُ : والله لئن تركتم القومَ هذه الليلةَ ليدخُلنّ الحرم ، فليمتَنعُنّ منكم به ، ولئن قَتلتموهم لتقتلنّهم في الشهر الحرام ؛ فتردّد القوم ، وهابُوا الإقدام عليهم ، ثم شجّعوا أنفسهم عليهم ، وأَجمعوا

---

(1) الأدم : الجلد .

(2) في م ، ر : « السكون بن المغيرة بن أشرس » .

على قتل من قَدَروا عليه منهم ، وأَخْذِ ما معهم . فَرمى واقدُ بن عبد الله التَّميمى عمرو بنَ الحَضْرمى بسهم فقتله ، واستأسر عثمانَ بن عبد الله ، والحكَم ابن كَيْسان ؛ وأفلتَ القومَ نوفلُ بنُ عبد الله فأَعْجزهم . وأقبل عبدُ الله بنُ جَحش وأصحابُه بالعِير وبالأسيرين، حتى قَدِموا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينةَ .

وقد ذكر بعضُ آل عبد الله بنَ جَحش : أن عبد الله قال لأصحابه : إن ٥ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم مما غَنِمْنا الخمس — وذلك قبل أن يَفْرض الله تعالى الخمسَ من المغانم — فَعزلَ لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم خمس العير ، وقسّم سائرها بين أصحابه .

نكران الرسول صلى الله عليه وسلم على ابن جحش قتاله فى الشهر الحرام

قال ابن إسحاق[1] :

فلما قَدِموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة ؛ قال : ما أمرتُكم بقِتال ١٠ فى الشهر الحرام. فوقّف العِير والأسيرين ، وأبَى أن يأخذ من ذلك شيئاً ؛ فلما قال ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سُقِط فى أيدى القوم ، وظنّوا أنهم قد هَلكوا ، وعنّفهم إخوانهم من المسلمين فيما صَنعوا . وقالت قريش : قد استحلّ محمد وأصحابُه الشهرَ الحرام ، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال ، وأسرُوا فيه الرجال ؛ فقال من يردّ عليهم من المُسلمين ، ممّن كان بمكة : إنما أصابوا ١٥ ما أصابوا فى شعبان .

توقع اليهود بالمسلمين الشر

وقالت يهود — تفاءَلُ بذلك على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم — عمرو ابن الحضرمى قتله واقدُ بن عبد الله ، عمرو ، عمرت الحرب ؛ والحضرمى ، حضرت الحرب ؛ وواقد بن عبد الله ، وقدت الحرب . فجعل الله ذلك عليهم لا لهم.

نزول القرآن فى فعل ابن جحش وإقرار الرسول له صلى الله عليه وسلم فى فعله

فلما أكثر الناسُ فى ذلك أنزل الله على رسوله صلّى الله عليه وسلّم : ٢٠ « يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ

(١) فى م ، ر : « قال ابن هشام » .

وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ » أى إن كنتم قتلتم فى الشهر الحرام فقد صدّوكم عن سبيل الله مع الكفر به ، وعن المسجد الحرام ، و إخْراجكم منه وأنتم أهلُه أ كبر عند الله من قتل من قتلتم منهم « وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ » أى قد كانوا يفتنون المُسلم فى
٥ دينه ، حتى يردّوه إلى الكفر بعد إيمانه ، فذلك أ كبرُ عند الله من القتل « وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا » أى ثم هم مقيمون على أخْبث ذلك وأعظمه ، غيرَ تائبين ولا نازعين . فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرّج الله تعالى عن المُسلمين ما كانوا فيه من الشَّفَق[1] ، قبض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم العِيرَ والأسيرَيْن ، و بعثت إليه قريشٌ فى فِداء
١٠ عثمان بن عبد الله والحَكَم بن كَيْسان ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لا نُفْديكموها حتى يقدَم صاحبانا ــ يعنى سعدَ بن أبى وقّاص وعُتبة بن غَزْوان ــ فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما نقتلْ صاحبَيْكم . فقَدِم سعدٌ وعُتبة ، فأفْداهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم منهم .

إسلام ابن كيسان وموت عثمان كافرا

فأما الحكم بن كَيْسان فأسْلم فحسُن إسلامه ، وأقام عند رسول الله صلّى الله
١٥ عليه وسلّم حتى قُتل يوم بئْر مَعونة شهيداً . وأما عثمان بن عبد الله فَلحق بمكّة ، فمات بها كافراً .

طمع ابن جحش فى الأجر وما نزل فى ذلك

فلما تجلّى عن عبد الله بن جَحْش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طَمِعوا فى الأجر ، فقالوا : يا رسول الله : أَنطْمَع ، أن تكون لنا غزوة نُعْطَى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
٢٠ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ، فوضعهم الله عزّ وجلّ من ذلك على أعظم الرجاء .

---

(١) الشفق . الخوف .

والحديث فى هذا عن الزّهرى ويَزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعضُ آل عبد الله بن جَحْش :

أن الله عزّ وجلّ قسم الفىء حين أحلّه ، فجعل أربعةَ أخماس لمن أفاءه الله ، وخُمْسا إلى الله ورسوله ، فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع فى تلك العير .

قال ابن هشام : ٥

وهى أوّل غنيمة غنمها المسلمون . وعمرو بن الحَضْرمى أوّل من قَتله المسلمون ، وعثمانُ بن عبد الله والحَكَم بن كَيْسان أوّل من أَسَر المسلمون .

شعر فى هذه السرية ينسب إلى أبى بكر وإلى ابن جحش

قال ابن إسحاق :

فقال أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه فى غزوة عبدالله بن جَحْش ، ويقال : بل عبدُ الله بن جحش قالها ، حين قالت قريش : قد أحلّ محمدٌ وأصحابُه الشّهر ١٠ الحرام ، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال ، وأسروا فيه الرجال ـ قال ابن هشام : هى لعبد الله بن جَحْش ـ :

تَعُدّون قتلاً فى الحرام عظيمةً ... وأعظَمُ منه لو يَرَى الرُّشْدَ راشدُ
صدودُكم عمّا يقول محمدٌ ... وكُفْرٌ به والله راءٍ وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهلَه ... لِئلا يُرَى لله فى البيت ساجد ١٥
فإنا وإن عَيَّرْتمونا بقَتْله ... وأَرْجف بالإسلام باغٍ وحاسد
سَقينا من ابن الحَضْرمى رماحَنا ... بنَخْلَةَ لمّا أَوقَدَ الحربَ واقد
دمًا وابنُ عبد الله عثمان بيننا ... يُنازعه غُلٌّ من القدِّ عاند[1]

---

(١) القد : شرك يقطع من الجلد . وعاند . سائل بالدم لاينقطع .

صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق :

ويقال : صُرفت القبلة فى شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مَقْدم رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة[1] .

غزوة بدر الكبرى

٥

عيرأبى سفيان

قال ابن إسحاق :

ثم إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم سمع بأبى سفيان بن حَرْبٍ مقبلاً من الشأم فى عِيرٍ لقُريش عظيمةٍ ، فيها أموال لقريش ، وتجارةٌ من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون ، منهم : مَخْرمة بن نوفل بن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهْرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام . ١٠

ندب المسلمين للعير وحذر أبى سفيان

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم[2] .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن مُسْلم الزُّهرى ، وعاصم بن عمر بن قَتادة ، وعبدُ الله بن أبى بكر ، ويزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن ابن عبّاس ، كلٌّ قد حدّثنى بعضَ هذا الحديث ، فاجتمع حديثُهم فيما سُقْت من حديث[3] بدر ، قالوا : ١٥

لما سمع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بأبى سُفيان مُقْبِلاً من الشام ،

---

(١) كان صلى الله عليه وسلم يصلى إلى صخرة بيت المقدس قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة . (راجع شرح المواهب اللدنية) .

(٢) هذه العبارة ساقطة فى . ط .

٢٠ (٣) بدر : اسم بئر حفرها رجل من غفار اسمه بدر ؛ وقيل : هو بدر بن قريش بن يخلد الذى سميت قريش به . وقيل : إن (بدرا) اسم رجل كانت له بدر ، وهى على أربع مراحل من المدينة . (راجع الروض الأنف ، وشرح المواهب ، ومعجم البلدان) .

نَدَب المسلمين إليهم ، وقال : هذه عِيرُ قُريش ، فيها أموالُهم ، فاخْرُجوا إليها لعلّ الله يُنْفِلُكموها . فانتدب الناسُ ، فخفّ بعضُهم وثقُل بعضُهم ، وذلك أنهم لم يظنّوا أن رسولَ الله صلى اللهُ عليه وسلّم يَلْقى حَرْبًا . وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس[1] الأخبارَ ، ويسأل مَنْ لَقِى من الرُّكْبان ، تخوُّفًا على[2] أمْر الناس . حتى أصاب خبراً من بعض الرُّكبان : أنّ محمداً قد اسْتَنْفر ٥
أصحابَه لك ولعِيرك ، فحَذِر عند ذلك . فاستأجر ضَمْضَم بن عَمْرو الغِفاريّ ، فَبعثه إلى مكة ، وَأمره أنْ يأتِيَ قُريشاً فيستَنْفرَهم إلى أموالهم ، ويُخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها[3] فى أصحابه . فخرج ضَمْضم بن عَمْرو سريعاً إلى مكة .

ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

عاتكة تقص رؤياها على أخيها العباس

قال ابن إسحاق : فأخبرنى من لا أتّهم عن عِكْرمة عن ابن عبّاس ، ١٠ ويزيد بن رُومان عن عُروة بن الزُّبير ، قالا :

وقد رأت عاتكةُ بنت عبد المطّلب ، قبل قدوم ضَمْضم مكة بثلاث ليال ، رُؤْيا أفزعتها . فبعثتْ إلى أخيها العبّاس بن عبد المطّلب ، فقالت له : يا أخى ، والله لقد رأيت الليلة رُؤْيا أفْظعتنى[4] ، وتخوّفتُ أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومُصيبة ، فا كتُم عنّى[5] ما أحدّثك به ؛ فقال لها : وما رأيتِ ؟ ١٥ قالت : رأيتُ راكباً أقبل على بَعير له ، حتى وقف بالأبْطح ، ثم صَرخ بأعلى

---

(١) التحسس : أن تتسمع الأخبار بنفسك ؛ وأما التجسس (بالجيم) : أن تبحث عنها بغيرك.
(٢) فى م ، ر : « عن » .
(٣) فى م ، ر : « لنا » .
(٤) أفظعتنى : اشتدت على . ٢٠
(٥) فى م ، ر : « منى » .

صوته : ألا انفِروا يا لَغُدُر[1] لمصارعكم فى ثلاث ، فأرى الناسَ اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجدَ والناسُ يَتْبعونه ، فبيناهم حوله مَثَل به[2] بعيرُه على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها : ألا انفروا يا لَغُدُر لمصارعكم فى ثلاث ؛ ثم مَثَل به بعيرُه على رأس أبى قُبَيس[3] ، فصَرخ بمثلها . ثم أخذ صَخرة فأرسلها ، فأقبلت تَهْوى ، حتى إذا كانت بأسفلِ الجَبل ارفضّت[4] ، فما بقى بيتٌ من بيوت مكة ، ولا دارٌ إلا دخلتها منها فِلقة ؛ قال العباس : والله إن هذه لرُؤيا ! وأنتِ فاكتُميها ، ولا تَذْكريها لأحد .

الرؤيا تذيع فى قريش

ثم خرج العبّاس ، فلقى الوليدَ بن عُتبة بن رَبيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها له ، واستَكْتمه إياها . فذكرها الوليدُ لأبيه عُتبة ، ففشا الحديثُ بمكة ، حتى تحدّثت به قُرَيش فى أَنْديتها .

ماجرى بين أبى جهل والعباس بسبب الرؤيا

قال العبّاس : فغدوتُ لأطوف بالبيت ، وأبو جهل بن هِشام فى رَهْط من قُريش قُعود يتحدّثون برُؤيا عاتكة ، فلما رآنى أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فَرَغْت من طوافك فأَقْبل إلينا ، فلما فرغتُ أقبلتُ حتى جلستُ معهم ، فقال لى أبو جهل : يا بَنى عبد المطلب ، متى حَدَثتْ فيكم هذه النبيّة ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : تلك الرؤيا التى رأت عاتكةُ ؛ قال : فقلت : وما رأتْ ؟ قال : يا بنى عبد المطلب ، أمَا رَضيتم أن يتنبّأ رجالُكم حتى تتنبّأ نساؤكم ! قد

(1) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « يا آل غدر » . وفى ط : « يا أهل غدر » . قال السهيلى : « هو بضم الغين والدال ، جمع غدور ، ولا تصح رواية من رواه بفتح الدال مع كسر الراء ، ولا فتحها ، لأنه لاينادى واحداً ، ولأن لام الاستغاثة لا تدخل على مثل هذا البناء فى النداء ؛ وإنما يقال : يا لغدر انفروا ، تحريضاً لهم ، أى إن تخلفتم فأنتم غدر لقومكم . وفتحت لام الاستغاثة لأن المنادى قد وقع موقع الاسم المضمر ، ولذلك بنى ، فلما دخلت عليه لام الاستغاثة ، وهى لام جر ، فتحت كما تفتح لام الجر إذا دخلت على المضمرات . وهذا القول إنما هو على رواية الشيخ وما وقع فى أصله ، وأما أبو عبيد فقال فى المصنف : تقول : يا غدر ، أى يا غادر . فإذا جمعت قلت : يا آل غدر » .

(2) مثل به : قام به .

(3) يقال : إن هذا الجبل سمى كذلك برجل هلك فيه من جرهم ، اسمه : قبيس بن شالخ .

(4) ارفضت : تفتتت .

زَعَمتْ عاتكةُ فى رؤياها أنه قال : انفروا فى ثلاث ، فسنتربّص بكم هـذه الثلاث ، فإن يك حقًّا ما تقول فسيكون ، وإن تَمْض الثلاثُ ولم يكن من ذلك شىء ، نَـكْتُب عليكم كتابًا أنكم أكذبُ أهل بيت فى العرب . قال العبّاس : فوالله ما كَان منّى إليه كَبيرٌ ، إلا أنى جحدتُ ذلك ، وأنكرت أن تكون رأتْ شيئاً . قال : ثم تفرّقنا . ٥

نساء عبد المطلب يلمن العباس للينه مع أبي جهل

فلما أمسيتُ ، لم تبق امرأةٌ من بَنى عبد المطلب إلا أتَتْنى، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقَع فى رجالـكم ، ثم قد تَناول النساءَ وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غِيَرٌ[1] لشىء ممـا سمعتَ ! قال : قلت : قد والله فعلتُ ، ما كان منّى إليه من كَبير . وأيمُ الله لأتعرّضنّ له ، فإن عاد لأَكْفِيَنَّـكُنَّه .

العباس يقصد أباجهل لينال منه فيصرفه عنه تحقق الرؤيا

قال : فغدوتُ فى اليوم الثالث من رُؤيا عاتـكة ، وأنا حَدِيد مُغْضب أَرَى أنى قد فاتنى منه أمرٌ أحِب أن أُدْركه منه . قال : فدخلتُ المسجدَ فرأيته ، فوالله إنى لأَمْشى نَحوه أتعرّضه ، ليعودَ لبعض ما قال فأَقَع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديدَ الوجه ، حديدَ اللسان ، حديدَ النظر . قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتَد . قال : فقلت : فى نفسى : ماله لعنه الله ! أَ كلُّ هذا فَرَقٌ منّى أن أُشاتمه ! قال : وإذا هو قد سَمِـع مالم أسمع : صوتَ ضَمْضم بن عَمرو الغِفارىّ ، وهو يَصْرخ بِبَطْن الوادى واقفاً على بعيره ، قد جَدّع بعيره[2] ، وحوّل رَحْله ، وشقّ قميصَه ، وهو يقول : يا معشر قُريش ، اللَّطيمةَ[3] اللّطيمةَ ، أموالُـكم مع أبى سفيان قد عَرَضَ لهـا محمد فى أصحابه ، لا أرى أن تُدْركوها ، الغَوْثَ الغوثَ . قال : فشَغَلنى عنه وشغله عنّى ما جاء من الأمر .

تجهز قريش للخروج

فتجّهز الناسُ سراعًا ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تـكون كَعِير ٢٠

---

(١) فى م ، ر : « غيرة » .

(٢) جدع بعيره : قطع أنفه .

(٣) اللطيمة : الإبل التى تحمل البر والطيب .

ابن الحَضْرَمى ، كلاّ والله ليعلمَنّ غيرَ ذلك . فكانوا بين رجلَيْن ، إما خارجٍ وإما باعثٍ مكَانَه رجلاً . وأوْعَبت[1] قريشٌ، فلم يتخلّف من أشرافها أحدٌ ، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلّف ، و بعث مكانه العاصِىَ بن هشام بن المُغيرة، وكان قد لاط[2] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفْلس بها ، فاستأْجَره
٥ بها، على أن يُجْزِئَ عنه ، بعَثَه فخرج عنه ، وتخلّف أبو لهَب.

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى نَجِيح :

عقبة يتهكم بأمية لقعوده فيخرج

أن أُمية بن خَلَف كان أجمع القُعودَ ، وكان شيخاً جليلاً جَسيما ثقيلا ، فأتاه عُقبة بن أبى مُعَيط ، وهو جالس فى المسجد بين ظَهْرانَىْ قومه ، بمِجْمَرة يحملها ، فيها نار ومِجْمَر[3] ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علىّ ، استجْمر،
١٠ فإنما أنت من النساء ؛ قال : قَبَحك الله وقَبَح ما جِئْتَ به ؛ قال : ثم تجهز فخرج مع الناس .

الحرب بين كنانة وقريش وتحاجزهم يوم بدر

قال ابن إسحاق :

ولما فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا المسيرَ ، ذكروا ما كان بينهم وبين بَنى بكر بن عبد مَناة بن كِنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خَلْفنا ،
١٥ وكانت الحربُ التى كانت بين قُريش و بين بنى بَكر — كما حدثنى بعض بنى عامر بن لؤى، عن محمد بن سعيد بن المُسيّب — فى ابنٍ لحَفْصِ بن الأَخْيَف ، أحد بنى مَعيص بن عامر بن لؤىّ ، خرج يَبْتغى ضالة له بضَجْنان ، وهو غلام حَدَث فى رأسه ذُؤابة ، وعليه حُلة له ، وكان غلاما وضِيئاً[4] نظيفا ، فمرّ بعامر ابن يَزِيدَ بن عامر بن المُلَوّح ، أحد بنى يَعْمَر بن عَوْف بن كَعْب بن عامر
٢٠ ابن لَيْث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة ، وهو بضَجْنان ، وهو سيدُ بنى بكر

(١) يقال : أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم إلى الغزو .
(٢) لاط : احتبس وامتسك .
(٣) المجمر : العود يتبخر به .
(٤) الوضىء : الحسن .

يومئذ ، فرآه فأعجبه ؛ فقال : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا ابنٌ لِحَفْص ابن الأَخْيف القُرَشى . فلما ولّى الغلام ، قال عامر بن يزيد : يا بنى بكر ، مالكم فى قُرَيش من دم ؟ قالوا : بلى والله ، إن لنا فيهم لدماء ؛ قال : ما كان رجل ليقتل هذا الغلام برَجُلِهِ إلا كان قد استوفى دمَه . قال : فتبعه رجلٌ من بنى بكر ، فقتله بدم كان له فى قُرَيش ؛ فتكلّمت فيه قريش ، فقال عامر بن يزيد: يا معشر قريش ، قد كانت لنا فيكم دماء ، فما شِئْتم. إن شئتم فأدُّوا علينا مالَنا قِبَلكم ، ونؤدِّى مالكمُ قِبَلنا ، وإن شئتم فإنما هى الدماء: رجلٌ برجل ، فتجافَوْا عمّالكم قِبَلنا ، ونتجافَى عمّا لنا قِبَلكم ، فهان ذلك الغلامُ على هذا الحَىّ من قريش ، وقالوا : صدق ! رجلٌ برجل . فَلَهَوْا عنه[1] ، فلم يطلبوا به . ٥

قال : فبينما أخوه مِكْرز بن حَفْص بن الأَخْيف يسير بمَرّ الظَّهْران ، إذ نظر إلى عامر بن يزيد بن عامر بن المُلَوَّح على جمل له ، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به ، وعامرٌ متوشّح سيفه ، فعلاه مِكرز بسيفه حتى قتله ، ثم خاض بَطْنه بسيفه ، ثم أتى به مكة ، فعلّقه من الليل بأستارِ الكعبة . فلما أصبحت قريشٌ رأوا سيفَ عامر بن يزيد بن عامر معلّقا بأستار الكعبة ، فعرفوه ؛ فقالوا : إن هذا لسيفُ عامر بن يزيد ، عدا عليه مِكْرز بن حَفْص فقتله ، فكان ذلك مِن أمرهم . فبينما هم فى ذلك من حربهم ، حَجز الإسلام بين الناس ؛ فتشاغلوا به ، حتى أجمعت قريشٌ المسير إلى بدر ، فذكروا الذى بينهم وبين بنى بَكر فخافُوهم . ١٠ ١٥

شعر مكرز فى قتله عامرا

وقال مِكْرز بن حَفْص فى قتله عامراً :

لَمّا رأيتُ أنّهُ هُــوَ عامرٌ تذكَّرْتُ أَشْلاءَ الحَبيبِ الملحَّبِ[2] ٢٠
وقلتُ لنفسى : إنه هــــو عامرٌ فلا تَرْهبيه ، وانظُرى أىَّ مَرْكب

(١) فى ا : « منه . قال الأصمعى : « آله عنه ومنه ، :عنى » .
(٢) الأشلاء : البقايا . والملحب : الذى ذهب لحمه .

وأيقنتُ أنى إن أُجَـــلِّله ضربةً   متى ما أُصِبْه بالفُرافِر يَعْطَب

خَفَضتُ له جَأْشى وألقيتُ كَلْــكَلى[1]   على بَطَلٍ شاكِى السّلاح مُجرَّبِ[2]

ولم أكُ لمّـا التفّ رُوعى ورُوعه   عُصارةَ هُجنٍ من نساء ولا أب

حللتُ به وِتْرى ولم أنسَ ذَحْــلَه[3]   إذا ما تناسَى ذَحْلَه كلُّ عَيْهَب[4]

٥ [قال ابن هشام: الفُرافِر (فى غير هذا الموضع): الرجل الأضبط، (وفى هذا الموضع): السيف][5]، والعَيْهَب: الذى لا عقل له، ويقال لتيس الظباء وفحل النعام: العيهب. [قال الخليل: العيهب: الرجل الضعيف عن إدراك وتره][5].

إبليس يغرى قريشاً بالخروج

قال ابن إسحاق وحدثنى يزيد بنُ رُومان، عن عُروة بن الزبير، قال:

١٠ لما أجمعت قريش المسيرَ ذكرت الذى كان بينها وبين بنى بَكر، فكاد ذلك يَثْنِيهم، فتبدّى لهم إبليسُ فى صورة سُراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلِجى، وكان من أشراف بنى كنانة، فقال لهم: أنا لكم جارٌ من أن تأتيَكم كِنانةُ من خلفكم بشىء تكرهونه، فخرجوا سِراعا.

خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق:

١٥ وخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى ليالٍ مضت من شهر رمضان[6] فى أصحابه ـ قال ابن هشام: خرج [يوم الاثنين][5] لثمان ليال خلَوْن من شهر رمضان ـ واستعمل عمرو بن أم مَكْتوم ـ ويقال اسمه: عبد الله بن أم مَكْتوم أخا بنى عامر

---

(١) فى ا: «حفظت».

(٢) الجأش: النفس. والكلكل: الصدر. وشاكى السلاح: محدده.

٢٠ (٣) الذحل: الثأر.

(٤) «فى ا، ط: «الغيهب» بالغين المعجمة. وهى «كالعيهب»، الذى لا عقل له.

(٥) هذه العبارة ساقطة فى ا.

(٦) وقيل ان خروجه صلى الله عليه وسلم لثنتى عشرة كان ليلة خلت من رمضان؛ كما قيل إن خروجه كان يوم السبت. (راجع شرح المواهب).

ابنِ لؤى ، على الصلاة بالناس ، ثم ردَّ أبا لُبابة من الرَّوحاء ، واستعمله على المدينة .

صاحب اللواء

قال ابن إسحاق .

ودفع اللواء إلى مُصْعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

قال ابن هشام : وكان أبيض . ٥

رايتا الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق :

وكان أمامَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رايتان سَوْداوان ، إحداهما مع عليّ بن أبي طالب ، يقال لها : العُقاب ، والأخرى مع بعض الأنصار .

عدد إبل المسلمين

قال ابن إسحاق :

وكانت إبل أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومئذ سبعين بعيرا ، ١٠ فاعتَقبوها ، فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعليّ بن أبي طالب ، ومَرْثَد ابن أبي مَرْثَد الغَنوىّ يَعْتَقبون بعيراً ، وكان حمزةُ بن عبد المطلب ، وزَيْد ابن حارثة ، وأبو كَبْشَة ، وأَنَسَة ، موليا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَعْتَبقون بعيرًا ، وكان أبو بكر ، وعمرُ ، وعبد الرحمن بن عَوْف يَعْتَقبون بعيرًا .

قال ابن إسحاق : ١٥

وجعل على السّاقة قَيْسَ بنَ أبي صَعْصعة أخا بنى مازن بن النجّار .

وكانت رايةُ الأنصار معَ سَعْد بن مُعاذ ، فيما قال ابن هشام .

طريق المسلمين إلى بدر

قال ابن إسحاق :

فسلك طريقَه من المدينة إلى مكة ، على نَقْب المدينة ، ثم على العَقيق ، ثم على ذى الحُليفة ، ثم على أولات الجَيْش . ٢٠

قال ابن هشام : ذات الجَيْش.

الرجل الذى اعترض الرسول وجواب سلمة له

قال ابن إسحاق :

ثم مرّ على تُرْبان[1] ، ثم على مَلَل ، ثم غَمِيس الحَمَام من مَرَيَيْن ، ثم على صُخَيْرات اليَمام ، ثم على السَّيَالة ، ثم على فَجّ الرَّوْحاء ، ثم على شَنُوكة ، وهى الطريق المُعْتدلة ؛ حتى إذا كان بِعرق الظَّبْية ـ قال ابن هشام : الظبية :

٥ عن غير ابن إسحاق ـ لقُوا رجلاً من الأعراب ، فسألوه عن الناس ، فلم يجدوا عنده خبراً ؛ فقال له الناس : سلِّم على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ قال : أَوَفيكم رسولُ الله ؟ قالوا : نعم ، فسلّم عليه ؛ ثم قال : إن كنتَ رسول الله فأَخبرنى عمّا فى بَطْن ناقتى هذه . قال له سَلمة بن سلامة بن وَقْش : لا تسأل رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأَقْبِل علىّ فأنا أُخبرك عن ذلك ، نزوتَ عليها، ففى بَطْنها منك

١٠ سَخْلة[2] ، فقال رسولُ الله صلّى اللّه عليه وسلّم ، مَهْ ، أفحشت على الرجل ؛ ثم أعرض عن سَلمة .

بقية الطريق إلى بدر

ونزل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سَجْسج ، وهى بئر الرَّوْحاء ، ثم ارتحل منها، حتى إذا كان بالمُنْصَرَف، ترك طريقَ مكة بيَسار ، وسلك ذات اليمين على النازية ، يريد بدرًا ، فسلك فى ناحية منها ، حتى جَزَع[3] وادياً ، يقال له :

١٥ رُحْقَان، بين النازية و بين مَضيق الصَّفْراء ، [ثم على المضيق][4]، ثم انصبّ منه ، حتى إذا كان قريباًمن الصفراء، بعث بَسْبَسَ[5] بنَ الجُهَنىّ ، حليفَ بنى ساعدة ،

---

(١) تربان (بالضم) : دار بين الحفير والمدينة .

(٢) السخلة . الصغيرة من الضأن قال أبو ذر : « استعارها هنا لولد الناقة » .

(٣) جزع الوادى : قطعه عرضا .

٢٠ (٤) زيادة عن ا ، ط .

(٥) قال السهيلى : « فى مصنف أبى داود : (بِسبسة) مكان بسبس) وبعض رواة أبى داود يقول: بسبسة (بضم الباء). وكذلك وقع فى كتاب مسلم، ونسبه ابن إسحاق إلى جهينة، ونسبه غيره إلى ذبيان ، وقال : هو بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة بن عمرو بن سعد ابن ذبيان » .

وعَدِىّ بن أبى الزَّغْباء[1] الجُهنى، حليفَ بنى النجّار، إلى بدر يتحَسَّسان له الأخبار، عن أبى سُفيان بن حَرْب وغيره. ثم ارتحل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، وقد قدَّمَهما. فلما استقبل الصَّفْراء، وهى قرية بين جَبلين، سأل عن جَبَلَيْهما ما اسماهما؟ فقالوا: يقال لأحدهما، هذا مُسْلِح، وللآخر: هذا مُخْرِئ؛ وسأل عن أهلهما، فقيل: بنو النار وبنو حُراق، بطنان من بنى غِفار، فكَرِهَهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمُرور بينهما، وتفاءل بأسمائهما وأسماء[2] أَهْلِهما. فتركهما رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والصَّفْراء بِيَسار، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له: ذَفِرَان، فجَزَع فيه، ثم نزل.

أبو بكر وعمر والمقداد وكلماتهم فى الجهاد

وأتاه الخبرُ عن قُريش بمَسيرِهم ليَمْنَعوا عِيرهم؛ فاستشار الناسَ، وأخْبَرَهم عن قريش؛ فقام أبو بكر الصدّيق، فقال وأحسن. ثم قام عمرُ بن الخطّاب، فقال وأحسن، ثم قام المِقْداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امْض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: «اِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ». ولكن اذهبْ أنت وربُّك فقاتلا إنا معكما مُقاتلون، فوالذى بعثك بالحق لو سِرْت بنا إلى بَرْك الغِماد[3] لجالدنا معك من دونه حتى تَبْلُغه؛ فقال له رسولُ صلّى الله عليه وسلّم خيراً، ودعا له به.

(1) كذا فى ا، ط. وفى سائر الأصول «الزعباء» بالعين المهملة وهو تصحيف (راجع الطبرى والاستيعاب).

(2) قال السهيلى: «ليس هذا من باب الطيرة التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن من باب كراهية الاسم القبيح، فقد كان عليه السلام يكتب إلى أمرائه: إذا أبردتم إلىّ بريداً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم. وقد قال عليه السلام فى لقحة: من يحلب هذه؟ فقام رجل فقال: أنا؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما اسمك؟ فقال: مرة؛ فقال: اقعد؛ حتى قال آخرهم: اسمى يعيش، قال: احلب، فقام عمر فقال: لاأدرى أأقول أم أسكت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل؛ فقال: قد كنت نهيتنا عن التطير؟ فقال عليه السلام: ما تطيرت، ولكنى آثرت الاسم الحسن».

(3) برك الغماد: موضع بناحية اليمن؛ وقيل: هو أقصى حجر.

استيثاق الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الأنصار

ثم قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أَشِيروا علىّ أيّها الناس . وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عددُ الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعَقبة ، قالوا يا رسول الله : إنا برآء من ذِمامك حتى تَصِل إلى ديارنا ، فإذا وصلتَ إلينا ، فأنت فى ذمّتنا ، نَمْنعك ممّا نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ٥ يتخوّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نَصْرَه إلا ممن دَهِمَه بالمدينة من عدوّه ، وأن ليس عليهم أن يَسير بهم إلى عدوّ من بلادهم . فلما قال ذلك رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال له سعدُ بن مُعاذ : والله لكأنّك تريدُنا يا رسولَ الله ؟ قال أجل ؛ قال : فقد آمنّا بك وصدّقناك ، وشَهِدنا أن ما جئتَ به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عُهودَنا ومَواثيقنا ، على السّمع والطاعة ، فامضِ يا رسول الله ١٠ لما أردتَ ، فنحن معك ، فوالذى بَعَثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحرَ فخُضْتَه لخُضْناه معك ، ما تخلّف منا رجلٌ واحد ، وما نكره أن تَلْقى بنا عدوَّنا غدًا ، إنا لَصُبُرٌ فى الحَرْب ، صُدُق فى اللقاء . لعل الله يُريك منّا ما تقرُّ به عينُك ، فسِرْ بنا على بَركة الله . فسُرّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بقول سَعْد ، ونَشَّطه ذلك ؛ ثم قال : سيرُوا وأَبْشروا ، فإن الله تعالى قد وَعدنى إحدى الطائفتين ، ١٥ والله لكأنى الآن أنظرُ إلى مَصارع القوم .

الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتعرفان أخبار قريش

ثم ارتحل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من ذَفِران ، فسلك على ثَنايا ، يقال لها : الأصافِر ؛ ثم انحطّ منها إلى بلد يقال له : الدَّبَّة ، وترك الحَنّان بيمين ، وهو كَثيب عظيم كالجَبل العظيم ؛ ثم نزل قريبًا من بَدْر ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه .

قال ابن هشام : الرجل هو أبو بكر الصديق .

٢٠ قال ابن إسحاق كما حدّثنى محمد بن يحيى بن حَبّان :

حتى وقف على شَيْخ من العَرب ، فسأله عن قُريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ؛ فقال الشيخ : لا أُخبركما حتى تُخبرانى ممن أنتما ؟ فقال رسولُ الله

صلّى الله عليه وسلّم : إذا أخبرتنا أخبرناك . قال : أذاك بذاك ؟ قال : نعم ؛ قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمداً وأصحابَه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صَدَق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ؛ للمكان الذى به رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ وبلغنى أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدَقنى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى فيه قُريش . فلما فرغ من خبره ، قال : ممّن أنتما ؟ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : نحن من ماء ، ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء ! أمن ماء العراق ؟ ٥

قال ابن هشام : يقال : ذلك الشيخ : سُفيان الضَّمْرى .

ظفر المسلمين برجلين من قريش يقفانهم على أخبارهم

قال ابن إسحاق :

ثم رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أصحابه ؛ فلما أمسى بعثَ علىّ ابن أبى طالب ، والزبيرَ بن العوّام ، وسعدَ بن أبى وقّاص ، فى نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر ، يلتمسون الخبرَ له عليه ــ كما حدّثنى يزيدُ بن رُومان عن عُروة ابن الزبير ــ فأصابوا راويةً[1] لقُريش فيها أسْلَم ، غلامُ بنى الحجّاج ، وعَريضٌ أبو يَسار ، غلام بنى العاص بن سَعيد، فأتَوْا بهما فسألوهما ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قائم يصلّى ، فقالا : نحن سُقاة قُريش ، بعثونا نَسْقيهم من الماء . فكَرِه القومُ خبرَهما ، ورَجَوْا أن يكونا لأبى سُفْيان ، فضَربوهما . فلما أَذْلَقوهما[2] قالا: نحن لأبى سفيان ، فتركوهما . ورَكَع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وسجَد سَجْدتيه ، ثم سلّم ، وقال : إذا صدقاكم ضَرَبْتموهما ، وإذا كذباكم تَرَكْتموهما ، صَدَقا ، والله إنهما لقريش ! أخبرانى عن قُريش ؟ قالا : هم والله وراء هذا الكَثيب الذى ترى بالعُدْوة القُصْوى ــ والكثيب : العَقَنْقَل ــ فقال لهما ١٠ ١٥ ٢٠

---

(١) الراوية : الإبل التى يستقى عليها الماء .
(٢) أذلقوهما : بالغوا فى ضربهما .

رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كم القوم ؟ قالا : كثيرٌ ؛ قال : ما عِدّتُهم ؟ قالا : لا نَدْرى ؛ قال : كمْ ينْحرون كلَّ يوم ؟ قالا : يوما تسعاً ، و يوما عشرا ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : القومُ فيما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما: فَمَنْ فيهم من أشراف قُريش ؟ قالا : عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، ٥ وأبو البخْترِىّ بن هشام ، وحَكيم بن حِزام ، ونَوْفل بن خُوَيلد ، والحارث ابن عامر بن نَوْفل ، وطُعَيْمة بن عَدِىّ بن نوفل ، والنَّضْر بن الحارث ، وزَمَعة ابن الأسود ، وأبو جهل بن هِشام ، وأُميّة بن خلف ، ونُبَيه ، ومُنبه ابنا الحجّاج ، وسُهَيل بن عمرو ، وعَمْرو بن عبد وُدّ . فأقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذَ[1] كَبِدها .

بسبس وعدى يتجسسان الأخبار

١٠ قال ابن إسحاق :

وكان بَسْبَس بن عمرو ، وعدىّ بن أبى الزَّغْباء قد مَضيا حتى نزلا بدرًا ، فأناخا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شَنًّا لهما[2] يَسْتقيان فيه ، ومَجْدِىُّ ابنُ عَمْرو الجُهَنىّ على الماء . فسمع عدىٌّ و بَسْبَس جاريتين من جوارى الحاضر[3] ، وهما يَتلازمان[4] على الماء ، والمَلْزومة[5] تقول لصاحبتها : إنما تأتى العير ١٥ غدًا أو بعد غد ، فأعملُ لهم ، ثم أقْضيك الذى لك . قال مَجْدىّ : صدقتِ ، ثم خلّص بينهما . وسمع ذلك عدىٌّ و بَسْبَس ، فجلسا على بَعيريْهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبراه بما سَمِعا .

حذر أبى سفيان وهربه بالعير

وأقبل أبو سفيان بن حَرْب ، حتى تقدّم العِير حذَراً ، حتى ورد الماء ؛ فقال لمَجْدىّ بن عمرو : هل أحسست أحداً ؛ فقال : ما رأيت أحداً أُنْكره ، إلا ٢٠ أنى قد رأيتُ راكبين قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا فى شَنٍّ لهما ، ثم انطلقا .

(١) الأفلاذ : القطع ، الواحدة : فلذة .
(٢) الشن : الزق البالى .
(٣) الحاضر : القوم النازلون على الماء .
(٤) التلازم : تعلق الغريم بغريمه .
٢٥ (٥) الملزومة : المدينة .

فأتى أبو سفيان مُناخَهما ، فأخذ من أبْعار بعيريهما ، ففَتّه ، فإذا فيه النّوى ؛ فقال : هذه والله علائفُ يَثْرب . فرجَع إلى أصحابه سريعاً، فضرب وَجْهَ عِيره عن الطريقِ ، فساحَل[1] بها ، وترك بدراً بيسار ، وانطلق حتى أسرع .

رؤيا جهيم ابن الصلت فى مصارع قريش

[قال][2] وأقبلت قريشٌ ، فلما نزلُوا الجُحْفة ، رأى جُهَيم بن الصَّلْت بن مَخْرمة ابنِ المطلب بنِ عَبد مناف رُؤْيا ، فقال : إنى رأيت فيما يرى النائم ، وإنى لَبين النائم واليَقْظان . إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ؛ ثم قال : قُتِل عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو الحَكم بن هِشام ، وأُميةُ بن خلف ، وفلان وفلان ، فعدّد رجالاً ممن قتل يوم بدر ، من أشراف قُريش ؛ ثم رأيتُه ضرب فى لَبّة بعيره ، ثم أرسله فى العسكر ، فما بقى خِباء من أخبية العسكر إلا أصابه نَضْح[3] من دمه .

قال : فبلغتْ أبا جهل ؛ فقال ، وهذا أيضا نبيّ آخر من بنى المُطلب ! سيعلم غداً من المَقْتول إن نحن التقينا .

رسالة أبى سفيان إلى قريش

قال ابن إسحاق :

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحْرز عيره ، أرسل إلى قُريش : إنكم إنما خرجتم لتَمنعوا عِيركم ورِجالكم وأموالَكم ، فقدْ نجّاها الله ، فارجِعوا ؛ فقال أبو جهل بن هِشام : والله لا نَرْجع حتى نَرِد بدراً ـ وكان بدر موْسما من مواسم العرب ، يجتمع لهم به سُوق كلّ عَام ـ فنُقيم عليه ثلاثا ، فننْحَر الجُزُر ، ونُطْعَم الطعام ، ونُسْقَى الخمر ، وتَعْزف علينا القيان[4] ، وتسمع بنا العربُ وبمَسيرِنا وجَمْعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها ، فامضوا .

(١) ساحل بها ، أى أخذ بها جهة الساحل .
(٢) زيادة عن ا .
(٣) نضح ، أى لطخ .
(٤) القيان : الجوارى .

رجوع الأخنس ببنى زهرة

وقال الأَخْنس بن شَريق بن عمرو بن وَهْب الثَّقَفى ، وكان حليفاً لبنى زُهْرة ، وهم بالجُحْفة : يا بنى زُهْرة ، قد نجّى الله لكم أموالَكم ، وخلّص لكم صاحبَكم مَخْرمة بنَ نوفل ، وإنما نفرتُم لتَمنعوه ومالَه ، فاجعلوا بى جُبْنها وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تَخْرجوا فى غير ضَيْعة[1] ، لا مايقول هذا ، يَعنى أبا جهل . فرجعوا ، فلم يَشْهَدْها زُهْرِىٌّ واحد ، أطاعوه وكان فيهم مُطاعا . ولم يكن بَقِى من قريش بَطْنٌ إلا وقد نَفر منهم ناسٌ ، إلا بنى عدى بن كعب ، لم يخرج منهم رجلٌ واحد ، فرجعت بنو زُهْرة مع الأَخْنَس بن شَرِيق ، فلم يشهد بدراً من هاتين القَبيلتين أحدٌ ، ومضى القوم . وكان بين طالب بن أبى طالب ـ وكان فى القوم ـ و بين بعض قُريش محاورة ، فقالوا: والله لقد عرفنا يا بنى هاشم ، و إن خرجتم معنا ، أن هواكم لمع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال طالب بن أبى طالب :

لاهُمّ إمّا يَغْزُونّ طالِبْ ... فى عُصْبة مُخالِفٌ مُحارِبْ

فى مِقْنب من هذه المَقانِب ... فليكن المسلوبَ غيرَ السالب[2]

* وليكن المغلوبَ غير الغالب *

قال ابن هشام . قوله « فليكن المسلوب » وقوله « وليكن المغلوب » عن غير واحد من الرواة للشعر .

نزول قريش بالعدوة والمسلمين ببدر

قال ابن إسحاق :

ومضت قريشٌ حتى نزلوا بالعُدْوة القُصْوى من الوادى ، خَلْف العَقَنْقل و بطن الوادى ، وهوَ يَلْيَل ، بينَ بَدْرٍ و بين العَقَنْقل ، الكثيب الذى خلفه قُريش ، والقُلُب[3] ببدر فى العُدْوة الدنيا من بَطْن يَلْيَل إلى المدينة . و بعث

(١) فى السيرة الحلبية : « فى غير منفعة » .

(٢) المقنبُ : الجماعة من الخيل ، مقدار ثلاث مئة أو نحوها .

(٣) القلب : جمع قليب ، وهو البئر .

الله السماء ، وكان الودى دَهْسا[1] ، فأصاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه منها ما[2] لبَّد لهم الأرضَ ، ولمَ يَمنعهم عن السير ، وأصاب قريشاً منها ما[2] لم يَقْدِروا على أن يرتحلوا معه . فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يُبادرهم إلى الماء ، حتى إذا جاء أدنى ماء من بَدْر نزل به .

قال ابن إسحاق : فحُدّثت عن رجال من بنى سَلمة ، أنهم ذكروا : 5

مشورة الحباب على الرسول صلى الله عليه وسلم

أن الحُبَاب بن المُنذر بن الجَموح قال : يا رسول الله ، أرأيتَ هذا المنزل ، أمنزلا أنزلَكه الله ليس لنا أن نتقدّمه ، ولا نتأخّر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ؛ فقال : يا رسول الله ، فإنّ هذا ليس بمنزل ، فانهض بالنّاس ، حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فننزله ، ثم نُغَوِّر[3] ما وراءه من القُلُب ، ثم نبْنى عليه حوضاً فنَمْلؤه ماء ، ثم نُقاتل القَوم ، فنَشْرَب ولا يشربون ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، لقد أشرتَ بالرأى . فنهض رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزَل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فغُوِّرت ، وبنى حَوْضا على القَليب الذى نزل عليه ، فمُلِىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية . 10

بناء العريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق فحدّثنى عبد الله بن أبى بَكر أنه حُدِّث : 15

أن سعد بنَ معاذ قال : يا نبى الله ، ألا نَبْنى لك عريشاً[4] تكُون فيه ، ونُعِدُّ عندك ركائبك ، ثم نَلقى عدوّنا ، فإن أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا، كان ذلك ما أَحببنا، وإن كانت الأُخرى ، جلسَتَ على رَكائبك، فَلحِقْت بمَنْ وراءنا من قومنا ، فقد تخلّف عنك أقوامٌ ، يانبىّ الله ، ما نحنُ بأشدَّ لك حبّا

(1) الدهس : كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملا . 20
(2) فى م ؟ ر : « ماء » .
(3) كذا فى أكثر الأصول : والتغوير : الدفن والطمس . وفى ا : « نعور » بالعين المهملة . والتعوير : الإفساد .
(4) العريش شبه الخيمة يستظل به .

منهم ، ولو ظَنّوا أنك تلق حربًا ما تخلَّفوا عنك ، يمنَعُك الله بهم ، يُناصحونك ويُجاهدون معك . فأثنى عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خيرًا ، ودعا له بخير. ثم بُنِىَ لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عَريش ، فكان فيه .

ارتحال قريش

قال ابن إسحاق :

٥ وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحتْ ، فأقبلتْ ، فلما رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم تَصوَّب من العَقَنْقل – وهو الكثيب الذى جاءوا منه إلى الوادى – قال : اللهم هذه قُريش قد أقبلت بخُيلائها[١] وفَخْرها ، تُحادّك[٢] وتكذّب رسولَك ، اللهم فَنصْرَك الذى وعدتنى ، اللهم أحِنْهم[٣] الغداةَ .

وقد قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم – [وقد][٤] رأى عُتبة بن رَبيعة ١٠ فى القوم على جمل له أحمر – إن يكن فى أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يُطيعوه يَرْشُدوا .

وقد كان خُفَاف بن أيْماء بن رَحَضة الغِفارىّ ، أو أبوه أيْماء بن رَحَضة الغِفارى، بعث إلى قريش ، حين مرّوا به، ابنًا له بجزائر[٥] أهْداها لهم، وقال: إن أحْبَبتم أن نُمدَّكم بسلاح ورجال فَعلْنا . قال: فأرسلُوا إليه مع ابنه : أن وَصَلْتك ١٥ رحِم ، قد قضيتَ الذى عليك ، فلعَمْرى لئن كنّا إنما نُقاتل الناسَ فما بنا من ضَعْف عنهم ، ولئن كنّا إنما نُقاتل الله ، كما يزعم محمّدٌ ، فما لأحد بالله من طاقة .

إسلام ابن حزام

فلما نزل الناسُ أقْبل نفرٌ من قريش حتى وَرَدُوا حوضَ رسولِ الله صلّى

(١) الخيلاء : الكبر والإعجاب .

٢٠ (٢) تحادك : تعاديك .

(٣) أحنهم ، أى أهلكهم .

(٤) زيادة عن ا ، ط .

(٥) الجزائر : الذبائح ؛ الواحدة : جزور .

الله عليه وسلّم فيهم : حَكِيم بن حِزام؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: دعُوهم . فما شَرِب منه رجلٌ يومئذ إلا قُتل ، إلا ما كان مِن حَكيم بن حزام ، فإنه لم يُقتل ، ثم أسلم بعد ذلك ، فحسُن إسلامه . فكان إذا اجتهد فى يمينه ، قال : لا والذى نجّانى من يوم بدر .

تشاور قريش فى الرجوع عن القتال

٥ قال ابن إسحاق : وحدّثنى أبى إسحاقُ بن يسار وغيرُه من أهل العِلْم ، عن أشياخ من الأنصارِ ، قالوا :

لما اطمأنّ القوم ، بعثوا عُمَير بن وَهْب الْجُمَحِيّ فقالوا : أُحزُرْ[1] لنا أصحابَ محمد، قال : فاستجالَ بفرسه حولَ العَسْكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثُ مئة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقُصون ، ولكن أَمْهِلونى حتى أنظُر أللقوم كمِينٌ

١٠ أو مَدَد ؟ قال : فضرب فى الوادى حتى أبْعد ، فلم يَرَ شيئاً ، فرجع إليهم فقال: ما وجدتُ شيئاً ، ولكنّى قد رأيتُ ، يا معشرَ قُرَيش ، البَلايا[2] تَحمل المَنايا ، نواضِحَ[3] يَثْرِب تحمل الموت الناقع[4] ، قوم ليس معهم مَنعة ولا مَلْجأ إلا سيوفهم ، والله ما أَرَى أن يُقتَل رجلٌ منهم ، حتى يَقتل رجلاً منكم ، فإذ أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ؟ فرَوْا رأيَكم .

١٥ فلما سمع حَكيم بن حِزَام ذلك مَشى فى الناس ، فأَتى عُتْبةَ بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ، إنك كبيرُ قُرَيش وسيّدُها ، والمُطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تُذْكر فيها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حَكيم ؟ قال : تَرْجع بالنّاس ، وتَحْمل أمرَ حليفك عَمْرو بنِ الحَضْرمى ؛ قال : قد فعلتُ ، أنت علىّ بذلك ، إنما هو حليفى ، فعلىّ عَقْلُه وما أُصيبَ من ماله ، فأْتِ ابنَ الحَنْظليّة .

نسب الحنظلية

٢٠ ــ قال ابن هشام : والحَنْظلية أم أبى جهل ، وهى أسماء بنت مُخرِّبة ، أحدِ بنى

(١) الحزر : التقدير بالحدس والظن .

(٢) البلايا : جمع بلية ، وهى الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت . وكان بعض العرب ممن يقر بالبعث يقول : إن صاحبها يحشر عليها .

(٣) النواضح : الإبل التى يستقى عليها الماء .

٢٥ (٤) الناقع : الثابت البالغ فى الإفناء .

نَهْشَل بن دارم بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زَيْد مناة بن تَميم ـ فإنى لا أخشى أن يَشْجُرَ[1] أمرَ الناس غيرُه ، يعنى أبا جهل بن هشام . ثم قام عُتْبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشرَ قريش ، إنكم والله ما تَصْنعون بأن تَلْقَوْا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجلُ ينظر فى وجه رجل يَكْره النظر إليه ، قَتل ابْن عَمّه، أو ابْن خاله ، أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلّوا بين محمد و بين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاكَ الذى أردتم ، وإن كان غيرَ ذلك ألفاكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون .

قال حَكِيم : فانطلقتُ حتى جئتُ أبا جهل ، فوجدتُه قد نَثَلَ[2] دِرْعًا له من جرابها ، فهو يهْنِئها[3] . ـ [قال ابن هشام][4] : يهيئها ـ فقلتُ له : يا أبا الحَكم إنّ عُتبة أرسلنى إليك بكذا وكذا ، للذى قال ؛ فقال: انتفَخ والله سَحْرُه[5] حين رأى محمداً وأصحابه ، كلاّ والله لا نَرْجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعُتْبة ما قال ، ولكنّه قد رأى أن محمداً وأصحابه أَكَلةُ جَزُور ، وفيهم ابْنُه ، فقد تخوّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحَضْرمى ، فقال : هذا حليفُك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيتَ ثأْرَك بعينك ، فقُم فانشُد خُفْرتَك[6] ، ومَقْتل أخيك .

فقام عامر بن الحَضْرمىّ فا كتَشف ثم صرخ : واعَمْراه ! واعَمْراه ! فحميت الحربُ ، وحَقِب[7] أمرُ الناس ، واستَوْسقوا[8] على ماهم عليه من الشرّ ، وأُفسد على الناس الرأىُ الذى دعاهم إليه عُتبةُ .

---

(1) يشجر أمر الناس ، أى يخالف بينهم ، من المشاجرة ، وهى المخالفة والمخاصمة .
(2) نثل : أخرج .
(3) يهنئها : يطليها بعكر الزيت . وقال أبو ذر : « يهنئها : يتفقدها » .
(4) هذه العبارة ساقطة فى ا .
(5) انتفاخ السحر : كناية عن الجبن .
(6) انشد خفرتك ، أى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أى عهدهم ، لأنه كان حليفا لهم وجارا .
(7) حقب : اشتد .
(8) استوسقوا : اجتمعوا .

فلما بلغ عتبةَ قولُ أبى جهل «انتفخ والله سحره» ، قال: سيعلم مُصَفِّرُ[1] أستِه من انتفخ سَحْره ، أنا أم هو ؟

قال ابن هشام : السَّحْرُ : الرئة وما حولها مما يَعْلق بالحلقوم من فوق السُّرة. وما كان تحت السرة ، فهو القُصْب ، ومنه قوله : رأيت عمرو بن لُحَىّ يجُرُّ قُصْبَه فى النار . قال ابن هشام : حدّثنى بذلك أبو عُبَيدة . ٥

ثم التمس عُتبة بيضةً ليُدْخلها فى رأسه ، فما وجد فى الجَيْش بيضةً تَسَعُه من عِظم هامَتِه ؛ فلما رأى ذلك اعتجَر[2] على رأسه ببُرْد له .

مقتل الأسود المخزومى

قال ابن إسحاق :

وقد خرج الأسودُ بن عبد الأسد المَخْزومى ، وكان رجلاً شَرِساً سَيِّئ الخُلق ، فقال : أعاهد الله لأشْربنّ من حَوْضهم ، أو لأهْدِمنّه ، أو لأموتنّ ١٠ دونه ، فلما خرج ، خرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضرَبه حمزةُ

---

(١) قال السهيلى : « قوله : مصفر سته ، كلمة لم يخترعها عتبة ولا هو بأبى عذرتها ، قد قيلت قبله لقابوس بن النعمان أو لقابوس بن المنذر ، لأنه كان مرفها لايغزو فى الحروب ، فقيل له : مصفر استه ، يريدون صفرة الخلوق والطيب .

وقد قال هذه الكلمة قيس بن زهير فى حذيفة يوم الهباءة . ولم يقل أحد أن حذيفة كان ١٥ مستوها ، فإذا لا يصح قول من قال فى أبى جهل ، من قول عتبة فيه هذه الكلمة ، أنه كان مستوها .

وسادة العرب لاتستعمل الخلوق والطيب إلا فى الدعة والخفض ، وتعيبه فى الحرب أشد العيب، وأحسب أن أبا جهل لما سلمت العير وأراد أن ينحر الجزور ويشرب الخمر ببدر، وتعزف عليه القيان بها ، استعمل الطيب أوهم به ، فلذلك قال له عتبة هذه المقالة ، ألا ترى إلى قول ٢٠ الشاعر فى بنى مخزوم :

ومن جهل أبو جهل أخوكم غزا بدرا بمجمرة وتور

يريد أنه تبخر وتطيب فى الحرب .

وقوله « مصفرا سته » إنما أراد مصفر بدنه ، ولكنه قصد المبالغة فى الذم فخص منه بالذكر مايسوء أن يذكر » . ٢٥

(٢) اعتجر : تعمم بغير تلح ، أى لم يجعل تحت لحيته منها شيئا .

فأَطَنَّ[1] قدَمه بنِصْف ساقه ، وهو دون الحَوْض ، فوقع على ظهره تَشْخُب[2] رجلُه دَمًا نحو أصحابه ، ثم حَبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد ـ [زعم][3] ـ أن يُبرّ يَمِينه ، وأتبعه حمزةُ فضربه حتى قتله فى الحوض .

دعاء عتبة إلى المبارزة

قال : ثم خرج بعده عُتبة بن ربيعة ، بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد ابن عتبة ، حتى إذا فَصل من الصفّ دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فِتْية من الأنصار ثلاثةٌ ، وهم : عَوْف ، ومُعوِّذ ، ابنا الحارث ـ وأمهما عَفْراء ـ ورجل آخر ، يقال : هو عبد الله بن رَواحة ؛ فقالوا : من أنتم ؟ فقالوا : رَهْط من الأنصار ؛ قالوا : مالنا بكم من حاجة . ثم نادَى مُناديهم : يا محمد ، أَخْرِج إلينا أكْفاءَنا من قومنا ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قُم يا عُبيدة بن الحارث ، وقُمْ يا حمزة ، وقُمْ يا علىّ ، فلما قاموا ودَنَوْا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عُبيدة : عُبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علىّ : علىّ ؛ قالوا : نعم ، أكْفاء كِرام . فبارَزَ عُبيدة ، وكان أسنَّ القوم ، عُتبةَ [بن][4] رَبيعة ؛ وبارز حَمْزَةُ شيبةَ بن ربيعة ؛ وبارز علىٌّ الوليدَ بن عُتبة . فأما حمزة فلم يُمْهِل شيبةَ أنْ قتله ؛ وأما علىّ فلم يُمْهل الوليدَ أن قتله ؛ واختلف عُبيدة وعُتبة بينهما ضَرْبتين ، كلاهما أثْبت صاحبَه[5] ؛ وكرّ حمزة وعلىٌّ بأسيافهما على عُتبة فذَفَّفا[6] عليه ، واحتملا صاحبَهما ، فحازاه إلى أصحابه .

قال ابن إسحاق وحدّثنى عاصم بن عمر بن قَتادة :

أنّ عُتبة بن ربيعة قال للفِتْية من الأنصار ، حين انتسبوا : أكْفاء كِرام ، إنما نريد قَوْمنا .

---

(1) أطن : أطار .
(2) تشخب : تسيل بصوت .
(3) زيادة عن ا ، ط .
(4) هذه الكلمة ساقطة فى م .
(5) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يقم معها .
(6) ذففا عليه : أسرعا قتله .

قال ابن إسحاق :

التقاء الفريقين

ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أصحابَه أن لا يَحْمِلوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانضَحُوهم[1] عنكم بالنَّبْل ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى العَريش ، معه أبو بكرٍ الصّديق .

فكانت وَقْعة بدر يوم الجمعة صَبيحة سبعَ عشرةَ من شهر رمضان .

قال ابن إسحاق : كما حدّثنى أبو جعفر محمد بن على بن الحُسين .

ابن غزية وضرب الرسول له فى بطنه بالقدح

قال ابن إسحاق : وحدّثنى حَبّان بن واسع بن حبّان عن أشياخ من قومه: أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم عدّل صُفوف أصحابه يوم بدر ، وفى يده قِدْح[2] يعدّل به القومَ ، فمرّ بسَواد بن غَزِية ، حليف بنى عدىّ بن النجّار ـ قال ابن هشام[3] : يقال ، سوّاد ؛ مثقلة ؛ وسوَاد فى الأنصار غير هذا ، مخفف[4] ـ وهو مُسْتَنْتِل[5] من الصفّ ـ قال ابن هشام : ويقال : مُسْتَنصِل[6] من الصف ـ فطعن فى بَطْنه بالقِدْح ، وقال : اُستَوِ ياسَواد ؛ فقال : يارسول الله ، أوْجَعْتنى ، وقد بعثك الله بالحقّ والعدل ؛ قال : فأقِدْنى[7] . فكَشف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن بطنه ، وقال : استَقِد ؛ قال : فاعتَنقه فقبّل بَطْنه ؛ فقال: ما حملك على هذا يا سَواد ؟ قال : يا رسولَ الله ، حضَر ما تَرى ، فأردتُ أن

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « فانضخوهم » بالخاء المعجمة . والنضح والنضخ بمعنى . يقال : نضحه بالنبل ونضخه ، إذا رماه به .

(٢) القدح : السهم

(٣) هذه العبارة المعترضة ساقطة فى ا .

(٤) قال أبو ذر : « وبالتخفيف قيده الدارقطنى ، وعبد الغنى » .

(٥) مستنتل : متقدم .

(٦) مستنصل : خارج

(٧) أقدنى ، أى اقتص لى من نفسك .

يكون آخرُ العهد بك أن يمسّ جلدى جلْدَك . فدعا له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بخير، وقاله له .

مناشدة الرسول ربه النصر

قال ابن إسحاق :

ثم عدّل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الصفوفَ ، ورجع إلى العَريش فدخله ، ومعه فيه أبو بكر الصدّيق ، ليس معه فيه غيرُه ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يُناشد[1] ربّه ما وَعده من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تَهْلِك هذه العِصابةُ اليومَ لا تُعبد ، وأبو بكر يقول : يا نبىّ الله : بعضَ مُناشدتك ربّك ، فإن الله مُنْجزٌ لك ما وعَدك . وقد خفَق[2] رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خَفْقة وهو فى العريش ، ثم انتبه فقال : أَبْشِر يا أبا بكر ، أتاك نصرُ الله . هذا جبريل آخذٌ بعِنان فرس يقوده ، على ثَناياه النَّقْع[3] .

مقتل مهجع وابن سراقة

قال ابن إسحاق :

وقد رُمِى مِهْجع ، مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتِل ، فكان أولَ قتيل من المسلمين ؛ ثم رُمِى حارثةُ بن سُراقة ، أحد بنى عدىّ بن النجّار ، وهو يشرب من الحوض ، بسهم فأصاب نحرَه ، فقُتل .

تحريض المسلمين على القتال

قال : ثم خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الناس فحرّضهم ، وقال: والذى نفسُ محمد بيده ، لا يُقاتلهم اليومَ رجلٌ فيُقتل صابرًا مُحتسبا ، مُقبلا غيرَ مُدبر ، إلا أدخله الله الجنة . فقال عُمَير بن الحُمَام ، أخو بنى سَلِمة ، وفى يده تمرات يأكلهنّ : بَخٍ بَخٍ[4] ، أفما بينى و بين أن أدخلَ الجنّة إلا أن يَقْتلنى هؤلاء ، ثم قذف التَّمرات من يده وأخذ سيفَه ، فقاتل القومَ حتى قُتل .

---

(١) يناشد ربه : يسأله ويرغب إليه .

(٢) خفق : نام نوما يسيرا .

(٣) النقع : الغبار .

(٤) بخ (بكسر الخاء وإسكانها): كلمة تقال فى موضع الإعجاب .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عاصم بن عمر بن قتادة .

أن عوف[1] بن الحارث ، وهو ابن عَفراء ، قال : يا رسولَ الله ، ما يُضْحِك[2] الرّب من عبده ؟ قال : غَمْسه يدَه فى العدو حاسرًا . فنزَع درعًا كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِل .

استفتاح أبى جهل بالدعاء

قال ابن إسحاق وحدّثنى محمد بن مُسْلم بن شِهاب الزهرىّ ، عن عبد الله ابن ثَعلبة بن صُعَيْر العُذْرىّ ، حليف بنى زُهرة ، أنه حدّثه : ٥

أنه لما التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبو جهل بن هشام : اللهم ، أقْطَعنا للرحم ، وآتانا بما لا يُعْرف ، فأحِنْه[3] الغداةَ . فكان هو المُسْتفتِح[4]

رمى الرسول للمشركين بالحصباء

قال ابن إسحاق :

ثم إن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أخذ حَفْنة من الحَصْباء ، فاستقبل قريشًا بها ، ثم قال : شاهت الوجوه ، ثم نَفَحهم بها ، وأمر أصحابَه فقال : شدُّوا ؛ فكانت الهزيمة . فقتَل الله تعالى مَنْ قَتل من صَناديد قريش ، وأَسَر من أسر من أشرافهم . فلما وضع القومُ أيديهم يأسِرون ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فى العَريش ، وسعدُ بن مُعاذ قائم على باب العريش ، الذى فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، متوشّح السيف ، فى نفر من الأنصارِ يحرُسون رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، يخافون عليه كرّة العدو ، ورأى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ـ فيما ذكرلى ـ فى وجه سعد بن مُعاذ الكراهية لما يصنع الناسُ ، فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : والله لكأنّك[5] يا سعدُ تكره ما يصنع القوم ؟ قال : ١٠ ١٥

(١) وقد قيل فى « عوف » : عوذ (بالذال المنقوطة) . ويقوى هذا القول أن أخويه معاذ ومعوذ . (راجع الروض الأنف) . ٢٠

(٢) يضحك الرب ، أى يرضيه غاية الرضا .

(٣) أحنه : أهلكه .

(٤) المستفتح : الحاكم على نفسه بهذا الدعاء .

(٥) فى ا : « لكأنى بك » .

أجل : والله يا رسول الله ، كانت أوّلَ وقعة أوقعها [الله][1] بأهل الشرك ، فكان الإثخان في القتل بأهل الشّرك أحبَّ إليّ من استبقاء الرجال .

نهي النبي أصحابه عن قتل ناس من المشركين

قال ابن إسحاق : وحدّثني العبّاس بن عبد الله بن مَعْبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عبّاس :

٥ أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرِهم قد أُخْرِجوا كَرْهاً ، لاحاجَة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتُله ، ومن لقي أبا البَخْتَرِيّ بن هشام بن الحارث ابن أسد فلا يقتله، ومن لقي العبّاس بن عبد المطلب ، عمّ رسول صلّى الله عليه وسلّم فلا يقتله ، فإنه إنما أُخْرِجُ مُسْتكرها . قال : فقال أبو حُذيفة : أنقتُل آباءنا ١٠ وأبناءنا وإخوتَنا[2] وعشيرتَنا . ونترك العبّاس ! والله لئن لقيتُه لأُلْحِمَنّه[3] السيفَ ــ قال ابن هشام : ويقال . لأُلجِمَنّه[4] [السيف][1] ــ قال : فبلغت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال لعمر بن الخطّاب : يا أبا حفص ــ قال عمر : والله إنه لأوّل يوم كناني فيه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بأبي حَفْص ــ أيُضرب وجهُ عمّ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بالسيف ؟ فقال عمر : يارسولالله، ١٥ دعني فَلأَضْرب عُنقَه بالسيف ، فوالله لقد نافَق . فكان أبو حُذَيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً ، إلا أن تكفّرها عني الشهادة . فقتِل يوم اليمامة شهيداً .

قال ابن إسحاق[5] .

وإنما نهى رسولُ صلّى الله عليه وسلّم عن قَتل أبي البَخْتَرِيّ لأنه كان

---

٢٠ (١) زيادة عن ا ، ط
(٢) كذا في ا . وفي سائر الأصول : « إخواننا » .
(٣) لألحمنه ، أي لأطعمن لحمه بالسيف ، ولأخالطنه به .
(٤) لألجمنه : أي لأضربنه به في وجهه .
(٥) كذا في ا ، ط . وفي سائر الأصول : « قال ابن هشام » .

أكفّ القوم عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ، ولا يبلُغه عنه شىء يكرهه ، وكان ممّن قام فى نَقْض الصّحيفة التى كتبت قريشٌ على بنى هاشم وبنى المُطلب . فلقيه المُجذَّر بن ذِيَاد البَلوىّ ، حليف الأنصار ، ثم من بنى سالم بن عوف ، فقال المجذَّر لأبى البَخْترىّ : إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد نهانا عن قَتْلِك ـ ومع أبى البَخْترى زَميل[1] له ، قد ٥
خرج معه من مكة ، وهو جُنَادة بن مُلَيْحة بنت زُهير بن الحارث بن أسد ؛ وجُنادة رجلٌ من بنى لَيْث . واسْمُ أبى البَخْترى : العاص ـ قال : وزميلى ؟ فقال له المُجذَّر : لا والله ، ما نحن بتاركى زَميلك ، ما أمرنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلا بك وحدَك ؛ فقال : لا والله ، إذن لأموتن أنا وهو جميعا ، لا تتحدّث عنى نساء مكة أنى تركت زَميلى حِرْصاً على الحياة . فقال أبو البَخْترىّ ١٠
حين نازله المجذّر وأبى إلاّ القتال ، يرتجز :

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرّة زميـــلَه ... حتى يموتَ أو يرى سَـــبِيلَه

فاقتتلا ، فقتله المجذّرُ بن ذِياد . وقال المجذّر بن ذِيادِ[2] فى قَتْله أبا البَخْترى :

إمّا جهِلتَ أو نَسِيتَ نَسبى ... فأثبِت النِّسبة أنى من بَلِى
الطّاعنِين برماحِ اليَزَنِى ... والضّارِبين الكَبْش حتى ينْحَنِى[3] ١٥
بَشِّر بيُتم من أبيه البَخْترى ... أو بَشِّرنْ بمثلها منّى بَنى
أنا الذى يُقال أصْلى من بلِى ... أطعنُ بالصَّعْدة حتى تَنْثَنِى[4]

---

(١) الزميل : الذى يركب معه على بعير واحد .

(٢) زادت (ا) بعد هذه الكلمة : « ويقال : المجذر بن ذئاب » .

(٣) برماح اليزنى : رماح منسوبة إلى ذى يزن ، وهو ملك من ملوك اليمن . والكبش : رئيس القوم . ٢٠

(٤) الصعدة : عصا الرمح ؛ ثم سمى الرمح : صعدة .

وأَعْبِطِ القِرْن بعَضْب مَشْرَفى   أُرزِمُ للموت كإرزام المَرِى[1]

* فلا ترى مجذَّرا يفْرِى فَرِى[2] *

قال ابن هشام : « المرى » عن غير ابن إسحاق . والمرِىّ[3] : الناقة التى يُستنزل لبنها على عسر .

٥ قال ابن إسحاق :

ثم إن المجذَّر أتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : والذى بعثك بالحق لقد جهدتُ عليه أن يَسْتأسرفآتيكَ به ، [فأبى][4] إلا أن يُقاتلنى ، فقاتلتُه فقتلتُه.

قال ابن هشام : أبو البخترىّ : العاص بن هشام[5] بن الحارث بن أسد .

مقتل أمية ابن خلف

قال ابن إسحاق : حدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه

١٠ قال ابن إسحاق : وحدّثنيه أيضاً عبد الله بن أبى بكر وغيرهما عن عبد الرحمن ابن عوف ، قال :

كان أمية بن خَلف لى صديقاً بمكة ، وكان اُسمى عبدَ عمرو ، فتسمّيت ، حين أسلمتُ ، عبدَ الرحمن ، ونحن بمكة ، فكان يَلْقانى إذ نحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبْتَ عن اسم سمّاكَه أبواكَ ؟ فأقول : نعم ؛ فيقول : فإنى ١٥ لا أعرف الرحمن ، فاجعل بينى وبينك شيئاً أدعوك به ، أمّا أنت فلا تُجيبنى باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوكَ بما لا أعرف ! قال : فكان إذا دعانى : يا عبد عمرو ، لم أُجبه . قال فقلت لهُ : يا أبا على ، اجعل ما شئت ، قال : فأنت عبدُ الإله ؛ قال فقلت : نعم ؛ قال : فكنت إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله فأُجيبه ، فأتحدّث معه . حتى إذا كان يومَ بدر ، مررتُ به وهو واقِفٌ مع ابنه ،

٢٠ (١) أعبط : أقتل . والقرن : المقاوم فى الحرب . والعضب : السيف القاطع . والمشرفى : منسوبة إلى المشارف ، وهى قرى بالشام . وأرزم : أحن .

(٢) يقال : فرى يفرى فريا ، إذا أتى بأمر عجيب .

(٣) وقيل المرى: الناقة الغزيرة اللبن .

(٤) زيادة عن ١ ، ط .

٢٥ (٥) فى ١ : « هاشم » .

علىّ بن أميّة ، آخذ بيده ، ومعى أدراع[1] ، قد استلبتُها ، فأنا أحملها . فلما رآنى قال لى : ياعبد عمرو ، فلم أُجِبْه ؛ فقال : يا عبد الإله ؟ فقلت : نعم ؛ قال : هل لك فىّ ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التى معك ؟ قال : قلت : نعم ، ها الله ذا[2] . قال : فطرحتُ الأدراع من يدى ، وأخذتُ بيده ويد ابنه ، وهو يقول : ما رأيت كاليوم قطّ ، أمالكم حاجةٌ فى اللبن ؟ [قال][3] ثم خرجتُ أمشى بهما .

قال ابن هشام : يريد ، باللبن ، أن من أسَرَنى افتديتُ منه بإبل كثيرة اللبن .

قال ابن إسحاق حدّثنى عبدُ الواحد بن أبى عَوْن عن سعد[4] بن إبراهيم عن أبيه[5] عبد الرحمن بن عَوْف قال :

قال لى أُمية بن خلف ، وأنا بينه وبين ابنه ، آخذٌ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجُل منكم المُعْلِم بريشة نعامة فى صدره ؟ قال : قلتُ : ذاك حمزة ابن عبد المطّلب ؛ قال : ذاك الذى فعل بنا الأفاعيل ؛ قال عبد الرحمن : فوالله إنى لأقودهما إذ رآه بلالٌ معى ــ وكان هو الذى يعذّب بلالاً بمكة على ترك الإسلام ، فيُخْرجه إلى رَمْضاء[6] مكة إذا حَميت . فيُضْجِعه على ظهره ، ثم

---

(١) فى م ، ر : « أدراع لى » .

(٢) كذا فى شرح السيرة والروض . قال السهيلى : « ها : تنبيه . وذا : إشارة إلى نفسه وقال : بعضهم إلى القسم ، أى هذا قسمى . وأراها إشارة إلى المقسم ، وخفض اسم الله بحرف القسم أضمره ، وقام التنبيه مقامه ، كما يقوم الاستفهام مقامه ، فكأنه قال : ها أنذا مقسم . وفصل بالاسم المقسم به بين (ها) و (ذا) فعلم أنه هو المقسم ، فاستغنى عن أنا . وكذلك قول أبى بكر : لاها الله ذا ؟ وقول زهير :

* تعلمن ها لعمرو الله ذا قسما *

أكد بالمصدر قسمه الذى دل عليه لفظه المتقدم » .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) فى ا : « سعيد » . وهو تحريف . (راجع تهذيب التهذيب وتراجم رجال) .

(٥) فى الأصول : « عن عبد الرحمن » . وظاهر أن كلمة « عَن » مقحمة .

(٦) الرمضاء : الرمل الحار من الشمس .

يأمر بالصَّخرة العظيمة فتُوضع على صَدْره ، ثم يقول : لا تزالُ هكذا أو تُفارق دين محمد ؛ فيقول بلال : أَحَدٌ أَحَد . قال : فلما رآه ؛ قال : رأس الكُفْر أمية ابن خَلَف ، لا نجوتُ إن نجا[1] . قال : قلت : أيّ بلال ، أبأسيرى[2] ! قال لا نجوت إن نجا . قال . قلت : أتسمع يا بن السَّوْداء ! قال : لانجوت إن نجا .

٥ قال : ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصارالله ، رأس الكُفر أُمية بن خلف ، لانجوتُ إن نجا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المُسْكَة[3] ، وأنا أذبُّ عنه . قال : فأخلف[4] رجلٌ السيفَ ، فضرب رِجْلَ ابنه فوقع ، وصاح أمية صيحة ما سمعتُ مثلَها قط . قال : فقلت : انْجُ بنفسِك، ولا نجاءَ بك[5] ، فوالله ما أُغنى عنك شيئاً. قال: فهبرُوها[6] بأسيافهم،حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبدالرحمن

١٠ يقول : يرحم الله بلالاً ، ذهبت أَدْراعى وفجعَنى بأسيرىّ .

شهود الملائكة وقعة بدر

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدّث عن ابن عبّاس قال : حدّثنى رجل من بنى غِفار ، قال :

أقبلت أنا وابن عم لى حتى أصْعدنا فى جبل يُشْرِف بنا على بَدْر ، ونحن مُشْركان، ننتظر الوَقْعة على من تكون الدَّبْرة[7] ، فننتهب مع من ينتهب . قال:

١٥ فبينا نحن فى الجبل ، إذ دنتْ منا سحابةٌ ، فسَمِعنا فيها حَمْحمة الخيل ، فسمعت قائلاً يقول: أقدُم حَيْزوم[8]؛ فأما ابنُ عمى فانكشف قِناع قلبه، فمات مكانَه ، وأما أنا فكِدْت أهلِك ، ثم تماسكتُ .

---

(١) فى ا ، ط : « لا نجوت إن نجوت » .

(٢) كذا فى ا . وفى أسائر الأصول : « أسيرى » .

٢٠ (٣) فى مثل المسكة ، أى جعلونا فى حلقة كالسوار وأحدقوا بنا .

(٤) يقال : اخلف الرجل السيف : إذا سله من غمده .

(٥) فى ا : « به » .

(٦) هبروها : قطعوهما .

(٧) الدبرة : الدائرة .

٢٥ (٨) قال أبو ذر : « قال ابن سراج : اقدم : كلمة تزجر بها الخيل . وحيزوم : اسم فرس جبريل عليه السلام . ويقال : فيه جيزون » .

قال ابن إسحاق : وحدّثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بَني ساعدة عن أبي أُسَيد مالك بن ربيعة ، وكان شهد بدرا ، قال ، بعد أن ذهب بصره :

لو كنت اليومَ ببدر ومعي بَصَرى لأريتُكم الشِّعب الذى خرجتْ منه الملائكةُ ، لا أشكّ فيه ولا أتمارى .

قال ابن إسحاق : وحدّثني أبي إسحاق بن يسار عن رجال من بني مازن ٥ ابن النّجار عن أبي داود[1] المازنى ، وكان شهد بدرا ، قال :

إنى لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسُه قبل أن يصل إليه سيفى ، فعرفتُ أنه قد قَتله غيرى .

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتهم عن مِقْسم، مولى عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن عبّاس ، قال : ١٠

كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائمَ بيضاء قد أرسلوها على ظُهورهم ، ويوم حُنَين عمائمَ حُمْرا .

قال ابن هشام : وحدّثني بعضُ أهل العلم :

أن عليّ بن أبي طالب قال : العمائمُ : تيجان العرب ، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرْخَوها على ظُهورهم ، إلا جبريل فإنه كانت عليه ١٥ عمامة صَفْراء .

قال ابن إسحاق : وحدّثني من لا أتهم عن مِقْسَم عن ابن عبّاس قال :

ولم تُقاتِل الملائكةُ فى يومٍ سوى بدر من الأيام ، وكانوا يكونون فيما سِواه من الأيام عَددًا ومَددا لا يَضربون .

مقتل أبي جهل

قال ابن اسحاق : ٢٠

وأقبل أبو جهل يومئذ يَرْتجز ، وهو يقاتل ويقول :

---

(١) اسم أبى داود هذا : عمرو ، وقيل : عمير بن عامر ، (راجع الروض) .

ما تَنْقِمِ الحربُ العَوانُ منِّى   بازلُ عامَيْنِ حديثٌ سنِّى (١)

* لمثل هــذا وَلَدَتْنِى أمّى (٢) *

شعار المسلمين ببدر

قال ابن هشام :

وكان شعارُ (٣) أصحاب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر . أَحَدٌ أَحَدٌ .

٥ قال ابن إسحاق :

عود إلى مقتل أبى جهل

فلما فرغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من عدوّه ، أمر بأبى جَهْل أن يُلتمس فى القَتْلى .

وكان أولَ من لَقِىَ أبا جهل ، كما حدّثنى ثَوْرُ بن يزيد ، عن عِكْرِمة عن ابن عبّاس ، وعبد الله بن أبى بكر أيضاً قد حدّثنى ذلك ، قالا :

١٠ قال مُعاذ بن عمرو بن الجموح ، أخو بنى سَلِمة : سمعتُ القومَ وأبو جهل فى مثل الحَرَجة ــ قال ابن هشام الحرجة : الشجر الملتف . وفى الحديث عن عمر ابن الخطّاب : أنه سأل أعرابيًّا عن الحرجة ؛ فقال : هى شجرة من (٤) الأشجار لا يوصل إليها ــ وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلص إليه . قال : فلما سمعتُها جعلتُه من شأنى ، فصَمَدْتُ (٥) نحوه ، فلما أمكننى حملتُ عليه فضربتُه ضربة أطَنَّت (٦) قدمَه بنصف ساقه ، فوالله ما شبّهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح (٧) من تحت مِرْضخة (٨) النّوى حين يُضرب بها . قال : وضربنى ابنهُ عِكْرِمة على عاتقى فطَرَح يدى ، فتعلّقتْ بجلْدة من جَنْبى ، وأجْهَضنى (٩) القتالُ عنه ، فلقد

(١) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة ، فهى لذلك أشد الحروب . والبازل من الإبل : الذى خرج نابه ، وهو فى ذلك السن تكمل قوته .

(٢) قال أبو ذر : « ويقال : هذا الرجز ليس لأبى جهل وإنما تمثل به » .

(٣) الشعار : العلامة .

(٤) فى ا : « بين » .

(٥) صمدت : قصدت .

(٦) أطنت قدمه : أطارتها .

(٧) تطيح : تذهب .

(٨) المرضخة : التى يدق بها النوى للعلف .

(٩) أجهضنى : غلبنى واشتد على .

قاتلتُ عامّةَ يومى ، وإنى لأسْحبُها خَلْفى ، فلما آذتْنى وضعتُ عليها قَدمى ، ثم تمطيتُ بها عليها حتى طرحتُها .

قال ابن إسحاق[1] :

ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمانُ عثمان .

ثم مر بأبى جَهل وهو عَقِيرٌ ، مُعَوِّذ بن عَفْراء ، فضربه حتى أثْبَته ، فتركه وبه رمقٌ . وقاتل مُعَوِّذ[2] حتى قُتل ، فمر عبد الله بن مَسْعود بأبى جهل ، حين أمرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُلتمس فى القَتْلى ، وقد قال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم - فيما بلغنى - انظروا ، إن خَفِي عليكم فى القَتْلى ، إلى أثر جرْح فى رُكْبته ، فإنى ازدحمتُ يومًا أنا وهو على مأدُبة لعبد الله بن جُدْعان ، ونحن غلامان ، وكنتُ أشفَّ منه بيَسير ، فدفعتُه فوقع على رُكْبتيه ، فجُحِش[3] فى إحداهما جَحْشا لم يزل أثرُه به . قال عبدُ الله بن مَسْعود : فوجدته بآخر رَمَق فعرفتُه ، فوضعتُ رِجْلى على عُنقه - قال : وقد كان ضَبَث بى مَرَّةً بمكة فآذانى ولكزنى ! ثم قلت له : هل أخزاك الله يا عدوّ الله ؟ قال وبماذا أخْزانى ! أعْمَدُ من رجل قتلتموه[4] ! أخْبِرْنى لمن الدائرةَ اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله .

---

(1) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الاصول : « قال ابن هشام » .

(2) قال السهيلى : « ... وذكر الغلامين اللذين قتلا أبا جهل ، وأنهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء . وفى صحيح مسلم أنهما معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح . وعفراء هى بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، عرف بها بنو عفراء . وأبوهم الحارث بن رفاعة بن سواد ، على اختلاف فى ذلك . ورواية ابن إدريس عن ابن إسحاق ، كما فى كتاب مسلم : قال أبو عمرو : وأصح من هذا كله حديث أنس حين قال النبى صلى الله عليه وسلم : من يأتينى بخبر أبى جهل؟ (الحديث). وفيه : أن ابنى عفراء قتلاه».

(3) جحش : خدش .

(4) ويقال : « أعمد من رجل قتله قومه » . قال السهيلى : « أى هل فوق رجل قتله قومه . وهو معنى تفسير ابن هشام حيث قال : أى ليس عليه عار . والأول تفسير أبى عبيدة فى غريب الحديث . وقد ذكر شاهدا عليه :

وأعمد من قوم كفاهم أخوهم صدام الأعادى حين فلت نيوبها

قال : وهو عندى من قولهم : عمد البعير يعمد ، إذا تفسخ سنامه فهلك . أى أهلك من رجل قتله قومه » .

وقال أبو ذر : « يريد : أكبر من رجل قتلتموه ، على سبيل التحقير منه لفعلهم به » .

قال ابن هشام: ضَبَث : قبض عليه ولَزِمه . قال ضابئ بن الحارث البُرْجُمى[1] :

فأصبحتُ مما كانَ بَيْنى وبينكم من الودّ مثلَ الضابثِ الماءَ باليدِ

قال ابن هشام: ويقال: أعارٌ على رجل قتلتموه ! أَخْبِرْنى لمن الدائرةُ[2] اليوم؟

قال ابن إسحاق :

٥ وزعم رجالٌ من بنى مَخْزوم ، أن ابن مَسْعود كان يقول :

قال لى : لقد ارتقيتَ مُرْتَقًى صَعْباً يا رُوَيْعِىَ الغنم ؛ قال : ثم احتَززتُ رأسَه ، ثم جئتُ به رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأسُ عدوّ الله أبى جهل ؛ قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : آللهِ[3] الذى لا إله غيره ـ قال : وكانت يمينَ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ـ

١٠ قال : قلت : نعم والله ، الذى لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسَه بين يدى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ، فحَمِد الله .

قال ابن هشام : وحدّثنى أبو عُبيدة وغيرُه من أهل العلم بالمغازى :

أن عمر بن الخطّاب قال لسَعيد بن العاص ، ومرّ به : إنّى أراكَ كأنّ فى نفسك شيئاً، أراكَ تظُنّ أنى قتلتُ أباكَ ؛ إنى لو قتلتُه لم أَعْتذر إليك من قَتْله ،

١٥ ولكنّى قتلتُ خالى العاصَ بن هشام بن المُغيرة ، فأما أبوك فإنى مررتُ [به][4]

---

(١) وزادت م: «قبيل من تميم» ، يريد أن البرجمى منسوب إلى البراجم وهم أحياء من بنى تميم.

(٢) فى ا : « لمن الدبرة » .

(٣) قال السهيلى : « آلله الذى لا إله إلا هو ، هو بالخفض عند سيبويه وغـيره . لأن الاستفهام عوض من الخافض عنده ، وإذا كنت مخبرا قلت : الله (بالنصب ، لا يجيز المبرد

٢٠ غيره ، وأجاز سيبويه الخفض أيضا ، لأنه قسم ، وقد عرف أن المقسم به مخفوض بالباء أو بالواو ، ولا يجوز إضمار حروف الجر إلا فى مثل هـذا الموضع ، أو ما كثر استعماله جدا ، كما روى أن رؤبة كان يقول : إذا قيل له كيف أصبحت : خير ، عافاك الله » .

(٤) زيادة عن ا .

وهو يَبْحث بحثَ الثَّور برَوْقه[1] فحَدْتُ[2] عنه ، وقصدَ له ابنُ عمّه علىٌّ فقتله.

قصة سيف عكاشة

قال ابن إسحاق :

وقاتَل عُكَّاشَةُ بن مِحْصَن بن حُرْثان الأسدىّ ، حليفُ بنى عبد شَمْس ابن عبد مناف ، يومَ بدر بسَيْفه حتى انقطع فى يده ، فأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فأعطاه جِذْلا[3] من حَطب ، فقال : قاتِلْ بهذا يا عُكَّاشَةُ ، فلما أخذه من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم هزّه ، فعاد سيفاً فى يده طويلَ القامة ، شديد المَتْن ، أبيض الحَديدة ، فقاتَل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين ، وكان ذلك السيف يسمى : العَوْن . ثم لم يزل عنده يَشْهد به المشاهد مع رسولِ الله صلّى الله صلّى الله عليه وسلّم حتى قُتل فى الرّدة ، وهو عنده ، قتَله طُلَيحة بنُ خُوَيلد الأسدى ، فقال طُليحة فى ذلك :

فما ظنّكمُ بالقوم إذ تَقْتلونهم ... أليسُوا وإن لم يُسْلموا برجالِ

فإن تك أذوادٌ أُصِبْن ونِسْوةٌ ... فلن تَذهبوا فِرْغًا بقَتْل حِبال[4]

نَصَبْتُ لهم صدرَ الحِمالة[5] إنها ... معاودةٌ قِيلَ[6] الكُماة نَزَال[7]

فيومًا تراها فى الجِلال مَصُونةً ... ويومًا تَراها غيرَ ذات جِلال[8]

---

(١) الروق : القرن .

(٢) حدت : عدلت .

(٣) الجذل : أصل الشجرة .

(٤) الأذواد : جمع ذود ، وهو مابين الثلاث إلى العشرة من الإبل . والفرغ : أن يطل الدم ولايطلب بثأره . وحبال : هو ابن أخى طليحة لا ابنه كما قال ابن هشام بعد ، وهو حبال ابن مسلمة بن خويلد ؛ ومسلمة أبوه ، هو الذى قتل عكاشة ، اعتنقه مسلمة ، وضربه طليحة على فرس يقال له : اللزام .

(٥) كذا فى ا ، ط . وهى اسم فرس طليحة ، وفى سائر الأصول : « الجبالة » وهو تحريف .

(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « قتل » .

(٧) الكماة : الشجعان ، واحدهم : كمى ونزال ، اسم فعل أمر بمعنى انزل .

(٨) الجلال : جمع جلّ . والجل للدابة : كالثوب للإنسان تصان به .

عشيَّةَ غادرتُ ابنَ أَقْوَم ثاويًا وعُكّاشة الغَنْمِيَّ عند مَجال[1]

قال ابن هشام: حِبَال: ابن طُلَيحة[2] بن خُويلد. وابن أقرم: ثابت ابن أقرم الأنصارى.

قال ابن إسحاق:

٥ وعُكّاشة بن مِحْصَن الذى قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، حين قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: يدخل الجنةَ سبعون ألفا من أمتى على صورة القَمر ليلة البَدْر، قال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجْعلنى منهم؛ قال: إنك منهم، أو اللهم اجعلْه منهم؛ فقام رجل من الأنصار. فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلنى منهم؛ فقال: سبقكَ بها عُكّاشة و بَرَدَتْ الدعوةُ[3].

١٠ وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فيما بلغنا عن أهله: منّا خيرُ فارس فى العرب؛ قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: عُكّاشة بن مِحْصَن، فقال ضرار ابن الأَزْور الأسدى: ذاكَ رجل منّا يا رسول الله؛ قال: ليس منكم ولكنّه منّا للحِلْف.

حديث بين أبى بكر وابنه عبد الرحمن يوم بدر

قال ابن هشام:

١٥ ونادى أبو بكر الصديق ابنَه عبدَ الرحمن، وهو يومئذ مع المُشركين فقال: أين مالى يا خَبِيث؟ فقال عبد الرحمن:

لم يَبْق غيرُ شِكّة ويعبوب وصارِمٌ يَقْتل ضُلّال الشِّيب[4]

فيما ذُكر لى عن عبد العزيز بن محمد الدَّراوَرْدى.

طرح المشركين فى القليب

قال ابن إسحاق: وحدّثنى يزيد بن رُومان عَنْ عُرْوة بن الزُّبير عن

٢٠ عائشة، قالت:

---

(١) ثاويا: مقيما.

(٢) راجع الحاشية (رقم ٤ ص ٢٩٠ من هذا الجزء).

(٣) بردت الدعوة، أى ثبتت. ويقال: برد لى حق على فلان، أى ثبت.

(٤) الشكة: السلاح. واليعبوب: الفرس الكثير الجرى. والصارم: السيف القاطع.

لما أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالقتلى أن يُطرَحوا فى القَليب[1]، طُرِحوا فيه إلا ما كان مِن أُميّة بن خَلَف، فإنه انتفخ فى دِرْعه فملأها، فذهبوا ليحرّكوه[2]، فتزايل[3] لحمُه، فأقرّوه، وألقَوْا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة. فلمّا ألقاهم فى القَليب، وقف عليهم رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم، فقال: يأهل القَليب، هل وجدتُم ما وَعدكم ربّكم حقًّا؟ فإنى قد وجدتُ ما وعدنى ربى حقًّا. قالت: فقال له أصحابه: يارسول الله، أتكلّم قومًا موتى! فقال لهم: لقد علموا أن ما وَعدهم ربّهم حقّ!

قالت عائشة:

والناس يقولون: لقد سَمِعوا ما قلتُ لهم، وإنما قال لهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: لقد علموا[4].

قال ابن إسحاق: وحدّثنى حُميد الطّويل. عن أنس بن مالك قال:

سمع أصحابُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم من جَوْف الليل وهو يقول: يأهل القليب، يا عُتبَةُ بن ربيعة، وياشَيْبةُ بن ربيعة، ويا أُميةُ بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام، فعدّد من كان منهم فى القليب: هل وجدتم ما وعد ربّكم حقًّا؟ فإنى قد وجدتُ ما وعدنى ربى حقًّا؟ فقال المسلمون: يا رسولَ الله، أتُنادى قومًا قد جَيَّفوا[5]: قال: ما أنتم بأسمع لما أقولُ منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أن يُجيبونى.

قال ابن إسحاق: وحدّثنى بعضُ أهل العلم:

أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال يوم هذه المَقالة: يأهل القَليب، بئس عَشيرةُ النبى كنتم لنبيّكم! كذّبتمونى وصدّقنى الناس، وأخْرجتمونى

---

(1) القليب: البئر.
(2) فى ا: ليخرجوه».
(3) تزايل: تفرق.
(4) قال السهيلى: «وعائشة لم تحضر، وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه عليه السلام».
(5) جيفوا، أى صاروا جيفا.

وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس ؛ ثم قال : هل وجدتُم ما وَعدكم ربُّكم حقًّا ؟ المقالة التى قال .

قال ابن إسحاق :

شعر حسان فيمن ألقوا فى القليب

وقال حسّان بن ثابت :

٥ عرفتُ ديارَ زَينب بالكَثِيب ... كخطِّ الوَحْى فى الوَرَق القَشِيب[1]

تَدَاوَلها الرِّياحُ وكلُّ جَوْن ... من الوَسْمىِّ مُنهمر سَكوب[2]

فأمسى رسمُها خَلَقًا وأمستْ ... يبابًا بعد ساكنِها الحبيب[3]

فَدعْ عنك التذكُّرَ كلَّ يوم ... وردَّ حرارة الصَّدْر الكئيب

وخبِّر بالذى لا عيبَ فيه ... بصِدْق غيرِ إخبار الكَذُوب

١٠ بما صنعَ المليكُ غداةَ بدرٍ ... لنا فى المُشْركين من النَّصيب

غداةَ كأنّ جَمْعَهم حِراءٌ ... بدت أركانُه جُنْحَ الغُروب[4]

فلاقيناهمُ منّا بجَمْعٍ ... كأُسْد الغاب مُرْدان وشِيب

أمام محمّد قد وَازرُوه ... على الأعداء فى لَفْح الحُروب[5]

بأيْديهم صوارمُ مُرْهفاتٌ ... وكلُّ مجرَّب خاظِى الكُعُوب[6]

---

١٥ (١) الكثيب : كدس الرمل . والقشيب : الجديد . قال السهيلى : «ولا معنى له فى هذا البيت ، لأنهم إذا وصفوا الرسوم وشبهوها بالكتب فى الورق ، فإنما يصفون الخط حينئذ بالدروس والامحاء ، فإن ذلك أدل على عفاء الديار وطموس الآثار ، وكثرة ذلك فى الشعر تغنى عن الاستشهاد عليه . ولكن أراد حسان بالقشيب هنا . الذى خالطه مايفسده إما من دنس وإما من قدم ؛ يقال : طعام مقشب : إذا كان فيه السم » .

٢٠ (٢) الوسمى : مطر الخريف .

(٣) يبابا : قفرا .

(٤) حراء : جبل بمكة . وجنح الغروب : حين تميل الشمس للغروب .

(٥) وازروه : أعانوه . ولفح الحروب : نارها وحرها . ويروى : « لقح » ومعناه التزيد والنمو ، يقال : لقحت الحرب . إذا تزيدت .

٢٥ (٦) الصوارم المرهفات : السيوف القاطعة . والخاظى : المكتنز . والكعوب : عقد القناة

بنُو الأوس الغَطارفُ وازرتْها بنو النجّار فى ٱلدّين الصَّلِيب[1]

فغادَرْنا أبا جهلٍ صَرِيعاً وعُتْبةَ قد تركنا بالجَبُوب[2]

وَشَيْبةَ قــد تَرَكْنا فى رجالٍ ذَوِى حسبٍ إذا نُسِبوا حَسِيبِ

يُناديهم رســـولُ الله لمّـا قذفناهُم كَبَاكِبَ فى القَليب[3]

ألم تَجِدُوا كلاَمى كانَ حقًّا وأمرُ الله يأخـــذُ بالقلوب؟ ٥

فمـا نطقُوا، ولو نطقُوا لقالُوا : صدقتَ وكنتَ ذا رأى مُصيب!

قال ابن إسحاق :

ولمـا أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بهم أنْ يُلْقَوا فى القليب، أُخِذ عُتبةُ بن ربيعة، فسُحِب إلى القَليب، فنظر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فيما بلغنى، فى وجه أبى حُذَيفة بن عُتبة، فإذا هو كَئِيب قد تغيّر لونه، فقال : ١٠ يا أبا حُذَيفة، لعلّك قد دخَلك من شأن أَبِيك شىء؟ أو كما قال صلّى الله عليه وسلّم؛ فقال : لا، والله يا رسولَ الله، ما شككتُ فى أبى ولا فى مَصْرعه، ولكنّنى كنتُ أعرف من أبى رأيًا وحِلْما وفضلاً، فكنتُ أرجو أن يَهْديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيتُ ما أصابه، وذكرتُ مامات عليه من الكفر، بعد الذى كنتُ أرجو له، أَحْزننى ذلك، فدعا له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بخَيْر، ١٥ وقال له خيرا.

ذكر الفتية الذين نزل فيهم : «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم».

وكان الفتْية الذين قُتلوا ببدر، فنزل فيهم من القرآن، فيما ذُكر لنا : « إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فى ٱلْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا

---

(1) الغطارف : السادة، واحدهم : غطريف وحذفت الياء من الغطاريف » لإقامة وزن الشعر. والصليب : الشديد. ٢٠

(2) الجبوب : وجه الأرض. وقيل : هو المدر؛ الواحدة : جبوبة.

(3) كباكب : جماعات.

فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً » فتيةً مُسمَّين[1] . من بنى أسد ابن عبد العُزّى بن قُصىّ : الحارث بن زمعة بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد .

ومن بنى مخزوم : أبو قَيْس بن الفاكه بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر ابن مَخْزُوم ، وأبو قَيْس بن الوليد بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم .

٥ ومن بنى جُمَح : علىُّ بن أُمية بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح .

ومن بَنى سَهم : العاصُ بنُ مُنبِّه بن الحجّاج بن عامر بن حُذَيفة بن سَعد ابن سهم .

وذلك أنهم كانوا أسلموا ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بمكة ، فلما هاجر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة حَبسهم آباؤهم وعُشائرهم بمكة وفَتنوهم ١٠ فافتَتَنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بَدْر فأُصيبوا به جميعاً .

ذكر الفىء ببدر والأسارى

ثم إن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أمر بما فى العَسْكر ، مما جمع الناسُ، جُمِع ، فاختلف المُسلمون فيه ، فقال من جَمَعه : هو لنا ؛ وقال الذين كانوا يُقاتلون العدوّ ويَطْلبونه : والله لولا نحن ما أَصَبْتموه ، لنحن شَغَلْنا عنكم القوم حتى أصبتُم ما أصبتم ؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ١٥ مخافة أن يُخالِفَ إليه العدوّ: والله ما أنتم بأحقَّ به منا، والله لقد رأينا أن نَقْتل العدوّ إذ مَنحنا الله تعالى أكتافه ، ولقد رأينا أن نَأْخذ المَتاع حين لم يكن دونه من يَمْنعه، ولكنّا خِفْنا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم كرة العدو ، فقُمْنا دونه ، فما أنتم بأحَقّ به منا .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن ٢٠ سُليمان بن موسى ، عن مَكحول ، عن أبى أُمامة الباهلى ــ واسمه صُدَىّ بن عَجْلان فيما قال ابنُ هشام ــ قال :

---

(١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « مسلمين ».

سألت عُبادة بن الصّامت عن الأنفال ؟ فقال : فينا أصحابَ بدر نزلت ، حين اختلفنا فى النَّفَل ، وساءت فيه أخلاقُنا ، فنزعه الله من أيْدينا ، فجعلَه إلى رسوله ، فقسّمه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين المسلمين عن بَوَاء . يقول : على السواء .

٥ قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال حدّثنى بعضُ بنى ساعدة عن أبى أُسيد الساعدىّ ، مالك بن ربيعة ، قال :

أصبتُ سيفَ بنى عائذ[1] المَخزوميين ، الذى يسمّى المَرْزُبان يوم بدر ، فلما أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناس أن يردّوا مافى أيديهم من النّفل ، أقبلتُ حتى ألقيتُه فى النَّفَل . قال : وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا يَمنع شيئاً سُئِله ، فعرَفه الأرقمُ بن أبى الأرقم ، فسأله رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ١٠ فأعطاه إياه .

بعث ابن رواحة وزيد بشيرين

قال ابن إسحاق :

ثم بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عند الفتْح عبدَ الله بن رَواحة بشيرا إلى أهل العالية، بما فَتح الله عزّ وجلّ على رسوله صلّى الله عليه وسلّم وعلى المسلمين، ١٥ وبعث زيدَ بن حارثة إلى أهل السّافلة . قال أُسامة بن زيد : فأتانا الخبرُ ـ حين سوّينا التراب على رُقَيّة ابنة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، التى كانت عند عُثْمان بن عفّان . كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم خَلّفنى عليها مع عُثْمان ـ أن زيدَ بن حارثة [قد][2] قَدِم . قال : فجئته وهو واقف بالمصلّى قد غَشِيَه الناس ، وهو يقول : قُتِل عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو جهل

---

٢٠ (١) فى الأصول : « بنى عائذ » وفى الروض : « سيف بنى عابد » . قال السهيلى : « بنو عابد فى مخزوم ، وهم بنو عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وأما بنو عائذ (بالياء والذال المعجمة) فهم بنو عائذ بن عمران بن مخزوم ، رهط آل المسيب ، والأولون رهط آل بنى السائب » .

(٢) زيادة عن ا ، ط .

ابن هشام ، وزَمعَة بن الأسود ، وأبو البَخْترِيّ العاصُ بن هشام ، وأُمية بن خَلف ونبيه ومنبِّه ابنا الحجّاج . قال : قلت : يا أبت ، أحق هذا ؟ قال : نعم ، والله يا بُنى .

قفول رسول الله من بدر

ثم أقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قافلاً إلى المدينة ، ومعه الأُسارى من المُشركين ، وفيهم عُقبَة بن أبى مُعَيط ، والنضْر بن الحارث ، واحتمل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم معه النَّفَل الذى أُصيب من المشركين ، وجعل على النَّفَل عبدَ الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن ابن النّجار ؛ فقال راجز من المسلمين — قال ابن هشام : يقال : إنه عَدِىّ ابن أبى الزَّغْباء — :

أَقِمْ لها صُدورَها يا بَسْبَسُ ليس بذى الطَّلْح لها مُعَرَّسُ
ولا بصَحْراء غُمَيرٍ[1] مَحْبَس إنّ مطايا القوم لا تُخَيَّسُ[2]
فحمْلُها على الطريق أَكْيَسُ قد نصر الله وفَرَّ الأَخْنَس

ثم أقبل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم — حتى إذا خرج من مَضيق الصَّفراء نزل على كَثيب بين المَضيق و بين النازية — يقال له : سَيَر — إلى سَرْحة به . فقسّم هنالك النّفل الذى أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ، ثم ارتحل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، حتى إذا كان بالروحاء لَقِيه المسلمون يُهنئونه بما فتح الله عليه ، ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سَلَمة بن سلامة — كما حدّثنى عاصم بن عُمر بن قتادة ، ويَزيد بن رومان — : ماالذى تُهنئوننا به ؟ فوالله إن لقينا إلا عجائز صُلْعا كالبُدْن المعقَّلة، فنحرناها ، فتبسّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم قال : أى ابن أخى ، أولئك الملأ .

(١) كذا فى ا ، وفى سائر الأصول : « عمير » . قال أبو ذر : « يروى هنا بالغين وبالعين ، وغمير بالغين معجمة هو المشهور فيه » .
(٢) فى م ، ر : « لا تحبس » وهما بمعنى .

قال ابن هشام : الملأ : الأشراف والرؤساء .

مقتل النضر وعقبة

قال ابن إسحاق :

حتى إذا كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالصَّفْراء قُتِل النضر بن الحارث، قَتله علىُّ بن أبى طالب ، كما أخبرنى بعضُ أهل العلم من أهل مكة .

قال ابن إسحاق :

ثم خرج حتى إذا كان بعِرْق الظَّبْيةِ قُتل عُقْبة بن أبى مُعَيط .

قال ابن هشام : عِرْق الظَّبْية عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق :

والذى أَسَرَ عُقْبة : عبدُ الله بن سَلِمة[1] أحدُ بنى العَجْلان .

قال ابن إسحاق :

فقال عُقْبة حين أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بقَتْله : فمن للصِّبْية يا محمد ؟ قال : النار . فقَتله عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلح الأَنْصارى ، أخو بنى عَمْرو بن عَوْف ، كما حدّثنى أبو عُبيدة بن محمّد بن عمّار بن ياسر .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علىّ بن أبى طالب ، فيما ذَكر لى ابنُ شهاب الزهرى وغيرُه من أهل العلم .

قال ابن إسحاق :

ولقى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بذلك الموضع أبو هِنْد ، مولى فَرْوة ابن عَمْرو البَيَاضى بحَميت مملوء حَيْساً[2] .

قال ابن هشام : الحميت : الزق ، وكان قد تخلّف عن بدر ، ثم شهد المشاهد كلّها مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو كان حجّامَ رسولِ الله صلّى الله

(١) قال السهيلى : « وسلمة هذا بكسر اللام ، وهو سلمة بن ملك ، أحد بنى العجلان ، بلوىّ النسب ، أنصارى بالحلف ، قتل يوم أحد شهيدا » .

(٢) الحيس : السمن يخلط بالتمر والأقط .

عليه وسلّم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنما أبو هند امرؤ من الأنصار فأَنْكِحوه ، وأنْكِحوا إليه ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق :

ثم مضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى قدم المدينةَ قبل الأُسارى بيوم.

٥ قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبد الله بن أبى بكر أن يَحيى بن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أسعد[1] بن زُرَارة قال :

قُدِم بالأُسارَى حين قُدِم بهم ، وَسوْدةُ بنت زَمعة زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلّم عند آل عَفْراء ، فى مَناحتهم على عوْف ومُعوِّذ ابنى عفراء ، وذلك قبل أن يُضْرب عليهنّ الحِجاب .

١٠ قال : تقول سَوْدة : والله إنى لعندهم إذ أُتِينا ، فقيل : هؤلاء الأُسارى ، قد أُتِى بهم . قالت : فرجعت إلى بيتى ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيه ، وإذا أبو يَزيد سُهَيل بن عمرو فى ناحية الحُجْرة ، مَجْموعةً يداه إلى عُنقه بحَبْل . قالت : فلا والله ما ملكتُ نَفْسِى حين رأيت أبا يَزيد كذلك أن قُلْت : أى أبا يزيد ، أعطيتُم بأيديكم ، ألاّ متّم كراما ! فوالله ما أنْبهنى إلا قولُ رسولِ الله

١٥ صلّى الله عليه وسلّم من البيت : يا سودة ، أعلى الله ورسوله تحرّضين ؟ قالت : قلت : يا رسول الله ، والذى بعَثك بالحقّ ، ما ملكتُ نفسى حين رأيتُ أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه أن قلتُ ما قلت .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى نُبَيه بنُ وَهْب ، أخو بنى عبد الدار .

أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين أقبل بالأُسارى فرّقهم بين أصحابه ،

٢٠ وقال : استوْصُوا بالأسارى خيرًا . قال : وكان أبو عَزيز بن عُمَير بن هاشم ، أخو مُصْعب بن عُمير لأبيه وأمه فى الأُسارى .

قال : فقال أبو عزيز : مرّ بى أخى مُصْعب بن عُمير ورجلٌ من الأنصار

---

(١) فى م ، ر : « سعد » .

يَأسِرنى ، فقال : شُدَّ يديك به فإن أُمّه ذاتُ مَتاع ، لعلّها تَفْديه منك ! قال : وكنتُ فى رَهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بَدْر ، فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعَشاءهم خصّونى بالخُبز ، وأكلوا التّمر ، لوصيّة رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إياهم بنا ، ماتقَع فى يدِ رجل منهم كِسْرة خُبز إلا نَفَحنى بها ، قال : فأستحيِ فأردّها على أحدهم[1] ، فيردّها على ما يمَسّها . ٥

قال ابن هشام :

بلوغ مصاب قريش إلى مكة

وكان أبو عَزيز صاحبَ لواء المشركين ببدر بعد النَّضْر بن الحارث ، فلما قال أخوه مُصْعب بن عُمير لأبى اليَسَر ، وهو الذى أسره ، ما قال ، قال له أبو عَزِيز : يا أخى ، هذه وَصاتُك بى ! فقال له مُصْعب : إنهأخى دونك . فسألتْ أمُّه عن أغلى ما فُدِى بِهِ قُرشىٌّ ، فقيل لها : أربعةُ آلاف درهم ، فبعثتْ بأربعة آلاف درهم ، ففدته بها[2] . ١٠

قال ابن إسحاق :

وكان أول من قدم مكةَ [بمصاب][3] قريْش الحَيْسُمان بن عبد الله الخُزاعىّ ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتل عُتْبةُ بن ربيعة ، وشَيْبةُ بن ربيعة ، وأبو الحَكم بن هشام ، وأُميّة بن خَلف ، وزَمَعة بن الأسود ، ونُبَيه ومنبّه ابنا الحجّاج ، وأبو البَخترىّ بن هشام ، فلما جعل يُعَدّد أشراف قريش ؛ قال صَفْوان ابن أُمية ، وهو قاعد فى الحِجْر : والله إن يَعْقِل هذا فاسئلوه عنّى ؛ فقالوا : [و][3] ما فعل صَفْوانُ بن أُمية ؟ قال : هاهو ذاك جالساً فى الحِجْر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلا . ١٥

---

(١) هذه الكلمة ساقطة فى ا . ٢٠

(٢) واسم أبو عزيز : زرارة ، وأمه التى أرسلت فى فدائه : أم الخناس بنت مالك العامرية، وهى أم أخيه مصعب وأخته هند بنت عمير ، وهند : هى أم شيبة بن عثمان حاجب الكعبة، جد بنى شيبة . وقد أسلم أبو عزيز هذا . (راجع الروض) .

(٣) زيادة عن ا ، ط .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى حُسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عبّاس عن عكْرمة مولى ابن عبّاس ، قال :

قال أبو رافع مولَى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : كنت غلامًا للعبّاس ابن عبد المطّلب ، وكان الإسلام قد دخَلَنا أهلَ البيت ، فأسلم العبّاس ، وأسلمتْ أمُّ الفضل ، وأسلمتُ ، وكان العبّاس يَهاب قومَه ، ويكره خِلافهم ، وكان يكتُم إسلامَه، وكان ذا مال كثير متفرّق فى قومه ، وكان أبو لهب قد تخلّف عن بدر، فبعث مكانَه العاصىَ بن هشام بن المُغيرة ،وكذلك كانوا صنعوا ، لم يتخلّف رجلٌ إلا بَعثَ مكانَه رجلاً ، فلما جاء الخبرُ عن مُصاب أصحاب بدر من قُريش ، كبته[1] الله وأخزاه ، ووجَدْنا فى أنفسنا قوةً وعزًّا . قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل الأقْداح . أنحَتُها فى حُجْرة زَمْزم ، فوالله إنّى لجالسٌ فيها أنْحَتُ أَقْداحي ، وعِنْدى أمُّ الفَضْل جالسةٌ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لَهب يجرُّ رِجليه بِشَرّ، حتى جلَس على طُنُب[2] الحُجْرة ، فكان ظهرُه إلى ظهرى ؛ فبينما هو جالسٌ إذ قال الناسُ : هذا أبو سفيان بن الحارث ابن عبد المُطلب ـ قال ابن هشام : واسم أبى سفيان المغيرة ـ قد قدم . قال : فقال له أبو لَهب : هلمّ إلىّ ، فعندك لعمرى الخبرُ ، قال : فجلس [إليه][3] والناسُ قِيامٌ عليه ، فقال : يا بن أخى ، أخبرنى كيف كان أمر الناس ؟ قال : والله ما هو إلا أن لَقِينا القومَ ، فمَنَحْناهم أكتافَنا يقتُلوننا كيف شاءوا ، ويأسِرُوننا كيف شاءوا ، وأيمُ الله مع ذلك ما لُمْت الناس ، لقينا رجالا بِيضا، على خيْل بُلْق، بين السماء والأرض ، والله ما تُلِيق[4] شيئاً، ولا يقوم لها شىء. قال أبو رافع : فرفَعْتُ طُنُب الحُجرة بيدى ، ثم قلتُ : تلك والله الملائكة ؛

(١) كبته الله : أذله .
(٢) طنب الحجرة : طرفها .
(٣) زيادة عن ا، ط .
(٤) ما تليق : ماتبق .

قال : فرفع أبو لهب يدَه فضَرب بها وجهى ضربةً شديدة . قال : وثاورَنه[1] فاحتَملنى ، فضرب بى الأرض ، ثم برك علىّ يَضرِبنى ، وكنت رجلا ضعيفاً ، فقامت أمُّ الفضل إلى عمود من عمد الحُجرة فأخذته فضربته به ضربةً فلَعتْ[2] فى رأسه شجّةً مُنْكرة ، وقالت : استضعفته أن غاب عنه سيدُه ؛ فقام مولّياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعَدَسة[3] فقتلتْه . ٥

نواح قريش على قتلاهم .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عبّاد قال :

ناحت قريشٌ على قَتْلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلُغَ محمداً وأصحابَه، فيَشْمتوا بكم ؛ ولا تبعثوا فى أسراكم حتى تَسْتَأْنوا[4] بهم لاَ يَأْرَب[5] عليكم محمد وأصحابُه فى الفداء . قال : وكان الأسود بن المطّلب قد أُصيب له ثلاثة من ولده ، زَمَعة ١٠ ابن الأسود ، وعَقِيل بن الأسود ، والحارث بن زَمعة ، وكان يحب أن يبكىَ على بَنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحةً من الليل ، فقال لغلام له : وقد ذهب بصره : انظُر هل أُحل النَّحْب ؛ هل بكتْ قُريش على قتلاها ؟ لعلّى أبْكى على أبى حَكيمة ، يعنى زَمعة ، فإن جوفى قد احترق . قال : فلما رجع إليه الغلامُ قال : إنما هى امرأة تبكى على بَعير لها أضلّته ، قال : فذاك حين يقول الأسود : ١٥

أتَبْكى أن يَضِلّ لها بعيرٌ ... ويَمْنعها من النوم السُّهودُ

فلا تَبْكى على بَكْرٍ ولكن ... على بَدْرٍ تَقاصَرَت الجُدُودُ[6]

على بَدْرٍ سَراةِ بنى هُصَيْص ... ومَخْزوم ورَهْط أبى الوليد

(١) ثاورته : وثبت إليه .

(٢) فلعت : شقت . ٢٠

(٣) العدسة : قرحة قاتلة كالطاعون . وقد عدس الرجل : إذا أصابه ذلك.

(٤) حتى تستأنوا بهم ، أى تؤخروا فداءهم .

(٥) لا يأرب : لا يشتد .

(٦) البكر : الفتى من الإبل .

وَبَكِّ إن بكيتِ على عَقيل وبكِّ حارثاً أسَــد الأُسودِ

وبكّيهم ولا تَسَمى جميعاً وما لأبى حَكيمة من نَديد[1]

ألا قد ساد بعدَهم رجالٌ ولولا يومُ بَدْرٍ لم يَسُــودوا

قال ابن هشام : هذا أقواء[2] ، وهى مشهورة من أشعارهم ، وهى عندنا

٥ إكفاء[3] . وقد أسْقطنا من رواية بن إسحاق ما هو أشهر من هذا[4] .

قال ابن إسحاق :

وكان فى الأُسارى أبو وَداعة بن ضُبَيْرة السَّهمى ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ له بمكة ابناً كيِّساً تاجرًا ذا مال ، وكأنّكم به قد جاءكم فى طَلب فِداء أبيه ؛ فلما قالت قريشٌ لا تعجلوا[5] بفِداء أسرائكم ، لا يَأْرَب عليكم محمدٌ

١٠ وأصحابُه ، قال المطلب بن أبى وَدَاعة ـ وهو الذى كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عَنى ـ : صَدقتم ، لا تعْجلوا ، وانسلّ من الليل فقَدِم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، فانطلق به .

أمر سهيل ابن عمرو وفداؤه

[قال][6] : ثم بعثتْ قريشٌ فى فِداء الأسارى ، فقدِم مِكْرَز بن حَفْص ابن الأَخْيف فى فداء سُهَيل بن عمرو ، وكان الذى أسره مالِكُ بن ٱلدُّخْشُم ،

١٥ أخو بنى سالم بن عَوْف ، فقال :

أَسَرْتُ سُهيلاً فلا أبْتغِى أســيراً به من جميع الامَمْ

وخِنْدفُ تَعلم أنّ الفــتى فتاها سُهيلٌ إذا يُظَّلَمْ[7]

(١) ولا تسمى ، أى ولا تسأمى ، فنقل حركة الهمزة ثم حذفها . والنديد : الشبيه والمثل .

(٢) الإقواء : اختلاف فى حركة الروى .

٢٠ (٣) قال أبو ذر : « الإكفاء اختلاف الحروف فى القوافى » .

(٤) تعقيب ابن هشام على الشعر ساقط فى ا ، ط .

(٥) فى م : « لا تجعلوا » وهو تحريف .

(٦) زيادة عن ا .

(٧) يظلم ، أى يراد ظلمه .

ضربتُ بذي الشَّفْرحتى انثنى وأَكْرهتُ نفسى على ذي العَلَم[1]

وكان سُهيل رجلاً أعْلَمَ[2] من شَفته السُّفلى .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هـــذا الشعر لمالك ابن الدُّخْشم :

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بن عَمْرو بن عَطاء، أخو بنى عامر بن لُؤَىّ: أن عمر بنَ الخطاب قال لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا رسول الله ، دَعْنى أنْزِعْ ثَنِيَّتَىْ سُهيل بن عمرو ، ويَدْلَعُ[3] لسانُه، فلا يقوم عليك خَطيباً فى موطن أبداً ؛ قال : فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا أمثِّل به فيُمثِّلَ الله بى ، وإن كنتُ نبيًّا .

قال ابن إسحاق :

وقد بلغنى أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال لعمر فى هذا الحديث إنه عسَى أن يقوم مقامًا لا تذمُّه .

قال ابن هشام : وسأذكر حديثَ ذلك المقام فى موضعه إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق :

فلما قاولهم فيه مِكْرز وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هاتِ الذى لنا ، قال : اجعلوا رِجْلى مكان رجله ، وخلّوا سبيلَه حتى يبعث إليكم بفِدائه . فخلَّوْا سبيل سُهيل ، وحبَسوا مِكْرزا مكانَه عندهم ، فقال مِكْرز :

فَدَيتُ بأذوادٍ ثمَانٍ سِباَ فتًى[4] ينالُ الصميمَ غُرْمُها لا المواليا[5]

---

(١) ذو الشفر : السيف ؛ والشفر : حده .

(٢) الأعلم : المشقوق الشفة العليا . وأما المشقوق الشفة السفلى فهو الأفلح .

(٣) يدلع : يخرج .

(٤) ثمان ، قال أبو ذر : من رواه بكسر الثاء ، فهو جمع ثمين بمعنى غال . ومن رواه بفتحها فهو العدد المعروف .

(٥) فى م ، ر : « عرّها » والعر : الشر والأذى .

رهنتُ يدى والمالُ أيسرُ من يَدى ... علىَّ ولكنى خَشيت المَخازيَا

وقلتُ سُهَيلٌ خيرُنا فاذهبُوا به ... لأَبْنائنا حــتى نُدِير الأمانيا

قال ابن هشام : و بعضُ أهل العلم بالشعر ينكر هذا لِمكْرَز .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى عبدُ الله بن أبى بَكْر ، قال :

أسر عمرو بن أبى سفيان وإطلاقه

٥ كان عمرو بن أبى سُفيان بن حَرْب ، وكان لبنت عُقبة بن أبى مُعَيط ـ قال ابن هشام : أم عمرو بن أبى سُفيان بنت أبى[1] عَمْرو ، وأختُ أبى مُعَيط ابن أبى عمرو ـ أسيرًا فى يدى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، من أسرَى بَدْر .

قال ابن هشام : أسره علىُّ بن أبى طالب :

قال ابن إسحاق : حدّثنى عبد الله بن أبى بكر ، قال :

١٠ فقيل لأبى سفيان : افْدِ عمْرًا ابنك ؛ قال : أيُجْمع[2] على دَمِى ومالى ! قَتَلوا حَنْظلة ، وأفْدِى عَمْرًا ! دعوه فى أيْديهم يُمْسكوه ما بدا لهم .

قال: فبينما هو كذلك، مَحْبوس بالمدينة عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، إذ خرج سَعْد بن النُّعْمان بن أَكَّال، أخو بنى عمرو بن عَوف ، ثم أحدُ بنى مُعاوية، معتمرًا ومعه مُرَيَّة[3] له ، وكان شيخاً مسلماً، فى غَنَم له بالنَّقيع[4] ، فخرج من هنالك معتمراً،

١٥ ولا يَخْشى الذى صُنع به ، لم يظنّ أنه يُحبس بمكة ، إنما جاء معتمراً . وقد كان عَهِد قريشاً لا يعْرِضون لأحدٍ جاء حاجًّا ، أو معتمراً إلا بخير ؛ فعدَا عليه أبو سُفيان بن حَرْب بمكة فحَبَسه بابنه عمرو ، ثم قال أبو سفيان :

أرهطَ ابنِ أَكَّال أجِيبوا دُعاءهُ ... تعاقدتُم لا تُسْلِموا السَّيدَ الكَهْلا

---

(١) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « ابنة عمرو » . وهو تحريف .

٢٠ (٢) فى م ، ر : « أيجتمع » .

(٣) مرية : تصغير (امرأة) .

(٤) كذا فى ا ، ط . والنقيع : موضع قرب المدينة . وفى م ، ر : « بالبقيع » وهو موضع داخل المدينة ، وفيه مقبرتها . والأول هو المراد هنا .

فإن بـــــــنى عمْرو لئامٌ أذلّةٌ   لئن لم يَفُــكّوا[1] عن أَسِيرهم الــكَبْلاَ

فأجابه حسّان بن ثابت فقال :

لو كان سعدٌ يوم مكّة مُطْلَقاً   لأ كـثَر فيكم قبلَ أن يُؤْسَر القَتْلاَ

بعَضْب حُسام أو بِصَفْراءَ نَبْعَة   تحِنّ إذا ما أُنبِضَتْ تَحْفِزِ النَّبْلا[2]

ومشى بنو عَمْرو بن عَوْف إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبروه خبَرَه وسألوه أن يُعطيهم عمرو بن أبي سُفيانِ فيَفُــكّوا[3] ، به صاحبَهم ، ففَعل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم . فبعثوا به إلى أبي سُفْيان، فخلّى سبيلَ سعد . ٥

أسر أبي العاص ابن الربيع

قال ابن إسحاق :

وقد كان فى الأَسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شَمْس، خَتَن رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وزوج ابنته زَينب . ١٠

قال ابن هشام : أسره خِراش[4] بن الصِّمّة ، أحد بنى حَرام .

قال ابن إسحاق :

سبب زواج أبي العاص من زينب

وكان أبو العاص من رجال مكّة المَعْدودين : مالاً ، وأمانةً ، وتجارةً ، وكان لهالةَ بنت خُوَيلد ، وكانت خديجةُ خالتَه . فسألت خديجةُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يزوِّجه ، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا يُخالفها ، وذلك قبل أن يَنزل عليه الوحى ، فزوّجه ، وكانت تَعُدُّه بمنزلة ولدها . فلما أ كرم الله رسولَه صلّى الله عليه وسلّم بنُبُوّته آمنت به خديجةُ و بناتُهُ، فصدَّقْنه، وشَهِدْن أنّ ما جاء به الحق ، ودِنَّ بِدِينه ، وثبت أبو العاص على شِرْ كه . ١٥

سعى قريش فى تطليق بنات الرسول من أزواجهن

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد زوّج عُتْبةَ بن أبي لهب رُقَيّةَ ،

---

(١) فى م ، ر : « يكفوا » . ٢٠

(٢) العضب : السيف القاطع : والصفراء : القوس . والنبع : شجر تصنع منه القسى . وتحن ، أى يصوت وترها . وأنبضت ، أى مد وترها . والإنباض : أن يحرك وتر القوس ويعد . وتحفز النبل ، أى تقذف به وترميه .

(٣) فى م ، ر : « فيكفوا » .

(٤) وقيل : بل الذى أسر أبا العاص هو عبد الله بن جبير . ٢٥

أو أمّ كُلْثوم[1] . فلمّا بادَى قريشاً بأمر الله تعالى وبالعداوة ، قالوا : إنكم قد فرّغتم محمداً من همّه، فرُدُّوا عليه بنَاتِه ، فاشغَلوه بهنّ . فمشَوْا إلى أبى العاص فقالوا له : فارِقْ صاحبتَك ونحن نزوّجك أى امرأة من قريش شئْتَ ؛ قال : لا والله ، إنّى[2] لا أفارق صاحبتى ، وما أحبّ أنّ لى بامرأتى امرأةً من قريش .

٥ وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يثنى عليه فى صِهْره خيراً ، فيما[3] بلغنى . ثم مشَوْا إلى عُتْبة بن أبى لهب ، فقالوا له : طلّق بنتَ محمد ونحن نُنْكحك أىّ امرأة من قريش شِئْتَ ؛ فقال : إن زوّجتمونى بنت أبان بن سَعيد بن العاص ، أو بنت سَعيد بن العاص فارقْتُها . فزوّجوه بنت سَعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن دَخل بها ؛ فأخرجها الله من يده كرامةً لها وهواناً له ، وخلَفَ عليها عثمانُ

١٠ ابن عفّان بعده .

أبو العاص عند الرسول وبعث زينب فى فدائه

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا يُحِلّ بمكة ولا يحرّم ، مغلوبًا على أمره ؛ وكان الإسلام قد فرّق بين زَيْنب بنت رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أسْلمتْ و بين أبى العاص بن الربيع ، إلا أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان لا يَقْدِر أن يفرِّق بينهما ، فأقامت معه على إسلامها وهو على

١٥ شِرْكه ، حتى هاجر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ، فأُصِيب فى الأسارَى يومَ بدر ، فكان بالمدينة عند رسولِ صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عبّاد ، عن عائشة ، قالت :

---

٢ (١) قال السهيلى : « كانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عتبة بن أبى لهب ، وأم كلثوم تحت عتيبة ، فطلقاهما بعزم أبيهما عليهما وأمهما حين نزلت: « تبت يدا أبى لهب » . فأما عتيبة فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه ، فافترسه الأسد من بين أصحابه وهم نيام حوله ؛ وأما عتبة ومعتب ابنا أبى لهب فأسلما ، ولهما عقب » .

(٢) فى الأصول : « إذا » .

٢ (٣) فى م ، ر : « فما » وهو تحريف .

لما بعث أهلُ مكة في فداء أُسَرائهم ، بعثتْ زينبُ بنت رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم في فداء أبي العاص بن الرّبيع بمالٍ ، وبعثت فيه بقِلادة لها كانت خديجةُ أَدْخلتها بها على أبي العاص حين بنَى عليها ؛ قالت : فلمّا رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم رقّ لها رِقّةً شديدةً ، وقال : إن رأيتم أن تُطْلقوا لها أسيرَها ، وتردّوا عليها مالَها ، فافعلوا ؛ فقالوا : نعم ، يا رسولَ الله . فأَطْلقوه ، ٥
وردّوا عليها الذى لها .

خروج زينب إلى المدينة

تأهبها وإرسال الرسول رجلين ليصحباها

[قال][1] :

وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قد أخذ عليه ، أو وَعَد[2] رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ذلك ، أن يخلّى سبيلَ زينب إليه ، أو كان فيما ١٠ شَرط عليه في إطلاقه ، ولم يَظْهَر ذلك منه ولا من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيُعْلَمَ ما هو ، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخُلّى سبيلُه، بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : كُونا ببَطْن يَأجَج[3] حتى تمرّ بكما زينبُ ، فتَصْحباها حتى تأتياني بها . فخرجا مكانَهما ، وذلك بعد بَدْر بشهر أو شَيْعِه[4] فلمّا قَدِم أبو العاص مكةَ أمرها باللّحوق ١٥ بأبيها ، فخرجت تجهّز .

هند تحاول تعرف أمر زينب

قال ابن إسحاق : فحدّثني عبدُ الله بن أبي بكر قال : حُدِّثت عن زينب أنها قالت :

بينا أنا أتجهّز بمكة للّحوق بأَبي لقيتْني هندُ بنت عُتبة ، فقالت : يا بنت محمد ، ألم يبلغني أنّك تُريدين اللحوقَ بأبيك ؟ قالت : فقلت : ما أردت ذلك ؛ ٢٠ فقالت : أي أُبنة عمّي ، لا تفعلي ، إن كانت لك حاجةٌ بمتاع مما يَرْفُق بك في سفرك ، أو بمال تَتَبلّغين به إلى أبيك ، فإن عندي حاجَتك ، فلا تَضْطَني[5] منّي ،

(١) زيادة عن ا .
(٢) في م ، ر : « وأوعد » .
(٣) يأجج : موضع على ثمانية أميال من مكة . (٤) شيعه : قريب منه . ٢٥
(٥) لاتضطنى : لاتستحي . وأصله : الهمز ؛ يقال : اضطنأت المرأة ، إذا استحيت ، فخفف الهمزة تخفيفا . ويروى : « فلا تظطنى » (بالظاء المعجمة) وهو من ظننت، بمعنى اتهمت ، أي لا تتهميني ولاتسترِيبي مني .

فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، قالت : ولكنى خِفْتُها ، فأنكرتُ أن أكون أُريد ذلك ، وتجهّزت

ما أصاب زينب من قريش عند خروجها ومشورة أبي سفيان

فلما فرغتْ بنتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من جهازها قدّم لها حَمُوها كِنانةُ ابن الرّبيع أخو زَوْجها ، بعيراً ، فركِبَته، وأخذ قوسَه وكِنانتَه، ثم خرج بها نهاراً يقُود بها، وهى فى هَوْدج لها . وتحدّث بذلك رجالٌ من قريش، فخَرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طُوى ، فكان أولَ من سبق إليها هَبّار بن الأسود بن المطّلب ابن أسد بن عبد العُزّى ، والفِهْرِىّ[1] ؛ فروّعها هبّار بالرمح ، وهى فى هَوْدجها ، وكانت المرأةُ حاملاً ــ فيما يزعمون ــ فلما رِيعتْ طَرحتْ ذا بَطْنها[2] ، وبَرَكَ حموها كنانةُ ، ونثر كِنانَته ، ثم قال : والله لا يدنو منّى رجلٌ إلا وضعتُ فيه سهماً، فتَكَرْكر[3] الناسُ عنه . وأتى أبو سفيان فى جلّة من قُرَيش، فقال : أيها الرجل ، كُفّ عنّا نَبْلك حتى نكلّمك ، فكَفّ ؛ فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رءوس الناس علانيةً ، وقد عرفتَ مُصيبتنا ونَكْبتنا ، وما دخل علينا من محمد ، فيظنّ الناسُ إذا خرجتَ بابنته إليه علانيةً على رءوس الناس من بين أَظهُرنا، أنّ ذلك عن ذلّ أصابنا عن مُصيبتنا التى كانت، وأنّ ذلك منا ضَعْف ووَهْن . ولعمرى مالنا بحَبْسها عن أبيها من حاجة ، وما لنا فى ذلك من ثُؤْرة[4] ، ولكن أُرجع بالمرأة ، حتى إذا هدأت

---

(١) فى الأصول : « الفهرى » بدون واو . والتصويب عن الروض الأنف . قال السهيلى : « قال : وسبق إليها هبار بن الأسود والفهرى ، ولم يسم ابن إسحاق الفهرى ، وقال ابن هشام : هو نافع بن عبد قيس ، وفى غير السيرة أنه خالد بن عبد قيس . هكذا ذكره البزار فيما بلغنى » . وسيذكر ابن هشام اسمه بعد قليل .

(٢) وذكر عن غير ابن إسحاق أن هبارا نخس بها الراحلة فسقطت على صخرة وهى حامل، فهلك جنينها ، ولم تزل تهريق الدماء حتى ماتت بالمدينة بعد إسلام بعلها أبى العاص . (راجع الاستيعاب والروض) .

(٣) تكركر الناس عنه : رجعوا وانصرفوا .

(٤) الثؤرة : طلب الثأر .

الأصوات ، وتحدّث الناسُ أن قد رددْناها ، فسُلَّها سرًّا وأَلحِقها بأبيها؛ قال: ففعل . فأقامت ليالى ، حتى إذا هدأت الأصواتُ خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقَدِما بها على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

شعر لأبى خيثمة فيما حدث لزينب

قال ابن إسحاق :

فقال عبدُ الله بن رَواحة ، أو أبو خَيْثمة ، أخو بَنى سالم بن عَوْف ، فى ٥
الذى كان من أمر زينب ـ قال ابن هشام : هى لأبى خَيثمة ـ :

أتانى الذى لا يَقدُر الناسُ قدرَه ... لزينبَ فيهم من عُقوق ومَأْثَمِ
وإخــراجُها لم يُخْزَ فيها محمد ... على مَأْقِطٍ وبيننا عِطْر مَنْشَمَ (١)
وأمْسَى أبو سُفيان من حِلفِ ضَمْضَم ... ومِنْ حَرْبنا فى رَغْم أنفٍ ومَنْدم
قَرَنّا أبنَه عَمْرا ومــولَى يمينِه ... بذى حَلَقٍ جَلْدِ الصَّلاصل مُحْكَم (٢) ١٠
فأقسمتُ لا تَنفَكّ منّا كتائبٌ ... سَراةُ خَميسٍ فى (٣) لُهَام مُسَوَّم (٤)
نزوع قريشَ الكُفر حتى نَعُلَّها (٥) ... بخاطمــةٍ فوق الأنوف بِمِيسَم (٦)

(١) المأقط : معترك الحرب . وعطر منشم : كناية عن شدة الحرب ؛ وهو مثل ، وأصله فيما زعموا ، أن منشم كانت امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب ، فيشترى منها للموتى ، حتى تشاءموا بها لذلك . ١٥

وقيل : إن قوما تحالفوا على الموت فغمسوا أيديهم فى طيب منشم المذكورة تأكيدا للحلف ، فضرب طيبها مثلا فى شدة الحرب .

وقيل : منشم امرأة من غدانة ، وهو بطن من تميم ، ثم من بنى يربوع بن حنظلة ، وأن هذه المرأة هى صاحبة يسار ، الذى يقال له : يسار الكواعب ، وأنه كان عبدا لها ، وأنه راودها عن نفسها ، فقالت له : أمهلنى حتى أشمك طيب الجزائر ، فلما أمكنها من أنفه أنحت عليه بالموسى ، حتى أوعبته جدعا ، فقيل فى المثل : لاقى الذى لاقى يسار الكواعب ؛ فقيل : عطر منشم . (راجع الأمثال ، وفرائد اللآل ، والروض). ٢٠

(٢) بذى حلق ، يعنى الغل . والصلاصل : جمع صلصلة ، وهى صوت الحديد .

(٣) فى م ، ر : « من » .

(٤) الكتائب : العساكر . والسراة : السادة . والخميس : الجيش : واللهام : الكثير . والمسوم : المعلم ، من السمة ، وهى العلامة . ٢٥

(٥) كذا فى ا . ونزوع قريش الكفر : نسوقهم كما نساق الإبل . وفى سائر الأصول : « نزوع » .

(٦) نعلها ، أى نستذلهم ، ونعيد عليهم الكرة . وبخاطمة ، أى بما نخطمهم به . يقال : خطمه بالخطام ، أى جعله على أنفه ، يريد القهر والغلبة . والميسم : الحديدة التى توسم بها الإبل . ٣٠

تُنَزِّلهم أكناف نجْد ونَخْلة ... وإنْ يُتْهِموا بالخيل والرَّجْل نُتْهِمِ[1]
يدَ الدَّهْر حتى لا يُعوَّجَ سِرْبُنا[2] ... ونُلْحِقهم آثار عادٍ وجُرْهُمِ[3]
ويَنْدَم قومٌ لم يُطيعوا محمداً ... على أمرهم وأىّ حينَ تَنَدُّم
فأَبْلِغْ أبا سفيان إمّا لَقِيتَه ... لئن أنت لم تُخْلِصْ سجوداً وتُسْلِمِ
٥ فأبشر بِخزْى فى الحياة مُعجَّل ... وسِرْبال قارٍ خالداً فى جهنّمِ[4]

قال ابن هشام : ويروى : وسربال نار .

قال ابن إسحاق :

الخلاف بين ابن إسحاق وابن هشام فى مولى يمين أبى سفيان

ومولى يمين أبى سفيان ، الذى يعنى : عامر بن الحضرمىّ : كان فى الأُسارى ، وكان حِلْف الحَضْرمىّ إلى حَرْب بن أُمية .

١٠ قال ابن هشام : مولى يمين أبى سفيان ، الذى يعنى : عقبة بن عبد الحارث ابن الحَضْرمى ، فأما عامر بن الحضرمى فقُتِل يوم بدر .

شعر هند وكنانة فى خروج زينب

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتْهم هندُ بنت عتبة ، فقالت لهم :

أفى السِّلْم أَعْيارٌ جَفاءً وغلْظةً ... وفى الحَرْب أشباهُ النِّساء العَوارِكِ[5]

وقال كِنانةُ بن الرّبيع فى أمر زَيْنب ، حين دَفَعها إلى الرجُلَيْن[6] :

١٥ عَجِبْتُ لهبّار وأَوْباش قَوْمه ... يُريدون إخْفارى ببنت محمَّدِ[7]
ولست أُبالى ما حَيِيتُ عَدِيدَهم ... وما استجمعتْ قَبْضًا يَدِى بالمُهنَّدِ[8]

---

(١) الأكناف : النواحى . ونجد : يريد به ما ارتفع من أرض الحجاز . ونخلة : موضع قريب من مكة : وأتهم : إذا أتى تهامة ، وهى ما انخفض من الأرض .

(٢) كذا فى ا ، ط . ويد الدهر ، أى أبد الدهر . وفى سائر الأصول : « بدا الدهر » .
٢٠ وهو تحريف .

(٣) السرب (بالكسر) : الطريق . (وبالفتح) : المال الذى يرعى . وعاد وجرهم : أمتان قديمتان .

(٤) القار : الزفت .

(٥) السلم (بفتح السين وكسرها) : الصلح . والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار . والنساء
٢٥ العوارك : الحيض ؛ يقال : عركت المرأة ، إذا حاضت .

(٦) يريد « بالرجلين » : زيد بن حارثة والأنصارى الذى كان معه .

(٧) أوباش القوم : ضعفاؤهم الذين يلصقون بهم ويتبعونهم . وإخفارى ، أى نقض عهدى .

(٨) كذا فى ا ، ط . والعديد : الكثرة والجماعة . وفى سائر الأصول : « فديدهم » . والفديد : الصراخ .

الرسول يحل دم هبار

قال ابن إسحاق : حدّثنى يزيد بن أبى حَبيب ، عن بُكَير بن عبد الله ابن الأَشجّ، عن سُليمان بن يَسار، عن أبى إسحاق الدَّوْسى، عن أبى هُريرة قال:

بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم سَرِيّةً أنا فيها ، فقال لنا : إن ظَفِرتم بهبّار بن الأَسْود ، أو الرجل [الآخر](١) الذى سبق معه إلى زينب ــ قال ابن هشام: وقد سمى ابن إسحاق الرجل فى حديثه [وقال: هو نافع بن عبد قيس](١) ــ فحرِّقُوهما بالنار . قال : فلمّا كان الغدُ بعث إلينا فقال : إنى كنتُ أمَرْتكم بتَحْريق هذين الرجلَيْن إن أَخَذْتموها ، ثم رأيتُ أنه لا ينبغى لأحد أن يعذِّب بالنار إلا الله ، فإن ظَفِرْتم بهما فاقتلوهما .

إسلام أبى العاص بن الربيع

استيلاء المسلمين على تجارة معه وإجارة زينب له

قال ابن إسحاق :

وأقام أبو العاص بمكة ، وأقامت زَيْنب عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة ، حين فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قُبيل الفَتح، خَرج أبو العاص تاجراً إلى الشأم ، وكان رجلا مأمونا، بمال له وأموال لرجال من قريش، أَبْضعوها معه ، فلما فرغ من تجارته وأَقْبل قافلاً، لقيتْه سريّة لرسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم، فأصابُوا ما معه ، وأَعْجزهم هاربًا ، فلما قَدِمَتْ السَّرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخَل على زَيْنب بنت رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فاستجار بها، فأجارتْه ، وجاء فى طَلب ماله ، فلما خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى الصُّبح ــ كما حدّثنى يزيد بن رُومان ــ فكبّر وكبّر الناس معه ، صرختْ زينب من صُفّة(٢) النساء : أيها الناس ، إنى قد أجرتُ أبا العاص بن الرّبيع .

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) الصفة : السقيفة .

قال . فلما سلّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الصلاة أقبل على الناس ، فقال: أيها الناس ، هل سَمِعتم ما سمعتُ ؟ قالوا : نعم ؛ قال : أما والذى نفسُ محمد بيده ما علمتُ بشىء من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتم ، إنه يُجير على المُسلمين أدْناهم . ثم انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فدخل على ابنته ، فقال : أى بُنية ، ٥ أَكْرمى مثواه ، ولا يَخْلُصنّ إليك ، فإنك لا تَحلّين له .

المسلمون يردون عليه ماله ثم يسلم

قال ابن إسحاق وحدّثنى عبدُ الله بن أبى بكر :

أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث إلى السّريّة الذين أصابوا مال أبى العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منّا حيثُ قد عَلمْتم ، وقد أصبتم له مالاً ، فإن تُحْسِنوا وتردّوا عليه الذى له ، فإنّا نحب ذلك ، و إن أبيتم فهو فَىْء الله الذى ١٠ أفاء عليكم ، فأنتم أحقّ به ؛ فقالوا : يا رسول الله ، بل نردّه عليه . فردّوه عليه ، حتى إن الرجل ليأتى بالدّلْو ويأتى الرجل بالشَّنّة[1] وبالإداوة[2] ، حتى إن أحدهم ليأتى بالشِّظاظ[3] ، حتى ردّوا عليه مالَه بأسْره ، لا يفقد منه شيئاً . ثم احتمل إلى مكة، فأدّى إلى كل ذى مال من قُريش ماله ، ومن كان أبْضعَ معه، ثم قال : يا معشر قُريش ، هل بَقى لأحدٍ منكم عندى مال لم يأْخذه ؛ قالوا : ١٥ لا . فجزاك الله خيراً ! فقد وجَدْناك وفيًّا كريماً ؛ قال : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، والله ما مَنعنى من الإسلام عنده إلا تخوّف أن تظنّوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم ، فلما أدّاها الله إليكم وفرغتُ منها أسْلمتُ . ثم خرج حتى قَدِم على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

زوجته ترد إليه

قال ابن إسحاق: وحدّثنى داود بن الحُصَين عن عِكْرمة عن ابن عباس، قال:

---

٢٠ (١) الشنة : السقاء البالى .

(٢) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٣) الشظاظ : خشبة عقفاء تدخل فى عروتى الجوالق ، والجمع : أشظة .

ردّ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زينبَ على النّكاح الأول لم يُحْدِث شيئاً(۱) [بعد ستّ سنين](۲) .

مثل من أمانة أبي العاص

قال ابن هشام : وحدّثنى أبو عُبيدة :

أنّ أبا العاص بن الرّبيع لمّا قَدِم من الشام ومعه أموالُ المُشركين ، قِيل له : هل لك أن تُسلم وتأخذ هذه الأموالَ ، فإنها أموالُ المُشركين ؟ فقال أبو العاص : بئس ما أبدأُ به إسلامى أنْ أخُون أمانتى .

قال ابن هشام : وحدّثنى عبدُ الوارث بن سَعيد التَّنُّورى ، عن داود بن أبى هِنْد ، عن عامر الشَّعْبى ، بنحو من حديث أبى عُبيدة عن أبى العاص .

الذين أطلقوا من غير فداء

قال ابن إسحاق :

فكان ممن سُمّى لنا من الأَسارى ممّن مُنّ عليه بغير فِداء ، من بَنى عَبْد شَمْس بن عبد مناف : أبو العاص بن الرّبيع بن عبد العزَّى بن عبد شَمْس ، مَنّ عليه رسولُ الله صلّ الله عليه وسلّم بعد أن بَعَثَت زينبُ بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بفدائه . ومن بنى مَخْزوم [بن يقظة](۲) : المُطّلب بن حَنْطَب ابن الحارث بن عُبيدة بن عُمر بن مَخْزوم ، كان لبعض بنى الحارث بن الخَزْرج ، فتُرِكَ فى أيديهم حتى خلّوا سبيلَه . فلَحِق بقومه .

قال ابن هشام :

أسره خالد بن زيد ، أبو أيّوب [الأنصارى](۳) ، أخو بنى النجّار .

---

(۱) قال السهيلى : « ويعارض هذا الحديث مارواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم : ردها عليه بنكاح جديد . وهذا الحديث هو الذى عليه العمل ، وإن كان حديث داود بن الحصين أصح إسنادا عند أهل الحديث . ولكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت ، لأن الإسلام قد كان فرق بينهما . قال الله تعالى : « لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن » . ومن جمع بين الحديثين قال فى حديث ابن عباس : معنى ردها عليه على النكاح الأول ، أى على مثل النكاح الأول فى الصداق والحباء ، لم يحدث على ذلك من شرط ولا غيره » .

(۲) هذه العبارة ساقطة فى ا .

(۳) زيادة عن ا .

قال ابن إسحاق :

وصَيْفِيُّ بن أبي رِفاعة بن عابد[1] بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ، تُرِك في أيدي أصحابه ، فلمّا لم يَأْت أحدٌ في فدائه أخذُوا عليه ليبعثَنّ إليهم بفِدائه ، فخلّوا سبيلَه ، فلم يَفِ لهم بشيء ؛ فقال حسّان بن ثابت في ذلك :

٥ وما كان صَيْفِيٌّ ليُوفِيَ ذِمّةً[2] قَفَا ثَعْلبٍ أَعْيا ببَعضِ المَوارِدِ

قال ابن هشام : وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن إسحاق :

وأبو عَزّة ، عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أُهَيْب بن حُذَافة بن جُمَح ، كان محتاجًا ذا بنات ، فكلّم رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال :

١٠ يا رسول الله ، لقد عرفتَ ماليَ من مالٍ ، وإني لذو حاجة ، وذو عِيال ، فامنُن عليّ ؛ فمنّ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وأخذَ عليه ألاّ يُظاهر[3] عليه أحداً . فقال أبو عَزّة : في ذلك يمدح رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ويذكر فضلَه في قومه :

مَنْ مُبْلغٌ عنّي الرسولَ محمداً بأنك حقٌّ والمَليك حَميدُ

١٥ وأنت امرؤٌ تَدْعو إلى الحقّ والهُدى عليك من الله العظيم شَهيدُ

وأنت امرؤ بُوّئْتَ فينا مَباءةً لها درجاتٌ سَهْلة وصُعُود[4]

فإنك مَنْ حارَبْتَه لُمحارَبٌ شَقِيٌّ ومن سالَمْته لسَعِيد

---

(١) في الأصول : « عائذ » . والتصويب عن شرح السيرة لأبي ذر . قال أبو ذر : « قال الزبير بن بكار فيما حكى الدارقطني عنه : كل من كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد ، يعني

٢٠ بالباء والدال المهملة ؛ وكل من كان من ولد عمران بن مخزوم فهو عائذ ، يعني بالياء المهموزة والذال المعجمة » .

(٢) كذا في ديوان حسان طبع أوربا : « ذمة » وفي الأصل : « أمانة » .

(٣) المظاهرة : المعاونة .

(٤) بوئت فينا مباءة ، أي نزلت فينا منزلة .

ولـكنْ إذا ذُكِّرْتُ بدرًا وأهلَه تأوَّبَ مابى حَسْرةٌ وقعــود[1]

ثمن الفداء

قال ابن هشام :

كان فداء المُشركين يومئذ أربعةَ آلاف درهم للرجل ، إلى ألف درهم ، إلا من لا شىء له ، فمنّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عليه .

إسلام عمير بن وهب

صفوان يحرضه على قتل الرسول

قال ابن إسحاق : وحدّثنى محمد بنُ جَعْفر بن الزُّبير عن عُروة بن الزُّبير قال : جلس عُمير بن وهب الجُمحى مع صَفْوان بن أُمية بعد مُصاب أهل بدر من قُريش فى الحِجْر بيَسير ، وكان عُمَير بن وَهْب شيطانًا من شياطين قُريش ، وممّن كان يُؤذى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابَه ، ويلْقون منه عَناء وهو بمكة ، وكان ابنهُ وَهْب بن عُمير فى أسارى بدر .

قال ابن هشام : أسره رفاعةُ بن رافع أحد بنى زُرَيق .

قال ابن إسحاق: حدّثنى محمد بن جَعْفر بن الزُّبير ، عن عُرْوة بن الزُّبير قال: فذكر أصحابَ القَليب ومُصابهم ، فقال صفوان : والله إنْ فى العيش بعدهم خيرٌ؛ قال له عُمير : صدقت والله ، أمَا والله لولا دَيْنٌ علىّ ليس له عندى قضاء ، وعيالٌ أخشى عليهم الضَّيعةَ بعدى ، لركبتُ إلى محمد حتى أقتلَه ، فإنّ لى قبلهم علّةً : ابنِى أسيرٌ فى أيديهم ؛ قال : فاغتنمَها صفوان وقال : علىّ دينُك ، أنا أقْضيه عنك ، وعيالُك مع عيالى أُواسيهم ما بقُوا ، لا يَسَــعنى شىء ويعجز عنهم ؛ فقال له عُمير : فاكتُم شأنى وشأنك ؛ قال : أَفْعل .

رؤية عمر له وإخباره الرسول بأمره

قال : ثم أمر عُميرٌ بسَيْفه ، فشُحِذ له وسُمّ ، ثم انطلق حتى قدِم المدينَة ؛

---

(1) تأوب : رجع .

فبينا عمرُ بن الخطّاب فى نَفر من المُسلمين يتحدّثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكْرمهم الله به، وما أراهم من عدوّهم ، إذ نظر عمرُ إلى عُمَير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشّحاً السيف ، فقال : هذا الكلب عدوّ الله عُمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشرّ، وهو الذى حرّش[1] بيننا ، وحَزَرنا[2] للقوم يوم بَدْر .

٥ ثم دخل عمرُ على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : يا نبىّ الله ، هذا عدوُّ الله عُمير بن وهب قد جاء متوشّحا سيفَه ؛ قال : فأَدْخله علىّ ، قال : فأقبل عُمر حتى أخذ بحِمَالة سيفه فى عُنقه فلبَّبه بها ، وقال لرجال ممّن كانوا معه من الأنصار : ادخُلوا على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخَبيث ، فإنه غيرُ مأمون ؛ ثم دخل به على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم.

الرسول يحدثه بما بيته هو وصفوان فيسلم

١٠ فلما رآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وعمرُ آخذٌ بحمالة سَيْفه فى عُنقه قال : أرْسله يا عمر ، أدْنُ يا عُمير ؛ فدنا ثم قال : أنْعَمُوا صباحًا ، وكانت تحية أهل الجاهليّة بينهم ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : قد أكْرمنا الله بتحيّة خير من تحيّتك يا عُمير ، بالسّلام : تحيّة أهل الجنّة ؛ فقال : أما والله يا محمّد إنْ كنتُ بها لحديث عهد ؛ قال : فما جاء بك يا عُمير ؟ قال : جئتُ لهذا الأسير ١٥ الذى فى أيْديكم فأَحْسِنوا فيه ؛ قال : فما بالُ السيف فى عُنقك ؟ قال : قبّحها الله من سُيوف ! وهل أَغْنت عنا شيئاً ! قال : اصْدُقنى ، ما الذى جئتَ له ؟ قال : ما جئتُ إلا لذلك ؛ قال : بل قعدتَ أنت وصفوانُ بن أمية فى الحِجْر ، فذكرتما أصحابَ القَليب من قُريش ، ثم قلت : لولا دَيْنٌ علىّ وعيالٌ عندى لخرجتُ حتى أقتل محمداً ، فتحمّل لك صفوان بدَيْنك وعيالك ، على أن ٢٠ تقتلنى له ، والله حائلٌ بينك و بين ذلك ؛ قال عُمير : أشهد أنك رسولُ الله ، قد كنّا يا رسولَ الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما

---

(١) حرش : أفسد .

(٢) الحزر : تقدير العدد تخمينا .

يَنزل عليك من الوحى ، وهذا أمرٌ لم يحضُره إلا أنا وصَفْوان ، فوالله إنى لا أعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمدُ لله الذى هدانى للإسلام ، وساقنى هذا المَساق ، ثم شهِد شهادة الحق . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فقِّهوا أخاكم فى دينه . وأَقْرِئوه القرآن ، وأَطْلقوا له أسيرَه ، ففعلوا .

رجوعه إلى مكة يدعو للإسلام

ثم قال : يا رسول الله ، إنى كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل ، وأنا أحب أنْ تأذن لى ، فأقدَم مكة ، فأدعوهم إلى الله تعالى ، و إلى رسوله صلّى الله عليه وسلّم ، و إلى الإسلام ، لعلّ الله يهديهم ، و إلا آذيتُهم فى دينهم كما كنت أُوذِى أصحابك فى دينهم ؟ قال : فأذن له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فلَحِق بمكة . وكان صفوانُ بن أُمية حين خرج عُمير بن وهب ، يقول : أَبْشِروا بوَقْعة تأتيكم الآن فى أيام ، تُنْسيكم وقعةَ بدر ، وكان صفوانُ يسأل عنه الرُّكْبان، حتى قَدِم راكبٌ فأخبره عن إسلامه، فحلَف أن لا يكلّمه أبدا ، ولا ينْفعه بنفع أبداً .

قال ابن إسحاق :

فلما قَدِم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، و يُؤْذى مَنْ خالفه أذًى شديدا ، فأسلم على يديه ناسٌ كثير .

هو أو ابن هشام الذى رأى إبليس. وما نزل فيه

قال ابن إسحاق :

وعُمير بن وَهْب ، أو الحارث بن هشام ، قد ذُكر لى أحدهما ، الذى رأى إبليسَ حين نَكَص على عَقِبيه يوم بدر ، فقال : أينَ ، أىْ سُراق ؟ ومثَلَ[1] عدوّ الله فذَهب ، فأنزل الله تعالى فيه . « وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ

---

(١) مثل ، أى لطئ بالأرض واختفى ، وهو من الأضداد ، يكون الماثل : القائم ؛ ويكون الماثل (أيضا) : اللاطئ بالأرض .

لاَ غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ » . فذكر استدراج إبليس إياهم ، وتَشبّهه بسُراقة بن مالك بن جُعْشم لهم ، حين ذكروا ما بينهم و بين بَنى بَكْر بن عبد مَناة بن كنانة فى الحرب التى كانت بينهم . يقول الله تعالى : « فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ » ونظر عدوّ الله إلى جنود الله من الملائكة ، قد أيّد الله بهم رسولَه صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين على عدوّهم « نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّي بَرِىءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَالاَ تَرَوْنَ ». وصدق عدو الله ، رأى مالم يَرَوْا وَقالَ : « إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ » . فذُكِر لى أنهم كانوا يَرَوْنه فى كل منزل فى صُورة سُراقة لا يُنكرونه ، حتى إذا كان يوم بدر ، والتقى الجمعان نكص على عقبيه ، فأوْردهم ثم أسْلمهم .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

نكص : رجع . قال أَوْس بن حَجَر ، أحد بنى أُسَيْد بن عَمْرو بن تَميم :

نَكَصتُمْ على أعقابكم يومَ[1] جِئْتُمُ ... تُزَجُّون أنفالَ الخَمِيس العَرَمْرَم[2]

وهذا البيت فى قصيدة له :

شعر لحسان فى الفخر بقومه وما كان من تغرير ابليس بقريش

قال ابن إسحاق :

وقال حسّان بن ثابت :

قَوْمى الذين همُ آوَوْا نبيّهمُ ... وصدّقوه وأهلُ الأرض كُفّارُ

إلا خصائصَ أقوامٍ همُ سَلَفٌ ... للصالحين مع الأنصار أنْصار

مُسْتبشرين بقَسْمِ الله قولُهم ... لمّا أتاهُمْ كريمُ الأَصل مُختار:[3]

أهلاً وسهلاً ففى أَمْنٍ وفى سَعَة ... نِعْم النبىُّ ونِعْم القِسْم والجار

(١) فى ا : « ثم » .

(٢) تزجون : تسوقون سوقا رفيقا، وفعله : زجى يزجى (بالتضعيف) . والخميس : الجيش. والعرمرم : الكثير المجتمع .

(٣) القسم (بالكسر) : الحظ والنصيب .

فأنْزلوه بدَارٍ لا يُخاف بها من كان جارَهم دارًا هى الدار
وقاسمُوه بها الأمْوال إذ قدموا مهاجرِين وقِسْمُ الجاحدِ النار
سِرْنا وسارُوا إلى بَدْر لحَيْنهم لو يعلمون يَقين العِلم ما ساروا
دلاّهمُ بغُرور ثم أسْلمهم إنّ الخَبيث لمن والاه غرّار
وقال إنى لكم جارٌ فأوْرَدَهم شرَّ المَوارد فيه الخِزْى والعار ٥
ثم التقينا فولَّوْا عن سَراتِهم مِنَ مُنْجدين ومنهم فِرْقة غارُوا[١]

قال ابن هشام :

أنشدنى قوله : « لما أتاهم كريم الأصل مختار » أبو زيد الأنصارى .

المطعمون من قريش

قال ابن إسحاق : ١٠

من بنى هاشم

وكان المُطْعمون[٢] من قُريش ، ثم من بَنى هاشم بن عبد مناف : العبّاس ابن عبد المُطلب بن هاشم .

ومن بنى عَبْد شَمْس بن عبد مناف : عُتْبة بن رَبيعة بن عَبْد شَمْس .

من بنى نوفل

ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر[٣] بن نوفل ، وطُعَيمة ابن عَدِىّ بن نوفل ، يعتقبان ذلك . ١٥

من بنى أسد

ومن بنى أسَد بن عبد العزّى : أبا البَخْترىّ بن هشام بن الحارث بن أسَد . وحَكِيم بن حزام بن خُوَيلد بن أسد : يَعْتقبان ذلك .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدّار بن قُصىّ : النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة بن عَلْقمة بن عبد مناف بن عبد الدار .

(١) سراة القوم : خيارهم. وغاروا: قصدوا الغور، وهو ما انخفض من الأرض، يريد: تشتتوا. ٢٠
(٢) المطعمون : من كانوا يطعمون الحاج فى كل موسم يعدون لهم طعاما وينحرون لهم إبلا فيطعمونهم ذلك فى الجاهلية .
(٣) فى م ، ر : « عمرو » . وهو تحريف .

قال ابن هشام : نسب النضر

و يقال : النضر بنُ الحارث بنِ عَلْقمة بن كَلَدة بن عبد مناف بن عبد الدار.

قال ابن إسحاق : من بنى مخزوم

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة : أبا[1] جهل بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله ابن عمر بنَ مَخْزوم .

ومن بنى جُمح : أُميةَ بنَ خَلف بنِ وهب بن حُذافة بن جُمح . من بنى سهم

ومن بنى سَهْم بن عمرو : نُبَيهاً ومُنَبّهاً أبنى الحجّاج بن عامر بن حُذيفة ابن سَعد بن سَهْم ، يَعْتَقبان ذلك .

ومن بنى عامر بن لؤىّ : سُهيلَ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر[2] . من بنى عامر

أسماء خيل المسلمين يوم بدر

قال ابن هشام : وحدّثنى بعضُ أهل العلم :

أنّه كان مع المُسلمين يوم بدر من الخَيْل، فَرَس مَرْثَد بن أبى مَرْثد الغَنوىّ، وكان يقال له : السَّبَل[3] ؛ وفرس المِقْداد بن عمرو البَهْرانى ، وكان يقال له : بَعْزَجة ، و يقال : سَبْحة ؛ وفرس الزُّبير بن العوّام ، وكان يقال له : اليَعْسوب .

قال ابن هشام : ومع المشركين مئة فرس[4] . خيل المشركين

---

(١) في م ، ر : « أبو » وهو تحريف .

(٢) إلى هنا ينتهى الجزء التاسع من سيرة ابن هشام .

(٣) فى الأصول : « السيل » بالياء المثناة التحتية ، وهو تحريف . (راجع شرح السيرة لأبى ذر والقاموس وشرحه) .

(٤) هذه العبارة ساقطة فى ا . وقد زادت ط عليها : « فيما ذكر لى عمر مولى عفرة » .

نزول سورة الأنفال

ما نزل فى تقسيم الأنفال

قال ابن إسحاق[1] :

فلما انقضى أمرُ بدر ، أنزل الله عزّ وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها ، فكان مما نَزَل منها فى اختلافهم فى النَّفل حين اختلفوا فيه : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . فكان عُبادة بن الصّامت — فيما بلغنى — إذا سُئل عن الأنفال، قال : فينا معشرَ أهل[2] بدر نَزَلت ، حين اختلفنا فى النَّفل يوم بدر ، فانتزعه الله من أيْدينا حين ساءت فيه أخلاقُنا ؛ فردّه على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقسّمه بيننا عن بَواء — يقول : على السواء — وكان فى ذلك تقوى الله وطاعتُه ، وطاعةُ رسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وصلاحُ ذات البَين .

ما نزل فى خروج القوم مع الرسول لملاقاة قريش

ثم ذكر القومَ ومسيرَهم مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حين عرف القومُ أنّ قريشاً قد ساروا إليهم ، و إنما خرجوا يُريدون العِير طمعاً فى الغَنيمة ، فقال : « كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ . يُجَادِلُونَكَ فِى الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ » أى كراهية للقاء القوم[3] ، و إنكارًا لمَسير قريش ، حين ذُكِروا لهم « وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ » أى الغنيمة دون الحرب « وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ » أى بالْوَقعة التى أَوْقع بصَناديد قريش وقادتهم يومَ بدر « إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ » أى لدعائهم حين نظروا إلى

(١) فى م ، ر : « قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال » .
(٢) فى ا ، ط : « أصحاب » .
(٣) فى ا : « العدو » .

كَثْرَة عدوّهم ، وقلّة عددهم « فَاسْتَجَابَ لَكُمْ » بدعاء رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ودعائكم « أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ . إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ » أى أنزلت عليكم الأمنة حين نمتم لا تخافون « وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ مَاءً » للمطر الذى أصابهم تلك الليلة ، فحبس المشركين أن يَسْبقوا إلى الماء ، وخلّى سبيل المُسلمين إليه « لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ » أى ليذهب عنكم شكّ الشيطان، لتخْويفه إياهم عدوّهم ، واستجلاد[1] الأرض لهم، حتى انتهوا إلى منزلهم الذى سَبقوا إليه عدوّهم .

ما نزل فى تبشير المسلمين بالمساعدة والنصر ، وتحريضهم

ثم قال تعالى : « إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا » . أى آزروا[2] الذين آمنوا « سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ . ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» ثم قال: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » . أى تحريضاً لهم على عدوّهم لئلا ينكلوا عنهم إذا لقوهم ، وقد وعدَهم الله فيهم ما وعدهم .

ما نزل فى رمى الرسول المشركين بالحصباء

ثم قال تعالى فى رَمْى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم إياهم بالحَصْباء من يده ، حين رماهم : « وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللهَ رَمَى » أى لم يكن ذلك برميتك ، لولا الذى جعل الله فيها من نَصْرك ، وما ألقى فى صدور عدوّك منها حين هزمهم الله « وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً » أى ليُعرِّف المؤمنين

(١) استجلاد الأرض : شدتها .

(٢) فى ا ، ط : « وازروا » وهما بمعنى .

من نعمته عليهم فى إظهارهم على عدوّهم، وقلّة عددهم، ليعرفوا بذلك حقّه، ويشكروا بذلك نعمته.

ما نزل فى الاستفتاح

ثم قال: «إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ» أى لِقَوْل أبى جهل: اللهم أَقْطَعُنا للرحم، وآتانا بما لا يُعْرف، فأَحِنْه الغداة. والاستفتاح: الإنصاف فى الدعاء. ٥

يقول الله جل ثناؤه: «وَإِنْ تَنْتَهُوا»، أى لقريش «فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ»، أى بمثل الوَقْعة التى أصبناكم بها يوم بدر: «وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ» أى أن عددَكم وكثرتكم فى أنفسكم لن تُغْنى عنكم شيئاً، وإنى مع المؤمنين، أنصُرهم على من خالفهم. ١٠

ما نزل فى حض المسلمين على طاعة الرسول

ثم قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ». أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله، وتزعُمون أنكم منه: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ»، أى كالمنافقين الذين يُظْهِرون له الطاعة، ويُسِرّون له المعصية «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ» أى المنافقون الذين نهيتُكم أن ١٥ تكونوا مثلهم، بُكْمٌ عن الخير، صُمٌّ عن الحق، لا يعقلون، لا يعرفون ما عليهم فى ذلك من النّقمة والتّباعَة[1] «وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ»، أى لأنفذ لهم قولهم الذى قالوا بألسنتهم، ولكنّ القلوب خالفت ذلك منهم، ولو خرجوا معكم «لتَوَلَّوْا وهُمْ مُعْرِضُونَ»، ما وفوا لكم بشىء مّما خرجوا عليه. «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» ٢٠ أى للحرب التى أعزّكم الله بها بعد الذل، وقوّاكم بها بعد الضعف، ومَنَعكم بها من عدوّكم بعد القَهْر منهم لكم. «وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ

(١) التباعة: التبعة.

فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » أى لا تُظهروا له من الحق ما يرضى به منكم ، ثم تُخالفوه فى السرّ إلى غيره ، فإن ذلك هلاكٌ لأماناتكم ، وخيانةٌ لأنفسكم .

٥ « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » أى فَصْلا بين الحق والباطل ، ليُظهر الله به حقّكم ، ويُطفىء به باطِلَ من خالفكم .

مانزل فى ذكر نعمة الله على الرسول

ثم ذكَّر رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بنعمته عليه ، حين مَكر به القومُ . « لِيَقْتُلُوهُ أَوْ يُثْبِتُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ »

١٠ أى فمكرتُ بهم بكيدى المتين حتى خلّصتك منهم .

مانزل فى غرة قريش واستفتاحهم

ثم ذكر غِرّة قُريش واستفتاحَهم على أنفسهم ، إذ قالوا : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ » أى ماجاء به محمد « فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ » كما أمطرتها على قوم لوط « أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » أى بعض ما عذّبت به الأمم قبلنا ، وكانوا يقولون : إنّ الله لا يعذّبنا ونحن نستغفره ، ولم

١٥ يعذّب أمةً ونبيّها معها حتى يُخرجَه عنها . وذلك من قولهم ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بين أظهرهم ، فقال تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم ، يذكر جهالتَهم وغرّتهم واستفتاحهم على أنفسهم ، حين نعَى عليهم سُوءَ أعمالهم : « وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » أى لقولهم : إنا نستغفر ومحمدٌ بين أظهرنا ، ثم قال : « وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ » .

٢٠ وإن كنتَ بين أظهرهم ، وإن كانوا يَستغفرون كما يقولون « وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » أى من آمن بالله وعَبده ، أى أنت ومن اتبعك ، « وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ » الذين يُحرِّمون حُرمته ، ويُقيمون

الصلاة عنده ، أى أنت ومن آمن بك « وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ. وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ » التى يزعمون أنه يُدفَع بها عنهم « إِلاَّ مُكاءً وَتَصْدِيةً » .

قال ابن هشام :

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

المكاء: الصفير. والتصدية. التصفيق. قال عَنْترة بن عمرو [بن شدّاد][1] العَبْسى: ٥

ولرُبَّ قِرْنٍ قد تركتُ مُجَدَّلاً   تَمْكُو فريصتُه كشِدْقِ الأَعْلَمِ[2]

يعنى : صوتَ خروج الدم من الطّعنة ، كأنه الصفير . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال الطِّرِمّاح بن حَكيم الطائى :

لها كلّما رِيعتْ صَداةٌ وَرَكْدةٌ   بمُصْدان أعلَى ابنَى شمَام البَوائنِ[3]

وهذا البيت فى قصيدة له . يعنى الأَرْوِيّة يقول : إذا فزعت قرعت بيدها ١٠ الصّفاة ، ثم ركدت تَسْمع وَقَرْعُها بيدها الصّفاة مثلُ التّصْفيق . والمُصدان : الحِرْز[4] . وابنا شمام : جبلان .

قال ابن إسحاق :

وذلك مالا يُرْضى اللهَ عزّ وجلّ ولا يحبّه ، ولا ما افترض عليهم ، ولا ما أمرهم به « فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَـكْفُرُونَ » أى لما أوقع بهم ١٥ يوم بدر من القتل .

المدة بين «يا أيها المزمل» وبدر

قال ابن إسحاق : وحدّثنى يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه عبّاد ، عن عائشة قالت :

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) مجدلا : أى لاصقا بالجدالة ، وهى الأرض . والفريصة : بضعة فى مرجع الكتف . ٢٠ ويريد «بالأعلم» : الجمل . وهو فى الأصل : المشقوق شفته العليا .

(٣) صداة ، أى تصفير . والركدة : السكون : والبوائن : التى بان بعضها عن بعض .

(٤) كذا فى ا ، ط ، والحرز : المانع الذى يحرز من لجأ إليه . وفى سائر الأصول : « الحزن » .

ما كان بين نزول : « يَـٰأَيُّهَا الْمُزَّمِّل » وقول الله تعالى فيها : « وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً . إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا . وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا » إلا يسير ، حتى أصاب اللهُ قريشاً بالوقعة يوم بدر .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام :

٥ الأنكال : القيود ؛ واحدها : نِكْل قال رُؤْبة بن العجّاج :

* يَكفيك نِكْلِي بَغْيَ كلّ نِكْلِ *

وهذا البيت فى أرجوزة له .

ما نزل فيمن عاونوا أبا سفيان

قال ابن إسحاق :

ثم قال الله عزّ وجلّ : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ ١٠ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ » يعنى النفر الذين مَشَوْا إلى أبى سفيان ، وإلى من كان له مالٌ من قُريش فى تلك التّجارة ، فسألوهم أنْ يُقوّوهم بها على حرب رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ففعلوا .

ثم قال : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ ١٥ يَعُودُوا » لحَرْبك « فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ » أى من قُتل منهم يوم بَدْر .

الأمر بقتال الكفار

ثم قال تعالى : « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ » أى حتى لا يُفتَن مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصاً ، ليس له فيه شريك ، ويُخلَع مادونه من الأنداد « فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَإِنْ تَوَلَّوْا » عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ، « فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ » ٢٠ الذى أعزّكم ونصركم عليهم يوم بَدْر فى كثرة عددهم ، وقلّة عددكم « نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ » .

ما نزل فى تقسيم الفىء

ثم أعلمهم مَقاسم الفىء وحُكْمَه فيه ، حين أحلّه لهم ، فقال : « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » أى يوم فرقتُ فيه بين الحق والباطل بقُدرتى يوم التقى الجمْعان منكم ومنهم « إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الْدُّنْيَا » من الوادى « وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى » من الوادى إلى مكة « وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ » أى عِير أبى سُفيان التى خرجتم لتأخذوها ، وخَرجوا ليمْنَعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم « وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فى الْمِيعَادِ » أى ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ، ثم بلغكم كثرةُ عددهم وقلّةُ عددكم ما لَقيتموهم « وَلٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً » أى ليقضى ما أراد بقُدرته من إعزاز الإسلام وأهله ، و إذلال الكُفر وأهله ، عن غير بَلاء[1] منكم ، ففعل ما أراد من ذلك بلُطْفه ، ثم قال : « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » أى ليكفر من كفر بعد الحجّة لما رأى من الآية والعِبرة ، ويُؤْمنَ من آمن على مثل ذلك .

ما نزل فى لطف الله بالرسول

ثم ذكر لُطْفَه به وكَيْدَه له ، ثم قال : « إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فى مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فى الْأَمْرِ وَلٰكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » فكان ما أراه الله من ذلك نعمةً من نعمه عليهم ، شجّعهم بها على عدوّهم ، وكفّ بها عنهم ماتُخُوِّف[2] عليهم من ضَعْفهم ، لعلمه بما فيهم . ـ قال[3] ابن هشام : تخوف ، مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحاق ولم أذكرها[4] ـ

« وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً » أى ليؤلّف بينهم على الحرب للنّقمة ممن أراد الانتقام منه ، والإنعام على مَنْ أراد إتمام النّعمة عليه ، من أهل ولايته .

---

(١) فى ا ، ط : « ملاء » .
(٢) فى ا : « يتخوف » .
(٣) هذه العبارة ساقطة فى ا .
(٤) قال أبو ذر : « يقال : الكلمة (تخوف) بفتح التاء والخاء والواو ، وقيل : كانت (تخوفت) ، وأصلح ذلك ابن هشام لشناعة اللفظ فى حق الله عزّ وجلّ » .

ما نزل في وعظ المسلمين وتعليمهم خطط الحرب.

ثم وَعظهم وفهّمهم وأعْلمهم الذى ينبغى لهم أن يَسيروا به فى حَرْبهم ، فقال تعالى : « يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً » تقاتلونهم فى سبيل الله عز وجل « فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا » الذى له بذلتُم أنفسكم والوفاءَ له بما أَعْطيتموه من بَيْعتكم « لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا » أى لا تختلفوا فيتفرّق أمرُكم « وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » أى وتذهب حدّتكم[1] « وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » أى إنى معكم إذا فعلتُمْ ذلك « وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ » أى لا تكونوا كأبى جَهْل وأصحابه الذين قالوا : لا نرجع حتى نأتى بدراً فننحرَ بها الجُزر ، ونُسْقى بها الخمر ، وتَعْزِف علينا فيه القِيان ، وتسمع العربُ . أى لا يكون أمرُكم رِياءً ، ولا سُمْعة ، ولا التماسَ ما عند الناس ، وأخْلِصوا لله النّية والحِسبة فى نَصْر دينكم ، ومُؤازرة نبيّكم ، لا تعمَلوا إلا لذلك ، ولا تَطْلبوا غيرَه .

ثم قال تعالى : « وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَكُمْ » .

قال ابن هشام : وقد مضى تفسير هذه الآية .

قال ابن إسحاق :

ثم ذكر الله تعالى أهلَ الكفر، ومَا يَلْقون عند موتهم ، ووَصَفهم بصِفتهم، وأَخبر نبيّه صلّى الله عليه وسلّم عنهم ، حتى انتهى إلى أن قال : « فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ » . أى فنكِّل بهم من وَرائهم لعلّهم يَعْقلون « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ » إلى قوله تعالى : « وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ

(١) فى ا : « ويذهب حدكم » وهما بمعنى .

شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ » أى لا يَضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة وعاجل خلفه فى الدنيا. ثم قال تعالى : « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا » أى إن دَعَوْكَ إلى السَّلم على الإسلام فصَالِحهم عليه « وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ » إن الله كافيك « إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : جنحوا للسَّلْم : مالوا إليك للسَّلْم . الجنوح : الميل . قال لَبيد بن ربيعة :

جُنوح الهالِكىِّ على يَدَيْه ... مُكِبًّا يَجْتلى نُقَب النِّصالِ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له [يريد : الصَّيْقل المُكبّ على عمله . النقب : صدأ السيف . يجتلى : يجلو السيف][2] . والسلم (أيضًا) : الصلح ، وفى كتاب الله عزّ وجل : « فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ » ، ويقرأ : «إلى السِّلْم» ، وهو ذلك المعنى . قال زُهير بن أبى سُلمى :

وقد قُلْتما إن نُدْرِكِ السِّلْمَ واسعاً ... بمالٍ ومَعْروف من القَوْل نَسْلَمِ

وهذا البيتُ فى قصيدة له .

قال ابن هشام : وبلغنى عن الحسن بن أبى الحسن البَصْرىّ ، أنه كان يقول : « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسِّلْمِ » للإسلام . وفى كتاب الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ كَافَّةً » ، ويقرأ «فى السَّلْم» ، وهو الإسلام . قال أُميّه ابن أبى الصَّلْت :

فما أنابُوا لسَلْمٍ حين تُنْذِرهم ... رُسْلُ الإله وما كانوا له عَضُدَا[3]

وهذا البيتُ فى قصيدة له . وتقول العربُ لدَلْو تُعمل مُستطيلة : السَّلْم . قال طَرَفة بن العَبْد ، أحدُ بنى قَيْس بن ثعلبة ، يصف ناقةً له :

(١) الهالكى : الحداد والصيقل، نسبة إلى الهالك بن أسد أول من عمل الحداد .
(٢) زيادة عن ا .
(٣) أناب : رجع .

لها مِرفقان أفْتلان كأنما تَمُـــرّ بسَلْمَىْ داِلجٍ مُتشدّدٍ[1]

[ويروى: دالج][2]. وهذا البيت فى قصيدة له.

« وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللهُ » هو من وراء ذلك.

« هُوَ ٱلَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ » بعد الضَّعف « وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ. وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ »

٥ على الهدى الذى بعثك الله به إليهم « لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلٰكِنَّ ٱللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ » بدينه الذى جمعهم عليه « إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ».

ثم قال تعالى: « يَاأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. يَاأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ

١٠ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ » أى لا يُقاتلون على نيّة ولا حقّ ولا معرفة بخير ولا شر.

قال ابن إسحاق: حدّثنى عبد الله بن أبى نَجيح عن عَطاء بن أبى رَباح عن عبد الله بن عبّاس قال:

لما نزلت هذه الآية اشتدّ على المسلمين، وأعْظموا أن يُقاتل عشرون مِائتَيْن،

١٥ ومائة ألفاً، فخفّف الله عنهم، فنَسَختْها الآية الأخرى، فقال: « ٱلْآنَ خَفَّفَ ٱللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللهِ وَٱللهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ». قال: فكانوا إذا كانوا على الشَّطْر من عدوّهم لم يَنْبغِ لهم أن يفرّوا منهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهُم، وجاز لهمْ أن يتحوّزوا عنهم.

ما نزل فى الأسارى والمغانم

٢٠ قال ابن إسحاق:

ثم عاتَبه الله تعالى فى الأسارى، وأخذ المَغانم[3]، ولم يكن أحد قبلَه من الأنبياء يأكلُ مَغْنما من عدوّ له.

---

(1) الدالج: الذى يمشى بحمله متقبض الخطو لثقله عليه.

(2) زيادة عن ا. والدالج: الذى يمشى بالدلو بين الحوض والبئر.

٢٥ (3) فى ا: « الغنائم ».

قال ابن إسحاق : حدّثنى محمد أبو جعفر بن علىّ بن الحُسين قال :

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : نُصِرْت بالرُّعب ، وجُعلتْ لى الأرضُ مسجداً[1] وطهورا ، وأُعطيت جوامع الكَلِم ، وأُحلّت لى المغانمُ ولم تُحْلل لنبىٍّ كان قبلى ، وأُعطيت الشفاعة ، خمس لم يُؤْتهنّ نبىٌّ قبلى .

قال ابن إسحاق : ٥

فقال : « مَا كانَ لِنَبِيٍّ » أى قبلك « أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى » مِنْ عدوه « حَتَّى يُثْخِنَ فى الْأَرْضِ » أى يثخن[2] عدوّه ، حتى يَنْفيه من الأرض « تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا » أى المتاع ، الفداء بأخذ الرجال « وَاللهُ يُرِيدُ الآخرة » أى قَتْلهم لظُهور الدين الذى يريد إظْهاره ، والذى تُدْرك به الآخرة « لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذْتُمْ » أى من الأسارى ١٠ والمَغانم « عَذَابٌ عَظِيمٌ » أى لولا أنه سبق منى أنّى لا أعذّب إلا بعد النّهْى ، ولم يَكُ نهاهم ، لعذّبتكم فيما صنعتم . ثم أحلّها له ولهم رحمةً منه، وعائدةً من الرحمن الرحيم ، فقال : « فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . ثم قال : « يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فى أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ١٥ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

ما نزل فى التواصل بين المسلمين

وحضّ المسلمين على التواصل ، وجعل المهاجرين والأنصار أهلَ ولاية فى الدين ، دون مَنْ سواهم ، وجعل الكفّار بعضَهم أولياء بعض ، ثم قال : « إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فى الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ » أى إلاّ يُوالِ المؤمن المؤمن من دون الكافر ، وإن كان ذا رحم به : « تَكُنْ فِتْنَةٌ فى الْأَرْضِ » ٢٠

---

(١) فى ا : « مساجد » .

(٢) الإثخان : التضييق على العدو .

أى شُبهة فى الحقّ والباطل ، وظهور الفساد فى الأرض بتولّى المؤمن الكافر دون المؤمن .

ثم ردّ المواريثَ إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونَهم إلى الأرحام التى بَيْنَهُمْ ، فقال : « وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فى كِتَابِ اللهِ » ٥ أى بالميراث : « إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ » .

من حضر بدرا من المسلمين

من بنى هاشم والمطلب

قال ابن إسحاق :

وهذه تَسْمية من شهد بدراً من المُسلمين ، ثم من [قريش ، ثم من][1] بنى ١٠ هاشم بن عبد مناف ، و بنى المطّلب بن عبد مناف بن قُصَىّ بن كِلاب بن مُرّة ابن كَعب بن لُؤىّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة .

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين[2] ، ابن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم ؛ وحمزة بن عبد المطّلب بن هاشم ، أسدُ الله ، وأسد رسوله ، عمّ رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم ؛ وعلىّ بن أبى طالب بن عبد المطّلب بن ١٥ هاشم ؛ وزيد بن حارثة بن شُرَحْبيل بن كعب بن عبد العزّى بن امرئ القيس الكَلْبى ، أنْعم [الله][1] عليه ورسولُه صلّى الله عليه وسلّم .

قال ابن هشام : زيد بنُ حارثة بن شَراحيل[3] بن كعب بن عبد العزّى بن

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) فى ا : « المسلمين » .

٢٠ (٣) وبهذه الرواية ذكره ابن عبد البر .

أمرئ القيس بن عامر بن النّعمان بن عامر بن عبد وُدّ بن عوف بن كِنانة بن بَكر بن عوف بن عُذْرة بن زيد الله بن رُفيْدة[1] بن ثور بن كَعْب بن وَبْرة .

قال ابن إسحاق :

وأَنَسَةُ مولى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلم ؛ وأبو كَبْشة ، مولى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم . ٥

قال ابن هشام : أنسة : حبشى ، وأبو كَبْشة : فارسىّ .

قال ابن إسحاق :

وأبو مَرْثَد كَنّاز بن حِصْن بن يَربوع بن عَمْرو بن يَرْبوع بن خَرَشة ابن سَعْد بن طريف بن جِلّان[2] بن غَنْم بن غَنِىّ بن يَعْصُر بن سَعْد بن قَيْس ابن عَيْلان . ١٠

قال ابن هشام : كَنّاز بن حُصين .

قال ابن إسحاق :

وابنه مَرْثد بن أبى مَرْثد ، حَليفا حَمزة بن عبد المطّلب ؛ وعُبَيدة[3] ابن الحارث بن المطّلب ؛ وأخواه الطُّفيل بن الحارث ، والحُصَين بن الحارث ؛ ومِسْطَح ، واسمه : عَوْف بن أُثاثَة بن عبّاد بن المطّلب . اثنا عَشر رجلا . ١٥

من بنى عبد شمس

ومن بنى عبد شَمْس بن عبد مناف : عثمان بن عفّان بن أبى العاص ابن أُميّة بن عبد شمس ، تخلّف على أمرأته رقيّة بنت رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فضرَب له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بسهمه ، قال : وأَجْرِى يا رسولَ الله ؟ قال : وأجرُك ؛ وأبو حُذَيفة بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ وسالم ، مولى أبى حُذيفة . ٢٠

---

(١) كذا فى م ، ر . والاستيعاب . وفى ا : « زفيدة » بالزاى .

(٢) كذا فى م ، ر . وفى ا : « حلان » بالحاء المهملة . قال أبو ذر : « وقع هنا بالجيم والحاء المهملة أيضا ، وصوابه بالجيم » .

(٣) فى م ، ر : « عبيد » . وهو تحريف . (راجع الطبرى والاستيعاب) .

قال ابن هشام : واسم أبى حُذيفة مِهْشَم[1] :

قال ابن هشام :

لنسب سالم

وسالم ، سائبة لثُبَيتة بنت يَعار بن زَيْد بن عُبيد بن زَيْد بن مالك بن عَوْف ابن عمرو بن عَوف بن مالك بن الأوس ، سَيَّبته فانقطع إلى أبى حُذيفة فتبنّاه ؛

٥ ويقال : كانت ثُبيتة بنت يَعار تحت أبى حُذيفة بن عُتبة ، فأعتقت سالمًا سائبةً ، فقيل : سالم مولى أبى حُذيفة .

قال ابن إسحاق :

وزعموا أنّ صُبيحا مولى أبى العاص بن أُمية بن عبد شمس تجهّز للخُروج مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم مرض ، فحَمل على بعيره أبا سَلَمة بن عبد

١٠ الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ؛ ثم شهد صُبَيح بعد ذلك المَشاهدَ كلّها مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم .

من خلفاء بنى عبد شمس

وشهد بدراً من حُلفاء بنى عَبْد شَمْس ، ثم من بنى أسد بن خُزَيمة : عبدُالله بن جَحْش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مُرّة بن كَبير[2] بن غَنْم بن دُودان ابن أسد ؛ وعُكَّاشة بن مِحْصَن بن حُرْثان بن قَيْس بن مُرة [بن][3] كَبِير

١٥ ابن غَنْم بن دُودان بن أسد ؛ وشُجاع بن وَهْب بن ربيعة بن أَسَد بن صُهَيب ابن مالك بن كَبِير بن غَنْم بن دُودان بن أسد ؛ وأخوه عُقْبة بن وَهْب ؛ ويزيد ابن رُقَيش بن رِئاب بن يَعْمَر بن صَبْرة بن مرّة بن كَبير بن غَنْم بن دُودان ابن أسد ؛ وأبو سِنان بن مِحْصَن بن حُرْثان بن قيس ، أخو عُكَّاشة بن مِحْصن ؛ وابنهُ سِنان بن أبى سِنان ؛ ومُحْرِز بن نَضْلة بن عبد الله[4] بن مرّة بن كَبير

٢٠ ابن غَنْم بن دُودان بن أسد ؛ وربيعة بن أَكْثَم بن سَخْبَرة بن عمرو ابن لُكَيْز بن عامر بن غَنْم بن دُودان بن أسد .

---

(١) قال أبو ذر : « اسم أبى حذيفة هذا قيس ؛ وأما مهشم ، فهو أبو حذيفة ابن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم » .

(٢) فى الاستيعاب : « كثير » .

٢٥ (٣) زيادة عن ا ، ط ، والاستيعاب وأسد الغابة .

(٤) فى م ، ر : « عبيد الله » . وهو تحريف . (راجع الاستيعاب) .

من حلفاء بنى كبير

ومن حلفاء بنى كَبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد : ثَقْفُ بن عَمْرو ، وأخواه : مالك بن عمرو ، ومُدْلج بن عمرو .

قال ابن هشام : مِدْلاج[1] بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وهم من بنى حَجْر ، آل بنى سُلَيم . وأبو مَخْشى ، حليفٌ لهم . ستةَ عشرَ رجلا . ٥

قال ابن هشام : أبو مَخْشىّ طائىّ ، وأسمه : سُوَيد بن مَخْشى .

من بنى نوفل

قال ابن إسحاق :

ومن بنى نَوْفل بن عبد مَناف : عُتْبةُ بن غَزْوان بن جابر بن وَهْب ابن نُسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة ابن قيس بن عَيْلان ؛ وخَبّاب ، مولى عُتْبة بن غَزْوان ــ رجلان . ١٠

من بنى أسد

ومن بنى أَسَد بن عبد العُزّى بن قُصَىّ : الزُّبيرُ بن العوّام بن خُوَيلد ابن أَسَد ؛ وحاطِب بن أبى بَلْتعة ؛ وسَعْد مولى حاطب ، ثلاثةُ نفر .

قال ابن هشام : حاطب بن أبى بَلْتعة ، وأسم أبى بَلْتعة : عمرو ، لخمىّ ، وسَعْد مولى حاطب ، كلبىّ .

من بنى عبد الدار

قال ابن إسحاق : ١٥

ومن بنى عبد الدّار بن قُصَىّ : مُصْعب بن عُمَير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدّار بن قُصَىّ ؛ وسُوَيْبط بن سعد بن حُرَيْملة بن مالك بن عُمَيْلة ابن السَّبَّاق بن عبد الدار بن قصىّ . رجلان .

من بنى زهرة

ومن بنى زُهْرة بن كِلاب : عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عَوْف بن عبد ابن الحارث بن زُهْرة ؛ وسعدُ بن أبى وقّاص ــ وأبو وقّاص[2] مالك بن أُهَيب ٢٠ ابن عبد مناف بن زُهْرة ــ وأخوه عُمَير بن أبى وقّاص .

(١) وبالروايتين ذكره ابن عبد البر فى كتابه الاستيعاب » .
(٢) فى ا : « وسعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب ... الخ » .

ومن حُلفائهم : المِقْدَادُ ابن عَمْرو بن ثعلبة بن مالك بن رَبيعة بن ثُمامة ابن مَطْرود بن عمرو بن سعد بن زُهير بن ثَوْر بن ثعلبة بن مالك بن الشَّريد ابن هَزْل بن قائش بن دُرَيم بن القَيْن بن أَهْود بن بَهْراء بن عمرو بن الحاف ابن قُضَاعة - قال ابن هشام : ويقال : هزل بن قاس بن ذَرّ - ودَهِير بن ثور.

٥ قال ابن إسحاق :

وعبدُ الله بن مسعود بن الحارث بن شَمْخ بن مَخْزوم بن صاهِلة بن كاهِل ابن الحارث بن تَميم بن سعد بن هُذَيل ؛ ومسعود بن رَبيعة بن عمرو بن سعد ابن عبد العُزّى بن حَمالة بن غالب بن مُحلِّم بن عائذة بن سُبَيع بن الهُون بن خُزيمة ، من القارة .

١٠ قال ابن هشام : القارة : لقب لهم . ويقال :

* قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا *

وكانوا رماة

قال ابن إسحاق : وذو الشِّمالين بن عبد عمرو بن نَضْلة بن[1] غُبْشان ابن سُلَيم بن مَلَكان بن أَفْصى بن حارثة بن عمرو بن عامر ، من خُزاعة .

١٥ قال ابن هشام : وإنما قيل له ؛ ذو الشِّمالين . لأنه كان أعسر ، واسمه عُمير .

قال ابن إسحاق : وخبّاب بن الأرتّ ؛ ثمانية نفر .

قال ابن هشام : خبّاب بن الأرتّ ، من بنى تَميم ، وله عقب ، وهم بالكوفة ؛ ويقال : خبّاب من خُزاعة[2] .

---

٢٠ (١) فى م ، ر : « من» .

(٢) والصحيح أنه تميمى النسب لحقه سباء فى الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته ، وكانت من حلفاء بنى عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، فهو تميمى بالنسب ، خزاعى بالولاء ، زهرى بالحلف . (راجع الاستيعاب) .

من بنى تيم

قال ابن إسحاق :

ومن بنى تَيْم بن مُرة ؛ أبو [بكر][1] الصدّيق ، وأسمه عَتيق بن عُثْمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم .

قال ابن هشام : أسم أبى بكر : عبدُ الله ، وعَتِيق : لقب ، لِحُسْن وجهه وعتْقِه .

قال ابن إسحاق :

وبلال ، مولى أبى بكر ــ وبلال مولّد من مولّدى بنى جُمح ، اشتراه أبو بكر من أميّة بن خلف ، وهو بلال بن رَبَاح ، لاعقب له ــ وعامر بن فُهَيْرة .

قال ابن هشام : عامر بن فهيرة ، مولّد من مولّدى الاسْد ، أسود ، اشتراه أبو بكر منهم .

قال ابن إسحاق :

وصُهَيب بن سِنان ، من النَّمِر بن قاسط .

نسب النمر

قال ابن هشام :

النمر : ابنُ قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ؛ ويقال : أفصى أبن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ؛ ويقال : صُهيب ، مولى عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ؛ ويقال : إنه رُومىّ . فقال بعض من ذكر أنه من النَّمر بن قاسط : إنما كان أسيراً فى الرّوم فاشتُرِى منهم . وجاء فى الحديث عن النّبى صلّى الله عليه وسلّم : صُهيب سابقُ الروم .

قال ابن إسحاق :

وطلحة بن عُبيد الله بن عُثْمان بن عمرو بن كعب بن سَعد بن تَيْم ، كان

---

(1) زيادة عن ا ، ط .

بالشأم ، فقَدِم بعد أن رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من بدر ، فكلّمه ، فضرب له بسَهمِه ، فقال : وأجْرِى يا رسولَ الله ؟ قال : وأجرُك . خمسة نفر .

قال ابن إسحاق :

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرّة : أبو سَلَمة بن عبد الأسد ، واُسمُ أبى سَلَمة عبدُ الله بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ؛ وشمّاس بن عُثمان بن الشَّريد بن سُوَيد بن هَرْمِىّ بن عامر بن مخزوم .

سبب تسمية الشماس

قال ابن هشام : واُسم شمّاس : عثمان ، وإنما سمّى شمّاسا ، لأن شماسا من الشمامسة قَدِم مكة فى الجاهلية ، وكان جميلاً ، فعَجِب الناسُ من جماله . فقال عُتبة بن ربيعة ، وكان خالَ شمّاس ، ها أنا آتيكم بشمّاس أحسن منه ، فأتى باُبن أخته عثمان بن عُثمان ، فسمّى شماساً ، فيما ذكر ابنُ شِهاب الزهرىّ وغيرُه .

قال ابن إسحاق :

والأرقمُ بن أبى الأرْقم ، واُسم أبى[1] الأرقم عبدُ مناف بن أسد ، وكان أسد يُكْنى : أبا جُنْدب بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم ؛ وعمّار بن ياسر .

قال ابن هشام : عمّار بن ياسر ، عَنْسِىّ ، من مَذْحِج .

قال ابن إسحاق :

ومُعتِّب بن عوف بن عامر بن الفَضْل بن عَفِيف بن كُليب بن حُبْشِيّة ابن سَلول بن كعب بن عمرو ، حليف لهم من خُزاعة ، وهو الذى يُدعى . عَيْهامة[2] . خمسة نفر .

من بنى عدى وحلفائهم

ومن بنى عدىّ بن كعب : عمرُ بن الخطّاب بن نُفَيل بن عبد العزّى ابن رِياح بن عبد الله[3] بن قُرْط بن رَزاح بن عدىّ ؛ وأخوه زيد بن الخطّاب ؛

---

(١) فى م ، ر : « وأبو الأرقم » .

(٢) العيهامة : الطويل العنق .

(٣) كذا فى الاستيعاب والروض . وفى الأصول : « ... بن عبدالله بن قرط بن رياح » . والمعروف فى نسبه تقديم رياح على عبد الله .

ومِهْجَع ، مولى عمر بن الخطاب ، من أهل اليمن ، وكان أولَ قتيل من المسلمين بين الصفّين يوم بَدر ، رُمى بسهم .

قال ابن هشام : مِهْجع ، من علكّ بن عَدْنان .

قال ابن إسحاق :

وعمرو بن سُراقة بن المُعْتَمِر بن أَنَس بن أذاة[1] بن عبد الله بن قُرْط ٥ ابن رِياح بن رَزاح بن عدىّ بن كعب ؛ وأخوه عبد الله بن سُراقة ؛ وواقد ابن عبد الله بن عبد مَناف بن عَرِين بن ثَعْلبة بن يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك ابن زيد مناة بن تميم ، حليف لهم ؛ وخَوْلِىّ بن أبى خَوْلى ؛ ومالك بن أبى خَوْلى ، حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خولى ، من بنى عِجْل بن لُجَيم بن صَعْب بن علىّ ١٠ ابن بَكر بن وائل .

قال ابن إسحاق :

وعامر بن ربيعة ، حليف آل الخطّاب ، من عَنز بن وائل .

قال ابن هشام : عنز بن وائل : ابن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن جَديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار ؛ ويقال : أفصى : ابنُ دُعْمىّ بن جَديلة . ١٥

قال ابن إسحاق :

وعامر بن البُكَير بن عبد يَاليل بن ناشب بن غِيرَة ، من بنى سعد بن ليث ؛ وعاقل بن البُكَير ؛ وخالد بن البُكَير ، و إياس بن البُكَير ، حلفاء بنى عدىّ بن كعب ؛ وسَعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزّى بن عبدالله بن قُرْط بن رِياح بن رزاح بن عدىّ بن كعب ، قَدِم من الشأم بعد ما قدم رسولُ الله صلّى الله ٢٠

(١) كذا فى م ، ر . وفى سائر الأصول والاستيعاب : « أداة » بالدال المهملة . قال أبوذر : « وأداة ، كذا وقع هنا بالدال المهملة ، وبالذال المعجمة ذكره أبو عبيد عن ابن الكلبى » .

عليه وسلّم من بدر فكلّمه ، فضرَب له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بسهمه ؛ قال : وأجري يا رسول الله ؛ قال : وأجرك . أربعةَ عشر رجلا .

من بنى جمح وحلفائهم

ومن بنى جُمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب : عثمان بن مَظْعون بن حَبيب ابن وَهْب بن حُذافة بن جُمح ؛ وابنه السائب بن عثمان ؛ وأخواه قُدامة ٥ ابن مَظْعون ؛ وعبدُ الله بن مَظْعون ؛ ومَعْمر بن الحارث بن معْمر بن حَبيب ابن وهب بن حُذافة بن جُمَح . خمسة نفر .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب خُنَيس بن حُذافة بن قَيْس ابن عدىّ بن سَعْد[1] بن سهم . رجل .

قال ابن إسحاق :

من بنى عامر

١٠ ومن بنى عامر بن لؤىّ ، ثم من بنى مالك بن حِسْل بن عامر : أبو سَبْرة ابن أبى رُهْم بن عبد العزّى بن أبى قَيْس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك ابن حِسْل ؛ وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزّى بن أبى قَيْس بن عبد ودّ ابن نصر بن مالك ؛ وعبد الله بن سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ـ كانَ خرج مع أبيه سُهيل بن عمرو ، فلمّا نزل الناسُ بدراً ١٥ فرّ إلى رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فشهدها معه ـ وعُمير بن عَوْف ، مولى سُهيل بن عمرو ؛ وسعد بن خَولة ، حليف لهم . خمسةُ نفر .

قال ابن هشام : سعد بن خَوْلة ، من اليمن .

قال ابن إسحاق :

من بنى الحارث

ومن بنى الحارث بن فِهْر : أبو عُبيدة بن الجَرّاح ، وهو عامر بن عبد الله ٢٠ ابن الجرّاح بن هلال بن أُهيب بن ضَبّة بن الحارث ؛ وعمرو بن الحارث بن زُهير بن أبى شدّاد بن ربيعة بن هلال بن أُهيب بن ضَبّة بن الحارث ؛ وسُهيل ابن وهب بن رَبيعة بن هلال بن أبى أُهيب بن ضَبّة بن الحارث ؛ وأخوه صَفْوان

(١) فى الأصول : « سعيد » وهو تحريف . وقد تقدم التنبيه عليه فى الجزء الأول .

ابن وهْب ، وهما ابنا بيضاء ؛ وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أُهَيب ابن ضبّة بن الحارث . خمسة نفر .

عدد من شهد بدرا من المهاجرين

فجميع من شهد بدراً من المُهاجرين ، ومن ضرب له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بسهمه وأجْره ، ثلاثة وثمانون رجلا .

قال ابن هشام :

وكثيرمن أهل العلم ، غير ابن إسحاق ، يذكرون فى المهاجرين ببدر ، فى بنى عامر بن لؤىّ : وهب بن سعد بن أبى سَرْح ، وحاطبَ بن عمرو ؛ وفى بنى الحارث ابن فِهْر : عياض[1] بن زُهير .

الأنصار ومن معهم

من بنى عبد الأشهل

قال ابن إسحاق :

وشهد بدراً مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من المسلمين ، ثم من الأنصار ، ثم من الأوس بن حارثة بن ثَعْلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى عبد الأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخَزْرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : سعدُ بن مُعَاذ بن النُّعمان بن امرئ القَيْس بن زَيد بن عبد الأشْهل ؛ وعمرو ابن مُعاذ بن النّعمان ؛ والحارث بن أَوْس بن مُعاذ بن النُّعمان ؛ والحارث ابن أَنَس بن رافع بن امرئ القيس .

من بنى عبيد ابن كعب وحلفائهم

ومن بنى عُبَيد بن كعب بن عبد الأشهل : سعدُ بنُ زَيْد بن مالك بن عُبيد. ومن بنى زَعُورا بن عبد الأشهل ـ قال ابن هشام · ويقال : زَعْورا[2] ـ سَلمة

---

(1) كذا فى الروض والاستيعاب . وفى الأصول : «عياض بن أبى زهير» وهو تحريف

(2) فى هامش م : « قوله : ويقال « زعورا » ضبط فى بعض النسخ الأول بفتح الزاى وضم العين وسكون الواو ، وضبط الثانى بفتح الزاى وسكون العين وفتح الواو » . وهكذا ضبط فى (ا) بالقلم ، وبهذه الأخيرة ضبطه القاموس (مادة زعر) .

ابن سَلامة بن وَقَش بن زُغْبة[1] ؛ وعبّاد بن بِشْر بن وَقَش بنُ زغبة بن زَعُورا ؛ وسَلمة بن ثابت بن وَقش ؛ ورافع بن يَزِيد بن كُرْز بن سَكن بن زَعُورا ؛ والحارث بن خَزَمة بن عدىّ بن أُبىّ بن غَنْم بن سالم بن عَوْف بن عمرو ابن عَوْف بن الخَزْرج ، حليف لهم من بَنى عَوْف بن الخَزْرج ؛ ومحمدُ بن مَسْلمة

٥ ابن خالد بن عدىّ بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة ابن الحارث ؛ وسَلَمة بن أَسْلم بن حَريش بن عدىّ بن مَجْدعة بن حارثة ابن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة بن الحارث .

قال ابن هشام : أسلم : أبنُ حَرِيس بن عدىّ .

قال ابن إسحاق :

١٠ وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وعُبيد بن التَّيِّهان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التيهان .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن سَهْل . خمسةَ عشر رجلا .

قال ابن هشام :

عبدُ الله بن سهل : أخو بنى زَعُورا ؛ ويقال : من غسّان .

١٥ قال ابن إسحاق :

ومن بنى ظَفَر ، ثم من بنى سَوَاد بن كَعْب ، وكعب : هو ظَفَر ـ قال ابن هشام : ظفَر : أبن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ـ : قتادةُ بن النُّعمان ابن زيد بن عامر بن سَواد ؛ وعُبيد بن أَوْس بن مالك بن سَواد . رجلان .

قال ابن هشام :

سبب تسمية عبيد بمقرن

٢٠ عُبيد بن أوس الذى يُقال له : مُقرِّن ، لأنه قَرَن أربعة أسرى فى يوم بدر. وهو الذى أسر عَقِيل بن أبى طالب يومئذ .

---

(١) فى م ، ر ، هنا وفيما سيأتى : « زعبة » بالعين المهملة ، وهو تصحيف . (راجع الاستيعاب ، وأسماء من شهد بدرا ، والإصابة ، والقاموس) .

من بنى عبد ابن رزاح وحلفائهم

قال ابن إسحاق :

ومن بنى عَبْد بن رِزَاح بن كعب : نَصْرُ بن الحارث بن عبد ؛ ومُعتِّب ابن عبد[1] .

ومن حلفائهم ،[2] من بلِىّ : عبدُ الله بن طارق . ثلاثة نفر .

من بنى حارثة

ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : ٥ مسعودُ بن سَعْد بن عامر بن عدىّ بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة .

قال ابن هشام : ويقال : مسعود بن عبد سعد .

قال ابن إسحاق :

وأبو عَبْس بن جَبْر بن عمرو بن زيد بن جشم بن مَجْدعة بن حارثة .

ومن حلفائهم ، ثم من بلِىّ : أبو بُردة بن نِيار ، واسمه : هانئ بن نيار ١٠ ابن عمرو بن عُبيد بن كِلاب بن دُهْمان بن غَنم بن ذُبيان بن هُمَيم بن كاهل بن ذُهْل بن هُنَىّ بن بلِىّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة ثلاثة نفر .

من بنى عمرو

قال ابن إسحاق :

ومن بنى عَمْرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بنى ضُبَيعة بن زيد ابن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : عاصم بن ثابت بن قَيْس ـ وقيس ١٥ أبو الأَقْلح بن عِصْمة بن مالك بن أَمَة بن ضُبَيعة ـ ومعتِّب بن قُشَير بن مُلَيل ابن زيد بن العَطّاف بن ضُبيعة ؛ وأبو مُلَيل بن الأَزْعر بن زيد بن العَطّاف ابن ضُبيعة ؛ وعمر بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة .

قال ابن هشام : عُمَير بن مَعْبد .

٢٠ قال ابن إسحاق :

وسَهل بن حُنَيف بن واهب[3] بن العُكَيم بن ثَعْلبة بن مَجْدعة بن الحارث

---

(١) فى م ، ر : « عبيد » وهو تحريف .

(٢) فى م ، ر : « ومن حلفائهم ثم من بلى » .

(٣) كذا فى الأصول والطبرى . وفى الاستيعاب : « وهب » .

ابن عمرو ، وعمرو[1] الذى يقال له : بحزج[2] بن حَنَس[3] بن عوف بن عمرو ابن عوف . خمسة نفر .

من بنى أمية

ومن بنى أُمية بن زيد بن مالك : مُبشّر بن عبد المُنذر بن زَنْبر بن زيد ابن أمية ؛ ورفاعة بن عبد المُنذر بن زَنْبر ؛ وسعد بن عُبَيد بن النُّعمان بن قَيس ابن عمرو بن زيد بن أُمية ؛ وعُويم بن ساعدة ؛ ورافع بن عُنْجدة ـ وعُنْجدة أمّه ، فيما قال ابن هشام ـ وعُبيد بن أبى عُبيد[4] ؛ وثعلبة بن حاطب .

وزعموا أن أبا لُبَابة بن عبد المنذر ؛ والحارث بن حاطب خرجا مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فرَجَعهما ، وأمّر أبا لُبابة على المدينة ، فضَرب لهما بسَهْمين مع أصحاب بدر . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ردّهما من الرّوحاء .

قال ابن هشام : وحاطبُ بن عمرو بن عُبَيد بن أمية ، واسم أبى لُبابة: بَشير.

من بنى عبيد وحلفائهم

قال ابن إسحاق :

ومن بنى عُبيد بن زيد بن مالك : أُنَيس بن قَتادة بن ربيعة بن خالد ابن الحارث بن عُبيد .

ومن حُلفائهم من بلىّ : مَعْن بن عدىّ بن الجدّ بن العَجْلان بن ضُبيعة ؛ وثابت بن أَقْرم[5] بن ثَعلبة بن عدىّ بن العَجْلان ؛ وعبد الله بن سَلَمة بن مالك ابن الحارث بن عدىّ بن العَجْلان ؛ وزيد بن أَسْلم بن ثعلبة بن عدىّ بن العجلان ؛ ورِبْعىّ بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجدّ بن العَجْلان . وخرج عاصم بن عدىّ

(١) فى م ، ر : « وهو الذى ... الخ » .

(٢) كذا فى ا . وفى ط : « تحزج » وفى سائر الأصول : « يحرج » .

(٣) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « ابن خنس » وفى الاستيعاب : « ابن خناس ؛ ويقال : ابن خنساء » .

(٤) ضبط بالقلم فى بعض النسخ بضم ففتح . وبفتح ثم كسر .

(٥) كذا فى ا ، والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « أرقم » .

ابن الجدّ بن العَجْلان ، فردّه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وضرب له بسهمه مع أصحاب[1] بدر . سبعة نفر .

من بني ثعلبة

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبدُ الله بن جُبير بن النّعمان بن أمية ابن البُرَك[2] ــ واسم البرك : أمرؤ القيس بن ثَعلبة ــ وعاصم بن قَيْس .

قال ابن هشام : عاصم بنُ قَيْس : ابنُ ثابت بن النعمان بن أُمية بن أمرئ القيس بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق :

وأبو ضَيّاح بن ثابت بن النعمان بن أُمية بن أمرئ القيس بن ثعلبة ؛ وأبو حَنّة .

قال ابن هشام ؛ وهو أخو أبي ضَيّاح ؛ ويقال : أبو حَبّة[3] . ويقال لأمرئ القيس : البُرَك بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق :

وسالم بن عُمير بن ثابت بن النّعمان بن أُمّية بن أمرئ القيس بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : ثابت : ابن عَمْرو[4] بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق :

والحارث بن النّعمان بن أُمّية بن أمرئ القيس بن ثَعْلبة ، وخَوّات بن جُبَيْر ابن النّعمان ، ضرب له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بسهم مع أصحاب بدر . سبعة نفر .

من بني جحجبي وحلفائهم

ومن بني جَحْجَبي بن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن عوف : منذر بن محمد ابن عُقبة بن أُحَيْحة بن الجلاح بن الحَريش بن جَحْجَبي بن كلفة .

---

(1) كان سبب ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعاصم أنه بلغه شيء عن أهل مسجد الضرار ، وكان قد استخلفه على قباء والعالية ، فرده لينظر في ذلك (راجع الروض) .

(2) يروى بفتح الباء وسكون الراء ، كما يروى أيضا بضم الباء وفتح الراء .

(3) ويقال فيه أيضا : أبو حية (بالمثناة التحتية) وصوابه (راجع الاستيعاب) بالموحدة التحتية ، كما قال ابن هشام .

(4) في الاستيعاب : « ثابت بن كلفة بن ثعلبة » .

قال ابن هشام : ويقال : الحَريس بن جَحْجبى .

قال ابن إسحاق :

ومن حلفائهم من بنى أُنَيْف : أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة بن بَيْحان[1] ابن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أُنَيف بن جُشَم بن عبد الله بن تَيْم ابن إراش بن عامر بن عُمَيْلة[2] بن قَسْمِيل[3] بن فَرَان[4] بن بَلِىّ بن عمرو ابن الحاف بن قُضاعة رجلان .

قال ابن هشام : ويقال تَميم بن إراشة ، وقِسْميل بن فارَان .

من بنى غنم

وقال ابن إسحاق :

ومن بنى غَنْم بن السَّلْم بن أمرئ القيس بن مالك بن الأوس : سعدُ ابن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحّاط بن كعب بن حارثة ابن غَنْم ؛ ومُنذر بن قُدامة بن عَرْفَجة ؛ ومالك بن قُدامة بن عَرْفَجة .

قال ابن هشام : عرفجة : ابنُ كعب بن النحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم .

قال ابن إسحاق :

والحارث بن عَرْفَجة ؛ وتميم ، مولى بنى غنم . خمسة نفر .

قال ابن هشام .

تميم . مولى سَعْد بن خيثمة .

من بنى معاوية وحلفائهم

قال ابن إسحاق :

ومن بنى معاوية بن مالك بن عوف بن عَمْرو بن عَوف : جَبْر[5] بن عتيك

---

(1) كذا فى ا . والقاموس (مادة يوم) ، وفى سائر الأصول : « تيحان » .

(2) فى الاستيعاب : « عبيلة » .

(3) فى م ، ر : « قسمل » وهو تحريف .

(4) يروى بتخيف الراء وتشديدها .

(5) ويقال فيه : « جابر » (راجع الاستيعاب) .

ابن الحارث بن قيس بن هَيْشة بن الحارث بن أُمية بن معاوية ؛ ومالك ابن نُمَيلة ، حليف لهم من مُزَينة ؛ والنعمان بن عَصَر ، حليف لهم من بلىّ. ثلاثة نفر .

عدد من شهد بدرا من الأوس

فجميع من شهد بدراً من الأوس مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ومن ضُرِب له بسهمه وأجْره ، أحد وستون رجلاً . ٥

من بنى امرئ القيس

قال ابن إسحاق :

وشهد بدرًا مع رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم من المسلمين ، ثم من الأنصار، ثم من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى الحارث ابن الخزرج ، ثم من بنى أُمرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبى زُهَير بن مالك بن أُمرئ ١٠ القيس ؛ وسعدُ بن رَبيع بن عمرو بن أبى زُهَير بن مالك بن أُمرئ القيس ؛ وعبدُ الله بن رَواحة بن ثعلبة بن أُمرئ القيس بن عمرو بن أُمرئ القيس ؛ وخلّاد أبن سُويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن أُمرئ القيس . أربعة نفر .

من بنى زيد

ومن بنى زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ابن الخزرج : بَشِير بن سعد بن ثعلبة بن خِلاس بن زيد ــ قال ابن هشام : ١٥ ويقال : جُلاس ، وهو عندنا خطأ ــ وأخوه سِمَاك بن سعد . رجلان .

من بنى عدى

ومن بنى عدىّ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : سُبَيع ابن قيس بن عَيْشة[1] بن أُمية بن مالك بن عامر بن عدىّ ؛ وعَبّاد بن قيس ابن عَيْشة ، أخوه .

قال ابن هشام : ويُقال : قيس : ابن عَبَسة بن أُمية . ٢٠

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن عَبْس . ثلاثة نفر .

من بنى أحمر

ومن بنى أَحْمر بن حارثة بن ثعلبة بن كَعْب بن الخزرج بن الحارث بن

(١) ويقال : ابن عائشة ، (راجع الاستيعاب)

الخزرج : يزيدُ بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر ، وهو الذى يُقال له : ابن فُسْحم ، رجل .

قال ابن هشام : فُسْحُم أُمّه ، وهى امرأة من القَيْن بن جَسْر .

قال ابن إسحاق :

من بنى جشم

٥ ومن بنى جُشَم بن الحارث بن الخَزْرج ، وزيد بن الحارث بن الخزرج ، وهما التَّوْءمان : خُبَيْب بن إساف بن عِتَبة[١] بن عمرو بن خَديج بن عامر ابن جُشم ؛ وعبد الله بن زيد بن ثَعْلبة بن عبد رَبّه بن زيد ؛ وأخوه حُرَيث ابن زيد بن ثَعلبة ؛ زعموا ، وسُفْيان بن بَشْر . أربعة نفر .

قال ابن هشام : سُفيان بن نَسْر[٢] بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد.

١٠ قال ابن إسحاق :

من بنى جدارة

ومن بنى جِدَارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : تَميم بن يَعَار بن قَيْس ابن عدىّ بن أُمية بن جِدارة ؛ وعبدُ الله بن عُمَير من بَنى حارثة .

قال ابن هشام : ويقال: عبد الله بن عُمَير بن عدىّ بن أُميّة بن جِدارة[٣].

قال ابن إسحاق :

١٥ وزيد بن المُزَيّن بن قيس بن عدىّ بن أُمَيَّة بن جِدارة .

قال ابن هشام : زيد ابن المُرَىّ .

قال ابن إسحاق :

وعبدُ الله بن عُرْفطة بن عدىّ بن أُميّة بن جِدارة . أربعة نفر .

من بنى الأبجر

ومن بنى الأَبْجَر ، وهم بنو خُدْرة[٤] ، بن عوف بن الحارث بن الخزرج

٢٠ عبد الله بن رَبيع بن قيس بن عمرو بن عبّاد بن الأبجر . رجل .

من بنى عوف

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ، ثم من بنى عُبيد بن مالك بن سالم بن غَنْم

---

(١) عتبة ، بكسر العين وفتح التاء ، وهو الصواب فى ضبطه . (راجع شرح السيرة لأبى ذر) .

(٢) وهذه الرواية هى الأصح . (راجع الاستيعاب وشرح السيرة لأبى ذر) .

٢٥ (٣) الاستيعاب ؟ « حذارة » بالحاء المعجمة .

(٤) فى م ، ر : « حدرة » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف (راجع الطبرى) .

ابن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبْلى ـ قال ابن هشام : الحُبْلى : سالم بن غَنْم ابن عوف ، و إنما سمى الحُبْلى ، لعِظم بطنه ـ : عبدُ الله بن عبد الله بن أُبىّ ابن مالك بن الحارث بن عبيد [المشهور بابن سَلول][1] ، و إنما سَلول أمرأة ، وهى أم أُبىّ ؛ وأوسُ بن خَوْلى بن عبد الله بن الحارث بن عبيد . رجلان .

من بنى جزء وحلفاؤهم

ومن بنى جَزْء[2] بن عدىّ بن مالك بن سالم بن غَنْم : زيدُ بنَ وديعة ابن عمرو بن قَيْس بن جَزْء ؛ وعُقْبة بن وَهْب بن كَلَدَة ، حليف لهم من بنى عبد الله بن غَطَفان ؛ ورفاعة بن عمرو بن زَيْد بن عمرو بن ثَعْلبة بن مالك بن سالم بن غَنْم ؛ وعامر بن سَلَمة بن عامر ، حليف لهم من أهل اليمن .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن سَلَمة ، وهو من بلِىّ ، من قُضاعة .

قال ابن إسحاق :

وأبو حُمَيضة[3] مَعْبد بن عبّاد بن قُشَير بن المُقَدَّم بن سالم بن غَنْم .

قال ابن هشام : مَعْبد ابن عبادة بن قَشْغَر[4] بن المقدم ؛ ويقال : عُبادة ابن قيس بن القُدْم[5] .

وقال ابن إسحاق :

وعامر بن البُكَير ، حليف لهم . ستة نفر .

قال ابن هشام : عامر بن العُكَير ؛ ويقال : عاصم بن العُكَير .

---

(1) زيادة عن ا .

(2) قال السهيلى : « وذكر أبو بحر انه قيده عن أبى الوليد (جزء) بسكون الزاى وأنه لم يجده عن غيره إلا بكسر الزاى » .

(3) كذا فى ا ، ط . وفى سائر الأصول : « أبو خميصة » ، وما أثبتناه عن (ا ، ط) ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ، ثم قال : « كذا قال ابراهيم بن سعد عن ابن إسحاق : أبو حميضة ، وغيره يقول فيه : أبو خميصة » .

(4) فى م ، ر : « ... عباد بن قشعر بن القدم » .

(5) فى م ، ر : « ... عباد بن قيس بن القدم » .

قال ابن إسحاق :

من بنى سالم

ومن بنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخَزْرج ، ثم من بنى العَجْلان بن زَيد بن غَنْم بن سالم : نوفلُ بن عبد الله بن نَضْلة بن مالك بن العجلان ابن العجلان . رجل .

من بنى أصرم

٥ ومن بنى أصْرم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم بن عوف ــ قال ابن هشام : هذا غَنْم بن عوف ، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج ، وغَنْم ابن سالم ، الذى قبله على ما قال ابن إسحاق ــ : عُبادة بن الصّامت بن قيس ابن أَصْرم ؛ وأخوه أَوْس بن الصّامت . رجلان .

من بنى دعد

ومن بنى دَعْد بن فِهْر بن ثعلبة بن غنم : النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دَعْد ، ١٠ والنعمان الذى يقال له . قَوَقل[1] . رجل .

ومن بنى قُرْيُوش[2] بن غَنْم بن أُمية بن لَوْذان بن سالم ــ قال ابن هشام : ويقال قُرْيوس بن غَنْم ــ ثابت بن هزّال بن عمرو بن قُرْيُوش . رجل .

ومن بنى مَرْضَخة بن غنم بن سالم : مالكُ بن الدُّخْشم بن مَرْضخة . رجل.

قال ابن هشام : مالك بن الدُّخشم : ابن مالك بن الدُّخشم بن مَرْضَخة .

١٥ قال ابن إسحاق :

من بنى لوذان وحلفائهم

ومن بنى لَوْذان بن سالم : ربيع بن إياس بن عَمْرو بن غَنْم بن أمية ابن لَوْذان ؛ وأخوه وَرَقة بن إياس ؛ وعَمْرو بن إياس ، حليف لهم من أهل اليمن . ثلاثة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن إياس ، أخو رَبيع وَورقَة .

٢ قال ابن إسحاق :

---

(١) كذ فى ا ، ط والاستيعاب . وسمى كذلك ، لأن النعمان كان عزيزا ، فكان يقال للخائف إذا جاءه : قوقل حيث شئت فأنت آمن . وفى سائر الأصول : « قوقل » وهو تصحيف.

(٢) فى م ، ر هنا : « قريوس » .

ومن حلفائهم من بَلِيّ ، ثم من بنى غُصَينة ــ قال ابن هشام : غصينة ، أمهم ، وأبوهم عمرو بن عُمارة ــ الجذَّر بن ذِيَاد بنِ عمرو بن زُمْزمة بنِ عمرو بن عُمارة ابن مالك بن غُصينة بن عمرو بن بُتَيْرة بن مَشْنُوّ بن قَسْر بن تَيْم بن إراش ابن عامر بن عُمَيلة بن قِسْمِيل بن فَرَان[1] بن بَلِيّ بن عمرو بن الحاف ابن قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال : قَسْر[2] بن تميم بن إراشــة ؛ وقسميل ابن فاران[3] . واسم الجذّر : عبد الله .

قال ابن إسحاق :

وعُبادة بن الخَشْخاش[4] بن عمرو بن زُمْزُمة ، ونَحّاب[5] بن ثعلبة ابن حَزَمة[6] بن أصْرم بن عمرو بن عمارة .

قال ابن هشام : ويقال بحّاث[7] ابن ثعلبة .

قال ابن إسحاق : وعبدُ الله بن ثعلبة بن حَزَمة بن أصرم . وزعموا أن عُتْبة بن ربيعة بن خالد بن مُعاوية ــ حليف لهم ــ من بَهراء ، قد شهد بدْراً ، خمسة نفر .

قال ابن هشام : عُتبة بن بَهْز ، من بنى سُلَيم .

من بنى ساعدة

قال ابن إسحاق :

ومن بنى ساعدة بن كَعْب بن الخزرج ، ثم من بنى ثَعلبة بن الخزرج

---

(١) يروى بتخفيف الراء وبتشديدها ، وبتخفيفها ذكره ابن دريد .
(٢) فى م ، ر : « قشر » .
(٣) فى م ، ر : « ناران » .
(٤) فى م ، ر : « عباد » وهو تحريف .
(٥) كذ فى أكثر الأصول والاستيعاب ، وفى ا : « نجاب » بالجيم ، وفيه روايات غيرها.
(٦) الأصول : « حزمة » بالحاء المعجمة ، وهو تصحيف . (راجع الاستيعاب) .
(٦) كذا فى ا . وفى سائر الأصول: « نحاث » . وكلا الروايتين ذكرهما ابن عبد البر ونسب الأولى لابن الكلبى ، والثانية إلى ابراهيم بن سعد عن ابن إسحاق ، ثم قال : قال أبو عمرو: القول عندم قول ابن الكلبى .

ابن ساعِدة : أبو دُجَانة ، سِمَاك بن خَرَشة .

قال ابن هشام :

أبو دُجانة : [سِماك][1] بن أوس بن خَرَشة بن لَوْذان بن عَبْد وُدّ بن زيد بن ثعلبة .

٥ قال ابن إسحاق :

والمُنْذر بن عمرو بن خُنَيس بن حارثة بن لَوْذان بن عبد وُدّ بن زيد ابن ثعلبة . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : المنذر : ابن عمرو بن خَنْبَش[2] .

قال ابن إسحاق :

من بنى البدى وحلفائهم

١٠ ومن بنى البَدِىّ بن عامر بن عَوْف بن حارثة بن عَمرو بن الخَزْرج ابن ساعدة : أبو أُسَيد مالك بن ربيعة بن البَدِىّ[3] ؛ ومالك بن مسعود ، وهو إلى البَدِىّ . رجلان .

قال ابن هشام : مالك بن مسعود : ابن البَدِىّ ، فيما ذكر لى بعضُ أهل العلم .

١٥ قال ابن إسحاق :

من بنى طريف وحلفائهم

ومن بنى طَرِيف بن الخَزْرج بن ساعدة : عبدُ ربِّه بن حَقّ بن أوس ابن وَقش بن ثعلبة بن طَرِيف . رجل .

ومن حلفائهم ، من جُهينة : كعبُ بن حِمار بن ثعلبة .

قال ابن هشام : ويقال : كعب : ابن جَمّاز ، وهو من غُبْشان .

٢٠ قال ابن إسحاق :

وضَمْرة وزياد وبَسْبَس ، بنو عمرو .

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) كذا فى ا . وفى سائر الأصول : « خنيس » .

(٣) فى الاستيعاب : « البدن » .

قال ابن هشام: ضَمْرة وزياد، أبنا بِشْر.

قال ابن إسحاق:

وعبد الله بن عامر، من بليّ. خمسة نفر.

من بنى جشم

ومن بنى جُشَم بن الخزرج، ثم من بنى سَلِمة بن سعد بن علىّ بن أسد ابن ساردة بن تَزِيد بن جُشم بن الخَزْرج، ثم من بنى حَرام بن كعب بن غَنْم ابن كعب بن سَلِمة: خِرَاش بن الصِّمَّة بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حَرَام؛ والحُبَاب بن المُنذر بن الجَموح بن زيد بن حَرام؛ وعُمَير بن الحُمام بن الجَموح ابن زيد بن حَرام؛ وتميم، مولى خِراش بن الصمّة؛ وعبد الله بن عمرو بن حَرام ابن ثعلبة بن حَرام؛ ومُعَاذ بن عمرو بن الجَموح؛ ومُعَوِّذ بن عمرو بن الجَموح ابن زيد بن حَرام؛ وخَلّاد بن عمرو بن الجَموح بن زيد بن حَرام؛ وعُقبة[1] ابن عامر بن نابى بن زيد بن حَرام؛ وحَبيب بن أسْود[2]، مولى لهم؛ وثابت ابن ثَعْلبة بن زيد بن الحارث بن حَرام؛ وثعلبة، الذى يقال له: الجِذْع؛ وعُمَير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حَرام. اثنا عشر رجلا.

نسب الجموح

قال ابن هشام:

وكلّ ما كان هاهنا الجَموح، [فهو الجَموح][3] بن زيد بن حَرام، إلا ما كان من جدّ الصّمة [بن عمرو][4]، فإنه الجَموح بن حَرام[5].

قال ابن هشام: عُمَير بن الحارث: ابن لَبْدَة بن ثعلبة.

من بنى عبيد وحلفائهم

قال ابن إسحاق:

ومن بنى عُبَيد بن عَدِىّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة، ثم من بنى خَنْساء ابن سِنان بن عُبيد: بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرور بن صَخْر بن مالك بن خَنْساء؛

---

(١) فى ا: «عتبة» وهو تحريف. (راجع الاستيعاب والطبرى وابن الأثير).

(٢) فى ا: «الأسود».

(٣) زيادة عن م، ر.

(٤) زيادة عن ا.

(٥) وزادت م: بعد هذه الكلمة هذه العبارة: «قال ابن هشام: ويقال: الصمة ابن عمرو بن الجموح بن حرام». ولا معنى لهذه الزيادة.

والطُّفَيل بن مالك بن خَنْساء ؛ والطُّفَيل بن النعمان بن خَنساء ؛ وسِنَان بن صَيْفِيّ ابن صَخْر بن خَنساء ؛ وعبد الله بن الجَدّ بن قَيْس بن صَخْر بن خَنْساء ؛ وعُتْبة ابن عبد الله بن صَخْر بن خَنْساء ؛ وجَبّار بن صَخْر بن أُمَيّة بن خَنْساء ؛ وخارجة بن حُمَيِّر[1]؛ وعبدالله بن حُمير ، حليفان لهم من أَشْجع ، من بنى دُهْمان . تسعة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : جبّار : ابنُ صَخْر بن أُمَيّة بن خُناس .

قال ابن إسحاق :

من بنى خناس

ومن بنى خُناس بن سِنان بن عُبيد : يزيدُ بن المُنْذر بن سَرْح بن خُناس ؛ ومَعْقِل بن المُنذر بن سَرْح بن خُناس ؛ وعبد الله بن النعمان بن بَلْدَمة .

قال ابن هشام : ويُقال : بُلْذُمة وبُلْدُمة .

قال ابن إسحاق :

والضحّاك بن حارثة بن زَيد بن ثعلبة بن عُبيد بن عدىّ ؛ وسَوَاد بن زُرَيق ابن ثعلبة بن عُبيد بن عدىّ .

قال ابن هشام : ويقال : سواد : ابن رِزْن بن زيد بن ثَعْلبة .

قال ابن إسحاق :

ومَعْبد بن قَيْس بن صَخْر بن حَرام بن رَبيعة بن عَدىّ بن غَنْم بن كعب ابن سَلِمة . ويقال : معبد بنُ قَيس : ابن صَيْفى بن صَخْر بن حَرام بن رَبيعة ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق :

وعبدُ الله بن قَيْس بن صَخْر بن حَرام بن ربيعة بن عدىّ بن غَنْم . سبعة نفر .

(1) قال أبو ذر بعد أن ذكر (حمير) وضبطه بالقلم بضم ففتح ثم ياء مشددة مكسورة : « كذا وقع هنا ويروى أيضا : ابن حمير . بتخفيف الياء ، وخمير ، بالخاء المعجمة ، قيده الدارقطنى ، قال : ويقال فيه : حمير » .

من بنى النعمان

ومن بنى النُّعْمان بن سِنان بن عُبيد : عبدُ الله بن عبد مناف بن النُّعمان ؛ وجابر بن عبد الله بن رِئَاب بن النُّعمان ؛ وخُلَيدة بن قَيْس بن النُّعمان . والنُّعمان ابن سِنان[1] ، مولًى لهم . أربعة نفر .

من بنى سواد

ومن بنى سَواد بن غَنْم بن كَعْب بن سَلِمة ، ثم من بنى حَديدة بن عمرو[2] ابن غَنْم بن سَواد — قال ابن هشام : عمرو[2] بن سَواد ، ليس لسَواد ابن يقال له غنم — : أبو المُنذر ، وهو يزَيد بن عامر بن حَديدة ؛ وسُلَيم بن عمرو بن حَديدة ؛ وقُطْبة بن عامر بن حَديدة ؛ وعنتَرة مولى سُليم بن عمرو . أربعة نفر .

قال ابن هشام : عنترة ، من بنى سُلَيم بن مَنْصور ، ثم من بنى ذَكْوان .

من بنى عدى ابن نابى

قال ابن إسحاق :

ومن بنى عدِىّ بن نابِى بن عَمرو بن سَواد بن غَنْم : عَبْس بن عامر ابن عدىّ ، وثعلبة بن غَنَمَة[3] بن عدىّ ؛ وأبو اليَسَر ، وهو كعب بن عمرو ابن عبّاد بن عمرو بن غَنْم بن سَواد ؛ وسَهْل بن قيس بن أبى كَعْب بن القَيْن ابن كَعْب بن سَواد ، وعمرو بن طَلْق بن زيد بن أُمية بن سِنان بن كعب ابن غَنْم ؛ ومُعاذ بن جَبل بن عمرو بن أَوْس بن عائذ بن عدىّ بن كعب ابن عدىّ بن أُدَىّ[4] بن سعد بن علىّ بن أَسَد بن سارِدة بن تَزِيد بن جُشَم ابن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر . ستة نفر .

قال ابن هشام : أوس : ابن عبّاد بن عدىّ بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ ابن سعد .

---

(١) كذا فى أكثر الأصول . وفى ا : « يسار » والرواية الأولى أصح ، إلا أنها ليست رواية ابن إسحاق ، وقد تكون صححت فى إحدى الطبعات . قال أبو ذر : « وقوله : النعمان ابن يسار ، كذا وقع هنا ، وقال فيه موسى بن عقبة وأبو عمرو بن عبد البر : النعمان بن سنان » .

(٢) فى م ، ر : « عمر » .

(٣) كذا فى أكثر الأصول والاستيعاب . وفى ا : « عنمة » بالعين المهملة .

(٤) فى م ، ر : « أذن » . وقد مر الكلام عليه .

قال ابن هشام : وإنما نَسب ابنُ إسحاق مُعاذَ بن جبل فى بنى سَواد ، وليس منهم ، لأنه فيهم .

قال ابن إسحاق :

تسمية من كسروا آلهة بنى سلمة

والذين كسروا آلِهة بنى سَلِمةُ : مُعاذُ بن جَبل ، وعبد الله بن أُنَيس ، وثعلبة بن غَنَمة[1] ، وهم فى بنى سَواد بن غَنْم .

قال ابن إسحاق :

من بنى زريق

ومن بنى زُرَيق بن عامر بن زُرَيق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب ابن جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق ـ قال ابن هشام : ويقال : عامر : ابن الأَزرق ـ : قَيْسُ بن مِحْصَن بن خالد بن مُخَلَّد .

قال ابن هشام : ويقال : قيس : ابن حِصْن .

قال ابن إسحاق :

وأبو خالد ، وهو الحارث بن قَيْس بن خالد بن مخلَّد ؛ وجُبَير بن إياس ابن خالد بن مُخَلَّد ، وأبو عُبادة ، وهو سعد بن عثمان بن خَلَدة بن مُخلَّد ؛ وأخوه عُقبة بن عثمان بن خَلَدة بن مُخلَّد ؛ وذَكْوان بن عبد قَيْس بن خَلَدة بن مخلَّد ؛ ومسعود بن خلَدة بن عامر بن مخلَّد . سبعة نفر .

من بنى خالد

ومن بنى خالد[2] بن عامر بن زُرَيق : عبّاد بن قيس بن عامر بن خالد . رجل .

من بنى خلدة

ومن بنى خَلَدة بن عامر بن زُرَيق : أسعد بن يَزيد بن الفاكه بن زيد ابن خَلَدة ؛ والفاكه بن بِشْر بن الفاكه بن زيد بن خَلَدة .

قال ابن هشام : بُسْر بن الفاكه .

قال ابن إسحاق :

(1) فى ا : « عنمة » (راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٥٦ من هذا الجزء) .
(2) فى م ، ر : « خلدة » وهو تحريف .

ومُعاذ بن ماعِص بن قيس بن خَلَدة ؛ وأخوه ، عائذ بن ماعِص بن قَيْس ابن خلدة ؛ ومسعود بن سَعد بن قيس بن خلدة . خمسة نفر .

من بني العجلان

ومن بني العَجْلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق : رِفاعةُ بن رافع ابن العَجْلان ؛ وأخوه خلّاد بن رافع بن مالك بن العَجْلان ، وعُبيد بن زَيد بن عامر بن العَجْلان . ثلاثة نفر . ٥

من بني بياضة

ومن بني بَيَاضة بن عامر بن زُرَيق : زِياد بن لَبِيد بن ثعلبة بن سِنان ابن عامر بن عديّ بن أمية بن بَياضة ؛ وفَرْوة بن عمرو بن وَذْفة بن عبيد ابن عامر بن بَياضة .

قال ابن هشام : ويقال : ودْفة .

قال ابن إسحاق : ١٠

وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بَياضة ؛ ورُجَيلة بن ثعلبة ابن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بَياضة .

قال ابن هشام : ويقال : رُخَيلة[1] .

قال ابن إسحاق :

وعَطيّة بن نُوَيرة بن عامر بن عَطية بن عامر بن بَياضة ؛ وخُلَيفة بن عديّ ١٥ ابن عمرو بن مالك بن عامر بن فُهيرة بن بَياضة . ستة نفر .

قال ابن هشام : ويقال : عُليفة .

من بني حبيب

قال ابن إسحاق :

ومن بني حَبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخزرج : رافعُ بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عَدِيّ بن زيد بن ثَعلبة بن زيد مناة ٢٠ ابن حَبيب . رجل .

---

(١) قال أبو ذر . « ورجيلة بن ثعلبة ، كذا وقع هنا بالجيم ، في قول ابن إسحاق ، وبالخاء المعجمة ، في قول ابن هشام . ورخيلة (بالخاء المعجمة) قيده الدارقطني في قول ابن إسحاق . ورحيلة (بالحاء المهملة) قيده أبو عمرو في قول ابن هشام » . وقد ذكره ابن عبد البر في « رجيلة » وذكر فيه أقوالا قريبة من هذه . ٢٥

قال ابن إسحاق :

من بنى النجار

ومن بنى النجّار ، وهو تَيم الله بن ثَعْلبة بن عمرو بن الخَزْرج ، ثم من بنى غَنْم بن مالك بن النجّار ، ثم من بنى ثَعْلبة بن عبد عوف بن غَنْم : أبو أيّوب خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة . رجل .

من بنى عسيرة

٥ ومن بنى عُسَيْرة بن عَبْد عوف[1] بن غَنْم[2] : ثابت بن خالد بن النعمان ابن خَنْساء بن عُسَيْرة . رجل .

قال ابن هشام : ويقال : [عُسَيْرو][3] عُشَيْرة .

قال ابن إسحاق :

من بنى عمرو

ومن بنى عَمْرو بن عبد عوف[1] بن غَنْم : عُمارة بن حَزْم بن زيد بن لَوْذان

١٠ ابن عمرو ، وسُراقة بن كعب بن عبد العزّى بن غَزِيّة بن عمرو . رجلان .

من بنى عبيد ابن ثعلبة

ومن بنى عُبَيد بن ثعلبة بن غَنْم : حارثةُ بن النُّعمان بن زَيد بن عبيد ؛ وسُليم بن قَيْس بن قَهْد ؛ واسم قَهْد : خالد بن قَيس بن عبيد . رجلان .

قال ابن هشام . حارثة بن النّعمان : ابن نَفْع[4] بن زَيد .

من بنى عائذ وحلفائهم

قال ابن إسحاق :

١٥ ومن بنى عائذ بن ثَعلبة بن غَنْم ـ ويقال عابد[5] فيما قال ابن هشام ـ : سُهيل بن رافع[6] بن أبى عَمْرو بن عائذ ؛ وعدىّ بن الزَّغْباء ، حليف لهم من جُهينه . رجلان .

من بنى زيد

ومن بنى زيد بن ثَعْلبة بن غَنْم : مَسْعود بن أوْس بن زيد ؛ وأبو خُزَيمة

(١) فى م ، ر : « عبد بن عوف » .

٢٠ (٢) فى م ، ر : « بن ثابت » بزيادة (بن) وهى مقحمة .

(٣) زيادة عن ا .

(٤) يروى بالفاء وبالقاف ، والأول هو الصواب . (راجع شرح السيرة لأبى ذر) .

(٥) فى م ، ر : « عائذ » . وظاهر أنه تحريف .

(٦) قال أبو ذر : « ويروى » أيضا : سهل بن رافع ، وهما أخوان . والذى شهد بدرا

٢٥ منهما هو سهيل . قاله أبو عمرو رحمه الله » .

ابن أَوْس بن زيد بن أَصْرم بن زَيْد ؛ ورافع بن الحارث بن سَواد بن زيد . ثلاثة نفر .

من بنى سواد وحلفائهم

ومن بنى سَواد بن مالك بن غَنْم : عَوْف ، ومُعَوِّذ ، ومُعاذ ، بنو الحارث ابن رِفاعة بن سَواد ؛ وهم بنو عَفْراء .

نسب عفراء

قال ابن هشام : ٥

عفراء بنت عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن ثَعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار ؛ ويقال : رفاعة : ابن الحارث بن سَواد .

قال ابن إسحاق :

والنُّعمان بن عَمْرو بن رفاعة بن سَواد ؛ ويقال : نُعَيمان ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق : ١٠

وعامر بن مُخَلَّد بن الحارث بن سَواد ؛ وعبد الله بن قَيْس بن خالد بن خَلْدة ابن الحارث بن سَواد ، وعُصَيْمة ، حليف لهم من أشجع ؛ ووَديعة بن عمرو ، حليف لهم من جُهينة ؛ وثابت بن عَمرو بن زيد بن عدىّ بن سَواد . [و][1] زعموا أن أبا الحَمْراء ، مولى الحارث بن عَفراء ، قد شهد بَدْرا . عشرة نفر .

قال ابن هشام : أبو الحَمْراء ، مولى الحارث بن رفاعة . ١٥

من بنى عامر ابن مالك

قال ابن إسحاق :

ومن بنى عامر بن مالك بن النجّار ــ وعامر : مَبْذول ــ ثم من بنى عَتيك ابن عمرو بن مَبْذول : ثعلبةُ بن عَمْرو بن مِحْصَن بن عمرو بن عَتيك ؛ وسَهْل ابن عتيك بن عمرو بن النعمان بن عَتيك ؛ والحارث بن الصِّمَّة بن عمرو بن عَتيك ، كُسِر به بالرَّوحاء ، فضَرب له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بسَهْمه . ثلاثة نفر . ٢٠

من بنى عمرو ابن مالك

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجّار ــ وهم بنو حُدَيلة[2] ــ ثم من بنى قَيْس ابن عُبيد بن زيد بن مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار :

---

(١) زيادة عن ا.

(٢) فى م : « حذيلة » بالذال المعجمة ، وهو تصحيف .

نسب حديلة

ــ قال ابن هشام :

حُدَيلة[1] بنت مالك بن زيد الله بن حَبيب بن عبد حارثة بن مالك ابن غَضْب بن جُشم بن الخزرج ، وهى أمّ مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار ، فبَنُو معاويةَ يَنْتسبون إليها ــ

٥ قال ابن إسحاق :

أُبَىّ بن كَعْب بن قَيْس ؛ وأَنَس بن مُعاذ بن أنس بن قَيْس . رجلان

من بنى عدى ابن عمرو

ومن بنى عدىّ بن عمرو بن مالك بن النجّار :

ــ قال ابن هشام :

وهم بنو مَغَالة بنت عوف بن عبد مَناة بن عمرو بن مالك بن كِنانة بن خُزَيمة ؛

١٠ ويقال : إنها من بنى زُرَيق ، وهى أمّ عدِىّ بن عمرو بن مالك بن النجّار ، فبنو عدىّ ينسبون إليها ــ :

أوسُ بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَناة بن عدىّ ؛ وأبو شَيْخ أُبَىّ بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ .

قال ابن هشام : أبو شيخ أُبَىّ بن ثابت ، أخو حسّان بن ثابت .

١٥ قال ابن إسحاق :

وأبو طَلْحة ، وهو زيد بن سَهْل بن الأسود بن حَرَام بن عمرو بن زيد مناة بن عدىّ . ثلاثة نفر .

من بنى عدى ابن النجار

ومن بنى عدىّ بن النجّار ، ثم من [بنى][2] عدىّ بن عامر بن غَنْم ابن النجّار : حارثةُ بن سُراقة بن الحارث بن عدىّ بن مالك بن عدىّ بن عامر ؛

٢٠ وعمرو بن ثَعْلبة بن وَهْب بن عدىّ بن مالك بن عدىّ بن عامر ، وهو أبو حَكِيم ؛ وسَليطُ بن قَيْس بن عمرو بن عَتيك بن مالك بن عدىّ بن عامر ؛ وأبو سَليط ، وهو أُسيْرة بن عمرو ؛ وعمرو أبو خارجة بن قَيْس بن مالك بن عدىّ بن عامر ؛

(١) فى م : «حذيلة» بالذال المعجمة ، وهو تصحيف .

(٢) زيادة عن ا .

وثابت بن خَنْساء بن عَمْرو بن مالك بن عدىّ بن عامر ؛ وعامر بن أُمية ابن زَيْد بن الحَسْحاس بن مالك بن عدىّ بن عامر ؛ ومُحْرِز بن عامر بن مالك ابن عدىّ بن عامر ؛ وسواد بن غَزِيّة بن أُهَيب ، حليف لهم من بَلِىّ . ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال : سَوّاد .

من بنى حرام ابن جندب

قال ابن إسحاق :

ومن بنى حَرَام بن جُنْدب بن عامر بن غَنْم بن عدىّ بن النجّار : أبو زيد ، قَيْس بن سَكَن بن قَيْس بن زَعُوراء[1] بن حَرام ، وأبو الأَعْور بن الحارث ابن ظالم بن عَبْس بن حَرَام .

قال ابن هشام : ويقال : أبو الأَعْور : الحارث بن ظالم[2] .

قال ابن إسحاق :

وسُلَيم بن مِلْحَان ؛ وحَرَام بن مِلْحان — واسم مِلْحان : مالك بن خالد ابن زيد بن حرام — أربعة نفر .

من بنى مازن ابن النجار وحلفاؤهم

ومن بنى مازن بن النجّار ، ثم من بنى عَوف بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم ابن مازن بن النجّار : قيسُ بن أبى صَعْصعة — واسم أبى صَعْصعة : عمرو بن زيد ابن عوف — وعبدُ الله بن كَعْب بن عمرو بن عَوْف ؛ وعُصَيْمة ، حليف لهم من بنى أَسد بن خُزيمة . ثلاثة نفر .

من بنى خنساء ابن مبذول

ومن بنى خَنْساء بن مَبْذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن : أبو داود عُمير ابن عامر بن مالك بن خَنْساء ؛ وسُراقة بن عَمْرو بن عطيّة بن خَنْساء . رجلان .

من بنى ثعلبة ابن مازن

ومن بنى ثعلبة بن مازن بن النجّار : قيس بن مُخَلَّد بن ثَعْلبة بن صَخْر ابن حَبيب بن الحارث بن ثَعْلبة . رجل .

(١) كذا فى ا والاستيعاب . وفى سائر الأصول : « زعور » .

(٢) فى الاستيعاب : أن اسم أبى الحارث : كعب ، وأنه هو ابن الحارث لا الحارث نفسه ، كما قال ابن هشام .

من بنى دينار ابن النجار

ومن بنى دِينار بن النجّار ، ثم من بَنِى مَسْعود بن عبد الأَشْهل بن حارثة ابن دِينَار بن النجّار : النعمانُ بن عبد عمرو بن مَسْعود ؛ والضحّاك بن عبد عمرو ابن مَسْعود ؛ وسُليم بن الحارث بن ثَعْلبة بن كعب بن حارثة بن دِينار ، وهو أخو الضحّاك والنعمان ابنى عبد عمرو ، لأمهما ؛ وجابر بن خالد بن عبد ٥ الأَشْهل بن حارثة ؛ وسَعد بن سُهَيل بن عبد الأَشْهل . خمسة نفر .

ومن بنى قَيْس بن مالك بن كَعْب بن حارثة بن دِينار بن النجّار : كعب ابن زَيْد بن قَيْس ؛ وبُجَيْر بن أبى بُجَيْر ، حليف لهم . رجلان .

قال ابن هشام .

بُجَيْر : من عَبْس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان ، ثم من بنى جَذيمة ١٠ ابن رَوَاحة .

جملة عدد البدريين من الخزرج

قال ابن إسحاق :

فجميع من شهد بدراً من الخَزْرج مئة وسبعون رجلاً .

من فات ابن إسحاق ذكرهم

قال ابن هشام :

وأكثر أهل العِلْم يذكُر فى الخَزْرج ببَدْر ، فى بَنِى العَجْلان بن زَيْد ١٥ ابن غَنْم بن سالم بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج : عِتْبان بن مالك ابن عَمْرو بن العَجْلان ؛ ومُلَيْل بن وَبَرة بن خالد بن العَجْلان ؛ وعِصْمة ابن الحُصَين بن وَبَرة بن خالد بن العَجْلان .

وفى بنى حَبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخزرج ، وهم فى بنى زُرَيق : هِلَال بن المُعَلَّى بن لَوْذان بن حارثة بن عَدِىّ بن زيد بن ثَعْلبة ٢٠ ابن مالك بن زيد مناة بن حَبيب .

عدد البدريين جميعا

قال ابن إسحاق :

فجميع من شهد بدْرًا من المسلمين ، من المُهاجرين والأنصار ؛ من شَهدها

منهم، ومن ضُرِب له بسهمه وأجْره، ثلاثمئة رجل وأربعةَ عشرَ رجلا؛ من المُهاجرين ثلاثةٌ وثمانون رجلاً، ومن الأوس واحدٌ وستُّون رجلاً، ومن الخزرج مئة وسبعون رجلاً.

من استشهد من المسلمين يوم بدر

القرشيون — وأُستشهد من المسلمين يوم بدر، مع رسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم، من قُريش؛ ثم من بَنى المُطّلب بن عبد مناف: عُبيدة بن الحارث بن المُطّلب، قتلة عُتبة بن ربيعة، قطع رجلَه، فمات بالصَّفْراء. رجل. ٥

من بنى المطلب

من بنى زهرة — ومن بنى زُهْرة بن كلاب. عُمير[1] بن أبى وقّاص بن أُهَيْب بن عبد مناف ابن زُهرة، وهو أخو سَعْد بن أبى وقّاص، فيما قال ابنُ هشام؛ وذو الشِّمالَيْن ابن عبد عمرو بن نَضْلة، حليف لهم من خُزاعة، ثم من بنى غُبْشان. رجلان. ١٠

من بنى عدى — ومن بنى عَدِىّ بن كَعْب بن لُؤَىّ: عاقلُ بن البُكَيْر، حليف لهم من بنى سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بن كنانة؛ ومِهْجَع، مولى عمر ابن الخطّاب. رجلان.

من بنى الحارث — ومن بنى الحارث بن فِهْر: صَفْوان بن بَيْضاء. رجل. ستة نَفَر.

الأنصار — من بنى عوف — ومن الأنصار، ثم من بنى عمرو بن عوف: سعدُ بن خَيْثمة، ومُبَشِّر ابن عبد المُنذر بن زَنْبر. رجلان. ١٥

من بنى الحارث — ومن بنى الحارث بن الخَزْرج: يزيدُ بن الحارث، وهو الذى يقال له: ابن فُسْحم[2]. رجل.

---

(١) ذكر الواقدى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد رد عميرا هذا فى ذلك اليوم لأنه استصغره، فبكى عمير، فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم بكاءه أذن له فى الخروج معه، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة، قتله العاص بن سعيد. (راجع المغازى للواقدى والروض). ٢٠

(٢) فى ا: «فسحم». وبالروايتين ذكره ابن عبد البر.

ومن بنى سلمة ؛ ثم من بنى حَرام بن كعب بن غنْم بن كعب بن سلمة : عُمَير بن الحُمام . رجل . — من بنى سلمة

ومن بنى حَبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم : رافع ابن المُعلَّى . رجل . — من بنى حبيب

٥ ومن بنى النجّار : حارثةُ بن سُراقة بن الحارث . رجل. — من بنى النجار

ومن بنى غنْم بن مالك بن النجّار : عوف ومُعوِّذ ، ابنا الحارث بن رفاعة ابن سَواد ، وهما ابنا عَفْراء . رجلان ــ ثمانية نفر . — من بنى غنم

من قتل ببدر من المشركين

وقُتِل من المشركين يومَ بدر من قُريش ، ثم من بنى عبد شَمْس بن عبد ١٠ مناف : حَنْظلة بن أبى سُفيان بن حَرْب بن أُمية بن عبد شَمْس ، قتله زيدُ ابن حارثة ، مولى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فيما قال ابنُ هشام ؛ ويقال : أشترك فيه حمزةُ وعلىّ وزيد ، فيما قال ابنُ هشام . — من بنى عبد شمس

قال ابن إسحاق :

والحارث بن الحَضْرمِىّ ، وعامر بن الحَضْرمى ، حليفان لهم . قَتل عامراً عَمّار ١٥ ابن ياسر ؛ وقتل الحارث : النعمانُ بن عصر ، حليف للأوس ؛ فيما قال ابنُ هشام. وعُمير بن أبى عُمير ، وابنه : موليان لهم . قتل عُميرَ بنَ أبى عُمير سالمٌ ، مولى أبى حُذيفة ؛ فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق :

وعُبيدة بن سَعيد [بن](1) العاص بن أُمية بن عبد شمس ، قتله الزبيرُ

---

٢٠ (١) زيادة عن ا .

ابن العوّام؛ والعاصُ بن سَعيد بن العاص بن أُمية ، قتله علىٌّ بن أبى طالب[1].
وعُقْبة بن أبى مُعيط بن أبى عمرو بن أُميّة بنَ عبد شمس ، قتله عاصمُ بنُ ثابت
ابن أبى الأَقْلح ، أخو بنى عمرو بن عوف ، صَبْراً[2] .

قال ابن هشام : ويقال : قتله علىٌّ بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : ٥

وعُتبة بن ربيعة بن عبد شَمْس ، قَتله عُبيدة بن الحارث بن المُطّلب .

قال ابن هشام : اشترك فيه هو وحمزة وعلىّ .

قال ابن إسحاق :

وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس ، قتله حمزةُ بن عبد المطلب ؛ والوليدُ
ابن عُتبة بن ربيعة ، قتله علىّ بن أبى طالب ؛ وعامر بن عبد الله ، حليف لهم ١٠
من بنى أنمار بن بَغيض ، قتله علىٌّ بن أبى طالب . اثنا عشر رجلا .

من بنى نوفل — ومن بنى نَوْفل بن عبد مناف : الحارث بن عامر بن نوفل ، قتله — فيما
يذكرون — خَبيبُ بن إساف ، أخو بنى الحارث بن الخَزْرج ؛ وطُعَيمة بن عدىّ
ابن نَوْفل ، قتله علىٌّ بن أبى طالب ؛ ويقال : حمزةُ بن عبد المطلب . رجلان .

من بنى أسد — ومن بنى أسد بن عبد العزّى بن قُصىّ : زَمَعة بن الأسْود بن المطّلب بن أسد. ١٥
قال ابن هشام . قتله ثابتُ بن الجِذْع ، أخو بنى حَرام ، فيما قال ابن هشام ؛
ويقال : اشترك فيه حمزةُ وعلىٌّ بن أبى طالب وثابت .

قال ابن إسحاق :

والحارث بن زَمَعة ، قتله عمّار بن ياسر — فيما قال هشام — وعقيلُ بن الأسْود
ابن المطّلب ، قتله حمزةُ وعلىّ ، اشتركا فيه — فيما قال ابن هشام — وأبو البَخْتَرىّ ، ٢٠

---

(١) فى قتل على للعاص بن سعيد خلاف ، فيقال إن عليا لم يقتله ، وإنما الذى قتله سعد بن أبى وقاص ، كما أن بعض أهل التفسير يقولون إن الذى قتله أبو اليسير ، كعب ابن عمرو . (راجع الروض)

(٢) يقال للرجل إذا شدت يداه ورجلاه أو أمسكه رجل آخر حتى يضرب عنقه ، أو حبس على القتل حتى يقتل : قتل صبرا . ٢٥

وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد ، فتله المُجَذَّر بن ذِياد البَلَوىّ .

قال ابن هشام : أبو البَخْترىّ : العاص بن هاشم .

قال ابن إسحاق :

ونوفلُ بن خُويلد بن أسد ، وهو ابن العَدَوِيّة ، عدىّ خُزاعة ، وهو الذى قَرَن أبا بكر الصّدِّيق ، وطَلْحة بن عُبيد الله حين أسلما فى حَبْل ، فكانا[1] يُسمّيان: القَرِينين لذلك ؛ وكان من شياطين قُرَيش ـ قتله علىُّ بن أبى طالب . خمسة نفر .

من بنى عبد الدار

ومن عبد الدار بن قُصىّ : النضرُ بن الحارث بن كَلَدَة بن عَلْقمة بن عبد مناف بن عَبْد الدّار ، قَتله علىُّ بن أبى طالب صَبْرًا عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بالصَّفْراء ، فيما يذكرون .

قال ابن هشام : بالأُثيلِ[2] . قال ابن هشام : ويقال : النضرُ بن الحارث : ابن عَلْقمة بن كَلَدَة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق :

وزيد بن مُلَيْص ، مولى عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. رجلان .

قال ابن هشام :

قتل زَيْدَ بنَ مُلَيص بلالُ بنُ رَباح ، مولى أبى بكر ؛ وزيدُ حليف لبَنى عبدالدار، من بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تَميم ؛ ويقال : قتله المِقداد بن عمرو .

من بنى تيم ابن مرة

قال ابن إسحاق :

ومن بنى تيم بن مُرّة : عُمَير بن عُثمان بن عمرو بن كَعْب بن سَعد بن تَيْم .

قال ابن هشام : قتلة علىُّ بن بن أبى طالب ؛ ويقال : عبد الرحمن بن عوف.

(1) فى م ، ر . « فكانما » وهو تحريف .

(2) الأثيل : موضع قرب المدينة .

قال ابن إسحاق :

وعثمانُ بن مالك بن عُبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب ، قتله صُهيب ابن سِنان . رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة بن مُرة : أبو جَهْل بن هِشام ـ واسمه عَمْرو ابن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ـ ضربه مُعاذ بن عمرو ابن الجَموح، فقطع رجلَه ، وضرب ابنُه عِكْرمة يدَ مُعاذ فطَرحها ، ثم ضربه مُعَوِّذ ابن عَفْراء حتى أثْبته[1] ، ثم تركه و به رَمق: ثم ذَفّف[2] عليه عبدُ الله بن مَسْعود ، واحتزّ رأسَه ، حين أمَر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم[3] أن يُلْتمس فى القَتْلى ـ والعاصُ بن هِشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ، قتله عمر ابن الخطّاب ؛ ويَزِيد بن عبد الله ، حليفٌ لهم من بنى تَميم .

قال ابن هشام : ثم أحدُ بنى عمرو بن تميم ، وكان شجاعا ، قتله عمّار بن ياسر.

قال ابن إسحاق :

وأبو مُسافع الأَشْعرى ، حليف لهم ، قتله أبو دُجَانة السّاعدىّ ـ فيما قال ابنُ هشام ـ وَحرْملة بن عَمرو ، حليف لهم .

قال ابنُ هشام :

قَتله خارجةُ بن زيد بن أبى زُهير ، أخو بلحارث بن الخَزْرج ؛ ويقال: بلْ علىّ بن أبى طالب ـ [فيما][4] قال ابن هشام ـ وحَرْملة : من الأسد .

قال ابن إسحاق :

ومَسْعود بن أبى أُمية بن المُغيرة ، قتله علىّ بن أبى طالب ـ فيما قال ابن هشام ـ وأبو قيس بن الوَليد بن المُغيرة .

---

(١) أثبته : جرحه جراحة لا يقوم معها .

(٢) ذفف عليه : أسرع قتله .

(٣) فى م ، ر : « .... به أن يلتمس » بزيادة (به) ، ولا معنى لها .

(٤) زيادة عن ا .

قال ابن هشام :

قتله حمزة بن عبد المطلب .

قال ابن إسحاق :

وأبو قَيْس بن الفَاكِه بن الْمُغِيرة ، قتله علىّ بن أبى طالب ؛ ويقال : قتله

٥ عمّار بن ياسر ، فيما قال ابنُ هشام .

قال ابن إسحاق :

ورِفاعة بن أبى رِفاعة بن عابد[1] بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم ، قتله سعدُ ابن الرّبيع ، أخو بَلْحارث بن الخَزْرج ، فيما قال ابنُ هشام ؛ والْمُنذر بن أبى رِفاعة بن عابد ، قتله مَعْن بن عدىّ بن الجَدّ بنِ العَجْلان ، حليفُ بنى عُبيد

١٠ ابن زَيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عوف ، فيما قال ابنُ هشام ؛ وعبدُ الله ابن الْمُنذر بن أبى رِفاعة بن عابد ، قَتله علىٌّ بن أبى طالب ، فيما قال ابنُ هشام .

قال ابن إسحاق :

والسائب بن أبى السّائب بن عابد بن عَبْد الله بن عُمر بن مَخْزوم .

١٥ قال ابن هشام :

السائب بن أبى السائب شَريك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذى جاء فيه الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : نِعْم الشريك السائبُ ، لايُشارى ولا يُمارى ، وكان أسلم فحسن إسلامه ، فيما بلغنا . والله أعلم .

وذكر ابن شهاب الزهرى عن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس :

---

٢٠ (١) كذا فى ا . وفى سائر الأصول هنا وفيما سيأتى : «عائذ» وهو تحريف ، قال أبو ذر : «قال الزبير بن بكار فيما حكى الدارقطنى عنه : كل من كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد ، يعنى بالباء والدال المهملة ، وكل من كان ولد عمران بن مخزوم فهو عائذ ، يعنى بالياء المهموزة والذال المعجمة » .

أن السائب[1] بن أبى السائب بن عابد بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ممن بايع رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم من قُريش ، وأعطاه يوم الجِعْرّانة من غَنائم حُنين .

قال ابن هشام :

وذكر غيرُ ابن إسحاق : أن الذى قتله الزُّبير بن العَوام . ٥

قال ابن إسحاق :

والأُسود بن عبد الأَسَد بن هِلال بن عبد الله بن عُمر بن مَخْزوم ، قتله حَمْزة بن عبد المطّلب ؛ وحاجبُ بن السّائب بن عُوَيمر بن عَمْرو بن عائذ ابن عَبْد بن عِمْران بن مخزوم – قال ابن هشام : ويقال : عائذ : ابنُ عِمران ابن مَخْزوم ؛ ويقال : حاجز بن السّائب – والذى قَتل حاجبَ بن السائب ١٠ علىُّ بنُ أبى طالب .

قال ابن إسحاق :

وعُوَيمر بن السّائب بن عُوَيمر ، قَتله النّعمان بن مالك القَوْقلى مبارزةً ، فيما قال ابن هشام .

---

(١) فى إسلام السائب وقتله مشركا خلاف عرض له السهيلى وابن عبد البر . وقد ذكر ١٥ السهيلى قصة عن ابن الزبير تدل على إسلام السائب ، قال : مر معاوية وهو يطوف بالبيت ومعه جنده فزحموا السائب فسقط ، فوقف عليه معاوية ، وهو يومئذ خليفة ، فقال : ارفعوا الشيخ . فلما قام قال : ماهذا يامعاوية ؟ تصرعونا حول البيت ! أما والله لقد أردت أن أتزوج أمك ؛ فقال معاوية : ليتك فعلت فجاءت بمثل أبى السائب ، يعنى عبد الله بن السائب .

وفى هذا دليل على أنه أدرك الإسلام وعلى أنه من المعمرين. ٢٠

ثم ذكر السهيلى حديث الشركة ، والاختلاف فيمن كانت الشركة معه ، أهو أبوالسائب هذا أم غيره ، فى حديث طويل اجتزأنا منه بما ذكرنا وكله لا يخرج عن الرأيين اللذين عرض لهما ابن إسحاق وابن هشام فى كفر أبى السائب وإسلامه .

قال ابن إسحاق :

وعَمْرو بن سُفيان ، وجابر بن سفيان ، حليفان لهم من طَيِّئ ، قَتل عمراً يزيدُ بن رُقَيش ، وقتل جابراً أبو بُرْدة بن نِيَار ، [فيما][1] قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : سبعة عشر رجلاً .

٥ ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤىّ : مُنبِّه بن الحجّاج ابن عامر بن حُذيفة بن سعد بن سَهْم ، قتله أبو اليَسَر ، أخو بنى سَلِمة ؛ وابنه العاصُ بن مُنبِّه بن الحجّاج ، قَتله علىٌّ بن أبى طالب ، فيما قال ابنُ هشام ؛ ونُبَيه بن الحجّاج بن عامر ، قتله حَمْزة بن عبد المطلب وسعدُ بن أبى وقّاص ، اشتركا فيه ، فيما قال ابنُ هشام ؛ وأبو العاص بن قَيْس بن عدىّ بن سَعد[2]

١٠ ابن سهم .

من بنى سهم

قال ابن هشام :

قَتله علىٌّ بن أبى طالب ؛ ويقال : النعمانُ بن مالك القَوْقلى ؛ ويقال : أبو دُجَانة .

قال ابن إسحاق :

١٥ وعاصم بن[3] عَوْف بن ضُبيرة[4] بن سُعَيد بن سَعْد بن سهم ، قَتله أبو اليَسَر ، أخو بنى سَلِمة ، فيما قال ابن هشام : خمسة نفر .

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن لؤىّ : أُمية بن خَلف ابن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، قتله رجلٌ من الأنصار من بَنى مازن .

من بنى جمح

قال ابن هشام :

٢٠ ويقال : بل قَتله مُعاذ بن عَفْراء وخارجة بن زيد وخُبيب بن إساف ، اشتركوا فى قَتْله .

---

(١) زيادة عن ا .

(٢) فى الأصول : « سعيد » وهو تحريف .

(٣) فى الأصول : « بن أبى عوف » وهو تحريف. ويكنى عوف هذا: أبا وداعة. (راجع

٢٥ الروض الأنف) .

(٤) فى م ، ر : « صبيرة » بالصاد المهملة ، وهما روايتان فيه .

قال ابن إسحاق :

وابنه عليّ بن أمية بن خَلَف ، قتله عمّار بن ياسر ؛ وأَوْس بن مِعْيَر[1] ابن لوذان بن سعد بن جُمح ، قتله عليُّ بن أبي طالب ، فيما قال ابن هشام ؛ ويقال : قتله الحُصَين بن الحارث بن المطّلب وعُثمان بن مَظْعون ، اشتركا فيه : فيما قال ابن هشام :

قال ابن إسحاق : ثلاثة نفر .

من بنى عامر

ومن بنى عامر بن لُؤىّ : مُعاوية بن عامر ، حَليف لهم من عبد القَيْس ، قتله عليُّ بن أبي طالب ؛ ويقال : قتلهُ عُكَّاشة بن مِحْصن ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق :

ومَعْبدُ بن وهب ، حليف لهم من بَنى كَلْب بن عوف بن كَعْب بن عامر ابن لَيث ، قتل معبداً خالدٌ و إياس أبنا البُكَير ؛ ويقال : أبو دُجانة ، فيما قال ابن هشام . رجلان .

عددهم

قال ابن هشام[2] :

فجميع من أُحْصِي لنا من قَتْلى قريش يوم بدر . خمسون رجلا .

قال ابن هشام : حدّثنى أبو عُبيدة عن أبى عمرو :

أنّ قَتْلى بدر من المُشركين كانوا سبعين رجلا ، والأسرى كذلك ، وهو قول ابن عبّاس ، وسَعيد بن المسيّب . وفي كتاب الله تبارك وتعالى : « أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا » . يقوله لأصحاب أُحد ــ وكان من استُشْهد منهم سبعين رجلا ــ يقول : قد أصبتم يوم بَدر مِثْلَى من استشهد منكم يومَ أُحد ، سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً . وأنشدنى أبو زيد الأنصارى لِكَعب ابن مالك :

(١) فى م ، ر : «معبر» بالباء الموحدة : وهو تحريف . (راجع الطبرى وابن الأثير) .

(٢) فى م ، ر : « قال ابن اسحاق » .

فأَقام بالعَطَن المُعَطَّن منهمُ سبعون ، عُتْبةُ منهمُ والأَسْوَدُ[1]

قال ابن هشام :

يعنى قَتْلى بدر . وهذا البيت فى قصيدة له فى حديث يوم أحد ، سأذكرها إن شاء الله تعالى فى موضعها .

٥ قال ابن هشام:

من فات ابن اسحاق ذكرهم

وممن لم يَذْكر ابنُ إسحاق من هؤلاء السّبعين القَتْلى :

من بنى عبد شمس

من بنى عَبْد شَمْس بن عبد مناف : وهبُ بن الحارث ، من بنى أنمار ابن بَغيض ، حليف لهم ؛ وعامرُ بن زيد ، حليف لهم من اليمن . رجلان .

من بنى أسد

ومن بنى أَسد بن عبد العُزّى : عُقبة بن زيد ، حليف لهم من اليمن؛ وعُمير ١٠ مولى لهم رجلان .

من بنى عبد الدار

ومن بنى عبد الدار بن قُصى : نُبَيه بن زيد بن مُلَيص ؛ وعُبَيد بن سَلِيط ، حليف لهم من قيس رجلان .

من بنى تيم

ومن بنى تَيْم بن مُرّة : مالكُ بن عُبيد الله[2] بن عُثمان [وهو أخو طلحة بن عُبيد الله بن عثمان][3] أُسر فمات فى الأسارى ، فعُدّ فى القَتلى ؛ ويقال : ١٥ وعمرو بن عبد الله بنُ جُدْعان . رجلان .

من بنى مخزوم

ومن بنى مَخْزوم بن يَقَظة : حُذَيفة بن أبى حُذَيفة بن المُغيرة ، قتله سعد ابن أبى وقّاص ؛ وهشام بن أبى حُذيفة بن المُغيرة ، قتله صُهيب بن سِنان ؛ وزُهير ابن أبى رِفاعة ، قتله أبو أُسَيْد مالك بن رَبيعة ؛ والسائب بن أبى رِفاعة ، قتله عبدُ الرحمن بن عوف ؛ وعائذ بن السّائب بن عُوَيمر ، أُسر ثم افتدى فمات فى ٢٠ الطريق من جراحةٍ جرحه إياها حمزةُ بن عبد المطلب ؛ وعُمير ، حليف لهم من طَيِّئ ؛ وخِيار ، حليف لهم من القارة . سبعة نفر .

---

(١) العطن (فى الأصل) : مبرك الإبل حول الماء ، فاستعاره هنا لقتلى يوم بدر من المشركين .

(٢) فى ا : « عبد الله » وهو تحريف .

٢٥ (٣) هذه العبارة ساقطة فى ا .

من بنى جمح

ومن بنى جمح بن عمرو : سَبْرة بن مالك ، حليف لهم . رجل .

من بنى سهم

ومن بنى سَهْم بن عمرو . الحارث بن مُنبِّه بن الحجّاج ، قتله صُهَيب بن سِنان؛ وعامر بن[1] عوف بن ضُبيرة[2] ، أخو عاصم بن ضبيرة ، قتله عبد الله بن سَلمة العَجْلانى ، ويقال : أبو دُجانة . رجلان .

---

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٧١ من هذا الجزء .

(٢) فى م ، ر : « صبيرة » بالصاد المهملة وهما لغتان فيه .

انتهى الجزء الثانى ، ويليه : الجزء الثالث

وأوله

ذكر أسرى قريش يوم بدر

فهرس

الجزء الثاني

من

السيرة النبوية

لابن هشام

فهـــرس رجال السند

ا

ب

ث

ج

ح

خ

ق

ك

م

ن

هـ

و

ى

فهـــرس الأعلام

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

(١) ورد فى ص ٣٨٢ من هذا الجزء : « ..... بن كاب » . والصواب : « ... بن كليب » .

ذ

ر

ز

س

(١) فى ص ١٥١ : « سعد » .
(٢) فى ص ١٢٢ : « حريملة » . وهو تحريف .

ش

ص

ض

ط

ظ

---

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠٥ من هذا الجزء .

ع

(١) فى الأصل : عبد الله بن أمية، وهو تحريف .
(٢) لعله هو عبد الله بن جحش .

(١) فى ص ٣٥٩ : « عدى بن الزغباء » . وهو تحريف .

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

(١) لعله معاذ (راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٨ من هذا الجزء).
(٢) ورد فى بعض الصحف: «نعمان بن أوفى» وهو تحريف.

فهـــرس الشعراء

ا

ت

ج

ح

خ

ذ

ر

ز

فهـــرس الأمم والقبائل

ت

ث

ج

خ

د

ذ

ك

ل

م

ن

و

ى

فهـــرس الأماكن

ا

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ق

ك

ل

م

ن

و

ى

فهـــرس الأيام

فهـــرس أسماء الكتب

فهـــرس القوافي

م

ن

ى

فهـــرس أنصاف الأبيات

فهـــرس الموضوعات

ذكر المهاجرين إلى المدينة

هجرة عمر وقصة عياش معه

منازل المهاجرين بالمدينة

المؤاخاة بين المهاجرين الأنصار

أبو أمامة

خبر الأذان

أبو قيس بن أبى أنس

الأعداء من يهود

إسلام عبد الله بن سلام

أمر السيد والعاقب وذكر المباهلة

نبذ من ذكر المنافقين

خروج زينب إلى المدينة

إسلام أبي العاص بن الربيع

إسلام عمير بن وهب

المطعمون من قريش

أسماء خيل المسلمين يوم بدر

نزول سورة الأنفال

من حضر بدرا من المسلمين

الأنصار ومن معهم

من استشهد من المسلمين يوم بدر

القرشيون ، من بنى المطلب ، من بنى عدى ، من بنى الحارث ، الأنصار ، من بنى عوف ، من بنى الحارث ٣٦٤ — من بنى سلمة ، من بنى حبيب ، من بنى النجار ، من بنى غنم ٣٦٥

من قتل ببدر من المشركين

من بنى عبد شمس ٣٦٥ — من بنى نوفل ، من بنى أسد ٣٦٦ — من بنى عبد الدار ، من بنى تيم بن مرة ٣٦٧ — من بنى مخزوم ٣٦٨ — من بنى سهم ، من بنى جمح ٣٧١ — من بنى عامر ، عددهم ٣٧٢ — من فات ابن إسحاق ذكرهم ، من بنى عبد شمس ، من بنى أسد ، من بنى عبد الدار ، من بنى تيم ، من بنى مخزوم ٣٧٣ — من بنى جمح ، من بنى سهم ٣٧٤

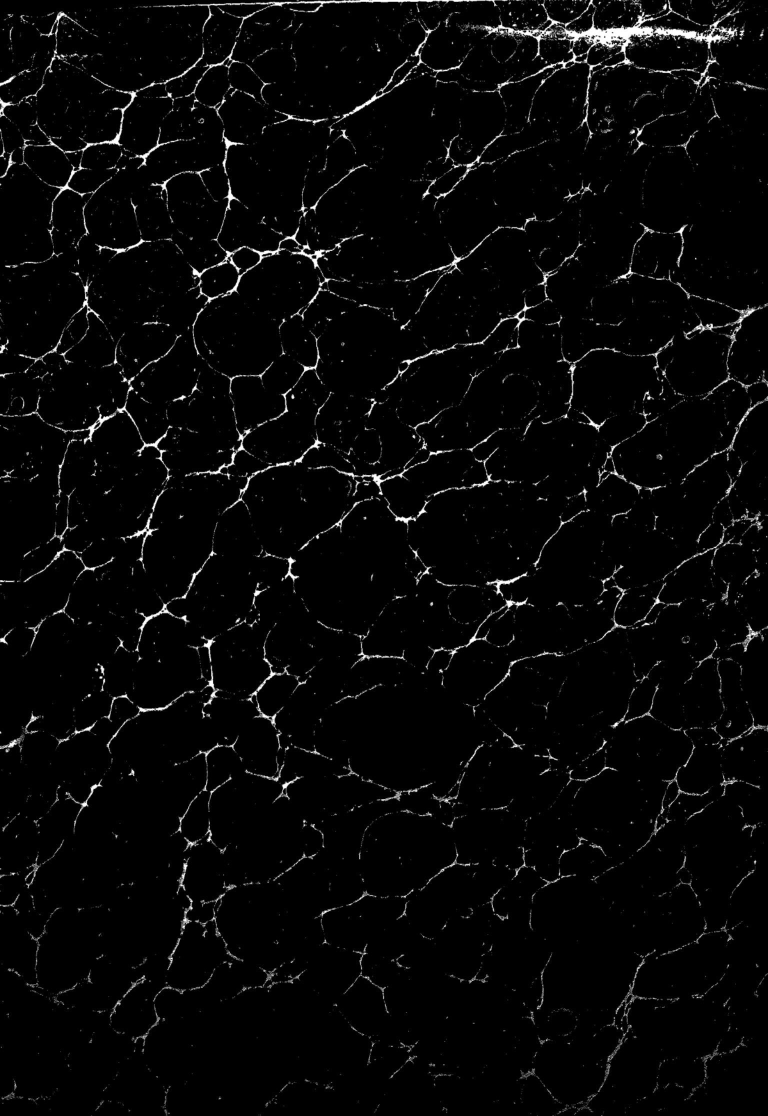
إصـــلاح خطأ

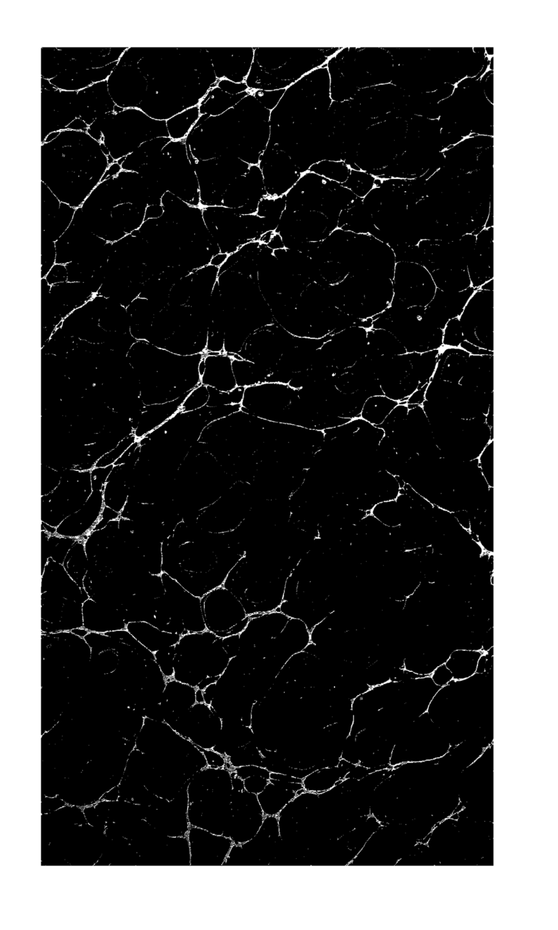
وقع أثناء الطبع بعض أغلاط مطبعية نذكرها هنا ليستدركها القراء :

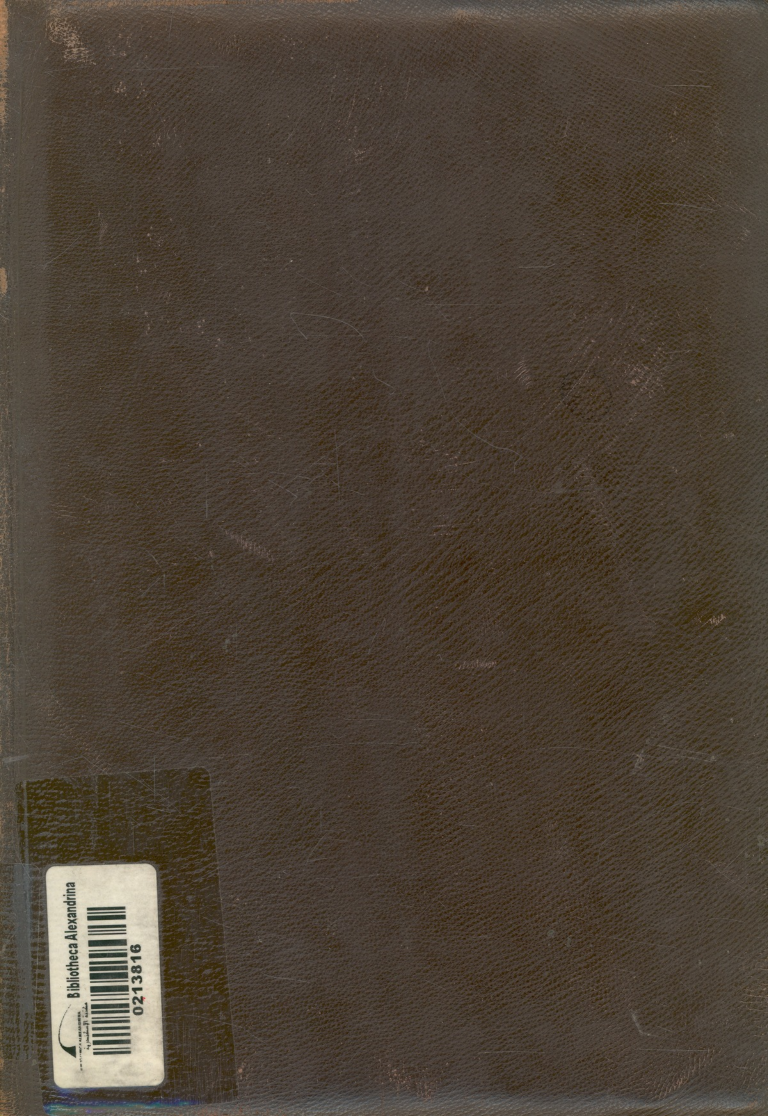
صفحة	سطر	خطـــأ	صـــواب
٨	٦	بن بيضاء	ابن بيضاء
٣٩	حاشية	عود إلى حديث الحسن مسراه...الخ	عود إلى حديث الحسن عن مسراه...الخ
٦٠	١٩	عبد الله بن أمية	عبد الله بن أبى أمية
١٠١	١٧	موته	مؤته
١٣٦	٥	المَرَة	المرّة
١٦٤	حاشية	سلامه	إسلامه
١٦٦	١٣	الحارث ابن سويد	الحارث بن سويد
١٦٨	١٠	نبتل ابن الحارث	نبتل بن الحارث
١٦٩	٢٤	لعلهم	لعله
٢٠٣	٥	أحبارِ	أحبارُ
٢١٢	حاشية	أحياء	أحباء
٢٧٨	حاشية	القشاء	الشقاء
٣٣٥	حاشية	لنسب	نسب
٣٣٥	حاشية	من خلفاء	من حلفاء
٣٣٧	١	المقدد ابن عمرو	المقداد بن عمرو
٣٣٨	٢١	طلحة بن عبيد الله	طلحة بن عبيد الله
٣٥١	١١	أمية	أُمية



شعارنا
الدين واللغة
مكتبة
مصطفى البابي الحلبي
واولاده
بمصر
مطبعة
مصطفى البابي الحلبي
واولاده
بمصر
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر
صندوق بوستة الغورية نمرة ٧١






Bibliotheca Alexandrina
0213816